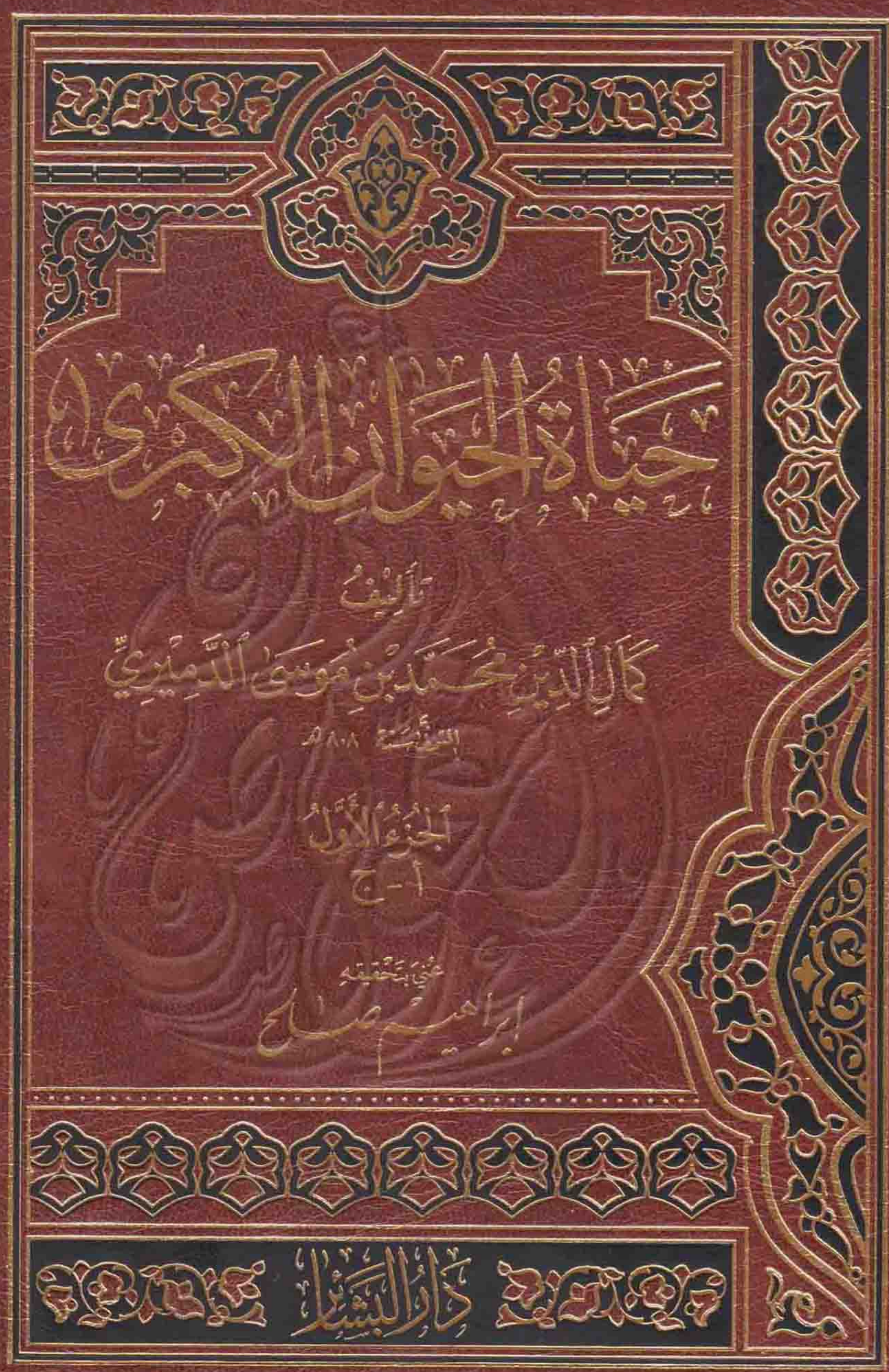

حياة الحيوان الكبرى
تأليف
كمال الدين محمد بن موسى الدميري
المتوفى سنة ٨٠٨ هـ
الجزء الأول
أ - ج
عني بتحقيقه
إبراهيم صالح
دار البشائر




حياة الحيوان الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان : حياة الحيوان الكبرى

تأليف : كمال الدين محمد بن موسى الدميري

تحقيق : إبراهيم صالح

الجزء : الأول

عدد الصفحات : ٧٣٦ صفحة

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤سم

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

التنضيد والإخراج : زياد ديب السروجي



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق ـ شارع ٢٩ أيار ـ جادة كرجية حداد

هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ ـ ٢٣١٦٦٦٩

ص. ب ٤٩٢٦ سورية ـ فاكس ٢٣١٦١٩٦

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م



تأليف

كمال الدين محمد بن موسى الدميري

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

الجزء الأول

أ - ج

عُني بتحقيقه

ابراهيم صالح

دار البشائر



﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[سورة النَّمل : ١٩]

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التّحقيق :

الحمدُ لله الذي ميَّز الإنسانَ ، من بين أَصنافِ الحيوان ، بالعقل والبيانِ . والصَّلاةُ والسَّلام على سيِّد الأَكوانِ ، سيِّدنا محمَّد ، وعلى آله وصحبه الأماثل والأعيانِ .

وبعد :

المؤَلِّفُ[1] : هو الإمام العلاّمة كمال الدِّين ، أَبو البقاء ، محمَّد بن موسى ابن عيسى ، الدَّميريّ الأَصلِ[2] ، القاهريُّ ، الشّافعيُّ .

ولادته : لا ندري على وجه التَّحديد ، متىٰ انتقل أَسلافُه من دَميرة إلى القاهرة ، وكذلك لم يصلنا تمام نَسَبه ، وانتماؤه القبليُّ ؛ ولسنا على ثقةٍ من

---

(١) تَرْجَمَتُهُ فِي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأَمين للتّقيّ الفاسي ٢/ ٣٧٢ ، وطبقات الشافعيَّة لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٩٠ ، وإِنباء الغمر لابن حجر ٥/ ٣٤٧ ، وذيل الدرر الكامنة ١٧٦ ، وَالمجمع المؤسس ٣/ ٣٣٩ ، والمقفّى الكبير للمقريزي ٧/ ٢١٥ ، والسلوك ٤/ ١/ ٢٥ ، ودرر العقود الفريدة ٣/ ٤٣٦ ، والدليل الشافي لابن تغري بردي ٢/ ٧٠٨ ، والضّوء اللاّمع للسخاوي ١٠/ ٥٩ ، والذَّيل التامّ ١/ ٤٤٢ ، وحسن المحاضرة للسُّيوطي ١/ ٣٧٨ ، والقبس الحاوي لغرر ضوء السَّخاوي للشّمّاعِ ٢/ ٣٧١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٩/ ١١٨ ، وَالبدر الطالع للشّوكانيّ ٢/ ٢٧٢ ، وَكَشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٩٦ ، وهدية العارفين لإِسماعيل البغدادي ٢/ ١٧٨ ، والأَعلام للزِركلي ٧/ ١١٨ ، وتاريخ الأَدب العربي لبروكلمان ٦/ ٥٧٤ .

(٢) نسبته إلى دَميرة ـ بفتح أَوَّله ، وَكسر ثانيه ، وياء مثنّاة ، وراء مهْمَلَةٍ ـ : قرية كبيرة بمصر قرب دمياط ؛ وهما دميرتان إحداهما تقابل الأُخرى ، على شاطىء النيل ، في طريق مَن يريد دمياط . (معجم البلدان ٢/ ٤٧٢) .

معرفةِ كونه عربيًّا صليبةً أَم لا . ويبدو أَنه من منبتٍ طبقيٍّ فقيرٍ ؛ فقد ولد في أَوائل سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة للهجرة ـ تقريبا[١] ـ بالقاهرة ، فنشأ بها ، ثم دفعه فَقره إلى تعلُّم صنعةِ الخياطةِ ، فصار يتكسَّبُ بها .

كان اسمه في طفولته كمالاً ، ولمّا امتنَّ الله عليه بالعلم والتّقوى ، رأَى أَنَّ اسمه يتضمَّن نوعاً من التَّزكيةِ ، فسمّى نفسَه محمّداً ، وصار يكشط الأَوَّل ، وجعل اسمه الأَوّل مضافاً إلى كلمة الدِّين لقباً له ، فعُرف بكمال الدِّين ، محمَّد[٢] .

❊ ❊ ❊

طلبه العلم :

شملته عناية الله عزَّ وجلَّ ، فأقبل على العلم ، ولازمَ شيخَه مظفَّر الدِّين ابن العطّار العسقلانيّ المتوفى سنة ٧٦١ ـ وهو أقدم شيوخه وفاةً ـ فسمع عليه « جامع التِّرمذيّ » سنة نيِّف وخمسين وسبعمئة .

وسمع على العُرضيّ ـ المتوفّى سنة ٧٦٤ ـ جُلَّ « مسند أحمد » أو جميعه ، و« جزء الأَنصاريّ » .

وسمع بمكّة على مسند حلب ـ ابن حبيب ـ المتوفّى سنة ٧٧٧ « سنن ابن ماجه » و« مسند الطَّيالسي » و« مسند الشّافعيّ » و « معجم ابن قانع » و« أَسباب النُّزول للواحديّ » و« مقامات الحريري » وغير ذلك .

وكذا سمع بها عن الجمال ابن عبد المعْطي ـ المتوفى سنة ٧٧٦ .

---

(١) قال الفاسي في العقد الثمين ٢/ ٣٧٢ : كذا وجدتُ ـ في بعض الاستدعاءات التي أَجاز فيها ـ بخطّه .
قُلْتُ : وما ذَكره ابن حجر وغيره ، أَنه ولد في حدود الخمسين ، فلا يُلتفت إليه .

(٢) الضوء اللاّمع ١٠/ ٥٩ .

وسمع بالمدينة عن العفيف المطريّ ـ المتوفى سنة ٧٦٥ .

ولازم البهاء السُّبْكيّ ـ المتوفّى سنة ٧٧٣ ـ كثيراً ، وأَخذ عنه فنوناً من العلم ، وانتفع به .

وأَخذَ عن الكمال النُّويري ـ المتوفّى سنة ٧٨٦ .

وسمع من الحراوي ـ المتوفّى سنة ٧٨١ ـ كتاب « الخيل » للحافظ شرف الدِّين الدِّمياطي و« العلم » للمرهبيّ .

وأَخذَ الفقه عن الجمال الإِسنويّ ـ المتوفّى سنة ٧٧٢ .

ولمّا صنَّف الإِسنويُّ كتاب « التَّمهيد » مدح الإِسنويَّ بأَبياتٍ ، فكتب له الشيخ جمال الدِّين الإِسنويّ ، وأَثنى عليه ثناءً كثيراً[١] .

وكذا أَخذ الفقه عن ابن الملقّن ـ المتوفّى سنة ٨٠٤ ـ والبُلقيني ـ المتوفّى سنة ٧٩١ .

وأَخذ الأدب عن الشيخ برهان الدِّين القِيراطيّ ـ المتوفّى سنة ٧٨١ .

وأَخذ العربيّة وعلوم اللُّغة عن البهاء ابن عَقيل ـ المتوفّى سَنَةَ ٧٦٩ .

وكان من نتيجة ذلك أَنَّه برع في التَّفسير ، والحديث ، والفقه وأصوله ، والعربيَّة ، والآداب ، وغيرها ؛ فاستحقَّ أَن يصفه الزَّيلعيُّ بـ« الفاضل كمال الدِّين كمال »[٢] .

ولَمّا رآه الشَّيخ بهاء الدِّين السُّبكيُّ أَهلاً للتَّدريس والفتوىٰ ، تكلَّمَ لَهُ مَعَ القاضي كمال الدِّين أَبي الفضل النُّويري ـ المتوفّى سَنَةَ ٧٨٦ ـ في أَن يُجيز له

---

(١) طبقات الشافعيّة لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٩٠ .

(٢) الضوء اللامع ١٠/ ٦٠ .

ذلك ، ففعل[1] .

وَأذن له في الإِفتاء والتَّدريس ، وتصدّى للإِقراءِ ، فانتفع به جماعةٌ[2] .

* * *

شيوخه :

١ ـ **بهاء الدِّين أَحمد بن تقيّ الدِّين السُّبْكيّ** : [٧١٧ ـ ٧٧٣] له فضائل وعلمٌ جمٌّ ، وفيه أَدبٌ وتقوى ، ساد وهو ابن عشرين سنة ، ودرَّس في مناصب أَبيه ؛ كان كثير الحجِّ والزِّيارة ، وولي إِفتاء دار العدل ، وقضاء الشّام ، وقضاء العسكر ، وحدَّث فسمع منه الأَئمَّة والحفّاظ ؛ توفي بمكة وله سِتٌّ وخمسون سنة .

[الدرر الكامنة ١/ ٢١٠ ، وإنباء الغمر ١/ ٢١ ، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٢١ ، وشذرات الذهب ٨/ ٣٨٨] .

٢ ـ **الكمال أَبو الفضل النُّويري** : [٧٢٢ ـ ٧٨٦] محمَّد بن أَحمد بن عبد العزيز النُّويري ، قاضي مكة وخطيبها ؛ كان فصيح العبارة ، متواضعاً ، عالماً ، يستحضر الفقه ، كريماً ، ذا نعمة وافرةٍ ؛ توفي وهو متوجّه إِلى الطّائف في ثالث عشر رجب ، وحُمل إِلى مكة ودُفن بها .

[العقد الثمين ١/ ٣٠٠ ، وإِنباء الغمر ٢/ ١٧٤ ، والدرر الكامنة ٣/ ٣٢٦ ، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٣ ، وشذرات الذهب ٨/ ٥٠٢] .

٣ ـ **جمال الدِّين الإِسنويّ** : [٧٠٤ ـ ٧٧٢] عبد الرَّحيم بن الحسن بن عليّ ، الأُمويّ القُرشيّ ، الإِمام العلاّمة ، شيخ الشّافعيّة وَمفتيهم ومصنّفهم ومدرّسهم ، ذو الفنون ، صاحب « طبقات الشّافعيَّة » . كان ناصحاً في

---

(١) العقد الثمين ٢/ ٣٧٣ .

(٢) الضوء اللامع ١٠/ ٦٠ .

التّعليم ، كثير الإِحسان للطلبة ؛ توفي فجأةً ليلة الأَحد ثامن عشري جمادى الأُولى بمصر ، ودُفن قرب مقابر الصُّوفيَّة .

[الدرر الكامنة ٢/ ٣٥٤ ، والنجوم الزاهرة ١١/ ١١٤ ، والدليل الشافي ١/ ٤٠٩ ، وشذرات الذهب ٨/ ٣٨٣] .

٤ ـ **ابن الملقّن** : [٧٢٣ ـ ٨٠٤] سراج الدِّين ، أَبو حفص ، عمر بن عليّ بن أَحمد بن محمَّد الأَنصاريّ الأَندلسي ، ثم المصري ؛ عُرف بابن الملقّن ، نسبةً إِلى زوج أُمِّه شرف الدِّين عيسى المغربي ، الملقّن لكتاب الله بالجامع الطولونيّ بالقاهرة ؛ تصدّى للإِفتاء والتَّدريس دهراً طويلاً ، وناب في الحكم ؛ كان جمّاعةً للكتب ، ثم احترق غالبها قبل موته ، فتغيَّر حاله حتى توفي في سادس عشري ربيع الأَوَّل بالقاهرة .

[إِنباء الغمر ٥/ ٤١ ، والضوء اللامع ٦/ ١٠٠ ، وشذرات الذهب ٩/ ٧١] .

٥ ـ **البُلقيني** : [٧٥٦ ـ ٧٩١] بدر الدِّين ، أَبو اليُمن ، محمَّد بن عمر بن رسلان ، الكنانيّ ، المصريّ ، الشافعيّ ؛ درَّس واشتغل وأَفتىٰ ، ووليَ قضاء العسكر ؛ توفي في شعبان بالقاهرة .

[إِنباء الغمر ٢/ ٣٧٦ ، والدرر الكامنة ٤/ ١٠٥ ، والنجوم الزَّاهرة ١١/ ٣٨٩ ، وشذرات الذهب ٨/ ٥٤٦] .

٦ ـ **البرهان القيراطيّ** : [٧٢٦ ـ ٧٨١] إِبراهيم بن عبد الله بن محمَّد بن عسكر الطائيّ ، الشّاعر المشهور ؛ تفقّه واشتغل ، وتعانى النَّظم ففاق فيه ، له ديوان شعر ، ومطارحات مع شعراء عصره كالصّفدي وغيره ؛ توفي بمكة مجاوراً في ربيع الآخر .

[إِنباء الغمر ٢/ ٣١٢ ، والدرر الكامنة ١/ ٣١ ، والدليل الشافي ١/ ١٨ ،

والنجوم الزاهرة ١١/ ١٩٦ ، والمنهل الصافي ١/ ٨٩] .

٧ ـ **البهاء ابن عقيلٍ** : [٧٠٠ ـ ٧٦٩] عبد الله بن عبد الرَّحمن بن عقيل ، العَقيليّ ، الطّالبيّ ، الحلبيّ ؛ النَّحويُّ المشهور ؛ تولّى نيابة الحكم بمصر والجيزة ، وتولّى القضاء فترةً ؛ كان قويَّ النَّفس ، يتيه على أَرباب الدَّولة وهم يخضعون له ويعظّمونه ؛ مات في ثالث عشري ربيع الأَوَّل .

[الدرر الكامنة ٢/ ٢٦٦ ، وطبقات الإسنوي ٢/ ٢٣٩ ، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٠٠ ، وشذرات الذهب ٨/ ٣٦٧] .

٨ ـ **مظفّر الدِّين ابن العطّارِ** : [٦٨٠ ـ ٧٦١] محمَّد بن محمَّد بن يحيىٰ بن عبد الكريم العسقلانيّ ، ابن النّحّاس ، ويقال له : العطّار أَيضاً ؛ توفي في ثاني عشر ذي القعدة ؛ كان مكثراً صحيح السّماع .

[الدرر الكامنة ٤/ ٢٤٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ١٧٧] .

٩ ـ **العُرضيّ** : [٦٧٧ ـ ٧٦٤] عليّ بن أَحمد بن محمَّد بن محمَّد بن صالح ، علاء الدِّين ، المسند التّاجر الدِّمشقيّ ؛ كان ثقة صحيح السَّماع ؛ مات في شهر رمضان .

[الدرر الكامنة ٣/ ٢٠ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٢٣٣] .

١٠ ـ **أَبو الفرج ابن القاري** : [٦٩٤ ـ ٧٧٦] عبد الرَّحمن بن عليّ بن هارون بن محمَّد بن هارون الثَّعلبيّ ، زين الدِّين ؛ حدَّث بحلب ؛ مات في أَواخر السَّنة ، في ذي القعدة أَو ذِي الحجَّة .

[الدرر الكامنة ٢/ ٣٣٧ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٤٦١] .

١١ **الحراويّ** : [٦٩٦ ـ ٧٨١] محمَّد بن يوسف بن عليّ بن إِدريس ، ناصر الدِّين الحراويّ ، سمع كتاب « الخيل » للدِّمياطيّ منه ، وتفرَّد بالرِّواية عنه بالسَّماع ، وحدَّث ؛ مات في ربيع الأَوَّل ، أَو رجب .

[إِنباء الغمر ١/ ٣٢٥ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٩ ، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢٠٠ ، وشذرات الذهب ٨/ ٤٦٩] .

١٢ ـ الجمال ابن عبد المعطي : [٧٠٢ ـ ٧٧٦] محمَّد بن أَحمد بن عبد الله بن محمَّد الأَنصاريّ ، الخزرجيّ ، المكّيّ ، اشتغل وتفقَّه ، وبرع في الفرائض والفقه ؛ وكان خيِّراً فاضلاً ؛ مات في تاسع عشر شهر رجب .

[الدرر الكامنة ٣/ ٣٢٨ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٤٦٤] .

١٣ ـ الكمال محمَّد بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب : [٧٠٣ ـ ٧٧٧] الدِّمشقيّ الأَصل ، الحلبيّ ، كتب في ديوان الإِنشاءِ بحلب ، وحدَّث بالكثير ، وتفرَّد ؛ جاور بمكة سنة ٧٧٣ ، وتوفي بالقاهرة في تاسع عشر جمادى الآخرة .

[الدرر الكامنة ٤/ ١٠٤ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٥٠٢] .

١٤ ـ العفيف المطري : [٦٩٨ـ ٧٦٥] أَبو السِّيادة ، الحافظ عبد الله بن محمَّد بن أَحمد بن خلف ؛ كان إِماماً حافظاً متقناً ، سمع الكثير ، ورحل البلاد ، وكتب وحصَّل ؛ توفي بالمدينة المنوّرة في سادس عشري ربيع الأَوَّل .

[وفيات ابن رافع ١/ ٣٩٤ ، والنجوم الزّاهرة ١١/ ٨٥ ، وذيل تذكرة الحفّاظ ١٤٣] .

* * *

نشاطه العلميّ :

قال الإمام ابن حجر[١] : ومهر في الفقه والأَدب والحديث ، وشارك في الفنون ، ودرَّس بدرس الحديث ، [وللمحدِّثين] بقبَّة بيبرس ، وفي عدَّة أَماكن .

---

(١) إنباء الغمر ٥/ ٣٤٧ .

وقال الإمام السَّخاويّ[1] : حدَّث بالقاهرة وبمكَّة ، وسمع منه الصَّلاحُ الأَقْفَهْسيّ فِي جوف الكعبة ، والتَّقيّ الفاسي بالقاهرة ، وأَفتى وأَعادَ ، ودرَّس بأَماكن بالقاهرة ، منها جامع الأَزهر ، وكانت له فيه حلقةٌ يشغل فيها الطَّلبة يوم السَّبت غالباً .

ومنها القُبَّة البيبرسيَّة ، كان يُدرِّس فيها الحديث ، وكنتُ أَحضر عنده فيها .

وكان يُذكِّر النّاس بمدرسة ابن البقريّ ، داخل باب النَّصر ، في يوم الجمعة غالباً ، ويفيد النَّاس في مجلسه هذا أَشياء حسنة من فنون العلم .

وبجامع الظَّاهر في الحسينيَّة ، بعد عصر الجمعة غالباً .

ودرَّس أَيضاً بمكّة ، وأَفتىٰ .

وقال المقريزيّ[2] : برع في الفقه والوعظ ، ودرَّس في عدَّة أَماكن ، وأَفتى عدَّة سنين ، ووعظ النَّاس زماناً ، وكان على وعظه قبولٌ .

* * *

عبادته :

قال التَّقيّ الفاسي[3] : كان له حظٌّ وافرٌ من العبادة والخير ، تلاوةً وصياماً ـ حتى كان بأَخرةٍ يسردُ الصَّومَ ـ ومجاورةً بالحرمين ، فقد حجَّ عشر حجّاتٍ ، وجاور في مكة سنين متفرّقة .

وأَوَّل قدماته إليها : في موسم سنة ٧٦٢ وجاور بها حتى حجَّ في التي بعدها .

---

(١) الضوء اللامع ١٠/ ٦٠ .

(٢) المقفى الكبير ٧/ ٢١٥ ودرر العقود الفريدة ٣/ ٤٣٦

(٣) العقد الثمين ٢/ ٣٧٣ ، والضوء اللامع ١٠/ ٦١ .

ثم جاورَ بها أَيضاً في سنة ٧٦٨ قدمها مع الرَّجَبيَّة ، فدام حتى حجَّ .

ثم قدمها في سنة ٧٧٢ ، فأَقام بها حتى حجَّ في التي بعدها .

ثم قدمها في موسم سنة ٧٧٥ فأَقام بها حتى حجَّ في التي تليها ، وفيها تأَهل بمكّة .

ثم قدمها في موسم سنة ٧٨٠ وأَقام بها حتى حجَّ في التي بعدها .

ثم قدمها في سنة ٧٩٩ وأَقام حتى حجَّ في التي بعدها ، وانفصل عنها فأَقام بالقاهرة حتى مات .

وقال المقريزيّ[١] : وأقبل في آخر عمره على النُّسك ، ورتَّب ليله ونهاره لوظائف العبادة .

* * *

زواجُه وذرِّيَّتُه :

قَالَ السَّخاوي[٢] : وتأَهل بمكَّة في سنة ٧٧٩[٣] بِأُمِّ أَحمد فاطمة ابنة يحيىٰ بن عيّاد الصّنهاجيّ المَكِّيَّة ، وولدت له أُمَّ حبيبة ، وأُمَّ سلمة ، وعبد الرَّحمن .

وقد تزوَّج بابنتيه ـ فيما بعد ـ الجمال محمَّد ، والجلال عبد الواحد بن إِبراهيم بن أَحمد بن أَبي بكر المرشدي ، المكِّيّ ، الحنفيّ ، واستولداهما ، الأَوَّل : أَبا الفضائل محمَّداً وعبد الرَّحمن ، والثاني : عبد الغنيّ وغيره .

* * *

---

(١) المقفى الكبير ٧/ ٢١٥ .

(٢) الضوء اللامع ١٠/ ٦١ .

(٣) تحديد التاريخ عن العقد الثمين ٢/ ٣٧٤ .

كراماتُه وتَقواهُ :

قال السَّخاوي : وتُذكر عنه كراماتٌ كان يُخفيها ، ورُبَّما أَظهرها وأَحالها على غيرهِ .

وقال ابن حجر[1] : واشتهر عنه كراماتٌ ، وإِخبارٌ بأُمورٍ مُغَيَّباتٍ ، يُسندها إِلى المنامات تارةً ، وإِلى بعض الشُّيوخ أُخرى ؛ وغالبُ النَّاس يعتقدُ أَنَّه يقصدُ بذلك السّتر ؛ وكنتُ أُحبُّ سمته .

وقال[2] : وضُبطت عنه إِنذاراتٌ بكثيرٍ من الكوائن ، وقعتْ على وفق ما قال ، وكان يُسندُ ذلك لبعض الصّالحين ، ولا يعترفُ في شيءٍ من ذلك أَنّه من قِبَله ؛ وكان أَكثر أَصحابه يقولون : إِنَّه إِنَّما يعني نفسَه .

وقال المقريزي في « عقوده »[3] : صحبتُه سنين ، وحضرتُ مجلس وعظه مراراً لإِعجابي به ، وأنشدني وأَفادني ؛ وكنتُ أُحبُّه ويُحبُّني في الله ، لسَمته ، وحسن هديهِ ، وجميل طريقته ، ومداومته على العبادة .

لقيني مرَّةً ، فقال لي : رأَيتُ في المنام أَنِّي أَقول لشخصٍ : لقد بَعُدَ عهدي بالبيت العتيق ، وكثر شوقي إِليه ، فقال : قل : لا إِلَهَ إِلاَّ الله الفتَّاح العليم ، الرَّقيب المنَّان . فصار يُكثر ذكر ذلك ، فحجَّ في تلك السَّنة .

❊ ❊ ❊

تلامذته :

قال الفاسِيّ : **سمعتُ منه** في القاهرة حديثاً من « سنن ابن ماجه » ، وسمع منه أَصحابُنا المحدِّثون ، منهم الإِمام **صلاح الدِّين خليل بن محمَّد الأَقْفَهْسيّ** ،

---

(١) المجمع المؤسس ٣/ ٣٣٩ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٢/ ٣٩١ .
(٢) ذيل الدرر الكامنة ١٧٧ .
(٣) درر العقود الفريدة ٣/ ٤٣٧ . وعنه الضوء اللامع ١٠/ ٦١ .

في جوف الكعبة المعظّمة .

وقال السَّخاوي : وكان يُدَرِّس الحديث بالقبَّة البيبرسيَّة ، **وكنتُ أَحضر عنده فيها** .

وروى لنا عنه **جماعةٌ** ممَّن أَخذ عنه درايةً وروايةً وعرضاً .

وقال المقريزي : **صحبتُه سنين ، وحضرتُ مجلس وعظه مراراً** . . . .

وقال ابن حجر : **وكنتُ أُحبُّ سمتَه** .

وقال الشَّمّاع في « القبس الحاوي » : هو شيخي بالواسطة ، من أَهل الطبقة الثَّالثة ، روى لنا جَمْعٌ عمَّن روى عنه ، منهم شيخُنا العزُّ ابن فهدٍ ، عن جدِّه الحافظ تقيّ الدِّين الفاسي ، رحمهم الله تعالى .

* * *

مؤَلَّفاتُه :

١ ـ **الدِّيباجة في شرح سنن ابن ماجه** : في خمس مجلَّدات ـ وفي ذيل الدّرر الكامنة : في أَربع مجلَّدات ـ مات قبل تحريره وتبييضه .

٢ ـ **النَّجمُ الوهّاج في شرح المنهاج للنَّووي** : لخَّصه من السُّبْكِيّ والإِسنوي وغيرهما ، وعَظُم الانتفاع به خصوصاً بما طرَّزَه به من التَّتِمّات والخاتمات والنُّكت البديعة ؛ وأَوَّلُ ما ابتدأَه من « المساقاة » بناءً على قطعةِ شيخه الإِسنوي ، فانتهى في ربيع الآخر ، سنة ٧٨٦ .

قال ابن حجر في ذيل الدرر : متوسّط الحجم ، جيِّد للتَّعليم ، ضَمَّنَه فوائد كثيرةً خارجة عن الفقه .

٣ ـ **المنظومة في الفقه** : وهي أُرجوزة طويلة ، فيها فروعٌ غريبةٌ ، وفوائد حسنةٌ .

٤ ـ **الجوهر الفريد في علم التَّوحيد** : يقع في ثمان مجلَّداتٍ ؛ ذكره في

حياة الحيوان ونقل منه مراراً (الأَسد . . . العَلَق) .

٥ ـ **التَّذكرة** : وهي مفيدةٌ . نقل منها في حياة الحيوان (الغنم) . وذكرها في « العَمَلَّس » .

٦ ـ **كتاب في الشَّطرنج** : نحو عشرين كرّاسة . ذكره في حياة الحيوان (العقرب) .

٧ ـ **مختصر الغيث الذي انسجم ، شرح لاميَّة العجم للصَّفدي** : قال السَّخاوي : أَجاده .

٨ ـ **حياة الحيوان** : وهو كتابنا هذا (صغرى ووسطى وكبرى) . قال السَّخاوي : وهو نفيسٌ ، أَجاده وأَكثر فوائده ، مع كثرة استطراداته فيه من شيءٍ إِلى شيءٍ . وله فيه زيادات لا توجد في جميع النُّسخ ؛ وأَتوهَّمُ أَنَّ فيها ما هو مدخول لغيره ـ إن لم تكن جميعها ـ لما فيها من المناكير .

٩ ـ **شرح المعلقات السَّبع** : ذكره البغدادي في هديَّة العارفين .

١٠ ـ **غاية الأَرب من كلام حكماء العرب** : ذكره البغدادي في هديَّة العارفين .

١١ ـ **شرح غاية الأَرب** : ذكره البغدادي في هديَّة العارفين .

١٢ ـ **رموز الكنوز اللآئي برزن أَحسن بروزٍ** : ـ **أَو** : **منظومة الكمال** ، **أَو** : **درّ المقال** : في حوالي ٣٠ أَلف بيتٍ من الرجز . (بروكلمان) . وقال الزِّركليّ : ومنها نسخة في مكتبة جامعة برلستون ، وبريل ، وجارت .

قلت : لعلها : المنظومة في الفقه .

١٣ ـ **له نظمٌ جيِّدٌ وترسُّلٌ** : (حياة الحيوان « الشاهين ») .

١٤ ـ **وله خُطَبٌ مُدَوَّنَةٌ ، جُمعيَّة ووعْظيَّةٌ** : (ذيل الدرر الكامنة) .

١٥ ـ **له محاكاة موسَّعة لابن حجَّة** : (بروكلمان) .

مختصرات حياة الحيوان :

١ ـ **مختصر التّقيّ الفاسي** : قال في العقد الثمين ٢/ ٣٧٣ : وكتاب حياة الحيوان : وهو كتاب نفيسٌ ، وقد اختصرتُه في سنة ٨٢٢ ونبّهتُ فيه على أَشياء كثيرةٍ تتعلَّق بما ذكره المؤَلِّف .

٢ ـ **عين الحياة** : للدَّماميني . أَتمَّه سنة ٨٢٣ في نهروالة في كجرات . قال بروكلمان : منه عدَّة نسخٍ .

٣ ـ **مختصر حياة الحيوان** : لابن قاضي شهبة . (بروكلمان) .

٤ ـ **ديوان الحيوان** : مختصر للسيوطي . (بروكلمان) وله نسخ عديدة .

٥ ـ **مختصر لمحمَّد بن عيسى بن كَنَّان** : (بروكلمان) منه نسخة في باريس .

٦ ـ **حاوي الحسان من حياة الحيوان** : لمحمَّد بن عبد القادر الدَّميري الحنفي . منه نسخة في المكتب الهندي بلندن ، وباريس (بروكلمان) . ونقل الزِّركلي عن عليّ الخاقاني في مجلة المجمع العلمي العراقي ٨/ ٢٢٧ قوله : إِنَّه للدَّميري ، اختصره بنفسه .

قلت : هو وهمٌ .

٧ ـ **مختصر لإِبراهيم بن محمَّد بن علاء الدِّين الطَّرابُلُسيّ** : ـ حوالي عام ١٠٦٩ ـ : منه نسخة في ليبزج . (بروكلمان) .

٨ ـ **مختصر لمجهولٍ** : في داماد إِبراهيم بتركيّة ، والإِسكندريَّة . (بروكلمان) .

٩ ـ **مختصر لمجهولٍ بعنوان « خواصّ الحيوان »** : المتحف البريطاني ـ ملحق . ونسب في نسخة القاهرة إِلى الدَّميري نفسه (بروكلمان) .

* * *

أَقوال العُلماء فيه :

● قال التَّقيُّ الفاسي : برع في التَّفسير ، والحديث ، والفقه وأُصوله ، والعربيَّة والآداب .

● وقال ابن قاضي شهبة : وكان ذا حظٍّ من العبادة والتِّلاوة ، لا يفترُ لسانُه غالباً عنهما .

● وقال المقريزي في« المقفّى الكبير » : برع في الفقه والوعظ ، ودرَّس في عدَّة أَماكن ، وأَفْتَى عدَّة سنين ، ووعظ النّاس زماناً .

وكان حسن المحاضرة ، جميل المعاشرة ، كثير التَّواضع ، متودِّداً إِلى النَّاس ، مُحبَّباً عندهم ، غزير الدَّمعة ، معتَقَداً فيه الخير . . . وبالجملة فلم يُخلِّف بعده مثله في معناه .

● وقال في « السُّلوك » : وكان عالماً صالحاً .

● وقال ابن حجر في « الإِنباء » و« الذَّيل » : مهر في الفقه والأدب والحديث ، وشارك في الفنون ، ودرَّس للمحدِّثين بقُبَّة بيبرس ، وفي عدَّة أَماكن ، ووعظ فأَفاد ، وخطبَ فأَجادَ ؛ وكان ذا حظٍّ من العبادة تلاوةً وصياماً ، ومجاورةً بالحرمين ، لا يفترُ لسانه غالباً عنهما .

● ووصفه الزَّيلعي في الطبقة : بالفاضل كمال الدِّين كمال . (الضوء اللاّمع) .

● وقال السَّخاوي : له أَذكارٌ يُواظبُ عليها ، وعنده خشوع وخشيةٌ ، وبُكاءٌ عند ذكر الله سبحانه .

* * *

شعره وترسُّله :

● أَورد له مترجموه بيتين ممّا يُنسب إِليه : [من الكامل]

بمَكــارِمِ الأَخْــلاقِ كُــنْ مُتَخَلِّقــاً ... لِيَفُـوحَ نَـدُّ شَـذَائِـكَ العَطِـرِ النَّـدِي

وَاصْدُقْ صَدِيْقَكَ إِنْ صَدَقْتَ صَدَاقَةً ... وَادْفَعْ عَدُوَّكَ بالَّتِي ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ﴾[1]

● ومن شعره ما أَورده لنفسه في حياة الحيوان (الشاهين) قال : ومن الرسائل التي كتبتُها قديماً للأَخ فارس الدِّين شاهين ، وأَنا بالمدينة النَّبويَّة ، على ساكنها أَفضل الصَّلاة والسَّلام : [من الطويل]

سَـلامٌ كَمَـا فَـاحَـتْ بِـرَوْضٍ أَزاهِـرُ ... يُضِـيْءُ كَمَـا لاحَـتْ بِـأُفْـقٍ زَواهِـرُ

[الأبيات الثمانية] .

وبعدها قطعة من ترسُّله .

● ووجدت له في درر العقود الفريدة ٣/ ١٥٢ قوله يخاطب شمس الدِّين العمري :

الصّـــــالحيَّـــــةُ جَنَّـــــةٌ ... والصّـــالِحـــونَ بهـــا أَقـــامـــوا

فعلـــىٰ الـــدِّيـــارِ وأَهلِهـــا ... منِّـــي التَّحيَّـــةُ والسَّـــلامُ

* * *

وظائفه :

لم يذكر أَحدٌ ممَّن ترجم له ، أَنَّه وليَ وظيفةً رسميَّةً ، ولكنه كان في أَواخر عمره أَحد الصُّوفيَّة بخانقاه سعيد السُّعداء بالقاهرة ، وشاهداً على وَقْفِها[2] .

* * *

---

(١) اقتباس وإِشارة إِلى قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [سورة فصِّلت : ٣٤] .

(٢) العقد الثمين ٢/ ٣٧٤ ، والضوء اللامع ١٠/ ٦٠ .

نَهَمُه :

قال المقريزي في « المقفّى الكبير »[1] : وكان في شبيبته أكولاً إلى الغايةِ ، مفرط النَّهم ؛ له في ذلك أَخبارٌ عجيبةٌ ، منها ما أَخبرني به الفقيه العالم صلاح الدِّين محمَّد ابن الأَعمى الحنبلي رحمه الله ، قال :

كنتُ أَنا والكمال الدَّميري متجاورَين بمدرسة الجمالي من القاهرة ، فجلسنا يوماً لنأكل برقوقاً ، فقلتُ له : لا ترمِ نواهُ من ها هُنا ، لئلاّ يقف علينا الذُّباب ، ولكن أَلْقِهِ هناك .

فقال لي : ما رميتُ نوى برقوقٍ ، ولا خوخٍ ، ولا مشمشٍ ؛ ولكن آكلُ ذلك كلَّه بِنَواهُ .

فتعجَّبتُ من ذلك ، ومَرَّ لي زمنٌ ؛ فحدَّثتُ بذلك صاحبنا أبا الطَّيِّب ابن القويّ المدنيّ رحمه الله ، فقال لي : أُحدِّثُكَ عنه بأَعجبَ من هذا : وهو أَنَّه جاورَ بالمدينةِ النَّبويَّةِ ، فأَكل بحضوري صاعَ تَمْرٍ بنَواهُ ! .

ثم إِنَّه ـ رحمه الله ـ في آخر عمره ، لم يكن عنده من ذلك شيءٌ ، وكان يأكل أَكلاً معتدلاً ؛ ثم أَقام سنين يصومُ الدَّهر .

* * *

وفاته :

أجمع مترجموه أَنَّه توفي ليلة الثَّلاثاء ، في ثالث جمادى الأولى ، سنة ثمانٍ وثمانمئة ، ودُفن بمقابر الصُّوفيَّة بسعيد السُّعداء بالقاهرة . رحمه الله رحمةً واسعةً بمنّه وكرمه .

* * *

---

(١) المقفى الكبير ٧/٢١٦ .

كتاب حياة الحيوان :

قال الدَّميريُّ رحمه الله في مقدّمة كتابه : « فهذا كتابٌ لم يسألني أَحدٌ تصنيفه ، وإِنَّما دعاني إِلى ذلك ، أَنَّه وقعَ في بعض الدُّروس ، التي لا مَخْبَأَ فيها بعد عَروسٍ ، ذِكْرُ مالكِ الحزينِ والذِّيخ المنحوسِ ، فحصلَ في ذلك ما يُشبهُ حرب البَسوس . . . » .

وقال في مادة (مالك الحزين) : وقد تقدَّم أَنَّ ضبط هذا [الاسم] كان من جملة الأَسباب الباعثةِ على تأليفهِ ، خوفاً من تصحيف لفظِهِ وتحريفه .

إِذن فالغَيرةُ على هذه اللُّغة الشَّريفة ، هي التي دفعت المؤلِّف إِلى وضع كتابه هذا ، وكان الخلافُ في ضبط اسم هذا الطّائر ، لهذا قال موضّحاً : « وهذا الطّائرُ لمّا كان يقعدُ عند المياهِ التي انقطعت عن الجريِ ، وصارت مخزونةً ، سُمِّيَ مالكاً ؛ ولمّا كان يحزنُ على ذَهابها ، سُمِّيَ بالحزين ؛ وهو عطفُ بيان لمالكٍ ؛ كما يقال : أَبو حفصٍ عمر » .

وكان ذلك سبباً للتَّوسُّع في أَسماء الحيوانات ، بوضع معجمٍ يَضمُّ أَسماء ما عُرف منها ، وفق ترتيب معجميٍّ[١] ؛ ثم يتَّخذ من اسم الحيوانِ ـ بعد ذِكر اشتقاقه اللُّغويّ ، وذكر بعض صفاته ، مستمدّاً معظمه من « صحاح الجوهريّ » أَو « مخصص ابن سيده » أَو « محكمه » أَو « قاموس الفيروزأَبادي » وربَّما استمدَّ من « عباب الصّاغاني » أَو « تكملته » = مطيَّةً لإِيراد قصَّةٍ تدور حول هذا الحيوان ، أَو تتضمَّن مجرَّد ذكره ؛ ويستشهد على ذلك بالقُرآن ، والحديث ، والشعر ، والأَخبار ، والأَمثال ، ثم يخرج

---

(١) وليس يعني ذلك أَنَّه التزم الدّقّة في الترتيب ؛ فأَوَّل مادةٍ في الكتاب « الأَسد » ويليه « الإِبل » وهذا كثيرٌ . فالترتيب المعجميُّ لا يعني عنده الالتزام بترتيب الحرف الأَوَّل والثاني والثالث دائماً ، وإِنَّما هو على الغالب .

مستطرداً بطريق التّداعي من قصَّةٍ إِلى قصَّةٍ ، ومن خبرٍ إِلى خبرٍ ؛ وقد يُسلمه ذلك إلى ذكر بيتٍ من الشِّعر ، فيترجم للشّاعر ، ويوردُ له من شعره جملة مقطّعاتٍ ، فيها ما هو له ، وفيها ما ليس له .

واستشهاداته بالتَّفسير والحديثِ منه على طرفِ الثُّمام ، ومعظم اعتماده في الحديث على الكتب السِّتَّةِ ، والدّارميّ ، والبيهقيّ ، والطّيالسيّ ، والدّارقطنيّ ، ومسند أَحمد ، والتَّرغيب والتّرهيب للأَصبهاني ، وللمنذري ـ وهذا قليل جدّاً ـ وقد يعتمد على الأَحاديث الضَّعيفة الواردة في « كامل ابن عديّ » وهو معجمٌ للضُّعفاء كما هو معروف .

ولِشِدَّة غَيرته في توضيح ما يَحِلُّ وما يُحَرَّمُ من الحيوان ، فإِنَّه يورد أَقوال المذاهب الأَربعة غالباً ، مع ترجيح مذهبه الشّافعيّ ؛ وليس ذلك عنده من قبيل التَّعصُّب المذهبيّ ، ولكنه من قبيل توفُّر الدَّليل الأَقوى في ظنِّه .

ويُورد بعد ذلك ما يدور حول هذا الحيوان من أَمثالٍ ، ومعظم اعتماده على الميداني وحمزة الأَصبهاني والعسكري ، وقد يقتبس ـ في حالات نادرة ـ عن حيوان الجاحظ .

ثم ينتقل إلى ذكر الخواصِّ الطِّبِّيَّة لأَجزاء هذا الحيوان ، ومعظم اعتماده على « عجائب المخلوقات » للقزويني ، وكتب ابن زُهر الإِشبيليّ ، و« جامع المفردات » لابن البيطار ، وغير ذلك ؛ وسواء صحَّ ذلك أَم لم يصحَّ ، فإِنَّه ينقلُ بأَمانةٍ عن أَهل هذا الشّأنِ .

ثم يختمُ ذلك كلّه بما يمكن أَن يُفَسَّرَ هذا الحيوان ـ بأَوضاعه المختلفة ـ إِذا رُؤيَ في المنام ؛ واعتماده في ذلك على مصادر في تعبير الرُّؤيا عند العرب ـ كابن سيرين وغيره ـ وعند النّصارى ، وعند اليهود ، وعند الرُّوم .

* * *

وهذا كلُّه ـ في واقع الأَمر ـ جهدٌ عظيمٌ لا يمكن تجاهله ؛ فقد حشد المكتبة العربيَّة لكتابه هذا ، لُغَةً وأَدباً وشعراً وتأريخاً وطِبًّا وتعبير رؤيا ؛ واستغرق ذلك منه سنواتٍ طوالاً ، لهذا خرج الكتاب في نشراتٍ ثلاثٍ ، فسُمِّيت النَّشرةُ الأُولى بحياة الحيوان الصُّغرىٰ ؛ ثم أَضاف إِليها معلوماتٍ جديدةً ضمن تتمّاتٍ وفوائد وخاتمات ، فصارت تُعرف بالوسطى ؛ ولمّا أَضاف إِليها فيما بعد تعبير الرُّؤيا ، صارت تعرف بحياة الحيوان الكبرىٰ .

ولكنَّ الذي يُؤخذُ عليه ، هو وقوعه في عددٍ لا بأس به من الأَوهام ، ممّا سيراه القارىء الكريم في حواشي التَّحقيق. حدث ذلك بشكل خاص في الضَّبط اللُّغويّ لاسم الحيوان، كأَن يقول: بفتح كذا، ويكون الصَّواب بضمّه أَو بكسره. . .

وفي عدم دِقَّته في تحديد وفيات مَن يُترجمُ لهم ـ وهذا أَمرٌ أَلزمَ به نفسَه ، وكان في غِنىً عنه ـ فقد نجد بين الرَّقم الذي يُورده ، وبين ما يجبُ أَن يوردَهُ ، بَوناً بعيداً .

وكذلك في نسبة الأَخبار إِلى مصادرها ، كأَن يقولَ : قال ابن خلّكان ، ويكون الخبر في كامل ابن الأَثير . . . وهذا كثيرٌ .

وثمَّة أَمرٌ مُحَيِّرٌ ، وهو عَزو أَخبارٍ كثيرة إِلى ابن خلّكان ـ وهو من أَهمِّ مصادره ـ وهي أَخبارٌ تتعلَّقُ ببعض الصَّحابةِ الكرام ، أَو الخلفاء الأُمويِّين والعبّاسيّين ، ولا نجدها في المطبوع من « وفيات الأَعيان » .

في الوقت الذي ينصُّ فيه ابن خلّكان في مقدّمة كتابه ، أَنَّه لن يترجم لأَحدٍ من الصَّحابة الكرام أَو للخلفاء .

ونحن نعلم أَنَّ ابن شاكر لم يُؤلِّف كتابه « فوات الوفيات » إلاّ ليسدَّ النَّقص الحاصل عند ابن خلّكان بعدم ذكر الخلفاء خاصَّة ، فللصَّحابة كتبٌ خاصَّة بهم .

نقول ذلك في الوقت الذي نجد فيه ترجمات لا بأس بها ـ لبعض الصَّحابةِ أَو الخلفاء، في طبعة الدكتور إِحسان عبّاس ـ مستمدّة من مخطوطاتٍ معتمدةٍ ؛ فهل عَدَلَ ابن خلّكان عن منهجه فترجمَ فعلاً لعددٍ منهم في نشرةٍ أَخيرةٍ للكتاب، تلك التي اطّلع عليها الدَّميري ونقل منها ؟ أَم أَن الوهم تسرَّب إِلى الدَّميريّ فنسب لابن خلّكان ما لم يقله ؟ قد يكون هذا ، وقد يكون ذاك ، ولعلَّ الأَيّام تكشف لنا عن نسخة من « وفيات الأَعيان » تتضمّن كل الزّيادات التي أَوردها الدَّميري ، لنرفع صفة الوهم في هذا .

والمشكلة الكبرى عند الدَّميري : هي التي نراها في قسم التاريخ ، فقد ترجم في مادة « الإِوزّ » لكلِّ الخلفاء الرّاشدين والأُمويّين والعبّاسيّين ، حتى زمنه ؛ وفيه أَخطاءٌ كثيرةٌ في تواريخ الوفيات ، صحَّحتُها وأَشرتُ إِلى بعضها . ثم أَتى بعده آخرون ـ لا نعلمهم ـ فأَضافوا تراجم الخلفاء العبّاسيّين بالقاهرة ، إِلى ما بعد وفاة الدَّميري !!! فوصلوا إِلى سنة ٨٣٣ هـ . بينما وفاة الدَّميري سنة ٨٠٨ هـ . وهو الذي يقول في خاتمة كتابه : فكان الفراغ من مُسَوَّدته ، في شهر رجب الفرد ، سنة ٧٧٣ هـ ؟!! .

لذلك كلّه ، لم يكن عملي في هذا الكتاب مجرَّد تحقيقٍ (؟) كما يتوهّمه بعض الشُّداة ؛ ولكنَّه تعدَّى ذلك إِلى مشاركة المؤلِّف في إِحقاق الحقِّ ، ضمن أُسسٍ ومعايير يعرفها الضّالعون في هذا الأَمر ؛ وليس ذلك من باب التّعالم على المؤلِّف أَو على غيره ، ولكن لكلِّ مجتهدٍ نصيبٌ :

إِذا رَضِيَتْ عَنِّي كِرامُ عَشيرتي ... فلا زالَ غَضْباناً عليَّ لِئامُها

* * *

النُّسخ المعتمدة :

١ ـ نسخة « أ » :

وهي نسخة تامَّة ، من القطع الكبير ، تُمثّل حياة الحيوان الكبرى ، تحتفظ بها مكتبة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق . تحت رقم ١١٤٩ وتقع في ٥٧٢ ورقة ؛ كتبت بخطّ جميل يقرب من النَّسخ ، وكاتبها ليس من أَهل العلم ، ولا له بهذا الشَّأن يدان ؛ فهو يرسم اللَّفظة رسماً ، وفيها من التّصحيف والتّحريف والخطأ وانتقال النَّظر ، شيءٌ كثيرٌ للغاية .

لذلك تعذَّر إِثبات فروق النُّسخ لكثرتها المفرطة ، والتي لا تنفع القارئ ولا الكتاب ، ولم أُثبت منها إِلاّ ما أَفاد روايةً في الشعر ، والزِّيادات التي تفرَّدت بها ، وهي قليلة .

صفحة العنوان مقسَّمة إلى مثلثٍ ودائرةٍ ومستطيلٍ ، وكلُّه ضمن إِطارٍ ؛ ففي المثلَّث اسم الكتاب : « كتاب حياة الحيوان الكبرى » . وفي الدَّائرة : ممّا مَنَّ به اللَّطيف المنّان على عبده يوسف بن سليمان النَّقاش ، النّقّاش بدمشق الشّام ، وذلك في مستهل شهر محرَّم الحرام من شهور سنة ١٠٧٤ .

وفي المستطيل وفي الحاشية الخارجيَّة تملّكات مختلفة .

وفي خاتمتها : وكان الفراغ من هذه النُّسخة المباركة ـ بحمد الله وعونه ـ نهار السَّبت ، قبل الظُّهر ، ثاني نهارٍ مضىٰ من شهر رجب الحرام ، الذي هو من شهور سنة ثلاث وسبعين وأَلف ، على يدِ الفقير الرّاجي عفو ربِّه المتين ، صالح بن علاء الدِّين ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أَجمعين ، آمين .

٢ ـ نسخة « ب » :

وهي نسخة تامَّة ، من القطع الكبير أَيضاً ، تُمَثِّل حياة الحيوان الوسطى ، تحتفظ بها مكتبة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق تحت رقم ١٠٧٢ . ويقع في ٣٤٩

ورقة . كُتبت بخطّ نسخيٍّ جميلٍ واضحٍ ، وكاتبها كذلك ليس من أَهل العلم ، يشيع فيها الخطأ والتّصحيف والتّحريف ، لذلك لم أُثبت إلاّ ما أَفاد رواية أَو زيادةً .

في صفحة العنوان فهرست بأَبواب الكتاب ، وتحت كل بابٍ رقم الصَّفحة ؛ وفي الصفحة المقابلة تملّكات وأَلغازٌ ، وبسبب ضياع الورقة الأَخيرة ، لم نعلم اسم النّاسخ ولا زمن نَساخته .

وعلى حواشيها بعض المقابلات والتّعليقات والنُّقول عن الكبرى ، وهذا قليلٌ .

٣ ـ نسخة « ط » :

وهي النُّسخة المطبوعة في مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ، عن طبعة بولاق حرفاً بحرفٍ وسطراً بسطرٍ ؛ وقد أُلحق بها كتاب « عجائب المخلوقات » للقزويني .

* * *

هذه الطَّبعة :

لهذا الكتاب طبعات كثيرة ، ولكنّها لا تخرج جميعاً عن كونها طبعاتٍ شعبيَّةً ، حتى التي طبعت في بولاق ـ وأَعاد طبعها بالتصوير الدكتور فؤاد سزكين ضمن موسوعة الحيوان ـ وذلك لشيوع الخطأ ، والتّصحيفات والتّحريفات التي لا تكادُ تحصى كثرةً ؛ ثم لهذه الزِّيادات التي أُلحقت بالكتاب هنا وهناك .

فكان ـ والحالة هذه ـ اختيار الصَّواب حيثما وُجد ، بعد عرضه على مصدر المؤلِّف ، وإِثبات الزِّيادات بين معقوفين .

وبعد :

فإنّني أَستطيع الجزم ، بأَنَّ هذه الطَّبعة ـ بفضل الله وكرمه ـ هي أَوَّل طبعةٍ علميَّةٍ يخرج بها هذا الكتاب الجليل . بعد أَن بذلتُ فيه ما في وسعي ، في سبيل خدمته على الوجه الذي يرضي الله سبحانه ؛ ولستُ أَدَّعي الكمال ، ولكنَّني عملتُ فيه بإِخلاصٍ ، ووهبتُ له من عمري ، ومن صِحَّتي ، ومن نور بَصري ، ما أَرجو به من الله مغفرةً ورضواناً .

وكنت طوال فترة العمل فيه أَدعو الله جلّ اسمه بثلاث كلماتٍ : بالتَّيسير ، والتّوفيق ، والقبول .

فهذا عملي أَضعه بين يدي أَهل الفضل ، فإِن وجدوا فيه ما يرضيهم ، حمدوا الله ودَعوا لي ؛ وإن رأَوا فيه غير ذلك ، أَصلحوه واستغفروا لي ؛ ولا يكلّف الله نفساً إِلاّ وُسعها ، ورحم الله امرءاً أَهدى إِلَيَّ عيوبي .

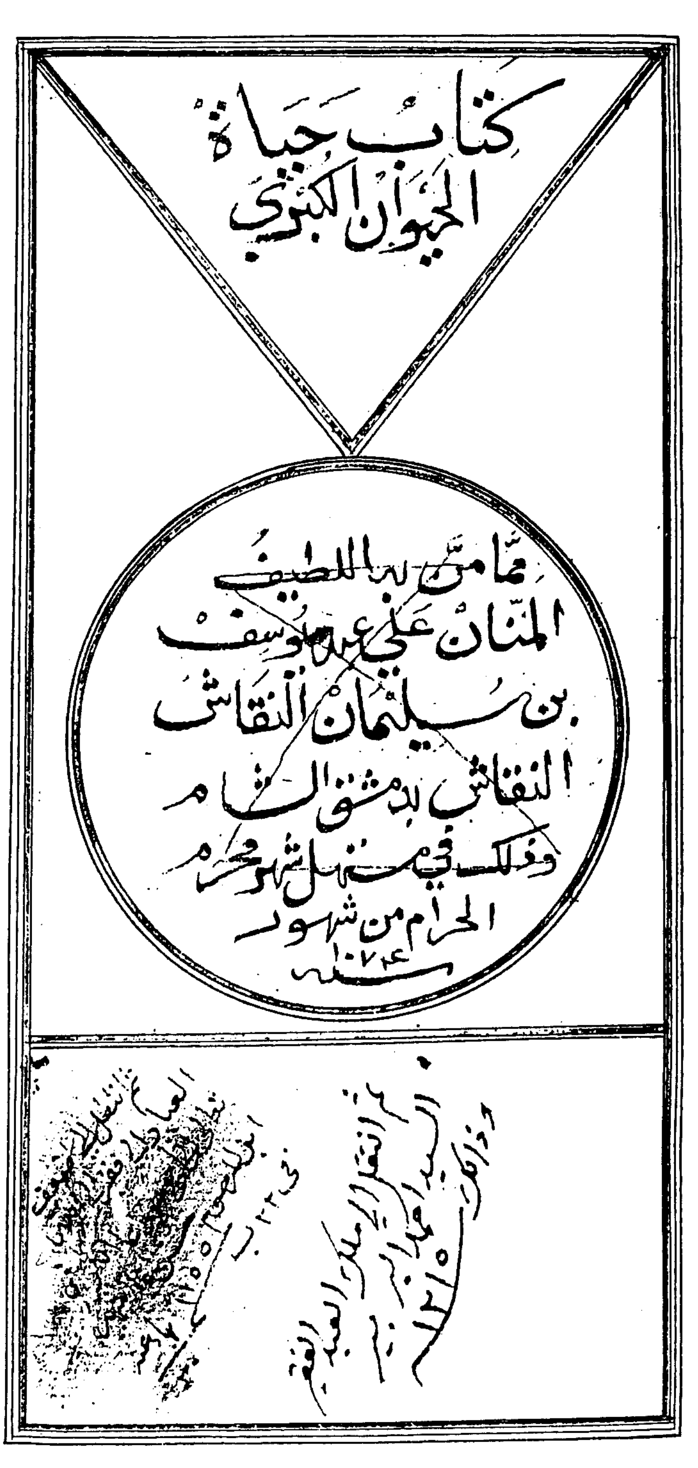
ربَّنا تقبَّل منّا إِنَّك أَنت السَّميع العليم ، وتُب علينا إِنَّك أَنت التّوّاب الرَّحيم ، واغفر لنا إِنك أَنت الغفور الكريم .

وآخر دعوانا أَن الحمدُ لله ربِّ العالمين .

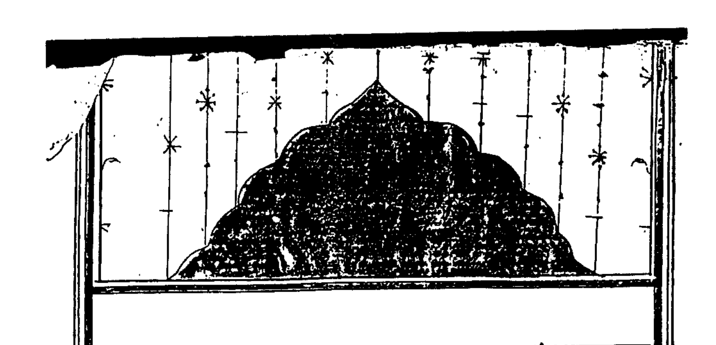
وكتب **دمشق الشام**

إبراهيم صالح **٢١ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ**

٢١ حزيران ٢٠٠٣م



صفحة العنوان في « أ »



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي شرف نوع الانسان بالاصغرين القلب واللسان
وفضله على ساير الحيوان بنعمتي النطق والبيان وحجه بالعقل
الذي درى به قضايا القياس في احسن ميزان فاقام على وحدانيته
البرهان احمده حمدا يعدنا بعوايد الاحسان واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له الذي لا يدرك كنه ذاته بالحدود والرسوم والاذهان
واشهد ان محمدا عبده ورسوله المخصوص بالايات البينات وكمال التبيان
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما يدومان ما دام الملوان
ويبقيان في كل زمان وبعد فهذا كتاب لم اجد تصنيفه ولا كلفت
القريحة تاليفه وانما دعاني الى ذلك انه وقع في بعض الدروس التي
لا يحابى فيها المعطي بعد عروس ذكر مالك الحزين والذيخ المخوس فحصل في
ذلك ما يشبه الحرب البسوس ومزج الصحيح بالسقيم ولم يفرق
بين بسر وظليم وتخلف العقرب بالافعى واستنت الفصال حتى
القرعى وصيير الاروى مع النعام ترعى وقطعوا باجتماع الضب
والحوت قطعة واتخذ كل خلاف الصنيع صنعة ولبس جلد النمر اهل
الامانة وتقلدها الجميع طوق الحمامة والقوم اخوان وشتى في الشيم
وقيل في شانهم اشتدي زيم وظن الكبير انه اهدى من القطاة وان
الصغير كالنافخة غلطا وصار الشيخ الافوه كبنات الحنين والمبتدي
ذو التحقيق كالراجع بخفي حنين والمبتدي كالاشقر يخير لهو الطالب
كالحبارى بحيرة والمستمع يقول كل الصيد في جوف الفرا والمنتقب
كصاف يكر بالطرف كراه فقلت عند ذلك في بيته يوفي الحلم وباعطاء
القوس باريها تبين الحلم وفي الرهان سابق الخيل يرى وعند
الصباح يحمد القوم السرى فاستخرت الله تعالى وهو الكريم المنان
في صنع كتاب في هذا الشان وسميته حياة الحيوان جعله الله تعالى
موجبا للفوز في الجنان ونفع به على ممر الازمان انه هو الرحيم الرحمن
ورتبته على حروف المعجم ليسهل به من الاسما ما استعجم باب الهمزة
الاسد من السباع معروف وجمعه اسود واسد واسد وآساد
والانثى اسدة وفي حديث ام زرع زوجي ان دخل فهد وان خرج
اسد وله اسما كثيرة قال ابن خالويه للاسد خمسماية اسم
وصفة وزاد عليه علي بن قسم بن جعفر اللغوي ماية وثلاثون اسما
فمن اشهرها اسامة والبيهس والتاج والجحدب والحارث وحيدرة

بداية الكتاب في « أ »

عدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه
انت يعسوب المسلمين والمال يعسوب الكفار وفي رواية
يعسوب الظلمة وفي رواية يعسوب المنافقين اي يلوذ
بك المومنون ويلوذ الكفار والظلمة والمنافقون بالمال
كما يلوذ النحل بيعسوبها ومن هاهنا قيل لامير المومنين
علي كرم الله وجهه امير النحل وهذا ما انتهى اليه الغرض
مما يحصل به النبات الانتفاع وختم بملك النحل الذي يستخرج
من الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والآخر شفاء
وابتدأ بملك الوحش الذي النجا تتقي وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين سبحان ربك
رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة بحمد الله
وعونه نهار السبت قبل الظهر ثاني نهار مضى من شهر
رجب الحرام الذي هو من شهور سنة ثلاث وسبعين والف

على يد العبد الفقير الراجي عفو

ربه المتين صالح بن علاء الدين

غفر الله له ولوالديه

ولجميع المسلمين

اجمعين

امين

نهاية الكتاب في « أ »



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه توكلي
الحمد لله الذي شرف نوع الانسان ، بالاصغرين القلب واللسان ، وفضله علي
ساير الحيوان بنعمتي المنطق والبيان ، ورجحه بالعقل الذي وزن به قضايا القياس
في احسن ميزان ، فاقام علي وحدانيته البرهان ، احمده حمدا يمدنا بمواد الاحسان
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي لا يدرك كنه ذاته بالحدود والرسوم
والاذهان ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله المخصوص بالايات البينات كل التبيان
صلي الله عليه وعلي اله صلاة وسلاما يدومان ما دام الملوان ، ويبقيان في كل زمان
واوان وبعد فهذا كتاب لم يسالني احد تصنيفه ، ولا كلفت القريحة تاليفه
وانما دعاني الي ذلك انه وقع في بعض الدروس ، التي لا مخبا فيها للعطر بعد عروس ،
ذكر مالك الحزين والزبج المنحوس ، فحصل في ذلك ما يشبه حرب البسوس ،
ومزج الصحيح بالسقيم ، ولم يفرق بين نسر وظليم ، وتحككت العقرب بالافعي ،
واستنت الفصال حتي القرعا ، وصيروا الاروي مع النعام يرعي ، وقضوا باجتماع
الضب والحوت قطعا ، واتخذ كل خلاف الضبع طبعا ، ولبس جلد النمر اهل الاهلة
وتقلدها الجميع طوق الحمامة ، والقوم اخوان وشتي في الشيم ، وقيل في شانهم اشتكي
ربهم ، وظن الكبير انه اصدق من القطا ، وان الصغير كالفاختة غلطا ، وصار
الشيخ الافيق كذات النحيين ، والمعيد ذو التحقيق كالراجع بخفي حنين ،
والمفيد كالاشقر تحيرا ، والطالب كالحباري تحسرا ، والمستمع يقول كل الصيد في
جوف الفرا ، والنقيب كصافر يكرر اطرق كرا ، فقلت عند ذلك في بيته يوتي
الحكم ، وباعط القوس باريها تتبين الحكم ، وفي الرهان سباق الخيل يري ، وعند
الصباح يحمد القوم السري ، واستخرت الله وهو الكريم المنان ، في وضع كتاب
في هذا الشان ، وسميته حياة الحيوان ، جعله الله موجبا للفوز في دار الحيوان
ونفع به علي ممر الزمان ، انه هو الرحيم الرحمن ، ورتبته علي حروف المعجم ليسهل
به من الاسما ما استعجم ، والله تعالي الموفق للصواب باب الهمزة الاسد من السباع
معروف وجمعه اسود واسد واساد والانثي اسدة وفي حديث ام زرع زوجي ان
دخل فهد وان خرج اسد وله اسما كثيرة قال ابن خالويه للاسد خمسماية اسم وصفة

نسخه
طبعا

بداية الكتاب في « ب »

عند مربض الفرس وعلى ضرب من الجلاد حكاه الدمياطي في كتاب
الخيل والمربض بكسر الميم مكان الفرس وفي الحديث صلوا في مرابض
الغنم ولا تصلوا في اعطان الابل والمرابض المنازل وربض الاسد
اي رقد وقال الجاحظ اليعاسيب هي الذباب انتهى واليعسوب
ملك النحل واميرها التي لا يتم لها رواح ولا اياب ولا مرعى الا
موتمرة بامره سامعة له مطيعة وله عليها تكليف وامر ونهي
يدبرها كما يدبر الملك امر رعيته حتى انها اذا اوت الى بيوتها
وقف على باب البيت فلا يدع واحدة تزاحم اخرى ولا تتقدم عليها
في العبور بل تعبر بيوتها واحدة واحدة بغير تزاحم ولا تصادم
والعجب من ذلك ان اميرين منها لا يجتمعان في بيت ولا يامران
على جمع واحد اذا اجتمع منها جندان واميران قتلوا احد الاميرين
وقطعوه واتفقوا على الامير الواحد من غير معادات منهم ولا اذى
من بعضهم لبعض بل يصيرون يدا واحدة وروى ابن السني في عمل
اليوم والليلة عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان احدكم اذا اراد ان يخرج من المسجد يقول تداعت
جنود ابليس وجنوده فانه اذا قالها لم يضره شيء ومن لفظ
اليعسوب قيل للسيد يعسوب قوم وقال علي رضي الله عنه لما راى
عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد مقتولا يوم الجمل قال هذا يعسوب
قريش قال جدعت انفي وشفيت نفسي وكان عبد الرحمن رضي الله عنه
يقاتل ذلك اليوم ويقول انا ابن عتاب بسيفي ولول والموت
دون الجمل المجلل فقاتل قتالا شديدا وقطعت يده يومئذ وكانت
فيها خاتم فاختطفها نسر وطرحها في اليمامة فعرفت بخاتمه فصلى
عليها ودفنوها وقال الحافظ ابو موسى وغيره القاها بالمدينة
وقال الامام النووي في شرح المهذب القاها بمكة وروى مسلم
في صحيحه من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل
الدجال تتبعه كنوز الارض كيعاسيب النحل اي تظهر له و[illegible]
عنده كما يجتمع النحل على يعسوبها ولما مات ابو بكر رضي الله
قام امير المؤمنين علي رضي الله عنه على باب البيت الذي
مسجى فيه فقال كنت والله يعسوب المؤمنين وكنت كالجبل
لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف عنى علي رضي
عنه باليعسوب من سبقه الى الاسلام وغيره [illegible]
يتقدم النحل اذا طارت [illegible] والعواصف الرياح المهلكة
في البر والقواصف المهلكة في البحر قال الله تعالى

نهاية الكتاب في « ب »

حياة الحيوان الكبرى

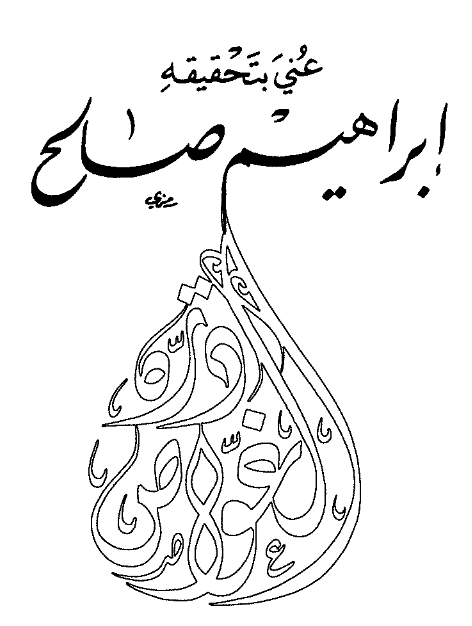
تأليف

كمال الدين محمد بن موسى الدميري

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

عني بتحقيقه

إبراهيم صالح



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(* وبه نَستعينُ ، وعليهِ نتوكَّلُ *)

الحمدُ للهِ الذي شَرَّفَ نوعَ الإنسانِ بالأَصغرينِ ، القَلبِ واللِّسانِ ، وفَضَّلَهُ على سائِرِ الحَيوانِ بِنِعْمَتَي المَنْطِقِ والبَيانِ ، ورَجَّحَهُ بالعَقلِ الذي وَزَنَ به قَضَايا القياسِ في أَحسنِ ميزانٍ ، فأَقامَ على وَحدانِيَّتِه البُرهانَ ؛ أَحْمَدُهُ حمداً يمدُّنا بموادِّ الإِحسانِ ، وأَشهدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَحْدَهُ لا شَريكَ لهُ ، الذي لا يُدْرِكُ كُنْهَ ذاتِهِ بالحُدُودِ والرُّسُومِ ذَوو الأَذْهانِ ؛ وأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمَّداً عبدُه ورسولُه المَخْصوصُ بالآياتِ البَيِّناتِ كلَّ التِّبيانِ ، ﷺ وعلى آله وصَحْبِهِ ، صلاةً وسلاماً يَدومانِ ما دامَ المَلَوانِ[1] ، ويَبْقَيانِ في كلِّ زمَانٍ وأَوَانٍ .

وبعدُ ؛ فهذا كتابٌ لَمْ يَسْأَلْني أَحَدٌ تَصْنِيفَهُ ، ولا كلَّفَتِ القَريحةُ تأليفَه ، وإِنَّما دعاني إِلى ذلك أَنَّه وقعَ في بعضِ الدُّروسِ ، التي لا مَخْبَأَ فيها لِلْعِطْرِ بعدَ عَروسٍ[2] ، ذِكْرُ مالِكٍ الحزينِ والذِّيخِ[3] المَنْحُوسِ ، فَحَصَلَ في ذلك ما يُشْبِهُ حَرْبَ البَسوسِ ، ومُزِجَ الصَّحيحُ بالسَّقِيمِ ، ولم يُفَرَّق بينَ نَسْرٍ وظَليمٍ ، وتَحَكَّكَتِ العَقْرَبُ بالأَفْعَى ، واسْتَنَّتِ الفِصالُ حتَّى القَرْعَى[4] ، وصَيَّروا

(*ـ*) من ب .

(١) المَلَوان : اللَّيل والنَّهار ، أَو طَرفاهما . (القاموس) .

(٢) « لا مخبأَ لعطرٍ بعد عروس » : مَثَلٌ يُضرب للشَّيء يُستعْجل عند الحاجة إِليه . (جمهرة الأَمثال ٢/ ٣٩٥) .

(٣) الذِّيخ : الذِّئب ، وذكر الضِّباع الكثير الشَّعر . (القاموس) .

(٤) مثلٌ يُضرب للرَّجل يفعل ما ليس له بأَهلٍ . (جمهرة الأَمثال ١/ ١٠٨) .

الأَرْوَى مع النَّعام تَرْعَى ، وقَضَوْا باجْتِماع الحُوتِ والضَّبِّ قَطْعاً ، واتَّخَذَ كُلٌّ أَخْلاقَ الضَّبُعِ طَبْعاً ، ولَبِسَ جِلْدَ النَّمِرِ[1] أَهْلُ الإمامَةِ ، وتَقَلَّدَها الجَميعُ طَوْقَ الحَمامَةِ[2] ، والقَوْمُ إِخْوانٌ وشَتَّى في الشِّيَمِ[3] ، وقيلَ في شَأْنِهِم : اشْتَدِّي زِيَم[4] ، وظَنَّ الكبيرُ أَنَّهُ أَصْدَقُ من القَطا[5] ، وأَنَّ الصَّغيرَ كالفاخِتَةِ غَلَطاً[6] ، وصارَ الشَّيْخُ الأَفيقُ[7] كذاتِ النِّحْيَيْنِ[8] ؛ والمُعِيدُ ذو التَّحقيقِ ، كالرَّاجع بِخُفَّي حُنَيْن[9] ، والمُفيدُ كالأَشْقَرِ تَحَيُّراً[10] ، والطَّالِبُ كالحُبَارى

---

(١) مثلٌ يضرب في المكاشفة وإبراز صفحة العداوة . (ثمار القلوب ١/ ٥٩٣) .

(٢) « طوق الحمامة » : يضرب مثلاً لما يلزم ولا يبرحُ . (ثمار القلوب ٢/ ٦٧٩) .

(٣) صدر بيتٍ تمامه : وكلُّهم يجمعهم بيتُ الأَدَم . (مجمع الأَمثال ١/ ٩٧ وأَمثال أَبي عبيد ١٣٢ والمستقصى ١/ ٣٥١ وفصل المقال ١/ ٩٧) .

(٤) هذا من قول رويشد ـ وقيل : رُشيد ـ بن رميض العنزي في الحُطَم ، وهو شُريح بن ضبيعة :

هــذا أَوانُ الشَّـدِّ فـاشتـدِّي زِيَـمْ ... قـد لفَّهـا اللَّيـلُ بسَـوَّاقٍ حُطَـمْ

(الأَغاني ١٥/ ٢٥٥ والعقد الفريد ٤/ ١٢٠ و٥/ ١٧ وتاريخ دنيسر ٥٩) .

(٥) يقال : أَصدق من قطاةٍ ، لأَنَّ لها صوتاً واحداً لا تُغَيِّرُه ، وصوتُها حكايةٌ لاسمها ، تقول : قطا قطا . (ثمار القلوب ٢/ ٧٠٢ ومجمع الأَمثال ١/ ٤١٢ وجمهرة العسكري ١/ ٥٨٤) .

(٦) يُقال : أَكذبُ من فاختةٍ ، قال الشَّاعر :

أَكـذبُ مـن فـاخِتَـةٍ ... تقـول وسـط الكَـرَبِ

والطَّلْـعُ لـم يَبْـدُ لهـا : ... هـذا أَوانُ الـرُّطَـبِ

(ثمار القلوب ٢/ ٧١٢ والميداني ٢/ ١٦٧ والعسكري ٢/ ١٧٣) .

(٧) الأَفيق : مَن بلغ النِّهاية في الكرم أَو في العلم أَو في الفصاحة وجميع الفضائل . (القاموس) .

(٨) ذات النِّحْيَيْن : هُذَلِيَّةٌ ـ قيل : اسمها خولة ـ جرى بها المثل في الشُّغل والشُّحِّ . (ثمار القلوب ١/ ٤٥٦ والميداني ١/ ٣٧٦ و٢/ ٣٤٧ والعسكري ٢/ ٣٢١) .

(٩) يُضرب المثل بخُفَّيْ حنين عند اليأس من الحاجة ، والرُّجوع بالخيبة . (ثمار القلوب ٢/ ٨٦٦ والميداني ١/ ٢٥٦ و١/ ٢٩٦ والمستقصى ١/ ١٠٠ و١/ ١٠٥) .

(١٠) الأَشقر : فرسٌ كان لمروان بن محمَّد آخر ملوك بني مروان ؛ والعرب تتشاءم بالأَشقر ، فتقول : كالأَشقر ، إنْ تَقَدَّمَ نُحِرَ ، وإنْ تأَخَّرَ عُقِرَ . =

تَحَسُّراً[١] ، والمُسْتَمِعُ يَقولُ : كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا[٢] ، والنَّقيبُ كَصافِرٍ يُكَرِّرُ : أَطْرِقْ كرا[٣] ؛ فقلتُ عند ذلك : في بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمُ[٤] ، وبإِعطاءِ القَوْسِ باريها[٥] تَتَبَيَّنُ الحِكَمُ ، وفي الرِّهانِ سابِقُ الخَيْلِ يُرى[٦] ، وعِنْدَ الصَّباحِ يَحمدُ القَوْمُ السُّرى[٧] ؛ واسْتَخَرْتُ الله تعالى وهو الكريمُ المنَّانُ ، في وَضْعِ كتابٍ في هذا الشَّأنِ ، وسَمَّيْتُهُ « حياةَ الحَيوان » جعلَه اللهُ مُوجباً لِلْفَوْزِ في دار الجِنانِ ، ونفع به على مَمَرِّ الأَزْمانِ ، إِنَّه الرَّحيمُ الرَّحمنُ ؛ ورتَّبْتُهُ على حُرُوفِ المُعْجَمِ ، لِيَسْهُلَ بِهِ من الأَسْمَاءِ ما اسْتَعْجَمَ ؛ (* والله تعالى الموفِّقُ للصَّواب *).

= (ثمار القلوب ١/ ٥٣٩ والميداني ٢/ ١٤٠ والمستقصى ٢/ ٢٠٣) .

(١) لأَنَّ الحبارى تُلقي ريشها كلَّه مرَّة واحدةً ، فإذا نظرت إلى صويحباتها يَطرنَ ولا نهوض لها ، تحسَّرت وفترت همَّتُها ، فربَّما ماتت كَمَداً .
(ثمار القلوب ٢/ ٧٠٥ والحيوان للجاحظ ٥/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦ و٧/ ٦٠ وشرح النَّهج ٩/ ١٨٦).

(٢) الفَرَا : الحمار الوحشي . والمثل في الميداني ٢/ ١٣٦ والعسكري ١/ ١٦٥ و٢/ ١٣٦ و١٦٢ والزَّمخشري ٢/ ٢٢٤ .

(٣) يُقال : أَطرق كرا ، إِنَّ النَّعامَ في القُرى . والمثل في الميداني ١/ ٤٣١ والعسكري ١/ ١٩٤ و٣٩٥ والزَّمخشري ١/ ٢٢١ .

(٤) المثل في الفاخر ٧٦ والميداني ٢/ ٧٢ والعسكري ٢/ ١٠١ والزَّمخشري ٢/ ١٨٣ .

(٥) أَي : استعن على عملك بأَهل المعرفة والحذق فيه ؛ وهو من قول القائل :

يا باريَ القوسِ بَرْياً لستَ تُحْكِمُهُ ... لا تَظلمِ القوسَ ، أَعطِ القوسَ باريها

(الميداني ٢/ ١٩ والعسكري ١/ ٧٦ والزَّمخشري ١/ ٢٤٧) .

(٦) من قولهم: عند الرِّهانِ يُعرفُ السَّوابقُ. يُضرب للذي يدَّعي ما ليس فيه. (الميداني ٢/ ٣٥).

(٧) هو صدر بيتٍ قاله خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مسيرهِ من العراق إلى الشَّام ، وقيل : للجُميح . وتمامه :

عندَ الصَّباح يحمدُ القوم السُّرى ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى

(الميداني ٢/ ٣ والعسكري ٢/ ٤٢ والزَّمخشري ٢/ ١٦٨) .

(*ـ*) من ب .

بابُ الهَمْزَةِ

١ **الأَسَدُ** : من السِّباعِ ؛ مَعروفٌ ، وجَمعه أُسودٌ وأُسْدٌ وآسُدٌ وآسادٌ[1] ، والأُنْثَى أَسَدَةٌ .

● وفي حديث أُمِّ زَرْعٍ[2] : « زَوجي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ ، وإِنْ خَرَجَ أَسِدَ » .

وله أَسماءٌ كثيرةٌ ، قال ابن خالويه : للأَسد خَمْسُمئَةِ اسمٍ وصفةٍ ؛ وزاد عليه عليّ بن قاسم بن جعفر اللُّغويُّ مئةً وثلاثين اسماً ؛ فمن أَشهرِها : أُسامَةُ ، والبَيْهَسُ ، والنَّآجُ ، والجُخْدُبُ ، والحارِث ، وحَيْدَرَة ، والدَّوَّاس ، والرِّئْبَال ، وزُفَر ، والسَّبُعُ ، والصَّعْبُ ، والضِّرْغامُ ، والضَّيْغَمُ ، والطَّيْثارُ ، والعَنْبَس ، والغَضَنْفَر ، والفُرافِصَة ، والقَسْوَرَة ، وكَهْمَسُ ، واللَّيْثُ ، والمُتَأَنِّس ، والمُتَهَيِّبُ ، والهِرْمَاسُ ، والوَرْدُ ؛ كثرةُ الأَسماءِ تدلُّ على شرفِ المُسَمَّى .

● ومن كناه : أَبو الأَبطال ، وأَبو حَفصٍ ، وأَبو الأَخياف ، وأَبو الزَّعفران ، وأَبو شِبْل ، وأَبو العبَّاس ، وأَبو الحارث .

وإِنَّما ابتدَأْنا به لأَنَّه أَشْرفُ الحيوانِ المتوحِّش ، إِذ منزلتُه منها منزلة الملِكِ المُهابِ لقُوَّتِهِ وشَجاعَتِهِ ، وقَساوَتِهِ وشَهامتِهِ ، وجَهامَتِهِ ، وشَراسَةِ خُلُقِهِ ؛ ولذلك يُضربُ به المثلُ في القوَّةِ ، والنَّجدةِ ، والبَسالةِ ، وشِدَّةِ الإِقدام ، والجُرأَةِ ، والصَّولة ؛ ومنه قيل لحمزةَ بن عبدِ المُطَّلب رضي الله عنه : أَسَدُ

---

(١) وأُسْدانٌ ومَأْسَدَةٌ . (القاموس) .

(٢) حديث أُم زرع ، في البخاري ١٤٦/٦ (كتاب النِّكاح ، باب حسن المعاشرة مع الأَهل) ومسلم ١٨٩٦/٤ رقم ٢٤٤٨ . وهذا المقطع هو قول المرأَة الخامسة في الحديث .

اللهِ ؛ ويُقال : من نُبْلِ الأَسَدِ أَنَّهُ اشْتُقَّ لحمزةَ بن عبد المطَّلب من اسمِهِ ؛ وكذلك لأَبي قَتادة[1] فارسِ النَّبيِّ ﷺ .

● ففي « صحيح مُسلم » في باب إعطاءِ القاتِلِ سَلَبَ المَقتولِ[2] ، فقال أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « كلاَّ ، واللهِ لا يُعطيهِ أُضَيْبِعَ من قُريشٍ ، ويَدَعُ أَسَداً من أُسْدِ الله تعالى يُقاتِلُ عن اللهِ ورَسولِهِ » . وسيأتي إِنْ شاء اللهُ تعالى في باب الضَّاد المُعجَمة .

● وهو أَنواعٌ كثيرةٌ ؛ قال أَرسطو[3] : رَأَيْتُ نَوعاً منها يُشبه وَجْهَ الإِنسانِ ، وجَسَدُهُ شديدُ الحُمْرَةِ ، وذَنَبُهُ شَبيهٌ بذَنبِ العقربِ ، ولعلَّ هذا هو الذي يُقال له : الوَرْدُ ، ومِنهُ نوعٌ على شكل البَقر ، له قُرونٌ سودٌ نحو شِبْرٍ .

● وأَمَّا السَّبُعُ المعروفُ ، فإِنَّ أَصحابَ الكلام في طبائِعِ الحيوانِ يقولون : إِنَّ الأُنثى لا تضعُ إِلاَّ جَرْواً واحداً ، تضعُهُ لحمةً ليسَ فيه حِسٌّ ولا حركةٌ ، فتحرسُه كذلك ثلاثةَ أَيَّامٍ ، ثم يأتي أَبُوهُ بعد ذلك فينفخُ فيه المرَّةَ بعد المرَّةِ حتَّى يتنفَّسَ ويتحرَّك ، وتنفرجَ أَعضاؤُه وتتشكَّل صُورتُهُ ، ثمَّ تأتي أُمُّه فتُرضعه ، ولا يفتح عَينيه إِلاَّ بعد سبعةِ أَيَّامٍ من تَخَلُّقِهِ ، فإِذا مَضَت عليه بعد ذلك ستَّةُ أَشهرٍ كُلِّفَ الاكتسابَ لنفسه بالتَّعليمِ والتَّدريبِ .

● قالوا : وللأَسَدِ من الصَّبر على الجوعِ ، وقِلَّةِ الحاجةِ إِلى الماءِ ما ليسَ لغيرِهِ من السِّبَاعِ ؛ ومن شَرَفِ نفسِهِ أَنَّه لا يأْكُلُ من فَريسةِ غَيْرِهِ ، فإِذا شَبعَ من

---

(١) أَبو قتادة بن ربعيّ الأَنصاريّ الخزرجيّ ، اسمه الحارث ، وقيل : النُّعمان ، وقيل عمرو ؛ اختلفوا في شهوده بدراً ، واتَّفقوا على أَنَّه شهد أُحداً وما بعدها ؛ مات ـ في قول الواقديّ ـ بالمدينة سنة ٥٤ هـ . (الإِصابة ٧/ ٢٧٢ رقم ١٠٤١١) .

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٣٧١ رقم ١٧٥١ . وروايته في ط : لا نعطيه أُضيبعاً من قريش وندع . . وفي أ ، ب : لا نعطيه لضبعٍ . . والمثبت من صحيح مسلم .

(٣) نسمة السحر ٣/ ٣٠٣ .

فَريسته تركها ولم يَعُدْ إِليها ؛ وإِذا جاعَ ساءَتْ أَخْلاقه ، وإِذا امتلأَ من الطَّعام ارْتاضَ ؛ ولا يشربُ من ماءٍ وَلَغَ فيه كلبٌ ؛ وقد أَشارَ إِلى ذلك الشَّاعرُ بقوله[1] : [من الوافر]

وأَتْرُكُ حُبَّها من غَيْرِ بُغْضٍ وذاكَ لِكَثْرَةِ الشُّرَكاءِ فيهِ
إِذا وَقَعَ الذُّبابُ على طَعامٍ رَفَعْتُ يَدي ونَفْسي تَشْتَهِيهِ
وَتَجْتَنِبُ الأُسودُ وُرودَ ماءٍ إِذا كانَ الكِلابُ وَلَغْنَ فِيهِ

● وقد أَلْغَزَ بعضُهم في القَلَم ، فقال[2] : [من الطَّويل]

وأَرْقَشَ مَرْهوفِ الشَّباةِ مُهَفْهَفٍ يُشَتِّتُ شَمْلَ الخَطْبِ وَهْوَ جَميعُ
تَدِينُ لهُ الآفاقُ شَرْقاً ومَغْرِباً وَتَعْنو لَهُ مُلاَّكُها وتُطيعُ
حَمى المُلْكَ مَفْطُوماً كما كَانَ يَحْتَمِي بِهِ الأُسْدُ في الآجامِ وَهْوَ رَضِيعُ

● وإِذا أَكلَ نَهَسَ من غير مَضْغٍ[3] ، وريقُه قليلٌ جدّاً ، ولذلك يُوصَفُ بالبَخْرِ ، ويوصَفُ بالشَّجاعَةِ والجبنِ ؛ فمن جُبنه : أَنَّهُ يفزعُ[4] من صوتِ الدِّيكِ ، ونَقْرِ الطَّسْتِ ، ومن السِّنَّورِ ، ويَتَحَيَّرُ عند رؤية النَّارِ ؛ وهو شديدُ البطشِ ، ولا يألفُ شيئاً من السِّباع ، لأَنَّه لا يرى فيها ما يكافئُه ، ومتى وُضِعَ جلدُهُ على شيءٍ من جُلودِها تساقَطت شُعورُها ، لا يدنو من المرأَةِ الحائِضِ[5]

---

(١) الأَبيات في المستطرف ١/ ١٦٣ بلا نسبة .
ورواية الأَوَّل في أ ، ب : × ولكن كثرة . . .
والثَّالث : × إذا كان الكلاب يلغن فيه .

(٢) الأَوَّل والثَّالث في المستطرف ٣/ ١٤٤ بلا نسبة وبرواية مختلفة .
والأَبيات ساقطة من ب . ورواية الأَوَّل في أ : وأَرقش مرهوب . . . × .

(٣) في أ ، ب : وهو ينهش ولا يأكل . وانظر النَّصَّ في المستطرف ٢/ ٤٣٤ وعجائب المخلوقات ٢٥٤ .

(٤) في أ : يفرق . وفي ب : يفرّ .

(٥) في أ ، ب : الطَّامث .

ولو بلغ الجهدَ ، ولا يزال محموماً ، ويُعَمَّرُ كثيراً ، وعلامة كبرهِ سُقوطُ أَسنانِه .

● رَوى ابنُ سبع السَّبْتيّ في « شِفاء الصُّدورِ » عن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُما[1] : أَنَّه خرج في بعضِ أَسفارِهِ ، فبينما هو يسيرُ إِذا هو بِقَوْمٍ وُقُوفٍ ، فقال : ما لِهؤلاءِ القوم ؟ قالوا : أَسَدٌ على الطَّريقِ قد أَخافَهم ؛ فنزل عن دابَّتِهِ ، ثمَّ مشى إِليه حتَّى أَخذَ بأُذُنِه ، ونَحَّاهُ عَنِ الطَّرِيق ، ثمَّ قال له : ما كَذَبَ عليكَ رسولُ الله ﷺ بقولِهِ : « إِنَّما سُلِّطْتَ على ابنِ آدمَ لِمخافَتِهِ غيرَ الله ، ولو أَنَّ ابنَ آدمَ لَمْ يَخَفْ إِلاَّ الله تعالى لم تُسَلَّطْ عليه ، ولو لم يَرْجُ إِلاَّ الله تبارَكَ وتعالى لَما وَكَلَهُ إِلى غيرِهِ » .

● وفي « سُنن أَبي داود »[2] من حديث عبد الرَّحمن بن آدم ـ وليس له عنده سِواهُ ـ عن أَبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال : « ينزل عيسى ابن مريم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إِلى الأَرضِ ، وكأَنَّ رأسَهُ يقطُرُ ولم يُصِبْهُ بَلَلٌ ، وأَنَّه يكسرُ الصَّليبَ ، ويقتلُ الخِنزيرَ ، ويُفيضُ المالَ ، وَتقَعُ الأَمَنَةُ في الأَرضِ حتَّى يَرعى الأَسَدُ مع الإِبلِ ، والنَّمر مع البَقَرِ ، والذِّئَابُ مع الغَنَمِ ، ويلعبُ الصِّبيانُ بالحَيَّاتِ ، ولا يَضُرُّ بعضُهم بعضاً ؛ ثمَّ يبقَى في الأَرضِ أَربعينَ سنةً ، ثمَّ يموتُ ويُصَلِّي عليه المُسلمُونَ ويَدفنونَهُ » .

● وفي « الحِليةِ » لأَبي نُعيم ، في ترجمة ثَور بن يَزيد ، قال[3] : بَلغني أَنَّ الأَسَدَ لا يأكلُ إِلاَّ مَن أَتى مَحْرَماً .

---

(١) الخبر في : الدِّيباج للختلي ١١٢ وتاريخ دمشق ٣٧/ ٨٦ ومختصره ١٣/ ١٧٢ وسير أَعلام النُّبلاء ٣/ ٢٢٢ وكنز العمال رقم ٥٨٦٥ و٣٧٢٥٧ .

(٢) سنن أَبي داود ٤/ ١١٧ ـ ١١٨ رقم ٤٣٢٤ ، وفيه نقص ، وتمامه في مسند أَحمد ٢/ ٤٠٦ و٤٣٧ .

(٣) الحلية ٦/ ٩٥ .

● وقصَّة سَفينة مولى رسولِ الله ﷺ مع الأَسَدِ مَشهورَةٌ ، رواها البزَّار والطَّبرانيُّ وعبد الرَّزَّاق والحاكِم وغيرهم(١) ، وذكرَ البُخاريُّ في « تاريخه » أَنَّه بقيَ إِلى زمنِ الحجَّاجِ(٢) .

روى محمَّد بن المُنْكَدِر عنه أنَّه قال : ركبتُ سفينةً في البحرِ فانكسَرَت ، فركبتُ لوحاً فأَخرجَني إِلى أَجَمَةٍ فيها أَسَدٌ ، فأَقبلَ إِليَّ ، فقلت : أَنا سفينةُ مولى رسولِ الله ﷺ وأَنا تائهٌ ، فجعلَ يغمزُني بمنكبه حتَّى أَقامني على الطَّريقِ ، ثمَّ هَمْهَمَ ، فظننتُ أَنَّه السَّلام .

وفي « دلائل النُّبوَّة للبَيهقي »(٣): عن ابن المُنكدر أَيضاً ، أَنَّ سفينةَ مولىٰ رسولِ الله ﷺ أَخطأَ الجيشَ بأَرضِ الرُّوم ـ أَو أُسِرَ في أَرضِ الرُّومِ ـ فانطلقَ هارباً يلتمسُ الجيشَ ، فإِذا هو بالأَسَدِ ، فقال له : يا أَبا الحارِث ، أَنا سَفينةُ مولى رسولِ الله ﷺ ، كان من أَمري كَيْتَ وكَيْتَ ، فأَقبلَ الأَسدُ يُبصبصُ حتَّى قام إِلى جَنْبِهِ ، وكلَّما سمعَ صوتاً أَهوى إِليه ، ثمَّ يَمشي إِلى جَنبِهِ ، فلمْ يزلْ كذلكَ حتَّى بلغَ الجيشَ ، ثمَّ رجعَ الأَسَدُ .

● واختُلف في اسم سَفينة رضي الله عنه ، فقيل : رومان ، وقيل : مهران ، وقيل : طهمان . وقيل : عمير(٤) .

روى مسلم له حديثاً واحِداً ، والتِّرمذيُّ ، والنَّسائيُّ ، وابنُ ماجة(٥) .

---

(١) المعجم الكبير للطَّبراني رقم ٦٤٣٢ والمستدرك للحاكم ٣/ ٦٠٦ والمصنَّف لعبد الرَّزَّاق رقم ٢٠٥٤٤ ودلائل النُّبوَّة لأَبي نعيم ٥٨٤ والحلية ١/ ٣٦٩ وتاريخ دمشق (السِّيرة النَّبويَّة) ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١ ومختصره ٢/ ٣٠٣ وسير أَعلام النُّبلاء ٣/ ١٧٣ والبداية والنِّهاية ٨/ ٢٦٣ .

(٢) التَّاريخ الكبير ٢/ ٢/ ٢٠٩ .

(٣) دلائل النُّبوَّة للبيهقي ٦/ ٤٦ ومستدرك الحاكم ٢/ ٥٣٩ .

(٤) وقيل غير ذلك ، وانظر ترجمته في سير أَعلام النُّبلاء ٣/ ٢٧٢ والبداية والنِّهاية ٨/ ٢٦١ .

(٥) روى له مسلم برقم (٣٢٦) وأَبو داود (٣٧٥٥) و(٣٩٣٢) و(٤٦٤٦) والتِّرمذي (٥٦)=

● ودعا[1] النَّبيُّ ﷺ على عُتَيْبَة بن أَبي لهبٍ[2] ، فقال : « اللَّهُمَّ سَلِّطْ عليه كلباً من كِلابكَ » فافترسَهُ الأَسَدُ بالزَّرقاءِ من أَرضِ الشَّام . رواه الحاكمُ من حديثِ أَبي نَوفل بن أَبي عَقرب ، عن أَبيه ، وقال : صَحيحُ الإِسنادِ .

وروى الحافظ أَبو نُعيم[3] بسَندهِ إِلى هبَّار بن الأَسود[4] ، قال : تجهَّزَ أَبو لَهَبٍ وابنُه عُتَيْبة نحوَ الشَّام ، فخرجتُ مَعهما ، فنزَلنا الشَّراةَ[5] قريباً من صَومعةِ راهبٍ ، فقال الرَّاهبُ : ما أَنزلكم هَا هنا ، هُنا سِباعٌ ؟ فقال أَبو لَهَبٍ : أَنتم عَرفتُم سِنِّي وحَقِّي ، قُلنا : أَجل . قال : إِنَّ محمَّداً دعا على ابني ، فاجْمَعُوا مَتاعَكُم على هذه الصَّومعةِ ، ثمَّ افرُشوا لابني عليهِ ، وناموا حَوله ، ففَعلْنا ذلك ، وجَمعْنا المتاعَ حتَّى ارتفعَ ، ودُرْنا حولَه ، وباتَ عُتَيْبةُ فوقَ المتاعِ ، فجاء الأَسدُ فَشَمَّ وُجُوهَنا ، ثمَّ وَثبَ فإِذا هو فوقَ المتاعِ ، فقطعَ رأسَه ، فقال : سَيْفي يا كلبُ ؛ ولم يَقدرْ على غير ذلك .

● وفي روايةٍ : فوثبَ الأَسدُ ، فضربَهُ بيدهِ ضَربةً واحدةً فخَدَشَهُ ، فقال :

= و(٢٢٢٦) و (١٨٢٨) وابن ماجه (٢٥٢٦) . ولم أَقف له على حديث في سنن النَّسائي .

(١) الخبر في : الحيوان للجاحظ ٢/ ١٨١ والمعارف ١٢٥ وثمار القلوب ١/ ٧٩ وفقه اللُّغة ٣٣٩ والأَغاني ١٦/ ١٧٥ ـ ١٧٦ وربيع الأَبرار ٥/ ٤١٣ ونسب قريش ٨٩ وثلاث رسائل في إِعجاز القرآن ٣٨ والاشتقاق ٢٢ ورسالة الغفران ٣٠٥ وتاريخ دمشق ٤٥/ ١٥٥ ومختصره ١٦/ ٧٣ و٢٩/ ٢٥ والإِصابة ٦/ ٤١٣ رقم ٨٥٥١ والمستطرف ٢/ ٤٣٤ .

(٢) الخلاف في المسبوع بين عتبة وأَخيه عتيبة (بالتَّصغير) ، فعند ابن عساكر والمصعب والثَّعالبي في فقه اللُّغة بالتَّصغير .

(٣) في دلائل النُّبوَّة ٤٥٥ . وفي أَصله (عتبة) فغيَّره محققه إِلى (عتيبة) ! ! .

(٤) في الأُصول : الأَسود بن هبَّار ! ! . وهبَّار بن الأَسود بن المطَّلب : أَسلم بالجعرانة بعد فتح مكَّة . (الإِصابة) .

(٥) الشَّراة : صقعٌ بالشَّام ، بين دمشق ومدينة الرَّسول ﷺ . (معجم البلدان ٣/ ٣٣٢) .

قَتلني ؛ فماتَ لساعَتِهِ ؛ وطلبنا الأسدَ فلَمْ نَجِدْهُ .

وإنَّما سَمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ كلباً ، لأنَّهُ يُشبهُهُ في رَفْعِ رِجلِهِ عندَ البَوْلِ .

● **فائدة** : روى البُخاريُّ في « صحيحه » أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال[1] : « فِرَّ من المَجْذومِ فِرارَكَ من الأَسَدِ » .

وفي حديثٍ آخر[2] ، أَنَّه ﷺ أَخَذَ بِيَدِ مَجذُومٍ ، وقال : « [كُلْ] بسمِ الله ، ثقةً بالله ، وتَوكُّلاً عليه » وأَدخلَها معه الصَّحْفَةَ ● .

قال الشَّافعيُّ رحمهُ الله في عُيوبِ الزَّوجين : إنَّ الجُذامَ والبَرَصَ يُعْدِي ؛ وقال : إنَّ وَلَدَ المَجْذومِ قَلَّما يَسْلَمُ منه .

قلتُ : ومَعنى قولِ الشَّافعيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّه يُعدي ، أَي بتأثيرِ الله تعالى لا بنفسِه ، لأَنَّ الله تعالى أجرى العادةَ بابْتِلاءِ السَّليمِ عند مُخالطةِ المُبْتَلى ، وقد يُوافقُ قَدَراً وقَضاءً ، فَيُظَنُّ أَنَّهُ عَدوى ، وقد قال ﷺ[3] : « لا عَدوى ولا طِيَرَةَ » كما سيأتي ذلك إن شاءَ الله تعالى .

وأَمَّا قولُه في الولدِ : قَلَّمَا يَسْلَمُ منهُ ، فقد قال الصَّيدلانيُّ : مَعناه : أَنَّ الولدَ قد يَنْزِعُهُ عِرْقٌ من الأَبِ فَيَصِيرُ أَجْذَمَ . وقد قال ﷺ لرجلٍ قال له : إنَّ امرَأَتي قد وَلَدَتْ غُلاماً أَسْوَدَ[4] : « لعلَّ عِرْقاً نَزَعَهُ » ، وبهذا الطَّريق يَحصلُ الجَمْعُ بينَ هذه الأَحاديث .

وجاءَ في الحديثِ ، أَنَّه ﷺ قال[5] : « لا يُورِدْ ذو عاهَةٍ على مُصِحٍّ » .

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٧ (كتاب الطِّب ، باب الجذام) ومسند أَحمد ٢/ ٤٤٣ .

(٢) أَبو داود (٣٩٢٥) والترمذي (١٨١٧) وابن ماجه (٣٥٤٢) . والزِّيادة منها .

(٣) البخاري ٧/ ١٧ و٢٧ و٣١ (كتاب الطِّب) ومسلم (٢٢٢٠ ـ ٢٢٢٤) وأَبو داود (٣٩١١ و٣٩١٦ و٣٩٢١) وابن ماجه (٨٦ و٣٥٣٧ و٣٥٣٩ و٣٥٤٠) .

(٤) البخاري ٨/ ٣١ وأَبو داود (٢٢٦٠) والترمذي (٢١٢٨) وابن ماجه (٢٠٠٢) .

(٥) البخاري ٧/ ٣١ ومسلم (٢٢٢١) وابن ماجه (٣٥٤١) .

وأنَّه ﷺ أَتاهُ مَجذُومٌ ليبايعَهُ ، فلم يَمُدَّ يَدَهُ إليه ، بل قال له[1] : « أَمْسِكْ يَدَكَ ، فقد بايَعْتُكَ » .

وفي « مُسندِ الإمام أَحمد » أَنَّ النَّبيَّ ﷺ؛ قال[2] : « لا تُطيلوا النَّظَرَ إلى المَجْذُومِ ، وإِذا كَلَّمْتُموهُ فليكنْ بَيْنَكم وبينَهُ قِيْدُ رُمْحٍ » .

وقد ذكرَ الشَّيخ صلاحُ الدِّين العراقي في « القواعدِ » أَنَّ الأُمَّ إذا كان بها جُذامٌ أَو بَرَصٌ ، سَقَطَ حَقُّها من الحَضانَةِ ، لأَنَّهُ يُخْشَى على الولدِ من لَبنِها ومُخَالَطَتِها ؛ واسْتَدَلَّ بقولهِ ﷺ : « لا يورِدْ ذو عاهَةٍ على مُصِحٍّ » .

والذي ذكرَهُ ظاهِرٌ وهو المُخْتارُ ، ويؤيِّدُه ما أَفتى به ابنُ تَيْميَّة صاحبُ « المحرَّر » من الحنابلةِ رحمهُ الله ، وصَرَّحَ بِهِ أَئمَّةُ المالكيَّةِ : أَنَّ المبتلى لو أَراد مُساكَنةَ الأَصِحَّاءِ في رِباطٍ أَو غَيْرِهِ ، مُنِعَ إِلاَّ بإِذنهم ، ولو كان ساكِناً وابتُلِيَ ، أُزْعِجَ وأُخْرِجَ .

وأَمَّا أَصحَابُنا فصرَّحُوا بأَنَّ الأَمَةَ إذا كانَ سيِّدُها مَجْذُوماً ، وجبَ عليها تمكينهُ من الاسْتِمْتَاعِ ؛ وهذا مع إشكالِه قد أُورِدَ في « الرَّوضة » في الزَّوجة المُختارة للمقام مع الزَّوج المجذوم؛ وقد يُفَرَّقُ بينَهما بقوَّةِ المُلْكِ، والله أَعلم.

● وقد جاءَ في الحديث[3] ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لامرأَةٍ : « أَكَلَكِ الأَسَدُ » فأَكَلَها .

● وروى الطَّبرانيُّ ، وأَبو منصور الدَّيلميُّ ، والحافِظُ المُنذريُّ ، عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال[4] : « أَتدرونَ ما يَقُول الأَسَدُ في

---

(١) مسلم (٢٢٣١) والنّسائي (٤١٨٢) وابن ماجه (٣٥٤٤) .

(٢) ابن ماجه (٣٥٤٣) ومسند أَحمد ١/ ٧٨ و٢٣٣ و٢٩٩ .

(٣) لم أَقف عليه .

(٤) مسند الفردوس (٢٣٣٧) والمستطرف ١/ ٣٥٩ .

زَئيرِهِ ؟ قالوا : الله ورسولُه أَعلم . قال : « إِنَّه يقولُ : اللَّهُمَّ لا تُسلِّطْنِي على أَحَدٍ من أَهْلِ المَعْرُوفِ » .

● **فائدةٌ أُخرى** : روى ابنُ السُّنِّيّ في « عَمَلِ اليوم واللَّيلةِ » من حديث داود بن الحُصين ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عبَّاس ، عن عليّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُم ، أَنَّهُ قال[1] : إذا كنتَ بِوادٍ تَخافُ فيه الأَسَدَ ، فقُلْ : أَعوذُ بِدانيالَ وبالجُبِّ من شَرِّ الأَسَدِ . ا هـ .

أَشار بذلك إلى ما رواه البَيهقيّ في « الشُّعَبِ » : أَنَّ دانيالَ عليه السَّلام ، طُرِحَ في جُبٍّ وأُلقيتْ عليه السِّباعُ ، فجَعلتِ السِّباعُ تَلْحَسُهُ وتُبصْبِصُ إِليه ، فأَتاهُ مَلَكٌ ، فقال : يا دانيالُ ؛ فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أَنا رسولُ ربِّكَ ، أَرسلَني إِليكَ بطَعامٍ ، فقال دانيالُ : الحمدُ للهِ الذي لا يَنْسَى مَن ذَكَرَهُ . ا هـ .

● وروى ابنُ أَبي الدُّنيا[2] ، أَنَّ بُخْتَنَصَّرَ ضَرّى أَسَدَين وأَلْقاهُما في جُبٍّ ، وأَمرَ بدانيالَ فأُلقيَ عليهما ، [فلم يَهيجاه] ، فمكثَ ما شاء الله ، ثمَّ إِنَّه اشتَهى الطَّعامَ والشَّرابَ ، فأَوحى الله تعالى إِلى إِرميا وهو بالشَّام أَن يذهبَ إِلى دانيال بطعامٍ وشَرابٍ ، وهو بأَرضِ العراقِ ، فذهبَ به إِليه حتَّى وقفَ على رَأسِ الجُبِّ ، وقالَ : دانيالُ دانيال ؛ فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : إِرميا ؛ فقال : ما جاءَ بكَ ؟ قال : أَرسلني إِليكَ رَبُّكَ ؛ [فقال : وقد ذكرني ؟ قال : نعم] . فقال دانيال . الحمدُ للهِ الذي لا ينسى مَنْ ذَكَرَهُ ، والحمدُ للهِ الذي لا يُخَيِّبُ مَنْ رَجاهُ ، والحمدُ للهِ الذي مَن وَثقَ بِهِ لا يَكِلُهُ إِلى سِواه ، والحمدُ للهِ

---

(١) عمل اليوم واللَّيلة لابن السّنّي (٣٤٧) وهواتف الجنان ٤٥ والمنتقى من مكارم الأَخلاق ٢٣٩ ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ١٦١ والبداية والنِّهاية ٣/ ٥٨٧ والمستطرف ٢/ ٤٣٥ وشعب الإِيمان ٢/ ١١٦ رقم ١٣٣٨ .

(٢) في الفرج بعد الشِّدَّة ١٠٨ وعنه التنوخي في الفرج بعد الشِّدَّة ١/ ٧٩ ـ ٨٠ والبداية والنِّهاية ٢/ ٣٧٥ والمستطرف ٢/ ٤٣٥ وبرواية أُخرى في مختصر تاريخ دمشق ٥/ ١٦٠ .

الذي يَجزي بالإِحسانِ إِحساناً ، والحمدُ للهِ الذي يَجْزِي بالصَّبْرِ نَجاةً وغُفْراناً ، والحمدُ للهِ الذي يكشفُ ضُرَّنا بعد كَرْبنا ، والحمدُ للهِ الذي هو ثِقَتُنا حينَ يَسُوءُ ظَنُّنا بأَعمالنا ، والحمدُ للهِ الذي هو رَجاؤنا حين تنقطعُ الحِيَلُ مِنَّا .

● ثمَّ روى ابنُ أَبي الدُّنيا من وَجْهٍ آخر[1] : أَنَّ المَلِكَ الذي كان دانيالُ في سُلطانه ، جاءَهُ المنجِّمون وأَصحابُ العِلم ، فقالُوا له : إِنَّه يُولدُ في ليلة كذا وكذا غُلامٌ يُفْسِدُ مُلْكَكَ ، فأَمرَ بقَتْلِ كلِّ مَنْ يُولَد في تلكَ اللَّيلةِ ، فلمَّا وُلدَ دانيالُ ، أَلْقَتْهُ أُمُّهُ في أَجَمَةِ أَسَدٍ ، فباتَ الأَسَدُ ولَبْوَتُهُ يلحسانِه ، فنَجَّاهُ الله تعالى بذلك حتَّى بلغَ ما بلغَ ، وكان من أَمرِهِ ما قَدَّرَهُ العزيزُ العليمُ .

● ثمَّ روى بإِسناده عن عبد الرَّحمن بن أَبي الزِّناد ، عن أَبيه ، أَنَّه قال[1] : رأَيتُ في يَدِ أَبي بُردة بن أَبي موسى الأَشعريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خاتماً ، نَقْشُ فَصِّهِ أَسدان بَينَهُما رجلٌ ، وهما يَلْحسانِ ذلكَ الرَّجلَ ، فقال أَبو بُردةَ : هذا خاتمُ دانيالٍ ، أَخَذَهُ أَبو مُوسى حينَ وَجَدَهُ ودَفَنَهُ ، فسأَلَ أَبو موسى عُلماءَ تلكَ البلدةِ عن ذلك ، فقالوا : إِنَّ دانيال نَقَشَ صُورَتَهُ وصُورَةَ الأَسَدين ، وهما يَلحسانِه ، في فَصِّ خاتَمِهِ كما تَرى ، لئلاَّ يَنسَى نِعمةَ الله عليه في ذلك . ا هـ .

فلمَّا ابتُلِيَ دانيالُ عليه السَّلام بالسِّباع أَوَّلاً وآخِراً ، جعلَ الله تعالى الاسْتِعاذَةَ بِهِ في ذلك تَمنعُ شَرَّ السِّباع التي لا تُستطاعُ .

● وفي « المُجالسة للدِّيْنَوَري »[2] ، عن مُعان بن رفاعة ، قال : مَرَّ يحيى ابن زكريَّا عليهما السَّلام بقبرِ دانيال النَّبيِّ عليه السَّلام ، فسمعَ صوتاً من القبرِ يقول : سُبْحانَ مَنْ تَعَزَّزَ بالقُدْرَةِ ، وَقَهَرَ العبادَ بالموتِ ؛ فمضى ، فإِذا هو

---

(١) البداية والنِّهاية ٢/ ٣٧٩ عن ابن أَبي الدُّنيا ، وليس في كتابه الفرج بعد الشِّدَّة .

(٢) المجالسة ٤/ ٤٤٥ والمستطرف ٢/ ٤٣٦ . وفي الأُصول : عن معاذ بن رفاعة ؛ وهو غير هذا .

بصوتٍ من السَّماء : أَنا الذي تعزَّزْتُ بالقُدرةِ ، وقَهرتُ العبادَ بالموتِ ؛ مَن قالهنَّ استغفرَتْ له السَّماوات السَّبعُ والأَرضونَ السَّبعُ ومَن فيهنَّ .

وكان دانيال عليه السَّلام ، قد آتاه الله تعالى النُّبوَّةَ والحِكمةَ ، وكان في أَيَّام بُخْتَنَصَّرَ .

● قال أَهلُ التَّاريخ : إنَّ بُخْتَنَصَّرَ أَسَرَ دانيال مَع مَنْ أَسرَ من بنِي إسرائيل ، وحبسهم ؛ ثمَّ رأَى بُخْتَنَصَّرُ رُؤْيا أَفْزَعَتْهُ ، وعجِزَ النَّاسُ عن تَعبيرِها ، ففسَّرها دانيال ، فأَعجبَهُ وأَكْرَمَهُ[1] .

قالوا[2] : وقبرُهُ بنَهرِ السُّوس ، ووجدَه أَبو موسى الأَشعريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فأَخرجه وكَفَّنَهُ وصلَّى عليه ، ثمَّ أَقبرَهُ في نَهر السُّوس ، وأَجرى عليهِ الماءَ .

● وفي « المُجالسة » أَيضاً[3] : قال عبدُ الجبَّار بن كُليب : كُنَّا مع إبراهيم بن أَدهم في سَفَرٍ ، فَعَرَضَ لنا الأَسَدُ ، فقال إبراهيم : قولوا : اللَّهُمَّ احرُسْنَا بعَيْنِكَ التي لا تَنامُ ، واحْفَظْنَا برُكْنِكَ الذي لا يُرامُ ، وارْحَمْنَا بقُدرتِكَ علينا ، لا نَهلكْ وأَنتَ رجاؤُنا ، يا أَللهُ يا أَللهُ يا أَللهُ . قال : فولَّى الأَسَدُ عنَّا هارباً .

---

(١) الرُّؤيا في العهد القديم (التَّوراة) سفر دانيال ١٣٦٣ ودلائل النُّبوَّة لأَبي نعيم ٨٣ ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ١٦٣ ـ ١٦٤ والفوائد والأَخبار لابن دريد ٢٥ وتاريخ الطَّبري ١/ ٥٥٤ وتاريخ مختصر الدُّول ٧٣ ـ ٧٤ والبداية والنِّهاية ٣/ ٥٤٢ .

(٢) البداية والنِّهاية ٢/ ٣٧٦ .

(٣) المجالسة ٢/ ٧٦ وحلية الأَولياء ٨/ ٤ ـ ٥ والمنتخب من كتاب الزُّهد والرقائق للخطيب ١٢٦ وعيون الأَخبار ٢/ ٢٨٧ ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٧ ـ ٢٨ والمقفى ١/ ٧٦ والبداية والنِّهاية ١٣/ ٥٠٥ والمستطرف ٢/ ٤٣٦ .

وقوله : عبد الجبَّار بن كليب ؛ كذا ورد في المجالسة وعيون الأَخبار ، وصوابه : عبد الجبَّار بن كثير ، وانظر ترجمته في الجرح والتَّعديل ٦/ ٣٣ .

قال : فأَنا أَدعو به عند كلِّ أَمرٍ مَخوفٍ ، فما رأَيتُ إلاَّ خيراً .

● **فائدة** : قال بعضُ العُلماءِ المحقِّقين : وممَّا جُرِّبَ لإذهابِ الخوفِ والهَمِّ والغَمِّ ، أَن يَكتبَ هاتين الآيتين ويَحملهُما ، فإِنَّ الله تعالى يُباركُ له في جَميعِ أَحواله ، ويَنصرُهُ على أَعْدَائِهِ ؛ وهما يَنفعانِ لِلأَمراضِ الباطنةِ ، وكلِّ أَلَمٍ يَحدثُ في بَدَنِ الإنسانِ ، وكلُّ آيةٍ منهما تَجمعُ الحروفَ المُعجَمةَ بأَسرها ، وتُكتَبُ في إِناءٍ نظيفٍ ، وتُمحى بدهن وَرْدٍ أَو زيتٍ طيِّبٍ أَو شيرَجٍ ، ويُطلى به الأَلَمُ كالدُّمَّل والطُّلوع والحزازِ والرِّيح والثَّآليل والنَّفْخِ والقُروحاتِ بأَسرِها ، فإِنَّه يزولُ ويَبرأُ من يَومه في الغالبِ ، كما جُرِّبَ مِراراً ، وهما من الأَسرارِ المَخزونَةِ ؛ كذا قاله شيخُنا اليافعيُّ رحمه الله .

الآيةُ الأُولى من سورة آل عمران قولُه تعالى : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤] إلى قولـه تعالـى: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

الآية الثَّانية من سُورة الفَتح ، قولُه تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح : ٢٩] إِلى آخر السُّورة . انتهى .

● وذَكَرَ بعضُ أَهلِ التَّاريخ[١] : أَنَّ مَلِكاً من المُلُوكِ ، خَرَجَ يَدُورُ في مُلْكِهِ ، فوصلَ إِلى قَريةٍ عظيمةٍ ، فدَخَلَها مُنفرداً ، فأَخَذَهُ العَطَشُ ، فوقَف ببابِ دارٍ من دُورِ القَريةِ ، وطلبَ ماءً ، فخرجَتْ إِليهِ امرأَةٌ جميلةٌ بكوزٍ فيه ماءٌ ، ونَاوَلَتْهُ إِيَّاهُ ، فلمَّا نَظَرَها افتُتِنَ بها ، فراوَدَها عَنْ نَفْسِها ، وكانَتْ المرأَةُ عارِفَةٌ بِهِ ، فَعَلِمَتْ أَنَّها لا تقدرُ على الامتناع منهُ ، فدخَلَت وأَخرجَت له كتاباً ، وقالت : انظرْ في هذا إِلى أَن أُصلِحَ من أَمري ما تُحبُّ وأَعودُ ، فأَخذَ الملكُ الكتابَ ، ونَظَرَ فيه ، فإِذا فيهِ الزَّجْرُ عنِ الزِّنا ، وما أَعَدَّ الله تعالى لفاعِلِه من

---

(١) الخبر في المستطرف ١/ ١٦٢ ـ ١٦٤ .

العذَابِ الأَليمِ ؛ فاقشعرَّ جِلْدُهُ ، وَنَوى التَّوبةَ ، وصاحَ بالمرأَةِ ، وأَعطاها الكتابَ ، وَمَرَّ ذاهباً ؛ وكان زوجُ المرأَة غائِباً ، فلَمَّا حَضَرَ أَخْبَرَتْهُ الخبرَ ، فَتَحَيَّرَ الزَّوْجُ في نَفْسِهِ ، وَخافَ أَنْ يكونَ وَقَعَ غَرَضُ المَلِكِ فيها ، فلم يَتَجاسَرْ على وَطْئِها بعد ذلك ، ومكثَ على ذلك مُدَّةً ، فأَعلمَتِ المرأَةُ أَقارِبَها بحالِها مع زَوجِها ، فرفَعوهُ إلى الملكِ ، فلمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدي الملِكِ ، قال أَقارِبُ المرأَةِ : أَعَزَّ اللهُ مَولانا الملكَ ، إنَّ هذا الرَّجلَ قد اسْتَأْجَرَ مِنَّا أَرضاً للزِّراعةِ ، فزَرَعَها مُدَّةً ثُمَّ عَطَّلها ، فلا هو يزرعُها ولا هو يتركُها لِنُؤَجِّرها لمَنْ يَزرعُها ، وقد حصل الضَّررُ للأَرْضِ ، ونخافُ فَسادَها بسببِ التَّعطيلِ ، لأَنَّ الأَرضَ ، إذا لَمْ تُزرعْ فَسَدَتْ . فقال الملكُ لزوجِ المرأَةِ : ما يَمنعكَ من زَرعِ أَرضِكَ ؟ فقال : أَعزَّ اللهُ مولانا الملكَ ، إنَّه قد بَلغَني أَنَّ الأَسَدَ دَخَلَ أَرْضي ، وقد هِبْتُهُ ، ولم أَقدرْ على الدُّنُوِّ مِنها ، لِعِلْمي بأَنْ لا طاقَةَ لي بالأَسَدِ ؛ ففهِمَ الملكُ القصَّةَ ؛ فقال : يا هذَا ، إنَّ أَرْضَكَ أَرْضٌ طَيِّبَةٌ ، صالحةٌ لِلزَّرْعِ ، فازرعْهَا ، باركَ اللهُ لكَ فيها ؛ فإِنَّ الأَسَدَ لن يعودَ إِليها ؛ ثمَّ أَمرَ لهُ ولزَوجَتهِ بِصِلةٍ حَسنةٍ ، وَصَرَفَهُ .

● وفي « تاريخ ابن خلِّكان »[1] : أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ المازِيارُ على المعتصمِ ، وكان قد اشتدَّ غضبُه عليه ، فقيل له : يا أَميرَ المؤمنين ، لا تَعجل [عليه] ، فإِنَّ عندَهُ أَموالاً جَمَّةً ؛ فأَنشدَ المعتصمُ بيتَ أَبي تَمَّام[2] : [من البسيط]

إنَّ الأُسودَ أُسودَ الغابِ هِمَّتُها ... يومَ الكَريهَةِ فِي المَسْلُوبِ لا السَّلَبِ

[ثمَّ قتله] .

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٢ . والمازيار : هو محمَّد بن قارن ، صاحب طبرستان . [الوافي بالوفيات ٤/ ٣٣٧] .

(٢) ديوانه ١/ ٧١ .

● وقد أَحسنَ خالد الكاتب ، حيثُ قال[1] : [من الرمل]

عَلَّمَ الغَيْثَ النَّدى حتَّى إذا ... ما وَعاهُ عَلَّمَ البَأْسَ الأَسَدْ
فإذا الغَيْثُ مُقِرٌّ بالنَّدى ... وَإِذا اللَّيْثُ مُقِرٌّ بالجَلَدْ

● ومن شِعره[2] : [من الرمل]

ظَفِرَ الحُبُّ بِقَلْبٍ دَنِفٍ ... بِكَ والسُّقْمُ بِجِسْمٍ ناحِلِ
وَبَكى العاذِلُ لي من رَحْمَتي ... فَبُكائي لِبُكاءِ العاذِلِ

● وكان[3] خالد شيخاً كبيراً ، تأخذُهُ السَّوداءُ أَيَّامَ الباذِنجانِ ، وكان الصِّبيانُ يتْبَعونَه ويَصيحونَ به : يا خالدُ يا باردُ ؛ فَأَسْنَدَ ظَهره يوماً إلى قَصرِ المعتصمِ ، وقال لهم : كيف أكونُ بارداً ، وأَنا الذي أَقول : [من الطويل]

بَكى عاذِلي مِن رَحْمَتي فَرَحِمْتُهُ ... وَكَمْ مُسْعِدٍ مِنْ مِثْلِهِ وَمُعِينِ
وَرَقَّتْ دُموعُ العَيْنِ حتَّى كَأَنَّها ... دُموعُ دُمُوعي لا دُموعُ جُفُوني

● وفي « روضةِ العُلماءِ »[4]: أَنَّ نوحاً عليه السَّلام ، لمَّا غرسَ الكَرْمَةَ ، جاءَهُ إبليسُ فنفخَ فيها فيبسَت ، فاغْتَمَّ نوحٌ لذلك ، وجلسَ متفكِّراً في أَمرِها ، فجاءَهُ إبليسُ وسأَله عن تفكُّرِهِ ، فأَخبرَه ، فقال له : يا نبيَّ الله ، إن أَردتَ أَن تخضرَّ الكرمَةُ ، فَدَعْني أَذْبَحْ عليها سبعةَ أَشياءَ ؛ فقال : افعلْ ، فذبحَ أَسداً ودُبّاً ، ونَمِراً ، وابنَ آوى ، وكلباً ، وثَعلَباً ، ودِيكاً ، وصبَّ دماءهم[5] في

---

(١) هما لمجنونٍ بغداديٍّ في عقلاء المجانين ٣١١ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٣٥٣ .
(٢) له في تاريخ بغداد ٨/ ٣١٤ ووفيات الأَعيان ٢/ ٢٣٤ والوافي بالوفيات ١٣/ ٢٨١ وفوات الوفيات ١/ ٤٠٢ .
(٣) الخبر والبيتان في تاريخ بغداد ٨/ ٣١٠ ووفيات الأَعيان ٢/ ٢٣٦ .
(٤) روضة العلماء : لأَبي علي الحسين بن يحيى البخاري الزّندويستي الحنفي . (كشف الظنون ١/ ٩٢٨) .
(٥) كذا في أ ، ط ! والوجه : دماءَها . والخبر ساقط من ب .

أَصْلِ الكَرْمَةِ ، فاخْضَرَّتْ من ساعَتِها ، وحَملَت سبعةَ أَلوانٍ من العِنَب ، وكانت قبلَ ذلك تحملُ لوناً واحداً ، فمن أَجلِ ذلك يصيرُ شاربُ الخمرِ شُجاعاً كالأَسدِ ، وقويّاً كالدُّبِّ ، وغَضْبَانَ كالنَّمِرِ ، ومُحْدِثاً كابنِ آوى ، ومُقاتلاً كالكلبِ ، وَمُتَمَلِّقاً كالثَّعلبِ ، وَمُصَوِّتاً كالدِّيك ، فَحُرِّمَتِ الخمرُ على قومِ نوحٍ .

ونوحٌ : اسمه عبد الجبَّار ، وإِنَّما سُمِّيَ نوحاً لِنَوْحِهِ على ذُنوبِ أُمَّتِهِ ، وأَخُوهُ صابىء بن لامَك ، وإِليه يُنسبُ دينُ الصَّابئين فيمَا ذكروا ، والله أَعلمُ .

● **تذنيبٌ** : كان أَبو مُسْلم الخُراسانيُّ ، واسمُه عبدُ الرَّحمن بن مُسلم[1] بعدَ فَراغِهِ من أَمْرِ بَني أُميَّة ، يُنشدُ كلَّ وقتٍ[2] : [من البسيط]

أَدْرَكْتُ بالحَزْمِ والكِتْمَانِ ما عَجَزَتْ ... عَنْهُ مُلوكُ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ حَشَدوا

ما زلْتُ أَسْعى بجَهْدي في دَمارِهِمُ ... والقَوْمُ في غَفْلَةٍ بالشَّام قَدْ رَقَدُوا

حتَّى ضَرَبْتُهُم بالسَّيْفِ فانْتَبَهوا ... مِنْ نَوْمَةٍ لَمْ يَنَمْهَا قَبْلَهُمْ أَحَدُ

وَمَنْ رَعَى غَنَماً في أَرْضِ مَسْبَعَةٍ ... وَنامَ عَنْها ، تَوَلَّى رَعْيَها الأَسَدُ

● قال ابنُ خلّكان في ترجمته[3] : وكان أَبو العبّاس السَّفَّاح شديدَ التَّعظيم لأَبي مُسْلمٍ ، لما صنعَه وَدبَّرَهُ ؛ فلمَّا مات السَّفَّاح ووَليَ أَخوهُ المنصور ، صدَرَت من أَبي مسلمٍ أَشياءَ أَوْغَرَتْ صَدْرَ المنصورِ عليه ، وهَمَّ بقَتله ، وبقي حائراً بيْنَ الاستبْدادِ برأْيِهِ في أَمرِهِ والاسْتِشَارَةِ ، فقال يوماً لِسَلْم بن قُتَيْبة :

---

(١) وقيل : عثمان ، وقيل : إِبراهيم بن عثمان . وانظر ترجمته في : وفيات الأَعيان ٣/ ١٤٥ وسير أَعلام النبلاء ٦/ ٤٨ والوافي بالوفيات ١٨/ ٢٧١ . . .

(٢) الأَبيات في : تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٨ ووفيات الأَعيان ٢/ ١٥٢ وكامل ابن الأَثير ٥/ ٤٨٠ والسِّير ٦/ ٥٣ والوافي ١٨/ ٢٧٤ والتذكرة الحمدونية ٣/ ١٥٣ والمحاسن والمساوىء ٢/ ٨٢ والمستطرف ٢/ ٢٩ .

(٣) ابن خلِّكان ٣/ ١٥٢ وما بعد بتصرف .

ما تَرى في أَمر أَبي مُسلم ؟ فقال : يا أَميرَ المؤمنين ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، فقال : حَسْبُكَ يا ابن قُتيبة ، لقد أَودعتها أُذُناً واعيةً ؛ ولم يزلْ المنصورُ يخدعهُ حتى أَحضَرَهُ إِليه ، والمنصورُ بالمدائنِ ، فأَمر بإِدخالهِ عليه ، وكان المنصورُ قد رَتَّبَ جماعةً لقتله ، وقال لهم : إِذا رأَيتموني قد مَسَحْتُ بيَدي وَجْهي فاضْرِبُوهُ ، فلمَّا أُدخل عليه أَخذَ المنصورُ يُقَرِّعُه بما صدَرَ منه ، ثمَّ مسحَ وَجهَه ، فبادَرُوه ، فصاحَ : اسْتَبْقِني لأَعدائِكَ يا أَميرَ المؤمنين ؛ فقال له المنصورُ : وأَيُّ عدوٍّ أَعدى منكَ يا عدُوَّ الله ؛ فلمَّا قُتل هاجَ أَصحابه ، فأَمرُ المنصورُ بنَثْرِ الدَّراهمِ والدَّنانير عليهم ، فسَكنوا ، ورَمى برأسِهِ إِليهم ، ثمَّ أُدرجَ في بساطٍ ، فدخلَ على المنصور جعفَرُ بن حنظلة ، فرأَى أَبا مسلمٍ في البِساطِ ، فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، عُدَّ هذا اليومَ أَوَّلَ خِلافتكَ ؛ فأَنشد المنصورُ متمثِّلاً[١] : [من الطويل]

فأَلْقَتْ عَصاها واسْتَقَرَّ بِها النَّوى ... كَما قَرَّ عَيْناً بالإِيابِ المُسافِرُ

ثمَّ أَقبل المنصورُ على مَنْ حَضره ، وأَبو مُسلمٍ طَريحٌ بَيْنَ يديْهِ ، وأَنشدَ[٢] : [من السريع]

زَعَمْتَ أَنَّ الدَّيْنَ لا يُقْتَضَى ... فاسْتَوْفِ بالكَيْلِ أَبا مُجْرِمِ
اشْرَبْ بِكأْسٍ كُنْتَ تَسْقي بِها ... أَمَرَّ في الحَلْقِ مِنَ العَلْقَمِ

وكان يُقال له : أَبو مُجرمٍ أَيضاً ؛ وفيه يقولُ أَبو دُلامة[٣] : [من الطويل]

أَبا مُجْرِمٍ ما غَيَّرَ اللهُ نِعْمَةً ... على عَبْدِهِ حتَّى يُغَيِّرَها العَبْدُ

---

(١) البيت لمعقّر بن حمار البارقي في المؤتلف والمختلف للآمدي ١٢٨ . ونسب إِلى الأَحمر بن سالم المزني في بهجة المجالس ١/ ٢٢٨ . وسيرد بتخريجٍ أَوفىٰ في (الإِوزّ) .

(٢) هما للمنصور في مصادر ترجمة أَبي مسلم .

(٣) ديوانه ٤٢ .

أَفِي دَوْلَةِ المَنْصُورِ حاوَلْتَ غَدْرَةً ... أَلا إِنَّ أَهْلَ الغَدْرِ آباؤكَ الكُرْدُ

أَبا مُجْرِمٍ خَوَّفْتَني القَتْلَ فانْتَحى ... عَلَيْكَ بِمَا خَوَّفْتَني الأَسَدُ الوَرْدُ

ولمَّا قَتَلَهُ المنصورُ ، خطبَ النَّاسَ ، فذكَر أَنَّ أَبا مُسلمٍ أَحسَنَ أَوَّلاً وأَساءَ آخراً ، ثمَّ قال في آخرِ خُطبته : وما أَحسنَ ما قال النَّابغةُ الذُّبيانيُّ للنُّعمان بن المُنذِرِ[1] : [من البسيط]

فَمَنْ أَطَاعَكَ فانْفَعْهُ لِطَاعَتِهِ ... كَمَا أَطَاعَكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ

وَمَنْ عَصاكَ فَعاقِبْهُ مُعاقَبَةً ... تَنْهى الظَّلومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ

والضَّمَدُ : بفَتح الضَّاد المُعجمةِ والميم : الحِقْدُ .

وكان قتلُه في شَعبان ، سنة ستٍّ أَو سبعٍ وثلاثين ومئة .

قال ابنُ خلّكان وغَيرهُ[2] : وكان أَبو مُسلمٍ قد سَمع الحديثَ ، ورُوِيَ عنه ؛ وأَنَّه خطبَ يوماً فقامَ إِليهِ رجلٌ ، فقال : ما هذا السَّوادُ الذي أَراهُ عليكَ ؟ فقال أَبو مُسلمٍ ؛ حدَّثني أَبو الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ مكَّةَ يومَ الفَتْحِ ، وعلى رأسِهِ عِمامةٌ سَوداءُ » .

وهذه ثيابُ الهَيْبَةِ وثيابُ الدَّولة ؛ يا غُلام ، اضربْ عُنقه .

قلتُ : حديثُ جابرٍ هذا في « صحيح مسلم »[3] .

قال ابن الرِّفْعَة : وفي الحديثِ الصَّحيح : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ صعدَ المنبرَ ، وعلى رأسِهِ عِمامةٌ سَوداءُ قد أَرخَى طَرَفَها بينَ كَتفيه » . وهو أَيضاً في « صحيح مُسلمٍ »[3] .

قال ابن الرِّفْعَة : ومن ثمَّ شِعارُ بني العبَّاس في الخُطْبةِ السَّوادُ . اهـ .

---

(١) ديوانه ١٣ ـ ١٤ .

(٢) لم يذكر ابن خلّكان شيئاً عن روايته الحديث ؛ وما سيأتي ذكره الذهبي في السِّير ٦/ ٥٠ ـ ٥١ .

(٣) صحيح مسلم (١٣٥٨) و(١٣٥٩) .

قيل : أُحصيَ مَنْ قتلهُ أَبو مُسلمٍ صَبْراً ، وفِي حُروبه ، فكانوا ست مئة أَلفٍ .

واختُلفَ في نَسَبِهِ ، فقيل : من العَربِ ، وقيل : من العَجَم ، وقيل : من الأَكرادِ .

ورُوي : أَنَّه قيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله : أَبو مُسلمٍ خيرٌ أَم الحجَّاجُ ؟ فقال : لا أَقولُ : إِنَّ أَبا مُسلمٍ كان خَيْراً من أَحدٍ ، ولكنْ كان الحجَّاج شَرّاً منه . اهـ .

وكان أَبو مُسلمٍ فَصيحاً ، عالِماً بالأُمورِ ، ولم يُرَ قطُّ مازحاً ، ولم يظهرْ عليه سُرورٌ ولا غَضَبٌ ، ولا يأْتي النِّسَاءَ إِلاَّ مَرَّةً واحدةً في السَّنةِ ؛ وكان يقولُ : الجِماعُ جُنونٌ ، ويكفي الإِنسانَ أَن يُجَنَّ في السَّنَةِ مَرَّةً واحِدةً .

ورُوي أَنَّهُ قيل لأَبي مُسلمٍ : ما كان سببُ خُروجِ الدَّولةِ عن بَني أُمَيَّة ؟ قال : لأَنَّهُم أَبْعدوا أَولياءهم ثقةً بهم ، وأَدْنَوا أَعداءَهم تأَلُّفاً لهم ، فلم يَصِر العدوُّ صديقاً بالدُّنُوِّ ، وصار الصَّديقُ عدوّاً بالإِبعادِ .

وكان أَبو مُسلمٍ مُميتَ دولةِ بني أُمَيَّة ، ومُحيي دولةِ بني العبَّاس .

● وذكر ابنُ الأَثير وغيره(١) : أَنَّ أَبا جعفر المنصور لمَّا حاصَرَ ابنَ هُبيرةَ ، قال : إِنَّ ابنَ هُبيرةَ يُخَنْدِقُ على نَفْسِهِ مثلَ النِّساءِ ؛ فبَلَغَ ذلكَ ابنَ هُبيرة ، فأَرسل إِليه : أَنتَ القائلُ كذا وكذا ؟ فابْرُزْ إِليَّ لِتَرَى ؛ فأَرسلَ إِليه المنصورُ ، ما أَجِدُ لي ولك مَثَلاً في ذلك إِلاّ كأَسَدٍ لَقِيَ خِنْزيراً ، فقال له الخنزيرُ : بارِزْني ؛ فقالَ لَهُ الأَسَدُ : ما أَنْتَ لي بِكُفْءٍ ، فإِن نالَني منكَ سُوءٌ ، كان ذلك عاراً عليَّ ، وإِنْ قَتَلْتُكَ قتلتُ خِنزيراً ، فلم أَحصلْ على حَمْدٍ ، ولا في قَتْلِي

---

(١) الكامل في التاريخ ٦/ ٣١ وتاريخ الطبري ٨/ ٧٨ ووفيات الأَعيان ٦/ ٣١٨ .

لكَ فخرٌ ؛ فقال له الخِنْزيرُ : إن لَمْ تُبارزني لأُعَرِّفَنَّ السِّباعَ أَنَّكَ جَبُنْتَ عَنِّي ، فقال الأَسدُ : احتمالُ عارِ كَذِبكَ أَيْسَرُ من تَلَطُّخِ بَراثِنِي[1] بِدَمِكَ .

● **الحكم** : قال الشَّافِعِيُّ وأَبو حَنيفة وأَحمد وداود والجُمهُور : يُحَرَّمُ أَكلُ الأَسَدِ ، لما رَوى مُسلم في « صحيحه » أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال[2] : « كلُّ ذي نابٍ من السِّباعِ فأَكْلُهُ حَرامٌ » .

قال أَصحابُنا : المُرادُ بذي النَّابِ مَا يَتَقَوَّى بِنابِهِ ويَصْطَادُ .

وفي « الحَاوِي » للماوَردي : قال الشَّافعي : إِنَّه مَا قَوِيَتْ أَنيابُهُ ، فَعَدا بِها على الحيوانِ طالِباً غيرَ مَطلوبٍ ، فكَأَنَّ عَدْوَهُ بأَنيابِهِ عِلَّةُ تَحريمِه .

وقالَ أَبو إِسحاق المَرْوَزيّ : هو مَا كانَ عَيْشُهُ بأَنيابِهِ ، فإِنَّ ذلك عِلَّةُ تَحريمِهِ .

وقال أَبو حَنيفة : هو ما افترسَ بأَنيابِهِ ، وإِن لَمْ يَبْتَدىء بالعَدْوِ ، وإِن عاشَ بغيرِ أَنيابهِ .

فهذه ثلاثُ عِللٍ ؛ أَعَمُّها عِلَّةُ أَبي حَنيفة ، وأَوسطُهَا عِلَّةُ الشَّافعيّ ، وأَخَصُّها عِلَّةُ المَرْوَزيّ .

● فَعلى العِلَّتَيْنِ الأُولِيَيْنِ يَحلُّ الضَّبُعُ ، لأَنَّهُ يتناومُ حتَّى يُصْطَادَ ؛ وتَحِلُّ السَّنَانيرُ على قولِ الشَّافعيّ ، لأَنَّها لم تتقوَّ بأَنيابها ، وتكونُ مطلوبةً لِضَعْفِها ؛ لكنْ قد صَحَّحَ الأَصحابُ تَحريمَها كما سيَأتي إِنْ شاء اللهُ تعالى في باب السِّين المُهملة . ويَحلُّ ابنُ آوى على ماعَلَّله الشَّافعيُّ ، لأَنَّهُ لا يَبتدىءُ بالعَدْوِ ، ويُحَرَّمُ على مَا علَّلَهُ المَرْوَزِيُّ لأَنَّهُ يعيشُ بنابِهِ ؛ وهذا هو الأَصَحُّ كما سيَأْتي قريباً إِن شاءَ اللهُ تعالى .

---

(١) في ط : راحتي بدمك . والمثبت من أ وهو مطابق لنص ابن خلّكان مصدر المؤلف .

(٢) البخاري ٧/ ٣٣ ومسلم (١٩٣٢) وأبو داود (٤٦٠٤) و(٣٨٠٢) والترمذي (١٤٧٧) .

وقال مالكٌ : يُكْرَهُ أَكلُ كلِّ ذي نابٍ من السِّباعِ ولا يُحَرَّمُ ؛ واحتجَّ مالكٌ بقوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] الآية .

واحتجَّ أَصحابُنا بالحديثِ المذكورِ ، قالوا : والآيةُ ليس فيها إلاَّ الإِخبارُ بأَنَّهُ لم يَجِدْ في ذلك الوقتِ مُحَرَّماً إلاَّ المذكوراتِ في الآيةِ ، ثمَّ أُوحِيَ إِليهِ بتحريمِ كلِّ ذِي نابٍ من السِّباع ، فوجبَ قَبولُه والعملُ به .

قالَ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ولأَنَّ العربَ لَمْ تأْكُلْ أَسداً ولا ذِئْباً ولا كلباً ولا نَمِراً ولا دُبّاً ، ولا كانت تأْكُلُ الفأْرَ ولا العقارِبَ ولا الحَيّاتِ ولا الحِدأَةَ ولا الغِرْبَانَ ولا الرَّخَمَ ولا البُغاثَ ولا الصُّقُورَ ولا الصَّوائدَ من الطَّيْرِ ، ولا الحَشَراتِ .

وأَمَّا بيعُ الأَسَدِ : فلا يَصحُّ ، لأَنَّهُ لا يُنتفعُ به ، وحَرَّمَ اللهُ أَكْلَ فَرِيسَتِهِ .

● **الأَمثالُ** : لمَّا كانَتِ العربُ أَكْثَرُ أَمثَالِها مَضروبَةٌ بالبهائِمِ ، فلا يَكادُونَ يُذَمُّونَ ولا يُمْدَحُونَ إلاَّ بِذَلِكَ ، لأَنَّهُم جَعلوا مَساكنَهم بينَ السِّبَاعِ والأَحْناشِ والحَشراتِ ، فاستعمَلوا التَّمثيلَ بها ؛ لذلك روى الإمامُ أَحمدُ بإِسْنادٍ حَسَنٍ ، والحسنُ بن عبد الله بن سعيد العسكريّ ، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، قال[١] : حَفظتُ من رسولِ الله ﷺ أَلْفَ مَثَلٍ . فلذلك ذكر العسكريُّ في كتابه « الأَمثال » أَلفَ حديثٍ مُشتملةً على أَلفِ مَثَلٍ من كلامِ النَّبيِّ ﷺ[٢] .

فَممَّا يَخُصُّ الأَسَدَ من ذلك أَنَّهم قالوا : أَكرمُ من الأَسَدِ ، وأَبْخرُ من الأَسَدِ ، وأَكبرُ من الأَسَدِ ، وأَشْجَعُ من الأَسَدِ ، وأَجْرَأُ من الأَسَدِ[٣] ؛ وضربوا

---

(١) لم أَقف على هذا القول في مسند أَحمد ، ولا في جمهرة الأَمثال للعسكري .

(٢) وهذا أَيضاً لم يرد في جمهرة العسكري ! .

(٣) انظر ثمار القلوب ١/ ٥٦٩ وما بعد .

المَثَلَ بالخَوفِ من الأَسَدِ . قال مَجنون ليلى ، واسمه عامر بن قيس[1] ، على خِلافٍ فيه[2] : [من الطَّويل]

يَقُولُونَ لي يوماً وقد جِئْتُ حَيَّهُمْ   وفـي بـاطِنـي نـارٌ يُشَـبُّ لَهِيبُهـا :
أَمَا تَخْتَشِي من أُسْدِنا ؟ فأَجَبْتُهُمْ :   هَـوى كُـلِّ نَفْـسٍ أَيْـنَ حَـلَّ حَبيبُهـا

وضَربوا المثَلَ أَيضاً بأُسْدِ الشَّرى ، وهو طريقٌ بسَلمى كثيرةُ الأُسْدِ . قال الفرزدق[3] : [من الطَّويل]

وإِنَّ الـذي يَسْعَـى لِيُفْسِـدَ زَوْجَتِـي   كَسَـاعٍ إِلـى أُسْـدِ الشَّـرى يَسْتَبيلُهـا

قيل : معنى يستبيلُها : يأخذُ أَولادَها[4] .

● وتُنْسَبُ إِلى الفَرزدقِ مَكْرُمَةٌ يُرْجى له بها الجَنَّةَ ؛ وهي أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ هِشام بن عبدِ الملك في أَيَّام أَبيهِ ، طافَ بالبيتِ ، وجَهِدَ أَنْ يَصِلَ إِلى الحجرِ الأَسودِ ليستلمَه ، فلم يقدرْ على ذلك لِكَثرةِ الزِّحَامِ ، فَنُصِبَ له كرسيٌّ ، وجلسَ عليه ينظرُ إِلى النَّاسِ ، ومعه جماعةٌ من أَعيانِ أَهل الشَّامِ ، فبينَما هو كذلك إِذْ أَقبلَ زيْنُ العابدِين عليُّ بن الحسين بن عليّ رَضِيَ اللهُ تَعالى عَنْهُم ، وكان مِن أَجملِ النَّاسِ وَجْهاً ، وأَطْيَبِهم أَرَجاً ؛ فَطَافَ بِالبيتِ ، فلمَّا انتهى إِلى الحجرِ تَنَحَّى لهُ النَّاسُ حتَّى استلمَ الحجرَ ، فقال رجلٌ من أَهْلِ الشَّام لهشام : مَن هذا الذي هابَهُ النّاسُ هذه الهيبةُ ؟ فقال هشامٌ : لا أَعرفُه ؛ مَخَافة أن يرغَب فيه أَهلُ الشّامِ ، وكان الفرزْدقُ حاضراً ، فقال : أَنا أَعرفُه ، فقال الشَّاميُّ : مَن

---

(١) لم يقل بهذا أَحدٌ ، واسمه ـ على الصَّحيح ـ قيس بن الملوّح ؛ وقيل : مهدي . (الأَغاني ٢/ ١-) .

(٢) ديوان المجنون ٧٣ .

(٣) ديوانه ٢/ ٦١ .

(٤) كذا ! ! . قال في اللِّسان (بول) بعد إِيراد البيت : أَي يأخذُ بَولَها في يدِهِ .

هو يا أَبا فِراس ؟ فقال الفرزدقُ[1] : [من البسيط]

هَــذَا ابْــنُ خَيْــرِ عِبــادِ اللهِ كُلِّهِــمُ ... هَــذا التَّقِــيُّ النَّقِــيُّ الطّـاهِـرُ العَلَـمُ
هـذا الـذي تَعْـرِفُ البَطْحَـاءُ وَطْأَتَـهُ ... والبَيْـتُ يَعْـرِفُـهُ والحِـلُّ والحَـرَمُ[2]
إِذَا رَأَتْـهُ قُـرَيْـشٌ قـالَ قـائِلُهـا : ... إِلـى مَكـارِمِ هَـذَا يَنْتَهِـي الكَـرَمُ
يَنْمي إِلى ذِرْوَةِ العِزِّ التي قَصُرَتْ ... عـن نَيْلِها عَـرَبُ الإِسْلاَمِ والعَجَـمُ
يَكــادُ يُمْسِكُــهُ عِــرْفــانُ رَاحَتِــهِ ... رُكْـنُ الحَطِيـمِ إذا مَـا جـاءَ يَسْتَلِـمُ
فــي كَفِّــهِ خَيْــزُرَانٌ رِيْحُــهُ عَبِــقٌ ... مِـنْ كَـفِّ أَرْوَعَ فـي عِـرْنِينِـهِ شَمَـمُ
يُغْضِـي حَيـاءً ويُغْضَـى مِـن مَهَـابَتِـهِ ... فَمــا يُكَلَّــمُ إِلاَّ حِيْــنَ يَبْتَسِــمُ
يَنْشَـقُّ نُـورُ الهُـدى مِـن نُـورِ غُـرَّتِـهِ ... كالشَّمْسِ يَنْجَابُ عن إِشْرَاقِها القَتَمُ[3]
مُشْتَقَّــةٌ مــن رَسُــولِ اللهِ نَبْعَتُــهُ ... طـابَـتْ عَنـاصِـرُهُ والخِيْـمُ والشِّيَـمُ
هـذا ابْـنُ فـاطِمَـةٍ إِنْ كُنْـتَ جـاهِلَـهُ ... بِجَــدِّهِ أَنْبِيــاءُ اللهِ قَــد خُتِمُــوا

---

(١) الخبر والقصيدة في : الأغاني ٢١/ ٣٧٦ والمناقب والمثالب ٢١٥ ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٤٧ ووفيات الأَعيان ٦/ ٩٥ وأَمالي المرتضى ١/ ٦٧ و٦٩ والمنتخب من كتاب الشّعراء لأَبي نعيم ٢٩ ـ ٣٠ وزهر الآداب ١/ ٦٥ والخزانة ١١/ ١٦١ وشرح أَبيات مغني اللبيب ٥/ ٣١١ والحيوان ٣/ ١٣٣ وشرح الحماسة للمرزوقي ٤/ ١٦٢١ وثمرات الأَوراق ٣٠٥ وغربال الزّمان ١٠٦ وإعلام النّاس ١٠٢ وديوان الفرزدق ٢/ ١٧٨ (صادر) .
قال أَبو الفرج ٥/ ٣٢٧ : من النّاس مَن يروي هذه الأَبيات لداود بن سلْم في قثم بن العبّاس ، ومنهم مَن يرويها لخالد بن يزيد فيه ، والصَّحيح أَنّها للحزين [الدِّيلي] في عبد الله بن عبد الملك . . . ومن النّاس مَن يقول : إِنَّ الحزين قالها في عبد العزيز بن مروان .
وقال في زهر الآداب ١/ ٦٧ : ويقال : بل قالها في عليّ بن الحسين ، اللَّعينُ المنقري .
ونسبها الآمدي في المؤتلف والمختلف ٢٥٥ إِلى كثير بن كثير السّهميّ ، نقلاً عن دعبل .
وانظر العمدة ٢/ ٨١١ ـ ٨١٢ .
قال الحصري : وليقُلْهُ من شاء ، فقد أَحسن ما شاء ، وأَجاد وزاد .
(٢) في أ : × . . . والركن والحرم . وفي هامشه : خ والحجر .
(٣) في أ : × كالشّمس ينحاز . . .

اللهُ شَـــرَّفَـــهُ قِـــدْمـــاً وَعَظَّمَـــهُ جَـرى بِـذاكَ لَـهُ فـي لَـوْحِـهِ القَلَـمُ

وَلَيْسَ قَوْلُكَ : مَنْ هذا ؟ بِضائِرِهِ العُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ والعَجَمُ

كِلْتَـا يَـدَيْـهِ غِيـاثٌ عَـمَّ نَفْعُهُمـا تُسْتَـوْكَفَـانِ ولا يَعْـرُوهُمـا عَـدَمُ

سَهْـلُ الخَلِيقَـةِ لا تُخْشَـى بَـوادِرُهُ يَـزِيْنُـهُ اثْنَـانِ حُسْنُ الخَلْقِ والشِّيَمُ

حَمَّـالُ أَثْقـالِ أَقْـوامٍ إِذا افْتُـدِحـوا حُلْـوُ الشَّمـائِـلِ يَحْلُـو عِنْدَهُ نَعَـمُ[(١)]

مـا قـالَ لا قَـطُّ إِلاَّ فـي تَشَهُّـدِهِ لَـوْلا التَّشَهُّـدُ كـانَـتْ لاءَهُ نَعَـمُ

عَـمَّ البَـرِيَّـةَ بـالإِحْسَـانِ فـانْقَشَعَـتْ عَنْهَا الغَيَاهِبُ والإِمْلاَقُ والعَدَمُ[(٢)]

مِـن مَعْشَـرٍ حُبُّهُـمْ دِيْـنٌ ، وبُغْضُهُـمْ كُفْـرٌ ، وقُـرْبُهُـمْ مَنْجَـى وَمُعْتَصَـمُ

إِنْ عُـدَّ أَهْـلُ التُّقَـى كـانُـوا أَئِمَّتَهُـمْ أَو قِيلَ : مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ قيلَ : هُمُ

لا يَسْتَطِيـعُ جَـوادٌ بُعْـدَ غـايَتِهِـمْ ولا يُـدَانِيهِـمُ قَـوْمٌ وإِنْ كَـرُمُـوا

هُـمُ الغُيُـوثُ إِذا مَـا أَزْمَـةٌ أَزَمَـتْ والأُسْدُ أُسْدُ الشَّرى والبَأْسُ مُحْتَدِمُ

لا يُنْقِصُ العُسْـرَ بَسْطـاً مِـنْ أَكُفِّهِـمُ سِيَّـانَ ذلـكَ إِن أَثْـرَوا وإِنْ عَـدِمُـوا

مُقَـدَّمٌ بَعْـدَ ذِكْـرِ اللهِ ذِكْـرُهُـمُ فـي كُـلِّ بَدْءٍ وَمَخْتُـومٌ بِـهِ الكَلِـمُ[(٣)]

أَيُّ الخَـلائِـقِ لَيْسَـتْ فِـي رِقـابِهِـمُ لأَوَّلِيَّـــةِ هَـــذَا أَوَّلُـــهُ نِعَـــمُ

مَـــنْ يَعْـــرِفِ اللهَ يَعْـــرِفْ أَوَّلِيَّـــةَ ذا فالدِّيْنُ مِنْ بَيْتِ هذا نالَهُ الأُمَمُ

فغضبَ هشامٌ على الفرزدَقِ ، وأَمَرَ بحَبْسِه ، فَأَنفَذَ لهُ زينُ العَابِدِين اثنَيْ عَشَرَ أَلف درهمٍ ، فَرَدَّهَا ، وقالَ : مَدَحْتُهُ للهِ تعالى لا لِلعَطَاءِ ؛ فأَرسَلَ إِليه زَيْنُ العابدين ، وقال له : إِنَّا أَهلُ بَيْتٍ إذا وَهَبْنَا شَيئاً لا نَسْتَعِيدُهُ ، واللهُ عزَّ وجلَّ يعلمُ نِيَّتَكَ ويُثِيبُكَ عليها ، فشكرَ الله لكَ سَعْيَكَ ؛ فلمَّا بَلَغَتْهُ الرِّسالَةُ قَبِلَها .

---

(١) في أ : . . . إذا فُدحوا × .

(٢) في أ : × عنها الغاية ! [= الغياية]

(٣) في أ : × . . . الحكم .

● والفرزدق[1] : اسمه همَّام بن غالبٍ ، والفرزدقُ لَقبٌ غَلَبَ عليهِ ؛ والفَرزدقُ قِطَعُ العَجينِ ، والواحدةُ فَرَزْدَقَةٌ ، وإنَّما لُقِّبَ بِهِ لأَنَّهُ أَصابَهُ جُدَرِيٌّ وبَرِىءَ منه ، فبقيَ وَجْهُهُ جَهْماً مُحْمَرَّاً مُنْتَفِخاً ؛ وقيل : لُقِّبَ بِهِ لِغِلَظِهِ وقِصَرِهِ .

● قال ابن خلّكان[2] : ومحمَّد بن سُفيان ، أَحد أَجدادِ الفَرزدقِ ، هو أَحَدُ الثَّلاثةِ الذين سُمُّوا بمحمَّدٍ في الجاهليَّةِ ، فإِنَّه لا يُعرفُ أَحدٌ سُمِّيَ بهذا الاسم قبلَه ﷺ إلاَّ ثلاثةٌ ، كان آباؤُهم قد وَفَدُوا على بعضِ المُلوكِ ، وكان عندَه عِلْمٌ من الكِتابِ الأَوَّلِ ، فأَخبرهم بمبعَثِ النَّبيِّ ﷺ وباسمِهِ ، وكان كلٌّ منهم قد خَلَّفَ زَوجتَه حامِلاً ، فنذَرَ كلٌّ منهم إنْ وُلِدَ له ذَكَرٌ أَن يُسَمِّيَهُ محمَّداً ، ففعلوا ذلك ؛ وهم : محمَّد بن سُفيان بن مُجاشع [جدُّ] الفَرزدَقِ ، والآخر : محمَّد بن أُحَيْحَة بن الجُلاح ، أَخو عبد المطَّلب لأُمِّهِ ، والآخَر محمَّد بن حُمران من ربيعة .

وأَمَّا أَحمد ، فلم يَتَسمَّ بِهِ أَحَدٌ قبلَه ﷺ .

● **فائدة** : قال ابن أبي حاتم[3] : حدَّثَنا أَبي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدَّثنا اللَّيْثُ ، قال : حدَّثني هشام بن سعدٍ ، عن زَيد بنِ أَسلم ، عن أَبيه ، أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال : « لمَّا حَمَلَ نُوحٌ عليه السَّلام في السَّفِينَةِ من كلٍّ زوجينِ اثنينِ ، قال له أَصحابُه : وكيفَ نَطمئنُّ أَو تَطمئنُّ مَواشينا ، ومَعنا الأَسَدُ ؟ فسلَّطَ الله عليه الحُمَّى ، فكانت أَوَّل حُمَّى نزلَت في

---

(١) عن ابن خلّكان ٦/ ٩٩ .

(٢) وفيات الأَعيان ٦/ ٩٨ والمعارف ٥٥٦ والمحبَّر ١٣٠ وهواتف الجنان ٧٠ وتاريخ دمشق ٤٧/ ١٠٣ ومختصره ١٦/ ٥٠٣ والمجالسة ٤/ ١٤١ وطبقات ابن سعد ١/ ١٤٣ ، وفي حاشية الهواتف مزيد تخريج ؛ وفي أَسماء الأَربعة خلاف .

(٣) البداية والنهاية ١/ ٢٦١ والمستطرف ٢/ ٤٣٦ ، بنصِّه .

الأَرضِ ، فهو لا يزالُ مَحموماً ؛ ثمَّ شَكَوا الفأْرَةَ ، فقالوا : الفُوَيْسِقَةُ تُفسدُ علينا طَعامَنا وشَرابَنا ومَتاعَنا ؛ فأَوحى اللهُ تعالى إِلى الأَسَدِ فعطسَ ، فخرجَتِ الهِرَّةُ منه ، فتَخَبَّأَتِ الفَأْرَةُ منها » . وهذا مُرسَلٌ .

● وفي « الحلية » لأَبي نُعيمٍ ، في تَرجمةِ وهب بن مُنَبِّه ، أَنَّهُ قال[1] : لَمَّا أُمِرَ نُوحٌ عليهِ السَّلامُ أَن يحملَ من كلٍّ زوجينِ اثنين ، قال : يا ربّ ، كيفَ أَصنعُ بالأَسدِ والبَقرِ ؟ وكيف أَصنعُ بالعَناقِ والذِّئْبِ ؟ وكيفَ أَصنعُ بالحَمامِ والثَّعلب ؟ فأَوحى الله تعالى إِليه : مَنْ أَلقى بَيْنَهم العداوة ؟ فقال : أَنتَ يا ربّ ؛ قال عزَّ وجلَّ : فإِنِّي أُؤَلِّفُ بينَهم فلا يتَضرَّرون .

● **الخواصّ** : قال عبدُ الملك بن زُهْرٍ ، صاحبُ « الخواصِّ المُجَرَّبَة »[2] : مَنْ لَطَّخَ بشَحمِ الأَسدِ جميعَ بَدَنِهِ ، هربَت منهُ السِّباعُ ، ولم يَنَلْهُ منها مَكروهٌ .

وصَوتُه يقتلُ التَّماسيحَ إِذا سمعَته .

ومَرارَةُ الذَّكَرِ منهُ تحلُّ المعقودَ عن النِّساء ، إِذا سُقِيَ منها في بَيضةٍ في مُستهلِّ الشَّهر .

ومَنْ عُلِّقَ عليه قطعةٌ من جِلدِهِ بشَعْرِها ، أَبْرَأَتْهُ من الصَّرَعِ قبلَ البُلُوغِ ؛ فإِنْ كانَ الصَّرَعُ قد أَصابَهُ بعدَه لمْ تَنْفَعْه .

وإِذا أُحرِقَ من شَعرِهِ في مكانٍ ، هربَت منه سائرُ السِّباعِ .

ولحمُه ينفعُ من الفالج .

وإِذا وُضِعَتْ قطعةٌ من جِلدهِ في صُنْدُوقٍ مع ثيابٍ ، لَمْ يُصِبْها السُّوسُ ولا الأَرَضَةُ .

---

(١) حلية الأَولياء ٤/ ٤٣ .

(٢) بعضه في المستطرف ٢/ ٤٣٧ وعجائب المخلوقات ٢٥٥ وتذكرة الأَنطاكي ١/ ٤٥ .

وسِنُّهُ إذا اسْتَصْحَبَها إنسانٌ معهُ ، أَمِنَ من وَجَعِ الأَسْنانِ .

وشَحْمُهُ إذا طُلِيَ به اليَدَانِ والرِّجلانِ ، أَمِنَتْ من مَضَرَّةِ البَرْدِ ، وإذا طُلِيَ بِهِ البَدَنُ لَمْ يَقْرَبْهُ القَمْلُ .

وذَنَبُهُ إذا اسْتَصْحَبَهُ إنسانٌ لا تُؤثِّر فيه حِيلَةُ مُحتالٍ .

وقالَ هِرْمِس : الجلوسُ على جِلْدِ الأَسَدِ ، يُذْهِبُ البَواسِيرَ والنِّقْرِسَ .

قال : ومن أَخذَ من شَحمِ جَبهته ، وذَوَّبَهُ بِدُهْن وَرْدٍ ومسحَ بِهِ وَجهه ، هابَهُ المُلوكُ وجميعُ النَّاس .

وقال الطَّبريُّ : الاكتحالُ بمرارَةِ الأَسَدِ ، يُحِدُّ البَصَرَ .

قال : ومَرارةُ الأَسَدِ ، إذا سُقِيَ منها وزنُ دانِقٍ لليَرَقان بماءِ بِزْرِ قَطونا ونَعناعٍ ، نفعَ نَفعاً بَيِّناً .

وخُصْيَتُهُ إذا مُلِّحَتْ بِبَوْرَقٍ أَحمر ومُصْطَكى ، وجُفِّفَت وسُحِقَتْ ، وخُلِطَتْ بِسَويقٍ ، وشُربتْ ، نفعَت من جميع الأَوجاعِ التي في الجوفِ ، مثل المَغْصِ والقُولَنْجِ والبواسيرِ والزَّحيرِ ووَجَعِ الأَرحام ؛ وتُشْرَبُ بماءٍ حارٍّ على الرِّيقِ .

ودماغُ الأَسَد يُدافُ بزيتٍ عتيقٍ ، ويُدْهَنُ به الاختلاجُ والارتعاشُ ، يُذْهبُهما .

ومَن دَهَنَ وَجهه وجميعَ بَدَنِهِ بشَحم الأَسَدِ ، ذهبَ عنه الكَسَلُ والفُتورُ ، والكَلَفُ وكلُّ عَيبٍ يكونُ في الوَجْه .

وزِبْلُهُ إذا جُفِّفَ ، وخُلِطَ بِهِ الدَّلوكُ الذي يُتَدَلَّكُ بِهِ ، نفعَ البَهَقَ الظَّاهرَ ، وهو نافعٌ لذلك جدّاً .

وإِن سُقِيَ منه ، أَي من زِبْلِهِ ، إِنسانٌ لا يَصْبِرُ عن الخَمْرِ ، و[هو]

لا يعلمُ بِهِ ، وزنَ دانقٍ ، أَبغَضَهُ حتَّى لا يشربَه ولا يَشْتَهِي أَن يَراهُ .

ومَرارتُه تُداف بالعَسَلِ ، ويُجعلُ منها على الخنازيرِ ، تزولُ .

وشَحمُه إِذا دُقَّ بالثُّومِ ، وطلى بِهِ إِنسانٌ جَسَدَهُ ، لَمْ تَقْرَبْهُ السِّباعُ ، واللهُ أَعلمُ .

● **التَّعبير**[1] : الأَسَدُ في المَنامِ : سُلطانٌ شديدُ البَطْشِ والبَأْسِ ، ظالمٌ ، غاشمٌ ، مجاهرٌ ، متسلِّطٌ بجرأَتِهِ ، لا يأْمَنُهُ صديقٌ ولا عدوٌّ ؛ ويُعَبَّرُ أَيضاً بعدوٍّ مُسَلَّطٍ ، وربَّما دلَّ على المَوْتِ ، لأَنَّهُ يقبضُ الأَرواحَ ؛ وربَّما دَلَّتِ رؤيَتُهُ على عافِيةِ المريضِ .

فَمَنْ رأَى أَسَداً من حيثُ لا يراهُ ، وهربَ منهُ الرَّائِي ، فإِنَّه يَنْجُو ممَّا يَخافُ ، وينالُ حُكْماً وعِلْماً ، لقوله تعالى : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشُّعراء : ٢١] .

فإِنْ كان قد استقبلَه وهربَ منهُ ، نالَ هَمَّاً من ذِي سُلطانٍ ، ثمَّ يَنْجو من الهلاكِ والمرضِ .

ومن رأَى أَنَّ أَسَداً صرعَه ولم يقتلْه ، فإِنَّهُ يُحَمُّ حُمَّى دائمةً ، لأَنَّ الأَسَدَ لا تُفارقُه الحُمَّى كما تقدَّم ، أَو يُسجنُ ، لأَنَّ الحُمَّى سِجْنُ الله تعالى[2] .

وربَّما دلَّت مُصارَعتُه على المرضِ .

ومَن رأَى أَنَّهُ أَخَذَ شيئاً من شَعرِهِ أَو عَظْمِهِ أَوْ لَحْمِهِ ، نالَ مالاً من سُلطانٍ أَو من عدوٍّ .

ومَن رأَى أَنَّهُ ركبَ أَسَداً وهو يَخافُهُ ، فإِنَّهُ يقعُ في بَلِيَّةٍ ، فإِن كان لا يَخافُهُ

---

(١) قارن تعبير الرُّؤيا لابن قتيبة ١٨٧ وتفسير الواعظ ٢٨٥ .

(٢) في ط : سجن المؤمن . والمثبت من أ وهو مطابق لقوله ﷺ : « الحُمَّى سجن الله في أَرضه . . . » . ثمار القلوب ١/ ٩٥ .

قهرَ عدوّاً ؛ فإنْ ضَاجَعَهُ وهو لا يَخافُهُ ، أَمِنَ من عدوِّه .

ومن رأَى أَسَداً يَثِبُ على النَّاسِ ، فإنَّ السُّلطانَ يظلمُ رعيَّتَه .

ومَن رأَى أَنَّهُ أَكَل رأْسَ أَسدٍ ، نالَ مُلْكاً .

ومَنْ رأَى أَنَّهُ يَرعى أَسداً ، فإنَّهُ يُؤاخِي مَلِكاً ظالِماً .

ومَنْ رأَى أَنَّهُ أَخَذَ جَرْوَ أَسَدٍ في حِجره ، فإنَّ امرأَته تضعُ غلاماً إن كانت حامِلاً ، وإلاَّ فإنَّه يَحملُ ولدَ أَميرٍ في حِجره ، كما عبَّرَهُ ابن سيرين رحمه الله .

ومَن رأَى أَنَّ أَسَداً قد زاره ، فإنَّه يمرضُ .

ومَنْ رأَى أَنَّ الأَسَدَ قد قتَله ، فإن كان عبداً فإنَّهُ يُعْتَقُ ، وإلاَّ حصلَ له خوفٌ من سُلطانٍ .

وصوتُ الأَسَدِ يدلُّ على تَهَدُّدٍ من سُلطانٍ .

ومَنْ رأَى أَنَّ أَسَداً يتملَّقُ له ، جرى على يَدْيهِ أُمورٌ عَجيبةٌ ؛ وربَّما دلَّ على قهرِ عدوٍّ ، والله أَعلمُ .

● **تَتمَّة**[١] : قال الإمام الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ[٢] : لو يعلمُ النَّاس ما في علمِ الكلامِ من الأَهواءِ لَفَرُّوا منه فرارهم من الأَسَدِ .

قال في « الإِحياءِ »[٣] : فإن قلتَ : تَعَلُّمُ الجدالِ والكلامِ مَذمومٌ ، كتَعلُّمِ النُّجوم ، أَو هو مُباحٌ ، أَو مَنْدُوبٌ إِليه ؟ فاعلمْ أَنَّ للنَّاسِ في هذا غُلُوّاً وإِسرافاً ؛ فمن قائلٍ : إِنَّه بدْعَةٌ وحَرامٌ ، وإِنَّ العبدَ إِن لقيَ الله تعالى بكلِّ ذَنْبٍ سوى الشِّرْكِ ، خيرٌ لهُ من أَنْ يَلقاهُ بالكَلامِ .

---

(١) في أ : تنبيه .

(٢) المقفى الكبير ٥/ ٣٤٤ .

(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٨٤ .

ومن قائلٍ : إنَّه واجبٌ وفَرْضٌ ، إمَّا على الكِفايَةِ أو فرضُ عَيْنٍ ، وإنَّهُ من أَفضلِ الأَعْمالِ وأَعلى القُرباتِ ، فإنَّه تحقيقٌ لعلمِ التَّوحيدِ ونِضالٌ عن دينِ الله تعالى .

وممَّن ذهبَ إلى التَّحريم : الشَّافعيُّ ، ومالكٌ ، والإمام أَحمَد ، وسُفْيانَ ، وأَهل الحديثِ قاطبةً .

قال ابنُ عبد الأَعلى : سمعتُ الشَّافعيَّ يوم ناظرَ حَفْصاً الفَرد[1] ، وكان من مُتكلِّمي المُعتزلةِ ، يقول : لأَن يلقى اللهَ تباركَ وتَعالى العبدُ بكلِّ ذَنْبٍ مَا خَلا الشِّرْكَ ، خيرٌ له من أَنْ يَلقاهُ بشيءٍ من علمِ الكلامِ .

وقال أَيضاً : قد اطَّلعتُ لأَهلِ الكلامِ على شيءٍ مَا ظَنَنْتُهُ قطُّ ، ولأَنْ يُبتَلى العبدُ بكلِّ ما نَهى الله عنه ما عدا الشِّرْكَ ، خيرٌ له من أَنْ ينظرَ في الكَلامِ .

وحكى الكَرابيسيّ[2] : أَنَّ الشَّافعيَّ سُئلَ عن شيءٍ من الكلامِ ، فغضبَ ، وقال : يُسْأَلُ عن هذا حفص الفَرد وأَصحابه ، أَخزاهم الله .

ولمَّا مرضَ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، دخلَ عليه حفص الفَرْدُ ، فقال له : مَنْ أَنا ؟ فقال : أَنت حفص الفَرْدُ ، لا حفظكَ الله ولا رعاك ، حتَّى تتوبَ ممَّا أَنت فيه .

وقال أَيضاً : إذا سمعتَ الرَّجلَ يقول : الاسمُ هو المُسَمَّى أَو غيرُ

---

(١) في ط : حفص القرد ! تصحيف . وهو أَبو عمرو ـ وقيل : أَبو يحيى ـ وكان من أَهل مصر ، قدم البصرة وناظرَ أَبا الهذيل العلاَّف ؛ كان معتزليّاً ثمَّ قال بخلق الأَفعال ، وصار من كبار المجبّرة ؛ له تصانيف .
(الفهرست ٢٢٩ والمقفى الكبير ٣/ ٦٤٠) .

(٢) هو أَبو عليّ ، الحسين بن علي بن يزيد ، كان إماماً جليلاً ، جامعاً بين الفقه والحديث ، له مصنّفات ؛ توفّي سنة ٢٤٥ هـ . (طبقات الشَّافعيَّة الكبرى ٢/ ١١٧) ويُصحح فيه تاريخ الوفاة .

المُسَمَّى ، فاشهدْ أَنَّه من أَهلِ الكلامِ ، ولا دِيْنَ لَهُ .

وقالَ أَيْضاً : حُكمي في أَهلِ الكلامِ أَنْ يُضرَبُوا بالجَريدِ ، ويُطافَ بهم في العشائرِ والقبائلِ ، ويُقال : هذا جزاءُ مَنْ تركَ الكِتابَ والسُّنَّةَ ، وأَخَذَ في الكلامِ .

وقال الإِمام أَحمد رحمهُ الله : لا يُفلحُ صاحبُ الكلامِ أَبداً ، ولا تكادُ تَرى أَحداً ينظرُ في الكلامِ إِلاَّ وفي قلبِهِ مَرَضٌ؛ وبالَغ في ذَمِّهِ حتَّى هجر الحارِثَ المُحاسبيَّ ، مع زُهدِهِ ووَرَعِهِ ، لِتصنيفِهِ كتاباً في الرَّدِّ على المُبتدعة ، وقال له : وَيحكَ ، أَلستَ تَحكي بِدْعَتَهُم أَوَّلاً ثمَّ تَرُدُّ عليهم ؟ أَلستَ تَحملُ النَّاسَ بتَصنيفِكَ على مُطالعةِ كلامِ أَهلِ البدعةِ والتَّفكُّرِ فيه ، فَيدعوهُم ذلك إِلى الرَّأْي والبَحْثِ ؟ .

وقال أَحمد أَيضاً : عُلماءُ الكلامِ زَنادَقَةٌ .

وقال مالكٌ : لا تَجوزُ شَهادَةُ أَهلِ البِدَعِ والأَهْوَاءِ . قال بعضُ أَصحابه في تأويلِ ذلك : إِنَّه أَرادَ بأَهلِ الأَهواءِ ، أَهْلَ الكَلامِ على أَيِّ مَذْهَبٍ كانُوا .

وقال أَبو يُوسف : مَنْ طَلَبَ العِلْمَ بالكَلامِ تَزَنْدَقَ .

وقد اتَّفقَ أَهلُ الحديثِ من السَّلَفِ على هذا ، ولا يُحْصَرُ ما نُقِلَ عنهم من التَّشديداتِ فيه .

● وأَمَّا[1] الفِرْقَةُ الأُخرى ، فاحتجُّوا بأَنَّ المحظورَ من الكلامِ ، إِن كان هو لَفْظُ الجَوْهَرِ والعَرَضِ ، وهذه الاصطلاحاتِ الغَريبة التي لَمْ يَعْهَدْها الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُم ؛ فالأَمرُ في ذلك قريبٌ ، إِذ مَا من عِلْمٍ إِلاَّ وقد أُحْدِثَ فيه اصْطلاحاتٌ لأَجْلِ التَّفْهِيمِ ، كالحديثِ والتَّفسير و[الفقه] . و[إِن

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٨٥ ـ ٨٦ والزيادات الآتية منه .

جازَ] تصنيفُ الفقهِ مِن وَضْعِ الصُّورِ النَّادِرَةِ التي لا تتَّفقُ إلا على النُّدورِ ، إمَّا إدِّخاراً ليوم وُقوعِها ـ وإن كانَ نادراً ـ أَو تَشْحِيذاً للخاطِرِ ، فنحنُ أَيْضاً نُرتِّبُ طريقَ المحاجَّةِ ، لتوقُّعِ الحاجةِ بثَوَرَانِ شُبْهَةٍ ، أَوْ هَيَجَانِ مُبْتَدِعٍ ، أَو لتشحيذ الخاطِرِ ، أَو لادِّخارِ الحُجَّةِ ، حتّى لا يعجزَ عنها عند الحاجَةِ إليها على البَديهةِ والارتجالِ ، كمن يُعِدُّ السِّلاحَ قبل القِتالِ ليوم القِتالِ .

قال : فإن قلتَ : فما المُختارُ فيه عندكَ ؟ فاعلمْ أَنَّ الحقَّ فيه أَنَّ إطلاقَ القولِ بذَمِّهِ في كلِّ حالٍ ، أَو بمدحِه في كلِّ حالٍ خطأٌ ، بل لا بُدَّ فيه من التَّفصيلِ .

فاعلمْ أَوَّلاً : أَنَّ الشَّيءَ قد يُحَرَّمُ لِذاتِهِ كالخَمْرِ والمَيْتَةِ ؛ وأَعنِي بقَولي : لِذاتِه ، أَنَّ عِلَّةَ تَحريمِهِ وَصْفٌ في ذاتِهِ ، وهو الإسكارُ والموتُ ؛ وهذا إذا سُئِلْنا عنه ، أَطلقْنا القولَ بأَنَّهُ حرامٌ ، ولا يُلتفتُ إلى إباحةِ المَيْتَةِ عندَ الاضْطرارِ ، وإباحةِ تجرُّعِ الخَمرِ لإساغةِ ما يغصُّ بِهِ الإنسانُ من الطَّعامِ ؛ إذا لَمْ يجدْ مَا يسيغُهُ بِهِ سِوى الخمرِ ؛ وقد يُحَرَّمُ لغيرِهِ كالبَيعِ على بيعِ أَخيكَ المُسلمِ في وقتِ الخيارِ ، والبيعِ وقتَ النِّداءِ ، وكأَكلِ الطِّينِ[1] فإنَّهُ يُحَرَّمُ لِما فيه من الإضْرارِ .

وهذا ينقسمُ إلى مَا يَضرُّ قَليلُه وكَثيرُه ، فَيُطْلَقُ القَولُ عليهِ بأَنَّهُ حَرامٌ ، كالسُّمِّ الذي يَقتلُ قَليلُه وكَثيرُهُ ؛ وإلى ما يضرُّ عندَ الكثرةِ ، فيُطلقُ القولُ عليه بالإباحةِ ، كالعَسَلِ فإنَّ كثرتَه تضرُّ بالمَحرورِ ، وكَأَكْلِ الطِّين ؛ وكأَنَّ إطلاقَ التَّحريمِ على الخمرِ ، والتَّحليلِ على العسلِ ، التفاتٌ إلى أَغلبِ الأَحوالِ ،

---

(١) هو طين نيسابور ، قال الثعالبي : هو طين الأَكل الذي لا يوجد مثله في الأَرض ، يُحمل إلى أَداني البلاد وأَقاصيها ، ويُتحف به الملوك والسَّادة ، وربَّما بيع الرَّطل منه بدينارٍ . (ثمار القلوب ٢/ ٧٧٧) .

فإن تصدَّى[1] لشيءٍ تَقابَلَت فيهِ الأَحوالُ ، فالأَولى أَنْ يُفَصَّلَ .

فنرجعُ إلى علمِ الكلام ، ونقولُ : إنَّ فيهِ مَنفعةً ، وفيه مَضَرَّةٌ ، فهو باعتِبارِ مَنفعتهِ في وَقتِ الانتفاعِ حَلالٌ أَو مَندوبٌ إليه أَو واجبٌ ، كما يَقتضِيه الحالُ ؛ وهو باعتبارِ مَضَرَّتِهِ في وقتِ الإضْرارِ حَرامٌ ؛ فأَمَّا مَضَرَّتُهُ : فإثارةُ الشُّبُهاتِ ، وتَحريكُ العقائدِ ، وإزالتُها عن الجَزْمِ والتَّصميمِ ، وذلك مِمَّا يَحصلُ في حالةِ الابْتداءِ ، ورُجوعُها بالدَّليلِ مَشكوكٌ فيه ، ويَختلفُ فيه الأَشخاصُ ؛ فهذا ضَررُه في الاعتقاد .

وله ضررٌ أَيضاً في تأْكيدِ اعتقادِ المبتدعةِ للبِدعةِ ، وتَثبيته في صُدورِهم ؛ بحيثُ تَنبعثُ دَواعيهم ، ويشتدُّ حِرْصُهم على الإصْرَارِ عليه ؛ ولكنَّ هذا الضَّرَرَ يَحصلُ بواسطَةِ التَّعَصُّبِ الذي يثورُ من الجَدَلِ .

وأَمَّا منفعتُه : فقد يُظَنُّ أَنَّ فائدتَه كشفُ الحقائقِ ومَعرفتُها على ما هي عليه ، وهيهاتَ هَيهات ، بل منفعتُه شيءٌ واحدٌ ، وهو حراسَةُ العَقيدةِ على العوامِّ ، وحفظُها عن تَشويشاتِ المُبتدعَةِ بأَنواعِ الجَدَلِ ، إذ العاميُّ ضَعيفٌ ، يَستفزُّهُ جَدَلُ المُبتدع ؛ والنَّاسُ مَتَعَبِّدُونَ بصحَّةِ العَقيدةِ التي أَجمعَ السَّلَفُ عليها ، والعُلماءُ مُتَعَبِّدُونَ بحِفْظِ ذلكَ على العوامِّ من تلبيساتِ المُبتدعة ، وهو من فروضِ الكفايةِ ، كالقيامِ بحراسة الأَموالِ وسائرِ الحقوقِ ، كالقَضاءِ والولايةِ وغيرهما ؛ وما لم تستعدَّ العُلماءُ لنَشرِ ذلك ، والتَّدريس فيه ، والبَحثِ عنه ، لا يَدُومُ ؛ ولو تُرِكَ بالكُلِّيَّةِ لانْدَرَسَ .

وليس في مُجَرَّدِ الطِّباعِ كِفايَةٌ لحلِّ شُبَهِ المُبتدعَةِ ، مَا لَمْ يتعلَّمْ ؛ فينبغي أَن يكونَ التَّدريسُ فيه أَيضاً من فُروضِ الكفاياتِ ، لكن ليسَ من الصَّوابِ تدريسُه على العوامِّ ، كتدريسِ الفقهِ والتَّفسيرِ ، فإنَّ هذا مثلُ الدَّواءِ ، والفقهَ مثلُ

---

(١) في أ : تعدّى .

الغذاءِ ، وَضَرَرُ الغذاءِ لا يُحَذَّرُ ، وضَررُ الدَّواءِ مَحذورٌ .

● فإِنْ قيل[1] : قَدْ جعلَ جماعةٌ التَّوْحيدَ عبارةً عن صناعةِ الكلامِ ، ومَعرفةِ طريقِ المجادلةِ ، والإِحاطَةِ بمناقَضَاتِ الخصومِ ، والقُدرةِ على التَّشدُّقِ فيها بكثرةِ الأَسْئِلَةِ ، وإِثارَةِ الشُّبُهاتِ ، وتَأْلِيفِ الإِلْزَاماتِ ، حتَّى لَقَّبَ طوائفُ منهم أَنفسَهم بأَهلِ العَدْلِ والتَّوحيدِ .

فاعلمْ : أَنَّ التَّوحيدَ عبارةٌ عن أَمْرٍ آخرَ لا يَفهمُه أَكثرُ المتكلِّمينَ ، وإِن فَهموهُ لم يَتَّصِفوا به ؛ وهو أَنْ تَرى الأُمُورَ كُلَّها من اللهِ ، رؤيةً تقطعُ الالتفاتَ إِلى الأَسبابِ والوسائطِ ، فلا تَرَى الخيرَ والشَّرَّ إِلاَّ منهُ تبارك وتَعالى ، وهذا مقامٌ شريفٌ .

فالتَّوحيدُ جوهرٌ نَفيسٌ له قِشران : أَحدُهما أَبعدُ عن اللُّبِّ من الآخرِ ، وهو أَن تقولَ بلسانِكَ : لا إِلهَ إِلاَّ الله ؛ وهذا يُسَمَّى تَوحيداً مُناقِضاً للتَّثليثِ الذي تُصَرِّحُ بهِ النَّصارى ؛ لكنَّه قد يَصدرُ من المنافقِ الذي يُخالفُ سِرُّهُ جَهْرَهُ .

وأَمَّا القِشْرُ الثَّاني : فأَنْ لا يكونَ في القلبِ مُخالفةٌ وإِنكارٌ لمفهومِ هذا القولِ ، بل يَشتملُ ظاهرُ القلبِ على اعتقادِ ذلك والتَّصديقِ به ؛ وهذا تَوحيدُ عَوامِّ الخَلْقِ ؛ والمُتكلِّمُون ـ كما سبقَ ـ حُرَّاسُ هذا القِشْرِ عن تَشْوِيشِ المُبتدعَةِ ، فخصَّص النَّاس الاسمَ بهذين القشرين ، وتركوا لبابهما وأَهملوه بالكليَّة .

واللُّبابُ : هو التَّوحيدُ المَحْضُ ، وهو أَنْ تَرى الأُمُورَ كلَّها من الله تعالى ، رُؤيةً تقطعُ الالتفاتَ إِلى الأَسبابِ والوَسائِطِ ، وأَنْ تَعبدَهُ عِبادةً تُفْرِدُهُ بها فلا تَعْبُدُ غَيْرَهُ .

واتِّباعُ الهوى يُخْرِجُ عن هذا التَّوحيدِ ، فكلُّ مُتَّبعٍ هَواهُ قد اتَّخَذَ هَواهُ

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٢٩ ـ ٣٠ .

مَعبودَهُ؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال ﷺ[1]: « أَبْغَضُ إِلَهٍ عُبِدَ فِي الأَرْضِ عندَ اللهِ، هو الهوى ».

وعلى التَّحقيق، من تَأَمَّلَ عَرَفَ أَنَّ عابِدَ الصَّنَمِ ليسَ يعبدُ الصَّنَمَ، إِنَّما يعبدُ هَواهُ، إِذْ نَفْسُهُ مائِلةٌ إِلى دينِ آبائِهِ، فيتبعُ ذلك المَيْلَ، ومَيْلُ النَّفسِ إِلى المألوفاتِ أَحَدُ المَعاني التي يُعَبَّرُ عنها بالهوى؛ ويَخرجُ عن هذا التَّوحيد السُّخْطُ على الخَلْقِ، والالتفاتُ إِليهم؛ فإِنَّ مَن يَرى الكلَّ من اللهِ تعالى كيفَ يَسخطُ على غَيره؟

فالتَّوحيدُ عبارةٌ عن هذا المقامِ، وهو من مَقاماتِ الصِّدِّيقين، فانظرْ إِلى ماذا حُوِّلَ، وبأَيِّ قِشْرٍ قُنِّعَ؟ فالمُوَحِّدُ هو الذي لا يَرى إِلاَّ الواحدَ، ولا يتوجَّهُ بوَجهِهِ إِلاَّ إِليهِ؛ أَي يكونُ قلبُه متوجِّهاً إِلى الله تعالى على الخصوصِ. اهـ.

وقد تكلَّمتُ على هذا المقامِ فِي كتابِنا « الجوهرِ الفَريد في علم التَّوحيدِ » بكلامٍ يشفي النَّفْسَ ويُزِيلُ اللَّبْسَ، وهو كلامٌ طويلٌ مشبعٌ؛ جَمعتُ فيه غالبَ أَقوالِ الصَّحابةِ والعلماءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم فليُراجعْ، وهو في الجزء الثَّاني من الباب الخامس، من كتاب « التَّوحيد » فَلْيُراجَعْ.

● واعلمْ[2] أَنَّهُ قد تقدَّمَ أَنَّ تَعَلُّمَ علمِ النُّجُومِ مَذْمُومٌ، فنقولُ: قد رُوِيَ عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قال[3]: « إِذا ذُكِرَ القَدَرُ فَأَمْسِكُوا، وإِذا ذُكِرَ النُّجُومُ فأَمْسِكُوا، وإِذا ذُكِرَ أَصحابي فأَمْسِكُوا ». وقال ﷺ[4]: « أَخافُ على أُمَّتِي بَعدي ثلاثاً: حَيْفُ الأَئِمَّةِ، والإِيمانُ بالنُّجومِ، والتَّكذيبُ بالقَدَرِ ».

---

(١) قال الحافظ العراقي في هامش الإحياء: أَخرجه الطَّبراني من حديث أَبي أُمامة بإِسنادٍ ضعيفٍ.

(٢) إِحياء علوم الدين ١/ ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإِسنادٍ حسنٍ.

(٤) قال الحافظ العراقي: رواه ابن عبد البرّ من حديث أَبي محجنٍ بإِسنادٍ ضعيفٍ.

وقال عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : تعلَّموا من النُّجومِ ما تَهتدُونَ به في البَحرِ والبَرِّ ، ثمَّ أَمْسِكُوا .

وإِنَّما زُجر عنه من ثلاثةِ أَوجهٍ : **أَحدها** ؛ أَنَّهُ مُضِرٌّ بأَكْثَرِ الخَلْقِ ، فإِنَّهُ إِذا أُلْقِيَ إِليهم أَنَّ هذه الآثار تَحدثُ عَقِبَ سَيْرِ الكواكبِ ، وَقَعَ في نُفُوسهم أَنَّ الكَواكبَ هي المؤثِّرَةُ ، وأَنَّها الآلهةُ المُدَبِّرَةُ ، لأَنَّها جواهرُ شريفةٌ سماويَّةٌ ، يَعظمُ وَقْعُها في القلوبِ ، فيَبقى القلبُ مُلتفتاً إِليها ، ويَرى الشَّرَّ والخيرَ مَحذوراً من جِهَتها وَمَرْجُوّاً منها ، ويَنْمَحي ذِكْرُ اللهِ تعالى من القلبِ ، فإِنَّ الضَّعيفَ يَقْصُرُ نَظَرُهُ على الوسائطِ ، والعالِمُ الرّاسخُ هو الذي يَطَّلعُ على أَنَّ الشَّمسَ والقَمرَ والنُّجُومَ مُسَخَّراتٌ بأَمره سُبحانه وتعالى .

الوجهُ الثَّاني : أَنَّ أَحكامَ النُّجومِ تَخمينٌ مَحْضٌ ، وليس يُدْرَكُ في حَقِّ آحادِ الأَشخاصِ لا يقيناً ولا ظَنّاً ، فالحُكمُ بهِ حكمٌ بجهلٍ ، فيكونُ ذَمُّهُ على هذا من حيثُ إِنَّه جَهلٌ ، لا من حيثُ إِنَّه عِلْمٌ ؛ وقد كانَ ذلك عِلْماً لإِدريس عليه السَّلام فيما يُحكى ، وقد اندرسَ ذلك العلمُ وانمَحَقَ ؛ وما يَتَّفِقُ من إِصابةِ المُنَجِّمِ على نُدورٍ ، فهو اتِّفاقٌ ، لأَنَّه قد يَطَّلعُ على بَعضِ الأَسبابِ ؛ ولا يحصلُ المسبَّبُ عَقبها إِلاَّ بعدَ شُروطٍ كثيرةٍ ليس في قُدرةِ البشرِ الاطِّلاعُ عليها ؛ فإِنِ اتَّفقَ أَن قَدَّرَ الله تعالى بقيَّةَ الأَسبابِ ، وَقعتِ الإِصابةُ ، وإِن لَمْ يُقَدِّرْ أَخطأَ ؛ ويكون ذلك كَتَخْمِينِ الإِنسانِ في أَنَّ السَّماءَ تُمْطِرُ اليومَ ، مهما رَأَى الغيمَ يَجْتَمِعُ ويَنبعثُ من الجبالِ ، فيتحرَّكُ ظَنُّه بذلك ، ورُبَّما يُحمى النَّهارُ بالشَّمسِ ويتبدَّدُ الغَيمُ ؛ ورُبَّما يكون بِخِلافِهِ ، فإِنَّ مُجرَّدَ الغَيمِ ليس كافياً في مجيءِ المطرِ ، وبقيَّةُ الأَسبابِ لا تُدرى ؛ وكذلك تَخمينُ الملاَّحِ أَنَّ السَّفينةَ تَسْلَمُ ، اعتماداً على ما أَلِفَهُ من العادةِ في الرِّياحِ ، ولتِلكَ الرِّياح أَسبابٌ خَفِيَّةٌ لا يَطَّلِعُ عليها الملاَّحُ ، فتارةً يُصيبُ في تَخْمِينِهِ ، وتارةً يُخطىءُ ؛ ولهذه العِلَّةِ يمنعُ القَومُ عن النُّجومِ .

الوجهُ الثَّالثُ : أَنَّهُ لا فائدةَ فيه ؛ فأَقلُّ أَحوالِهِ أَنَّهُ خوفٌ في فُضولٍ لا يُغني ، وتَضييعٌ للعمرِ الذي هو أَنفسُ بَضائعِ الإنسان بغير فائدةٍ ، وغايتُه الخُسرانُ ؛ فقد مَرَّ رسولُ الله ﷺ برجلٍ ، والنَّاسُ مجتمعونَ عليه ، فقال[1] : « ما هذا ؟ » قالوا : رجلٌ علاَّمةٌ . فقال : « بماذا ؟ » قالوا : بالشِّعْرِ وأَنْسابِ العربِ ؛ فقال : « عِلْمٌ لا يَنْفَعُ ، وجَهْلٌ لا يَضُرُّ » ؟

وقال ﷺ[2] : « إِنَّما العِلْمُ آيةٌ مُحْكَمَةٌ ، أَو سُنَّةٌ قائِمةٌ ، أَو فَريضةٌ عادلةٌ » .

فإذا الخوضُ في النُّجومِ إِنَّما يُشبه اقْتحامَ خَطَرٍ ، وخوضُ جَهالةٍ من غيرِ فائدةٍ ؛ فإِنَّ ما قُدِّرَ كائنٌ ، والاحترازُ غيرُ ممكنٍ ، بخلافِ الطِّبِّ ، فإِنَّ الحاجَةَ إِليهِ ماسَّةٌ ، وأَكثرُ أَدِلَّتِهِ ممَّا يُطَّلَعُ عليه ، وبخلافِ التَّعبير[3] وإِن كان تَخميناً ، لأَنَّهُ جُزْءٌ من سِتَّةٍ وأَربعينَ جُزءاً من النُّبوَّةِ ، ولا خطرَ فيه .

ولذلكَ أَكثرنا في كتابنا هذا من النَّقْلِ من هذين العِلْمَيْنِ ، لِضرورةِ الحاجةِ إِليهما ، ولقلَّةِ الخَطأ فيهما ، لإِمكان الاطِّلاعِ على أَكثرِ أَدِلَّتهما ؛ والله الموفِّق للصَّواب .

٢ **الإِبِلُ** : بكسر الباءِ الموحَّدةِ ، وقد تُسَكَّنُ للتَّخفيفِ : الجِمالُ ، وهو اسمٌ واحدٌ يقعُ على الجَميْعِ ؛ وليس بِجَمْعٍ ولا اسمَ جَمْعٍ إِنَّما هو دالٌّ على الجنسِ ؛ كذا قاله ابنُ سِيْدَه[4] .

---

(١) قال الحافظ العراقي : رواه ابن عبد البرّ من حديث أَبي هريرة وضعّفه .

(٢) أَبو داود (٢٨٨٥) وابن ماجه (٥٤) .

(٣) يعني تعبير الرُّؤيا ، والإِشارة إِلى قوله ﷺ : « مَن رآني في المنام فقد رآني ، فإِنَّ الشَّيطان لا يتمثَّل بي ، ورؤيا المؤمن جزءٌ من ستَّةٍ وأَربعين جزءاً من النُّبوَّة » . (تعبير الرُّؤيا لابن قتيبة ٢٥ وفيه تخريجه) .

(٤) في المخصص ٧/ ٢ .

وقال الجوهريُّ[1] : ليس لها واحد من لفظها ، وهي مؤنَّثَةٌ ، لأَنَّ أَسماءَ الجُموعِ التي لا واحدَ لها من لَفْظِها إِذا كانتْ لغيرِ الآدميِّين فالتَّأْنيثُ لها لازمٌ ، وإِذا صغَّرْتَها أَدخلتَ عليها الهاءَ ، فقلتُ أُبَيْلَة وغُنَيْمة ونحو ذلك .

وربَّما قالوا للإِبلِ : إِبْل بإِسكانِ الباءِ كما تقدَّم ، والجمع آبالٌ ؛ والنِّسبةُ إِبَليّ بفتح الباءِ .

● روى « ابنُ ماجه » عن عُروة البارقيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال[2] : « الإِبلُ عِزٌّ لأَهلِها ، والغَنَمُ بَرَكَةٌ ، والخيرُ مَعقودٌ في نَواصي الخيلِ إِلى يومِ القِيامةِ » .

وفي حديثِ وَهْبٍ[1] : « تَأَبَّلَ آدمُ على ابنه المقتولِ كذا وكذا عاماً ، لم يُصبْ حوَّاءَ » أَي : امتنعَ من غِشْيانِها أَعواماً ، وتوحَّشَ عنها .

ويُقال للإِبلِ : بَناتُ اللَّيل .

ويُقال للذَّكَر والأُنثى منها : بَعيرٌ إِذا أَجْذَعَ ، ويُجمعُ على أَبْعِرَةٍ وبُعْرَانٍ ؛ والشَّارِفُ : النَّاقةُ المُسِنَّةُ ، وجَمعُها شُرُفٌ ؛ والقَرامل[3] : الإِبل ذواتُ السَّنامين .

والإِبلُ[4] من الحيواناتِ العجيبةِ ، وإِنْ كانَ عجبُها سقطَ من أَعينِ النَّاسِ لكثرةِ رُؤيتهم لها ، وهو أَنَّه حيوانٌ عظيمُ الجسمِ ، سَريعُ الانْقِيادِ ، يَنهضُ بالحِمْلِ الثَّقِيلِ ، ويَبركُ بهِ ، وتأخذُ زِمامَهُ فأرَةٌ فتذهبُ بِهِ إِلى حيثُ شاءَتْ ،

---

(١) الصحاح ٤/١٦١٨ « أَبل » .
(٢) ابن ماجه (٢٣٠٥) والمستطرف ٢/ ٤٣٧ .
(٣) في أ : القرابيل . وفي ب ، ط : العوامل . وكلُّه خطأ ، صوابه « القرامل » . قال ابن سيده : القِرْمِليَّة : إِبلٌ كلُّها ذو سنامين . (المخصص ٧/ ١٣٦) .
(٤) عن عجائب المخلوقات ٢٤٥ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٢٤ .

ويُتَّخَذُ على ظَهْرِهِ بيتٌ ، يقعدُ الإنسان فيهِ مع مأكولِه ومَشروبِهِ ومَلبوسِهِ وظُروفِهِ ووَسائدِه كأَنَّهُ في بَيته ، ويُتَّخَذُ للبيتِ سقفٌ ، وهو يَمشِي بكلِّ هذه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية : ١٧] .

وقد جَعلَها الله تعالى طِوالَ الأَعناقِ لِتثورَ بالأَثْقَالِ[١] .

● وعن بعضِ الحُكماءِ أَنَّهُ حَدَّثَ عن الإِبلِ ، وعن بَديعِ خَلْقِها ، وكان قد نشأَ بأَرضٍ لا إِبلَ فيها ، ففكَّر ساعةً ثمَّ قال : يوشكُ أَن تكونَ طِوالَ الأَعناقِ .

وحيثُ أَرادَ الله تعالى بها أَن تكونَ سفائنَ البرِّ ، صَبَّرَها على احْتِمالِ العَطَشِ ، حتَّى إِنَّ ظَمَأَها ليرتفعُ إِلى العَشْرِ ؛ وجعَلها تَرعى كلَّ شيءٍ نابتٍ في البَراري والمفاوزِ ممَّا لا يرعاهُ سائرُ البَهائم .

● ورُوي عن سَعيد بن جُبيرٍ ، أَنَّه قال : لقيتُ شُرَيْحاً القاضي ذاهباً ، فقلتُ له : أَينَ تريدُ ؟ فقال : أُريدُ الكُناسَةَ . فقلتُ : وما تصنعُ بالكُناسَةِ ؟ قال : أَنظرُ إِلى الإبلِ كيفَ خُلِقَتْ .

وقال تعالى : ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون : ٢٢] قَرَنَها بالفُلْكِ التي هي السَّفائِنُ ، لأَنَّها سُفُنُ البَرِّ .

قال ذو الرُّمَّة[٢] : [من الطَّويل]

سَفِينَـةُ بَـرٍّ تَحْـتَ خَـدِّي زِمـامُهـا

يُريدُ صَيْدَح التي يُخاطِبها بقوله[٣] : [من الوافر]

سَمِعْـتُ النَّـاسَ يَنْتَجِعُـونَ غَيْثـاً ... فَقُلْـتُ لِصَيْـدَحَ : انْتَجِعِـي بِـلالا

---

(١) في أ : لتنوءَ بالأَوقار . وفي ب : لتنوء بالأَثقال . وكلُّه بمعنى .

(٢) ديوانه ٢/ ١٠٠٤ . وصدره : طُروقاً وجِلْبُ الرَّحْلِ مَشدودةٌ به× .

(٣) ديوانه ٣/ ١٥٣٥ .

وصَيْدَحُ : اسمُ ناقَته ؛ وهذا البيتُ أَنشدَه سِيبويه[1] ، ورواهُ برَفع النَّاس على الحِكايَةِ : أَي سمعتُ هذهِ الكَلمة ، ورواهُ غيرُه بالنَّصبِ ، وكلٌّ له وَجْهُهُ ؛ وسيأتِي إِن شاء الله تعالى ذِكْرُ الصَّيْدَحِ في باب الصَّاد المُهملةِ .

ورُبَّما تَصبرُ الإِبلُ عن الماءِ عشرةَ أَيَّامٍ ، وإِنَّما جَعل الله تعالى أَعناقَها طِوالاً لِتستعينَ بها على النُّهوضِ بالحِمْلِ الثَّقِيلِ .

وفِي الحديث[2] : « لا تَسُبُّوا الإِبلَ ، فإِنَّ فيها رُقوءَ الدَّمِ ومَهْرَ الكريمة ». أَي أَنَّها تُعطى في الدِّيات فَتُحْقَنُ بِها الدِّماءُ ، وتَمنعُ من أَنْ يُهراقَ دَمُ القاتِلِ ؛ هذه عِبارة « الفصيح » .

وفي الحديث[3] : « لا تَسُبُّوا الإِبلَ ، فإِنَّها من نَفَسِ الله تعالى » أَي : مِمَّا يُوَسِّعُ الله تعالى به على النَّاسِ ؛ حكاه ابنُ سِيْدَه ، والذي نَعرفُهُ[4] : « لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فإِنَّها مِنْ نَفَسِ الرَّحمنِ جلَّ وعَلا » .

وفي « الصَّحيحين » عن أَبي موسى الأَشعريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال[5] : « تعاهَدُوا القُرآنَ ، فوالذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً من الإِبلِ في عُقُلِها » .

وفيهما عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال[6] : « إِنَّما مَثَلُ

---

(١) لم ينشده سيبويه في الكتاب ؛ وانظر أَقوال النُّحاة في صواب إِنشاد البيت برفع « النّاس » ونصبه ، في خزانة الأَدب ٩/ ١٦٧ وما بعد .
(٢) النهاية في غريب الحديث والأَثر ٢/ ٣٣٠ .
(٣) لم أَقف عليه ، ولم يورده ابن سيده في المخصص ، وهو في المستطرف ٢/ ٤٣٧ نقلاً .
(٤) المستطرف ٢/ ٤٣٧ ، وبرواية أُخرى في مسند أَحمد ٢/ ٢٦٨ و٤٠٩ و٤٣٧ .
(٥) البخاري ٦/ ١١٠ (كتاب فضائل القرآن) ومسلم (٧٩١) .
(٦) البخاري ٦/ ١٠٩ (كتاب فضائل القرآن) ومسلم (٧٨٩) والنّسائي (٩٤٢) وابن ماجه (٣٧٨٣) .

القُرآنِ مثلُ الإبلِ المُعَقَّلَةِ ، إن تعاهَدَها صاحِبُها على عُقْلِها أَمْسَكَها ، وإنْ أَغْفَلَها ذَهَبَتْ ، إذا قامَ صاحبُ القُرآنِ بِقراءَتِهِ باللَّيلِ والنَّهارِ ذَكَرَهُ ، وإذا لم يَقْرَأْهُ نَسِيَهُ » .

وفيهما عنه أيضاً : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال[1] : « النَّاسُ كَإبلِ مِئَةٍ ، لا تَجِدُ فيها راحِلةً » .

وسيأتي بيانُ مَعناه إن شاء اللهُ تعالى في بابِ الرَّاءِ المُهملةِ في لفظِ « الرَّاحلة » .

● **والإبلُ أَنواعٌ** : **الأَرْحَبيَّةُ** : منسوبةٌ إلى بَني أَرْحَب من هَمْدان ؛ وقال ابنُ الصَّلاح : إنَّها من إبلِ اليمنِ .

والشّدْقميَّةُ : إبلٌ مَنْسوبةٌ إلى شَدْقَم ، وهو فحلٌ كريمٌ كان للنُّعمانِ بن المنذِرِ .

والعِيْديَّة : ـ بكَسرِ العينِ المُهملة ـ : إبلٌ منسوبةٌ إلى بني العِيْدِ ، وهم فخذٌ من بَني مَهْرَة ، قاله صاحبُ « الكفاية » .

والمَجْدِيَّةُ : إبلٌ باليمنِ مَنسوبةٌ إلى المَجْدِ وهو الشَّرَفُ .

والشَّدَنِيَّة : إبلٌ منسوبةٌ إلى فَحْلٍ أَو بَلَدٍ ؛ قاله في « الكِفاية » .

وَالمَهْرِيَّةُ : إبلٌ مَنسوبةٌ إلى مَهْرَة بن حَيْدان ، وهو أَبو قبيلةٍ ، والجمعُ المَهارَى ، قاله ابنُ الصَّلاح ؛ وما قالهُ الغزاليُّ : من أَنَّ المَهْرِيَّةَ هي الرَّدِيئةُ من الإبلِ ، ليسَ كذلك .

ومنها إبلٌ **وَحْشِيَّةٌ** ، تُسَمَّى إِبلَ الحُوشِ ، يُقولونَ : إنَّها من بقايا إبلِ عادٍ وثَمود[2]

---

(١) مسلم (٢٥٤٧) والترمذي (٢٨٧٢) وابن ماجه (٣٩٩٠) .

(٢) في المخصَّص ٧/ ١٣٦ : والبُوشُ والحُوشُ : الإبل الوحشيَّة ، يزعمون أَنَّها تكون في الرَّمل من أَقاصي بلاد بني سعد . وفي ب ، ط : إبل الوحش .

●ومن نعوت الإبل : **العِيْسُ** ، وهي الشَّديدةُ الصُّلْبَةُ . **والشِّمْلالُ** : وهي الخَفيفةُ . **واليَعْمَلَةُ**: وهي التي تَعملُ . **وَالوَجْنَاءُ**: وهي الشَّديدةُ أَيضاً . **والنَّاجِيةُ**: وهيَ السَّريعةُ . **والعَوْجاءُ** : وهي الضَّامِرَةُ . **والشَّمَرْدَلَةُ** : وهي الطَّوِيلَةُ . **والهِجانُ** وهي الإِبلُ الكَريمةُ . **والكُوْماءُ** بضَمِّ الكَاف : وهي النَّاقةُ العَظيمَةُ السَّنام ، **والحَرْفُ** وهيَ النَّاقة الضَّامِرَةُ؛ قال كعب بن زُهير[١] : [من البسيط]

حَـرْفٌ أَبـوهـا أَخُـوهـا مِـنْ مُهَجَّنَـةٍ وَعَمُّهـا خـالُهـا قَـوْداءُ شِمْلِيـلُ

والقَوداءُ : الطَّويلةُ العُنُقِ ؛ والشِّمْلِيْلُ : السَّريعةُ ، وقَوله : من مُهَجَّنَةٍ : أَي من إِبلٍ كِرامٍ هِجانٍ ؛ وقولُه : أَبوها أَخوها : أَي أَنَّها من جنسٍ واحدٍ في الكَرَمِ ؛ وقيل : إِنَّها من فَحْلٍ حُمِلَ على أُمِّه ، فَجاءَتْ بهذه النَّاقة ، فهو أَبوها وأَخوها ؛ وكانت النَّاقةُ التي هي أُمُّ هذه بنتَ أُخرى من الفَحل الأَكبر ، فَعَمُّها خالُها على هذا ؛ وهو عندَهم من أَكرمِ النِّتاجِ : والقولُ الأَوَّلُ ذَكره أَبو عليّ القالِي عن أَبي سعيدٍ[٢] .

● وممَّا يُسْتَحْسَنُ ويُستجادُ من كلامِ كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قولُه[٣] : [من البسيط]

لو كُنْتُ أَعْجَبُ من شَيْءٍ لأَعْجَبَنِي سَعْيُ الفَتى وَهْوَ مَخْبُوءٌ لَهُ القَدَرُ
يَسْعَـى الفَتـى لأُمـورٍ لَيْـسَ يُـدْرِكُهـا فَـالنَّفْـسُ واحِـدَةٌ والهَـمُّ مُنْتَشِـرُ

---

(١) ديوانه ١١ .

(٢) أَبو سعيد : هو الأَصمعيُّ ، وناقل قوله هو البكري ـ وليس القالي ـ في التَّنبيه على أَوهام أَبي عليّ في أَماليه ١٢٥ بلفظ : وقال الأَصمعيُّ ـ رحمه الله ـ في قول كعب بن زهير : حَرْفٌ (البيت) : هذه ناقةٌ كريمةٌ ، مُداخَلَةُ النَّسب لشرفها . ثمَّ تعقَّبه بقوله : وأَنكره أَبو المكارم ، وقال : أَلم يعلم الأَصمعيُّ ـ رحمه الله ـ أَنَّ تداخل النَّسَبِ ومُقاربته ، ممّا يُضَعِّفُ النّاقة ؟ .

(٣) ديوانه ٢٢٩ والمستطرف ٣/ ٢٨٨ . وفي حماسة البحتري ٢/ ١٧٠ لقعنب بن أُمّ صاحب .

والمَرْءُ مَا عاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ   لا تَنْتَهِي العَيْنُ حتَّى يَنْتَهي الأَثَرُ

● قال أَصحابُ الكلامِ في طَبائع الحيوانِ[1] : ليس لشيءٍ من الفُحولِ مثلَ مَا للجَملِ عند هَيَجانِهِ ؛ إذ يَسوءُ خُلُقُهُ ويَظهرُ زَبَدُهُ ورُغاؤهُ ، فلو حُمِلَ عليه ثلاثةُ أَضعافِ عادَتِهِ حَمَلَ ، ويَقِلُّ أَكْلُهُ ، ويُخْرِجُ الشِّقْشِقَةَ ، وهي الجِلْدَةُ الحَمراءُ التي يُخرجُها من جَوفهِ ، ويَنفخُ فيها فتظهَرُ من شِدْقِهِ ، لا يُعْرَفُ مَا هِيَ ؛ قال اللَّيثُ : ولا تكونُ إلا لعربيٍّ ، وفيه نَظَرٌ .

قال عليٌّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2] : إِنَّ الخُطَبَ من شَقاشِقِ الشَّيطانِ ؛ شَبَّهَ الفَصيحَ المِنْطِيقَ بالفَحْلِ الهادِرِ ، ولِسانَهُ بِشِقْشِقَتِهِ .

● ورَوى « الحاكم » في حديث فاطمة بنت قيسٍ رَضِيَ اللهُ عنها ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال لها[3] : « أَمَّا مُعاويةُ فَصُعْلوكٌ ، وأَمَّا أَبو جَهْمٍ فإِنِّي أَخافُ عَلَيْكِ من شَقاشِقِهِ » .

والفحلُ لا يَنْزو إِلاَّ مَرَّةً واحدةً في السَّنةِ ، ويَطولُ فيها مُكْثُهُ ، ويُنْزِلُ فِيها مِراراً كثيرةً ، ولذلك يُعقبُهُ فُتورٌ وَوَهْنٌ .

والأُنْثى تَلقحُ إذا مَضى لها ثلاثُ سِنين ، ولذلك سُمِّيَت حِقَّةً ، لأَنَّها استَحَقَّت ذلك .

قالوا : والجَمَلُ أَشَدُّ الحيوان حِقْداً ؛ وفي طبعهِ الصَّبْرُ والصَّوْلَةُ .

---

(١) يقصد الجاحظ ، وقوله في الحيوان ٥/٣١٣ والمستطرف ٢/٤٣٧ ـ ٤٣٨ وعجائب المخلوقات ٢٤٦ .

(٢) عن النهاية ٢/٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

(٣) مسلم (١٤٨٠) وأبو داود (٢٢٨٤) والنّسائي (٣٢٤٥) وابن ماجه (١٨٦٩) و(٢٠٣٥) . وفيها جميعاً : « وأَمَّا أَبو جهم فإِنَّه لا يرفع عصاه عن أَهله » . وليس فيها لفظة « شقاشقه » .

● وذكرَ صاحبُ المَنْطِق[١] : أَنَّهُ لا يَنْزُو على أُمِّه .

وقد قال : كان رجلٌ في سالِفِ الدَّهرِ سَتَرَ ناقةً بثَوبٍ ، ثمَّ أَرسلَ وَلَدَها عليها ، فلمَّا عرف ذلك قَطَعَ ذَكَرَهُ ، ثمَّ حقدَ على الرَّجلِ حتَّى قَتَلَهُ ؛ وآخر فَعلَ مثلَ ذلكَ ، فلمَّا عرفَ أَنَّها أُمُّه قَتَلَ نَفْسَهُ .

وكلُّ الحيوانِ له مَرارةٌ إلاَّ الإبل ، ولذلك كَثُرَ صَبْرُها وانْقادَتْ ، وكُنِّيَ الجَملُ بأَبي أَيُّوب ؛ وإِنَّما يُوجدُ على كَبدها شيءٌ يُشبهُ المَرارَةُ ، وهي جُلَيْدَةٌ فيها لُعابٌ يُكتَحَلُ بِهِ ، ينفع من العَشا العتيق .

● ومن طبعها[٢] : أَنَّها تَستَطيبُ الشَّجَرَ الذي لَهُ شَوْكٌ ، وتَهْضِمُهُ أَمعاؤُها ، ولا تستطيعُ في غالِبِ الأَوقاتِ أَن تهضمَ الشَّعيرَ .

ومن عَجيبِ مَا ذَهبت إِليه العربُ : أَنَّها إِذا أَصَابَ إِبلَها العُرُّ ، كَوَوا السَّليمَ لِيَشْفَى العَليلُ ، وفي هذا المعنى قال النَّابغةُ[٣] : [من الطَّويل]

وَحَمَّلْتَنِي ذَنْبَ امْرِىءٍ وتَرَكْتَهُ   كَذي العُرِّ يُكْوى غَيْرُهُ وَهو راتِعُ

وأَخَذَ منه غيرُهُ ، فقال[٤] : [من الكامل]

غَيْري جَنى وَأَنا المُعاقَبُ فيكُمُ   فَكَأَنَّني سَبَّابَةُ المُتَنَدِّمِ

وأَنكرَ أَبو عُبيدَةَ ذلك[٥] .

---

(١) يقصد أَرسطو ، وقوله في طباع الحيوان ٤٥١ والمستطرف ٢/ ٤٣٨ .
(٢) الحيوان ٤/ ٣١٤ .
(٣) هو الذّبياني ، والبيت في ديوانه ٤٨ .
(٤) البيت لابن شرف القيرواني ، في ديوانه ٩٧ . وانظر نقد ابن رشيق له في الخزانة ٢/ ٤٦٣ .
(٥) في أ ، ط : وأَنكر أَبو عُبيد القاسم بن سلاَّم ذلك ! وليس بذاك ؛ فالمنكر كيَّ السَّليم ليشفى العليل هو أَبو عُبيدة مَعمر بن المثنَّى ، فقد قال : هذا أَمرٌ لم يكن ، وإِنَّما هو مَثَلٌ لا حقيقة . (الاقتضاب ٣/ ٢٠٣ والخزانة ٢/ ٤٦٢) والمثبت من ب . والعُرُّ : داءٌ يأخذ بمشافر الإبل .

● وروى الجماعةُ من حديثِ أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال[1] : « جاءَ رجلٌ من بني فَزارةَ إِلى رسولِ اللهِ ﷺ ، فقال : إِنَّ امرأَتِي وَلَدَتْ غُلاماً أَسودَ . فقال له النَّبيُّ ﷺ هل لكَ من إِبلٍ ؟ قال : نَعم ، قال : فما أَلوانُها ؟ قال حُمْرٌ ، قال ﷺ : هل فيها من أَوْرَقَ ؟ قال : إِنَّ فيها لَوُرْقاً . قال : هو ذاك . قال : فأَنّىٰ أَتاها ذلك ؟ قال ﷺ : عَسى أَن يكونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ » . وقد تقدَّمت الإِشارةُ إِلى هذا الحديثِ في الكلام على لفظِ الأَسَدِ ؛ وإِنَّما قال ﷺ : « عَسى أَن يكونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ » ولم يُرَخِّصْ له النَّبيُّ ﷺ في الانْتِفَاءِ عنه .

والرَّجل المذكورُ في هذا الحديثِ : ضَمْضَمُ بن قَتادةَ العِجْليّ[2] ، ولم يذكرْهُ أَبو عُمر بن عبد البَرِّ في « الاستيعاب » وليس له سِوىٰ هذا الحديث ، وهو مُسَمّى في بعضِ المُسْنَدات ، وذكره عبدُ الغني في الحديثِ بزيادةٍ حَسَنَةٍ ، فقال : كانَت المرأَةُ من بَني عِجْلٍ ، فَقَدِمَ المدينةَ عجائزُ من بنِي عِجْلٍ ، فَسُئِلْنَ عن المرأَةِ التي وَلَدَتِ الغُلامَ الأَسوَدَ ؟ فقلْنَ : كان في آبائها رجلٌ أَسودُ . قال : والرَّجل اسمُهُ ضَمْضَمُ بن قَتادة العِجْلِيّ .

وقال الخَطيبُ أَبو بكر : قُلن : كان للمرأَةِ جَدَّةٌ سَوداءُ .

● **الحُكمُ** : يَحلُّ أَكْلُ الإِبلِ بالنَّصِّ والإِجماعِ ؛ قال الله تعالى : ﴿ **أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ** ﴾ [المائدة : ١] ، وأَمّا تَحْرِيمُ إِسرائِيلَ ـ وهو يَعقُوب عليه السَّلام ـ على نَفْسِهِ أَكْلَ لُحومِ الإِبلِ وشُرْبَ أَلبانِها ، فكان ذلك باجتهادٍ منه على الصَّحيح ؛ والسَّببُ في ذلك أَنَّهُ كان يَسكنُ البَدْوَ ، فاشْتكَى عِرْقَ النَّسا ، فلم يجدْ شيئاً يُلائمُهُ إِلاّ لُحومَ الإِبلِ وأَلْبَانها ، فلذلكَ حَرَّمَهما[3] ؛ وإِسرائيلُ

---

(١) البخاري ٨/ ٣١ وأَبو داود (٢٢٦٠) والتّرمذي (٢١٢٨) وابن ماجه (٢٠٠٢) .

(٢) الإِصابة ٣/ ٤٠٠ رقم (٤٢١٧) وأُسد الغابة ٣/ ٦٣ .

(٣) لأَنَّهما كانا أَحبَّ الطَّعام إِليه ، فنذر إِن شُفي أَن يُحَرِّمهما . (الكشاف ١/ ٤٤٥) والمستطرف ٢/ ٤٣٨ .

لِفظةٌ عِبْرانيَّةٌ .

وقد[1] اختلفَ العلماءُ في انتقاضِ الوُضوءِ بأَكلِ لُحومها ؛ فذهبَ الأَكثرونَ إِلى أَنَّهُ لا ينتقضُ الوضُوءُ بأَكلِ لُحومِها ؛ وذهبَ الباقُونَ إِلى أَنَّه ينتقضُ الوضوءُ بِهِ .

فممَّن ذهبَ إِلى الأَوَّلِ : الخُلفاءُ الأَربعةُ : أَبو بكرٍ ، وعُمر ، وعُثْمان ، وعليٌّ ، وابنُ مَسعود ، وأُبيّ بن كعبٍ ، وابنُ عبَّاسٍ ، وأَبو الدَّرداء ، وأَبو طلحة الأَنصاريّ ، وأَبو أُمامةَ الباهِلِيّ ، وعامر بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ، وجَماهير التَّابعين ، ومالك ، وأَبو حنيفةَ ، والشَّافعيّ ، وأَصحابهم رحمهم الله .

وممَّن ذَهبَ إِلى انتقاضِ الوضوءِ بِهِ : أَحمد ، وإِسحاق بن راهَوَيْه ، ويَحيى بن يَحيى ، وابنُ المنذر ، وابن خُزَيمة ؛ واختاره البيهقيُّ من أَصحابِ الشَّافعي ، وهو قَولُ الشَّافعيِّ القديمُ ، وسيأْتي إِن شاء اللهُ تعالى ذِكْرُ دَليلِهِ في باب الجِيم في « الجزور » .

وعن أَحمد في أَكْلِ سَنامِها روايتان ، ولأَصحابه في شُربِ أَلبانها وَجْهان ؛ وتُكْرَهُ الصَّلاةُ في أَعطانِها : وهي الأَمكنةُ التي تَأْوِي إِليها بعد الشُّرْبِ .

● روَى « أَبو داود » و« التِّرمذيّ » و« ابن ماجه » ، عن عبد الرَّحمن بن أَبي ليلى ، عن البَراء بن عازِب ، قال[2] : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الوُضوءِ من لُحومِ الإِبل ، فقال : « تَوَضَّؤوا منها » . وسُئِلَ عن لُحُومِ الغَنَمِ ، فقال : « لا تَتَوَضَّؤوا منها » . وسُئِلَ عن الصَّلاةِ في مَبارِكِ الإِبلِ ، فقال : « لا تُصلُّوا

---

(١) المستطرف ٢/٤٣٨ نقلاً .

(٢) أبو داود (١٨٤) و(٤٩٣) والترمذي (٨١) وابن ماجه (٤٩٤ ـ ٤٩٧) .

في مَبارِكِ الإِبلِ ، فإِنَّها مَأْوَى الشَّياطين » . وسُئِلَ عنِ الصَّلاةِ في مَرابضِ الغَنَمِ ، فقال : صَلُّوا فيها ، فإِنَّها مُباركَةٌ » .

● وروى « النَّسائيُّ » و« ابن حِبّان »[1] ، من حديثِ عَبد الله بن مُغَفَّل رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال : « إِنَّ الإِبلَ خُلِقَتْ من الشَّياطين » .

● **وأَمَّا زَكاتُها** : فالواجبُ في كلِّ خمسٍ منها سائِمةٍ شاةٌ ، وفي عَشْرٍ شاتان ، وفي خمسةَ عشر ثلاثُ شِياهٍ ، وفي عشرين أَربعُ شِياهٍ ، ثمَّ في خَمسٍ وعشرين بنتُ مَخاضٍ ، وفي ستٍّ وثلاثِينَ بنتُ لَبونٍ ، وفي سِتٍّ وأَربعينَ حِقَّةٌ ، وفي إِحدى وستِّينَ جَذَعَةٌ ، وفي سِتٍّ وسبعينَ بِنْتاً لَبُونٍ ، وفي إِحدى وتِسْعِينَ حِقَّتانِ ، وفي مِئةٍ وإِحدى وعِشرينَ ثلاثُ بَناتِ لَبُونٍ ، ثمَّ في كلِّ أَربعين بنْتُ لَبُونٍ ، وفي كلِّ خَمسينَ حِقَّةٌ .

وبنتُ المخاضِ : ما لها سَنَةٌ ، وبنتُ اللَّبونِ : ما لَها سَنَتَانِ ؛ والحِقَّةُ : ما لَها ثلاثُ سِنين ، والجَذَعَةُ : ما لَها أَربعُ سِنين ؛ والشَّاةُ الواجبَةُ لها : جَذَعَةُ ضَأْنٍ ، وهي مَا لها سَنَةٌ ، أَو ثَنِيَّةُ مَعْزٍ ، وهي مَا لَها سَنَتَانِ ؛ وبَقيَّةُ أَحكامِ الزَّكاةِ مَعروفةٌ .

● **تتمَّة** : قال المُتَوَلِّي : إِذا أُوصِيَ لشخصٍ بإِبلٍ ، جازَ أَن يُعطى ذَكراً أَو أُنْثى ، فإِن أُعْطِيَ فَصيلاً أَو ابنَ مخاضٍ ، لَمْ يَلزمْهُ قَبولُهُ ، لأَنَّهُ لا يُسَمَّى إِبلاً .

● **الأَمثالُ** : روى « مُسلمٌ » و« التِّرمذيُّ » ، عن عبد الله بن عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال[2] : « النَّاسُ كَإِبلٍ مِئَةٍ ، ليسَ فيها راحِلَةٌ » يَعني : أَنَّ المَرْضِيَّ مِنَ النَّاسِ قليلٌ ؛ وسيأْتي مَعناهُ إِنْ شاءَ اللهُ تعالى في باب الرَّاء المُهملة ، في « الرَّاحِلة » .

---

(١) وابن ماجه (٧٦٩) وأَحمد في المسند ٤/ ٨٥ و٨٦ و٥/ ٥٤ و٥٥ .

(٢) مسلم (٢٥٤٧) والترمذي (٢٨٧٢) وابن ماجه (٣٩٩٠) .

وقال الأزهريُّ : مَعناهُ : أَنَّ الزَّاهدَ في الدُّنيا ، الكامِلَ في الزُّهدِ فيها والرَّغْبَةِ في الآخرةِ ، قليلٌ كَقِلَّةِ الرَّاحِلَةِ في الإِبلِ .

وقالوا[1] : « أَشْبَعْتُهُمْ سَبّاً ، وراحُوا بالإِبلِ » . قيل : أَوَّلُ مَنْ قاله كعبُ ابن زهير بن أَبي سُلمى ؛ يُضْرَبُ لمن لَمْ يَكنْ عندَهُ إِلاَّ الكلام .

وقالوا[2] : « ما هكذا تُورَدُ يا سَعْدُ الإِبلُ » ؛ يُضربُ لمن تَكَلَّفَ أَمراً لا يُحْسِنُهُ ؛ وتَمَثَّلَ بذلك عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديثٍ رواه البيهقيُّ وغَيره .

وقالوا[3] : « يا إِبلُ عُودِي إِلى مَبارِكِكِ » ؛ يُضربُ لمن يفرُّ من الشَّيءِ الذي لا بُدَّ له منهُ .

● **الخواصُّ** : قال ابنُ زُهْرٍ[4] وغيرُهُ[5] : إِذا وَقَعَ بَصَرُ الجَملِ على سُهيلٍ ، ماتَ لوقتِهِ .

ولُحومُ الإِبلِ والكِباشِ الحَوْلِيَّةِ الجَبليَّة ، رَديئَةٌ كلُّها .

وإِذا أُحرقَ وَبَرُ الإِبلِ ، وذُرَّ على الدَّمِ السَّائِلِ ، قَطَعَهُ .

وقُرادُهُ يُرْبَطُ في كُمِّ العاشِقِ ، فَيزُولُ عِشْقُهُ .

وإِذا شَرِبَ السَّكرانُ من بَولِ الجملِ ؛ أَفاقَ من سَاعَتِه .

ولَحمُه يزيدُ في الباهِ والإِنْعاظِ بعد الجِماعِ .

---

(1) الفاخر ١٧٦ وأَمثال أَبي عبيد ٣٢١ ومجمع الأَمثال ٢/ ٣٦٣ وجمهرة الأَمثال ١/ ١١٦ والمستقصى ١/ ٤٣١ .

(2) فصل المقال ٣٤٧ وأَمثال أَبي عبيد ٢٤٠ والميداني ٢/ ٣٦٤ والعسكري ١/ ٩٣ والزَّمخشري ١/ ٤٣٠ .

(3) الميداني ٢/ ٢٧ و٤١٤ والعسكري ٢/ ٥٧ والزمخشري ٢/ ٤٠٤ و١٧٢ .

(4) في الأُصول : ابن زهير ! .

(5) مسالك الأَبصار ٢٠/ ٢٥ ـ ٢٦ والمستطرف ٢/ ٤٣٨ .

وبَولُ الإبلِ ينفعُ من وَرَمِ الكَبدِ ، ويزيدُ في الباهِ .

ومُخُّ ساقِ الجَملِ إذا تَحَمَّلت بهِ المرأةُ في قُطْنَةٍ أَو صُوفَةٍ بعدَ الطُّهْرِ ثلاثةَ أَيَّامٍ ، وجُومِعَتْ ، فإِنَّها تَحملُ وإن كانتْ عاقِراً .

وسيأتِي إن شاءَ الله تعالى قريباً في الكلام على لَفْظِ « الإنسانِ » قاعدةٌ ذكرَها حُذَّاقُ الأَطِبَّاءِ ، تَعرفُ بِها العاقِرَ من النِّساء .

● **التَّعبيرُ** : قال أَهلُ التَّعبير[1] : مَنْ رَأَى أَنَّهُ مَلَكَ منها هَجْمَةً في مَنامِهِ ، فإِنَّه يدلُّ على أَنَّهُ يَحكمُ على جَماعةٍ ذوي أَقْدارٍ ؛ ويَملكُ مالاً طائِلاً ؛ وكذلك إذا رأَى أَنَّهُ نَالَ ثُلَّةً أَو ثاغِيَةً أَو راغِيَةً ؛ والهَجْمَةُ : مِئةٌ من الإِبلِ ، والثُّلَّةُ : قَطيعٌ من الغَنَمِ . والثَّاغِيةُ : الشَّاةُ . والرَّاغيةُ : الإِبلُ .

قالوا : ومَن رأَى أَنَّهُ مَلَكَ إِبلاً في مَنامِهِ ، نالَ عُقبى حَسَنَةً ، وسَلامةً في دِينِهِ ومُعتقدِهِ ، لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] .

فإِنْ قال : رأَيْتُ جِمالاً ؛ فربَّما دلَّ على الأَعمْالِ السَّيِّئَةِ ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] ولقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات : ٣٢ ـ ٣٣] .

وإن قال : رأَيْتُ أَنْعاماً وأَنا أَسرحُها في المنامِ ؛ فإِنَّهُ يدلُّ على تَذْلِيلِ الأُمُورِ الصِّعابِ ، وظُهورِ النِّعمةِ عليه ، لقوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَسْرَحُونَ ﴾ [النّحل : ٥] .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَرْعى إِبلاً عِراباً : وُلِّيَ على قومٍ من الأَعرابِ .

ومن رَأَى إِبلاً كَثيرةً في بَلَدٍ : فإِنَّها تدلُّ على أَمراضٍ وحُروبٍ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧٦ ـ ١٧٧ وتفسير الواعظ ٢٧٦ ـ ٢٧٨ .

وقال الجيلي : مَنْ رأى أَنَّهُ يملكُ إبلاً : نالَ مَقدرةً وسَطوةً .

وقال أَرطاميدورس : مَنْ أَكلَ لَحمَ الإِبلِ في مَنامِهِ مَرِضَ .

وقال محمَّد بن سيرين إِمام المعبِّرين ، ومن أَعلام التَّابعين : لا بأْسَ بأَكلِ لَحمِ الإبلِ ، لقوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل : ٥] وستأتي بقيَّته إن شاءَ الله تَعالى في باب الجيم ، في لفظِ « الجملِ » ، والله أَعلم .

٣ الأَبابيل : واحِدَتُهُ إِبالَةٌ ؛ وقال أَبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلاَّم : لا واحدَ لها من لَفْظِها .

وقيل[١] : واحدها إِبَّوْلٌ كَعِجَّوْلٍ . وقيل : إِبِّيل كَسِكِّين . وقيل : إِيْبال كدِينار ودَنانير .

وذكر الفارسيُّ أَنَّهُ سمعَ في واحِدِهِ : إِبَّالَةٌ بالتَّشديدِ . وحكى الفَرَّاءُ : إِبالَة بالتَّخفيفِ .

واختلفوا[٢] في قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل : ٣] فقال سعيدُ بن جُبيرٍ : هي طيرٌ تُعَشِّشُ بينَ السَّماءِ والأَرضِ وتُفَرِّخُ ، ولها خَراطِيمُ كَخَراطيم الطَّير ، وأَكُفٌّ كأَكُفِّ الكلابِ .

وعن عِكرمَةَ : أَنَّها طيورٌ خُضْرٌ ، خَرجَت من البحر ، لها رُؤوسٌ كرُؤُوسِ السِّباعِ .

وقال[٣] ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُما : بعثَ الله الطَّيرَ على أَصحابِ الفيلِ كالبَلَسان . وقيلَ : كانَت كالوطاويط .

---

(١) صحاح الجوهريّ ٤/١٦١٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٥١ .

(٣) اللِّسان ١/ ٣٤٣ (بلس). والبَلَسان : شجر كثير الورق ، ينبت بمصر ، وله دهن معروف .

وقال عبّاد بن موسى[1] : أَظُنُّها الزّرازير .

وقالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهَا : هي أَشْبَهُ شَيءٍ بالخَطاطيف ؛ وسيأتي إن شاء اللهُ تعالى في باب السِّين أَنَّها السُّنونو الذي يَأْوي الآنَ في المسجدِ الحرامِ ، الواحدةُ سُنونَةٌ[2] .

والأَبيل : راهبُ النَّصارى ؛ وكانوا يُسَمُّون عيسى ابن مريم عليهما السَّلام : أَبيلَ الأَبيلين ؛ قال الشَّاعر[3] : [من الطويل]

أَمـا وَدِمـاءٍ مـائِـراتٍ تَخـالُـهـا ... على قُنَّةِ العُزَّى وبالنَّسْرِ عَنْدَما[4]

وَمَـا سَبَّـحَ الـرُّهْبَـانُ فـي كُـلِّ بِيْعَـةٍ ... أَبيـلَ الأَبيلـيـنَ عِيْسـى ابـنَ مَـرْيَمـا

لَقَـدْ ذاقَ مِنَّـا عـامِـرٌ يَـوْمَ لَعْلَـعٍ ... حُسـامَـاً إذا مـا هُـزَّ بـالكَـفِّ صَمَّمـا

والإبالةُ بالكَسرِ : الحُزْمَةُ من الحطبِ .

وفي المَثَلِ[5] : ضِغْثٌ على إبالَةٍ : أَي بَلِيَّةٌ على أُخرى كانَتْ قَبْلَها ؛ واللهُ الموفِّق .

٤ الأَتان : بفَتح الهَمزةِ ، وبالتَّاءِ المُثَنَّاة [من] فوق[6] : الحِمارةُ ؛ ولا تَقُلْ : أَتانةٌ . ويُقال : ثلاثُ آتُنٍ ، مثل عَناقٍ وأَعْنُقٍ . والكثيرُ : أُتْنٌ وأُتُنٌ .

---

(١) في ط : عبادة بن الصَّامت .

(٢) في أ ، ب : سنونوة .

(٣) الأَبيات لعمرو بن عبد الجنّ في معجم الشُّعراء ١٨ والخزانة ٧/ ٢١٦ واللِّسان ١/ ١١ (أَبل) . وهي بلا نسبة في الصِّحاح ٤/ ١٦٢٠ وأَمالي ابن الشجري ٣/ ١٢١ والإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٣١٨ .
والثَّالث في ديوان حميد بن ثور ٣١ عن اللِّسان .

(٤) في أ : × على قلَّة الشِّعرى أَو النَّسر . . . وفي ب : × على قلَّة العزَّى . . .

(٥) الميداني ١/ ٤١٩ والعسكري ٢/ ٦ والزَّمخشري ٢/ ١٤٨ وأَمثال أَبي عبيد ٢٦٤ .

(٦) عن الصِّحاح ٥/ ٢٠٦٧ .

وَاسْتَأْتَنَ الرَّجُلُ : أَي اشْتَرى أَتاناً ، واتَّخَذَها لنَفسِه .

● قال محمَّد بن سلاَّم[1] : حَدَّثني رجلٌ من قُريشٍ ، قال : خرجَ خالدُ ابن عبدِ الله القَسْريّ يوماً يَتَصَيَّدُ ، وهو أَميرُ العِراقِ ، فانْفردَ عن أَصحابه ، فإذا هو بأَعرابيٍّ على أَتانٍ له هَزيلٍ ، ومعه عجوزٌ لهُ ، فقال له خالدٌ : ممَّن الرَّجلُ ؟ فقال : من أَهْلِ المآثِرِ والحَسَبِ والمفاخِرِ . قال : فأَنتَ إِذن من مُضَر ؛ فمِن أَيِّها أَنتَ ؟ قال : من المطاعِنينَ على الخُيُولِ ، المُعانقينَ عند النُّزولِ . قال : فأَنت إِذن من عامرٍ ، فمن أَيِّها أَنتَ ؟ قال : [من الطَّالبين الثَّأر ، والمانعينَ الجارَ . قال : فأَنتَ إِذن من كِلابٍ ؛ فمِن أَيِّها أَنتَ ؟ قال :] من أَهل الوِفادَةِ والكَرَمِ والسِّيادَةِ . قالَ : فأَنتَ إِذن من جعفر ، فمِن أَيِّها أَنتَ ؟ قال : من بُدورِها وشُموسِها ولُيُوثِها في خِيْسِها . قال : فأَنتِ إِذن من الحُوصِ[2] ، فما أَقْدَمَكَ هذه البلادَ ؟ قالَ : تَتابُعُ السِّنين ، وقلَّةُ رِفْدِ الرَّافِدين . قال : فَمَنْ أَردتَ بها ؟ قال : أَميرَكُم هذا ، الذي رَفَعَتْهُ إِمْرَتُهُ ، وحَطَّتْهُ أُسْرَتُهُ . قال : فما أَردتَ منه ؟ قال : كثرةَ مالِه ، لا كَرَمَ آبائِه . قال : مَا أَراكَ إِلاَّ قد قلتَ فيه شِعراً ؛ قال لامرأَتِهِ: أَنشديه ، فقالت : كَمْ تُجَشّمنا مَدْحَ اللَّئيمِ ، مُذِ اليَومَ ، إِنَّ مَدْحَ اللَّئيم ذُلٌّ . قال : أَنشديه ؛ فأَنْشدَتْهُ : [من الطويل]

إِلَيْكَ ابْنَ عَبْدِ اللهِ بالحَمْدِ أَرْقَلَتْ ... بنَا البِيْدَ عِيْسٌ كالقِسِيِّ سَواهِمُ
عَلَيْهَا كِرامٌ مِنْ ذُؤَابَةِ عامِرٍ ... أَضَرَّ بِهِمْ جَدْبُ السِّنينِ العَوارِمُ
يُرِدْنَ امْرَأً يُعْطِي على الحَمْدِ مالَهُ ... وهانَتْ عَلَيْه في الثَّناءِ الدَّراهِمُ
فَإِنْ تُعْطِ ما نَهْوَى فَهَذَا ثَناؤُنا ... وإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَمَا ثَمَّ لائِمُ

فقال له خالدٌ : يا عبدَ الله ، مَا أَعْجَبَكَ وشِعْرَكَ ! جئْتَ على أَتانٍ هَزيلٍ ،

---

(١) الخبر عن الموفقيّات ٧٨ . وهو في العفو والاعتذار للرَّقَّام ٢٤٥ ـ ٢٤٨ . والزِّيادة منهما .

(٢) في ط : الخواص ! والحوص : هم بنو الأَحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . (جمهرة ابن حزم ٢٨٤ و٤٩٦) .

وتَزعمُ أَنَّكَ جِئْتَ على عِيْسٍ ؟ وقد ذَكرتَ الرَّجلَ في شِعْرِكَ بِخِلافِ مَا ذَكَرْتَ في كَلامِكَ ؟ فقال : يا ابنَ أَخِي ، مَا تَجَشَّمْنَا من مَدْحِ اللَّئِيمِ ، كانَ أَشَدَّ من الكَذِبِ فِي شِعْرِنا . فقال لهُ خالدٌ : أَتعرفُ خالداً ؟ قال : لا ؛ قال : فأَنا هُوَ خالدٌ . قالَ : أَسأَلُكَ باللهِ ، هو أَنتَ خالِدٌ ؟ قال : إِي والذي سأَلْتَنِي بهِ ، أَنا خالدٌ ؛ وَأَنا مُعطيكَ ، غيرُ مُكافِئِكَ ؛ فقال : يا أُمَّ جَحْشٍ ، اصْرِفِي وَجْهَ أَتانِكِ ؛ فقال لها خالدٌ : لا تَفْعَلي ، وأَقيمي أَنْتِ وزَوجُكِ ؛ فقال الرَّجلُ : لا واللهِ ، لا رَزَأْتُ امْرَأً دِرْهماً ، بعدَ أَنْ أَسْمَعْتُهُ مَا يَكْرَهُ ؛ وصَرَفَ وَجْهَ أَتانِهِ وَمَضى . فقال خالدٌ : بِمِثْلِ هذا الفِعْلِ نالَ هذا وآباؤُهُ ما نالوا .

● وروى البيهقيُّ[1] عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال : « مَنْ لَبِسَ الصُّوفَ ، وحَلبَ الشَّاةَ ، وركبَ الأُتُنَ ، فليْسَ في نَفْسِهِ من الكِبْرِ شَيْءٌ » .

وهو كذلك في « الكامل » في تَرجمةِ عبد الرَّحمنِ بن عمَّار بن سعد .

● وعن جابر وأَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « بَراءَةٌ من الكِبْرِ : لِباسُ الصُّوفِ ، ومُجالسةُ فُقراءِ المؤمنين ، ورُكوبُ الحِمارِ ، واعْتِقالُ العَنْزِ ، وأَكْلُ أَحدِكُم مع عِيالِهِ » .

● وفي « الاستيعابِ » وغيره[2] : أَنَّ زُرارَةَ بن عَمرو النَّخَعيّ ، قَدِمَ على

---

(١) شعب الإيمان ٥/ ١٥٣ (رقم ٦١٦٤) والكامل لابن عدي ٥/ ٥٠٩ ، (ط . دار الكتب العلميَّة) وقارن التّرمذي (٢٠٠١) .

(٢) الاستيعاب (الترجمة ٨١٤) وأُسد الغابة ٢/ ٢٥٤ والإصابة ٢/ ٤٦٣ رقم ٢٨٠٢ وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٥٠٨ ـ ٥١٣ وتعبير الرُّؤيا له (مجزّءاً في الأَرقام ١٤٥ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٤) والفائق للزَّمخشري ٢/ ١٨٢ ومنال الطالب ١/ ٢٤٣ والعقد الفريد ٢/ ٣٣ والوافي بالوفيات ١٤/ ١٩٢ .

رسولِ الله ﷺ في النِّصفِ من رَجَبٍ ، سنةَ تسعٍ[1] ، فقال : يا رَسولَ اللهِ ، إنِّي رأَيْتُ في طريقي رُؤْيَا هالَتْنِي ؛ قال رسول الله ﷺ : وما هِيَ ؟ قال : رأَيْتُ أَتاناً خَلَّفْتُهَا في أَهلي ، قد وَلَدَتْ جَدْياً أَسْفَعَ أَحْوَى ، ورأَيْتُ ناراً خرجَتْ من الأَرضِ ، فحالَتْ بَيني وبينَ ابنٍ لي يُقالُ له : عمرو ، وهي تقولُ : لَظى لَظى ، بَصيرٌ وأَعمى ؛ فقال له النَّبيُّ ﷺ : أَخَلَّفْتَ في أَهْلِكَ أَمَةً مُسِرَّةً حَمْلاً ؟ قال : نَعم ؛ قال ﷺ : فإنَّها قَد وَلَدَتْ غُلاماً ، وهو ابنُكَ ؛ قال : فأَنَّى له أَسْفَعَ أَحْوَى ؟ قال : ادْنُ منِّي ؛ فدنا منه ، فقال : أَبِكَ بَرَصٌ تَكْتُمُهُ ؟ قال : والذي بَعَثَكَ بالحقِّ نَبِيّاً ، مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ . قال : فهوَ ذاكَ . وأَمَّا النَّارُ فإنَّها فِتْنَةٌ تكونُ بَعدي . قال : وما الفِتْنَةُ يا رسولَ الله ؟ قال ﷺ : يَقتلُ النَّاس إمامَهُم ، وَيَشْتَجِرُونَ اشْتِجَارَ أَطْباقِ الرَّأْسِ ـ وخالفَ بين أَصابعه ـ دَمُ المؤمن عندَ المؤمنِ أَحَلُّ من الماءِ ، يَحْسبُ المُسيءُ أَنَّهُ مُحسنٌ ؛ إن مِتَّ أَدْرَكَتْ ابنَك ، وإِنْ ماتَ ابنُكَ أَدْرَكَتْكَ . قال : فادْعُ اللهَ لي أَنْ لا تُدركَنِي ؛ فَدَعا لهُ» .

وقد قال العلماء : إنَّ هذه الفتنةَ هي الفتنةُ التي قتل فيها عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

والأَسْفَعُ الأَحْوَى : الأَبْلَقُ .

● **الأَمثالُ** : قالوا[2] : « كان حِماراً فاسْتَأْتَنَ » . يُضربُ لِمن يَهونُ بعد العِزِّ .

● **التَّعبيرُ**[3] : الحِمارةُ : امرأَةٌ مُعينَةٌ على المعيشةِ ، كثيرةُ الخيرِ ، ذاتُ رِبْحٍ مُتواترٍ ونَسْلٍ ، ولَفْظُ الأَتانِ من الإِتْيانِ .

---

(١) وقيل : سنة عشر . وقيل : إحدى عشرة .

(٢) الميداني ٢/ ١٣١ والعسكري ١/ ٢٤٨ و٣٤١ والزمخشري ٢/ ٢١٣ وأبو عبيد ١١٨ .

(٣) تعبير الرؤيا ١٧٤ ـ ١٧٦ وتفسير الواعظ ٢٦٩ ـ ٢٧١ .

٥ **الأَخْطَبُ** : كالأَحمرِ ، يُقالُ : إِنَّهُ الصُّرَدُ[١] ؛ وأَنشدَ : [من الطَّويل]

ولا أَنْثَنِـي مـن طِيْـرَةٍ عـن مَـريـرَةٍ ... إِذا الأَخْطَبُ الدَّاعي على الدَّوْحِ صَرْصَرَا

والأَخْطَبُ : حِمارٌ يَعلو ظَهْرَهُ خُضْرَةٌ ؛ وقال الفَرَّاءُ : الخَطْبَاءُ : الأَتانُ التي لها خَطٌّ أَسْوَدُ في ظَهْرِها ؛ والذَّكَرُ أَخْطَبُ .

٦ **الأُخَيْضِرُ** : ذُبابٌ أَخْضَرُ ، على قَدْرِ الذِّبّانِ السُّودِ ؛ قاله ابنُ سِيْدَه[٢] .

٧ **الأَخْيَلُ** : طائِرٌ أَخْضَرُ ، على أَجنحتِهِ لَمَعٌ تُخالفُ لَوْنَهُ ؛ وسُمِّيَ بذلكَ لِخِيْلانٍ فِيهِ .

وقيلَ[٣] : الأَخْيَلُ[٤] : الشِّقِرَّاقُ ـ الآتي في بابِ الشِّينِ المُعجمة ـ وهو مَشْؤُومٌ ، ولَفْظُهُ يَنصرفُ في النَّكِرَةِ إِذا سَمَّيْتَ بِهِ ، ومنهم مَنْ لا يَصرفُهُ في مَعرفةٍ ولا نَكرةٍ ، ويَجعلهُ في الأَصلِ صِفَةً من التَّخَيُّلِ ، ويَحْتَجُّ بقولِ الشَّاعِرِ[٥] : [من الطَّويل]

ذَرِينـي وَعِلْمِـي بـالأُمـورِ وَشِيْمَتِـي ... فَمـا طـائِـري فيهـا عَلَيْـكِ بِـأَخْيَـلا

٨ **الأَرْبَدُ** : ضَرْبٌ من الحَيَّاتِ ، يَعَضُّ فَيَرْبَدُّ منهُ الوَجْهُ .

ومنهُ مَا حَكاهُ عبدُ الملكِ بن عُمير ، قال[٦] : رأَيْتُ زياداً واقفاً على قبرِ

---

(١) ويُقال : الشِّقِرّاق . والنَّص بتمامه عن صحاح الجوهري ١/ ١٢١ . والبيت فيه بلا نسبة وعنه اللِّسان (خطب) ٢/ ١١٩٥ .

(٢) في المخصص ٨/ ١٨٦ . وفي أ ، ط : . . . الذُّباب الأَسود .

(٣) ستكرَّر هذه المادَّة في باب الخاء ، برقم (٢٩٩) .

(٤) عن الصحاح ٤/ ١٦٩٣ .

(٥) البيت لحسَّان بن ثابت في ديوانه ١/ ٤٤ (عرفات) و٢٧١ (سيد حنفي) و٤٠٤ (برقوقي) .

(٦) الخبر في : مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٨١ والأَغاني ١٦/ ٩٢ وأُسد الغابة ٥/ ٢٤٩ . والرَّاثي في الأَغاني وأُسد الغابة هو : مصقلة بن هبيرة الشيباني .

المُغيرةِ بن شُعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وهو يَقولُ[1] : [من الخفيف]

إنَّ تَحْتَ الأَحْجَارِ حَزْمَاً وَعَزْماً وَخصيماً أَلَدَّ ذا مِعْلاقِ
حَيَّةً في الوِجارِ أَرْبَدَ لا يَنْـ ـفَعُ مِنْهُ السَّليمَ نَفْثُ الرَّاقِي

ثم قال : أَمَا واللهِ ، لقد كنتَ شَديدَ العَداوَةِ لمن عادَيْتَ ، شديدَ الأُخُوَّةِ لمن آخيْتَ .

والمِعْلاقُ بالعَيْنِ المُهملة .

قال الجوهريُّ[2] : يُقالُ : رجلٌ ذُو مِعْلاقٍ : أَي شَديدُ الخُصُومَةِ ، ثمَّ أَنشدَ قولَ الشَّاعر ، وهو مُهلهل :

إنَّ تَحْتَ الأَحْجَارِ حَزْمَاً وَجُوداً وَخَصِيماً أَلَدَّ ذا مِعْلاقِ

٩ **الأَرْخُ** : قال ابنُ دَرَسْتَويه : هِيَ الأُنْثى الثَّنِيَّةُ[3] من البَقَرِ ، التي لَمْ يَنْزُ عليها الفَحْلُ ؛ وجَمْعُها : أَروخٌ وأَرْواخٌ[4] .

قال : وأَنْشَدَنِي أَعرابيٌّ ، من مُزَيْنَةَ في طريقِ مَكَّةَ ، لنفسِهِ ، فقال :[من البسيط]

أَيَّامَ عَهْدِيَ في مَيٍّ كَأَنَّ بِها أَرْخٌ يَرُودُ بِرَوْضَةٍ مِبْقَالِ

وقال الجَوهريُّ[5] : الإِرْخُ : بَقَرُ الوَحْشِ .

وقال صاحبُ « المُغْرِب » : الأَرْخُ وَلَدُ البَقَرةِ الوَحْشِيَّةِ .

---

(١) البيتان لمهلهل بن ربيعة في رثاء أَخيه كليب ، كما في الأَغاني وكامل المبرد ١/ ٥٦ والتاج واللسان (علق) . وبلا نسبة في المختصر وأُسد الغابة والصحاح .

(٢) الصحاح ٤/ ١٥٣١ . وقال المبرّد : ويُروى : مغلاق ، فمن روى ذلك ، فتأويله أَنَّه يُغلق الحجَّة على الخصم .

(٣) وقيل : الذَّكر . ويُقال له : أَزَخٌ بالزَّاي . (القاموس) . والثَّنيُّ : ما دخل في الثَّالثة .

(٤) كذا في ط . والمادَّة ساقطة من أ ، ب . وفي المخصص ٨/ ٣٧ : الجمع : إراخٌ وآراخٌ .

(٥) في الصِّحاح ١/ ٤١٨ : الإراخ : بقر الوحش ، الواحدة إِرْخٌ . وفي ط : وحش البقر ! .

١٠ **الأَرَضَةُ** : بفَتح الهمزةِ والرَّاءِ والضَّادِ المُعجمةِ : دُوَيْبَّةٌ صَغيرةٌ ، كَنِصْفِ العَدَسَةِ ، تَأْكُلُ الخَشَبَ ؛ وهي التي يُقالُ لها : السُّرْفَة ، بالسِّينِ والرَّاءِ المُهملتَين والفاءِ ؛ وهي دابَّةُ الأَرضِ التي ذَكَرَها الله تعالى في كتابه ؛ وستأْتِي إن شاء الله تعالى في « بابِ السِّين المُهملة » .

ولمَّا كان فِعْلُها في الأَرْضِ ، أُضِيفَتْ إليها .

● قال القَزوينيّ[١] : إذا أَتى على الأَرَضَةِ سَنَةٌ ، نَبتَ لَها جَناحانِ طَويلانِ تَطيرُ بهما ، وهي دابَّةُ الأَرْضِ التي دلَّتِ الجِنَّ على موتِ سُليمانَ عليهِ السَّلام ؛ والنَّمْلُ عَدُوُّها ، وهو أَصْغَرُ منها ، فيأْتيها من خَلْفِها فَيَحْمِلُها ويَمشِي بِها إِلى جُحْرِهِ ، وإِذا أَتاها مُسْتقبِلاً لا يَغْلِبُها ، لأَنَّها تُقاومُهُ . انتهى .

● ومن[٢] شَأْنِها أَنَّها تَبْنِي لِنَفْسِهَا بَيْتاً حَسَناً من عِيْدَانٍ تَجْمعها مثلَ غَزْلِ العَنكبوتِ مُنْخَرِطاً من أَسفلِهِ إِلى أَعلاه ، وله في إِحدى جِهاته بابٌ مُرَبَّعٌ ، وبَيْتُها ناووسُها ، ومنها تَعلَّمَ الأَوائلُ بناءَ النَّواويسِ على مَوتاهم .

● وفي « الصَّحيحين » وغيرهما[٣] : أَنَّ قُريشاً لَمَّا بَلَغَهم إِكرامُ النَّجاشيِّ لجعفر وأَصحابه ، كَبُرَ ذلك عليهم ، وغَضبُوا على رَسولِ الله ﷺ وأَصحابه ، وكَتَبُوا كِتاباً على بَني هاشمٍ ، أَنْ لا يُناكِحُوهم ولا يُبايِعُوهم ولا يُخالِطُوهُم ، وكان الذي كتبَ الصَّحيفةَ بَغيضُ بن عامرٍ[٤] ، فَشُلَّتْ يَدُهُ ، وَعَلَّقوا الصَّحيفةَ

---

(١) في ط : قال القزويني في الإشكال . وفي أ : .... في الأَمثال . والنَّص في عجائب المخلوقات ٢٨٨ وعنه مسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٩ والمستطرف ٢/ ٤٣٩ .

(٢) ثمار القلوب ٢/ ٦٣٧ ـ ٦٣٨ والتَّوفيق ٦٦ والحيوان ٧/ ٣٢ والميداني ١/ ٤١١ والمستطرف ٢/ ٤٣٩ .

(٣) الخبر ليس في الصَّحيحين ! ! . وانظره في : السيرة النَّبويَّة ١/ ٣٥٠ وطبقات ابن سعد ١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ والطَّبري ٢/ ٣٤١ ودلائل النُّبوَّة لأَبي نعيم ٢٧٢ والبداية والنهاية ٤/ ٢٠٧ وما بعد . . .

(٤) كذا ، وليس به ! ! . وكاتب الصَّحيفة هو منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم . وقيل : =

في جَوفِ الكَعبةِ ، وحَصَروا بني هاشمٍ في شِعْبِ أَبي طالبٍ ليلةَ هلالِ المُحَرَّم ؛ سنةَ سَبْعٍ من مَبْعَثِه ﷺ ، وانْحازَ إِليهم بَنو عبدِ المطَّلِب ، وقَطَعَتْ عنهم قريشٌ المِيْرَةَ والمادَّةَ ، فكانوا لا يَخرجُونَ إِلاَّ من مَوسِمٍ إِلى مَوسمٍ حتَّى بَلَغُوا الجَهْدَ ، وأَقامُوا على ذلكَ ثلاثَ سِنين ، ثمَّ أَطْلَعَ اللهُ رسولَهُ ﷺ على أَمْرِ الصَّحيفةِ ، وَأَنَّ الأَرَضَةَ قد أَكَلَتْ مَا كانَ فيها من ظُلْمٍ وجُورٍ ، وبَقيَ مَا كَانَ فيها من ذِكْرِ اللهِ تعالى ، فأَخبرَهُم أَبُو طالبٍ بذلك ، فأَرسلُوا إِلى الصَّحيفة فوجَدُوها كما قال رسولُ اللهِ ﷺ ، فأَخرجوهُم من الشّعْبِ .

● وروى ابنُ سعدٍ وابنُ ماجَه في « سُنَنه » من حديثِ أُبيّ بنِ كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُصَلِّي إِلى جِذْعٍ ، فاتُّخِذَ له المِنْبَرُ ؛ فَحَنَّ ذلك الجِذْعُ إِليهِ حَنينَ العِشَارِ ، حتَّى مَسَحَهُ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِهِ ، فَسَكَنَ ، فلمَّا هُدِمَ المسجدُ وغُيِّرَ ، أَخَذَ ذلكَ الجِذْعَ أُبَيُّ بن كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فكانَ عندَه في دارِهِ حتَّى بَلِيَ وأَكَلَتْهُ الأَرَضَةُ وعادَ رُفاتاً » .

وسيأْتِي إِن شاءَ اللهُ تعالى للأَرَضَةِ ذِكْرٌ في بابِ الدَّالِ المهملةِ في لفظِ « الدَّابَّةِ » وفي « دود الفاكهة » .

الحُكم : يُحَرَّمُ أَكْلُها لاسْتِقْذَارِها ؛ وإِذا اسْتَخْرَجَتْ من الأَرضِ تُرابَها ، قال القاضِي حُسين : إِنِ اسْتَخْرَجْتَهُ من مَدَرٍ ، جَازَ التَّيَمُّمُ ، ولا يَضُرُّ اختلاطُهُ بلُعابِها ، فإِنَّه طاهرٌ ، فصَارَ كتُرابٍ عُجِنَ بخَلٍّ أَو ماءِ وَرْدٍ ؛ وإِن استخرجَتْ شيئاً من الخَشَبِ أَو الكُتُبِ ، لَمْ يَجُزْ ، لعَدَمِ التُّرابِ .

الأَمثالُ : قالوا : « آكَلُ من أَرَضَةٍ » . و« أَصْنَعُ من أَرَضَةٍ »[2] .

= النضر بن الحارث .

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٢١٦ ـ ٢١٧ وابن ماجه (١٤١٤) .

(٢) يُقال : أَفسد من الأَرَضَة . (الميداني ٢/ ٩٠ والعسكري ٢/ ١٠٤ والزَّمخشري ١/ ٢٧١ =

التَّعبيرُ : هي في الرُّؤْيَا ، تدلُّ على مُنازَعَةٍ في العِلمِ ، وطَلَبِ الجِدالِ[1] .

١١ **الأَرْقَمُ** : الحَيَّةُ التي فيها بَياضٌ وسَوَادٌ ، كَأَنَّهُ رَقْمٌ ، أَي نَقْشٌ .

● روى أَصحابُ الغَريبِ[2] : أَنَّ رَجلاً كُسِرَ منهُ عَظْمٌ ، فجاءَ إِلى عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يطلبُ منه القَوَدَ ، فأَبى أَنْ يُقِيْدَهُ ، فقالَ الرَّجلُ:هو إِذن كالأَرْقَم ، إِنْ يُقْتَل يَنْقَمْ ، وإِنْ يُتْرَكْ يَلْقَمْ : أَي إِنْ تَرَكْتَهُ أَكَلَكَ ، وإِنْ قَتَلْتَهُ قُتِلْتَ بِهِ .

● وقال ابنُ الأَثيرِ في « النِّهايةِ »[3] : كانُوا في الجاهليَّةِ يزعُمُونَ أَنَّ الجِنَّ تَطلبُ بِثَأْرِ الجانِّ ، وهي الحَيَّةُ الدَّقيقةُ ، فَرُبَّما ماتَ قاتِلُها ، ورُبَّما أَصابَهُ خَبَلٌ . وهذا مَثَلٌ لِمَنْ يَجتمعُ علَيْهِ شَرَّانِ ، لا يَدْرِي كيفَ يصنعُ فيهما ؛ يَعني أَنَّهُ اجتمعَ عليه كَسْرُ العَظْمِ ، وعَدَمُ القَوَدِ .

وقيل : الأَرْقَمُ : الحَيَّةُ التي فيها حُمْرَةٌ وسَوادٌ . قال مُهَذَّب المُلْكِ في ذلك مُشَبِّهاً : [من الكامل]

كانُونُ أَذْهَبَ بَرْدَهُ كانُونُنا ... مَا بَيْنَ سَاداتٍ كِرامٍ حُذَّقِ
بِأَراقِمٍ حُمْرِ البُطونِ ظُهُورُها ... سُودٌ تُلَغْلِغُ بِاللِّسَانِ الأَزْرَقِ

١٢ **الأَرْنَبُ** : واحدةُ الأَرانِبِ ، وهو حيوانٌ يشبهُ العَناقَ ، قَصيرُ اليَدين ، طويلُ الرِّجلين ، عكسَ الزّرافةِ ، يَطَأُ الأَرْضَ على مُؤَخَّرِ قَوائِمِهِ ؛ وهو اسمُ جِنْسٍ يُطْلَقُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى .

= والدرة الفاخرة ١/ ٣٢٧ . ويُقال : أَصنع من سُرفة . (الميداني ١/ ٤١١ والعسكري ١/ ٥٨٣ والزمخشري ١/ ٢١٣ والدرة الفاخرة ١/ ٢٦٤ وثمار القلوب ٢/ ٦٣٧) .

(١) وقيل غير ذلك ، انظر تعبير الرُّؤيا ٢١٩ وتفسير الواعظ ٣١٢ .

(٢) الموطأ ٢/ ٨٧٦ والميداني ٢/ ١٤٥ والعسكري ٢/ ١٦٧ والزمخشري ٢/ ٢٠٣ وفصل المقال ٣٧٦ .

(٣) النِّهاية ٥/ ١١١ .

وقالَ الجاحظُ[1] : فإذا قلتَ : أَرنبٌ ، فليْسَ إِلاَّ الأنثى ، كما أَنَّ العُقَابَ لا يَكُونُ إِلاَّ للأُنْثَى ، فتقولُ : هذه العُقاب ، وهذه الأَرْنَبُ .

وقال المُبرِّدُ في « الكامل »[2] : إِنَّ العُقَابَ يقعُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى ، وإِنَّمَا يُمَيَّزُ باسْمِ الإِشارَةِ كالأَرْنَبِ .

وذَكَرُ الأرنبِ يُقالُ لهُ : الخُزَزُ ـ بالخاءَ المُعجَمةِ المَضْمومَةِ ، وبَعْدَها زايان ـ وجَمْعُهُ خِزَّانٌ ، كَصُرَدٍ وصِرْدَان .

ويُقالُ للأُنْثَى : عِكْرِشَةٌ ؛ والخِرْنِقُ : وَلَدُ الأَرْنَبِ ؛ فهو أَوَّلاً خِرْنِقٌ ، ثمَّ سَخْلَةٌ ، ثمَّ أَرْنَبٌ .

وَقَضيبُ[3] الذَّكَرِ من هذا النَّوعِ ، كَذَكَرِ الثَّعْلَبِ ، أَحَدُ شَطْرَيْهِ عَظْمٌ ، والآخَرُ عَصَبٌ ، وربَّما رَكِبَتِ الأُنْثَى الذَّكَرَ عند السِّفادِ ، لِما فيها من الشَّبَقِ ، وتَسفد وهي حُبلى ، وتكونُ عاماً ذَكَراً ، وعاماً أُنْثَى ، فَسُبْحانَ القادرُ على كلِّ شَيْءٍ .

● **غريبة** : ذكر ابنُ الأَثيرِ في « الكامل » في حوادثِ سنةِ ثلاثٍ وعشرينَ وستِّمئةٍ[4] : أَنَّ صَدِيقاً له اصطادَ أَرنباً له أُنْثَيانِ وَذَكَرٌ وفَرْجُ أُنْثَى ، فلمَّا شَقُّوا بَطْنَهُ ، رأَوْا فيهِ مَا يَدُلُّ على ذلك .

وأَعجبُ من ذلكَ : أَنَّهُ كانَ لنا جارٌ له بِنْتٌ اسمُها صَفِيَّة ، بَقِيَتْ كذلكَ

---

(١) عبارة الجاحظ في الحيوان ٦/ ٣٥٧ : وتقول العرب : هذه أَرنبٌ ، كما يقولون : هذه عقابٌ ؛ ولا يُذكِّرون .

(٢) انظر كامل المبرد ١/ ١٣٨ و٢/ ١٠٢٩ و٣/ ١٤٧٧ ففيها هذه المسأَلة ، إلاَّ أَنَّه لم يمثّل بالعقاب أَو الأَرنب .

(٣) حيوان الجاحظ ٦/ ٣٥٦ و٣٠٥ .

(٤) الكامل لابن الأَثير ١٢/ ٤٦٧ والمستطرف ٢/ ٤٤٠ .

خمسَ عشرةَ سنةً ، ثمَّ طلعَ لها ذَكَرٌ ، ونَبَتَ لها لِحْيَةٌ ، وصَارَ لَها فَرْجُ رَجلٍ وفَرْجُ امرأَةٍ ؛ وسيأْتي إِن شاء الله تعالى في الضَّبعِ نظيرُ ذلكَ .

● والأَرْنَبُ[1] تَنامُ مَفتوحةَ العَيْنِ ، فربَّما جاءَها القَنَّاصُ فوجدَها كذلك ، فيظنُّها مستيقظةً .

ويُقالُ : إِنَّها إذا رأَتِ البحرَ ماتتْ ، ولذا لا تُوجَدُ في السَّواحل ؛ وهذا القولُ لا يَصِحُّ عندي .

وتزعمُ العربُ في أَكاذيبِها ، أَنَّ الجِنَّ تهربُ منها ، لموضِعِ حَيْضِها . قال الشَّاعر[2] : [من المتقارب]

وضِحْكِ الأَرانِبِ فوقَ الصَّفا ... كَمِثْلِ دَمِ الحَرْبِ يَوْمَ اللِّقا

● **فائدة** : الذي يَحيضُ من الحيوانِ أَربعةٌ : المرأَةُ ، والضَّبُعُ ، والخُفَّاشُ ، والأَرْنَبُ ؛ ويُقالُ : إِنَّ الكلبةَ أَيْضاً كذلك .

● رَوى أَبو داود في « سُنَنه »[3] من حديث خالد بن الحويرث ، عن عبد الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال في الأَرانب : « إِنَّها تَحيضُ » .

وخالد بن الحويرث : قال ابنُ مُعين : لا أَعْرِفُهُ ؛ وذكرَهُ ابنِ حِبَّان في « الثِّقاتِ » ، ولا يُعْرَفُ له إِلاَّ هذا الحديث .

● وروى البيهقيُّ[3] ، عن ابن عَمرٍو رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ جِيءَ له بأَرْنبٍ ، فلَمْ يَأْكُلها ، ولَمْ يَنْهَ عنها . وزُعِمَ أَنَّها تَحيضُ .

وهي تأكلُ اللَّحم وغيره ، وتَجْتَرُّ ، وتَبْعَرُ ، وفي باطنِ أَشْدَاقِها شَعْرٌ ،

---

(١) حيوان الجاحظ ٦/ ٣٥٧ والمستطرف ٢/ ٤٣٩ .

(٢) البيت في اللِّسان والتَّاج (ضحك) بلا نسبة . وضِحْكُ الأَرانب : حَيْضُها .

(٣) أَبو داود (٣٧٩٢) .

وكذلكَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا .

● **الحُكم** : يَحلُّ أَكْلُ الأَرنَبِ عند العُلماءِ كافَّةً ، إلاَّ مَا حُكِيَ عن عبد الله بن عَمرو بن العاصِ وابن أَبي لَيْلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ، أَنَّهُما كَرِها أَكْلَها .

وحُجَّتُنا مَا رَوى الجماعةُ[1] عن أَنسِ بن مالكٍ رَضِيَ الله عنه ، قال : « أَنْفَجْنَا أَرْنباً بِمَرِّ الظَّهْرانِ ، فَسعى القومُ عليها فَلَغَبُوا[2] ، فأَدْرَكْتُها فأَخَذْتُها ، وأَتيتُ بها أَبا طلحةَ ، فَذَبَحَهَا ، وبعثَ إِلى النَّبيِّ ﷺ بِوَرِكِهَا ، وفَخِذِها ، فَقَبِلَهُ » .

وفي « البُخاري » في « كتاب الهبة »[3] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَبِلَهُ ، وأَكَلَ منهُ » .

ولفظُ أَبي دَاود[4] : « كنتُ غُلاماً حزوَّراً ، فصدت أَرنباً فشويتها ، فبعث معي أَبو طَلحة رَضِيَ الله عنه بعجزِها إلى النَّبيِّ ﷺ [فأَتَيْتُهُ بها ، فَقبِلَها] » ، والحَزَوَّرُ ـ بالتَّشْدِيدِ والتَّخْفِيفِ ـ : المُراهِقُ .

وقد سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عنها ، فقال : « هي حلالٌ » .

● وروى أَحمد والنَّسائيُّ وابنُ ماجَه والحاكم وابن حِبَّان[5] ، عن محمَّد ابن صَفوان ، أَنَّهُ صادَ أَرنبين ، فَذَبَحهما بِمَرْوَتَيْنِ ، وأَتى النَّبيَّ ﷺ ، فأَمَرَهُ بأَكْلِهِما » .

---

(١) مسلم (١٩٥٣) والنّسائي (٤٣١٢) وابن ماجه (٣٢٤٣) والترمذي (١٧٨٩) .

(٢) أَي أَعيوا وتعبوا .

(٣) البخاري ٣/ ١٣٠ (كتاب الهبة ـ باب قبول هدية الصيد) .

(٤) أَبو داود (٣٧٩١) .

(٥) أَحمد ٣/ ٤٧١ وأَبو داود (٢٨٢٢) والنّسائي (٤٣١٣ و٤٣٩٩) والترمذي (١٤٧٢) وابن ماجه (٣١٧٥ و٣٢٤٤) .

وهو في « معجم ابن قانع » عن محمَّد بن صَفْوان أو صفوان بن محمَّد .

واحْتَجَّ ابنُ أَبي لَيْلَى ومَن وافقَهُ بمَا رَوَى التِّرمِذيُّ[1] ، عن حِبَّان بن جَزْءٍ ، عن أَخيهِ خُزَيْمَةَ بن جَزْءٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال : « قلتُ : يا رسول الله ، مَا تقولُ في الأَرْنَبِ ؟ قال ﷺ : لا آكُلُهُ ولا أُحَرِّمُهُ ؛ قال : فقلتُ : ولِمَ يَا رسولَ الله ؟ قال : إِنِّي أَحْسَبُ أَنَّها تَدْمى . قال : فقلتُ : يَا رسولَ الله ، مَا تَقُولُ في الضَّبُعِ ؟ قال رسولُ الله ﷺ : ومَنْ يَأْكُلُ الضَّبُعَ ؟ » .

قال التِّرمذيُّ : إِسنادُهُ ليسَ بالقَويّ ، ورواهُ ابنُ ماجَه عن أَبي بَكر بن أَبي شَيْبَة ، وذكرَ فيه الثَّعلب ، والضَّبَّ أَيضاً .

وفي بعضِ الرِّواياتِ : وسأَلْتُهُ عنِ الذِّئبِ . فقال : « لا يَأْكُلُ الذِّئْبَ أَحَدٌ فيهِ خَيْرٌ » .

وليسَ في شيْءٍ من الأَحاديثِ ـ وإِنْ ضَعُفَتْ ـ مَا يَدُلُّ على تَحريمِ الأَرنبِ ، وغايةُ مَا في هذينِ الخَبَرَين اسْتِقْذَارُها ، مع جَوازِ أَكْلِها .

● **الأَمثال** : قالتِ العربُ : « أَقْطَفُ من أَرْنَبٍ »[2] ؛ و« أَطْعِمْ أَخاكَ من كِلْيَةِ الأَرْنَبِ »[3] ؛ وهو كقولهم[4] : « أَطْعِمْ أَخاكَ من عَقَنْقَلِ الضَّبِّ » ؛ يُضْرَبَان للمُواساةِ .

ومن أَمثالِهم المشهورةِ في ذلك ، قولُهم[5] : « في بَيْتِهِ يُؤْتى الحَكَم » .

---

(١) الترمذي (١٧٩٢) والنسائي (٤٣١١) وابن ماجه (٣٢٤٥ و٣٢٣٥ و٣٢٣٧) .

(٢) الميداني ٢/ ١٢٩ والعسكري ٢/ ١١٥ والزمخشري ١/ ٢٨٥ والدرة الفاخرة ٢/ ٣٥١ .

(٣) الميداني ١/ ٤٣٣ .

(٤) الميداني ١/ ٤٣١ والعسكري ١/ ١٨٢ والزمخشري ١/ ٢٢٣ .

(٥) الفاخر ٧٦ والميداني ٢/ ٧٢ والعسكري ١/ ٣٦٨ و٢/ ٨٩ و١٠١ والزمخشري ٢/ ١٨٣ وحمزة ٢/ ٤٥٦ والمؤرّج ٤٧ وأَبو عبيد ٥٤ والمستطرف ٢/ ٤٤٠ .

وهو مِمَّا زَعَمَتْهُ العربُ على أَلْسِنَةِ البَهائِمِ ؛ قالُوا : إنَّ الأَرنبَ التقطَت تَمْرَةً ، فاخْتَلَسَهَا الثَّعلبُ فأَكَلَها ، فانطَلقا يَخْتَصِمانِ إلى الضَّبِّ ، فقالت الأَرْنبُ : يا أَبا حِسْلٍ . قال : سَميعاً دَعَوْتِ . قالت : أَتَيْنَاكَ لِنَخْتَصِمَ إِليكَ . قال : عادلاً حَكيماً . قالت : فاخرجْ إِلينا . قال : فِي بَيْتِه يُؤْتَى الحَكَمُ . قالت : إنِّي وَجَدْتُ تَمْرَةً . قال : حُلْوَةً فكُلِيها . قالت : فاخْتَلَسَها الثَّعْلَبُ . قال : لِنَفْسِهِ بَغى الخيرَ . قالت : فَلَطَمْتُهُ . قال : بحَقِّكِ أَخَذْتِ . قالت : فَلَطَمَنِي . قال : حُرٌّ انْتَصَرَ لنفسه . قالت : فاقْضِ بَيْنَنا . قال : قد قَضيتُ ؛ فذَهَبَتْ أَقوالُه كُلُّها أَمثالاً .

● ومثلُ هذا[1] : أَنَّ عَدِيَّ بن أَرطاةٍ ، أَتَى شُرَيْحاً القاضي في مجلسِ حُكمه ، فقال له : أينَ أَنتَ ؟ قال : بَيْنَكَ وبَيْنَ الحائِطِ . قال : فاسْمَعْ منِّي . قال : للاسْتِمَاعِ جَلسْتُ . قال : إِنِّي تزوَّجْتُ امرأَةً . قال : بالرِّفاءِ والبَنين . قال : وشَرَطَ أَهلُها أَنْ لا أُخرجَها من بيْنِهم . قال : أَوْفِ لهم بالشَّرطِ . قال : فأَنا أُريدُ الخُروجَ . قال : في حِفْظِ اللهِ . قال : فاقْضِ بَيْنَنَا . قال : قد فعلتُ . قال : فَعلى مَنْ حَكمتَ ؟ قال : على ابْنِ أُمِّكَ . قال : بشَهادَةِ مَنْ ؟ قال : بشَهادَةِ ابنِ أُخْتِ خالَتِكَ .

● **وشُرَيْحُ**[2] **هذا** : هو ابنُ الحارِث بن قَيس الكِنْديّ ، اسْتَقْضَاهُ عُمر رَضِيَ الله تعالى عنه على الكُوفَةِ ، وأَقام قاضِياً بها خَمساً وسبعين سنةً لَمْ يبطل إلاَّ ثلاثَ سِنين ، امتنعَ فيها من القَضاء ، وذلك أَيام فِتْنَةِ ابنِ الزُّبير رَضِيَ الله

---

(١) وفيات الأَعيان ٢/ ٤٦١ وعيون الأَخبار ١/ ٣١٧ والمعارف ٤٣٤ والعقد الفريد ١/ ٩٠ و٣/ ١٠ والميداني ٢/ ٧٣ والمستجاد ٢٥٩ وأَخبار الأَذكياء ٦٨ والمستطرف ٢/ ٤٤٠ .

(٢) ترجمته في : وفيات الأَعيان ٢/ ٤٦٠ وطبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٢ وحلية الأَولياء ٤/ ١٧٢ وسير أَعلام النّبلاء ٤/ ١٠٠ وأَخبار القضاة ٢/ ١٨٩ ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢٩٤ . والنّقل هنا عن ابن خلّكان .

عنهما ، فاستعفى الحجَّاجَ من القَضاءِ فأَعفاهُ ، فلَمْ يَقْضِ بين اثنين حتّى مات رحمةُ الله عليه .

وكان شُرَيْحٌ من ساداتِ التَّابعين وأَعلامِهم ، وكان أَعلَمَ النَّاسِ بالقَضاءِ ؛ وكانَ أَحَدَ السَّاداتِ الطُّلْس ، وهم أَربعةٌ : عبدُ الله بن الزُّبير ، وقَيْس بن سَعْدِ بن عُبَادة ، والأَحْنَفُ بن قَيس الذي يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ المَثَلُ ، ورابِعُهم شُرَيْحٌ هذا والله أَعلم ؛ والأَطْلَسُ : الذي لا شَعْرَ فِي وجهه .

ورُوي أَنَّ شُرَيْحاً مَرِضَ له وَلَدٌ ، فَجَزِعَ عليهِ جَزَعاً شَديداً ، فلمَّا ماتَ لَمْ يَجْزَعْ ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنَّما كانَ جَزَعِي رحمةً له وإِشفاقاً عليه ، فلمَّا وقَعَ القَضاءُ رَضيتُ بالتَّسليمِ . قالهُ ابن خلّكان وغَيرُه[1] .

● قال الإمامُ أَبو الفَرَج ابن الجَوْزِيّ رحمهُ الله تعالى[2] : كتبَ زيادُ بن أَبيه إلى مُعاوية : يَا أَميرَ المُؤمنين ، قد ضَبَطْتُ لكَ العِراقَ بِشِمالي ، وفَرَّغْتُ يَميني لِطَاعَتِكَ ، فَوَلِّني الحِجازَ ؛ فبلغَ ذلك عبدَ الله بن عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، وهو بمكَّة ، فقال : اللَّهُمَّ اشغلْ عنَّا يَمين زيادٍ بما شِئْتَ ؛ فأَصابَهُ الطَّاعونُ في يَمينِهِ ، فأَجمعَ رأْيُ الأَطِبَّاءِ على قَطْعِهَا ، فاستشَارَ شُرَيْحاً فيما رَآهُ الأَطِبَّاءُ ، فأَشارَ عليهِ بعَدَمِ القَطْعِ ، وقال له : لَكَ رِزْقٌ مَقْسُومٌ ، وأَجَلٌ مَعْلُومٌ ؛ وإِنِّي أَكْرَهُ إِن كانَتْ لَكَ مُدَّةٌ أَنْ تَعِيشَ في الدُّنْيَا بلا يَمينٍ ، وإِن كانَ قد دَنا أَجَلُكَ أَنْ تَلْقى اللهَ مَقْطُوعَ اليَدِ ؛ فإِذا سأَلَكَ لِمَ قَطَعْتَها ؟ قلتَ : فِراراً من قَضائِكَ ، وبُغْضاً في لِقائِكَ .

قال : فماتَ زيادٌ من يَومه ، فلامَ النَّاسُ شُرَيْحاً على مَنْعِهِ من القَطْعِ ،

---

(١) لم يذكره ابن خلّكان ، وصاحب هذا الخبر هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، في الفوائد والأَخبار ٢٩ وتعازي المدائني ٥٣ وتعازي المبرد ١٤١ وتاريخ دمشق ٣٧/ ٧٢ ومختصره ١٣/ ١٦٧ .

(٢) النقل عن ابن خلّكان ٢/ ٤٦٢ . والنص في المنتظم ٥/ ٢٦١ وسير أَعلام النبلاء ٣/ ٤٩٦ .

لِبُغْضِهِم له ، فقال : إِنَّهُ اسْتَشَارَنِي ، ولولا أَنَّ المُستشارَ مُؤْتَمَنٌ لوددتُ أَنَّهُ قَطَعَ يَوْماً يدَهُ ، ويوماً رِجْلَهُ ، وسائرَ أَعضائِهِ يَوْماً يَوْماً . اهـ .

● وفي هذا المعنى قال أَبو الفَتْحِ البُسْتيُّ من قصيدةٍ طَويلةٍ[1] : [من البسيط]

لا تَسْتَشِـرْ غَيْـرَ نَـدْبٍ حـازِمٍ فَطِـنٍ ... قـد اسْتَـوَتْ مِنْـهُ إِسْـرارٌ وإِعْـلانُ

فَلِلتَّـدابيـرِ فُـرْسـانٌ إِذا رَكَضُـوا ... فيهـا أَبَـرُّوا كَمَـا لِلْحَـرْبِ فُـرْسَـانُ

وسيأتي إِن شاءَ اللهُ تعالى ذِكْرُ هذه القصيدةِ في بابِ الثَّاءِ المثلَّثة في « الثُّعبان » .

● وفي « تاريخ ابن خلّكان » ، في تَرجمة شريح[2] : أَنَّهُ سُئِلَ عن الحجَّاجِ أَكانَ مُؤْمِناً ؟ قال : نعم بالطَّاغُوتِ ، كافِراً باللهِ تَعالى .

توفي شُرَيْحٌ[2] سَنَةَ تسعٍ وسَبعين ، وقيل : ثمانين من الهِجرةِ ، وهو ابن مِئةٍ وعشرين سنةً ، رحمه الله تعالى .

● **الخواصُّ** : قال الجاحظ[3] : كانَت العَرَبُ في الجاهليَّةِ تقولُ : مَنْ عُلِّقَ عليه كَعْبُ أَرْنَبٍ ، لَمْ تُصِبْهُ عَيْنٌ ولا سِحْرٌ ، وذلكَ لأَنَّ الجِنَّ تَهربُ منها لِمَكَانِ حَيْضِها .

وإِذا شُوِيَ الأَرْنَبُ البَرِّيُّ ، وأُكِلَ دِمَاغُهُ ، نَفَعَ من الارْتِعاشِ العارِضِ من المرضِ ؛ وإِذا شُرِبَ من دِماغِهِ وَزْنُ حَبَّتَيْنِ في أُوقيَّتينِ من لبنِ البَقَرِ ، لَمْ يَشِبْ شَارِبُهُ أَبَداً .

ومن أَعجب مَا فِي أَنفِحَتِه أَنَّكَ إِذا طَلَيْتَ بِها على داءِ السَّرطان ، رأَيتَ

---

(١) ديوانه ١٩٠ .

(٢) ابن خلّكان ٢/ ٤٦٣ . وفي تاريخ وفاته خلافٌ كبيرٌ .

(٣) الحيوان ٦/ ٣٥٧ وعجائب المخلوقات ٢٥٤ وتذكرة الأنطاكي ١/ ٤١ وجامع ابن البيطار ١/ ٢١ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٤٠ والمستطرف ٢/ ٤٤١ .

العَجَب ؛ وإذا شَرِبَتِ المرأَةُ أَنْفِحَة الأَرْنَبِ الذَّكَرِ ، وَلَدَتْ ذَكَراً ؛ وإذا شَرِبَتْ أَنْفِحَةَ الأُنْثَى وَلَدَتْ أُنْثى ؛ وإذا عُلِّقَ زِبْلُهُ على المرأَةِ لَمْ تَحْبَل مَا دَامَ عليها .

● قال أَبقراط : لحمُ الأَرْنَبِ حارٌّ يابسٌ يَعْقِلُ البطنَ ، ويُدِرُّ البَوْلَ ، وأَجْوَدُهُ صَيْدُ الكِلابِ ، وهو ينْفعُ مَنْ بَهَظَهُ السِّمَنُ ، لكنَّه يُحدثُ أَرَقاً ، ويُولِّدُ السَّوداءَ ؛ والأَبازيرُ الرَّطْبَةُ تدفعُ ضَرَرَهُ ؛ ويُوافقُ أَصْحابَ الأَمزجَةِ البارِدَةِ ، ودماغُهُ يؤكلُ مَشْوِيّاً بالفُلْفُلِ ، ينفعُ من الرَّعْشَةِ ؛ وإِنَّما صارَ يابساً لِرَعْيِهِ الغِياضَ ، لأَنَّ كُلَّ مَا يَرْعَى الغِياضَ ، فهو أَيْبَسُ ممَّا يَرْعَى في البُيُوتِ . ا هـ .

وإن سُقِيَ إنسانٌ من دماغِ الأَرنبِ دانِقاً مُدافاً ، بعد أَنْ يُلقي عليه وزنَ حَبَّتَيْ كافورٍ ، لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ إلاَّ أَحَبَّهُ ، ولَمْ تَنْظرْ إِليه امرَأَةٌ إلاَّ شُغِفَتْ بِهِ وطَلَبَتْ مُعاشَرَتَهُ .

ودَمُ الأَرنبِ إذا شَرِبَتْ منهُ المرأَةُ لم تَحبَلْ أَبداً ، وإذا طُلِيَ به البَهَقُ وَالكَلَفُ أَزالهُمَا .

ودماغُهُ إذا أَكلَتْ منهُ المرأَةُ ، وتَحَمَّلَتْ منهُ وباشَرَها زوجُها ، فإِنَّها تَحبَلُ بإِذن اللهِ تعالى .

وإذا مُرِخَ بِهِ مَواضِعُ أَسْنانِ الصَّبيِّ أَسْرَعَ نَباتَها .

وَدَمُ الأَرنبِ إذا اكْتُحِلَ به ، منعَ من نَباتِ الشَّعرِ في العينِ . قاله القَزويني في « عجائب المخلوقات »[1] .

● وقال مهراريس : مَرارَةُ الأَرنبِ إذا عُجِنَتْ بسَمْنٍ ، وَدِيْفَتْ بلَبَنِ المَرأَةِ ، واكْتُحِلَ بِهِ ، أَزالَ البياضَ من العَيْنِ ، وأَبْرَأَ القُروحَ ؛ وإذا طُلِيَ بدَمِها البَهَقُ الأَسْوَدُ أَزالَهُ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٥٣ .

ولحمُ الأَرنبِ إذا أُطْعِمَ مَنْ يَبُولُ في فِراشِهِ ، نفعَهُ إذا أَدامَهُ .

وقالَ أَرسطو : إذا شُرِبَتْ أَنْفِحَةُ الأَرْنبِ بالخَلِّ ، نَفَعَتْ من سُمِّ الأَفاعي ، وإذا شُرِبَ منها قَدْرُ باقِلاَّةٍ ، أَذْهَبَ حُمَّى الرِّبْعِ المُتناهِيَةِ ؛ وإذا شُرِبَ منها وزنُ درهمٍ ، أَسقطَ الأَجِنَّةِ ، وَسَهَّلَ الولادَةَ ؛ وإن خُلِطَتْ أَنْفِحَةُ الأَرنبِ بِخَطْمِيٍّ ، ووُضِعَتْ على النَّصْلِ أَخْرَجَتْهُ ؛ وتُخرج الشَّوكةَ من البَدَنِ بإِذنِ اللهِ تعالى بِسُهولَةٍ .

وَزِبْلُ الأَرْنَبِ إذا بُخِّرَ به في الحَمَّامِ ، وَقَعَ الضُّراطُ على مَنْ شَمَّهُ ، ولَمْ يَتَمالَكْ أَسْفَلَهُ ؛ وإذا طُلِيَ بِهِ القَوابي والنمَشُ أَذْهَبَهُمَا .

وخِصْيَةُ الأَرْنبِ تُبرىءُ من السُّمِّ القاتِلِ إذا طُلِيَ مَوضعُ اللَّسْعَةِ بِها .

وَشَحْمُهُ إذا وُضِعَ تَحْتَ وِسادَةِ امرأَةٍ ، تكلَّمَتْ في نَوْمِها بِفِعْلِها .

وَضِرْسُ الأَرْنَبِ إذا عُلِّقَ على مَنْ يَشْتَكِي ضِرْسَهُ ، سَكَنَ وَجَعُهُ .

● **التَّعبيرُ**[1] : الأَرْنَبُ في المَنامِ : امرأَةٌ حَسناءُ ، لكنَّها غيرُ آلِفَةٍ ؛ فإنْ ذَبَحَها فإنَّها زوجةٌ ليسَتْ بباقيةٍ .

ومَنْ رَأَى أَنَّهُ يَأْكُلُ لحمَ أَرْنَبٍ مَطبوخاً ، فإنَّهُ يَأْتِيهِ رِزْقٌ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ .

ومَنْ صادَ أَرْنَباً ، أَو أُهديتْ إِليه ، أَو ابْتَاعَهَا ، حَصَلَ له رزقٌ ، أَو تَزَوَّجَ إن كانَ عَزَباً ، أَو رُزِقَ وَلداً ، أَو ظَفرَ بغَرِيمٍ .

١٣ الأَرْنَبُ البَحْرِيُّ : قال القَزوينيُّ[2] : هو حيوانٌ رَأْسُهُ كَرَأْسِ

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٣ وتفسير الواعظ ٢٩٠ .

(٢) عجائب المخلوقات ٩٨ والمستطرف ٢/ ٤٤١ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٣١ وجامع ابن البيطار ١/ ٢٢ .

الأَرنبِ ، وبَدَنُهُ كَبَدَنِ السَّمَكِ .

وقال الرَّئيسُ ابنُ سِيْنا[1] : إِنَّه حَيوانٌ صغيرٌ صَدَفِيٌّ ، وهو من ذَواتِ السُّمومِ ، إِذا شُرِبَ منه قَتَلَ .

● **الحُكمُ** : يُحَرَّمُ أَكلُه لِسُمِّيَّتِه ، ويُستثنى هذا من قَوْلهم : مَا أُكِلَ شِبْهُهُ في البَرِّ ، أُكِلَ شِبْهُهُ في البَحرِ ، لأَنَّهُ لَيْسَ يُشبهه في الشَّكلِ ، وإِنَّما هو مُوافقٌ له في الاسْمِ .

١٤ الأُرْوِيَّةُ : بِضَمِّ الهَمْزَةِ[2] ، وإِسْكَانِ الرَّاءِ ، وكَسْرِ الواوِ ، وتَشْدِيدِ اليَاءِ : الأُنْثى من الوُعولِ ، والجَمْعُ أَراويّ ، وبِهَا سُمِّيَتِ المَرْأَةُ ؛ وهي أُفعولةٌ في الأَصلِ ، إِلاَّ أَنَّهُم قَلَبُوا الواو الثَّانيةَ ياءً ، وأَدْغَمُوهَا في التي بَعْدَها ، وكَسَرُوا الأُولى لِتَسْلَمَ الياءُ : وثلاثُ أَراوِيَّ على أَفاعيل ؛ فإِذا كَثُرت فَهي الأَرْوَى بفَتْحِ الهمزةِ على أَفْعَل بغيرِ قياسٍ .

وقيل : الأَرْوَى : غَنَمُ الجَبَلِ .

وفي الحديث[3] : « أَنَّهُ ﷺ أُهْدِيَ لَهُ أَرْوَى وهو مُحْرِمٌ ، [فَرَدَّها] » .

وفيه : أَنَّ عبدَ الله بن عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما[4] ، لمَّا كان يَومَ أُحُدٍ ، قال : كنتُ أَتَوَقَّلُ كما تَتَوَقَّلُ الأُرْوِيَّةُ ، فانتَهيتُ إِلى رسولِ الله ﷺ وهو في نَفَرٍ من أَصْحابِهِ ، وهو يُوحَى إِليه : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

---

(١) قول ابن سينا عند القزويني: هو حيوانٌ صَدَفيٌّ إلى الحمرة، ما بين أَجزائه شبيه بورق الأُشنان، ينفي الكلف والبهق ؛ ورأسه يحرق لينبت الشَّعر في داء الثَّعلب ، سيَّما مع شحم الدُّبِّ .

(٢) وكسرها. (القاموس واللِّسان والصحاح)، والنَّصُّ منقولٌ عن صحاح الجوهري ٦/ ٢٣٦٣ .

(٣) اللِّسان (روى) ٣/ ١٧٨٨ والزِّيادة منه .

(٤) هو من حديث عمر في النهاية ٥/ ٢١٦ واللسان (وقل) .

● وفي « جامع التِّرمذيِّ » في « الإيمان »[١] : عن كثير بن عبد الله بن عَمرو بن عَوف ، عن أَبيه ، عن جَدِّهِ رَضِيَ الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قال : « إِنَّ الدِّيْنَ لَيَأْرِزُ إِلى المَدينةِ ، كما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلى جُحْرِهَا ، وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّيْنُ من الحِجازِ مَعْقِلَ الأُرْوِيَّةِ من رَأسِ الجَبَلِ ؛ إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَريباً ، ويَرجِعُ غَريباً ، فَطُوبَى لِلغُرباءِ الذينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ من بَعْدِي من سُنَّتي » .

قولُهُ : لَيَعْقِلَنَّ : أَي لَيَمْتَنِعَنَّ كما تَمْتَنِعُ الأُرْوِيَّةُ من رُؤُوسِ الجِبالِ .

● وفي « تَفسيرِ ابن أَبي حاتِمٍ »[٢] عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه ، أَنَّه قال : طُرِحَ يُونس بن مَتّى عليهِ السَّلام بالعَراءِ ، فأَنْبَتَ الله تعالى عَلَيْهِ اليَقْطِينَةَ ، وَهَيَّأَ لَهُ أُرْوِيَّةً وَحْشِيَّةً ، تَرْعَى في البَرِّيَّةِ وَتَأْتِيهِ ، فَتَنْفَشِخُ عَلَيْهِ فَتُرويهِ من لَبَنِها كُلَّ عَشِيَّةٍ وبُكْرَةٍ ، حتَّى نَبَتَ لَحْمُهُ .

وقال ابنُ عَطِيَّةَ : أَنْعَشَهُ اللهُ تعالى في ظِلِّ اليَقطينَةِ بأُرْوِيَّةٍ تُراوِحُهُ وتُغادِيهِ .

وقيل : بَلْ كَانَ يَتَغَذَّى من اليَقطينَةِ ، ويَجِدُ منها أَلوانَ الطَّعامِ وأَنواعَ شَهواتِهِ ؛ وهذا من لُطْفِ الله تعالى بِهِ ، ونِعمتِهِ علَيْهِ ، وإِحسانِهِ إِليه .

● وحكى ابنُ الجوزيّ[٣] ، عنِ الحسنِ ، في قوله تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصَّافَّات : ١٠٧] أَنَّهُ ذَكَرٌ من الأَرْوَى ، أُهْبِطَ عَلَيْهِ من ثَبيرٍ .

● وفي حديثِ عَون[٤] : أَنَّهَ سَمِعَ رجلاً ، تَكَلَّمَ فَأَسْقَطَ ، فقالَ : جَمَعَ بَيْنَ الأَرْوَى والنَّعام ؛ يُرِيدُ أَنَّهُ جَمَعَ بين كلمتين مُتناقضتين ، لأَنَّ الأَرْوَى تسكُنُ

---

(١) التّرمذي (٢٦٣٠) .

(٢) بنصه في البداية والنهاية ٢/ ٢٣ . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١١١ ـ ١١٢ .

(٣) قارن المنتظم ١/ ٢٨٠ . وثَبير : من أَعظم جبال مكّة ، بينها وبين عرفة . (معجم البلدان ٢/ ٧٣) .

(٤) اللِّسان (روى) ٣/ ١٧٨٨ والميداني ١/ ١٤٠ والعسكري ٢/ ١٦٩ .

شَعَفَ الجِبالِ ، والنَّعامُ تسكُنُ في السُّهولَةِ من الأَرْضِ .

وفي طَبْعِها الحُنُوُّ على أَولادِها ، فإِذا صِيْدَ منها شيْءٌ ، تَبِعَتْهُ وَرَضِيَتْ أَنْ تكونَ معَه في الشَّرَكِ .

وفي طَبعِهِ البِرُّ بأَبَوَيْهِ ، وذلكَ أَنَّهُ يختلفُ إِليهما بما يأْكُلانِهِ ، فإِذا عَجِزَا عن الأَكْلِ ، مَضَغَ لهما وأَطْعَمَهُما .

ويُقالُ : إِنَّ في قَرْنَيْهِ ثُقْبَيْنِ يَتَنَفَّسُ منهما ، فمتى سُدَّا هَلَكَ سَرِيعاً .

● **وحُكمها** : الحلُّ ، كما سيأْتِي إِن شاءُ الله تعالى في « الوَعْلِ » .

● **الأَمثالُ** : قالُوا[1] : « إِنَّما فُلانٌ كَبارِحِ الأَرْوَى »؛ وذلكَ أَنَّ مأْوَاها الجِبالُ ، فلا يَكادُ النَّاسُ يَرَوْنَها سانِحةً ولا بارِحَةً إِلاَّ في الدَّهْرِ مَرَّةً ؛ يُضْرَبُ لِمَنْ يُرى منهُ الإِحسانُ في بعضِ الأَحايينِ .

وقالوا[2] : « تكَلَّمَ فُلانٌ ، فَجَمَعَ بَيْنَ الأَرْوَى والنَّعامِ » ؛ كما تَقَدَّمَ .

وقالوا[3] : « مَا يَجْمَعُ بَيْنَ الأَرْوَى والنَّعام ؟» يُضربُ في الشَّيْئَيْنِ المُختلفَيْنِ جِدّاً ؛ أَي : كيفَ يَتَأَلَّفُ الخيرُ والشَّرُّ ؟ .

● **تَنبيهٌ** : رَوى مُسلمٌ[4] : أَنَّ سعيدَ بنَ زيدِ بنِ عَمرو بنِ نُفَيْلٍ ، أَحَدَ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لهم بالجَنَّةِ ، رَضِيَ الله عنهم ، خاصَمَتْهُ أَرْوَى بنتُ أُوَيْسٍ إِلى

---

(١) الميداني ١/ ٢٥ و٦٧ والعسكري ٢/ ١٣٦ و١٦٩ والزمخشري ١/ ٣٧٩ وأبو عبيد ٣١٤ .

(٢) اللِّسان (روى) ٣/ ١٧٨٨ والميداني ١/ ١٤٠ والعسكري ٢/ ١٦٩ .

(٣) الميداني ٢/ ٢٧١ والعسكري ٢/ ١٦٩ والزمخشري ٢/ ٣٣٥ وأَبو عبيد ٢٧٩ .

(٤) الخبر والحديث في : البخاري ٤/ ٧٤ (كتاب بدء الخلق) ومسلم (١٦١٠) ومسند أَحمد ١/ ١٨٨ ـ ١٩٠ وحلية الأَولياء ١/ ٩٦ ـ ٩٧ وسير أَعلام النبلاء ١/ ١٣٧ والإِصابة ٣/ ٨٨ رقم (٣٢٧١) . والنقل عن الحلية .

مَرْوانَ بن الحَكَم ، وهو والِي المدينةِ في أَرْضٍ في الجِيرةِ [بالعقيقِ][1] ، وقالت : إِنَّه قد أَخَذَ حَقِّي ، واقتطَعَ قِطعةً من أَرْضِي ؛ فقال سعيدٌ رَضِيَ الله عنه : كيفَ أَظلمُها ، وقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « مَنِ اقتطعَ شِبْراً من أَرضٍ ظُلماً ، طُوِّقَهُ يَوْمَ القِيامَةِ من سَبعِ أَرضين » ؟ ثمَّ تركَ لها الأَرضَ ، وقال : دَعوها وإِيَّاها ، اللَّهُمَّ إِنْ كانَت كاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَها ، واجْعَلْ قَبْرَها في بِئْرِها ؛ فَعَمِيَتْ أَرْوَى ، وجاءَ سَيْلٌ فأَظْهَرَ حُدودَ أَرْضِها ؛ ثمَّ لمَّا أَعمى الله تعالى أَرْوى فكانَتْ تَلْتَمِسُ الجُدرانَ ، وتقولُ : أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعيدٍ بن زيدٍ ؛ فبينما هي تَمْشِي ، إِذْ وَقَعَتْ في البِئْرِ ، فماتتْ .

ورُوِيَ أَنَّها سَأَلَتْ سَعيداً أَنْ يدعوَ لها ، فقال : لا أَرُدُّ على اللهِ شَيْئاً أَعطانيه .

قال : وكان أَهْلُ المدينةِ إِذا دَعَا بعضُهم على بعضٍ يقولون : أَعماهُ الله كما أَعمى أَرْوى ؛ يُرِيدُونها ؛ ثمَّ صارَ أَهْلَ الجَهْلِ يَقُولُون : أَعماهُ الله كما أَعمى الأَرْوَى ، يُرِيدُونَ الأَرْوَى التي بِالجَبَلِ ، يَظُنُّونَها شديدَةَ العَمى ، والصَّوابُ الأَوَّلُ .

● **الخواصُّ** : إِذا أُخِذَ قَرْنُهُ وظِلْفُهُ ، وحُطَّا في دُهْنٍ ، ومَسَحَ بِهِ السّاعِي الذي يَمْشِي كثيراً ، بَدَنَهُ وساقَيْه ، أَزالَ عنه ضَرَرَ التَّعبِ ، حتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَمْشِ شَيْئاً .

١٥ الأَسارِيعُ : بِفَتْحِ الهَمزةِ[2] : دودٌ أَحمرُ ، يكونُ في البَقْلِ ، ينسلخُ فيصيرُ فَراشاً .

---

(١) في أ ، ب : في أَرضه في الشَّجرة ! وفي ط : في الحيرة ! ! . وفي الحلية : وكان جارها بالعقيق .

(٢) الصحاح ٣/ ١٢٢٨ واللِّسان (سرع) ٣/ ١٩٩٥ .

قال ابنُ مالكٍ : قال ابن السِّكِّيت : والأَصْلُ يَسْروعٌ بالفَتْحِ ، إلاّ أَنَّهُ لَيْسَ في الكَلامِ يَفْعولٌ .

وقال قومٌ : الأَساريعُ : دودٌ حُمْرُ الرُّؤُوس ، بِيضُ الأَجْسَادِ ، تكونُ في الرَّملِ ، يُشَبَّهُ بِها أَصَابعُ النِّساء . ا هـ .

وبعضُ النَّاس يقولُ[1] : الأَساريعُ : شَحمةُ الأَرضِ ، والصَّوابُ أَنَّها غيرُها كما سيأْتي إِنْ شاءَ الله تعالى في « **باب الشِّين المُعجَمة** » .

قال في « الكفاية » : الأَساريعُ : دودٌ تكونُ في الرَّملِ بيضٌ طِوالٌ ، يُشَبَّهُ بِها أَصابعُ النِّساء ، ويُقالُ لها : بَنات النَّقا .

وذكر في « أَدب الكاتب » نَحْوَهُ ، وقال[1] : الأَساريعُ : دودٌ في الرَّملِ ، بيضٌ ، مُلْسٌ ، يُشَبَّهُ بِها أَصابعُ النِّساءِ ، واحدُها أُسْروعٌ .

وذكرَ ابنُ مالكٍ في « شَرحه لمنتظمِ الموجَز » فيما يُهمزُ وما لا يُهمزُ : أَنَّ اليَسروعَ والأُسْروعَ : دودٌ يَكونُ في البَقْلِ ، يَنسلخُ فيصيرُ فَراشاً . قال : وهذا قولُ ابنِ السِّكِّيتِ .

وقال غيرُهُ : الأَساريعُ واليَسارِيعُ : دودٌ حمرُ الرُّؤُوسِ ، بيضُ الأَجسادِ ، يَكونُ في الرَّمل ، يُشَبَّهُ بها أَصابعُ النِّساءِ . ا هـ .

وما ذَكَرَهُ عن ابن السِّكِّيتِ لَيْسَ كذلك ، فقد ذكرَ ابْنُ السِّكِّيتِ في « إِصلاحِ المنطقِ »[2] أَنَّها تكونُ في الرَّملِ ، تَنسلِخُ فتصيرُ فراشةً . ولعلَّهُ تَصَحَّفَ عليهِ الرَّملُ بِالبَقْلِ .

---

(١) أَدب الكاتب ٢١٨ .

(٢) عبارة ابن السكيت في إصلاح المنطق ١٦١ : ويُسْروعٌ وأُسْرُوعٌ : دودةٌ تكون في البقلِ ، تنسلخ فتصيرُ فراشةً .
قلت : وعليه ، فليس ثَمَّ تصحيف .

● **الحُكم** : يُحَرَّمُ أَكْلُها ، لأنَّها من الحَشَراتِ .

● **الخَواصُّ** : إذا سُحِقَ هذا الدُّودُ ، ووُضِعَ على العَصَبِ المقطوعِ ، نَفَعَهُ من ساعَته مَنفعةً عظيمةً .

وقال الرازي في « الحاوي » : إذا غُسِلَت الأَسارِيعُ ، وجُفِّفَتْ ، وسُحِقَت ناعِماً ، ونُقِعَتْ[1] في دُهْنِ السِّمسم ، وطُلِيَ بِها الذَّكَرُ ، فإنَّهُ يَغلظُ .

● **التَّعبيرُ** : اليَسرُوعُ في المَنامِ[2] : يُعَبَّرُ برجُلٍ لِصٍّ ، يَسرقُ قليلاً قليلاً ، وَيتَزَيَّا بالوَرَعِ ، ولا يَخْفَى حالُه ونِفاقُه .

قال أَهلُ التَّعبير : وهو دودٌ أَخْضَرُ يكونُ في المَقاثي والكُرُومِ .

١٦ الأَسْفَعُ : الصَّقْرُ ، والصُّقُورُ كلُّها سُفْعٌ .

والسُّفْعَةُ بالضَّمِّ[3] : سَوادٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ . وهي في الوَجْهِ : سَوادٌ في خَدّي المرأَةِ .

وفي « الصَّحيح »[4] : « فقامَتْ امرأَةٌ سَفْعاءُ الخَدَّيْنِ » .

ويُقالُ للحَمامَةِ : سَفْعَاءُ ، لِما في عُنُقِها من السُّفْعَةِ .

١٧ الأَسْقَنْقُورُ : قال ابنُ بُختيشوع : إِنَّهُ التِّمساحُ البَرِّيُّ ، لَحمُهُ حارٌّ في الدَّرجةِ الثَّانيةِ ، إذا مُلِّحَ وشُرِبَ منه مِثْقالٌ ، زادَ في الباهِ ، وَهَيَّجَ الشَّهْوَةَ ، وَسَخَّنَ الكُلى الباردةَ ، وَنَفَعَ من وَجَعِها .

● وقال ابن زهر[5] : هي دابَّةٌ بمصرَ ، شَكْلُها كالوَزَغَةِ ، على عِظَمِ

---

(١) في أ ، ب : وديفت . والدَّوف : الخلط والبلّ . (القاموس) .

(٢) تفسير الواعظ ٣١٤ .

(٣) عن صحاح الجوهري ٣/ ١٢٣٠ .

(٤) مسلم (٨٨٥) والنّسائي (١٥٧٥) ومسند أَحمد ٣/ ٣١٨ .

(٥) المستطرف ٢/ ٤٤١ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٤٧ .

خِلْقَتِه ، إذا عُلِّقَتْ عَيْنُها على مَنْ يَفزعُ باللَّيْلِ أَبْرَأَتْهُ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ من خَلْطٍ .

وقال أَرسطاطاليس في كتاب « الحيوان الكبير » : إِنَّ شُرْبَهُ يُهَيِّجُ الباهَ ، ويزيدُ في الإِنعاظِ في سائرِ البلادِ إلاّ بمصر ؛ وهو أَنْفَسُ مَا يُهْدَى منها لِمُلُوكِ الهِنْدِ ، فإِنَّهم يذبحونَهُ بِسِكِّينٍ من الذَّهَبِ ، ويَحشُونَهُ من مِلْحِ مصرَ ، ويَحملونَهُ كذلك إِلى أَرْضِهم ، فإذا وَضَعُوا مِثقالاً من ذلك المِلْحِ على بَيْضٍ أَوْ لَحْمٍ وأُكِلَ ، نَفَعَ في ذلكَ نَفْعاً بليغاً .

وسيأْتِي إِن شاء الله تعالى في « التِّمساح » إِنَّهُ يَبيضُ في البَرِّ ، فما وقعَ من ذلك في الماءِ صارَ تِمساحاً ، وما بَقِيَ في البَرِّ صارَ أَسْقَنْقُوراً .

وسيأْتِي إِن شاءُ اللهُ في « بابِ السِّين المهملة » حُكْمَهُ ، وحُكم السَّقَنْقُور الهِنديّ .

١٨ الأَسْوَدُ السَّالِخُ : هو[١] نوعٌ من الأُفْعُوانِ ، شَديدُ السَّوادِ ؛ سُمِّيَ بذلك لأَنَّهُ يَسْلَخُ جِلْدَهُ كُلَّ عامٍ ؛ يُقالُ : أَسودُ سالخٌ ، ولا يُقالُ للأُنثى : سالخةٌ ، وأَسودان سالخٌ ، ولا تُثَنَّى الصِّفَةُ في قولِ الأَصمعيِّ وأَبي زيدٍ ؛ وحَكى ابنُ دُريد تَثْنِيَتَها ، والأَوَّلُ أَعْرَفُ ؛ وأَساودُ سالِخَةٌ وسَوالخُ[٢] . قالَهُ ابنُ سِيْدَه .

● روى « أَبو داود » ، و« النَّسائيّ » ، و« الحاكم » وصَحَّحَهُ ، عن عبد الله بن عُمر رَضِيَ الله تعالى عَنْهُما ، قال[٣] : « كان رسولُ الله ﷺ إذا سافرَ فأَقْبَلَ اللَّيْلُ ، قال : يَا أَرضُ رَبِّي ورَبُّكِ اللهُ ، أَعوذُ باللهِ من شَرِّكِ ، وشَرِّ مَا فِيكِ ، وشرِّ مَا خُلِقَ فيكِ ، وشَرِّ ما يَدِبُّ عَليكِ ؛ أَعوذُ باللهِ من أَسَدٍ

---

(١) الصحاح ١/ ٤٢٣ واللسان (سلخ) ٣/ ٢٠٦٢ والمخصص ٨/ ١٠٧ .

(٢) وسُلَّخٌ وسُلَّخَةٌ . (اللسان) .

(٣) أَبو داود (٢٦٠٣) ومسند أَحمد ٣/ ١٢٤ .

وأَسْوَدٍ ، ومِن الحَيَّةِ والعَقْرَبِ ، ومِنْ ساكِنِ البلدِ ، ومن والِدٍ وَما وَلَدَ » .

ساكِنُ البَلَدِ : الجِنُّ . وقيل : الوالِدُ وما وَلَدَ : إبليسُ والشَّياطينُ .

● وفي « الصَّحيحين »[1] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الأَسْوَدَيْنِ في الصَّلاةِ : الحَيَّةِ والعقربِ » .

وأَنْشَدَ ابنُ هِشامٍ في كتاب « التِّيجان »[2] : [من الكامل]

ما بالُ عَيْنِكَ لا تَنامُ كأَنَّما ... كُحِلَت مآقِيهَا بِسُمِّ الأَسْوَدِ

حَنَقاً على سِبْطَيْنِ حَلاّ يَثْرِباً ... أَوْلَى لَهُمْ بِعِقابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ

● وللإمامِ الشَّافعيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أَبياتٍ[3] : [من الكامل]

والشَّاعِرُ المِنْطيقُ أَسْوَدُ سالِخٌ ... والشِّعْرُ مِنْهُ لُعابُهُ ومُجاجُهُ

وَعَداوَةُ الشُّعَراءِ داءٌ مُعْضِلٌ ... وَلَقَدْ يَهُونُ على الكَرِيمِ عِلاجُهُ

● روى البيهقيُّ في « الشُّعَبِ » عن عبد الحميد بن محمود ، قال[4] : كنتُ عند ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، فأَتاهُ رجلٌ فقال : أَقْبَلْنا حُجَّاجاً ، حتَّى إذا كُنَّا في الصِّفاح[5] ، توفِّي صاحبٌ لنا ، فحفَرْنَا لَهُ ، فإذا أَسْوَدُ سالخٌ قد أَخذَ اللَّحْدَ كلَّه . قال : فحفَرْنا له قبراً آخرَ ، فإذا أَسْوَدُ سالِخٌ قد أَخَذَ اللَّحدَ كلَّه .

---

(١) ليس في الصَّحيحين ، وهو في : أَبي داود (٩٢١) والترمذي (٣٩٠) والنّسائي (١٢٠٢ ـ ١٢٠٣) وابن ماجه (١٢٤٥) .

(٢) من قصيدة طويلة لتُبَّع أَبي كرب ، في التيجان ١٢١ ـ ١٢٤ والإكليل ٨/ ٢٥٨ ـ ٢٦٠ . ورواية الثاني في ط : × . . . يوم أَسود ! . وفي ب : × . . . مزبد ! والمثبت من أ .

(٣) ديوانه ٥٤ (مجاهد) و٢٤ (بيجو) .

(٤) الطبراني في الأوسط ٩/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ رقم ٩٣٠٤ وشعب الإيمان ٤/ ٣٣٤ رقم ٥٣١١ وروض الرياحين ٢٣٤ .

(٥) الصِّفاح : موضع بين حنين وأَنصاب الحرم ، على يسرة الدَّاخل إلى مكَّة من مُشاش . (معجم البلدان ٣/ ٤١٢) .

قال : فحفَرْنا له ثالثاً فإذا أَسْوَدٌ سالِخٌ قد أَخَذَ اللَّحدَ كلَّهُ . قال : فتركناهُ وأَتيناكَ نَسأَلكَ ماذا تأمُرنا بِهِ ؟ قال : ذاكَ عَمَلُهُ الذي كان يَعْمَلُهُ ، اذهَبُوا فادْفِنُوهُ في بعضِها ، فواللهِ لو حفَرتُم له الأَرضَ كلَّها لوجَدتُم ذلك .

قال : فأَلْقَيْنَاهُ في قبرٍ منها ؛ فلمَّا قَضيْنا سَفَرَنا ، أَتينا امرأَتَهُ ، فسأَلناها عنه ، فقالت : كان يَبيعُ الطَّعامَ ، فيأخذُ قُوتَ أَهْلِهِ كلَّ يومٍ ، ثم يخلطُ فيه مثلَهُ من قصَبِ الشَّعير ، ثمَّ يَبيعُه ؛ فعُذِّبَ بذلك .

● وروى الطَّبرانيُّ في « معجمه الأَوسط » والبيهقيُّ أَيضاً في كتاب « الدَّعوات الكبير »[١] من حديث عِكْرِمَة ، عن ابن عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما ، قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا أَرادَ الحاجَةَ أَبْعَدَ ، فَذَهَبَ يَوْماً فقَعَدَ تحتَ شَجرةٍ ، فنزع خُفَّيْهِ . قال : ولبسَ أَحدَهما ، فجاءَ طائرٌ فأَخذَ الخُفَّ الآخرَ ، فَحَلَّقَ به في السَّماءِ ، فانْسَلَّ منه أَسْوَدُ سالخٌ ، فقال ﷺ : « هذه كَرامَةٌ أَكْرَمَنِي اللهُ بِها ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بكَ من شَرِّ مَنْ يَمْشِي على بَطْنِهِ ، ومن شَرِّ مَنْ يَمْشِي على رِجْلَيْن ، ومن شَرِّ مَنْ يَمْشِي على أَرْبَعٍ » .

وسيأْتِي إن شاءَ الله تعالى في « باب الغين المعجمة » في « الغراب » حديثٌ نَظيرُ هذا ، وهو صحيحُ الإِسنادِ .

● وروى أَحمدُ في كتاب « الزُّهْدِ »[٢] عن سالم بن أَبي الجَعْدِ ، قال : كان رجلٌ من قومِ صَالح عليهِ السَّلام قد آذاهُم ، فقالوا؛ يا نَبيَّ الله ، ادْعُ اللهَ عليه ، فقال : « اذهَبُوا فقد كُفِيتُموهُ » . قال : وكان يخرجُ كلَّ يومٍ يَحتطبُ . قالَ : فخرجَ يوماً ومعه رَغيفانِ ، فأَكَلَ أَحدَهما ، وتَصَدَّقَ بالآخرِ . قال : فاحتَطَبَ ثمَّ جاءَ بحطبِهِ سالِماً لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ ، فجاؤوا إِلى صالحٍ عليه

---

(١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (السيرة النبوية ٢/ ٣٨٣) ومختصره ٢/ ١٤٧ .
(٢) الزُّهد ١٢٠ .

السَّلام ، وقالُوا : قد جاءَ بحطَبه سالماً لَمْ يُصِبْهُ شيءٌ ؛ فدعاهُ صالحٌ ، وقال : « أَيَّ شَيْءٍ صنعتَ اليومَ ؟ » قال : خرجتُ ومعي قُرصان ، فَتَصَدَّقْتُ بأَحدِهِما ، وأَكَلْتُ الآخرَ ؛ فقال صالحٌ : « حُلَّ حَطَبَكَ » . فَحَلَّهُ ، فإذا فيهِ أَسْوَدُ سالِخٌ مثل الجِذْعِ ، عاضٌّ على جَزْلٍ من الحَطبِ ؛ فقال : « بهذا دُفِعَ عنك » يعني : بالصَّدَقةِ .

وسيأْتي إن شاءَ الله تعالى نَظيرُ هذا في « الذِّئب » في « باب الذَّالِ المُعجَمةِ » .

● وروى الطَّبرانيُّ في « معجمه الكبير »[1] عن أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ : أَنَّ نَفَراً مرُّوا على عيسى ابن مَريمَ عليه السَّلام ، فقال عيسى ابنُ مريم : « يَموتُ أَحَدُ هؤلاءِ اليومَ إِن شاء الله تعالى » فمضَوا ، ثمَّ رجعوا عليه بالعَشِيِّ ، ومعهم حُزَمُ الحَطَبِ ، فقال : « ضَعُوا » وقال للَّذِي قال : إِنَّه يَمُوتُ اليومَ : « حُلَّ حَطَبَكَ » فَحَلَّهُ ، فإذا فيه حَيَّةٌ سَوداءُ ، فقال : « ما عَمِلْتَ اليومَ ؟ » قال : مَا عَمِلْتُ شَيْئاً . قال : « انظرْ مَا عَمِلْتَ » . قال : مَا عَمِلْتُ شَيْئاً إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ مَعي في يدي فِلْقَةٌ من خُبْزٍ ، فَمَرَّ بِي مِسْكِينٌ ، فَسَأَلَنِي ، فأَعْطَيْتُهُ بعضَها ، فقال : « بِهَا دفعَ الله عَنْكَ » .

١٩ الأَصْرمان : الذِّئبُ والغُرابُ . قال ابنُ السِّكِّيت[2] : لأَنَّهُما انْصَرَمَا من النَّاسِ : أَي : انْقَطَعَا .

والأَصْرَمَان : اللَّيْلُ والنَّهارُ ، لأَنَّ كُلَّ واحدٍ منهما يَنْصَرِمُ من الآخَرِ .

---

(١) مجمع الزوائد (٤٦٠٥) وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق ٢٠/١١١ . ولم أَقف عليه في المطبوع من المعجم الكبير للطبراني .

(٢) إصلاح المنطق ٣٩٦ والصحاح ٥/ ١٩٦٥ .

● روى أَحمد[1] بإِسنادٍ صَحيحٍ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ كانَ يقولُ : حدِّثُونِي عن رجلٍ دخلَ الجَنةَ ولم يُصَلِّ قطُّ ، فإِذا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ ، سأَلُوه : مَنْ هو ؟ فيقولُ : أُصَيْرِمُ بني عَبدِ الأَشْهَلِ ، عامر بن ثابتِ بن وَقْش . [قال الحصين][2] : فقلتُ : لمحمود بن لَبيد : كيفَ كان شأْنُ الأُصَيْرِمِ ؟ قال : كان يَأْبَى الإِسلامَ على قَومِه ، فلمَّا كان يَوم أُحُدٍ ، وخَرجَ رسولُ الله ﷺ إِلى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الإِسلامُ ، فأَسْلَمَ ، وأَخَذَ سَيْفَهُ ، وقاتَلَ حتَّى قُتِلَ ؛ فَذَكروهُ لِرسولِ الله ﷺ ، فقال : « إِنَّه لمنْ أَهْلِ الجَنَّةِ » رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

٢٠ **الأَصَلَةُ** : بِفَتْحِ الهَمزةِ والصَّادِ واللَّامِ[3] : حَيَّةٌ كبيرةُ الرَّأْسِ ، قَصِيرةُ الجِسمِ ، تَثِبُ على الفارِسِ فَتقتلُهُ ؛ قاله ابنُ الأَنبارِي .

● وقيل[3] : حَيَّةٌ خَبيثَةٌ ، لها رِجْلٌ واحِدَةٌ ، تَقُومُ عليها ثُم تَدورُ ، ثُمَّ تَثِبُ ؛ والجَمْعُ أَصَلٌ .

● وأَنْشَدَ الأَصْمَعيُّ رحمهُ اللهُ تعالى[4] : [من الرَّجز]

يَـا رَبِّ إِن كـانَ يَـزيـدُ قَـدْ أَكَـلْ ... لَحْـمَ الصَّـديـقِ عَلَـلاً بَعْـدَ نَهَـلْ
فـاقْـدِرْ لَـهُ أَصَلَـةً مـنَ الأَصَـلْ ... كَيْسَـاءُ كـالقُرْصَـةِ أَو خُفِّ الجَمَـلْ

وقال الجاحظُ[5] : الأَعرابُ تَقولُ : إِنَّها لا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلا احترقَ ؛ وكَأَنَّها سُمِّيَتْ بذلك لاسْتِهْلاكِهَا واسْتِئْصَالِها .

---

(١) مسند أَحمد ٥/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ والسيرة النبوية ٢/ ٩٠ وأَبو داود (٢٥٣٧) وأُسد الغابة ٤/ ٢٠٢ رقم (٣٨٧٥) والإِصابة ٤/ ٥٠١ رقم (٥٨٠١) والبداية والنِّهاية ٥/ ٤١٧ ـ ٤١٨ .
(٢) الزِّيادة من المصادر ، وهو : الحصين بن عبد الرَّحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، أَحد رواة هذا الحديث .
(٣) اللسان (أَصَلَ) ١/ ٨٩ والمخصص ٨/ ١٠٨ والصحاح ٤/ ١٦٢٣ والنهاية ١/ ٥٢ .
(٤) الأَشطار بلا نسبة في اللسان ، والثالث والرابع في المخصص ٨/ ١٠٩ .
(٥) الحيوان ٤/ ١٥٥ .

وفي الحديث ، في صِفَةِ الدَّجّالِ[1] : « كَأَنَّ رَأْسَهُ أَصَلَةٌ » .

وقيل : وَجْهُ الأَصَلَةِ كَوَجْهِ الإِنْسانِ ، وهو عَظِيمٌ جِدّاً .

ويُقال : إِنَّها تَصيرُ كذلكَ إِذا مَرَّ عَلَيْها أَلْفُ سَنَةٍ من العُمرِ .

● **ومن خواصِّها** : أَنَّها تَقتلُ بالنَّظَرِ إِليها ؛ وسيأتي إِن شاءَ الله تعالى في « بابِ الحاء المُهملة » ، ذِكْرُ شَيْءٍ من ذلك .

٢١ الأَطْلَسُ : الذِّئْبُ الذي في لَوْنِهِ غُبْرَةٌ إِلى السَّواد ، وكلُّ ما كانَ على لَونِهِ فهو أَطْلَسُ[2] .

● قال الكُمَيْتُ يَمْدَحُ محمَّد بن سُليمان الهاشميّ[3] : [من الكامل]

تَلقى الأَمانَ على حِياضِ محمَّدٍ ... ثَـوْلاءُ مُخْـرِفَـةٌ وذِئْـبٌ أَطْلَـسُ

لا ذي تَخـافُ ولا لِهـذا جُـرْأَةٌ ... تُهْدى الـرَّعِيَّـةُ مَـا اسْتَقَـامَ الـرَّيِّـسُ

استَشهدَ به الجَوهريُّ ، على أَنَّ الرَّئيسَ يقال فيهِ : رَيِّسٌ ، مثلُ قَيِّمٍ[4] .

٢٢ الأَطُومُ : كالأَنُوقِ : السُّلَحفاةُ البَحرِيَّةُ ، قاله الجَوْهريُّ[5] .

وقيل : هي سمكةٌ غَليظةُ الجِلْدِ ، تُشْبِهُ جِلْدَ البَعيرِ ، يُتَّخَذُ منه الخِفافُ للجَمّالين . وقيل : الأَطُومُ : القُنْفُذُ . وقيل : البَقَرَةُ . قيل : إِنَّما سُمِّيَت بذلك على التَّشبيهِ بالسَّمَكَةِ لِغلَظِ جِلْدِها ، قاله ابن سِيْدَه[6] .

---

(١) مسند أَحمد ١/ ٢٤٠ و٣١٣ واللسان والصحاح والنهاية (أَصَلَ) .

(٢) عن الصحاح ٣/ ٩٤٤ .

(٣) ديوانه ٣/ ٢١ . والثَّوْلُ : جنونٌ يصيب الشّاة ، فلا تتبع الغنم ، وتستدير في مرتعها . وشاةٌ مُخْرِفَةٌ : وَلَدَت في الخريف . (الصحاح « خرف » « ثول ») .

(٤) الصحاح ٣/ ٩٣٢ .

(٥) الصحاح ٥/ ١٨٦٢ والمخصص ١٠/ ٢٢ .

(٦) في المحكم . (اللسان ١/ ٩٣ « أَطم ») .

٢٣ الأَطْيَشُ : طائِرٌ ، قالهُ ابنُ سِيْدَه[١] . والطَّيْشُ : خِفَّةُ العَقْلِ .

● قال إمامُنا الشَّافعيُّ رحمهُ الله تعالى : ما رأَيْتُ أَفْقَهَ من أَشْهَبَ ، لَوْلا طَيْشٌ فيه .

● وأَشهبُ المذكور هو ابنُ عبد العزيز بن داود ، الفَقيهُ المالِكيُّ المِصْرِيُّ[٢] : وُلدَ في السَّنَةِ التي وُلدَ فيها الشَّافعيُّ ، وهي سنة خَمسينَ ومِئة[٣] ، وتُوفِّي بعدَ الشَّافعيِّ بثمانية عَشَرَ يوماً .

قال ابنُ عَبْدِ الحَكَمِ[٤] : سَمعتُ أَشْهَبَ يَدعو على الشَّافعيِّ بالموتِ ، فَذُكِرَ ذلك للشَّافعيِّ ، فقال[٥] : [من الطويل]

تَمَنَّى رِجالٌ أَنْ أَمُوتَ وإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبيلٌ لَسْتُ فيها بأَوْحَدِ

فَقُلْ لِلَّذي يَبْغِي خِلافَ الذِي مَضَى ... تَهَيَّأْ لأُخْرى مِثْلِها فَكَأَنْ قَدِ

قال : فماتَ الشَّافعيُّ ، فاشترى أَشهبُ من تَرِكَتِه عَبْداً ؛ فاشتَريتُهُ من تَرِكَتِه بعد ثلاثِينَ يوماً .

● وفي « مَصابيح الظُّلَمِ » : قال ابنُ عبدِ الحَكَمِ : لمَّا حَمَلَتْ أُمُّ الشَّافعيِّ

---

(١) المخصص ٨/ ١٤٣ .

(٢) **ترجمته في** : سير أَعلام النبلاء ٩/ ٥٠٠ وترتيب المدارك ٣/ ٢٦٢ ووفيات الأَعيان ١/ ٢٣٨ .

(٣) وقيل : سنة ١٤٠ هـ .

(٤) ترتيب المدارك ٣/ ٢٧٠ ووفيات الأَعيان ١/ ٢٣٩ والسير ٩/ ٥٠٢ .

(٥) البيتان ممَّا تمثل بهما الإمام الشافعيّ ؛ وهما لعبيد بن الأَبرص في ديوانه ٥٦ ـ ٥٧ ، ونُسبا في الاختيارين ١٦١ ـ ١٦٢ إلى مالك بن القين الخزرجي . وانظرهما في مصادر ترجمته ومروج الذهب ٣/ ٣٧٣ وأَمالي القالي ٣/ ٢١٨ والعقد الفريد ٤/ ٤٤٣ وحلية الأَولياء ٩/ ١٥٠ وديوان الشافعي ٢٦ (بيجو) .

وروايةالثاني في ب والاختيارين : . . . يبقى خلاف الذي مضى .

بِهِ ، رأَتْ كَأَنَّ المُشْتَرِي خرجَ من فَرْجِها ، حتَّى انْقَضَّ بمصرَ ، ووقعَ في كلِّ بلدةٍ منه شَظِيَّةٌ ؛ فأَوَّلَهُ أَصْحابُ الرُّؤْيا أَنَّهُ يَخرجُ منها عالِمٌ يختصُّ علمُه بأَهل مِصر ، ثمَّ يتفرَّقُ في سائِرِ البُلدانِ .

واتَّفقَ العُلماءُ قاطِبَةً على ثِقَتِه وَوَرَعِهِ وأَمانَتِه وزُهْدِهِ ؛ وهو أَوَّلُ مَنْ تكَلَّمَ في أُصُولِ الفِقْهِ ، وهو الذي اسْتَنْبَطَهُ ؛ وكان يُؤتى بالرُّطَبِ ، فيقولُ مُخاطباً له : ما أَطْيَبَكَ وأَحْلاكَ ، والعِلْمُ أَطْيَبُ منكَ وأَحْلى ؛ ولا يَنالُهُ .

واشْتَرَى جارِيةً ، فلمَّا كان الليل ، أَقْبَلَ على الدَّرْسِ ، والجارِيةُ تنتظرُ اجتماعَهُ معها ، فلم يلتفتْ إِليها ، فصارَتْ إِلى النَّخَّاس ، وقالت : حَبَستموني مع مَجنونٍ ! فبلغَ ذلكَ الشَّافعيَّ ، فقال : المجنونُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ العِلْمِ وَضَيَّعَهُ ، أَو توانَى فيهِ حتَّى فاتَهُ .

● وكان الشَّافعيُّ جَواداً كَرِيماً مِفْضَالاً ، لا يُبْقِي على شيءٍ ، ولا يَدَّخِرُ شَيْئاً ، وكان شُجاعاً ؛ ومَناقبه أَكثرُ من أَنْ تُحْصى .

ولد بغزَّةَ في سنة خَمسينَ ومِئةٍ كما تقدَّم ؛ وقيل : إِنَّها التي تُوفِّيَ فيها أَبو حَنيفة . وفي « تهذيب الأَسماءِ واللُّغاتِ »[1] : قيل : تُوفِّيَ سنةَ إِحدى وخمسينَ . وقيلَ : في سنةِ ثلاثٍ وخَمسِينَ . وقال غيرُه : تُوفِّيَ في اليومِ الذي وُلدَ فيه الشَّافعيُّ ، لا في السَّنَةِ .

وقيل : وُلدَ الشَّافعيُّ بعَسقلان . وقيل : باليَمن . قال ابنُ خلّكان : والأَصَحُّ الأَوَّلُ ؛ وحُمل من غَزَّةَ إِلى مكَّةَ وهو ابنُ ستٍّ سنين ، ووصلَ إِلى مِصر سنةَ تسعٍ وتسعين ومِئة ـ وقيل : سنةَ إِحدى ومئتين ـ وأَقامَ بها إِلى أَن ماتَ سنةَ أَربعٍ ومِئتين ؛ وقَبْرُهُ بقَرافَةِ مِصرَ مَشهورٌ ، وعاشَ أَربعاً وخَمسين سنةً ، رَحمةُ الله عليهِ ورِضْوانُهُ .

---

(١) تهذيب الأَسماء واللغات ٢/ ٢٢٣ (ترجمة أَبي حنيفة) .

٢٤ الأَغْثَرُ : طائِرٌ مُلْتَبِسُ الرِّيشِ ، طويلُ العُنُقِ؛ وهو من طَيْرِ الماءِ ؛ قاله ابنُ سِيْدَه[١] .

٢٥ الإفالُ والأَفائِلُ : صِغارُ الإِبِلِ ؛ بَناتُ المَخاضِ ونَحْوُها ، واحِدُها أَفِيْلٌ ؛ والأُنْثى أَفِيْلَةٌ[٢] ؛ وسيأتي ذِكْرُهُ إن شاءَ الله تعالى في « تَبيع » .

٢٦ الأَفْعَى : الأُنْثَى من الحَيَّاتِ ؛ والذَّكَرُ : أُفْعُوانٌ ، بِضَمِّ الهَمزةِ والعَينِ .

قال الزُّبيديُّ[٣] : الأَفْعَى : حَيَّةٌ رَقْشَاءُ ، دَقِيقَةُ العُنُقِ ، عَرِيضَةُ الرَّأْسِ ؛ ورُبَّما كانَتْ ذاتَ قَرْنَيْنِ .

وكُنيةُ الأُفْعُوان[٤] : أَبو حَيَّان ، وأَبو يَحْيى ؛ لأَنَّهُ يَعيشُ أَلْفَ سنةً ! .

وهو الشُّجاعُ الأَسودُ ، يُواثِبُ الإنسانَ ، وهوَ شَرُّ الحَيَّاتِ ؛ وشَرُّها أَفاعي سِجِسْتَان[٥] .

● ومن عَجِيبِ أَمْرِها ، ما حكاهُ ابن شُبْرُمَةَ[٦] : أَنَّ أَفْعَى منها نَهَشَتْ غُلاماً في رِجْلِهِ ، فانْصَدَعَتْ جَبْهَتُهُ .

● ويُحكى أَنَّ شبيبَ بن شَيْبَة ، دخلَ على المنصورِ ، فقال[٧] : يَا شَبيبُ ، أَدَخَلْتَ سِجستانَ ؟ فإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّها كثيرةُ الحَيَّاتِ ؟ فقال : نعم

---

(١) المخصص ٨/ ١٥٣ .

(٢) عن الصحاح ٤/ ١٦٢٣ .

(٣) هذا قول الخليل في العين ٢/ ٢٦٠ والزُّبيديُّ إِنَّما هو مختصِر العين فحسب .

(٤) ربيع الأَبرار ٥/ ٤٧٥ .

(٥) سجستان : ناحية كبيرة ، وولاية واسعة ، وهي جنوبي هراة . (معجم البلدان ٣/ ١٩٠) .

(٦) المستطرف ٢/ ٤٤١ .

(٧) ثمار القلوب ٢/ ٦٢٦ ولطائف المعارف ٢١٢ والمستطرف ٢/ ٤٤١ .

يَا أَميرَ المؤمنين ، دخلتُها ؛ قال : صِفْ لي أَفاعِيها . فقال : دِقاقُ الأَعناقِ ، صِغارُ الأَذْنَابِ ، مُفَلْطَحَةُ الرُّؤُوسِ؛ رُقْشٌ ، بُرْشٌ ، كَأَنَّما كُسِينَ أَعلامَ الحِبَراتِ ؛ كبارُهُنَّ حُتوفٌ ، وصِغارُهُنَّ سيوفٌ .

● وقال القَزويني[1] : هيَ حَيَّةٌ قَصيرةُ الذَّنَبِ ، مِنْ أَخْبَثِ الحَيَّاتِ ، إذا فُقِئَتْ عَيْنُها تَعودُ ، ولا تُغْمِضُ حَدَقَتَها أَلْبَتَّةَ ، تَخْتَفِي في التُّرابِ أَربعةَ أَشْهُرٍ في البردِ ، ثمَّ تَخرجُ وقد أَظْلَمَتْ عَيْنَاها ، تَطلبُ شَجَرَ الرَّازيانج ، فَتَحُكُّ عَيْنَها بِهِ ، فيرجعُ إِليها ضوؤُها .

● وقال الزَّمخشريُّ[2] : يُحكى أَنَّ الأَفعى إذا أَتى عليها أَلفُ سنةٍ عَمِيَتْ ، وقد أَلْهَمَهَا اللهُ تَعالى أَنَّ مَسْحَ عَيْنِها بورَقِ الرَّازيانجِ الرَّطْبِ يَرُدُّ إِليها بَصَرَها ؛ فَربّما كانت في بَرِّيَّةٍ وبينَها وبينَ الرِّيفِ مَسيرةُ أَيَّامٍ فتطوي تلكَ المسافةَ على طُولِها وعلى عَماها ، حتَّى تَهجمَ في بعضِ البساتينِ على شَجرةِ الرَّازيانِجِ لا تُخْطِئُها ، فَتَحُكُّ بها عَيْنَها ، فترجعُ باصِرَةً بإِذنِ اللهِ تعالى ؛ وإِذا قُطِعَ ذَنَبُها عادَ كما كان ؛ وإِذا قُلِعَ نابُها عادَ بعدَ ثلاثةِ أَيَّامٍ ؛ وإِذا ذُبحتْ تَبقى تتحرَّكُ ثلاثةَ أَيَّامٍ ؛ وهي أَعْدَى عَدُوٍّ للإِنسانِ ؛ وبَقَرُ الوَحْشِ يأْكلُها أَكْلاً ذَرِيعاً .

● وحُكِيَ[3] أَنَّها نَهَشَت ناقَةً في مَشْفَرِها ، ولها فَصيلٌ يَرْضَعُها ، فماتَ الفصيلُ في الحالِ قبلَ موتِ أُمِّهِ . وإِذا مَرِضَتْ أَكَلَتْ وَرَقَ الزَّيْتُونِ فَتَشْفَى .

● ومن الأَفاعي مَا تَتَسافَدُ بأَفواهِها ، فإِذا وَطِىءَ الذَّكَرُ الأُنْثَى ، وقعَ مَغْشِيَّاً عليه ، فتعمدُ الأُنْثَى إِلى مَوضِعِ مَذَاكِيرِهِ ، فَتَقْطَعُها نَهْشاً ، فيموتُ من سَاعَتِهِ[4] .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٩ . وشجر الرازيانج : هو الشمر الأَخضر . (المستطرف ٢/ ٤٤٢) .

(٢) لم يرد هذا النص في ربيع الأَبرار ؛ وهو في المستطرف ٢/ ٤٤٢ .

(٣) ربيع الأَبرار ٥/ ٤٧٦ وعجائب المخلوقات ٢٨٩ والمستطرف ٢/ ٤٤١ .

(٤) قال الجاحظ : [الحيوان ٤/ ١٧٣] وليس للحيَّات سفادٌ معروفٌ ينتهي إِليه علمٌ ، ويقف =

● قال الجوهريُّ[1] : وكَشيشُ الأَفْعَى : صَوْتُها مِنْ جِلْدِها لا مِن فيها ، وقد كَشَّتْ تكِشُّ كَشيشاً . قال الرَّاجزُ :

كـأَنَّ صَـوْتَ شَخْبِهـا المُـرْفَـضِّ كَشيـشُ أَفْعَـى أَزْمَعَـتْ لِعَـضِّ
فَهْـيَ تَحُـكُّ بَعْضَهـا بِبَعْـضِ

● قال الشَّيْخُ أَبو الحسن عليّ بن محمَّد المُزَيِّن الصَّغير الصُّوفي[2] : كنتُ ببادِيةِ تَبوك ، فَقَدِمْتُ إِلى بئرٍ أَستقي منها ، فَزَلَقَتْ رِجْلِي ، فَوَقَعْتُ في جَوفِ البئْرِ ، فرأَيْتُ في البِئْرِ زاويةً واسِعَةً ، فأَصْلَحْتُ موضعاً وجَلستُ فيه ، فبينَما أَنا كذلكَ إِذا أَنا بِخَشْخَشَةٍ ، فتأَمَّلْتُ ، فإِذا أَنا بأَفْعَى سَقَطَتْ عليَّ ، ودارَتْ بي وأَنا ساكِنُ السِّرِّ لا أَضطربُ ، ثمَّ لَفَّتْ عليَّ ذَنَبَها ، وأَخْرجَتْني من البئرِ ، وحَلَّتْ عَنِّي ذَنَبَها ، ثمَّ ذَهَبَتْ عنِّي .

● وعن جَعفر الخُلْديّ ، قال[3] : وَدَّعْتُ أَبَا الحَسَن المزَيِّن الصَّغير ، فقلتُ لَهُ : زَوِّدْنِي شَيْئاً . فقال لي : إِذا ضاعَ منكَ شَيْءٌ أَوْ أَرَدْتَ أَنْ يَجمَعَ اللهُ بَيْنَكَ وبينَ إِنسانٍ ، فَقُلْ : يا جَامِعَ النَّاسِ ليومٍ لا ريبَ فيهِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ٩] اجمعْ بَيْنِي وبَيْنَ كذا ؛ فإِنَّ الله تعالى يَجْمَعُ بينَكَ وبينَ ذلكَ الشَّيءِ أَو ذلكَ الإِنسانَ .

= عليه عيانٌ ؛ وليس عند الناس في ذلك إِلاَّ الذي يرون من ملاقاة الحيَّة للحيَّة ، والتواء كلّ منها على صاحبه ، حتَّى كأَنَّهما زوج خيزران مفتول ، أَو خلخال مفتول ؛ فأَمَّا أَن يقفوا على عضوٍ يدخل ، أَو فرج يدخل فيه فلا .

(١) الصحاح ٣/١٠١٨ . والرجز فيه واللسان (كشش) بلا نسبة .

(٢) ترجمته في : طبقات الصُّوفيَّة ٣٨٢ وتاريخ بغداد ١٢/٧٣ وسير أَعلام النبلاء ١٥/٢٣٢ وطبقات الأَولياء ١٤٠ .

(٣) تاريخ بغداد ٧/٢٢٨ والمستطرف ١/٤٤١ ـ ٤٤٢ والرسالة القشيرية ٦٧٥ وذيل تاريخ بغداد ٢/١٧ ـ ١٨ . والخبر فيها عن المريني الصُّوفي الكبير .

قال : فما دَعَوْتُ بها في شيءٍ ، إلاَّ استُجِيبَ لِي .

● تُوفِّي الشَّيخُ أَبو الحسنِ بمكَّة ، سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمئة .

● **والحاريةُ** : نوعٌ منها ، وهي التي قال فيها النَّابغةُ الذُّبيانيُّ[1] : [من الرَّجز]

حَـارِيَـةٌ قَـدْ صَغُـرَتْ مِـنَ الكِبَـرْ   مَهـروتَـةُ الشِّـدْقَيْـنِ حَـوْلاءُ النَّظَـرْ

● وفي الحديث[2] : أَنَّ أَبا بكرٍ رضي الله تعالى عنه ، لمَّا ماتَ النَّبيُّ ﷺ أَصابَهُ حُزْنٌ شَدِيدٌ ، فما زَالَ يَحْرِي بَدَنُهُ ، حتَّى لَحِقَ باللهِ تعالى : أَي يَذُوبُ ويَنْقُصُ .

● **الأَمثالُ** : **قالوا** : « أَظْلَمُ من أَفْعَى »[3] ؛ وذلك أَنَّها لا تَحْفِرُ جُحْراً ، وإِنَّما تَأْتي إِلى جُحْرٍ قد احتفرهُ غيرُها فتدخُل فيه ؛ قال الشَّاعر[4] : [من الرَّجز]

وأَنْـتَ كـالأَفْعَـى التـي لا تَحْتَفِـرْ   ثـمَّ تَجِـيءُ سـادِراً فَتَنْجَحِـرْ

فكُلُّ بيتٍ قَصَدَتْ إِليه هربَ منهُ أَهْلُهُ ، وخَلَّوهُ لها .

وقالتِ العربُ : « تَحَكَّكَتِ العَقْرَبُ بالأَفْعَى »[5] ؛ إِذا تكَلَّمَ الضَّعيفُ مع القَوِيِّ أَو ناظَرَهُ ؛ وسيأتي إِن شاء الله تَعالَى في « العقرب » أَيْضاً .

---

(١) الشَّطران ليسا للنابغة ، وهما لخلف الأَحمر في الحيوان ٤/ ٢٨٦ . وانظر المخصص ٨/ ١٠٩ و١٦/ ١٠٦ واللسان (هرت) .

(٢) النهاية ١/ ٣٧٥ واللسان (حري) .

(٣) الميداني ١/ ٤٤٥ والعسكري ٢/ ٢٩ والزمخشري ١/ ٢٣١ وفصل المقال ٤٩٢ وأَمثال أَبي عكرمة ٦٩ والدرة الفاخرة ١/ ٢٩٣ وأَمالي القالي ٢/ ١٢ وثمار القلوب ٢/ ٦٢٧ .

(٤) الرجز في مظان المثل بلا نسبة . ونسبه البكري في التنبيه ٩٠ لأَعرابي من بني فزارة . ورواية الثاني في ط : ثم تجي مبادراً فتحتجر . وفي ب : ثم تجي مبادراً فتنجحر . وفي أ : ثم تجيء شادراً فتحتجر ! . والمثبت من مصادر المثل .

(٥) زهر الأَكم ٢/ ١٢٦ .

وقالوا : « رَماهُ اللهُ تَعالَى بأَفْعَى حارِيَةٍ »[1] ، وهيَ التي يموتُ لَديغُها من ساعَتِه .

وقالُوا : « مَنْ لَسَعَتْهُ أَفْعَى ، مِنْ جَرِّ الحَبْلِ يَخافُ »[2] .

● وما أَحسنَ قولَ صالح بن عبد القُدُّوس رحمهُ اللهُ تَعالى[3] : [من الكامل]

المَـرْءُ يَجْمَـعُ والـزَّمـانُ يُفَـرِّقُ ... وَيَظَـلُّ يَـرْقَـعُ والخُطُـوبُ تُمَـزِّقُ

وَلأَنْ يُعـادِي عـاقِـلاً خَيْـرٌ لَـهُ ... مِـنْ أَنْ يَكُـونَ لَـهُ صَـدِيـقٌ أَحْمَـقُ

فـارْبَـأْ بِنَفْسِـكَ أَنْ تُصـادِقَ أَحْمَقـاً ... إِنَّ الصَّديقَ على الصَّدِيقِ مُصَدَّقُ[4]

وَزِنِ الكَـلامَ إِذا نَطَقْـتَ فـإِنَّمـا ... يُبْـدي عُقُـولَ ذَوِي العُقُـولِ المَنْطِـقُ

ومِنَ الرِّجالِ إِذا اسْتَوَتْ أَخلاقُهُمْ ... مَـنْ يُسْتَشـارُ إِذا اسْتُشِيـرَ فَيُطْـرِقُ[5]

حتَّـى يُجِـلَّ بِكُـلِّ وادٍ قَلْبَـهُ ... فَيَـرَى وَيَعْـرِفُ مَـا يَقُـولُ فَيَنْطِـقُ[6]

لا أَلْفِيَنَّـكَ ثـاوِيـاً فـي غُـرْبَـةٍ ... إِنَّ الغَـريـبَ بِكُـلِّ سَهْـمٍ يُـرْشَـقُ

مَـا النَّـاسُ إِلا عـامِـلانِ ؛ فَعـامِـلٌ ... قَـدْ مـاتَ مـن عَطَـشٍ وآخَـرُ يَغْـرَقُ

والنَّـاسُ فـي طَلَـبِ المَعَـاشِ وإِنَّمـا ... بـالجِـدِّ يُـرْزَقُ مِنْهُـمُ مَـنْ يُـرْزَقُ

لو يَرزقونَ النَّاسَ حَسْبَ عُقُولِهِمْ ... أَلْفَيْـتَ أَكْثَـرَ مَـنْ تَـرَى يَتَصَـدَّقُ

لَكِنَّـهُ فَضْـلُ المَلِيـكِ عَليهِـمُ ... هَـذا عليـهِ مُـوَسَّـعٌ وَمُضَيَّـقُ

---

(١) الميداني ١/ ٣٠٩ والصحاح ٦/ ٢٣١٢ .

(٢) لا وجود له في كتب الأمثال .

(٣) ديوانه ١٢١ .

وترجمته في : تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٣ وطبقات ابن المعتز ٩٠ ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٢ ونكت الهميان ١٧١ والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٦٠ .

(٤) في أ ، ب : فارغب . . . × .

(٥) في أ : . . . أَحلامهم × .

(٦) في أ : حتَّى يحيل . . . . صوابه : حتَّى يجيل .

وإِذا الجِنازَةُ والعَروسُ تَلاقَيا ... وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوائِحٍ يَتَرَقْرَقُ
سَكَتَ الذي تَبِعَ العَروسَ مُبَهَّتاً ... وَرَأَيْتَ مَنْ تَبِعَ الجِنازَةَ يَنْطِقُ
وإِذا امْرُؤٌ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً ... تَرَكَتْهُ حينَ يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَقُ
بَقِيَ الذينَ إذا يَقُولوا يَكْذِبُوا ... وَمَضَى الذينَ إذا يَقُولوا يَصْدُقُوا

● ومن مَحاسِنِ شِعْرِهِ، قولُه[1] : [من السريع]

ما يَبْلُغُ الأَعْداءُ مِن جَاهِلٍ ... ما يَبْلُغُ الجاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
والشَّيْخُ لا يَتْرُكُ أَخْلاقَهُ ... حتَّى يُوارى في ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ارْعَوى عادَ إِلى جَهْلِهِ ... كَذِي الضَّنَى عادَ إِلى نُكْسِهِ
وإِنَّ مَنْ أَدَّبْتَهُ في الصِّبا ... كالعُودِ يُسْقَى الماءَ في غَرْسِهِ
حتَّى تَراهُ مُورِقاً ناضِراً ... بَعْدَ الذي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ

قولُه : والشَّيْخُ لا يَتْرُكُ أَخْلاقَهُ ؛ البيت ، والذي يَليه : هما كانا سَبَبَ قَتْلِهِ ؛ وذلكَ أَنَّ المَهدِيَّ اتَّهمَهُ بالزَّندقَةِ ، وأَمَرَ بإِحضارِهِ فلمَّا خاطَبَهُ أَعْجَبَهُ كلامُهُ ، فخلَّى عنه ، فلمَّا وَلَّى ردَّهُ ، وقال له : أَلستَ القائل : والشَّيْخ لا يتركُ أَخلاقَهُ ؟ البيتين المتقدِّمين . قال : بلى يا أَميرَ المؤمنين . قال : فأَنتَ لا تترُكُ أَخلاقَكَ ؛ فأَمرَ به ، فقُتل ، وصُلِبَ على الجِسر ؛ وذلك سنةَ سبعٍ وستِّينَ ومئة[2] .

● ومن مَحاسِنِ شِعرِهِ أَيضاً؛ قولُهُ[3] : [من الوافر]

إِذا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ ... وَجاوِزْهُ إِلى ما تَسْتَطِيعُ

---

(١) ديوانه ١٤٢ .

(٢) في أ : سنة ست وستين ومئة . وفي ط : سنة سبع وتسعين ومئة !! . والمثبت من ابن خلكان .

(٣) البيت لعمرو بن معدي كرب الزُّبيدي ، ديوانه ١٤٥ و١٤٨ . وإدراجه في ديوان صالح ١٢١ عن الدَّميري محض خطأ .

وهو كَقَولِ ابن دُرَيْدٍ[١] : [من الرجز]

مَـنْ لَـمْ يَقِـفْ عِنْـدَ انْتِهَـاءِ قَـدْرِهِ   تَقَـاصَـرَتْ عَنْـهُ فَسِيْحَـاتُ الخُطَـا

● وصالحٌ هذا هو صاحِبُ الفَلسفةِ ، قتلَهُ المَهديُّ على الزَّندقَةِ ؛ كان يَعِظُ وَيَقُصُّ بالبَصرةِ ، وحديثُه يَسيرٌ ، وليسَ بثقةٍ .

قيل : إنَّهُ رُؤيَ في المنامِ ، فقال : إنِّي وَرَدْتُ على رَبٍّ لا تَخْفَى عليه خافيةٌ ، فاستقبَلَني برَحمته ، وقال : قد علمتُ بَراءَتَكَ ممَّا قُذِفْتَ به .

● وقد أَحسنَ بعضُ الشُّعراءِ في وَصْفِ القِنديل ، حيثُ قالَ مُشَبِّهاً[٢] :

[من الوافر]

وَقَنْـديـلٍ كَـأَنَّ الضَّـوْءَ مِنْـهُ   مُحَيَّـا مَـن هَـويـتُ إذا تَجَلَّـى

أَشَـارَ إِلـى الـدُّجَـى بِلِسـانِ أَفْعَـى   فَشَمَّـرَ ذَيْلَـهُ فَـرَقـاً وَولَّـى

● والأُفْعُوانُ : هو الشُّجَاعُ الأَسْوَدُ ؛ يُواثِبُ الإنسانَ ؛ وكُنيتهُ[٣] أَبو حَيَّان ، وأَبو يَحيى ؛ لأَنَّهُ يَعيشُ أَلفَ سنةٍ .

● وما أَحسَنَ قولَ بعضِهِم[٤] : [من الكامل]

صَرَمَتْ حِبالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ   والـدَّهْـرُ فِيـهِ تَغَيُّـرٌ وَتَقَلُّـبُ[٥]

---

(١) من مقصورته . (شرح التبريزي ٨٢ وشرح ابن خالويه ٣٨١) وروايته في ب : . . . حدَّه × .

(٢) هما لأَبي جعفر أَحمد بن الحسين بن خلف بن البِنّي اليعمري الأُبَّدي ، كما في وفيات الأَعيان ٧/ ١٣٣ .

(٣) ربيع الأَبرار ٥/ ٤٧٥ .

(٤) هذه القصيدة الزَّينبيَّة ، تنسب إِلى صالح بن عبد القدوس ، وصفها ياقوت بأَنَّها أَشهر شعره (معجم الأُدباء ٤/ ١٤٤٦) ، وهي في ديوانه ١٢٣ ـ ١٢٧ . وهي عندي مخطوطة ملحقة بكتاب « الكواكب السبع السَّيَّارة » ولكنَّها بغير نسبة . وتنسب إِلى الإمام عليّ بن أَبي طالب كرَّم الله وجهه . [ديوانه ٥٣٤] .

(٥) في أ : . . . بعد وصلٍ زينب × . والقصيدة أَخلَّت بها ب .

نَشَـرَتْ ذَوائِبَهـا التـي تَـزْهُـو بهـا ... سُـوداً وَرَأْسُـكَ كـالثَّغـامَـةِ أَشْيَـبُ

واسْتَنْفَـرَتْ لَمَّـا رَأَتْـكَ وَطـالَمـا ... كانَتْ تَحِنُّ إلى لِقاكَ وَتَرْغَبُ[1]

وَكَـذاكَ وَصْـلُ الغـانِيـاتِ فَـإِنَّـهُ ... آلٌ ببَلْقَعَـــةٍ وَبَـــرْقٌ خُلَّـــبُ

فَـدَعِ الصِّبـا فلقَـدْ عَـدَاكَ زَمـانُـهُ ... وازْهَـدْ فَعُمْـرُكَ مَـرَّ مِنْـهُ الأَطْيَـبُ

ذَهَـبَ الشَّبـابُ فَمـا لَـهُ مِـنْ عَـوْدَةٍ ... وأَتـى المَشيـبُ فَـأَيْـنَ منـهُ المَهْـرَبُ

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ كانَ في زَمَنِ الصِّبا ... واذْكُـرْ ذُنُـوبَـكَ وابْكِهَـا يـا مُـذْنِـبُ

واذْكُـرْ مُنـاقَشَـةَ الحِسـابِ فـإِنَّـهُ ... لا بُـدَّ يُحْصَـى مـا جَنَيْـتَ ويُكْتَـبُ

لـم يَنْسَـهُ المَلَكـانِ حِيـنَ نَسِيْتَـهُ ... بَـلْ أَثْبَتـاهُ وأَنْـتَ لاهٍ تَلْعَـبُ

والـرُّوحُ فِيـكَ وَدِيعَـةٌ أُوْدِعْتَهـا ... سَتَـرُدُّهـا بـالـرُّغْـمِ منـكَ وَتُسْلَـبُ

وَغُـرورُ دُنْيَـاكَ التِـي تَسْعَـى لَهـا ... دارٌ حَقيقَتُهـا مَتـاعٌ يَـذْهَـبُ

واللَّيْـلُ فـاعْلَـمْ والنَّهـارُ كِـلاهُمـا ... أَنْفـاسُنـا بهمـا تُعَـدُّ وَتُحْسَـبُ[2]

وَجَميـعُ مـا خَلَّفْتَـهُ وَجَمَعْتَـهُ ... حَقّـاً يَقِينـاً بعـدَ مَـوْتِـكَ يُنْهَـبُ

تَبّـاً لِـدارٍ لا يَـدُومُ نَعِيمُهـا ... وَمُشيـدُهَـا عمَّـا قَليـلٍ يَخْـرَبُ

فـاسْمَـعْ هُـدِيْـتَ نَصِيحَـةً أَوْ لاكَهـا ... بَـرٌّ نَصُـوحٌ لِـلأَنـامِ مُجَـرِّبُ[3]

صَحِـبَ الـزَّمـانَ وأَهْلَـهُ مُسْتَبْصِـراً ... وَرَأَى الأُمُورَ بِمَا تَؤُوبُ وَتُعْقِبُ[4]

لا تَـأْمَـنِ الـدَّهْـرَ الخَـؤونَ فـإِنَّـهُ ... مَـا زالَ قِـدْمـاً لِلـرِّجَـالِ يُـؤَدِّبُ

وعَـواقِـبُ الأَيَّـامِ فـي غَصَّـاتِهـا ... مَضَـضٌ يَـذِلُّ لَـهُ الأَعَـزُّ الأَنْجَـبُ[5]

فَعَلَيْـكَ تَقْـوَى اللهِ فـالْـزَمْهَـا تَفُـزْ ... إِنَّ التَّقِـيَّ هُـو البَهِـيُّ الأَهْيَـبُ

---

(١) في أ : × . . . وتطرب .

(٢) في أ : × أنفاسنا فيها . . . .

(٣) في أ : فاعلم أُخيَّ نصيحة . . . × .

(٤) في أ : . . . . متبصّراً × .

(٥) في أ : . . . في أغصانها × ! .

واعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنَلْ مِنْهُ الرِّضَا ... إنَّ المُطِيعَ لَهُ لَدَيْهِ مُقَرَّبُ

واقْنَعْ فَفِي بَعْضِ القَنَاعَةِ راحَةٌ ... واليأسُ مِمَّا فَاتَ فَهْوَ المَطْلَبُ[1]

فإذا طَمِعْتَ كُسِيتَ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ ... فَلَقَدْ كُسِي ثَوْبَ المَذَلَّةِ أَشْعَبُ[2]

وَتَوقَّ مِنْ غَدْرِ النِّساءِ خِيانَةً ... فَجَمِيعُهُنَّ مَكايِدٌ لَكَ تُنْصَبُ[3]

لا تَأْمَنِ الأُنْثَى حَياتَكَ إنَّها ... كالأُفْعُوانِ يَراعُ مِنْهُ الأَنْيَبُ

لا تَأْمَنِ الأُنْثَى زَمانَكَ كُلَّهُ ... يَوْماً وَلَو حَلَفَتْ يَميناً تَكْذِبُ

تُغْرِي بِلِيْنِ حَدِيثِها وَكَلامِهَا ... وإذا سَطَتْ فَهِيَ الصَّقِيلُ الأَشْطَبُ

وابْدَأْ عَدُوَّكَ بالتَّحِيَّةِ وَلْتَكُنْ ... مِنْهُ زَمانَكَ خائِفاً تَتَرَقَّبُ[4]

واحْذَرْهُ إنْ لاقَيْتَهُ مُتَبَسِّماً ... فاللَّيْثُ يَبْدُو نابُهُ إذْ يَغْضَبُ

إنَّ العَدُوَّ وإنْ تَقادَمَ عَهْدُهُ ... فالحِقْدُ باقٍ في الصُّدُورِ مُغَيَّبُ

وإذا الصَّدِيقُ لَقِيْتَهُ مُتَمَلِّقاً ... فَهُوَ العَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَنَّبُ[5]

لا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَمَلِّقٍ ... حُلْوِ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ

يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ واثِقٌ ... وَإذا تَوَارَى عَنْكَ فَهوَ العَقْرَبُ

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلاوَةً ... وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ

وَصِلِ الكِرَامَ وإنْ رَمَوْكَ بِجَفْوَةٍ ... فالصَّفْحُ عَنْهُمْ بالتَّجاوُزِ أَصْوَبُ

واخْتَرْ قَرِينَكَ واصْطَفِيهِ تَفاخُراً ... إنَّ القَرِينَ إلى المُقارَنِ يُنْسَبُ

إنَّ الغَنِيَّ مِنَ الرِّجَالِ مُكَرَّمٌ ... وَتَراهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْهَبُ

وَيُبَشُّ بالتَّرْحِيبِ عِندَ قُدومِهِ ... وَيُقامُ عِندَ سَلامِهِ وَيُقَرَّبُ

---

(١) في أ : × . . . عمَّا فات منه المطلب .

(٢) في أ : . . . لبست ثوب مذلَّةٍ × فبذا . . .

(٣) في أ : × . . . إذ تنصبُ .

(٤) في أ : والقَ عدوَّك . . . × .

(٥) في أ : × . . . وحُقَّ أَن يتجنبُ .

والفَقْرُ شَيْنٌ لِلرِّجَالِ فَإِنَّهُ ... حَقّاً يَهُونُ بِهِ الشَّرِيفُ الأَنْسَبُ

واخْفِضْ جَناحَكَ لِلأَقَارِبِ كُلِّهِمْ ... بَتَذَلُّلٍ واسْمَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا[١]

وَدَعِ الكذوب فلا يكن لك صاحِباً ... إِن الكَذُوبَ يَشِينُ حُرّاً يَصْحَبُ

وَزِنِ الكَلامَ إِذا نَطَقْتَ ولا تَكُنْ ... ثَرْثَارَةً في كُلِّ نادٍ تَخْطُبُ[٢]

واحْفَظْ لِسانَكَ واحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ ... فَالمَرْءُ يَسْلَمُ باللِّسَانِ وَيَعْطَبُ[٣]

والسِّرَّ فاكْتُمْهُ ولا تَنْطِقْ بِهِ ... إِنَّ الزُّجَاجَةَ كَسْرُها لا يُشْعَبُ

وَكَذَاكَ سِرُّ المَرْءِ إِنْ لَمْ يَطْوِهِ ... نَشَرَتْهُ أَلْسِنَةٌ تَزِيدُ وتَكْذِبُ

لا تَحْرَصَنْ فالحِرْصُ لَيْسَ بزائِدٍ ... في الرِّزْقِ بَلْ يَشْقَى الحَرِيصُ وَيَتْعَبُ

وَيَظَلُّ مَلْهُوفاً يَرُومُ تَحَيُّلاً ... والرِّزْقُ لَيْسَ بِحِيْلَةٍ يُسْتَجْلَبُ

كَمْ عاجِزٍ في النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ ... رَغَداً وَيُحْرَمُ كَيِّسٌ وَيُخَيَّبُ

وَارْعَ الأَمانَةَ ، والخِيَانَةَ فَاجْتَنِبْ ... واعْدِلْ ولا تَظْلِمْ يَطِبْ لَكَ مَكْسَبُ[٤]

وإِذَا أَصابَكَ نَكْبَةٌ فاصْبِرْ لَهَا ... مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسَلَّماً لا يُنْكَبُ

وإِذَا رُمِيْتَ مِنَ الزَّمانِ بِرِيْبَةٍ ... أَو نالَكَ الأَمْرُ الأَشَقُّ الأَصْعَبُ[٥]

فاضْرَعْ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَدْنَى لِمَنْ ... يَدْعوهُ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ وأَقْرَبُ

كُنْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الأَنام بِمَعْزِلٍ ... إِنَّ الكَثِيرَ مِنَ الوَرَى لا يُصْحَبُ[٦]

واحْذَرْ مُصاحَبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ ... يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحَ الأَجْرَبُ

واحْذَرْ مِنَ المَظْلُومِ سَهْماً صَائِباً ... واعْلَمْ بِأَنَّ دُعاءَهُ لا يُحْجَبُ

وإِذا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبَلْدَةٍ ... وَخَشِيْتَ فيها أَنْ يَضِيقَ المَذْهَبُ

---

(١) في أ : × . . . واغفر لهم . . .

(٢) في أ : × بزيادة في كل نادٍ تطلب .

(٣) في أ : وتوقَّ من عثراته من زلَّةٍ × فالمرءُ . . .

(٤) في أ : × . . . يطيبُ المكسبُ .

(٥) في أ : × . . . الأَعقُّ الأَصعبُ .

(٦) في أ : × إِنَّ القليل من الورى مَن يُصحبُ .

فـارْحَـلْ فَـأَرْضُ اللهِ واسِعَـةُ الفَضَـا   طُـولاً وَعَـرْضـاً شَـرْقُهـا والمَغْـرِبُ
فَلَقَـدْ نَصَحْتُـكَ إنْ قَبِلْـتَ نَصِيحَتِـي   فـالنُّصْـحُ أَغْلَـى مَـا يُبـاعُ وَيُـوهَـبُ

● تَتِمَّةٌ : ذَكَرَ الإمام أَبو الفَرَج ابن الجوزيّ في « الأَذْكِياءِ » وغيرُه ، قال[1] : لمَّا حَضَرَتْ نزار بنَ مَعَدٍّ الوفاةُ ، قَسَمَ مالَهُ بَيْنَ بَنِيه : وهم أَربعةٌ : مُضَرُ ، ورَبيعة ، وإِيادٌ ، وأَنمار ، قال : يا بَنِيَّ ، هذه القُبَّةُ ـ وهي من أَدَمٍ حَمراءَ ـ وما أَشْبَهَها من المَالِ لِمُضَر ، وهذا الخِباءُ الأَسوَدُ ، وَمَا أَشْبَهَهُ من المَالِ لِرَبيعة ، وهذِهِ الخادِمُ وما أَشْبَهَهَا من المالِ لإِيادٍ ، وهذه البَدْرَةُ والمَجْلِسُ لأَنْمَارَ يَجْلِسُ فيهِ ؛ ثمَّ قالَ لهم : إِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُم الأَمْرُ في ذلكَ ، واخْتَلَفْتُم في القِسْمَةِ ، فَعَلَيْكم بالأَفْعَى بن الأَفْعَى الجُرْهُميّ .

وإِنَّهُ لمّا ماتَ نِزارٌ ، تَوَجَّهُوا إِلى الأَفْعَى ، وكان مَلِكَ نَجْرانَ ، فبينَمَا هم يَسِيرُونَ إِذ رَأَى مُضَرُ كَلأً قَدْ رُعِيَ ، فقالَ : إِنَّ البَعِيرَ الذِي رَعَى هذا أَعورُ ؛ فقال رَبيعة : وهو أَزْوَرُ ؛ وقال إِيَّادٌ : وهو أَبْتَرُ ؛ وقال أَنْمَارٌ : وهو شَرودٌ ؛ فلَمْ يَسِيرُوا إِلاَّ قَليلاً ، حتَّى لَقِيَهُم رَجُلٌ ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ البَعِيرِ ؛ فقال مُضَر : أَهُوَ أَعْوَرُ ؟ قال : نَعَمْ ؛ قال رَبيعةُ : أَهُوَ أَزْوَرُ[2] ؟ قال : نَعَمْ ؛ قال إِيَّادٌ : أَهُوَ أَبْتَرُ[3] ؟ قال : نعم ؛ قال أَنْمَار : أَهو شَرُودٌ[4] ؟ قال : نعمْ ، هَذِهِ صِفَةُ بَعِيرِي ، دُلُّونِي عَلَيْهِ ؛ فحَلَفُوا له أَنَّهُمْ مَا رَأَوْهُ ؛ فَلَزِمَهُمْ ، وقال : كَيْفَ أُصَدِّقُكُمْ وأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعيرِي بِصِفَتِهِ ؟ .

ثمَّ سارَ معهم حتَّى قَدِمُوا نَجرانَ ، ونَزَلُوا بالأَفْعَى الجُرْهُميّ ، فنادَى

---

(١) أَخبار الأَذكياء ٩١ والفاخر ١٨٩ والميداني ١/ ١٥ وتاريخ الطبري ٢ / ٢٦٨ ومروج الذهب ٢/ ٢٣٨ وثمرات الأوراق ١٧٤ ومسالك الأبصار ٤/ ٢٧٢ .

(٢) الزَّوَرُ : المَيَلُ ، وعِوَجُ الزَّوْرِ [= الصَّدر] ، أَو إِشرافُ أَحدِ جانبيه على الآخر ؛ والأَزورُ : مَن به ذلك . (القاموس) .

(٣) الأَبتر : مقطوعُ الذَّنَب .

(٤) شردَ البعير : نفَرَ .

الشَّيْخُ صاحبُ البَعِيرِ : هَؤُلاء أَصابُوا بَعِيرِي ، فإِنَّهُمْ وَصَفُوا لِي صِفَتَهُ؛ ثمَّ قالُوا : لَمْ نَرَهُ أَيُّها المَلِكُ ؛ فقال الأَفْعَى : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ ولم تَرَوْهُ ؟ .

فقال مُضَر : رَأَيْتُهُ رَعَى جَانِباً وترَكَ جانِباً ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعْوَرُ .

وقال رَبيعةُ : رأَيْتُ إِحدَى يَدَيْهِ ثابِتَةَ الأَثَرِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَها بشِدَّةِ وَطْئِهِ لازْوِرَارِهِ .

وقالَ إِيَّادٌ : رَأَيْتُ بَعْرَهُ مُجْتَمِعاً ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَبْتَرُ ، ولو كانَ ذَيَّالاً لَمَصَعَ[1] بِهِ .

وقال أَنمارٌ : رأَيْتُهُ رَعى المُلْتَفَّ نَبْتُهُ ، ثمَّ جاوَزَهُ إِلى مَكانٍ آخرَ أَرَقَّ مِنْهُ ، فعلمْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ .

فَقالَ الأَفْعَى لِلشَّيْخِ : لَيْسَوا بِأَصْحَابِ بَعيرِكَ فاطْلُبْهُ .

ثمَّ سَأَلَهُمْ : مَنْ هُم ؟ فأَخْبَرُوهُ ، فَرَحَّبَ بِهِمْ ، ثمَّ قَالَ : أَتحتاجُونَ إِلَيَّ وأَنْتُم كما أَرَى ؟ .

فَدَعَا لَهُمْ بِطَعامٍ وشَرابٍ ، فأَكلُوا وشَرِبُوا ؛ فقالَ مُضر : لَمْ أَرَ كاليَوْمِ خَمْراً أَجْوَدَ ، لَوْلا أَنَّها على مَقْبَرَةٍ .

وقال رَبيعةُ : لَمْ أَرَ كاليومِ لَحْماً ، لَوْلا أَنَّهُ رُبِّيَ بِلَبَنِ كَلْبَةٍ .

وقال إِيَّادٌ : لَمْ أَرَ كاليَوْمِ رَجُلاً أَسْرَى منهُ ، لَوْلا أَنَّهُ لَيْسَ بابْنِ أَبيهِ الذِي يُدْعى إِليهِ .

وقال أَنْمارٌ : لَمْ أَرَ كاليومِ خُبْزاً أَجْوَدَ ، لَوْلا أَنَّ التِي عَجَنَتْهُ حائِضٌ .

وكانَ الأَفْعَى قَدْ وَكَّلَ بهم مَنْ يَستمعُ كلامَهم ، فأَعلمَهُ بِمَا سَمِعَ منهم ، فطلبَ صاحِبَ شَرابِهِ ، وقال له : الخَمْرَةُ التي جِئْتَ بِها ، مَا قِصَّتُها ؟ قال :

---

(١) مَصَعَ بذيله : حرَّكه ، ففرَّق به بَعره .

هي من كَرْمَةٍ[1] غَرَسْتُها على قَبرِ أَبيكَ ، لَمْ يَكُنْ عندَنا شَرابٌ أَطْيَبُ من شَرابِها .

وقال للرَّاعِي : اللَّحْمُ مَا أَمْرُهُ ؟ قالَ : من لحمِ شاةٍ أَرْضَعْنَاها بِلبَنِ كَلْبَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ في الغَنَمِ أَسْمَنَ منها .

فَدَخَلَ دارَهُ وسَأَلَ الأَمَةَ التي عَجَنَتِ العَجِينَ ، فأَخبرَتْهُ أَنَّها حَائِضٌ .

ثمَّ أَتَى أُمَّهُ ، وسَأَلَ منها عن أَبيهِ ، فأَخْبَرَتْهُ أَنَّها كانتْ تَحْتَ مَلِكٍ لا يُولَدُ لَهُ ، فكَرِهَتْ أَنْ يَذْهَبَ المُلْكُ ، فأَمْكَنَتْ رَجُلاً نَزَلَ بهم من نَفْسها ، فَوَطِئَها ، فأَتَتْ بِهِ .

فَعجبَ من أَمْرِهِمْ وَدَسَّ عَلَيْهِم مَنْ سَأَلَهُم عَمَّا قالُوا ؟ فقالَ مُضَرُ : إِنَّما علمْتُ أَنَّها من كَرْمَةٍ غُرِسَتْ على قبرٍ ، لأَنَّ الخَمْرَ إِذَا شُرِبَتْ أَزالَتِ الهَمَّ ، وهَذِهِ بِخِلافِ ذلكَ ، لأَنَّا لمَّا شَرِبْناها دَخَلَ علينا الغَمُّ .

وقال ربيعةُ : إِنَّما علمتُ أَنَّ اللَّحمَ لحمُ شاةٍ رَضَعَتْ من لَبَنِ كَلبةٍ ، لأَنَّ لَحْمَ الضَّأْنَ وسائِرَ اللُّحُومِ ، شَحْمُها فَوْقَ اللَّحْمِ ، إِلاَّ الكلاب فإِنَّها عكسُ ذلكَ ، فَرَأَيْتُهُ مُوافِقاً له ، فَعلمْتُ أَنَّهُ لحمُ شاةٍ رَضَعَتْ من كَلْبَةٍ ، فاكْتَسَبَ اللَّحْمُ مِنْها هَذِهِ الخاصِّيَّةَ .

وقال إِيَّادٌ : إِنَّما علمتُ أَنَّ المَلِكَ لَيْسَ بابْنِ أَبيهِ الذي يُدعَى إِليهِ ، لأَنَّهُ صَنَعَ لَنَا طَعاماً ولم يَأْكُلْ مَعَنا ، فعرفتُ ذلك من طِباعِهِ ، لأَنَّ أَباهُ لَمْ يَكُنْ كذَلِكَ .

وقال أَنمارٌ : إِنَّما علمتُ أَنَّ الخُبْزَ عَجَنَتْهُ حائِضٌ ، لأَنَّ الخُبْزَ إِذا فُتَّ انْتَفَشَ في الطَّعامِ ، وهو بخلافِ ذلك ؛ فعلمتُ أَنَّهُ عَجِينُ حائِضٍ .

---

(١) في أ : حَبَلَة . وهما بمعنى .

فَأَخْبَرَ الرَّجُلُ الأَفْعَى بذلِكَ ، فقالَ : ما هؤُلاءِ إلاَّ شَياطِين ؛ ثمَّ أَتَاهُمْ ، فقالَ لهم : قُصُّوا قِصَّتكم ، فقَصُّوا عَلَيْهِ مَا أَوْصَاهُمْ بِهِ أَبُوهُمْ ، وَمَا كَانَ من اخْتِلافِهِمْ .

فقالَ : مَا أَشْبَهَ القُبَّةَ الحَمْراءَ من مالٍ ، فهو لِمُضَرَ ؛ فَصَارَتْ لَهُ الدَّنانِيرُ والإِبلُ وهي حُمْرٌ ، فَسُمِّيَتْ مُضَرُ الحَمْراء .

ثمَّ قال : وما أَشْبَهَ الخِبَاءَ الأَسْوَدَ من دابَّةٍ ومالٍ فهو لربيعةَ ، فَصارَتْ له الخَيلُ وهي دُهْمٌ ، فَسُمِّيَتْ رَبيعةُ الفَرَسِ .

ثُمَّ قالَ : وَمَا أَشْبَهَ الخادِمَ ، وكانَتْ شَمْطَاءَ ، من مالٍ فهوَ لإِيَادٍ ؛ فَصارتْ له الماشيةُ البُلْقُ من الخَيْلِ وغيرِها .

وَقَضَى لأَنْمارَ بالدَّرَاهِم والأَرْضِ ، فسَارُوا من عِنْده على ذلك .

وسيأتي ـ إنْ شَاءَ اللهُ تَعالى ـ في « باب الكاف »، في الكَلامِ عن الكَلب ، مَا نَقَلَهُ السُّهَيْلِي من أَنَّ ربيعةَ ومُضَر كانَا مُؤْمنين .

● وفي « وَفيات الأَعيان » في ترجمةِ ابنِ التِّلميذِ ، شَيْخ النَّصارى والأَطِبَّاء[1] : أَنَّهُ كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْحَدِ الزَّمانِ هِبَة الله ، الحكيمُ المَشْهور ، تَنافُسٌ ، وكان يَهودِيّاً فأَسْلَمَ في آخِرِ عُمرِهِ ، وأَصابَهُ الجُذامُ ، فعَالَجَ نَفْسَهُ بتَسْلِيْطِ الأَفاعِي على جَسَدِهِ ، بعدَ أَنْ جَوَّعَهَا ، فبالَغَتْ في نَهْشِهِ ، فَبَرِىءَ من الجُذَامِ ، وعَمِيَ ، فَعَمِلَ فيه ابنُ التِّلميذِ : [من البسيط]

لَنَا صَدِيقٌ يَهُوديٌّ حَمَاقَتُهُ ... إذا تَكَلَّمَ تَبْدُو فِيهِ مِنْ فِيهِ

يَتِيهُ والكَلْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةً ... كَأَنَّهُ بَعْدُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ التِّيهِ

---

(١) وفيات الأَعيان ٦/ ٧٤ وعيون الأَنباء ٣٤٩ ـ ٣٥٠ . ونسبهما القفطيّ في أَخبار الحكماء ٤٦٠ إلى ابن أَفلح .

● وكان ابنُ التِّلميذِ مُتواضِعاً ، وأَوْحَدُ الزَّمانِ مُتكَبِّراً ؛ فعملَ فيهما البَديعُ الأَسْطَرْلابيُّ[1] : [من الوافر]

أَبُـو الحَسَـنِ الطَّبيـبُ وَمُقْتَفِيـهِ أَبُـو البَـرَكَـاتِ فِـي طَـرَفَـيْ نَقِيـضِ
فَهَـذَا بـالتَّـواضُـعِ فـي الثُّـرَيَّـا وَهَـذَا بِـالتَّكَبُّـرِ فـي الحَضِيـضِ

● وَقَدْ أَلْغَزَ أَبو الحسن ابن التِّلميذِ في المِيزانِ ، وأَجادَ[2] : [من الرَّجز]

مَـا وَاحِـدٌ مُخْتَلِـفُ الأَسْمَـاءِ يَعْـدِلُ فـي الأَرْضِ وفـي السَّمَـاءِ
يَحْكُـمُ بِـالقِسْـطِ بِـلا رِيَـاءِ أَعْمَـى يُـري الإِرْشَـادَ كُـلَّ رَاءِ
أَخْـرَسُ لا مِـنْ عِلَّـةٍ وَدَاءِ يُغْنِـي عَـنِ التَّصْـرِيـحِ بـالإِيْمَـاءِ
يُجِيـبُ إِنْ نـاداهُ ذو امْتِـراءِ بـالـرَّفْـعِ والخَفْـضِ عـن النِّـداءِ
يُفْصِـحُ إِنْ عُلِّـقَ فـي الهَـوَاءِ

وقَولُه : « مُختلفُ الأَسماءِ » : يَعْنِي ميزانَ الشَّمسِ ، لِلأَسْطَرْلابِ وسائِرِ آلاتِ الرَّصْدِ ؛ وهوَ معنى قوله : « يَعدلُ في الأَرْضِ وفي السَّماءِ » ، وميزان الكلامِ النَّحو ، وميزانُ الشِّعر العَروضُ ، وميزانُ المعاني المَنْطقُ ، وهذه الميزان وغير ذلك .

والأَسْطَرْلابُ : بفَتح الهَمْزةِ ، وإِسكانِ السِّين ، وضَمِّ الطَّاءِ ؛ ومَعناهُ مِيزان الشَّمسِ ، لأَنَّ أَسْطَرْ اسمٌ للميزانِ ، ولاب اسْمٌ للشَّمسِ ، بلسانِ اليُونانِ .

وأَوَّلُ مَنْ وَضَعَهُ : بَطْلَيْمُوس[3] ، بفَتْحِ الباءِ واللامِ ، وإِسْكَانِ الطَّاء والياءِ ، وضَمِّ الميمِ ؛ ولَهُ في وَضْعِهِ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ ، تَرَكْنَاهَا لِطُولِها .

---

(١) وفيات الأَعيان ٦/ ٧٥ وأَخبار الحكماء ٤٦٣ ، وبلا نسبة في عيون الأَنباء ٣٥٠ .
(٢) وفيات الأَعيان ٦/ ٦٩ وعيون الأَنباء ٣٦٤ .
(٣) قال النديم في الفهرست ٣٤٢ : وأَول من عملها [= الأَسطرلابات] : بطليموس ؛ وقيل : عُملت قبله .

● وكانَ ابنُ التِّلميذِ قد جَمَعَ أَنواعاً من العُلومِ ، حتَّى كان يُتَعَجَّبُ من أَمْرِهِ ، كَيْفَ حُرِمَ الإِسْلاَمَ مع كَمَالِ فَهْمِهِ وغَزارَةِ عَقْلِهِ وعِلْمِه ! وهذا سِرُّ قَوْلِهِ تعالى : ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف : ١٨٦] نَسأَلُ الله الوفاةَ على التَّوحِيدِ ، آمين .

تُوفي ابنُ التِّلميذِ في صَفَر ، سنةَ ستِّينَ وخَمسمئة .

● **الخَواصُّ**(١) : دَمُها : يُكْتَحَلُ بِهِ يَجْلُو البَصَرَ .

وَقَلْبُها : يُجَفَّفُ ، ويُشَدُّ على الإِنسانِ ، فلا يُؤَثِّرُ فِيهِ السِّحْرُ .

وإِذا عُلِّقَ ضِرْسُ الأَفْعَى الأَيْسَرُ على مَنْ يَشْتكِي ضِرْسَهُ نَفَعَهُ ؛ وإِنْ عُلِّقَ على فَخِذِ امرأَةٍ ، لَمْ تَحْبَلْ مَا دَامَ عَلَيْهَا .

وقال القَزويني ، وابن زُهْرٍ ، وابنُ بُختيشوع : إِنَّ قَلْبَ الأَفْعَى ، إِذا عُلِّقَ عَلَى مَنْ بِهِ حُمَّى الرِّبْعِ أَبْرَأَهُ .

وشَحْمُها يَنْفَعُ مِنْ لَسْعِ سائِرِ الهَوامِّ دَلْكاً ؛ وإِنْ نُتِفَ الشَّعْرُ مِنْ مَكانٍ مَا ، طُلِيَ ذلك المَكَانُ بِشَحْمِها ، مَنَعَهُ من النَّباتِ .

وإِذَا أَمْسَكَ إِنْسانٌ نُوشادراً في فَمِهِ؛ حتَّى يَذُوبَ ، ثمَّ بَصَقَ في فَمِ الحَيَّةِ والأَفْعى ماتا من وَقْتِهِمَا .

وسَلْخُ الأَفْعَى إِذا طُبِخَ بالخَلِّ ، وتُمُضْمِضَ بِهِ ، نَفَعَ من وَجَعِ الأَسْنَانِ والأَضْرَاسِ .

وإِذا سُحِقَ بالتُّرابِ ، واكْتُحِلَ بِهِ ، نَفَعَ من ظُلْمَةِ البَصَرِ .

وشَحْمُها : يَنْفَعُ البَواسِيرَ ، وبَياضَ العَيْنِ ، طِلاءً وكُحْلاً .

ومَرارَتُها : سُمُّ ساعَةٍ .

---

(١) تذكرة الأنطاكي ١/ ٥٢ وجامع ابن البيطار ١/ ٤٦ وعجائب القزويني ٢٨٩ .

وقال أَبُقْرَاط : مَنْ أَكَلَ لَحْمَ الأَفْعَى ، أَمِنَ من الأَمْرَاضِ الصَّعْبَةِ .

● حُكِيَ عن عَمرو بن يَحيى العَلَوِيّ ، أَنَّهُ قال[1] : كُنَّا في طرِيقِ مَكَّةَ فأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا اسْتِسْقَاءٌ ، فاتَّفَقَ أَنَّ العربَ سَرَقُوا قِطاراً مِنَّا فيهِ ذلكَ الرَّجُلُ العَليلُ ، فلمَّا رَجَعْنَا إلى الكُوفةِ وَجَدْنَاهُ مُعافى ، فسأَلْنَاهُ عن حالِهِ ، فقالَ : إنَّ الأَعرابَ لمَّا انْتَهَوْا بي إلى مَساكِنِهم ، وهي على فَراسِخَ ، طَرَحُوني في أَواخِرِ بُيُوتِهِم ، فكُنْتُ أَتَمَنَّى المَوْتَ ، إلى أَنْ رَأَيْتُهُمْ يَوْماً قد أَخْرَجُوا أَفاعِي اصْطَادُوها ، فَقَطَعُوا رُؤُوسَها وأَذْنَابَها ، وشَوَوْهَا ؛ فقلتُ في نَفْسِي : هَؤلاءِ اعْتادُوا أَكْلَها فلا تَضُرُّهُم ، فَلَعَلِّي إنْ أَنا أَكلتُ مِنْهَا مِتُّ واسْتَرَحْتُ ؛ فاسْتَطْعَمْتُهُمْ ، فَرَمَى إِلَيَّ رَجلٌ منهم واحِدَةً ، فأَكَلْتُها ، فَنِمْتُ نَوْماً ثَقيلاً ، ثمَّ استيقظْتُ وقد عَرِقْتُ عَرَقاً شَدِيداً ، وانْدَفَعَتْ طَبيعَتِي أَكْثَرَ من مِئةِ مَرَّةٍ ، فلمَّا أَصبحتُ وَجَدْتُ بَطْنِي قد ضَمَرَ ، وانْقَطَعَ الأَلَمُ ، فطلبْتُ منهم مَأْكُولاً ، فأَكَلْتُ ، وأَقَمْتُ عندَهم إلى أَنْ وَثِقْتُ من نَفْسِي بالشِّفَاءِ ، ثمَّ أَخَذْتُ الطَّريقَ مع بَعضِهِم ، وأَتَيْتُ الكوفَةَ .

٢٧ الأَقْهَبان : الفيلُ والجامُوسُ ؛ قال رُؤْبَةُ يَصِفُ نَفْسَهُ بالشِّدَّةِ[2] : [من الرجز]

لَيْثٌ يَدُقُّ الأَسَدَ الهَمُوسا ... وَالأَقْهَبَيْنِ الفِيْلَ وَالجَامُوسا

٢٨ الأُمْلُوكُ : دُوَيْبَّةٌ تَكُونُ في الرَّمْلِ ، تُشْبِهُ العَظاءَةَ ؛ قالَهُ ابْنُ سِيْدَه[3] .

٢٩ الإِنْسُ : البَشَرُ ، الواحِدُ إِنْسِيٌّ ، وَأَنَسِيٌّ أَيْضاً بالتَّحريكِ ، والجمعُ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٩ والمستطرف ٢/ ٤٤٣ .

(٢) ديوانه ٦٩ والمخصص ١٣/ ٢٢٤ و١٤/ ١٤٥ واللسان (قهب) ٥/ ٣٧٦٣ .
والأَقهبُ : ما كان لونُه إلى الكُدرةِ ، مع البياضِ والسَّوادِ .

(٣) المخصص ٨/ ١٠٢ واللسان (ملك) ٦/ ٤٢٦٩ .
وفي ط ، ب : الأُملول ! . وفي أ ، ب ، ط : . . . تشبه القطاة ! ! .

أَناسِيٌّ ، وإِنْ شِئْتَ جَعلتَه إِنساناً ، ثمَّ جمعتَه على أَناسيَّ ، فَتَكُونُ الياءُ عِوَضاً عن النُّونِ ؛ قال تعالى : ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان : ٤٩] وكذلكَ الأَناسِيَةُ ؛ مثل الصَّيارِفَةِ والصَّياقِلَة ؛ ويُقال للمَرأَةِ أَيضاً : إِنسانٌ ، ولا يُقال : إِنسانَةٌ ، والعامَّةُ تَقولُهُ ؛ قاله الجوهريُّ(١) .

وأَنشَدُوا على ذلك(٢) : [من الرَّجز]

إِنْسَانَةٌ فَتَّانَةٌ بَدْرُ الدُّجَى مِنْهَا خَجِلْ(٣)
إِذا زَنَتْ عَيْنِي بِهَا فَبِالدُّمُوعِ تَغْتَسِلْ

٣٠ الإِنْسَانُ : نَوْعُ العالَم ، والجمعُ : النَّاسُ .

● قال الجَوهريُّ(٤) : وتَقديرُ إِنسانٍ ، على فِعْلان ؛ وإِنَّما زِيْدَ في تَصْغِيرِه ياءٌ ، وقيلَ : أُنَيْسِيان ، كما زِيْدَ في تَصْغِيرِ رَجُلٍ ، فَقيلَ : رُوَيْجِل .

وقال قَوْمٌ : أَصْلُهُ إِنْسِيان على وَزْنِ إِفْعلان ، فَحُذِفَتِ اليَاءُ استِخْفافاً لكثرةِ مَا يَجْرِي على الأَلْسِنَةِ ؛ وإِذا صَغَّرُوها رَدُّوها ، لأَنَّ التَّصْغِيرَ لا يَكْثُرُ ؛ واستَدلّوا عليه بقولِ ابنِ عبَّاس رضي الله تعالى عنهما أَنَّهُ [قال] : إِنَّما سُمِّي إِنْساناً، لأَنَّهُ عُهِدَ إِليه فَنَسِيَ ؛ والأُناسُ : لغةٌ في النَّاسِ ، وهو الأَصْلُ فُخُفِّفَ .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين : ٤] وهو اعتدالُه وتَسويَةُ أَعْضائِهِ ، لأَنَّهُ خَلَقَ كلَّ شَيْءٍ مُنْكَبّاً على وَجْهِهِ ، وخَلَقَهُ سَوِيّاً ، وله لِسانٌ ذَلِقٌ

---

(١) الصحاح ٣/ ٩٠٤ .

(٢) هما للثعالبي في يتيمة الدهر ٣/ ٣٩٥ وخاص الخاص ٦٠٧ ومَن غابَ عنه المطرب ١٥٣ (سامرائي) و١٣٢ (شعلان) وفوات الوفيات ٣/ ١٦ وقراضة الذهب ٨٨ وتاج العروس ١٥/ ٤١٠ (أَنَس) وديوانه ١١٢ . وبلا نسبة في القاموس (أنس) ٢/ ٢٠٥ .

(٣) في أ ، ب : إنسانةٌ تيَّاهةٌ × .

(٤) الصحاح ٣/ ٩٠٥ .

يَنْطِقُ بِهِ ، ويَدٌ وأَصابِعُ يَقْبِضُ بها ، مُزَيَّناً بالعقلِ ، مُؤَدَّباً بالأَمْرِ ، مُهَذَّباً بالتَّمْيِيزِ ؛ يتناوَلُ مأكوله ومَشروبَهُ بيَدِهِ .

● وروى الطَّبرانيّ في « معجمه الأَوسط »[1] بإِسنادٍ صحيحٍ ، عن أَبي مَدِيْنَة الدَّارِمِيُّ[2] ، وكانت له صُحْبَةٌ ، قال : « كانَ الرَّجُلانِ من أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ إذا الْتَقَيَا لَمْ يَفْتَرِقَا حتَّى يَقْرَأَ أَحَدُهُما على الآخرِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر : ١ ـ٢] [ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحدُهما على الآخر »] .

● **فائدة** : قال ابن عطيَّة : مِنَ الدَّليلِ على أَنَّ القُرآنَ غيرُ مَخلوقٍ ، أَنَّ اللهَ تَعالى ذَكَرَ القُرآنَ في كتابِهِ العزيزِ ، في أَربعةٍ وخَمسينَ موضعاً[3] ، مَا فيها مَوضعٌ صَرَّحَ فِيهِ بلَفْظِ الخَلْقِ ، ولا أَشارَ إِليهِ ؛ وذُكِرَ الإنسانُ على الثُّلُثِ من ذلك ، في ثمانيةَ عَشَرَ موضعاً[4] ، كُلُّها نَصَّتْ على خَلْقِهِ ، وقد افترقَ ذِكْرُهما على هذا النَّحو في قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ [الرَّحمن : ١ ـ٣] .

قال القاضي أَبو بَكر بن العَرَبي المالكي الإمام العلاَّمة : لَيْسَ للهِ تَعالى خَلْقٌ أَحسنَ من الإنسانِ ؛ فإِنَّ اللهَ تعالى خَلَقَهُ حَيّاً عالِماً قادراً مُتَكَلِّماً سَميعاً بَصِيراً مُدَبِّراً حَكِيماً ، وهذه صِفاتُ الرَّبِّ جلَّ وَعَلا ، وَعَنْها وَقَعَ البيانُ

---

(١) وابن الأَثير في أُسد الغابة ٣/ ٢١٤ (رقم ٢٨٩٦) . وابن حجر في الإِصابة ٤/ ٥٤ (رقم ٤٦٤٥) والزيادة منهما .

(٢) في ط : أَبي مزينة . وفي ب : أَبي حذيفة . خطأ . والصواب في أ .
وهو عبد الله بن حصن ـ وقيل : حُصين ـ الدَّارِميّ ، له صحبة .
(طبقات ابن سعد ٩/ ١٨٨ وتاريخ المقدّمي ٤٩ وكنى مسلم ٢/ ٨٣٠ والإكمال ٧/ ٢٤٣) .

(٣) كذا قال ابن عطيَّة ! والواقع أَنَّ لفظة « القرآن » وردت في كتاب الله عزَّ وجلَّ في ثمانية وخمسين موضعاً ، ووردت بلفظ « قرآناً » عشر مرَّات ، ووردت بلفظ « قرآنه » مرَّتين ؛ فالمجموع سبعون مرَّةً .

(٤) كذا ! ولفظة « الإِنسان » وردت في القرآن في خمسةٍ وستِّين موضعاً .

بِقَوْلِهِ ﷺ[1] : « إِنَّ اللهَ تَعالى خَلَقَ آدمَ على صُورتِهِ » يعني على صِفاتِهِ التي قَدَّمْنا ذِكْرَها .

قلتُ : وهنا مجالٌ رَحْبٌ لأَصْحَابِ الكلامِ في أُصُولِ الدِّين ، أَضْرَبْنا عنه إِذْ لَيْسَ هو من غَرَضِنا في هذا الكتابِ .

● وروى القاضي أَبو بَكر المتقدِّم ذِكْرُهُ بِإِسْنادِهِ[2] : أَنَّ مُوسَى بن عيسى الهاشميّ ، كانَ يُحِبُّ زَوجتَه حُبّاً شَديداً ، فقال لها يوماً : أَنتِ طالقٌ ثلاثاً إِنْ لَمْ تكونِي أَحسنَ من القَمَرِ ؛ فاحتجَبَتْ عَنْهُ ، وقالت : طُلِّقْتُ ؛ فباتَ بليلةٍ عَظيمةٍ ، فلمَّا أَصْبَحَ أَتى المَنْصُورَ وأَخبرَهُ بذلك[3] ، فاستَحْضَرَ الفُقهاءَ ، وسأَلَهم عن ذلك ، فأَجابَ كلٌّ منهم بالطَّلاقِ ، إِلاَّ واحِداً منهم ، فقال : لا تُطَلَّقُ ، لقولِه تَعالَى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التِّين : ٤] فقال المنصورُ : الأَمْرُ كما قالَ ؛ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلى زَوجته بذلك .

وهذا الجوابُ يُنْقَلُ عَنِ الإِمامِ الشَّافعيِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ؛ وعندي في قوله : موسى بن عيسى ، نَظَرٌ ؛ والذي أَظُنُّهُ أَنَّهُ عيسى بن موسى ، فإِنَّهُ كان وليَّ عهدِ المنصُورِ ، ثمَّ خَلَعَهُ من ولايةِ العهدِ لِولدِهِ المَهديِّ ، وقد تَقَدَّمَ أَنَّ الشَّافعيَّ رَضِيَ الله عنه وُلد في سنة خَمسين ومِئة ، والمنصورُ كانَتْ وَفاتُهُ على مَا ذَكَرَهُ ابنُ خلّكان[4] وغيره ، في سنةِ ثمانٍ وخَمسين ومِئة ؛ فكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ

---

(١) البخاري ٧/ ١٢٥ ، (كتاب الاستئذان) ومسلم (٢٦١٢) و(٢٨٤١) ومسند أَحمد ٢/ ٢٤٤ و٢٥١ ، ٣١٥ .

(٢) الخبر في الفرج بعد الشِّدَّة للتنوخي ٤/ ٣٧٧ ومقالات الأدباء لابن هذيل ٢٢٠ ، والمفتي بعدم طلاق المرأَة رجلٌ من أَصحاب أَبي حنيفة . وزوج المرأة : عيسى بن موسى ، كما ظنَّ المؤلف .

(٣) في أ : وأَخبره بما اتَّفق له بينه وبين زوجته .

(٤) ليس من شرط ابن خلكان ترجمة الخلفاء في كتابه .

يَكُونَ الشَّافِعِيُّ المُفْتِي في هذه الواقِعةِ ؟ فَلْيُتَأَمَّلْ ذلك من مَظانِّه .

● قلتُ : وقد أَذْكَرَتْنِي هذه الحكايةُ مَا ذَكَرَهُ الزَّمخشريُّ عند قوله تَعالَى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النِّساء : ١٢٧] أَنَّ[1] عِمرانَ بن حِطَّان الخارجيّ ، كانَ شَدِيدَ السَّوادِ ، وكانَت امرأَتُهُ من أَجْملِ النِّساءِ ، فأَطالَتْ نَظَرَها في وَجْهه يوماً ، وقالت : الحمدُ للهِ ، فقالَ : مَا لَكِ ؟ فقالت : حَمِدْتُ اللهَ تعالى على أَنِّي وإِيَّاكَ في الجَنَّةِ . قال : كيفَ ؟ قالت : لأَنَّكَ رُزِقْتَ مِثْلِي فَشَكَرْتَ ، ورُزِقْتُ مِثْلَكَ فَصَبَرْتُ ؛ وَقَدْ وَعَدَ اللهُ عِبادَهُ الصَّابرينَ والشَّاكِرِينَ بالجَنَّةِ .

● وَذكر ابنُ الجوزيّ في « الأَذْكِيَاء »[2] وغيره ، أَنَّ عِمران بن حِطَّان هذا ، كان أَحَدَ الخَوارِجِ ، وهو القائلُ يمدحُ عبدَ الرَّحمنِ بن مُلْجَمٍ لَعَنَهُما الله ، على قتلِ عليّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[3] : [من البسيط]

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرادَ بهَا ... إِلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوانَا
إِنِّي لأَذْكُرُهُ يَوْماً فأَحْسَبُهُ ... أَوْفَى البَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيْزَانَا
أَكْرِمْ بِقَوْمٍ بُطُونُ الأَرْضِ أَقْبُرُهُمْ ... لَمْ يَخْلِطُوا دِيْنَهُمْ بَغْياً وَعُدْوانَا[4]

فَبَلَغَتِ القاضي أَبَا الطَّيِّب الطَّبَري هذه الأَبيات ؛ فقال مُجيباً له[5] : [من البسيط]

---

(١) الكشاف ١/ ٥٦٨ والتذكرة الحمدونية ٩/ ٤٠٤ ونثر الدر ٥/ ٢٢٨ والعقد الفريد ٦/ ١٠٩ وجمع الجواهر ١٩٨ وأَخبار الأَذكياء ٢٢١ ومحاضرات الراغب ٢/ ٢١٥ وتحفة العروس ١٤٨ وأَخبار الظراف ٩٦ والمستطرف ٣/ ١٩٩ .

(٢) أَخبار الأَذكياء ٢٢١ .

(٣) شعر الخوارج ٢٦ ومقتل أَمير المؤمنين ٧٨ .

(٤) كذا في الأُصول وأَخبار الأَذكياء ، وروايته في شعر الخوارج : . . . بطونُ الطَّير . . .

(٥) أَخباء الأَذكياء وطبقات الشافعية للسبكي ١/ ٢٨٩ والخزانة ٥/ ٣٥٣ وكامل المبرد ٣/ ١٠٨٥ .

إِنِّــي لأَبْــرَأُ مِمَّــا أَنْــتَ قــائِلُــهُ   فــي إِبْــنِ مُلْجَــمٍ المَلْعُــونِ بُهْتــانــا
إِنِّــي لأَذْكُــرُهُ يَــوْمــاً فــأَلْعَنُــهُ   دِيْنــاً وأَلْعَــنُ عِمْـرانَ بْـنَ حِطَّـانـا
عَلَيْـكَ ثـمَّ عَلَيْـهِ الـدَّهْـرَ مُتَّصِـلاً   لَعــائِـنُ اللهِ إِسْــراراً وإِعْــلانــا
فَـأَنْتُـمُ مِـنْ كِـلابِ النَّـارِ جـاءَ لَنـا   نَـصُّ الشَّـرِيعَـةِ بُـرْهـانـاً وتِبْيـانـا

أَشارَ أَبو الطَّيِّب إِلى قوله ﷺ[1] : « الخَوارِجُ كِلابُ النَّارِ » .

● وما[2] أَحْسَنَ قَوْلَ سُحَيْم عبد بَني الحَسْحَاس : [من البسيط]

إِنْ كُنْـتُ عَبْـداً فَنفْسِـي حُـرَّةٌ كَـرَمـاً   أَوْ أَسْـوَدَ اللَّـوْنِ إِنِّـي أَبْيَـضُ الخُلُـقِ

● عَجِيبةٌ : رأَيْتُ في « ذَيْلِ تاريخ بَغْداد لابن النَّجَّارِ » في تَرجمةِ عليّ بن نَصر الفقيه بن أَحمد المالكيّ ، والد القاضي عبد الوهَّاب ، وكان ثِقَةً عَدْلاً ، قال[3] : زَوَّجْتُ أَيَّامَ عَضُدِ الدَّولة بن بُوَيْه ، بعضَ غِلمانِهِ الأَتراك صَبِيَّةً في جِوارِنا ، وكانَ لَها ولوالِدَتِها أُنْسٌ بدارِنا ، وكانت من الموصوفاتِ بالسِّتْرَ والعَفافِ ، ومَضى على ذلك سنتان ، فحضَر إِليَّ الغُلامُ التُّركيُّ ، وقال : يا سيِّدي؛ ، هذه المرأَةُ التي زَوَّجْتَنِي بها ، قَدْ وَلَدَتْ مِنِّي ابْناً ، ولا أَشْكُو شَيْئاً من أَمْرِها ولا أُنْكِرُهُ ، غيرَ أَنَّها مَا أَرَتْنِي وَلَدِي مُنْذُ وَلَدَتْهُ ، وكلَّما طَالبْتُها بِهِ دافَعَتني عنه ؛ وأُريد أَنْ تَستدعيَها وتسأَلَها عن ذلك .

قال : فاسْتدعيتُ والِدتَها ، فَحَضَرَت ، وخاطَبْتُها من وراءِ السِّتْرِ على مَا قَالَهُ زَوْجُ ابْنَتِها ، فأَسَرَّتْ إِليَّ ، وقالَت : يا سَيِّدِي ، صَدَقَ فيما حَكَاهُ ؛ وإِنَّما دافَعناهُ عن هذا ، لأَنَّا قد بُلينا ببَلِيَّةٍ قَبيحةٍ ، وذلكَ أَنَّ زَوجتَهُ وَلَدَتْ منهُ

---

(١) ابن ماجه (١٧٣) وأَخبار الأَذكياء ٢٢٢ . وانظر الحيوان ١/ ٢٧١ وتعبير الرُّؤيا ٦٧ والمجالسة ٢/ ١٣٩ وثمار القلوب ١/ ٥٨٧ .
(٢) الخبر من ب فقط . والبيت في ديوان سحيم ٥٥ .
(٣) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٤/ ٢٣٨ .

وَلَداً أَبْلَقَ ، من رَأْسِهِ إلى سُرَّتِهِ أبيضُ ، وبَقيَّةُ بَدَنِه أَسْوَدُ .

قال : فسمعَ التُّركيُّ قولَها : أَبلق ، فَصاحَ : ابني ، ابني ، وهكذا كان جَدِّي بِبِلادِ التُّرْكِ ، وقد رَضيتُ ؛ فَفَرِحَتِ المرأَةُ بقَوْلِهِ ، وانْصَرفَتْ وَأَظْهَرَتْ لَهَ الوَلَدَ .

● وافتتح ابنُ بُختيشوع ـ ومعناه عبد المسيح ـ كتابه في « الحيوان » بالإنسان ، وقال : إنَّهُ أَعْدَلُ الحيوانِ مِزاجاً ، وأَكْمَلُهُ فِعالاً ، وأَلطَفُهُ حِسَّاً ، وأَنْفَذُهُ رَأْياً ؛ فهو كالمَلِكِ المُسَلَّطِ القاهِرِ لِسائِرِ الخَلِيْقَةِ ، والآمِرِ لها ؛ وذلك بِمَا وَهَبَهُ الله تعالى له من العقلِ الذي به يَتَمَيَّزُ على كلِّ الحيوانِ البَهيميِّ ؛ فهو بالحقيقةِ مَلِكُ العالَم ، ولذلكَ سَمَّاهُ قومٌ من الأَقدمين[1] : العالَمَ الأَصْغَرَ .

● **فائدة** : نَقَلَ الشَّيْخُ شِهابُ الدِّين أَحمد البُونيّ رحمه الله ، في كتابه المُسَمَّى « بِسِرِّ الأَسرارِ » ، عن عبد الله بن عُمر رَضِيَ الله تعالَى عنهما ، أَنَّهُ قال : مَنْ كانَتْ له حاجَةٌ ، فَلْيَصُمِ الأَرْبعاءَ ، والخَميسَ والجُمعةَ ، فإذا كان يومُ الجمعةِ ، تَطَهَّرَ وراحَ إلى الجُمعةِ ، وقال : اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ باسْمِكَ بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، الذي لا إِلهَ إِلاَّ هوَ ، عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ ، هو الرَّحمن الرَّحيم ؛ وأَسْأَلُكَ باسمك بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم ، الذي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّومُ ، لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ ، الذي مَلأَتْ عَظَمَتُهُ السَّماواتِ والأَرْضَ ، وأَسْأَلُكَ باسْمِكَ بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، الذي لا إِلهَ إِلا هُوَ ، عَنَتْ لَهُ الوُجوهُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الأَبْصَارُ ، وَوَجِلَتِ القُلُوبُ مِنْ خَشْيَتِه ، أَنْ تُصَلِّيَ على مُحمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ ، وأَنْ تُعطيني مَسْأَلَتِي ، وتَقضيَ حاجَتي ـ وتُسَمِّيها ـ بِرَحمَتِكَ يا أَرحمَ الرَّاحمينَ . وهو سِرٌّ لَطيفٌ مُجَرَّبٌ .

● وقال : مَنْ كَتَبَ « محمَّد رسولُ الله ، أَحمد رسولُ الله » خَمساً وثلاثينَ

---

(١) هو الجاحظ في الحيوان ١/ ٢١٢ ـ ٢١٤ .

مَرَّةً يَوْمَ الجُمعةِ ، بعدَ صلاةِ الجُمعة ، على طَهارَةٍ كاملةٍ ، وَحَمَلَها معه ؛ رَزَقَهُ الله تعالى القُوَّةَ على الطَّاعَةِ ، ومَعونةً على البَرَكَةِ ، وكَفاهُ هَمَزاتِ الشَّياطِين ؛ وإنْ هو اسْتَدَامَ النَّظَرَ إلى تِلْكَ البطاقَةِ كلَّ يَوْمٍ عندَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وهو يُصَلِّي على محمَّدٍ ﷺ ، كَثُرَتْ رُؤْيَتُهُ للنَّبيِّ ﷺ . وهو سِرٌّ لَطيفٌ مُجَرَّبٌ .

● وروى الإمام أَحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : أَنَّهُ رأَى رَبَّ العِزَّةِ في المنامِ ، تِسْعاً وتِسْعِينَ مَرَّةً ، فقال : إنْ رَأَيْتُهُ تَمامَ المِئَةِ لأَسْأَلَنَّهُ ؛ فرآهُ تَمامَ المِئة ، فسأَلَهُ وقال : يا ربِّ ، بماذا يَنْجُو العبادُ يومَ القيامة ؟ فقال : مَنْ قَالَ كلَّ يومٍ ، بُكْرَةً وَعَشِيّاً ثَلاثَ مرَّاتٍ : سُبْحانَ الأَبَدِيِّ الأَبَدِ ، سُبْحَانَ الواحِدِ الأَحَدِ ، سُبحانَ الفَرْدِ الصَّمَدِ ، سُبْحانَ مَنْ رَفَعَ السَّماءَ بغيرِ عَمَدٍ ، سُبْحَانَ من بَسَطَ الأَرْضَ على ماءٍ جَمَدَ ، سُبحانَهُ لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً ، سُبْحانَهُ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ .

● وقال الإمامُ أَحمد رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : مَنْ قال كلَّ يومٍ بين صلاةِ الفجرِ والصُّبْحِ أَربعينَ مَرَّةً : يا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا بَدِيعَ السَّماواتِ والأَرْضِ ، يَا ذَا الجَلالِ والإكرامِ ، يَا أَللهُ لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُحْيِيَ قَلْبِي بِنُورِ مَعْرِفَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحمين ؛ أَحْيَا الله قلبَهُ يومَ تَموتُ القُلُوبُ .

● **فائدةٌ أُخرى** : في كِتابِ « البُسْتان » عن ابن عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّهُ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْفَظَ اللهُ عليهِ الإيمانَ ، حتَّى يَلقاهُ يومَ القِيامَةِ ، فَلْيُصَلِّ كُلَّ ليلةٍ بعدَ سُنَّةِ المَغربِ ، قبلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، رَكعتين ؛ يَقرأُ في كلِّ رَكعةٍ فاتحةَ الكِتابِ مَرَّةً ، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق : ١] مَرَّةً ، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس : ١] مَرَّةً ، ويُسَلِّمْ منهما ؛ فإنَّ الله تعالى يَحفَظُ عَلَيْهِ الإيْمَانَ ، حتَّى يُوافِي رَبَّهُ يومَ القِيامةِ » .

قال الرَّاوي : وهذه فائدةٌ عَظيمةٌ غَنيمةٌ .

وَذَكَرَ النَّسَفيّ هذا الحديثَ بِسَنَدٍ طَوِيلٍ ، وزادَ فِيه ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] قبلَ الإِخلاص ، ويُسَبِّحُ خمسَ عَشْرَةَ مَرَّةً بعد السَّلاَمِ ، ويَقُولُ عَقِبَ التَّسْبِيحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ العالِمُ مَا أَرَدْتُ بِهاتَين الرَّكعتين ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُما لي ذُخْراً يومَ لِقائِكَ ، اللَّهُمَّ احْفَظْ بِهِما دِيْنِي في حَياتِي وعندَ مَماتِي وبعدَ وَفاتِي ؛ أَمَّنَهُ الله سَلْبَ الإيمانِ ؛ وهذه فائدةٌ عَظِيمةٌ من أَعْظَمِ المَهَمَّاتِ .

● وسُئِلَ بعضُ الحُكماءِ وذَوِي الفَصاحَةِ من العُلَماءِ : أَيُّ الخِصالِ من الإِنْسَانِ خيرٌ ؟ قال : الدِّين . قال : فإِذا كانت ثِنْتَيْن ؟ قال : الدِّينُ والمالُ . قال : فإِذا كانت ثلاثاً ؟ قال : الدِّينُ والمالُ والحياءُ . قال : فإِذا كانَتْ أَربعاً ؟ قال : الدِّينُ والمالُ والحياءُ وحُسْنُ الخُلُقِ . قال : فإِذا كانَتْ خَمْساً ؟ قال : الدِّينُ والمَالُ والحَياءُ وحُسْنُ الخُلُقِ والسَّخَاءُ ؛ فَمَنِ اجْتَمَعَ فِيه هَذِهِ الخِصالُ الخَمْسُ ، فهو تَقِيٌّ نَقِيٌّ للهِ وَلِيٌّ ، ومن الشَّيْطانِ بَرِيءٌ .

● وقال : المؤمنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ ، لا لَعَّانٌ وَلاَ نَمَّامٌ ولا مُغْتابٌ ولا قَتَّاتٌ[1] ، ولا حَسودٌ ولا حَقُودٌ ولا بَخِيلٌ ولا مُختالٌ ، يَطلبُ[2] من الخَيراتِ أَعْلاها ، ومن الأَخْلاقِ أَسْنَاها ؛ إِنْ سُلِكَ مع أَهْلِ الآخِرَةِ كان أَوْرَعَهُمْ ، غَضيضُ الطَّرْفِ؛ سَخِيُّ الكَفِّ ، لا يَرُدُّ سائِلاً ، ولا يَبْخَلُ بنائِلٍ ، مُتواصِلُ الأَحْزَانِ ، مُترادِفُ الإِحْسَانِ ، يَزِنُ كلامَهُ ويَحرسُ لِسانَهُ ، ويُحْسِنُ عَمَلَهُ ، ويُكْثِرُ في الحَقِّ أَمَلَهُ ، مُتَأَسِّفٌ على مَا فَاتَهُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقاتِهِ ، كَأَنَّهُ ناظِرٌ إِلى رَبِّهِ ، مُراقِبٌ لِما خُلِقَ لَهُ ، لا يَرُدُّ الحَقَّ على عَدُوِّهِ ، ولا يُبْطِلُ الباطِلَ من صَديقِهِ ، كَثيرُ المَعُونَةِ ، قَلِيلُ المَؤُونَةِ ، يَعطفُ على أَخيهِ عند عُسْرَتِهِ لِما مَضَى من قَدِيمِ صُحْبَتِهِ ؛ فَهَذِهِ صِفاتُ المؤمنين الخالِصين المُوحِّدين لِرَبِّ العالَمين .

---

(١) القتَّات : النَّمَّام .

(٢) في ط : ولا يطلب ! . والنص ساقط من أ ، ب .

● وَكانَ رَجلٌ من عِبادِ اللهِ الصَّالِحينَ المُوَحِّدين ، يَصْحَبُ إبراهيم بن أَدهم رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فقال له : عَلِّمْنِي اسمَ اللهِ الأَعظم الذي إذا دُعِيَ به أَجَابَ ، وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ؛ فقالَ : قُلْ هذه الكَلِمَاتِ صَباحاً ومَساءً ، فإِنَّهُ مَا دَعَا بهنَّ خائِفٌ إلاَّ أَمِنَ ، ولا سائِلٌ إلاَّ أَعطاهُ اللهُ مَسْأَلَتَهُ ؛ وهي هذه الكلماتِ : يَا مَنْ لَهُ وَجْهٌ لا يَبْلَى ، ونُورٌ لا يَطْفى ، واسْمٌ لا يُنْسَى ، وبابٌ لا يُغْلَقُ ، وسِتْرٌ لا يُهْتَكُ؛ ومُلْكٌ لا يَفْنَى ؛ أَسْأَلُكَ وأَتَوَسَّلُ إِليكَ بِجاهِ محمَّدٍ ﷺ أَنْ تقضيَ حاجَتِي وتُعْطِيني مَسْأَلَتِي .

● وقال بعضُ العُلماء : اسمُ اللهِ الأَعْظَمُ ، الذي إذا دُعِيَ به أَجابَ ، وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ، هو : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الأَحَدُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ ، الحنَّانُ المنَّانُ ، بَدِيعُ السَّماواتِ والأَرضِ ، يا ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يا قَيُّومُ .

● وسُئِلَ الإِمامُ النَّوويُّ رحمه اللهُ تَعالى ، عن اسم اللهِ الأَعْظَمِ ، مَا هو ؟ وفي أَيِّ سُورةٍ هو ؟ فأَجَابَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : فيهِ أَحاديثُ كثيرةٌ ؛ ففي « سُنَنِ ابنِ ماجَه » وغيرِه : عن أَبي أُمامة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، عن النَّبيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ[1] : « في ثلاثِ سُوَرٍ : في البَقرةِ وآلِ عِمرانَ وطَه » .

● قال بعضُ الأَئِمَّةِ المتقدِّمين : هو ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ لأَنَّهُ في البَقرةِ : آيَةُ الكُرسيّ ، وفي أَوَّلِ آلِ عِمران ، وفي طه في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه : ١١١] وهذا اسْتِنْباطٌ حَسَنٌ ؛ والله تعالى أَعلم .

● وقد ثبتَ في « صحيح مُسلم » رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2] ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ

---

(١) ابن ماجه (٣٨٥٦) . وينظر أَبو داود (١٤٩٦) والترمذي (٣٤٧٨) وابن ماجه (٣٨٥٥) ومسند أَحمد ٦/ ٤٦١ .

(٢) مسلم (٢٧٣٥) وأَبو داود (١٤٨٤) والترمذي (٣٣٨٧) وابن ماجه (٣٨٥٣) .

الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « لا يَزالُ يُسْتَجَابُ للعبدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإِثْمٍ أَوْ قَطِيْعَةِ رَحِمٍ ، مَا لَمْ يَستعجلْ . قيل : يَا رَسُولَ الله ، ما الاسْتِعْجَالُ ؟ قال : يَقولُ : قَدْ دَعَوْتُ فلم يُسْتَجَبْ لِي ؛ فَيَسْتَحْسِرُ عند ذلكَ ، ويَدَعُ الدُّعاءَ » .

● **فائدةٌ** : فيمن يُستجابُ دُعاؤُهم قَطْعاً:المُضْطَرُّ ، والمَظلُومُ مُطْلَقاً ، ولو كان فاجِراً أَوْ كافِراً ، أَوْ الوالدُ على وَلَدِهِ ، والإمامُ العادِلُ ، والرَّجُلُ الصَّالِحُ ، والوَلَدُ البارُّ بوالِدَيْه ، والمُسافرُ حتَّى يَرجعَ ، والصَّائِمُ حتَّى يُفطرَ ، والمُسلمُ للمُسلمِ مَا لَمْ يَدْعُ بِظُلْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، أَوْ يَقُلْ : دَعَوْتُ فَلَمْ أُجَبْ .

● ومن الفَوائد المُجَرَّبَةِ ، العَظِيمَةِ البَرَكَةِ الكَثِيرَةِ الخَيْرِ لِقضاءِ الحوائِجِ ، وتَفْرِيجِ الهَمِّ والغَمِّ ، وهيَ من الأَسرارِ المَخْزُونَةِ المَكْنُونَةِ كما قَالَهُ شيخُنا اليافعيّ : أَنْ تقرأَ بعد صلاةِ العِشاءِ ، على طَهارَةٍ كامِلةٍ ، في جَلسةٍ واحدةٍ ، اسمَهُ تَعالى « لطيف » ستّ عشرةَ أَلْفَ مَرَّةً ، وسِتِّمئة مَرَّةٍ ، وإِحدى وأَربعينَ مَرَّةً ؛ والحَذَرَ ثمَّ الحَذَرَ من الزِّيَادَةِ والنَّقْصِ ، فإِنَّهُ يُبْطِلُ السِّرَّ .

والحِيلةُ في مَعرفَةِ ضَبْطِ ذلك ، أَنْ تأخُذَ سُبْحَةً عِدَّتُها ١٢٩ فتقرأ الاسمَ عليها ١٢٩ فيحصلُ المقصودُ ، وهذهِ أَقربُ الطُّرُقِ المُستَقِيمَةِ لِمَعْرِفَتِها ، فإِنَّ عِدَّةَ حُروفِهِ أَربعةٌ وهي « ل ط ي ف » جُملتُها ١٢٩[1] ، تَضرِبُها في مِثْلِها فَتكونُ جُمْلَتُها سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفاً وسِتّمئة وإِحدى وأَربعين ، وتُسَمِّي حاجَتَكَ ، فإِنَّها تُقْضَى إِنْ شاءَ اللهُ تعالى لا مَحالَةَ ؛ وفي كلِّ مئةٍ وتسع وعشرين مَرَّةً تقولُ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وهذه للدُّعاءِ على الظَّالمِ .

ومنها لِجَلْبِ الخَيْرِ والرِّزْقِ والبَرَكَةِ ، تَقولُ عَقِبَ كُلِّ صَلاةٍ مئةً ، ثمَّ تَقُولُ : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الشُّورى : ١٩] .

---

(١) أَي في حساب الجُمَّل ؛ فاللَّام ثلاثون ، والطَّاء تسعة ، والياء عشرة ، والفاء ثمانون .

ومنها لِدَفْعِ كَيْدِ الظَّلَمَةِ ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

وَالدُّعاءُ بعدَ تَمامِ قِراءَةِ الاسْمِ المُبارَكِ : اللَّهُمَّ وَسِّعْ عَلَيَّ رِزْقِي ، اللَّهُمَّ عَطِّفْ عَلَيَّ خَلْقَكَ ، اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ ، فَصُنْهُ عن ذُلِّ السُّؤَالِ لِغَيْرِكَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمين .

● قال سَيِّدُنا الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيّ رحمهُ الله تعالى[1] : كُنْ مُتَمَسِّكاً بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ ، تَفُزْ بِسَعادَةِ الدَّارَيْنِ : لا تَتَّخِذْ مِنَ الكافِرِينَ وَلِيّاً ، ولا مِنَ المُؤْمِنِينَ عَدُوّاً ، وارْتَحِلْ بِزَادِكَ مِنْ التَّقْوَى في الدُّنْيَا ، وعُدَّ نَفْسَكَ من الموتى ، واشْهَدْ للهِ بالوَحْدَانِيَّةِ ولِرسُولِهِ بالرِّسَالَةِ ، وحَسْبُكَ عملٌ صالِحٌ وإِنْ قَلَّ ، وَقُلْ : آمنْتُ ﴿ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ و﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

فَمَنْ كان مُتَمَسِّكاً بِهَذِهِ الصِّفاتِ الحَمِيدَةِ ، ضَمِنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ له أَربعةً في الدُّنْيَا : الصِّدْقَ في القَوْلِ ، والإِخْلاصَ في العَمَلِ ، والرِّزْقَ كالمَطَرِ ، والوقايَةَ من الشَّرِّ ؛ وأَربعةً في الآخرةِ : المغفرةَ العُظْمَى ، والقُرْبَةَ الزُّلْفَى ، وَدُخُولَ جَنَّةِ المَأْوَى ، واللُّحُوقَ بالدَّرَجَةِ العُلْيَا .

وإِنْ أَرَدْتَ الصِّدْقَ في القَوْلِ ، فداوِمْ على قِراءَةِ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] .

وإِنْ أَردتَ الرِّزْقَ كَالمَطَرِ : فداوِمْ على قَراءَةِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق : ١] .

---

(١) طبقات الشَّاذليَّة الكبرى ٥٧ ـ ٦٤ نقلاً عن الدَّميري .
والشَّاذليّ : هو أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن عبد الجبَّار ، المغربيّ الزّاهد ، نزيل الإسكندريّة ، وشيخ الطَّائفة الشَّاذليّة ؛ كان ضريراً ؛ توفِّي بصحراء عيذاب قاصداً الحجّ سنة ٦٥٦ هـ .
(الوافي بالوفيات ٢١/ ٢١٤ وطبقات الأولياء ٥٨ وطبقات الشاذلية ٢٧) .

وإنْ أَردتَ السَّلامَةَ من شَرِّ النَّاسِ : فَداوِمْ على قِراءَةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس : ١] .

وإِنْ أَرَدْتَ جَلْبَ الخَيْرِ والرِّزْقِ والبَرَكَةِ : فَداوِمْ على قِراءَةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة : ١] المَلِكُ الحَقُّ المُبينُ ، هو نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ؛ وقراءَةِ سُورة الواقِعَة ، وسُورة يس ؛ فإِنَّهُ يَأْتِيْك الرِّزْقُ كالمَطَرِ .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَجْعَلَ الله لَكَ من كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ، ومِنْ كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجاً ، ويَرزقَكَ من حيثُ لا تَحْتَسِبُ : فالْزَمِ الاستِغْفَارَ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تُؤَمَّنَ مِمَّا يَروعُكَ ويُفْزِعُكَ : فَقُلْ[1] : « أَعوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ من غَضَبِهِ وعِقابِهِ ، ومن شَرِّ عِبادِهِ ، ومن هَمَزاتِ الشَّياطِينِ وأَنْ يَحْضُرُونِ » .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعرفَ أَيّ وقتٍ تُفْتَحُ فِيهِ أَبوابُ السَّماءِ ، ويُستجابُ الدُّعاءُ : فاشهدْ وَقْتَ نِداءِ المُنادِي ، فأَجِبْهُ ؛ ففي الحديث[2] : « مَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ ، فَلْيُجِبِ المُنادِي » . والمُنادِي : هو المُؤَذِّنُ .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْلَمَ من أَمْرٍ يَكْرُبُكَ ، فَقُلْ : تَوَكَّلْتُ على الحَيِّ الذي لا يَمُوتُ أَبداً ، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء : ١١١] .

ففي الحديثِ[3] : « مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلاَّ تَمَثَّلَ لِي جِبريلُ ، فقال :

---

(١) أَبو داود (٣٨٩٣) والترمذي (٣٥٢٨) والنَّسائي في عمل اليوم واللَّيلة (٧٦٥) وابن السّنّيّ في عمل اليوم والليلة (٧٥٠) وأَحمد في المسند ٢/ ١٨١ .

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السّنّيّ (٩٨) .

(٣) الفرج بعد الشِّدَّة لابن أَبي الدنيا ٩٣ والجامع الصغير للسيوطي (٧٩٧١) .

يا مُحمَّد، قُلْ: تَوَكَّلْتُ على الحَيِّ الذي لا يَمُوتُ أَبَداً ، وقُلْ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]»

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تنجوَ من هَمٍّ أَو غَمٍّ أَو خَوفٍ يُصيبُكَ ، فقُلْ[١] : « اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وابنُ عَبْدِكَ وابْنُ أَمَتِكَ ، ناصِيَتي بِيَدِكَ ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فيَّ قَضاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتابكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عندكَ ، أَنْ تَجعلَ القُرآنَ ربيعَ قَلْبِي ، ونُورَ صَدْرِي ، وجَلاءَ حُزْنِي ، وذَهابَ هَمِّي وغَمِّي ؛ فيذهبُ عنكَ هَمُّكَ وغَمُّكَ وحُزْنُكَ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ يُدَاوِيَكَ الله من تِسعةٍ وتِسعينَ داءً أَيْسَرُها الهَمُّ ، فقُلْ مَا وَرَدَ في الحديث[٢] : «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلا باللهِ العليِّ العظيم» فإِنَّها دواءٌ مِمَّا ذُكِرَ .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُؤْجَرَ بِمَا يُصِيبُكَ من مُصِيبَةٍ ، فقلْ[٣] : « إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ؛ اللَّهُمَّ ، عندَكَ احتَسَبْتُ مُصِيبَتِي ، فَأْجِرْني فيها ، وأَبْدِلْنِي خَيْراً منها » . ومنه : « حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلُ ، تَوَكَّلْنا على اللهِ ، وعلى الله تَوَكَّلْنا » .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَذْهَبَ هَمُّكَ ، ويُقضى دَيْنُكَ ، فَقُلْ : [ما ورد عَنه ﷺ حين سأَله السَّائلُ ، فقال : « أَلا أُعَلِّمُكَ كلاماً ، إِذا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ ، وقَضَى دَيْنَكَ ؟ » قال : بلى يا رسولَ الله ، قال[٤] : « قُلْ] : إِذا أَصْبَحْتَ وإِذا

---

(١) ابن السّنّيّ (٣٣٩) و(٣٤٠) وأَحمد في المسند ١/ ٣٩١ و٤٥٢ .

(٢) ابن السّنّيّ (٣٣٦) .

(٣) الترمذي (٣٥١١) وابن ماجه (١٥٩٨) والنّسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٧٠ و١٠٧٢) وابن السّنّي (٥٨٠) .

(٤) البخاري ٧/ ١٦٠ ـ ١٦١ (كتاب الدعوات) وأَبو داود (١٥٤٠) والترمذي (٣٤٨٤) والنّسائيّ (٥٤٤٧ ـ ٥٤٥٢) و(٥٤٩٥ ـ ٥٤٩٧) و(٥٥٠٣)، والزّيادة من نقل طبقات الشّاذليّة .

أَمْسَيْتَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ من الهَمِّ والحَزَنِ ، وأَعوذُ بكَ من العَجْزِ والكَسَلِ ، وأَعُوذُ بِكَ من الجُبْنِ والبُخْلِ ، وأَعُوذُ بِكَ من غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرِّجَالِ » .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تُوَفَّقَ للخُشُوعِ ، فاتْرُكْ فُضُولَ النَّظَرِ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تُوَفَّقَ للحِكْمَةِ ، فاتْرُكْ فُضُولَ الكَلامِ .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُوَفَّقَ لِحَلاَوَةِ العِبادَةِ ، فاتْرُكْ فُضُولَ الطَّعامِ ، وعَلَيْكَ بالصَّوْمِ ، وقِيامِ اللَّيلِ ، والتَّهَجُّدِ فيهِ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تُوَفَّقَ للهَيْبَةِ ، فاتْرُكِ المَزْحَ والضَّحِكَ ، فإِنَّهُما يُسْقِطَانِ الهَيْبَةَ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تُوَفَّقَ للمَحَبَّةِ ، فاتْرُكْ فُضُولَ الرَّغْبَةِ في الدُّنيا .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُوَفَّقَ لإِصلاحِ عَيْبِ نَفْسِكَ ، فاتْرُكِ التَّجَسُّسَ عن عُيُوبِ النَّاسِ ، فإِنَّ التَّجسُّس من شُعَبِ النِّفاقِ ؛ كما أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ من شُعَبِ الإِيمانِ .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُوَفَّقَ لِلْخَشْيَةِ ، فاتركِ التَّوهُّمَ في كيفيَّةِ ذاتِ الله تعالى ، تَسْلَمْ من الشَّكِّ والنِّفاقِ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تُوَفَّقَ للسَّلامَةِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، فاتْرُكِ الظَّنَّ السَّيِّىءَ بِكُلِّ النَّاسِ .

وإِن أَردتَ العُزْلَةَ ، فاترُكِ الاعتقادَ في النَّاسِ ، وتوكَّلْ على الله .

وإِن أَردتَ أَن لا يَموتَ قلبُكَ ، فقلْ كلَّ يومٍ أَربعينَ مرَّةً : يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنت .

وإِنْ أَردتَ أَن تَرى النَّبيَّ ﷺ يومَ القيامةِ ، يومَ الحَسْرَةِ والنَّدامَةِ ، فأَكْثِرْ من

قراءةِ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير : ١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار : ١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق : ١] .

وإِنْ أَردتَ أَنْ يُنَوِّرَ وَجْهُكَ ، فَداوِمْ على قِيامِ اللَّيلِ .

وإِنْ أَردتَ السَّلامةَ من عَطَشِ يومِ القِيامَةِ ، فَلازِمِ الصَّوْمَ .

وإِنْ أَرَدتَ أَنْ تَسْلَمَ من عَذابِ القَبْرِ ، فاحْتَرِزْ من النَّجاساتِ ، واتْرُكْ أَكْلَ المُحَرَّماتِ ، وارفُضِ الشَّهواتِ .

وإِنْ أَردتَ أَن تكونَ غَنِيّاً فلازِمِ القَناعَةَ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تكونَ خَيْرَ النَّاسِ ، فَكُنْ نافِعاً للنَّاسِ .

وإِنْ أَردتَ أَن تكونَ أَعْبَدَ النَّاس ، فَكُنْ مُتَمَسِّكاً بقولِهِ ﷺ[١] : « مَنْ يأْخُذُ عَنِّي هَذِهِ الكَلِمَاتِ ، فيعمل بهنَّ ، أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يعملُ بهنَّ ؟ قال أَبُو هريرة : قلتُ : أَنا ، يا رسولَ الله ؛ فأَخَذَ بيَدِي ، وَعدَّ خَمْساً ؛ قال : اتَّقِ المحارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وأَحْسِنْ إِلى جارِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً ، وأَحِبَّ للنَّاسِ مَا تُحِبُّ لنفسِكَ تكنْ مُسْلماً ، ولا تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فإِنَّ كثرةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلْبَ » .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تَكُونَ من المُحْسِنينَ الخالِصينَ ، فاعبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ ، فإِن لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإِنَّهُ يَراكَ[٢] .

وإِنْ أَردتَ أَنْ يَكملَ إِيمانُكَ ، فَحَسِّنْ خُلُقَكَ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللهُ ، فَاقْضِ حَوائِجَ إِخوانِكَ المُسلِمين ؛ ففي الحديثِ[٣] : « إِذا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً ، صَيَّرَ حَوائِجَ النَّاسِ إِليه » .

---

(١) أَحمد في المسند ٢/ ٣١٠ والترمذي (٢٣٠٥) وابن ماجه (٤٢١٧) .

(٢) من حديث الإِحسان : البخاري ١/ ١٨ (كتاب الإِيمان) ومسلم (٩) وأَبو داود (٤٦٩٥) .

(٣) الجامع الصغير (٣٨٣) وعزاه للدَّيلمي في الفردوس .

وإنْ أردتَ أَن تكُونَ من المُطِيعينَ ، فَأَدِّ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ .

وإنْ أَردتَ أَنْ تَلْقَى اللهَ تعالى نَقِيّاً من الذُّنوبِ ، فاغْتَسِلْ من الجَنابَةِ ، ولازِمْ غُسْلَ الجُمْعَةِ ، تَلْقَ اللهَ تَعالَى يَوْمَ القِيامَةِ وَمَا عَليكَ ذَنْبٌ .

وإنْ أَردتَ أَنْ تُحْشَرَ يَوْمَ القيامَةِ في النُّورِ الهادِي ، وتَسلمَ من الظُّلُمَاتِ ؛ لا تَظلمْ أَحَداً من خَلْقِ اللهِ تَعالَى .

وإنْ أَردتَ أَنْ تَقِلَّ ذُنوبُكَ ، فالزَمْ دَوامَ الاستِغْفَارِ .

وإنْ أَردتَ أَن تكونَ أَقْوَى النَّاسِ ، فَتَوَكَّلْ على اللهِ .

وإنْ أَردتَ أَنْ يُوَسِّعَ اللهُ عليكَ الرِّزْقَ طُموماً كالمطرِ ، فلازِمِ الدَّوامَ على الطَّهارَةِ الكامِلَةِ .

وإنْ أَردتَ أَنْ تكونَ آمِناً من سَخَطِ اللهِ ، فلا تَغْضَبْ على أَحَدٍ من خَلْقِ اللهِ .

وإنْ أَردتَ أَنْ يُستَجابَ دُعاؤُكَ ، فاجتنبِ الحَرَامَ ، وَأَكْلَ الرِّبا ، وأَكْلَ السُّحْتِ .

وإنْ أَردتَ أَنْ لا يَفْضَحَكَ اللهُ على رُؤوسِ الخلائِقِ ، فاحفَظْ فَرْجَكَ ولِسانَكَ .

وإنْ أَردتَ أَنْ يسترَ اللهُ تَعالى عليكَ عَيْبَكَ ، فاسْتُرْ على عُيُوبِ النَّاسِ ؛ فإنَّ اللهَ تَعالى سَتَّارٌ ، ويُحِبُّ من عِبادِهِ السَّتَّارِينَ .

وإنْ أَردتَ أَنْ تُمْحَى خَطاياكَ ، فأَكْثِرْ من الاسْتِغْفَارِ والخُشُوعِ والخُضُوعِ ، والحسناتِ في الخَلَوَاتِ .

وإنْ أَردتَ الحسناتِ العِظامَ ، فَعَلَيْكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ ، والتَّواضُعِ ، والصَّبْرِ على البَلِيَّةِ .

وإِنْ أَرَدْتَ السَّلامَةَ من السَّيِّئَاتِ العِظامِ ، فاجتنبْ سُوءَ الخُلُقِ ، وَالشُّحَّ المُطاعَ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ يَسكنَ عنكَ غَضَبُ الجبَّارِ ، فعليكَ بإِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ ، وصِلَةِ الرَّحِمِ .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَقْضِيَ اللهُ عنكَ الدَّيْنَ ، فقُلْ مَا قالَهُ النَّبيُّ ﷺ لأَعرابيٍّ حينَ سَأَلَهُ ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام له[١] : « لَوْ كَانَ عليكَ مِثْلُ الجبالِ دَيْناً ، أَدَّاهُ اللهُ عنكَ ؛ قُلْ : اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عن حَرَامِكَ ، وأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ » .

وفي الحديث[٢] : « لو كانَ على أَحدكُمْ جَبَلٌ من ذَهَبٍ دَيْناً ، فَدَعا بذَلِكَ لَقَضاهُ الله عنهُ ، وهو : اللَّهُمَّ فارِجَ الكَرْبِ ، اللَّهُمَّ كاشِفَ الهَمِّ ، اللَّهُمَّ مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضْطَرِّينَ ؛ رَحمنَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ورَحيمَها ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْحَمَنِي ، فارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بها عَمَّنْ سِواكَ » .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تَنْجُوَ إِذا وقعتَ في هَلْكَةٍ ، فالْزَمِ مَا فِي الحديث[٣] : « إِذا وَقَعْتَ في وَرْطَةٍ ، فَقُلْ : « بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ » فإِنَّ اللهَ تَعالَى يَصرفُ عَنْكَ مَا شَاءَ من أَنواعِ البَلاءِ » .

والوَرْطَةُ : بفَتْحِ الواو وإِسْكَانِ الرَّاءِ : الهَلاكُ .

وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمَنَ من قَوْمٍ خِفْتَ شَرَّهُم ، فَقُلْ مَا وردَ في الحديث[٤] : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَجعلُكَ في نُحورِهم ، ونَعوذُ بِكَ من شُرورِهم » .

---

(١) عبد الله بن أَحمد بن حنبل في المسند ١/ ١٥٣ والترمذي (٣٥٦٣) .

(٢) الحاكم في المستدرك ١/ ٥١٥ وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ١٣٧ .

(٣) ابن السِّنِّيّ (٣٣٦) وقد مضى .

(٤) أَبو داود (١٥٣٧) وابن السّنّيّ (٣٣٣) وأَحمد في المسند ٤/ ٤١٤ و٤١٥ .

ومنه[1] : « اللَّهُمَّ اكفِناهُم بِما شِئْتَ ، [وكيف شِئْتَ] ، إنَّكَ على كلِّ شَيءٍ قَديرٌ » .

وإنْ أَردتَ أَنْ تَأْمَنَ إنْ خِفْتَ من سُلْطانٍ ، فقُلْ مَا وَرَدَ في الحديثِ[2] : « لا إلهَ إلاَّ اللهُ الحليمُ الكَريمُ ، رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ ، ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ ، عَزَّ جارُكَ ، وجَلَّ ثَناؤُكَ ، لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ » .

ويُسْتَحَبُّ أَنْ تقولَ مَا تَقَدَّمَ : « اللَّهُمَّ إنَّا نَجْعلُكَ في نُحورِهم » إلى آخِرِهِ .

وفي الحديث[3] : « إذا أَتَيْتَ سُلْطاناً مُهاباً ، تَخافُ أَنْ يَسطوَ عليكَ ، فقلْ : اللهُ أَكبرُ ، اللهُ أكبرُ ، اللهُ أَعَزُّ من خَلْقِهِ جَميعاً ، الله أَعَزُّ مِمَّا أَخافُ وأَحْذَرُ ، والحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ » .

وإنْ أَردتَ ثَباتَ القَلْبِ على الدِّينِ ، فقد أُسْنِدَ مَرفوعاً ، أَنَّهُ كانَ من دُعائِهِ ﷺ[4] : « اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبي على دِيْنِكَ » .

وفي روايةٍ : « يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ، ثَبِّتْ قُلوبَنا على دِيْنِكَ » .

● **فائدةٌ مُجَرَّبَةٌ** : مَنْ دَخلَ على سُلطانٍ يخافُ شَرَّهُ ، فلْيقرَأْ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النَّحل : ٩٩] ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤] .

---

(١) لم أَقف على الحديث ، والزِّيادة من نقل طبقات الشاذلية .

(٢) أَحمد في المسند ١/ ٩٤ وابن السّنّيّ (٣٤١) والنّسائي في عمل اليوم والليلة (٦٢٧ ـ ٦٦٤) .

(٣) كنز العمال (٥٠٠٦) وانظر ابن السِّنّيّ (٣٤٥ ـ ٣٤٦) .

(٤) الترمذي (٢١٤٠) و(٣٥٢٢) و(٣٥٨٧) وابن ماجه (١٩٩) .

وإنْ أَردتَ كثرةَ الخيرِ والرِّزْقِ ، فداوِمْ على قِراءَةِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ وسورة ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ .

وإنْ أَردتَ السِّتْرَ معَ النَّاسِ فداوِمْ على قولِ : اللَّهُمَّ استُرْنِي بسترِكَ الجَميلِ الذي سَتَرْتَ به نفسَكَ ، فلا عَيْنٌ تَراكَ .

وإنْ أَردتَ عَدَمَ الجوعِ والعطشِ ، فداوِمْ على قِراءةِ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ [قريش : ١ ـ ٢] وقد جُرِّبَ ذلك مِراراً وصحَّ .

وإنْ خِفْتَ على تِجارتِكَ أَوْ مالِكَ ، فاكتُبْ سورة ﴿ الشُّعراءِ ﴾ وَعَلِّقْهَا في مَوْضِعِ تِجارَتِكَ ، يكثرْ فيهِ البيعُ والشِّراءُ .

ومَنْ كَتَبَ سُورة ﴿ٱلْقَصَصُ﴾ وعَلَّقَها على مَنْ يَخافُ عَلَيْهِ التَّلَفَ ، فإنَّها أَمانٌ لَهُ من ذَلِكَ ؛ وهو سِرٌّ لَطِيفٌ مُجَرَّبٌ .

● **فائدةٌ** : عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال[1] : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ ، يقولُ : « مَنْ قَرَأَ آيةَ الكُرْسيِّ دُبُرَ كلِّ صَلاةٍ مَكتُوبَةٍ ، لَمْ يَتَوَلَّ قَبْضَ رُوحِهِ إِلاَّ اللهُ تَعالى » .

وعن أَبي نُعيمٍ ، قال[2] : سمعتُ مَعروفاً الكَرْخِيَّ يقولُ : لمَّا اجتمعَتِ اليَهُودُ على قَتْلِ عيسى عليهِ السَّلام ، أَهْبطَ الله تعالى جبريلَ عليهِ السَّلام مَكتوباً في باطِنِ جَناحِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ باسمِكَ الأَحَدِ الأَعَزِّ ، وأَدعُوكَ اللَّهُمَّ باسمِكَ الكبيرِ المُتَعالِ الذي مَلأَ الأَرْكَانَ كلَّها ، أَنْ تكشِفَ عنِّي ضُرَّ مَا أَمسيتُ وأَصْبحتُ فيه » فقال ذلك عيسى ، فأَوْحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إِلى جبريل عليهِ

---

(١) أَخرج النّسائي في عمل اليوم واللّيلة (١٠٠) وابن السُّنّيّ (١٢٤) وابن كثير في التفسير ١/٣٠٧ ، عن أَبي أُمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن قرأَ آية الكرسي في دُبُر كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ ، لم يَحُل بينه وبين دخول الجنَّة إلاَّ الموت » .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٠/١٣٦ . وأَبو نُعيم : هو الفضل بن دكين .

السَّلام : أَنِ ارْفَعْ عَبْدِي إِلَيَّ » .

فائِدَةٌ : مَمَّا جُرِّبَ للصُّدَاعِ فَصَحَّ ، مَا رُوِيَ عَنِ الإمامِ الشَّافعيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قالَ : وُجِدَ في بعضِ دُورِ بَنِي أُمَيَّةَ دُرْجٌ من فِضَّةٍ ، وعليهِ قُفْلٌ من ذَهَبٍ ، مَكتوبٌ على ظَهرهِ :شِفاءٌ من كلِّ داءٍ ، وفي داخله مَكتوبٌ هذه الكلمات : بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، بسم اللهِ وباللهِ ، وَلا حَولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ ، اسكُنْ أَيُّها الوَجَعُ سَكَّنْتُكَ بالذِي ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج : ٦٥] .

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، باسمِ اللهِ وباللهِ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم ؛ اسكُنْ أَيُّها الوَجَعُ ، سَكَّنْتُكَ بالذي ﴿ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر : ٣٥] .

قال الإمامُ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : فما احتجتُ معهُ إِلى طبيبٍ قَطُّ بإِذنِ اللهِ تَعالى ، فإِنَّهُ هو الشَّافِي .

● ومِمَّا جُرِّبَ للصُّداعِ أَيضاً : أَنْ يُكتبَ على ورقَةٍ بَيضاءَ ، وتُلصقَ على المَحَلِّ الذي فيه الصُّداعُ ، فإِنَّهُ يزولُ بإِذنِ اللهِ تَعالى ، وهو صحيحٌ مُجَرَّبٌ « د م هـ م ل هـ » .

ووُجِدَ أَيضاً في ذخائِرِ بَنِي أُمَيَّةَ ، تُرْسٌ مُرَبَّعٌ من ذهبٍ ، وعليهِ أَزْرارٌ من الزُّمُرُّدِ الأَخْضَرِ ، مَمْلُوءٌ بالمِسْكِ والكافُورِ والعَنْبَرِ الخام ، وكانَ مَنْ جَعَلَهُ على رأْسِهِ ، أَزالَ عنه الصُّداعَ أَلبَتَّةَ ، في الوقتِ والسَّاعةِ ؛ ففتَقُوا التُّرْسَ فوجدوا في باطِنِ أَزرارهِ بطاقةً مَكتوباً فيها ؛ بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء : ٢٨] .

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ [الفرقان : ٤٥] .

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١٣] .

● وممَّا جُرِّبَ للصُّدَاعِ أَيضاً ، أَنْ تكتُبَ هذه الأَحرفُ على لوحِ خَشَبٍ ، أَوْ مَكانٍ طاهِرٍ ، وتَدُقَّ في الحرفِ الأَوَّلِ مِسْماراً ، وتَقرأَ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ [الفرقان : ٤٥] و﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١٣] وتدقُّ دَقّاً خَفيفاً ، فإِنْ سَكَنَ الصُّداعُ ، فبالِغْ عليه بالدَّقِّ إِلى قُرْصِه ، وإِنْ لَمْ يسكنْ فانقُلِ المِسمارَ من حرفٍ إِلى آخر إِلى أَنْ يسكُنَ الصُّداعُ ، فلا بُدَّ أَنْ يسكُنَ في حَرْفٍ منها ، كما جُرِّبَ ذلك مِراراً ؛ وهذه هي : « أ ح أ ك ك ح ع ح أ م ح » والسَّوادُ مَوضعُ وَضْعِ المِسمارِ[1] ، ويَجْمَعُها قولُك : [من الكامل]

إِنِّـي حَمَلْـتُ إِلَيْـكَ كُـلَّ كَـرِيمَـةٍ حَـوْراءَ عـن حَـظِّ المُتيَّـمِ مَـا حَنَـتْ
فـأَوائِـلُ الكَلِمَـاتِ مِنْهـا مَقْصَـدِي لِصُـدَاعِ رَأْسٍ يَـا فَتـى قَـدْ جُـرِّبَـتْ

● ثمَّ قال ـ أَي بُختيشوع ـ : وَمِمَّا ذُكِرَ من **الخواصِّ** ، وشَهدَتْ بهِ التَّجربةُ ، مَا قالَهُ الحكيمُ جالينوس[2] : إذا أَخَذْتَ شَعْرَ ابنِ آدمَ ، وأَحرقتَهُ ، وخَلَطْتَهُ بماءِ الوردِ ، وَوَضَعَتْهُ المرأَةُ عندَ رَأْسِها عندَ الطَّلق ، تَسهلُ عليها الولادةُ .

---

(١) لم يظهر السّواد المذكور في ط . والنص ساقط من أ ، ب .

(٢) وانظر تذكرة داود ١/ ٦١ وعجائب المخلوقات ٢٣١ وما بعد .

وإنْ طَلَيْتَ البَرَصَ والبَهَقَ بِمَنِيِّ ابنِ آدمَ أَبْرَأَهُ ؛ وإذا حَطَطْتَهُ في البيتِ ، اجتمعَتْ عليهِ البَراغيثُ .

وبُصاقَ ابنِ آدمَ : سُمُّ الحَيّاتِ ، فإنَّكَ إنْ بَصقتَ في فمِ الحَيَّةِ ثلاثَ مَرّاتٍ ، تَمُوتُ من سَاعَتِها .

وإذا أَوْقَدْتَ سِراجاً من دُهْنِ ابنِ آدمَ في ليلةٍ ذاتِ رياحٍ ، سكنَتِ الرِّياحُ .

وشَعْرُ المرأَةِ بِطولِهِ ، إذا طُرِحَ في ماءِ البحرِ بحيثُ لا يخرجُ منه ، صارَ حَيَّةً مائِيَّةً .

وإذا اكتحَلَ الإنسانُ بِلَبَنِ النِّساءِ مع سُكَّرٍ طَبَرْزَدٍ ، يَنفعُ لِبياضِ العين .

والطِّفلُ الأَزرقُ العَينينِ ، إذا رَضعَ من لبنِ الجاريةِ الحَبَشِيَّةِ أَربعينَ يَوْماً ، اسْوَدَّتْ عَيْناهُ .

وإذا أُخِذَ بَولُ الصَّبيِّ ، وخُلِطَ برمادِ حَطَبِ الكَرم ، وحُطَّ على القَرْحَةِ نَفَعَها .

وإذا عَلَّقَتِ المرأَةُ عليها سِنَّ الطِّفلِ الذي وَقَعَ في أَوَّلِ سنةٍ ، لا تَحْبَلُ .

● قال جالينوس ، ويَحيى بن ماويشة : مَرارةُ ابنِ آدم سُمٌّ قاتِلٌ ، ومَنِ اكْتَحَلَ بِمرارَةِ ابنِ آدَم نفعته من بَياضِ العينِ .

● وقال ابن ماويشة : سُرَّةُ الطِّفلِ أَوَّل مَا تُقْطَع ، إذا عَلَّقَتْهَا المرأَةُ على يَدها ، وبِها أَلَمٌ ، سَكَنَ .

وإذا أُخِذَ عَظْمُ ابنِ آدَم ، وأُحْرِقَ وسُحِقَ ، وخُلط معه صَبرٌ ، ونُفِخَ في الاستِ الذي فيهِ الباسورُ ، أَبرأَهُ بإِذنِ الله تَعالى .

وإذَا أُخِذت الحَيَّاتُ التي تَخرجُ من بَطْنِ ابن آدمَ ، وجُفِّفَتْ وسُحِقَتْ ناعماً ، واكْتَحَلَ بِهَا مَنْ في عَيْنِهِ بَياضٌ ، ذَهَبَ .

وإِذَا أُخِذَ رَجيعُ ابنِ آدم يابساً ، وسُحِقَ ، ونُخِلَ ، وعُجِنَ بالخَلِّ وعَسلِ النَّحلِ ، وطُليَ بِهِ على الأَكَلَةِ ، بَرِئَتْ بإِذْنِ الله تعالى ؛ وكذلك إِذا طُليت بِهِ الخَوانيقُ التي في الحَلْقِ بَرِئَتْ .

وشَعرُ ابنِ آدمَ ، إِذا عُلِّقَ على مَنْ يَشْتكِي الشَّقيقةَ سَكَنَتْ .

وإِذا بُلَّ الشَّعر بالخلِّ ، ووُضِعَ على عَضَّةِ الكَلْبِ ؛ بَرِئَتْ .

ودَمُ ابنِ آدمَ ، إِذا أُخِذَ وعُجِنَ بدَقيقِ الحُلْبَةِ وبماءِ السُّذابِ ، وطُلِيَ بِهِ كلُّ قَرْحَةٍ تكُونُ في البَدَنِ ، بَرِئَتْ لِوَقْتِها أَلْبَتَّةَ ، لا سِيَّمَا التي تكونُ في السَّاقينِ ، والقُروحُ الرَّطبة التي يَسيلُ منها الدَّمُ والقَيْحُ .

وإِذا أُخِذَ دمُ الحَيْضِ من جاريةٍ بِكْرٍ أَوْ ثَيِّبٍ ، وخُلطَ معه خَمْرٌ عَتيقٌ ، واْكتَحل بِهِ مَنْ في عَيْنَيْهِ بَياضٌ ، أَبرأَهُ .

وخِرْقَة الحَيْضِ، إِذا عُلِّقَتْ على مُؤَخَّرَ السَّفينَةِ، لا يَدْخُلُها رِيحٌ ولا زَوبعةٌ .

وإِذا أَصابَ المرأَةَ وجعُ السُّرَّةِ ، تأْخُذُ خِرْقَةَ الحيضِ فتَحرقُها حتَّى تَصيرَ رماداً ، ثمَّ تأخذُ من ذلكَ الرَّمادِ جُزءاً ، ومن الكُزْبَرَةِ جُزءاً ، ويُدَقُّ الجَميعُ بماءٍ فاترٍ ، ويُطلى بِهِ مَا حولَ السُّرَّةِ ، تَبْرأُ بإِذْنِ اللهِ تَعالى ؛ وكذلكَ إِذا أَصابَها عندَ النَّفاس ، فإِنَّهُ يَسكنُ بإِذنِ اللهِ تعالى .

ورَجيعُ الطِّفلِ عندَ الولادةِ ، يُجَفَّفُ ويُسحقُ ، ويَكتحلُ بِهِ مَنْ فِي عَيْنِهِ بياضٌ ، فإِنَّهُ يذهبُ بإِذنِ اللهِ تعالى .

وإِذا أُخِذَت قُلْفَةُ الصِّبيانِ ، وهي طَهارَتُهم ، وجُفِّفَتْ وسُحِقَتْ ، وخُلِطَ معها شيءٌ من المِسْكِ وماءِ الوَرْدِ ، وسُقِيَ من ذلك صاحبُ البَرَصِ والجُذامِ ، وقفَ عنه بإِذنِ اللهِ تعالى .

وإِذا أُحرقَت وسُحقت وسُقِيت لمن غَلب عليه البَرَصُ ، ذهبَ عنه بإِذن الله تعالى .

ويُؤخَذُ من رَجيعِ ابنِ آدمَ مقدارُ حِمِّصَةٍ ، ويُسحقُ ويُذابُ بماءٍ فاترٍ ، ويُسقى لِصاحبِ القُولَنْجِ ، يَبْرَأُ بإذنِ اللهِ تعالى ؛ وإذا سُحِقَ ودِيْفَ بالخَلِّ كان أَبْلَغَ .

وإذا أُخِذَ رَجيعُ ابنِ آدمَ ، أَوَّلَ مَا يخرجُ وهو حارٌّ ، ويُخلطُ بخَمْرٍ عَتيقٍ ، ويُسقى للدَّابَّةِ المَريضَةِ ، تَبْرَأُ بإذْنِ اللهِ تَعالَى .

وإذا غَسَلْتَ وَسَخَ رِجْلَيْ ابن آدَم ويَدَيْهِ بالماءِ ، وأَسقيتَهُ لمن شِئْتَ ، فإِنَّهُ يُحِبُّكَ مَحَبَّةً شَدِيدَةً ، ولا يكادُ يُطِيقُ فِراقَكَ ؛ وهو سِرٌّ عَجيبٌ مُجَرَّبٌ .

ومثله إذا أَردتَ أَنْ يُحِبَّكَ إنسانٌ حُبّاً شَديداً ، فاغسلْ جَيْبَ قَميصِكَ ، واسْقِهِ ماءَهُ وهو لا يَعْلَمُ ، فإِنَّهُ يُحِبُّكَ حُبّاً شَديداً .

وإنْ أَردتَ أَنْ تَجمعَ الحمامَ في البُرجِ ، فَخُذْ رأْسَ ابنِ آدم وهو مَيِّتٌ قَدْ مَضَى عليه من السِّنين مُدَّةً ، وادْفِنْهُ في ذلكَ البُرجِ ، فإِنَّ الحَمامَ يَعمرُه ويَجتمعُ إِليهِ من كُلِّ مَكانٍ حتَّى يَضيقَ بِهِ .

وإِذَا أَصابَ إنساناً اللُّوقَةُ والفالِجُ ، يُسعطَ بلبَن جاريةٍ سَوداء أَو حَبَشِيَّةٍ ، مع شيءٍ من دُهْنِ الزِّئْبَقِ ، فإِنَّهُ يَبْرَأُ بإِذْنِ اللهِ تَعالَى ؛ ومِقدارُ السَّعوطِ منهُ وَزْنُ قيراطٍ للرَّجلِ الكامل ، وللطِّفل والصَّبيِّ وزنُ حَبَّةٍ ؛ ويُخلطُ معه في بعضِ الأَوقاتِ أَنْزَروتٌ أَبيضُ ، ويُقطر في العينِ المُحْمَرَّةِ تَبْرَأُ .

وإذا أُخِذَ الكاشِمُ[١] ، ودُقَّ ناعِماً ، ودِيْفَ بِبَوْلِ صَبيٍّ لَمْ يَبْلُغِ الحُلُم ، وسُقِيَ للدَّابَّةِ المَمْغولَةِ[٢] ؛ بَرِئَتْ بإِذْنِ اللهِ تَعالى .

وإذا أَردتَ أَنْ لا يَقْرَبَ المرأَةَ أَحَدٌ غيرُكَ ، فَخُذْ مَا تَسْتَخْرِجُهُ من شَعْرِهَا

---

(١) الكاشم : الأَنْجُذان الرُّوميّ . (القاموس) .

(٢) الممغولة : هي الدَّابَّة التي أَكلت التُّراب مع البقل ، فأَخذها وجعٌ في بطنها . (القاموس) .

من تَسريحٍ أَو غيرِهِ ، واحْرِقْهُ حتَّى يَصِيرَ رَماداً ، ثمَّ اجعلْ منهُ على رَأْسِ إحليلِكَ عِنْدَ الجِماعِ مَعها ، فلا أَحَدَ يُجامِعُها بعد ذلك مثلك ، ولا تَقبلُ أَحداً غيرَك ؛ وهو سِرٌّ عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ .

ويُؤْخَذُ من مَنِيِّ الرَّجلِ جُزْءٌ ، ومن الزِّئْبَقِ جزءٌ ، ويُخلَطُ الجميعُ ، ويُسعط منهُ صاحِبُ اللُّوقَةِ ثلاثةَ أَيَّامٍ متواليةٍ ، يَبرأُ بإِذنِ اللهِ تَعالَى .

وإِذا أُخِذَ رَجيعُ إِنسانٍ وأُحرِقَ ، وسُحقَ ناعِماً ، وخُلطَ معه مِلْحٌ أَنْدَرانيٌّ ، وشيءٌ من حَزَنْبَلٍ[1] ، وخُلِطَ الجميعُ ، ونُفخَ في عينِ الدَّابةِ التي فيها البَياضُ بَرِئَتْ .

وإِذا أُخِذَ بَوْلُ صَبيٍّ قبلَ أَنْ يَبْلُغَ الحُلُمَ ، وجُعل في وِعاءٍ ، وتُرِكَ على النَّارِ حتَّى حَمِيَ ، وغُمِسَتْ صُوفَةٌ في ذلك البَولِ ، وطُلِيَ بِهِ على العَيْنِ التي بِهَا وَرَمٌ أَوْ حُمْرَةٌ ؛ بَرِئَتْ .

وإِذَا أُخِذَ مَنِيُّ ابن آدَمَ وهو حارٌّ ، وطُلِيَ بِهِ البَرَصُ غَيَّرَ لَوْنَهُ بقُدْرَةِ اللهِ تَعالَى .

وإِذا أُخِذَ شَيءٌ من أَبْوالٍ ، وجُعِلَ في قِدْرٍ نُحاسٍ ، وطُبِخَ حتَّى انعقَدَ ، ثمَّ جُفِّفَ وخُلِطَ معه مِلْحُ الطَّعامِ ، وسُحِقَ وعُجِنَ بمَاءِ الزَّعفرانِ ، وجُعِلَ في بَوْدَقَةٍ ، وأُوقدَ عليهِ حتَّى يَدُورَ كما تَدُورُ الفِضَّةُ ، فاجعلْهُ سَبيكةً ، وحُكَّهُ على المِسَنِّ بالماءِ والمِسْكِ ، وكَحِّلْ بِهِ العَيْنَ التي غَلَبَ عليها البياضُ ، تَبْرَأُ بإِذنِ اللهِ تَعالَى أَلْبَتَّةَ ؛ وهو سِرٌّ لَطِيفٌ مُجَرَّبٌ ؛ وكان الحُكماءُ المتقدِّمونَ يُسمُّونَهُ الجَوهرَ النَّفيسَ .

ويُؤخَذُ لَبَنُ جاريةٍ سَوداءَ ، فَيُذابُ فِيهِ شيءٌ من الزَّعفرانِ ، وشَيءٌ من لُعابِ السَّفرجلِ ، ويُقطرُ في العينِ التي بِها الوَجَعُ والضَّرَبان والنُّقْطَةُ ، فإِنَّها

---

(١) الحزنبل : نبتٌ من العقاقير . (القاموس) .

تَبْرَأُ بإذنِ اللهِ تَعالَى .

وإذا أَردتَ أَنْ تكونَ نُهودُ الجاريةِ قائمةً لا تنكسِرُ ، فَخُذْ دَمَ حيضِ الجاريةِ من أَوَّلِ حَيْضِها ، واطْلِ بهِ رُؤُوسَ النَّهدينِ ، فإِنَّهُما لا يَنْكَسِرانِ ، ولا يزالانِ قائمَين ، وهذا سِرٌّ عَجيبٌ مُجَرَّبٌ .

وإذا أُخِذَ دَمُ الحَيضِ وهو حارٌّ طَرِيٌّ ، ولُطِّخَ بِهِ في العَيْنِ ، يَزُولُ مَا بِهَا من الحُمْرَةِ والنُّقْطَةِ والوَرَمِ .

وإِنْ أَردتَ أَنْ تسمنَ المرأَةُ ، فَخُذْ شَحْمَ إِوَزَّةٍ أُنْثَى ، يُدَقُّ ويُخلطُ معه بَوْرَقٌ وكَمُّونٌ كَرْمَانِيٌّ ، ودقيقُ الحُلْبَةِ ، يُمْزَجُ الجَميعُ ، ويُجعلُ مثلُ البنادِقِ ، ويُبَلَّعُ ذلك لِدجاجَةٍ سَوداء ، سبعةَ أَيَّامٍ مُتواليةٍ ، ثمَّ تُذبحُ وتُصْلى ، فكلُّ مَنْ أَكَلَ مِنْ تِلكَ الدَّجاجَةِ ، أَوْ من مَرَقَتِها ، يَسْمَنُ حتَّى يكادَ يغلبُ عليهِ الشَّحم من ذَكَرٍ كان أَوْ أُنْثَى .

وإِنْ أَردتَ أَبلغَ من ذلك ، فَخُذْ مَرارَةَ آدميٍّ ، وخُذْ مَا تَيَسَّرَ من القَمحِ ، وضَعْ تِلكَ المَرارَةَ عليهِ مع قليلٍ من الماءِ ، واصبرْ على القمحِ حتَّى ينتفخَ ، وَبَلِّعْهُ لِدَجاجَةٍ سَوداءَ ، وافعلْ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَمَنْ أَكَلَ مِنْ تِلْكَ الدَّجاجَةِ رأى العَجَبَ العُجابَ من السِّمَنِ والشَّحمِ ، حتَّى لا يَستطِيعَ القيامَ ذَكَراً كانَ أَوْ أُنْثَى ؛ وهو سِرٌّ لَطيفٌ مُجَرَّبٌ .

وإذا أَرَدْتَ أَنْ تَقْطَعَ لَبَنَ المرأَةِ ، فَخُذْ حُلْبَةً واسْحَقْها واعْجِنْهَا بالماءِ ، واطْلِ بها ثَدْيَ المرأَةِ ؛ يَنْقَطِعِ اللَّبَنُ أَلْبَتَّةَ بإِذْنِ اللهِ تَعالَى .

وإذا أَردتَ أَنْ يدرَّ اللَّبَنُ ، فَخُذْ حَنْظَلَةً ودُقَّها واعْجِنْهَا بالزَّيتِ ، وَخُذْ صُوفَةً زَرقاءَ ، ولُفَّها على عُودٍ ، واغْمِسْهَا في الزَّيتِ والحَنْظَلَةِ ، واطْلِ بها رَأْسَ الثَّدْيِ ، يدرُّ اللَّبَنُ بِقُدْرَةِ الله تعالى ؛ وكلاهُما صحيحٌ مُجَرَّبٌ .

ومتى صُوِّرَ صُورةُ صَبِيٍّ حسنِ الوَجْهِ ، ونُصِبَ قِبالَةَ المرأَةِ بحيثُ تَراهُ وقتَ

الجِماعِ ، خَرَجَ الوَلَدُ يُشبهُ تلكَ الصُّورة في أَكثرِ الأَعضاءِ أَلْبَتَّةَ .

● قال : وضِرْسُ المَيِّتِ إِذا عُلِّقَ على مَنْ بِهِ وَجَعُ الضِّرسِ ، سَكَنَ وَجَعُهُ .

وإِذا أُخِذَ ضِرْسُ إِنسانٍ ، وعَظْمُ جَناحِ الهُدْهُدِ الأَيمنِ ، وجُعلا تَحْتَ رَأْسِ النَّائِمِ ، لَمْ يَزَلْ كذلِكَ حتَّى يُؤخَذَا مِنْ تَحْتِ رَأْسِهِ .

وبُصاقُ الإِنسانِ ، يَنْفَعُ من لَدْغِ الهوامِّ والقُوباءِ والثَّآليلِ ، إِذا طُلِيَ علَيْها قبلَ أَنْ يَأْكُلَ الإِنْسَانُ شَيْئاً .

وَلَبَنُ النِّساءِ ، إِذا شُرِبَ مع عَسَلٍ ، فَتَّتَ الحَصا من المثَانَةِ .

وبَولُ الإِنسانِ إِذا وُضِعَ على عَضَّةِ الكَلْبِ الكَلِبِ ، نَفَعَها نَفْعاً بَيِّناً .

وقال قومٌ : إِنَّ المَكْلُوبَ إِذا شَرِبَ من دَمِ إِنسانٍ شَريفٍ ، بَرِىءَ من ساعَتِهِ ، وأَنشدُوا على ذلكَ قولَ الشَّاعِرِ(١) : [من البسيط]

أَحْلامُكُمْ لِسَقامِ الجَهْلِ شافِيَةٌ ... كَمَا دِماؤُكُمْ تُبْرِي من الكَلَبِ

وقُلامَةُ ظُفْرِ الإِنسانِ ، إِذا أُحْرِقَتْ وسُقِيَتْ لإِنسانٍ آخَر ، أَحَبَّهُ ذلك الإِنسانُ حُبّاً شَديداً .

وشُربُ بَولِ الإِنسانِ ، يَنْفَعُ مِنْ لَسْعِ جَميعِ ذواتِ السُّمومِ ؛ وإِنْ طُلِيَ بِهِ بعدَ أَنْ يُغْلَى رِجْلُ صاحبِ النِّقْرِسِ ، سَكَنَ الوَجَعُ والضَّرَبانُ ، ويَنْفَعُ من جَميعِ القُرُوحِ الحادِثَةِ في أَصابِعِ القَدَمِ ، والقُروحِ التي فيها دُودٌ ؛ خُصُوصاً البولُ العتيقُ ؛ ويَنْفَعُ من عَضَّةِ الإِنسانِ والقِرْدِ وجَميعِ الحيوانِ السُّمِّيِّ .

وإِذا بالَ رَجلٌ على الجُرْحِ حِينَ يُجْرَحُ ، قَطَعَ الدَّمَ لِساعَتِهِ ، وأَبْرَأَهُ ؛ وهو

---

(١) البيت للكميت بن زيد الأَسدي ، في ديوانه ١/ ٧٣ بقافية مرفوعة : × . . . يُشفى بها الكلبُ . وهو في معاهد التنصيص ٣/ ٨٨ : × . . . تَشفي من الكلبِ .

صحيحٌ مُجَرَّبٌ .

وَعَرَقُ الإنسانِ ، إذا أُخِذَ منهُ وعُجِنَ بِغُبَارِ الرَّحا ، ووُضِعَ على الثَّدي الوارِمِ ، نَفَعَهُ ؛ ويَنفعُ من جُمودِ اللَّبَنِ في الضَّرعِ والثَّدْي وتَعَقُّدِهِ بعدَ الولادَةِ .

ومَنِيُّ الإنسانِ ، إذا أُخِذَ وهو يابسٌ ، ومعه سُذابٌ مَدقوقٌ ، وَذُرَّ على الأكَلَةِ ، أَبْرَأَهَا أَلْبَتَّةَ ؛ وإِنْ عُجِنَ بِعَسلٍ ، وطُلِيَ بِهِ الحَلْقُ من خارجٍ ، نَفَعَ الخُنَّاقَ .

وإذا أُخِذَ نَجْوُ صَبِيٍّ حين يُولَدُ ، وجُفِّفَ وسُحِقَ ، وكُحِّلَ بِهِ بَياضُ العَيْنِ ، نَفَعَ ؛ ويَنْفَعُ من الغَشَاوَةِ نَفْعاً جَيِّداً .

وإذا أُخِذَ من نَجْوِ إِنْسانٍ قَدْرُ حِمِّصَةٍ ، ودِيفَ بِخَلِّ خمرٍ ، وسُقِيَ لصاحِبِ القُولنجِ وعُسْرِ البَول ، نَفَعَهُما ؛ وهو إِذا كانَ حارّاً نَفَعَ الفَرَسَ الحَمِرَ[١] ، ويَنْفَعُ من عَضَّةِ الإِنْسَانِ من سَاعَتِهِ .

ولُعابُ الصَّائِمِ ، إذا قُطِّرَ في الأَذُنِ ، أَخْرَجَ الدُّودَ منها ؛ وإِنْ خُلِطَ مع الزَّراوَنْدِ[٢] وَوُضِعَ على البواسِيرِ أَبْرَأَهَا .

وسُرَّةُ الصَّبيِّ عندما تُقْطَعُ ، إذا أُخِذَ مِنْها شَيْءٌ ، وَوُضِعَ تَحْتَ فَصِّ خاتمٍ ، فإِنَّهُ يَنْفَعُ لابِسَهُ من القُوْلَنْجِ .

وقال ابنُ زُهْرٍ : سِنُّ الصَّبيِّ الذَّكَرِ ، أَوَّلُ وَلَدِ المرأَةِ ، إِنْ جُعِلَ تَحْتَ فَصِّ خاتِمِ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ فَصُّهُ منه ، لَمْ يُصِبْ مَنْ لَبِسَهُ من الرِّجَالِ القُوْلَنْجُ أَلْبَتَّةَ .

وإِنْ بُخِّرَتِ المرأَةُ بِشَعْرِ إنسانٍ ؛ نَفَعَها مِنْ جَمِيعِ أَوْجاعِ الرَّحِمِ .

---

(١) حَمِرَ الفَرَسُ : سَنِقَ من أكل الشَّعير ، أو تغيَّرت رائحةٌ فيه . (القاموس) .

(٢) الزَّرواند : دواءٌ معروفٌ ، وهو نوعان طويلٌ ومُدحرجٌ . (القاموس) .

وإِذَا طَلَتِ المَرْأَةُ بَدَنَها بِدَمِ النِّفاسِ من أَوَّلِ وَلَدِها ، مَنَعَها الحَبَلَ مَا عاشَتْ .

وإِنْ جُعِلَ سِنُّ الصَّبيِّ أَوَّلَ مَا يَسْقُطُ قبلَ أَنْ يصلَ إلى الأَرْضِ ، تَحْتَ فَصِّ خاتمٍ ، وَعُلِّقَ على امرأةٍ ، مَنَعَها الحَبَلَ .

وَعَرَقُ النِّساءِ يُطْلَى بِهِ الجَرَبُ يَبْرَأُ .

وبَوْلُ الصَّبيِّ الذي لَمْ يَبْلُغْ عِشرِينَ سنةً ، إذا شَرِبَهُ صاحِبُ البَرَصِ بَرِىءَ .

وبَوْلُ الإِنْسَان مع رَمادِ الكَرْمِ ، يُوضَعُ على مَوضعِ نَزْفِ الدَّمِ ، يَقِفُ .

ورَمادَ العيشومِ[1] ، ورَمادِ الشُّونيز[2] ، مع الزَّيتِ العَتِيقِ ، يُنْبِتُ اللِّحيَةَ .

ودَمُ الحَيْضِ ، إذا طُلِيَ بِهِ عَضَّةُ الكَلْبِ ، تَبْرَأُ ؛ وكذلِكَ البَهَقُ والبَرَصُ .

● وقال القَزويني في « عجائبِ المخلوقات »[3] : إذا رَعَفَ الإِنْسَانُ ، فَلْيَكْتُبْ اِسْمُهُ بِدَمِهِ على خِرْقَةٍ ، وَتُجْعَلْ نُصْبَ عينيهِ ، فإِنَّهُ يَنْقَطِعُ رُعافُهُ .

ونُطفةُ الإنسانِ إذا طُلِيَ بها البَهَقُ والبَرَصُ والقُوباءُ؛ أَبْرَأَتْها ؛ وإذا خُلِطَ بِها زَهْرُ الغُبَيْراءِ ، وجُفِّفَ ، وأَسقاهُ إنسانٌ لامرأةٍ ، عَشِقَتْهُ .

وَدَمُ البِكارَةِ حينَ افْتِضَاضِهَا ، إذا طُلِيَ بِهِ الثَّدْيُ لا يَكبرُ .

● **قاعدةٌ** : قالَ الأَطِبَّاءُ : إذا أَردتَ أَنْ تَعْلَمَ هَلِ المَرْأَةُ عَقِيمٌ أَمْ لا ؟ فَمُرْهَا أَنْ تَتَحَمَّلَ بِثُومَةٍ في قُطْنَةٍ ، وتَمْكُثَ سَبْعَ ساعاتٍ ، فإِنْ فاحَ من فَمِها رائِحَةُ الثُّومِ ، فعالِجْهَا بالأَدْوِيَةِ ، فإِنَّها تَحْمِلُ بإِذْنِ اللهِ تَعالَى ، وإلاَّ فلا . قال الرَّازِي : وهي مُجَرَّبَةٌ لذلك ، واللهُ أَعلمُ .

---

(١) العيشوم : شجرٌ كالسَّنجر . (القاموس) .

(٢) الشونيز : الحبَّة السَّوداء . (القاموس) .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٣٣ .

● **التَّعبيرُ**[1] : الإنسانُ في المنامِ : كلُّ شَخْصٍ يُعرفُ ، فهوَ ذاكَ بِعَيْنِه ذَكَراً كانَ أَوْ أُنْثى ، أَوْ سَمِيُّهُ أَوْ نَظِيرُه .

والشَّابُ المَجهُولُ : عدوٌّ ؛ والشَّيْخُ جَدٌّ وسَعادةٌ ، ورُبَّمَا عُبِّرَ بالصَّدِيقِ ؛ فَمَنْ رَأَى شَيْخاً ضَعِيفاً ، أَوْ صَغِيرَ الصُّورَةِ ، فَذَاكَ نَقْصٌ في جَدِّ الإِنْسَانِ وسَعْدِهِ ؛ والكَهْلُ إِذا لَمْ يُنَقَّ البياضُ أَقْوَى لِجَدِّ الإنسانِ وسَعْدِهِ .

والصَّبيُّ : هَمٌّ إذا كان طِفْلاً يُحْمَلُ ، لِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾ [مريم : ٢٧] والبالِغُ : قُوَّةٌ وبِشارَةٌ ، لقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ [يوسف : ١٩] والصَّبيُّ الحَسَنُ الصُّورَةِ ، إِذَا دَخَلَ مدينةً مُحاصَرةً ، أَوْ كَانَ بها طاعونٌ ، أَوْ قَحْطٌ : فُرِّجَ عنهم ؛ وكَذَلِكَ إذا نَزَلَ من السَّماءِ ، أَوْ خَرَجَ من الأَرْضِ : فهو بِشارَةٌ لكلِّ ذِي هَمٍّ وغَمٍّ .

ويُعَبَّرُ أَيضاً بمَلَكٍ من المَلائِكَةِ ؛ مثالُ ذلكَ أَنْ يَرَى المريضُ ، أَوْ يُرَى لَهُ ، كَأَنَّ صَبِيّاً أَمْرَدَ أَخَذَهُ ، أَوْ ضَرَبَ عُنُقَهُ ، فإِنَّهُ مَلَكُ المَوْتِ .

والشَّابُّ الأَشْقَرُ : عَدُوٌّ شَحيحٌ ؛ والشَّابُّ التُّركيُّ : عَدُوٌّ لا أَمانَ لَهُ ؛ والشَّابُّ الضَّعيفُ : عَدُوٌّ ضَعِيفٌ ؛ والشَّابُّ الأَسْمَرُ : عَدُوٌّ غَنِيٌّ ؛ والشَّابُّ الأَبْيَضُ : عَدُوٌّ دَيِّنٌ .

والمرأَةُ في المنامِ : دُنْيا ، والمجهولةُ أَقْوى من المَعروفة ؛ وحُسْنُها أَحْسَنُ شيءٍ ، وقُبْحُها أَقْبَحُ شَيءٍ ؛ والزَّانِيَةُ زِيادَةٌ في الخيرِ والصَّلاحِ ، لقولِ النَّبيِّ ﷺ[2] : « عُرِضَتْ عليَّ الدُّنْيا لَيْلَةَ أُسريَ بي ، في صُورَةِ امرأَةٍ حاسِرَةِ الذِّراعَيْنِ ، فقلتُ لها : طَلَّقْتُكِ ثلاثاً » أَرادَ بها الدُّنْيا .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١١٣ وتفسير الواعظ ١١٦ وما بعد .

(٢) تاريخ دمشق (السِّيرة النَّبويّة ٢/ ٣١) ومختصره ٢/ ١٢٠ وتاريخ الإسلام (السِّيرة النَّبويّة ٢٧٣) .

والمَرْأَةُ السَّوداءُ : تُعَبَّرُ بلَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ ، والبَيضاءُ بالنَّهارِ ؛ فَمَن رَأَى امرأَةً سَوداءَ ، غابَتْ عنه وظهرَتْ له امرأَةٌ بيضاءُ ، فإِنَّ ذلكَ دليلُ الصَّباحِ وزَوالُ الظَّلامِ .

والمرأَةُ التي تكُونُ للسُّلْطَانِ ، أَوْ هِيَ سُلطانَةٌ ، فإِنَّها تُعَبَّرُ بِمَلِكٍ ظَالِمٍ مُعْجَبٍ ، أَوْ تكُونُ بِمَنْزِلَةِ العَرُوسِ لأَهْلِهِ ، ومالٌ حرامٌ لغير ذلك .

والشَّابَّةُ إذا رأَتْهَا المرأَةُ : فَهِيَ عَدُوٌّ لِها إذا كانَتْ مَجهولةً ، والعَجوزُ المجهولَةُ لها جَدٌّ .

وتُعَبَّرُ المرأَةُ بالسَّنَةِ ؛ فإِنْ كانَتْ سَمِينةً فهي خِصْبٌ ، وإِنْ كانَتْ هَزِيلةً فهي جَدْبٌ ؛ وإِنَّما شُبِّهَتِ المرأَةُ بالسَّنَةِ ، لأَنَّها كالأَرْضِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ولأَنها ذات نِتاجٍ ، وكذلكَ الأَرْضُ .

والمرأَةُ المُتَنَقِّبَةُ : عُسْرٌ لِمَنْ رَآهَا ، والمكشوفَةُ الوَجْهِ : دُنْيَا لَيْسَ فِيها تَعَبٌ .

والنِّساءُ : زِينَةُ الدُّنْيا ، فَمَنْ أَقْبَلْنَ عَلَيْهِ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيا ، ومَنْ أَدبرنَ عَنْهُ أَدبرتْ عنه الدُّنْيَا .

والإِنْسَانُ القَبِيحُ الصُّورَةِ : أَمْرٌ مَكْرُوهٌ ؛ والأَسْوَدُ سُوءٌ ؛ والخَصِيُّ المَجْهُولُ : يُعَبَّرُ بِمَلَكٍ من الملائِكَةِ ، لانْتِزَاعِ الشَّهْوَةِ منهُ ؛ فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ خُصِيَ ، أَوْ كَأَنَّهُ خَصِيٌّ : نالَهُ ذُلٌّ وخُضوعٌ .

وقالتِ النَّصارى : مَنْ رَأَى نَفْسَهُ خَصِيّاً : نالَ منزلةً في العبادَةِ وعِفَّةَ الفَرْجِ .

وَمَنْ رَأَى بيدِهِ رَأْسَ إِنْسانٍ : فإِنَّهُ يَنالُ أَلفَ دِينارٍ ، أَوْ أَلْفَ درهمٍ ، أَو مئةَ درهمٍ .

والرُّؤُوسُ المُقَطَّعَةُ في المنامِ : رُؤساءُ النَّاسِ ؛ فَمَنْ أَخَذَ شَيْئاً من لحمِها أَوْ شَعْرِها : نَالَ مالاً من قَوْمٍ رؤساءَ ؛ ومَنْ رَأَى رَأْسَهُ كَبيراً حَسَناً : نَالَ رئاسَةً ؛ وَمَنْ قُطِعَ رَأْسُهُ وكانَ مَمْلُوكاً : عُتِقَ ، أَوْ مَهموماً : فَرَّجَ اللهُ هَمَّهُ ، أَوْ مريضاً : شُفِيَ ؛ فإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُخْدَمُ : فارَقَ خَدَمَهُ ؛ ومَنْ رَأَى رَأْسَهُ يُرْضَخُ بحَجَرٍ : فإِنَّهُ قد نَامَ عن صلاةِ العِشاءِ ؛ ومَنْ رَأَى رَأْسَهُ رأسَ كَلْبٍ أَوْ فَرَسٍ أَوْ جَمَلٍ أَو حمارٍ أَوْ بَغْلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ من البَهائِمِ التي تَنالُها مَشَقَّةُ التَّعَبِ والعَمَلِ : نَالَ تَعَباً ؛ لأَنَّ هَذِهِ الحيواناتِ خُلِقَتْ للتَّكلُّفِ والتَّعبِ .

وإِنْ رَأَى رَأْسَهُ رَأْسَ طَيْرٍ : كَثُرَ سَفَرُهُ ؛ ومَنْ رَأَى رَأْسَهُ بِيَدِهِ ، وكان له رأْسٌ آخرُ : فإِنَّ ذلكَ يَدُلُّ على تَدْبيرِ الأُمورِ الرَّديئَةِ وإِصلاحِها .

وَأَكْلُ الرَّأْسِ من الحيواناتِ : مالٌ لَمْ يَكُنْ يَرْجُوهُ ؛ وطُولُ حَياةٍ إِذا كَانَ غيرَ نَيِّءٍ .

والرَّأْسُ : يُعَبَّرُ بالرَّئيسِ ، والسَّيِّدِ ، والأَبِ ، ويُعَبَّرُ أَيضاً بِرَأْسِ المَالِ ؛ فَمَا رُؤِيَ فِيهِ من زِيادةٍ أَو نَقصٍ أَو وَجَعٍ ، فهو عائِدٌ إِلى مَا ذَكَرْناهُ .

ومَنْ رَأَى رَأْسَهُ تَحَوَّلَ رَأْسَ أَسَدٍ : فإِنَّهُ يَنالُ مُلْكاً ، إِنْ كانَ من أَهلِهِ ، أَوْ رِئاسَةً أَو ولايَةً أَوْ وَجاهَةً .

ومَنْ رَأَى أَنَّهُ يَأْكُلُ لَحْمَ إِنْسَانٍ : فَإِنَّهُ يَغتابُهُ ؛ وَمَنْ أَكَلَ لَحْمَ نَفْسِهِ : فَإِنَّهُ يُغْتَابُ ؛ وقِيلَ : أَكْلُ اللَّحْمِ النَّيِّءِ خَسارةٌ في المَالِ .

واللُّحُومُ في الرُّؤْيَا : أَموالٌ ؛ إِذا كانَتْ مَطبوخةً ناضِجَةً .

وإِذا أَكَلَتِ المرأَةُ لَحْمَ امرأَةٍ : فإِنَّها تُساحِقُها ؛ وإِنْ أَكَلَتْ لَحْمَ نَفْسِها : فإِنَّها تَزْنِي .

وأَكْلُ لَحْمِ البقرِ الهزيلِ : مَرَضٌ ؛ وانسبْ كلَّ لحمٍ إِلى حَيوانِهِ ؛ فلَحْمُ الحَيَّةِ : مالٌ من عَدُوٍّ ، فإِنْ كان نَيِّئاً فهُو غِيْبَةٌ .

ولحمُ السَّبُعِ : مالٌ من سُلطانٍ ، وكذلِكَ لحومُ السِّباعِ الضَّوارِي ، وجَوارِحِ الطَّيْرِ .

ولحمُ الخِنْزيرِ : مالٌ حَرامٌ ، واللهُ تعالى أَعْلم .

٣١ إنسانُ الماءِ : يُشْبِهُ الإِنْسَانَ ، إلاَّ أَنَّ لَهُ ذَنَباً .

قال القَزْويني[١] : وَقَدْ جَاءَ شخصٌ بواحدٍ مِنها في زَمانِنا مُقَدّداً كما ذَكَرْنَا .

وقيلَ : إنَّ في بحرِ الشَّأم في بعضِ الأَوقاتِ ، مَنْ شَكْلُهُ شَكْلُ إِنسانٍ ، وله لِحْيَةٌ بَيْضاءُ ، يُسَمُّونَهُ شَيْخَ البَحرِ ، فإذا رآهُ النَّاسُ استَبْشَرُوا بالخِصْبِ .

● وحُكِيَ أَنَّ بعضَ المُلُوكِ حُمِلَ إِليهِ إِنسانُ ماءٍ ؛ فَأَرادَ المَلِكُ أَنْ يَعرفَ حالَهُ ، فَزَوَّجَهُ امرأَةً ، فأَتاهُ مِنْهَا وَلَدٌ يَفهمُ كلامَ أَبوَيْه ، فقال للوَلدِ : مَا يَقُول أَبوك ؟ قال : يقولُ : أَذْنابُ الحيوانِ كُلُّها في أَسْفَلِها ، فَمَا بالُ هؤلاءِ أَذنابُهم في وجُوهِهم ؟ .

وسيأْتِي إِنْ شاء اللهُ تَعالَى في باب الباء المُوَحَّدةِ ، في « بناتِ الماءِ » قريبٌ من هذا .

الحُكم : سُئِلَ اللَّيْثُ بن سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ أَكْلِهِ ؟ فقالَ : لا يُؤْكَلُ على كلِّ شَيْءٍ من الحالاتِ ؛ واللهُ تعالى أَعلمُ .

٣٢ الأَنْقَدُ : بالنُّونِ السَّاكِنَةِ ، وفتحِ القافِ ، وبالدَّالِ المُهملةِ : القُنْفُذُ .

الأَمْثَالُ : يُقالُ[٢] : « باتَ فُلانٌ بليلِ أَنْقَدَ » لأَنَّهُ لا يَنامُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ؛

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٨ والمستطرف ٢/ ٥٣٥ .

(٢) الميداني ١/ ٩٧ و١٧٦ و٣٥٤ والعسكري ١/ ١٥٦ والزمخشري ٢/ ٤ وثمار القلوب ١/ ٦١٩ والدُّرّة الفاخرة ١/ ٢٣٤ .

وسيأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى في « باب القاف » في « القُنْفُذ » .

قال المَيْدَانِيُّ : أَنْقَدُ : مَعْرِفةٌ ، لا تدخلُه الأَلفُ واللّامُ ، يُضربُ لِمَنْ سَهِرَ لَيْلَهُ أَجمع .

قال[1] : وقيل : الأَنْقَدُ : الذِي يَشْتَكِي سِنَّهُ ؛ من النَّقْدِ ، وهو فسادٌ في الأَضْرَاسِ يَخْرِقُها ، وصاحبُهُ لا يَنامُ .

● **فائدة** : وممَّا جُرِّبَ لِوَجَعِ الضِّرْسِ ، أَنْ يُكتبَ ويُحملَ ، قولهُ تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨ ـ ٧٩] محوصه سمه ولها ولا حول ولا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ جهكر طكفوم طسم طس طسم حم حم حم حم حم حم حم اسكُنْ أَيُّها الوَجَعُ بالذِي سَكَنَ له مَا ﴿ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١٣] اليقس تقس قسا مسقس إِنَّ البهر بهرهرا وراب .

● ويُكتبُ لوجعِ الضِّرْسِ أَيْضاً على جدارٍ هذه الأَحرف وهي : ح ب ر ص لا و ع م لا ، وتأمرُ الموجُوعَ أَنْ يَضَعَ أُصبعَه على الضِّرْسِ الضَّارِبِ ، ويكون ذلكَ في حالِ ضَرَبَانِه ، وتضعُ مِسماراً على أَوَّلِ حَرْفٍ من الحُرُوفِ المتقدِّمةِ ، وَتَدُقُّ عليه دَقّاً خفيفاً ، وأَنْتَ تَقْرَأُ ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ [الفرقان : ٤٥] ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١٣] في حالتَيْ الدَّقِّ والكِتابَةِ ؛ فإِذا عَلِقَ رأْسُ المِسمارِ يَسيراً ، سَلْهُ : هل سَكَنَ الوَجَعُ ؟ فَإِنْ قال : نعم ؛ فَبَلِّغِ المِسْمَارَ بالدَّقِّ إِلى قُرْصِهِ ؛ وإِنْ قَالَ : لا ، فانقلِ المِسْمَارَ إِلى الحَرْفِ الثَّانِي ، وافْعَلْ مَا تقدَّمَ ذكرهُ ، ولا تَزالُ تنقلُه حَرفاً حَرفاً إِلى آخِرِ الحروفِ ، ففي أَيِّ حرفٍ سكَنَ الوَجَعُ ، فَبَلِّغِ المِسمارَ فيه بالدَّقِّ

---

(١) ليس هذا من قول الميداني في مجمع الأَمثال ، بل هو من قول الزمخشري في المستقصى ٢/ ٤ .

إِلى قُرْصِهِ ، فإِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَسْكُنَ الوَجَعُ في حرفٍ منها ، كما جُرِّبَ مِراراً ؛ وما دَامَ المِسمارُ مدقوقاً ، دامَ الوَجَعُ ساكِناً ؛ فإِذا قُلِعَ المِسْمَارُ ، عادَ الوَجَعُ ؛ والنُّقَطُ الحُمْرُ في الحُرُوفِ موضعُ وَضْعِ المِسْمَارِ[1] ؛ وهو سِرٌّ عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ صَحِيحٌ .

وقد نَظَمَ ذلك بعضُ الفُضَلاءِ في أَبياتٍ ، وهي : [من الطَّويل]

وَلِلضِّرْسِ فاكْتُبْ في الجِدَارِ مُفَرَّقاً ... بِمَـا جَمْعُـهُ حَبَّـرَ صَـلاًّ وعَمَّـلا
وَمُرْهُ على المَوجُوعِ يَجْعَلُ إِصْبَعاً ... وَضَعْ أَنْتَ مِسْمَاراً على الحَرْفِ أَوَّلا
وَدُقَّ خَفِيفـاً ثـمَّ سَلْـهُ تَـرَى بِـهِ ... سُكوناً ؟ نَعم إِنْ قالَ بَلِّغْهُ مُوصَلا
وإِن قال : لا ، فانْقُلْهُ ثاني حُروفِهِ ... وفي كُلِّ حَرْفٍ مِثْلَ ما قُلْتُ فافْعَلا[2]
وَفِـي سُـورَةِ الفُـرْقَـانِ تَقْـرَأُ ساكِنـاً ... كَـذَا آيَـةَ الأَنْعَـامِ فـاتْـلُ مُـرَتَّـلا
وَتَتْرُكُ ذَا المِسْمَارَ في الحَيْطِ مُثْبَتاً ... مَدىٰ الدَّهْرِ فالأَسْقَامُ تَذْهَبُ والبلا
فَخُـذْهَـا أَخِـي كَنْـزاً لَـدَيْكَ مُجَرَّبـاً ... ذَخِيْرَةَ أَهْلِ الفَضْلِ من خِيْرَةِ المَلا

● وقد أَحسنَ الأَميرُ أُسامة بن منقذٍ ، حيثُ قال مُلْغِزاً في ضِرْسِهِ ، وقد قَلَعَهُ[3] : [من البسيط]

وَصـاحِـبٍ لا أَمَـلُّ الـدَّهْـرَ صُحْبَتَـهُ ... يَسْعَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصاحَبْنا ، فَمُذْ وَقَعَتْ ... عَيْنِـي عَلَيْـهِ افْتَـرَقْنَـا فُـرْقَـةَ الأَبَـدِ

● ولهُ أَيْضاً في الصَّبْرِ[4] : [من البسيط]

اصْبِرْ إِذا نَابَ خَطْبٌ وانْتَظِرْ فَرَجاً ... يَأْتِي بِهِ اللهُ بَعْدَ الرَّيْثِ والياسِ[5]

---

(١) لم تظهر النُّقط الحمر في النُّسخ المعتمدة .
(٢) في أ : × . . . . ما قلت أَوَّلاً .
(٣) ديوانه ١٥٣ ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٦٠ .
(٤) ديوانه ٣٠٢ .
(٥) في أ ، ط : × . . . بعد الريب والياس . والمثبت من الديوان .

إنَّ اضْطِبَارَ ابْنَةِ العُنْقُودِ إذْ حُبِسَتْ   في ظُلْمَةِ القارِ أَدَّاها إلى الكَاسِ[1]

● وله أيضاً فيه[2] : [من المنسرح]

مَــنْ رُزِقَ الصَّبْــرَ نَــالَ بُغْيَتَــهُ   وَلاحَظَتْــهُ السُّعــودُ فــي الفَلَــكِ[3]

إنَّ اضْطِبَــارَ الــزُّجــاجِ حِيْــنَ بَــدَا   لِلسَّبْـكِ أَدْنَـاهُ مِـنْ فَـمِ المَلِـكِ[4]

٣٣ الأَنْكَلَيْسُ : بِفَتْحِ الهَمْزَةِ واللاَّمِ ، وكَسْرِهما معاً : سَمَكٌ شَبيهٌ بالحَيَّاتِ ، رَديءُ الغذاءِ ، وهو الذي يُسَمَّى الجِرِّيّ ، الآتي في « باب الجِيمِ » إنْ شاءَ اللهُ تَعالى ؛ وَيُسَمَّى المارماهي[5] ؛ وسيأتي إن شاء الله تعالى في « باب الصّاد » ، في لفظ « الصَّيد » فإن البخاري ذَكرهُ في « صحيحه »[6] .

● وفي حديث عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ بَعَثَ عَمَّاراً إلى السُّوقِ ، فقال : لا تَأْكُلُوا الأَنْكَليس من السَّمك ؛ وإنَّما كَرِهه لِما تَقَدَّم ، لا لأَنَّه حرامٌ .

وفيه لُغتان : الأَنكليس والأَنْقَليس ، بفَتْحِ الهَمزةِ واللاَّم ، ومنهم مَنْ يَكْسِرُهما .

قال الزَّمخشري : وقيل : إنَّهُ الشِّلْقُ .

وقال ابنُ سِيْدَه : هو على هيئةِ السَّمَكِ ، صَغيرٌ ، لَهُ رِجْلانِ عِنْدَ ذَنَبِهِ كَرِجْلَي الضِّفْدَعِ ، وَلا يَدَ لَهُ ، يكونُ في أَنْهارِ البَصرَةِ ، وليسَ لَفْظُهُ عَربيّاً[7] .

---

(١) في أ : × في ظلمة الغار . . .

(٢) ديوانه ٣٠٤ .

(٣) في ط : من يرزق . . . × .

(٤) في أ : إنَّ اصطبار الزّجاج للسَّبكِ في الـ   نيرانِ أدناه من فم الملكِ .

(٥) الحيوان للجاحظ ٤/ ١٢٩ و٢٣٤ وعجائب المخلوقات ٩٩ واللسان (انقلس) .

(٦) البخاري ٦/ ٢٢٣ (كتاب الذبائح ، باب قول الله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [المائدة : ٩٦] . وفيه قول ابن عبَّاس : والجِرِّيُّ لا تأكله اليهود ، ونحن نأكله .

(٧) اللسان (شلق) .

٣٤ الأُنَن : بِضَمِّ الهَمْزَةِ ، وبالنُّونَيْنِ : طائرٌ يضربُ إلى السَّوادِ ، وله طوقٌ كطَوْقِ الدُّبسيِّ ، أَحمرُ الرِّجلين والمِنْقَارِ ، مثلُ الحمامَةِ إلاَّ أَنَّهُ أَسودُ ؛ وصَوْتُهُ أَنينٌ أَوه أَوه ؛ حكاه في « المحكم »(١) .

٣٥ الأَنِيس : وَتُسَمِّيه الرُّماةُ : الأَنيسةُ ، طائرٌ حادُّ البَصَرِ ، يُشبهُ صَوْتُهُ صَوْتَ الجَمَلِ ، وَمَأْوَاهُ قُربَ الأَنْهَارِ ، والأَماكنِ الكثيرةِ المياهِ ، المُلْتَفَّةِ الأَشْجَارِ ؛ وله لَوْنٌ حَسَنٌ ، وتَدبيرٌ في مَعاشِهِ(٢) .

● قال أَرسطُو : إِنَّهُ يَتَولَّدُ من الشِّقِرَّاقِ والغُرابِ ، وذلك بَيِّنٌ في لَوْنِهِ .

وهو طائِرٌ يُحِبُّ الأُنْسَ ، ويقبلُ الأَدبَ والتَّربيةَ ؛ وفي صَفيرِهِ وَقَرْقَرَتِهِ أَعاجِيبُ ، وذلكَ أَنَّهُ رُبَّما أَفصحَ بالأَصْوَاتِ كالقُمْرِيِّ ، وَرُبَّما أَفهم كَحَمْحَمَةِ الفَرَسِ ؛ وغذاؤُهُ الفاكهةُ واللَّحْمُ وغير ذلك ؛ وَيَأْلَفُ الغِياضَ .

الحُكم : يحلُّ أَكلُهُ لأَنَّهُ من الطَّيِّباتِ ؛ ويَنْبَغِي أَنْ يُخَرَّجَ فِيهِ وَجْهٌ بالحُرْمَةِ لِأَكْلِهِ اللَّحْمَ ، ولسَبب تولُّدِهِ من الغُرابِ والشِّقِرَّاقِ .

٣٦ الأَنُوقُ : على فَعول : الرَّخَمَةُ ، أَوْ طائِرٌ أَسودُ ، لَهُ شيْءٌ كالعُرْفِ ، أَوْ أَصْلَعُ الرَّأْسِ ، أَصْفَرُ المِنْقارِ .

قيل : إِنَّ في أَخلاقِها أَربعُ خِصالٍ : تَحضُنُ بَيْضَها ، وتَحْمِي فَرْخَها ، وَتأْلَفُ وَلَدَها ، ولا تُمَكِّنُ من نَفْسِها غَيْرَ زَوْجِها(٣) .

● وفي المَثَلِ : « أَعَزُّ من بَيْضِ الأَنُوقِ » و« أَبْعَدُ من بَيْضِ الأَنُوقِ »(٤) ،

---

(١) اللسان (أنن) .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٤٦ .

(٣) اللسان (أَنق) والصحاح ٤/ ١٤٤٧ وحيوان الجاحظ ٧/ ١٩ وزهر الأَكم ١/ ١٩٦ .

(٤) الميداني ١/ ٧٦ و١١٥ و٢/ ٤٤ والزمخشري ١/ ٢٤ و٢٤٥ والعسكري ١/ ٢٣٨ و٢/ ٦٤ والدرة الفاخرة ٢/ ٤٤٧ وأَمالي القالي ١/ ١٢٨ وأَمثال أَبي عبيد ٣٧١ وثمار القلوب ٢/ ٧١٧=

فلا يَكادُ يُظْفَرُ بِهِ ، لأَنَّ أَوْكَارَها في رُؤُوسِ الجِبالِ والأَماكِنِ الصَّعْبَةِ ، وهي تُحَمَّقُ مع ذَلِكَ ؛ قال الشَّاعِرُ[1] : [من الوافر]

وَذَاتُ اسْمَيْــنِ والأَلْــوانُ شَتَّــى تُحَمَّــقُ وهــيَ كَيِّسَــةُ الحــوَيْــلِ

● وقال غيرُه[2] : [من الطويل]

وَكُنْـتُ إِذا اسْتُـوْدِعْـتُ سِـرَّاً كَتَمْتُـهُ كَبَيْـضِ أَنُـوقٍ لا يُنَـالُ لَهـا وَكْـرُ

● وقال[3] رجلٌ لمعاوية : زَوِّجْنِي هِنْداً ـ يعني أُمَّهُ ـ فقال : إِنَّها قَعدَتْ عَنِ الوَلَدِ ، فَلا حاجَةَ لَها إِلى الزَّواجِ . قال : فَوَلِّنِي ناحيةَ كذا ، فأَنشد مُعاويةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[4] : [من الخفيف]

طَلَــبَ الأَبْلَــقَ العَقُــوقَ فَلَمَّــا أَعْجَــزَتْــهُ أَرادَ بَيْــضَ الأَنُــوقِ

ومعناه : أَنَّهَ طَلَبَ ما لا يَكونُ ، فلمَّا لَمْ يَجِدْهُ طلبَ مَا لا يُطْمَعُ في الوُصُولِ إِليهِ ، وهو مع ذلكَ بعيدٌ ؛ كَذَا قاله جماعةٌ ممَّن تكلَّم على الأمثالِ ، وهو غلطٌ ؛ لأَنَّ أُمَّ مُعاويةَ ماتَتْ في المحرَّم ؛ سَنَةَ أَربعَ عَشرةَ ، في اليوم الذي ماتَ فِيهِ أَبو قُحافةَ والدُ أَبي بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما[5] .

والصَّوابُ الذي في « نهايَةِ ابن الأَثيرِ » وغيرها[6] : أَنَّ رَجُلاً قال لمعاويةَ

= وكامل المبرد ٢/ ٨٣١ ومجالس ثعلب ٥١٩ وحيوان الجاحظ ٣/ ٥٢١ وزهر الأَكم ١/ ١٩٥ .

(١) البيت للكميت في ديوانه ١/ ٣٦٢ وبلا نسبة في زهر الأَكم ١/ ١٩٦ . والحويل : الحيلة .

(٢) البيت بلا نسبة في ثمار القلوب ٢/ ٧١٧ والمستقصى ١/ ٢٤ وزهر الأَكم ١/ ١٩٥ .

(٣) الخبر بهذه الرواية في سمط اللآلي ١/ ٣٧٠ وزهر الأَكم ١/ ١٩٦ والإصابة ٨/ ٣٤٧ والتنبيه للبكري ٥٠ .

(٤) البيت في مظان الخبر والمصون ١٣٠ وفاضل المبرد ٤٦ ونظام الغريب ٢٠٧ بلا نسبة .

(٥) وكذا تنبّه إلى هذا اليوسي في زهر الأَكم ١/ ١٩٦ ؛ وانظر ترجمة هند وتاريخ وفاتها في أُسد الغابة ٧/ ٢٩٣ (رقم ٧٣٤٢) والإصابة ٨/ ٣٤٧ (رقم ١١٨٦٠) .

(٦) الخبر بهذه الرواية في الحيوان ٣/ ٥٢٢ وكامل المبرد ٢/ ٨٣١ وثمار القلوب ٢/ ٧١٨ =

رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : افرضْ لي ، قال : نعم ؛ قال : ولوُلدي ؛ قال : لا ؛ قال : ولعشيرتي ؛ قالَ : لا ؛ ثمَّ تَمَثَّلَ معاوية رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بقَولِ الشَّاعر : طَلَبَ الأَبْلَقَ العَقوقَ إلى آخرهِ .

والعَقوقُ : الحامِلُ من النُّوقِ ؛ والأَبلقُ؛ من صِفاتِ الذُّكُورِ ، والذَّكَرُ لا يَحْمِلُ ؛ فَكَأَنَّهُ قال : طَلَبَ الذَّكَرَ الحامِلَ ؛ وَبَيْضُ الأَنُوقِ : مَثَلٌ يُضْرَبُ للَّذِي يَطلبُ المُحالَ المُمتَنِعَ .

وقال السُّهَيليُّ في أَوائِلِ « الرَّوضِ » : الأَنُوقُ : الأُنْثَى من الرَّخَمِ ؛ يُقالُ في المثل : أَرادَ بيضَ الأَنُوقِ ؛ إِذا طلبَ ما لا يوجدُ ، لأَنَّها تَبِيضُ حيثُ لا يُدْرَكُ بيضُها في شَواهِقِ الجِبالِ ؛ وهذا قول المبرّد في « الكامل » ؛ ولم يُوافَقْ عليه ؛ فقد قال الخليلُ : الأَنوقُ : الذَّكَرُ من الرَّخَمِ ، وهذا أَشْبَهُ بالمعنى ، لأَنَّ الذَّكَرَ لا يَبِيضُ ، فَمَنْ أَرادَ بيضَ الأَنُوقِ ، فقد أَرادَ المُحالَ ، كَمَنْ أَرادَ الأَبْلَقَ العَقوقَ .

وقال القالي في « الأَمالي » : الأَنُوق : يقعُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى من الرَّخَمِ .

وحُكم الأَنُوقِ يأْتِي إِنْ شاءَ الله تعالى في « باب الرَّاء » في « الرَّخَمَة » .

● **تَتِمَّةٌ** : السُّهَيْلِيُّ[1] : اسْمُهُ عبدُ الرَّحمنِ بن عبد الله السُّهَيْلِيُّ ، الخَثْعَمِيُّ ، الإِمامُ المشهورُ .

قالَ أَبو الخَطَّابِ بن دِحْيَةَ : أَنْشَدَنِي السُّهيليُّ أَبْياتاً ، وقال : مَا سَأَلَ اللهَ

= والنهاية لابن الأَثير ١/ ٧٧ والدُّرَّة الفاخرة وجمهرة العسكري والروض الأُنف ١/ ١٢٧ .

(١) **ترجمته في** : أَعلام مالقة ٢٥٢ وإِنباه الرواة ٢/ ٢٦٢ والوافي بالوفيات ١٨/ ١٧٠ . واسمه عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أَحمد بن أَصبغ . . . المالقي الأَندلسي .
وفي ط : عبد الرَّحمن بن محمد ! وفي أ : عبد الرحمن أَبو محمد ! .

تعالى بها أَحَدٌ حاجَةً إلا قَضَاها . وفي رِوايةٍ إلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ إيَّاها ، وكذَلِكَ مَنِ اسْتَعْمَلَ إِنْشَادَها ؛ وهي[1] : [من الكامل]

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ ويَسْمَعُ ... أَنْتَ المُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرجَّى لِلشَّدائِدِ كُلِّها ... يَا مَنْ إِلَيْهِ المُشْتَكَى والمَفْزَعُ
يَا مَنْ خزائِنُ رِزْقِهِ في قَوْلِ : كُنْ ... امنُنْ فإِنَّ الخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيْلَةٌ ... فَبالافْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيْلَةٌ ... فَلَئِنْ رَدَدْتَ فَأَيَّ بابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ الذِي أَدْعُو وأَهْتِفُ باسْمِهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنِ فَقيرِكَ يُمْنَعُ
حاشَا لِجُودِكَ أَنْ تُقَنِّطَ عاصِياً ... فَالفَضْلُ أَجْزَلُ والمَواهِبُ أَوْسَعُ

وَكانَ السُّهَيْليُّ مَكفوفَ البَصَرِ ، تُوفي سنةَ إِحدى وثَمانِينَ وخَمسمئة ، رحمهُ الله تعالى ، والله الموفِّقُ للصَّواب .

٣٧ الإِوَزُّ : بِكَسْرِ الهَمْزَةِ ، وَفَتْحِ الواوِ : البَطُّ ، واحِدَتُهُ إِوَزَّةٌ ، وجَمعوهُ بالواو والنُّونِ ، فقالوا : إِوَزُّونَ ؛ وقد أَجادَ في وَصْفِها أَبو نُواسٍ ، حَيْثُ قال[2] : [من الرجز]

كَأَنَّمَا يَصْفِرْنَ مِنْ مَلاعِقِ ... صَرْصَرَةُ الأَقْلامِ في المَهارِقِ

● وأَبو نُواسٍ[3] : شاعِرٌ ماهِرٌ ، وهو من شُعراءِ الدَّولة العبَّاسيَّة ، ولَهُ أَخبارٌ عَجِيبةٌ ، ونُكَتٌ غَرِيبَةٌ ، وخَمريَّاتٌ أَبْدَعَ فيها ؛ واسْمُهُ الحسن بن

---

(١) الأَبيات في الوافي بالوفيات ١٨/ ١٧٢ ونكت الهميان ١٨٨ وبغية الوعاة ٢/ ٨١ ونفح الطيب ٢/ ١٠٢ والمستطرف ٣/ ٢٧٦ والمحاضرات والمحاورات المنسوب للزمخشري (نسخة الظاهرية ١٠٧ ب) .

(٢) ديوانه ٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ (فاغنر) .

(٣) ترجمته في : الأَغاني ٢٠/ ٦٠ ووفيات الأَعيان ٢/ ٩٥ وتاريخ بغداد ٨/ ٤٧٥ ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٧٧ وأَخباره لأَبي هفَّان وطبقات ابن المعتز ١٩٣ وسير أَعلام النبلاء ٩/ ٢٧٩ .

هانىء بن عبد الأَوَّل .

قال ابنُ خلّكان في ترجمة أَبي نُواسٍ : قال المأْمُونُ : لو وَصَفَتِ الدُّنْيا نَفْسَها ، لَمَا وَصَفَتْ بِمِثْلِ قَوْلِ أَبي نُواسٍ[1] : [من الطَّويل]

أَلا كُلُّ حَيٍّ هالِكٌ وابْنُ هالِكٍ وَذُو نَسَبٍ في الهالِكِينَ عَرِيقِ
إذا امْتَحَنَ الدُّنْيا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ في ثِيابِ صَدِيقِ

● قالَ : وَمِنْ أَحْسَنِ ما أَتَى بِهِ من المعانِي وأَغربِها ، ويَدُلُّ على حُسْنِ ظَنِّه بالله تعالى ، قولُه[2] : [من الوافر]

تَكَثَّرْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الخَطَايَا فَإِنَّكَ بَالِغٌ رَبّاً غَفُورا
سَتُبْصِرُ إن وَرَدْتَ عليهِ عَفْواً وَتَلْقَى سَيِّداً مَلِكاً كَبِيراً
تَعَضُّ نَدامَةً كَفَّيْكَ مِمَّا تَرَكْتَ مَخافَةَ النَّارِ الشُّرُورَا

● قال محمَّد بن نافع[3] : رَأَيْتُ أَبا نُواسٍ في المنامِ بعدَ مَوتِهِ ، فقُلْتُ : يَا أَبَا نُواسٍ ؛ فقال : لاتَ حِينَ كُنْيَة ؛ فقلتُ : الحسن بن هانىء ؟ قال : نعم ؛ قلتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قال : غَفَرَ لِي ، بِأَبْيَاتٍ قُلْتُها في عِلَّتِي قبلَ مَوْتِي ، هِيَ تَحْتَ الوِسادَةِ .

قال : فأَتَيْتُ أَهلَهُ ، فقلتُ : هل قالَ أَخِي شِعْراً قبلَ مَوْتِهِ ؟ قالوا : لا نعلمُ ، إلاَّ أَنَّهُ دَعَا بِدَواةٍ وقِرطاسٍ ، وكتبَ شَيْئاً لا نَدْرِي مَا هو . قال : فدخلتُ ، فرفعتُ وسادَتَه ، فإذا أَنَا بِرُقْعَةٍ مَكتوبٍ فِيها[4] : [من الكامل]

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

---

(١) ديوانه ٢/ ١٥٩ (فاغنر) .
(٢) ليست في ديوانه ، وهي في وفيات الأعيان ٢/ ٩٨ .
(٣) ابن خلكان ٢/ ١٠٢ .
(٤) ديوانه ٢/ ١٧٣ (فاغنر) .

إنْ كَـانَ لا يَـرْجُـوكَ إلاّ مُحْسِـنٌ فَمَنِ الذِي يَدْعُو وَيَرْجُو المُجْرِمُ
أَدْعُـوكَ رَبِّ كَمَـا أَمَـرْتَ تَضَـرُّعـاً فـإذا رَدَدْتَ يَـدِي فَمَـنْ ذا يَـرْحَـمُ
مَـا لِـي إلَيْـكَ وَسِيلَـةٌ إلاّ الـرَّجـا وجَمِيـلُ عَفْـوِكَ ثـمَّ إنِّـي مُسْلِـمُ

قال[1] : وسُئِلَ أَبُو نُواسٍ عن نَسَبِهِ ، فقال : أَغْنَانِي أَدَبِي عن نَسَبِي .

وتوفي سَنَةَ أَربعٍ وتسعينَ ومئة[2] .

● والإِوَزُّ[3] يُحِبُّ السِّبَاحَةَ ، وفَرْخُهُ يخرجُ من البيضةِ فيَسبحُ في الحالِ ؛ وإذا حَضَنَتِ الأُنْثَى ، قام الذَّكَرُ يَحرسُها ، لا يُفارِقُها طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وتَخْرُجُ أَفْرَاخُها في أَواخِرِ الشَّهْرِ .

● رَوَى الإِمام أَحمد في « المناقب » عن الحَسَنِ بن كَثيرٍ ، عن أَبيه ـ وكان قَدْ أَدْرَكَ عليّاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ـ قال[4] : خَرَجَ عليٌّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه إلى صَلاةِ الفَجْرِ ، فإذا إِوَزٌّ يَصِحْنَ في وَجْهِه ، فطَردوهنَّ ، فقالَ : دَعوهنَّ ، فإِنَّهُنَّ نَوائِحُ ، فَضرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ ، فقلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، خَلِّ بَيْنَنَا وبَيْنَ مُرادٍ ، فلا تَقومُ لهم ثاغِيَةٌ ولا راغِيَةٌ أَبَداً ؛ فقال : لا ، ولكن احبِسُوا الرَّجلَ ، فإِنْ أَنا متُّ فاقتُلوه ، وإِنْ أَعِشْ فالجُروحُ قِصاصٌ . انتهى .

● وسببُ ذلك ـ على مَا ذَكرهُ ابن خلّكان وغيره[5] ـ : أَنَّهُ اجتَمَعَ قومٌ من

---

(١) ابن خلكان ٢/ ٩٦ . والسَّائل هو الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر .

(٢) كذا . وقال الخطيب في تاريخ بغداد : وتوفي في سنة خمس ، وقيل : ستٍّ ، وقيل : ثمانٍ وتسعين ومئة ببغداد .

(٣) عن عجائب المخلوقات ٢٦٩ ، وسيكرر في نهاية الترجمة .

(٤) مقتل أَمير المؤمنين ٢٧ ومختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٨٨ والبداية والنهاية ١١/ ١٢٦ .

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ١٤٣ والكامل في التاريخ ٣/ ٣٨٨ والبداية والنهاية ١١/ ١٢ و١٨ وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٣ ومختصراً في مقتل أَمير المؤمنين ٣٢ ووفيات الأَعيان ٧/ ٢١٨ وتاريخ الخلفاء ٢٠٨ .

الخوارِجِ ، فتذاكَرُوا أَصحابَ النَّهروان[1] وتَرَحَّمُوا عليهم ، وقالوا : مَا نَصْنَعُ بالبقاءِ بعدَهم ؟ فتحَالفَ عبدُ الرَّحمنِ بن مُلْجَمٍ والبُرَكُ بن عبدِ الله ِوعَمرو بن بَكر التَّميميّ على أَنْ يأْتِيَ كلُّ واحدٍ منهم واحداً من عليٍّ ومُعاوية وعَمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم ، فقال ابنُ مُلْجَمٍ ـ وهو أَشْقَى الآخرين ـ : أَنَا أَكْفِيكُمْ عليَّ بن أَبي طالبٍ ؛ وقال البُرَكُ : وأَنا أَكْفِيكُمْ مُعاوية ؛ وقال عمرو بن بَكر : وأَنا أَكفيكُمْ عَمرو بن العاص ؛ ثمَّ سَمُّوا سُيُوفَهم ، وتَوَاعَدُوا لسبعَ عشرةَ ليلةً خلَتْ مِنْ رَمَضَان ، فدَخَلَ ابنُ مُلْجَمٍ الكوفةَ ، فرأَى امرأَةً حَسْنَاءَ يُقالُ لِها : قَطام ، كان عليُّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قَدْ قَتَلَ أَباها وأَخاها يوم النَّهروان ، فَخَطَبَها ، فقالَتْ : لا أَتَزَوَّجُكَ حتَّى أَشترِطَ . قال : وما شَرْطُكِ ؟ قالت : ثلاثةُ آلافٍ ، وعَبْدٌ ، وَوَصِيفَةٌ ، وَقَتلُ عليٍّ . فقال لها : وكيفَ لِي بقَتْلِ عليٍّ ؟ فقالت : ترومُ ذلكَ غِيْلَةً ، فإِنْ سَلِمْتَ أَرَحْتَ النَّاسَ من شَرِّهِ ، وَأَقَمْتَ مع أَهلكَ ؛ وإِنْ أُصِبْتَ خَرجْتَ إِلى الجَنَّةِ ونَعيمٍ لا يَزولُ ؛ فأَنْعَمَ لها . وقال : مَا جِئْتُ إِلاَّ لِقَتْلِهِ .

ثمَّ أَقْبَلَ ابْنُ مُلْجَمٍ حتَّى جلسَ مُقابِلَ السُّدَّةِ التي يخرجُ منها عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه إِلى الصَّلاةِ ، فلمَّا خَرَجَ لِصَلاةِ الفَجْرِ ، ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ على صَلْعَتِهِ ، فقال رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : فُزْتُ ورَبِّ الكعبةِ ، شَأْنَكم بالرَّجلِ فَخُذُوهُ ؛ فَحَمَلَ ابْنُ مُلْجَمٍ على النَّاسِ بِسَيْفِهِ ، فأَفرجُوا له ، وتَلَقَّاهُ المُغيرةُ بن نَوفل بن الحارِث بن عبد المُطَّلِب بقَطِيفَةٍ ، فَرَمَى بِهَا عَلَيْهِ ، واحتَمله فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ ، وجَلَسَ على صَدْرِهِ .

قالوا : وأَقامَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يومين ، وماتَ ؛ وقتَلَ الحَسَنُ بن عليٍّ

---

(١) النَّهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط ، من الجانب الشرقي . (معجم البلدان ٥/ ٣٢٤) .

عبدَ الرَّحْمَنِ بن مُلْجَمٍ ؛ فاجْتَمَعَ النَّاسُ وأَحْرَقُوا جُثَّتَهُ .

وأَمَّا : البُرَكُ : فإِنَّهُ ضَرَبَ مُعاوِيةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فأَصابَ أَوْراكَهُ ، وكانَ مُعاوِيةُ عَظِيمَ الأَوْرَاكِ ، فَقَطَعَ مِنْهُ عِرْقَ النِّكاحِ ، فَلَمْ يُولَدْ لَهُ بعدَ ذَلِكَ ، فلمَّا أُخِذَ قال : الأَمانَ والبِشارَةَ ، فَقَدْ قُتِلَ عليٌّ في هَذِهِ اللَّيْلَةِ ؛ فاسْتَبْقاهُ حتَّى جاءَهُ الخبرُ بِذَلِكَ ، فَقَطَعَ معاويةُ يَدَهُ ورِجْلَهُ وأَطلَقَهُ ، فَرَحَلَ إِلى البَصرةِ ، وأَقامَ بِها حتَّى بَلَغَ زيادَ بن أَبيهِ أَنَّهُ وُلِدَ لَهُ ، فقال : أَيُولَدُ لَهُ وأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لا يُولَدُ له ؟ فَقَتَلَهُ .

قالوا : وأَمَرَ مُعاويةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ باتِّخاذِ المقصورةِ من ذلك الوقتِ .

وأَمَّا ابن بكرٍ : فإِنَّهُ رَصَدَ عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ تعالى عنه ، فاشتَكَى عمرٌو بطنَه ، فَلَمْ يخرجْ للصَّلاةِ ، فَصَلَّى بالنَّاسِ رَجُلٌ من بَنِي سَهْمٍ ، يُقال لَهُ : خارِجَة ؛ فَضَرَبَهُ ابنُ بَكْرٍ فقتَلَهُ ؛ فأُخِذَ ابْنُ بَكْرٍ ، فلمَّا دَخَل على عَمرٍو رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، ورآهُمْ يُخاطِبُونَهُ بالإِمارة ، قال : أَوَ مَا قَتَلْتُ عَمراً ؟ قيل له : إِنَّما قَتلتَ خارجةَ . قال : أَردتُ عَمراً ، وأَرادُ الله خَارجةَ ؛ فَقَتَلَهُ عَمرو رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ .

وقيل : إِنَّ عليَّاً رَضِيَ اللهُ عنه ، كان إِذا رأَى ابْنَ ملجمٍ يتمثَّلُ ببيتِ عمرو ابن مَعدي كربِ بن قيس بن مَكْشُوح المُرادي ، وهو قولُه[1] : [من الوافر]

أُرِيــدُ حَيــاتَــهُ ويُــرِيــدُ قَتْلِــي   عَــذِيــرَكَ مَــنْ خَلِيلِــكَ مِــن مُــرَادِ

فقيل لعليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : كَأَنَّكَ عَرَفْتَهُ ، وعرفْتَ مَا يُرِيدُ ، أَفلا تقتلُه ؟ قال : كيفَ أَقتلُ قاتِلي ؟ .

ولمَّا انتهى إِلى عائشة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهَا قَتْلُ عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ،

---

(١) ديوانه ١١١ ومقتل أمير المؤمنين ٤٤ و٨٠ . وهو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله بن عمرو ابن عصم بن عمرو بن زبيد الأصغر ؛ لا كما ذكر المؤلف أعلاه .

قالت[١] : [من الطَّويل]

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا واسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَـا قَـرَّ عَيْنـاً بـالإيـابِ المُسـافِـرُ

● وعليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَوَّلُ إمامٍ خَفِيَ قَبْرُهُ .

قيل[٢] : إنَّ عليّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَوْصَى أَنْ يَخْفَى قَبْرُهُ لِعِلْمِهِ أَنَّ الأَمْرَ يَصيرُ إِلى بَنِي أُمَيَّةَ ، فَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يُمَثِّلُوا بِقَبْرِهِ .

وقد اختُلف في قَبْرِهِ ، فقيل : في زاوِيَةِ الجامِعِ بالكُوفَةِ ؛ وقيل : في قصرِ الإمارَةِ بها ؛ وقيل : بالبَقِيعِ ، وهو بَعيدٌ ؛ وقيل : إِنَّهُ بالنَّجَفِ ، في المَشْهَدِ الذي يُزارُ اليَوْمَ .

وسَيأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى مَا ذَكَرَهُ ابنُ خلّكان في ذلك ، في « باب الفاء » ، في لفظ « الفهد » . واللهُ الموفِّق .

* * *

(١) البيت لمعقِّر بن حمار البارقي ، في معجم الشعراء ٩ ومَن اسمه عمرو ٧١ والمؤتلف والمختلف للآمدي ١٢٨ وتمام المتون ٣٦٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٧٩ والتذكرة الحمدونيّة ٨/ ١٢٦ .
وهو لأَحمر بن سالم المزني في بهجة المجالس ١/ ٢٢٨ . وفي بيان الجاحظ ٣/ ٤٠ ، لمضرّس الأَسدي .
ولابن عيينة المهلَّبي في محاضرات الراغب ٢/ ٦١٩ .
وبلا نسبة في مقاتل الطالبيين ٤٢ والبصائر والذخائر ٢/ ٢٤ وعيون الأَخبار ٢/ ٢٥٩ والعقد الفريد ٢/ ٣٠٣ و٦/ ١٥٠ والتمثيل والمحاضرة ٢٩٦ .
ونسب في اللسان (عصا) إلى معقر بن حمار ، أَو عبد ربه السُّلمي ، أَو سليم بن ثُمامة الحنفي .

(٢) مقتل أَمير المؤمنين ٧٢ ـ ٧٥ .

● **فائِدةٌ أَجْنَبِيَّةٌ** : ولمَّا كان الحَدِيثُ ذا شُجُونٍ ، وإِفادَةُ العِلْم تُحَقِّقُ للطَّالبينَ مَا يَرْجُونَ ، وتُجَدِّدُ لهم مَا يُنْسِي الخَلِيعَ أَيَّامَ المُجونِ ؛ أَحببتُ أَنْ أَذكرَ هٰهُنا فائِدةً غَريبةً ذكرَها المؤرِّخُون ؛ وهو أَنَّ كلَّ سادِسٍ قائمٍ بأَمْرِ الأُمَّةِ مَخلوعٌ[1] ، وها أَنا أَذكرُ مَا ذَكَرُوهُ ، وأَزيدُ عَليهِ قَدْراً يَسيراً من سِيرةِ كلِّ واحِدٍ منهم ، وأَيَّامِهِ ، وسببِ مَوتِهِ ، ومدَّةِ خلافتِهِ ، وعُمرِهِ ، لتكملَ بذلك الفائدةُ ، وتحصلَ الجدوى والعائدَةُ .

● قال المؤرِّخُون : إِنَّ أَوَّلَ قائِمٍ بأَمْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ : النَّبيُّ ﷺ ، بَعَثَهُ الله تعالى على فَتْرَةٍ من الرُّسُلِ رَحمةً للعالَمين ، فبلَّغَ الرِّسالةَ ، وجاهَدَ في اللهِ حقَّ جِهادِهِ ، ونَصَحَ الأُمَّةَ ، وعَبَدَ رَبَّهُ حتَّى أَتاهُ اليَقينُ ؛ فهو أَفْضَلُ الخَلْقِ ، وأَشْرَفُ الرُّسُلِ ، نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ، وإِمامُ المُتَّقِينَ ، وحامِلُ لواءِ الحَمْدِ ، وصاحِبُ الشَّفاعَةِ ، والمقامِ المحمودِ ، والحوضِ الموردِ ؛ آدمُ فَمنْ دونَه يَوْمَ القيامَةِ تَحْتَ لوائِهِ ؛ فهو خيرُ الأَنبياءِ ، وأُمَّتُهُ خَيْرُ الأُمَمِ ، وَأَصْحَابُهُ أَفْضَلُ النَّاسِ بعدَ الأَنبياءِ ، ومِلَّتُهُ أَشْرَفُ المِلَلِ ، له المُعْجِزَاتُ الباهِرَةُ ، والخُلُقُ العَظِيمُ ، والعقلُ الكامِلُ الجَسِيمُ ، والنَّسَبُ الأَشْرَفُ ، والجَمالُ المُطلقُ ، والكَرَمُ الأَوْفَرُ ، والشَّجاعَةُ التَّامَّةُ ، والحِلْمُ الزَّائدُ ، والعملُ الأَرفعُ ، والخَوْفُ الأَكْمَلُ ، والتَّقْوَى الباهِرَةُ ؛ فهو أَفْصَحُ الخَلْقِ ، وأَكملُهم في كلِّ صِفاتِ الكَمالِ ، وأَبْعَدُ الخَلْقِ عَنِ الدَّناءَاتِ والنَّقائِصِ ؛ وَفِيهِ قال الشَّاعِرُ : [من الكامل]

لَـمْ يَخْلُـقِ الـرَّحْمَـنُ مِثْـلَ مُحَمَّـدٍ   أَبَـداً وعِلْمِـي أَنَّـهُ لا يَخْلُـقُ

● قالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها[2] : « كان النَّبيُّ ﷺ إِذا كان في بَيْتِهِ ، في

---

(١) تاريخ الخلفاء ٣٥ ولطائف المعارف ١٤٧ .

(٢) الشفا للقاضي عياض ١٧٦ .

مِهنةِ أَهلهِ ـ أَي في خِدمتهم ـ وكان يفلي ثَوْبَهُ وَيَرْقَعُهُ ، ويَخْصِفُ نَعْلَهُ ، ويَخْدِمُ نَفْسَهُ ، ويَعْلفُ ناضِحَهُ ، ويَقُمُّ البيتَ ـ أَي يكنسه ـ ويَعقلُ البعيرَ ، ويأْكُلُ مع الخادِمِ ، ويَعجِنُ مَعَها ، ويَحملُ بِضاعَتَه من السُّوقِ » .

وكانَ عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ متواصلَ الأَحزانِ ، دائم الفِكرِ ليستْ له راحة .

● وقد قال عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : « سَأَلْتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن سُنَّتِه ؟ فقالَ : المَعرفةُ رأْسُ مالي ، والحبُّ أَساسي ، والشَّوْقُ مَركبِي ، وذِكْرُ الله أَنيسي ، والحُزْنُ رَفيقي ، والعِلْمُ سِلاحي ، والصَّبْرُ رِدائي ، والرِّضا غَنيمَتي ، والفَقْرُ فَخْرِي ، والزُّهْدُ حِرْفَتِي ، واليَقينُ قُوَّتِي ، والصِّدْقُ شَفيعي ، والطَّاعةُ حَسَبِي ، والجِهادُ خُلُقِي ، وَقُرَّةَ عَيْنِي في الصَّلاةِ » .

وأَمَّا حِلْمُهُ ﷺ وَجُودُهُ ، وشَجاعَتهُ ، وحَياؤُهُ ، وحُسْنُ عِشْرَتِه ، وَشَفَقَتُهُ ، وَرَأْفَتهُ ، ورَحمتُه ، وبِرُّهُ ، وَعَدْلُهُ ، وَوَقارُهُ ، وصَبْرُهُ ، وَهَيْبَتُهُ ، وثِقَتُهُ ، وبقيَّةُ خِصالِهِ الحميدةِ التي لا تَكادُ تُحْصَرُ ؛ فكثيرةٌ جدّاً ، فقد صَنَّفَ العلماءُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم في سِيرته وأَيَّامِه ومَبعثِهِ وغَزَواتِهِ وأَخلاقِهِ ومُعْجزاتِهِ ومَحاسِنِه وشَمائِلِهِ كُتُباً جَمَّةً ؛ ولو أَردنا ذِكْرَ قَدْرٍ يَسِيرٍ منها لجاءَ في مُجَلَّداتٍ كَثيرَةٍ ، وَلَسْنَا بِصَدَدِ ذَلِكَ في هَذا الكِتابِ .

قالُوا : وكانَتْ وفاتُهُ ﷺ بعد أَنْ أَكْمَلَ الله تَعالَى لنا دِيْنَنَا ، وأَتَمَّ عَلَيْنا نِعْمَتَهُ ، في وَسَطِ يوم الاثنينِ ، الثَّاني عَشَرَ من رَبيعِ الأَوَّلِ ، سَنَةَ إِحدى عَشرةَ ، وله ﷺ ثلاثٌ وسِتُّونَ سَنَةً ؛ وتَوَلَّى غَسْلَهُ ﷺ عليُّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ؛ ودُفن ﷺ في حُجْرَتِهِ التي بَناهَا لأُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنها .

خلافَةُ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[1]

● ثمَّ قام بالأَمرِ بعدَهُ ﷺ خليفتُه على الصَّلاةِ أَيَّامَ مَرَضِهِ ، وابْنُ عَمِّهِ الأَعلى ، ونَسيبُهُ ، وصِهْرُهُ ، ومُؤْنِسُهُ في الغارِ ، ووَزِيرُهُ ، وصَديقُه الأَكبرُ ، وخيرُ الخَلْقِ بَعْدَهُ : أَبو بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ .

بُويعَ بالخِلافَةِ في اليومِ الذي تُوفِّيَ فيه رِسولُ اللهِ ﷺ بسَقيفَةِ بَني ساعِدَة ـ ولذَلكَ قِصَّةٌ تركْناها لِطُولِها واشْتِهَارِهَا ـ فقامَ بالأَمرِ أَتَمَّ قيامٍ ، وفتحَ في دَولتِهِ اليَسيرةِ اليَمامة وأَطرافَ العراقِ وبعض مُدُنِ الشَّامِ .

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كبيرَ الشَّأْنِ ، زاهِداً ، خاشِعاً ، إِماماً ، حليماً ، وَقُوراً ، شُجاعاً ، صابِراً ، رَؤُوفاً ، عديمَ النَّظِيرِ في الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم .

ولمَّا ماتَ النَّبيُّ ﷺ ارْتَدَّتِ العربُ ، ومَنَعَتِ الزَّكاةَ ؛ فلمَّا استُخلِفَ الصِّدِّيقُ ، جَمعَ الصَّحابَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم ، وشاوَرَهُم في القِتالِ ، فاختلَفُوا عليه ، وقال لهُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : كيفَ تُقاتِلُ النَّاسَ ، وقد قَالَ رسولُ الله ﷺ : « أَمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولوا : لا إِلهَ إِلاَّ الله ، فَمَنْ قالَها فقد عَصَمَ منِّي دَمَهُ ومالَهُ إِلا بَحَقِّهِ ، وحِسابُه على اللهِ عزَّ وَجَلَّ » ؟ فقال الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : واللهِ لأُقاتِلَنَّ من فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ ، فإِنَّ الزَّكاةَ حَقُّ المالِ ، والله لو مَنَعُونِي عِقالاً كانُوا يُؤَدُّونَها رسولَ اللهِ ﷺ لَقاتلْتُهم على مَنْعِها . قال عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : فواللهِ مَا هوَ إِلاَّ أَن قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبي بَكْرٍ

---

(١) **ترجمته وأَخباره في** : طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٥ والمعارف ١٦٧ وحلية الأَولياء ١/ ٢٨ ومروج الذهب ٣/ ٢٩ وتاريخ الطبري ٣/ ٢٢٣ والمنتظم ٤/ ٥٣ وتاريخ دمشق جـ ٣٥ ـ ٣٦ ومختصره ١٣/ ٣٤ والكامل في التاريخ ٢/ ٣٢٥ ووفيات الأَعيان ٣/ ٦٤ والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٠٥ وتاريخ الخلفاء ٤٣ وشذرات الذَّهب ١/ ١٥٤ .

للقِتالِ ، فعرفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ .

وفي روايةٍ : قال عمر رَضِيَ اللهُ عنه : فقُلتُ : تَأَلَّفِ النَّاسَ ، وارفقْ بهِم ؛ فقالَ لِي : أَجَبَّارٌ في الجاهِلِيَّةِ ، وخَوَّارٌ في الإِسلامِ يَا عُمر ؟ إِنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الوَحْيُ وتَمَّ الدِّينُ ، أَيَنْقُصُ وأَنا حَيٌّ ؟ ثمَّ خَرَجَ لِقتالِهم .

● وَذَكَرَ جماعةٌ من المؤرِّخِينَ وغيرهم : أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان قَدْ وَجَّهَ أُسامةَ بن زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما في سَبعمئة بَطَلٍ إِلى الشَّامِ ، فلَمَّا نَزَلَ بِذِي خُشُبٍ[1] قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وارْتَدَّتِ العربُ ، فاجتمعَتِ الصَّحابةُ رَضِيَ الله عنهم ، وقالوا للصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : رُدَّ هؤُلاءِ ؛ أَي أَسامَةَ وَمَنْ مَعَهُ ، فقالَ : واللهِ الذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، لو جَرَّتِ الكِلابُ بأَرْجُلِ أَزواجِ النَّبيِّ ﷺ مَا رَدَدْتُ جَيْشاً جَهَّزَهُ رسولُ اللهِ ﷺ ، ولا حَلَلْتُ عَقْدَ لِواءٍ عَقَدَهُ رسولُ اللهِ ﷺ .

وفي روايةٍ : لَوْ عَلمْتُ أَنَّ السِّبَاعَ تجرُّ برِجْلي إِنْ لَمْ أَرُدَّهُ ، مَا رَدَدْتُه .

وأَمَرَ أُسامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يمضِيَ لِوَجْهه ، وقال له : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْذَنَ لعمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالمقامِ عندِي ، أَستَأْنِسُ بِهِ وأَستعِينُ برأْيِهِ ؟ فقال له أُسامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قد فعلتُ ؛ وسارَ أُسامةُ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ فَجعَلَ لا يَمُرُّ بقبيلةٍ تُريدُ الارْتِدَادَ ، إِلاَّ قالُوا : لَوْلا أَنَّ لهؤلاءِ قوَّةً مَا خَرَجَ مثلُ هذا الجيشِ من عِندهم ؛ فلقوا الرُّومَ فقاتلُوهم ، وهَزموهُم ، وقَتلوهم ، ورَجَعُوا سالمين .

● وعن عائشة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها قالَت : خرَجَ أَبي يَوْمَ الرِّدَّةِ ، شاهِراً سَيْفَهُ ، راكِباً راحِلَتَهُ ؛ فجاءَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه حتَّى أَخَذَ بزِمامِ راحِلَتِهِ ، وقال : أَقولُ لَكَ مَا قَالَ لَكَ رسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ : شِمْ سَيْفَكَ ، لا تَفْجَعْنا بِنَفْسِكَ ؛ فواللهِ لَئِنْ أُصِبْنَا بِكَ لا يَكُونُ للإِسلامِ بعدَكَ نِظامٌ أَبداً .

---

(١) ذو خُشُب : وادٍ على مسيرة ليلةٍ من المدينة . (معجم البلدان ٢/ ٣٧٢) .

ومعنى شِمْ : أَغْمِدْ .

● وقال ابن قُتيبة : ارْتَدَّتِ العربُ إلاَّ القليلِ منهم ، فجاهَدَهم الصِّدِّيقُ حتَّى استقامُوا ، وفَتَحَ اليَمامَةَ ، وقَتَلَ مُسيلمَةَ الكَذَّاب بِها ، والأَسودَ العَنْسِيَّ الكَذَّابَ بصَنْعاءَ ، وبَعَثَ الجيوشَ إِلى الشَّامِ والعِراقِ .

● وقالَ أَبو رَجاء العطارِدي : دخلتُ المدينةَ ، فَرَأَيْتُ النَّاسَ مُجتمعين ، ورأَيْتُ رَجلاً يُقَبِّلُ رَأْسَ رَجلٍ ، ويقولُ : أَنا فِداؤُكَ ، واللهِ لولا أَنْتَ لَهَلَكْنَا . فقلتُ : مَنِ المُقَبِّلُ والمُقَبَّلُ ؟ فقالُوا : عُمر يُقَبِّلُ رَأْسَ أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، من أَجْلِ قِتالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ .

● وقالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها : لَمَّا قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ ارتَدَّتِ العربُ، واشْرَأَبَّ النِّفاقُ، ونَزَلَ بأَبي مَا لَوْ نَزَلَ على الجِبالِ الرَّاسِيَاتِ لَهاضَها .

● وقال أَبُو هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : واللهِ الذي لا إِلَهَ إلاَّ هو ، لَوْ لَمْ يُسْتَخْلَفُ أَبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، ما عُبِدَ اللهُ تَعالَى . ثمَّ قال الثَّانيةَ . ثمَّ قالَ الثَّالثَةَ .

● قالُوا : وَكَانَ من اللِّيْنِ والتَّواضُعِ على جَانِبٍ عَظِيمٍ .

● وَلَمَّا مَرِضَ تَرَكَ التَّطَبُّبَ تَسْلِيْماً لأَمْرِ اللهِ تَعالى ، فعادَهُ الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم ، وقالُوا : أَلا نَدْعُو لَكَ طَبيباً يَنْظُرُ إِليكَ ؟ فقالَ : نَظَرَ إِليَّ . قالُوا : وما قَالَ لَكَ ؟ قالَ : قال لي : إِنِّي فَعَّالٌ لِما أُريدُ .

تُوفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لَيْلَةَ الثَّلاثاءِ ، بَيْنَ المغربِ والعِشاءِ ، لثمانٍ بقينَ من جُمادى الآخِرة ، سنةَ ثلاثَ عشرةَ من الهجرةِ ، وله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثلاثٌ وسِتُّونَ سَنَةً ؛ وكان سببُ مَوْتِهِ كَمَداً لَحِقَهُ على رسولِ اللهِ ﷺ مَا زَال يُذِيبُهُ ـ والكَمَدُ : الحُزْنُ المَكْتُومُ ـ ودُفِنَ في حُجْرَةِ عائِشةَ أُمِّ المؤمنين ، مع سيِّدنا رسولِ اللهِ ﷺ ؛ وكانَتْ خِلافَتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَنتين وثلاثَةَ أَشهرٍ وثمانِيَةَ أَيَّامٍ .

خلافةُ عُمر الفاروق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[1]

● ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بَعْدَهُ أَميرُ المؤمنين ، عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه ؛ بُويِعَ له بالخِلافَةِ في اليَوْمِ الذِي مَاتَ فيه أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، بوَصِيَّةٍ من أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، فقامَ بَعْدَهُ بمثلِ سِيْرَتِه وجِهادِهِ وثَباتِهِ ، وصَبْرِهِ على العيشِ الخَشِنِ ، وخُبْزِ الشَّعيرِ ، والثَّوْبِ الخامِ المُرَقَّعِ ، والقَناعَةِ باليَسِيرِ ؛ وفتَحَ الفُتُوحاتِ الكِبارِ ، والأَقاليمَ الشَّاسعةَ .

وهو أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ بأَميرِ المؤمنين ؛ وهو من المُهاجِرينَ الأَوَّلين ، صلَّى إِلى القِبْلَتَيْن ، وشهدَ بَدْراً ، وبيعةَ الرِّضوانِ ، وجميعَ المشاهِدِ مع رسولِ الله ﷺ ؛ ولمَّا أَسلمَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَعَزَّ اللهُ بِهِ الإِسلامَ ؛ وَتُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو عَنْهُ راضٍ ، وَبَشَّرَهُ بالجَنَّةِ ؛ وَمَناقبُه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كثيرةٌ جِدّاً ؛ وحَسْبُكَ أَنَّهُ كانَ وزيرَ سَيِّدنا محمَّد ﷺ ، وَعاشَ حميداً ، وتوفِّيَ فقيراً سعيداً شَهيداً ، فما يُبْغضُه إِلاَّ زِنْدِيقٌ ، أَو حِمارٌ مُفْرِطُ الجَهْلِ .

وهوَ أَوَّلُ مَنْ عَسَّ في عَمَلِهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : أَي كَانَ يَمْشِي لَيْلاً لحفْظِ الدِّينِ والنَّاسِ .

وهابَهُ النَّاسُ هَيْبَةً عظيمةً ، حتَّى تَرَكُوا الجُلوسُ بالأَفْنيةِ ؛ فلمَّا بَلَغَهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ هَيْبةُ النَّاسِ له ؛ جَمَعَهُمْ ، ثمَّ قامَ على المنبرِ حيثُ كانَ أَبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَضَعُ قَدَمَيْهِ ، فَحَمَدَ اللهَ تعالى ، وأَثْنَى عليه بما هو أَهْلُهُ ، وصلَّى على النَّبيِّ ﷺ ، ثمَّ قال : بَلَغَني أَنَّ النَّاسَ قَدْ هابُوا شِدَّتي ، وخافُوا غِلْظَتي ،

---

(١) **ترجمته وأَخباره في** : تاريخ المدينة المنورة ٢/ ٦٥٤ وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٥ والمعارف ١٧٩ وحلية الأَولياء ١/ ٣٨ وتاريخ الطبري ٣/ ٤٢٨ ومروج الذهب ٣/ ٤٧ وتاريخ دمشق (جزء عمر) ومختصره ١٨/ ٢٦١ والمنتظم ٤/ ٤٣١ والكامل في التاريخ ٢/ ٤٢٥ والوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٥٩ وتاريخ الخلفاء ١٣٣ وشذرات الذهب ١/ ١٧٧ .

وقالُوا : قَدْ كانَ عمرُ يَشتدُّ علينا ورسولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنا ، ثمَّ اشتدَّ علينا وأَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ والينا دونَه ، فكيفَ الآنَ وقد صارَتِ الأُمُورُ إِليه ؟ ولَعَمْرِي مَنْ قالَ ذلِكَ فَقَدْ صَدَقَ ؛ كنتُ مع رسولِ الله ﷺ ، فكنتُ عَبْدَهُ وخادِمَهُ ، حتَّى قَبَضَهُ اللهُ عزَّ وَجَلَّ ، وهو عنِّي راضٍ ، والحمدُ للهِ ، وأَنا أَسعدُ النَّاسِ بذلك .

ثمَّ وَلِيَ أَمْرَ النَّاسِ أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فكُنْتُ خادِمَهُ وعَوْنَهُ ، أَخلطُ شِدَّتِي بلِيْنِهِ ، فأَكُونُ سَيْفاً مَسْلولاً حتَّى يُغمدَنِي أَوْ يَدَعَنِي ، فَمَا زِلْتُ مَعَهُ كَذَلِكَ حتَّى قَبَضَهُ الله تعالى وهو عنِّي راضٍ ، والحمدُ للهِ ، وأَنا أَسعدُ النَّاسِ بذلك .

ثمَّ إِنِّي وُلِّيتُ أُمُورَكم ، اعلَمُوا أَنَّ تِلْكَ الشِّدَّةَ قَدْ تَضاعَفَتْ ، ولكنَّها إِنَّما تكُونُ على أَهْلِ الظُّلمِ والتَّعدِّي على المسلمين ؛ وأَمَّا أَهْلُ السَّلامةِ والدِّينِ والقَصْدِ ، فأَنا أَلْيَنُ لهم من بَعضِهم لبعضٍ ، ولستُ أَدَعُ أَحداً يَظْلِمُ أَحداً أَو يَتعدَّى عَلَيْهِ ، حتَّى أَضَعَ خَدَّهُ على الأَرْضِ ، وأَضَعَ قَدَمِي على الخَدِّ الآخَرِ ، حتَّى يُذْعِنَ بالحَقِّ ؛ ولكم عليَّ أَيُّها النَّاس ، أَنْ لا أَخْبَأَ عَنْكُمْ شَيْئاً من خَراجِكُمْ ، وإِذا وَقَعَ عِنْدِي أَنْ لا يَخرجَ إِلا بِحَقِّهِ ، ولكم عليَّ أَنْ لا أُلقيَكم في المهالِكِ ؛ وإِذا غِبْتُمْ في البُعوثِ ، فأَنا أَبو العيالِ حتَّى تَرجعُوا ؛ أَقولُ قَولِي هذا ، وأَستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكُمْ .

● قالَ سعيد بن المسيّب : وَفَى واللهِ عُمر ، وزَادَ في الشِّدَّةِ في مَواضِعِها ، واللِّيْنِ في مَواضِعِهِ .

وكَانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ أَبا العِيالِ ، حتَّى كانَ يَمْشِي إِلى المُغَيَّبَاتِ ـ أَي : التي غابَ عَنْهُنَّ أَزواجَهُنَّ ـ ويقولُ : أَلَكُنَّ حاجَةٌ حتَّى أَشتريَ لكنَّ ، فإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تُخْدَعْنَ في البَيْعِ والشِّراءِ ؛ فيُرْسِلْنَ بِجَواريهنَّ معه ، فيدخلُ في

السُّوقِ ، ووراءَهُ من جَوارِي النِّساءِ وغِلمانهنَّ مَا لا يُحْصَى ، فيَشتري لهنَّ حوائِجَهُنَّ ؛ ومَنْ كانَتْ لَيْسَ عندَها شيءٌ ، اشترى لها من عِنْدِهِ ، رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ .

● ورُوِيَ أَنَّ طَلحةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، خَرَجَ في ليلةٍ مُظلمةٍ ، فرأَى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد دَخَلَ بَيْتاً ، ثمَّ خَرَجَ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ طلحةُ ذَهَبَ إلى ذلكَ البيتِ ، فإذا عَجُوزٌ عَمياءُ مُقْعَدَةٌ ، فقال لها طلحةُ : مَا بَالُ هذا الرَّجُلِ يَأْتِيكِ ؟ فقالَت : إِنَّهُ يَتعاهَدُنِي منذُ كَذَا وكَذَا بِمَا يُصْلِحُنِي ، ويُخرِجُ عَنِّي الأَذَى ـ تَعني القَذَرَ ـ .

وَلَمَّا رَجَعَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الشَّامِ إِلى المَدِيْنَةِ ، انْفَرَدَ عَنِ النَّاسِ لِيَتعَرَّفَ أَخْبَارَ رَعِيَّتِهِ ، فَمَرَّ بَعَجُوزٍ في خِبائِها ، فقصَدَها ، فقالَتْ : يَا هَذَا مَا فَعَلَ عمرُ ؟ قال : قَدْ أَقبلَ من الشَّامِ سالِماً ؛ فقالَت : لا جَزَاهُ اللهُ عَنِّي خَيْراً ؛ قال : ولِمَ ؟ قالت : لأَنَّهُ ـ واللهِ ـ مَا نَالَنِي من عَطائِه ، منذُ وَلِيَ أَمْرَ المؤمنينَ دينارٌ ولا درهمٌ ، فقال : وما يُدْرِي عمر بحالِكِ وأَنتِ في هذا المَوْضِعِ ؟ فقالَتْ : سُبحان اللهِ ، واللهِ مَا ظَننتُ أَنَّ أَحَداً يَلِي عَلى النَّاسِ ، ومَا يَدْرِي مَا بين مَشرِقِها ومَغربِها .

فبَكَى عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وقال : وَاعُمراهُ ، كُلُّ أَحدٍ أَفْقَهُ منكَ حتَّى العجائز يا عُمر . ثمَّ قالَ لها : يا أَمَةَ اللهِ ، بِكَمْ تَبيعيني ظُلامَتَكِ مِن عُمر ، فإِنِّي أَرْحَمُهُ من النَّارِ ؟ فقالت : لا تَهْزَأْ بنَا ، يَرحمكَ الله ؛ فقالَ : لَسْتُ بِهَزَّاءٍ ؛ فَلَمْ يَزَلْ بها حَتَّى اشْتَرَى منها ظُلامَتَها بِخَمْسَةٍ وعِشرينَ دِيناراً ؛ فبينَما هو كذلك ، إِذْ أَقْبَلَ عليُّ بن أَبي طالبٍ وابنُ مسعود ، فقالا : السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَميرَ المُؤْمِنينَ ؛ فوضَعتِ العجوزُ يَدَهَا على رَأْسِها ، وقالتْ : وَاسَوْأَتاهُ ، شَتَمْتُ أَميرَ المؤمنينَ في وَجْهِهِ ؛ فقال لها عمرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : لا بَأْسَ عَلَيْكِ ، رَحِمَكِ الله .

ثمَّ طَلَبَ رُقْعَةً يَكتِبُ فيها ، فَلَمْ يَجِدْ ، فَقَطَعَ قِطعةً من مُرَقَّعَتِهِ ، وكَتَبَ فيها : بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، هذا مَا اشْتَرَى عُمر من فُلانَةَ ظُلامَتَها منذُ وَلِيَ إِلى يَوْمِ كَذَا وكَذَا ، بخمسةٍ وعشرين دِيناراً ؛ فما تَدَّعِي عند وُقوفِها في المحشرِ بَيْنَ يَدَي اللهِ تعالى ، فعُمَرُ مِنْهُ بَرِيءٌ ؛ شَهِدَ على ذلك عليُّ بن أَبي طالبٍ وابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما .

ثمَّ دَفعَ الكِتابَ إِلى وَلَدِهِ ، وقالَ : إذا أَنَا مِتُّ ، فاجعلْهُ في كَفَنِي ، أَلْقَى بِهِ رَبِّي .

وأَخباره رَضي الله تعالى عنه في مِثل هذا ، كثيرةٌ جِدَّاً .

● وَذَكَرَ الفَضائليُّ[1] : أَنَّ عُمر رَضِيَ الله عنه ، كَتَبَ إِلى سَعْد بن أَبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ وهو بالقادِسيَّةِ ، بأَنْ يُوَجِّهَ نَضْلَةَ [بن مُعاوية] الأَنْصارِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلى حُلوانِ العراقِ ، ليُغيرَ على ضَواحِيها ؛ فَبَعَثَ سعدٌ نَضْلَةَ في ثلاثمئةِ فارسٍ ، فساروا حتّىٰ أَتَوا حُلوان العِراقِ ، فأَغاروا على ضواحيها ، فأَصابُوا غَنيمَةً وسَبْياً ، فأَقبلُوا بذَلِكَ حتَّى أَرْهَقَهُم العصرُ ، وكادَتِ الشَّمْسُ تغرُبُ ، فَأَلْجَأَ نَضْلَةُ السَّبْيَ والغَنِيمَةَ إِلى سَفْحِ جَبَلٍ ، ثمَّ قَامَ فَأَذَّنَ فقالَ : اللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ ، فأَجابَهُ مُجيبٌ من الجَبَلِ : كَبَّرْتَ كَبيراً يا نَضْلَةَ ؛ فقالَ : أَشهدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ الله ، فقال : كلمةُ الإِخلاصِ يا نَضْلَةَ ؛ ثمَّ قالَ : أَشهدُ أَنَّ محمَّداً رسولُ الله ، فقال : هُوَ الذِي بَشَّرَنا به عيسى ابن مريم عليهِ السَّلام ، وعلى رَأْسِ أُمَّتِهِ تقومُ السَّاعةُ ؛ ثم قَال : حيَّ على الصَّلاةِ ، فقال :

---

(١) الخبر بطوله في دلائل النبوّة لأَبي نعيم (٥٤) ص ١٠٢ . ومختصراً في الإِصابة ١/ ٥٩٥ (رقم ١١٧٣) ترجمة جعونة بن نضلة الأَنصاري و٢/ ٥٢٤ (رقم ٢٩٨٣) ترجمة زُريب بن ثرملا ، والروض الأُنف ٧/ ٥١١ .

طُوبَى لِمَنْ سَعَى إِليها ، ووَاظَبَ عليها ؛ ثمَّ قال : حيَّ على الفَلاحِ ، فقال : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَجابَ داعِيَ الله ؛ ثمَّ قال : اللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ ، لا إِلهَ إِلاَّ الله ، قال : أَخلصتَ الإِخلاصَ كلَّه يَا نضلَةَ ، حَرَّمَ الله بِها جَسَدَكَ على النَّارِ .

فلمَّا فَرَغَ مِنْ أَذَانِه ، قامَ فقالَ : مَنْ أَنْتَ يَرحمكَ الله ؟ أَمَلَكٌ أَنْتَ ، أَمْ مِنَ الجِنِّ ، أَمْ طائفٌ من عِبادِ الله ؟ قد أَسْمَعْتَنا صَوْتَكَ ، فَأَرِنَا شَخْصَكَ ، فإِنَّ الوفدَ وَفْدُ رسولِ الله ﷺ ، ووفدُ عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ فانفلَقَ الجبلُ عن هَامَةٍ كالرَّحا ، أَبيضِ الرَّأْسِ واللِّحْيَةِ ، عَلَيْه طِمْرَانِ مِنْ صُوفٍ ، فقالَ : السَّلامُ عَليكُمْ ورحمةُ الله وبَركاته ؛ فقالُوا : وعَلَيْكَ السَّلامُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُه ، مَنْ أَنْتَ يَرحمك الله ؟ قال : أَنا زُرَيب بن بَرثملا ، وَصِيُّ العبدِ الصَّالِحِ عيسى ابنِ مريم عليه السَّلام ، أَسْكَنَنِي في هذا الجَبَلِ ، وَدَعا لِي بِطُولِ البَقاءِ إِلى حِينِ نُزُولِه من السَّماءِ ؛ فأَقْرِئُوا عُمر مِنِّي السَّلامَ ، وقولوا له : يا عُمر ، سَدِّدْ وقارِبْ ، فَقَدْ دَنَا الأَمْرُ ، وأَخْبِرُوهُ بِهَذِهِ الخِصالِ التي أُخبركُم بها : يَا عُمر ، إِذا ظَهَرَتْ هَذِهِ الخِصَالُ في أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ فالهَرَبَ الهَرَبَ :

إِذا اسْتغنى الرِّجالُ بالرِّجَالِ والنِّساءُ بالنِّساءِ ، وانْتَسَبُوا إِلى غير مَناسبهم ، وانْتَمَوا إِلى غَيرِ مَواليهم ، ولَمْ يرحمْ كبيرُهم صَغيرَهم ، ولَمْ يُوَقِّرْ صَغيرُهم كبيرَهم ، وتُرِكَ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ فَلَمْ يُؤْمَرْ بِهِ ، وتُرِكَ النَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ فَلَمْ يُنْهَ عنه ، وتَعَلَّمَ عالِمُهُم العلمَ لِيَجلبَ بِهِ الدُّنيا ، وكانَ المَطَرُ قَيْظاً ، والوَلَدُ غَيْظاً ، وطَوَّلُوا المناراتِ ، وَفَضَّضُوا المصاحفَ ، وَزَخْرَفُوا المساجِدَ ، وأَظْهَرُوا الرُّشَا ، وشَيَّدُوا البناءَ ، واتَّبَعُوا الهَوَى ، وباعُوا الدِّينَ بالدُّنْيَا ، وقُطِعَتِ الأَرْحَامُ ، ومُنِعَتِ الأَحْكَامُ ، وأَكَلُوا الرِّبا ، وحازَ الغَنِيُّ عِزّاً والفَقيرُ ذُلاً ، وخَرَجَ الرَّجلُ مِنْ بَيْتِه فقَامَ إِليهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ منه فَسَلَّمَ عليه ، ورَكِبَتِ الفُروجُ السُّرُوجَ ؛ ثمَّ غابَ عَنْهم فَلَمْ يَرَوْهُ .

فَكَتَبَ نَضْلَةُ إِلى سعدٍ بذلك ، فَكتبَ سعدٌ بذلك إِلى عُمر رَضِيَ اللهُ تعالَى

عنهم أَجمعين ، فكتبَ إِليهِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : سِرْ أَنْتَ بنفسِكَ وَمَنْ مَعَكَ من المُهاجِرين والأَنصارِ حتَّى تَنزلُوا بهذا الجبلِ ، فإِنْ لَقيتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ .

فَخَرَج سعدٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه في أَربعةِ آلافِ فارسٍ من المُهاجرين والأَنصار وأَبنائهم ، حتَّى نزلُوا بذلك الجَبَلِ ، وَمكث سعدٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَربعينَ يَوْماً يُنادِي بالصَّلاةِ ، فلا يَجِدُ جَواباً ، ولا يَسمعُ خِطاباً ؛ فكتَبَ بذلِكَ إِلى عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ .

● وعُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَوَّلُ مَنْ أَرَّخَ التَّاريخَ ، وذَلِكَ في سنةِ ستَّ عشرةَ ، وفيها كان فَتْحُ بيتِ المَقْدِسِ صُلْحاً ؛ وفيها نَزَلَ سعدُ بن أَبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ الكوفَةَ وَمَصَّرَها .

وهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الدَّواوِينَ ، وَمَصَّرَ الأَمصارَ ، وحَقَّقَ كَلِمَتَهُ في إِعلاءِ كلمةِ اللهِ تعالى ؛ فَفَتَحَ الله تعالى على يَديهِ مَواضعَ عديدةً : ففتَحَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه دمشقَ ، ثُمَّ الرُّومَ ، ثمَّ القادِسيَّةَ ، ثمَّ انْتَهى الفتح إِلى حمصَ ، وحُلوانَ والرَّقَّةَ والرُّها ، وحَرَّانَ ، ورأْسِ العينِ ، وخابورَ ، ونَصيبينَ ، وعَسْقَلانَ وطَرابُلُسَ ، وَمَا يَلِيها مِن السَّاحِلِ ، وبَيْتِ المَقْدِسِ ، وبَيْسَانَ ، واليَرموكَ ، والأَهوازَ ، وقَيساريَّة ، ومِصر ، وتُسْتَرَ ، ونَهاوندَ ، والرَّي وَمَا يَلِيها ، وأَصبهانَ ، وبلادَ فارسٍ ، وإِصْطَخْرَ ، وهَمَذانَ ، والنُّوبةَ ، والبُرُلُّسَ والبَرْبَرَ ، وغير ذلك .

وكانَتْ دِرَّتُهُ أَهْيَبَ مِنْ سَيْفِ الحَجَّاج[1] .

وهابَهُ ملوكُ فارِسَ والرُّومِ وغيرِهم ، ومع ذلكَ كلِّه بقيَ على حالِهِ كَما كَانَ قبلَ الولايةِ ، في لباسِهِ وزِيِّهِ وأَفعاله وتَواضُعه ؛ يَسيرُ مُنْفرِداً في حَضَرِهِ

(١) الكلمة للشّعبيّ في ثمار القلوب ١/ ١٧٠ والإعجاز والإيجاز ٤٥ .

وَسَفَرِهِ ، من غيرِ حَرَسٍ ولا حِجابٍ ، لَمْ تُغَيِّرُهُ الإِمْرَةُ ، وَلَمْ يَسْتَطِلْ على مُسْلِمٍ بِلِسانِهِ ، ولا حابَى أَحَداً في الحقِّ .

وكانَ لا يَطمعُ الشَّريفُ في حَيْفِهِ ، ولا ييْأَسُ الضَّعِيفُ من عَدْلِهِ ، ولا يَخَافُ في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ .

وَنَزَّلَ نَفْسَهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه مِنْ مالِ الله تَعالَى منزلةَ رجلٍ من المسلمينَ ، وجَعَلَ فَرْضَهُ كَفَرْضِ رجلٍ من المهاجِرين ؛ وكانَ يقولُ : أَنا في مالِكُم ، كَوَلِيِّ مالِ اليتيم ، إِنِ اسْتَغْنَيْتُ استعففْتُ ، وإِنِ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بالمعروفِ . أَرادَ بذلِكَ أَنَّهُ يأْكُلُ مَا تَقُومُ بِهِ بُنْيَتُهُ ، ولا يَتَعَدَّاهُ .

● وقَالَ مُجاهد : تذاكَرَ النَّاسُ في مَجلسِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، فأَخَذُوا في فضلِ أَبي بكرٍ ، ثمَّ في فَضْلِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ؛ فَلَمَّا سَمِعَ ابنُ عبَّاسٍ ذِكْرَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بَكى بُكاءً شَدِيداً ، حتَّى أُغْمِيَ عليه ، ثمَّ قالَ : رَحِمَ اللهُ عُمر ، قَرَأَ القُرآنَ ، وعملَ بما فِيه ، فأَقامَ حُدودَ اللهِ كَمَا أَمَرَ ، لا تأخذُهُ في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ ؛ لَقَدْ رَأَيْتُ عُمر رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ وقَدْ أَقامَ الحدَّ على وَلَدِهِ فَقَتلهُ فِيهِ .

وستأْتِي الإشارةُ إِلى ذلكَ في « بابِ الدَّالِ المهملةِ » ، في لفظِ « الدِّيك » .

● وقُتِلَ - رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ - في سَنَةِ ثلاثٍ وعشرين ؛ قَتَلَهُ أَبُو لُؤْلُؤَة غُلام المُغيرةِ بن شُعبة ، واسمُهُ فَيروز ؛ وكانَ المُغيرةُ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ يَستغلُّهُ كلَّ يَوْمٍ أَربعةَ دَراهمٍ ، لأَنَّهُ كانَ يَصنعُ الأَرْحَاءَ ، فلقيَ عمر يوماً ، فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّ المغيرةَ قد أَثْقَلَ عليَّ غَلَّتِي ، فَكَلِّمْهُ لِي لِيُخَفِّفَ عَنِّي ؛ فقال لهُ عُمرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : اتَّقِ اللهَ ، وأَحْسِنْ إِلى مَوْلاكَ ؛ فَغَضِبَ أَبُو لؤلؤة وقال : يَا عَجباهُ ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ عَدْلُهُ غَيْرِي ؛ وأَضمرَ على

قَتلهِ ، واصْطَنَعَ لَهُ خِنْجَراً له رأْسَانِ ، وسَمَّهُ ، وتَحَيَّنَ بِهِ عمر رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه ، فَجَاءَ عُمر إِلى صلاةِ الغَداةِ .

قال عُمرو بن مَيمون : إِنِّي لقائِمٌ في الصَّلاةِ ، وما بَيْنِي وبَيْنَ عُمر إِلاَّ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، فما هُوَ إِلاَّ أَنْ كَبَّرَ ، فسمعتُه يقولُ : قَتَلَنِي الكلبُ ، حينَ طَعَنَهُ ، وطارَ العِلْجُ بِسِكِّينٍ كانتْ ذاتَ طَرفينِ ، لا يَمُرُّ على أَحَدٍ يَميناً وشِمالاً إِلاَّ طَعَنَهُ ، حتَّى طَعَنَ ثلاثةَ عشَرَ رجلاً ، مات سَبعةٌ ـ وقيل : تِسعةٌ ـ فلمَّا رَأَى ذلك رَجلٌ من المسلمين ، طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُساً ؛ فلمَّا علمَ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ ، نَحَرَ نَفْسَهُ ، فقال عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : قاتَلَهُ اللهُ ، لَقَدْ أَمرْتُ بِهِ مَعروفاً ، ثمَّ قال : الحمدُ للهِ الذِي لَمْ يَجْعَلْ مَنِيَّتِي بيدِ رجلٍ يَدَّعِي الإِسلامَ .

وكانَ أَبو لؤلؤة مَجوسيَّاً ، ويُقالُ : كانَ نَصرانيَّاً .

تُوفِّيَ عمرُ في ذِي الحجَّةِ ، لأَرْبَعَ عَشرةَ ليلةً مَضَتْ منه ، في السَّنَةِ المذكورةِ ، بَعْدَ طَعْنِهِ بيومٍ وليلةٍ ، عن ثلاثٍ وستِّينَ سَنةً ، ودُفِنَ مع صاحِبَيْهِ في الحُجْرَةِ النَّبويَّة .

ولمَّا تُوفِّيَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَظلمَتِ الأَرضُ ، فجعلَ الصَّبيُّ يقولُ : يَا أُمَّاهُ ، أَقامَتِ القيامَةُ ؟ فتقولُ : لا يا بُنَيَّ ، ولكنْ قُتِلَ عمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

وسيَأْتِي طَرَفٌ من هذا ، وذِكْرُ الشُّورَى في لفظِ « الدِّيكِ » أَيضاً .

قال ابنُ إِسحاقَ : وكانت خِلافته رَضِيَ اللهُ عنه عشر سنين ، وستَّةَ أَشهرٍ ، وخَمسَ ليالٍ . وقال غيرُهُ : وثلاثةَ عشرَ يوماً . واللهُ أَعلمُ .

خلافَةُ أَمير المُؤمنين عُثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[1]

ثمَّ قَامَ بعْدَهُ بالأَمْرِ أَميرُ المؤمنين عُثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، اشْتَوَرَ أَهلُ الحَلِّ والعَقْدِ بعدَ دَفْنِ عُمر بثلاثَةِ أَيَّام ، واتَّفَقُوا على مُبايَعَتِهِ ، وهو ابْنُ عَمِّ المُصطفَى ﷺ الأَعلى ، بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ في أَوَّلِ يَومٍ من سنةِ أَربعٍ وعِشرين .

قال أَهلُ التَّاريخ : إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ اسمُهُ في الجاهليَّةِ والإِسلامِ عُثمان ؛ ويُكْنَى أَبا عمرٍو ، وأَبا عَبدِ اللهِ ، والأَوَّلُ أَشهرُ ؛ ويُنسبُ إِلى أُمَيَّة بن عَبد شَمس ، فيُقالُ : الأُمويُّ ؛ يَجتمعُ مع رسولِ الله ﷺ في عبدِ مَناف .

ويُدْعَى بذِي النُّورَيْن ؛ قيل : لأَنَّهُ تَزَوَّجَ بابنتَيْ رسولِ الله ﷺ رُقَيَّة وأُمِّ كُلثُومٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، ولَمْ يُعْلَمْ أَحَدٌ تَزَوَّجَ بابنتَي نَبِيٍّ غيرُه رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

وقيلَ : لأَنَّهُ إِذا دَخَلَ الجَنَّةَ بَرَقَتْ لَهُ بَرْقَتَيْنِ .

وقيلَ : لأَنَّهُ كان يختمُ القرآنَ في الوِتْرِ ، والقُرآنُ نُورٌ ، وقيامُ اللَّيْلِ نُورٌ . وقيل غيرُ ذلكَ .

وهو رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ من السَّابقينَ الأَوَّلين ، وصَلَّى إِلى القِبْلَتَيْنِ ، وهاجَرَ الهِجْرَتَيْنِ .

وهو أَوَّلُ مَنْ هاجَرَ إِلى الحبشةِ فارّاً بدِيْنِه ، ومَعهُ زَوجتُه رُقَيَّة رَضِيَ اللهُ

---

(١) ترجمته وأَخباره في : تاريخ المدينة المنورة ٣/ ٢٥٢ وطبقات ابن سعد ٣/ ٥١ والمعارف ١٩١ وحلية الأَولياء ١/ ٥٥ وتاريخ الطبري ٤/ ٢٤٢ ومروج الذهب ٣/ ٧٥ وتاريخ دمشق (جزء عثمان) ومختصره ١٦/ ١٠٩ وأَنساب الأَشراف ٤/ ١/ ٤٨١ (٥/ ١ ط . القدس) والمنتظم ٤/ ٣٣٤ والكامل في التاريخ ٣/ ٧٩ وتاريخ الخلفاء ١٧٨ وشذرات الذهب ١/ ١٧٧ .

تَعالَى عنهما .

وعُدَّ من البدريِّين ، ومن أَهل بيعَةِ الرِّضوانِ ، ولَمْ يحضرْهُما ؛ وكان سببُ غَيْبَتِهِ عن بدرٍ ، أَنَّ بنتَ رسولِ الله ﷺ كانت تَحتَهُ ، وهي مَريضةٌ ، فأَذِنَ لَهُ رسولُ الله ﷺ في الجُلُوسِ عندَها لِيُمَرِّضَهَا ، وقال له : « لَكَ أَجرُ رَجلٍ ممَّن شَهِدَ بَدْراً وسَهْمُهُ » .

وأَمَّا غيبتُهُ عن بَيْعَةِ الرِّضْوانِ ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ منه ببطنِ مَكَّةَ لَبَعَثَهُ رسولُ الله ﷺ مَكانَهُ ، وإِنَّ رسولَ الله ﷺ قال بِيَدِهِ اليُمْنَى : « هَذِهِ يَدُ عُثمان » .

وتُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ وهو عَنْهُ راضٍ ، وَبَشَّرَهُ بالجَنَّةِ ، ودَعَا لَهُ بالخُصُوصِيَّةِ غيرَ مَرَّةٍ ، فَأَثْرَى وَكَثُرَ مالُهُ .

وكانتْ لَهُ شَفَقَةٌ ورَأْفَةٌ ، فلمَّا وُلِّيَ زَادَ تَواضُعه وشَفقتُه ورَأْفَتُه بِرَعِيَّتِهِ ؛ وكانَ يُطعمُ النَّاسَ طعامَ الإمارَةِ ، ويأْكُلُ الخَلَّ والزَّيْتَ .

وَجهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ بتسعمئةٍ وخَمسينَ بعيراً ، بِأَحْلاسِهَا وأَقْتَابِها ، وَأَتَمَّ الأَلْفَ بخمسين فرساً .

وقال قتادةُ : حَمَلَ عُثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أَلفِ بَعيرٍ وسَبعين فرساً .

وقال الزُّهريُّ : حَمَلَ على تِسعمئةٍ وأَربعينَ بعيراً وستِّينَ فرساً .

● وعن حُذَيفة بن اليمان ، قال : بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إِلى عُثمانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه في تَجْهِيزِ جيشِ العُسْرَةِ ، فَبَعَثَ إِليه عُثْمانُ بعَشرةِ آلافِ دِينارٍ ، فَصُبَّتْ بَيْنَ يَدَيْه ، فَجَعلَ ﷺ يُقلِّبُها بيَدِهِ ، وهو يقولُ : « غفَرَ الله لَكَ يَا عُثمان ، مَا أَسْرَرْتَ وما أَعلنْتَ وما هو كائِنٌ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ » .

وفي روايةٍ : « مَا يَضُرُّ عُثمانَ مَا فَعَلَ بعدَ اليومِ » .

واشْتَرى بئرَ رُومَةَ بخمسةٍ وثلاثِينَ أَلفاً وسَبَّلَها ؛ وله رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه

من الخيراتِ وأَفعال البرِّ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ .

● قالَ ابنُ قُتيبةَ : وافْتُتِحَ في أَيَّامِهِ الإسكندريَّةُ ، وسابورُ ، وأَفريقيَّةُ ، وقُبرسُ ، وسَواحلُ الرُّومِ ، وإِصْطَخْرُ الآخرة ، وفارسُ الأُولى ، وخُوزِسْتَانُ ، وفارسُ الآخرة ، وطَبَرِسْتانُ ، وكرمانُ ، وسِجِسْتانُ ، والأَساورةُ ، وأَفريقيَّةُ ، ثمَّ حُصونُ قُبرسَ ، وساحلُ الأُرْدُنِّ ، ومَرو .

ولمَّا عمرَتِ المدينةُ ، وصارَتْ وافرَةَ الأَنامِ ، وَقُبَّةَ الإسلامِ ، وكثُرت فيها الخيراتُ والأَموالُ ، وجُبِيَ إِليها الخراجُ من الممالِكِ ، وبَطرتِ الرَّعيَّةُ من كثرةِ الأَموالِ ، والخيلِ والنَّعَمِ ، وَفتَحُوا أَقالِيمَ الدُّنْيَا ، واطمأَنُّوا وتفرَّغُوا ، أَخذُوا ينقِمونَ على خَليفَتِهِم عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، لأَنَّهُ كانَ لَهُ أَموالٌ عَظيمةٌ ، وكان لَهُ أَلفُ مَمْلُوكٍ ، ولِكَوْنِهِ يُعْطِي المالَ لأَقارِبِهِ ، ويُوَلِّيهم الولاياتِ الجليلةَ ؛ فتكَلَّمُوا فيهِ ، إلى أَنْ قالُوا : هذا لا يَصلحُ للخِلافَةِ ؛ وهَمُّوا بعَزْلِه ، وثارُوا لِمُحَاصَرَتِهِ ، وَجَرَتْ أُمورٌ يطولُ ذِكْرُها ؛ فَحاصَرُوهُ في دارِهِ أَيَّاماً ، وكانُوا أَهْلَ جَفاءٍ ورُؤُوسَ شَرٍّ ، فَوَثَبَ عَلَيْه ثلاثةٌ ، فَذَبَحُوهُ في بَيْتِهِ والمُصحَفُ بَيْنَ يَدَيْه ، وهو شَيْخٌ كَبيرٌ ؛ وكان ذلكَ أَوَّلَ وَهْنٍ وَبَلاءٍ على هَذِهِ الأُمَّةِ بعدَ نَبيِّهم ﷺ ، فإِنَّا للهِ وإِنَّا إِليهِ راجِعُون ، قَتلُوهُ ـ قَاتَلَهَمُ اللهُ ـ يَوْمَ الجُمعةِ ، الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الحِجَّة الحَرَامِ ، سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ .

ومَنَاقِبُهُ رَضِيَ اللهُ عنه كَثيرةٌ جِدّاً : شَهِدَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ ، وقال : « أَلا أَسْتَحْيي مِمَّنْ تَسْتَحْيي منهُ الملائكةُ » .

وأَخبَرَ ﷺ بأَنَّهُ شَهِيدٌ ، وأَنَّهُ يُبْتَلى ، وتفرَّقَتِ الكلمةُ بعد قَتْلِهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، وماجَ النَّاسُ ، واقْتَتَلُوا لِلأَخْذِ بثأْرِهِ ، حتَّى قُتِلَ من المُسْلِمِينَ تِسْعونَ أَلْفاً .

● وَقالَ ابن خلّكان[1] وغيرُه : لمَّا بُويعَ لعُثمان رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ نفى أَبا ذَرٍّ الغفَّاريّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ إِلى الرَّبَذَةِ ، لأَنَّهُ كانَ يُزَهِّدُ النَّاسَ في الدُّنْيَا ، ورَدَّ الحَكَمَ بن أَبي العاص ، وكان قَدْ نَفاهُ رسولُ الله ﷺ إلى الرَّبَذَةِ ، ولَمْ يَرُدَّهُ أَبو بكرٍ ولا عمر ، فَرَدَّهُ عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم .

قيل : إِنَّما رَدَّهُ بإِذْنٍ من النَّبيِّ ﷺ ، قالَهُ غيرُ واحِدٍ .

وَوَلَّى مصرَ عبدَ الله بن أَبي سَرْحٍ ، وأَعطَى أَقارِبَهُ الأَموالَ ، فَكانَ ذلِكَ مِمَّا نَقمَ عَلَيْهِ النَّاسُ .

فلمَّا كانتْ سَنةُ خمسٍ وثلاثين قَدِمَ المدينةَ مَالِكٌ الأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ في مِئَتَي رَجُلٍ من أَهْلِ الكوفَةِ ومئةٍ وخَمسينَ من أَهل البَصرةِ ، وستِّمئةٍ من أَهل مصر ، كلُّهم مُجمعونَ على خَلْعِ عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه من الخِلافَةِ ، فلمَّا اجتمَعُوا في المدينة ، سَيَّرَ إِليهم عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ المغيرةَ بن شُعبة وعَمرو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما يَدْعُوهم إِلى كِتابِ الله وسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ ، فَرَدُّوهما أَقْبَحَ رَدٍّ ، وَلَمْ يَسْمَعُوا كلامَهُما ، فَبَعَثَ إِليهم عليّاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فَرَدَّهُمْ إِلى ذلكَ ، وضَمِنَ لَهُمُ مَا يَعِدُهُم بِهِ عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وكَتَبُوا على عُثمان كتاباً بإِزاحَةِ عِلَلِهِمْ ، والسَّيْرِ فيهم بكتابِ اللهِ عزَّ وجَلَّ وسُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ ، وأَخَذُوا عليهِ عَهْداً بِذلك ، وأَشهدُوا على عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ أَنَّهُ ضَمِنَ ذلكَ .

واقْتَرَحَ المِصريُّونَ على عُثمانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ عَزْلَ عبدِ الله بن أَبي سَرحٍ ، وتَولية محمَّد بن أَبي بكرٍ ، فأَجابَهُم إِلى ذَلِكَ وَوَلاَّهُ ، وافترقَ الجَمْعُ كلٌّ إِلى بَلَدِهِ .

---

(١) ليس من شرط ابن خلكان ترجمة الخلفاء ! ! .

فَلَمَّا وَصَل المصريُّونَ إِلى أَيْلَةَ ، وَجَدُوا رَجُلاً على نَجيبٍ لعثْمانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، ومعه كتابٌ مختومٌ بخاتمِ عُثْمان ، مُصْطَنَعٌ على لسانِهِ ، وعنوانُهُ : من عُثْمان إِلى عبدِ اللهِ بن أَبي سَرْح ؛ وفيهِ : إِذا قَدِمَ محمَّد بن أَبي بكرٍ ، ومعهُ فلانٌ وفلانٌ ، فاقْطَعْ أَيديهم وأَرجلَهم ، وارفَعْهُم على جُذُوعِ النَّخْلِ .

فَرَجَعَ المصريُّونَ ، ورَجَعَ البَصريُّونَ والكوفيُّون لَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ ، وأَخبرُوهُ الخَبرَ ، فحلفَ عُثمانُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَنَّهُ مَا فَعَلَ ذَلِكَ وَلا أَمَرَ به . فقالُوا : هَذَا أَشَدُّ عَلَيكَ ؛ يُؤْخَذُ خاتِمكَ ، ونَجيبٌ من إِبلِكَ ، وأَنتَ لا تَعْلَمُ ؟ مَا أَنْتَ إِلاَّ مَغلوبٌ على أَمْرِكَ ؛ ثمَّ سأَلُوهُ أَنْ يعتزِلَ ، فأَبى ، فأَجْمَعُوا على حِصارِهِ ، فَحَاصروه في دارِهِ ؛ وكَانَ من أَكبرِ المُؤَلِّبينَ عليه محمَّد بن أَبي بَكرٍ ، وكانَ الحصارُ في سَلْخِ شَوَّال ، واشتدَّ الحصارُ ، ومُنِعَ من أَنْ يَصِلَ إِليهِ الماءُ .

● قال أَبُو أُمامةَ الباهليّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : كُنَّا مع عُثمان وهو مَحصورٌ في الدَّارِ ، فقال : وبِمَ يَقتلوني ؟ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « لا يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسلمٍ إِلاَّ بإِحدَى ثلاثٍ : رَجُلٌ كفرَ بعدَ إِسلامٍ ، أَو زَنى بعد إِحْصانٍ ، أَوْ قتَلَ نَفْساً بغيرِ حَقٍّ ، فَيُقْتَلُ بهَا » فواللهِ مَا أَحببْتُ بدِينِي بَدَلاً منذُ هَدانِي الله تعالى ، ولا زَنَيْتُ في جاهليَّةٍ ولا إِسلامٍ ، ولا قتلتُ نَفْساً بغيرِ حَقٍّ ، فَبِمَ يَقتلوني ؟ رواه الإِمام أَحمد[1] .

● وعن شدَّاد بن أَوسٍ رضي اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قال : لمَّا اشتَدَّ الحِصارُ بعُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يومَ الدَّارِ ، رأَيْتُ عليّاً رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ خارِجاً من منزِله ، مُعْتَمّاً بعَمامَةِ رسولِ الله ﷺ ، مُتَقَلِّداً سَيْفَهُ ، وأَمامَهُ ابنُهُ الحسنُ وعبدُ الله بن عمر ، في نفرٍ من المهاجرين والأَنصارِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، فَحَمَلُوا على النَّاسِ وفَرَّقُوهم ، ثمَّ دَخَلُوا على عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ،

---

(١) المسند ١/ ٦١ و٦٣ و٦٥ وتاريخ دمشق (جزء عثمان) ٣٤٨ .

فقال لهُ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لَمْ يلحق هذا الأَمْرَ حتَّى ضربَ بالمُقْبلِ المُدْبرَ ، وَإِنِّي واللهِ لا أَرَى القومَ إِلاَّ قاتِليكَ ، فمُرْنا فلْنُقاتِلْ ؛ فقالَ عُثمان : أَنْشُدُ الله رجلاً ، رأَى للهِ عَزَّ وجلَّ عليهِ حقّاً ، وأَقَرَّ أَنَّ لِي عَلَيْهِ حقّاً أَنْ يُرِيقَ بِسَبَبِي مِلْءَ مِحْجَمَةٍ من دَمٍ ، أَوْ يُهريقَ دَمَهُ فيَّ ، فأَعادَ عليٌّ عليهِ القولَ ، فأَجابَهُ بِمِثْلِ مَا أَجابَهُ .

قالَ : فَرَأَيْتُ عليّاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ خارِجاً من البابِ ، وهو يقولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّا قَدْ بَذَلْنا المَجْهُودَ ؛ ثمَّ دَخَلَ المسجدَ ، فاقْتَحَمُوا على عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ الدَّارَ ، والمُصحفُ بَيْنَ يَدَيْه ، فأَخَذَ محمَّد بن أَبي بكرٍ بِلِحْيَتِهِ ، فقالَ لَهُ عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : أَرْسِلْ لِحْيَتِي يا ابنَ أَخِي ، فَوَاللهِ لَوْ رَأَى أَبُوكَ مَقامَكَ هذا لَسَاءَهُ ، فأَرْسَلَ لِحْيَتَهُ وَوَلَّى ، فَضَربهُ نِيارُ بن عِياضٍ[1] وسُودانُ بن حُمْرَان بسَيْفَيْهما ، فَنَضَحَ الدَّمُ على قوله تَعالَى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] وَجَلَسَ عمرو بن الحَمِقِ على صَدْرِهِ وَضَرَبَهُ حتَّى ماتَ ، وَوَطِىءَ عُمير بن ضابىءٍ على بَطْنِه ، فَكَسَرَ لَهُ ضِلْعَيْنِ من أَضْلاعِهِ .

● وَرَوَى الإمامُ أَحمد ، عن كَعب بن عُجرة ، رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قال : « ذَكَرَ رسولُ اللهِ ﷺ فِتْنَةً وعَظَّمَهَا وقَرَّبَها ، ثمَّ مَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ في مَلحَفَةٍ ، فقال : هذا يَومئذٍ على الحقِّ ، فإِذا هُو عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه » .

ورَوى التِّرمذي مَعناه ، فقال : « هذا يومئذٍ على الهُدى » . وقال : إِنَّهُ حديثٌ حسنٌ صَحيحٌ[2] .

---

(١) في أ ، ط : بتار . تصحيف . صوابه : نيار بن عياض الأسلمي . (الإكمال ٧/ ٤٣٧) .

(٢) مسند أحمد ٤/ ٢٤٢ و٢٤٣ وابن ماجه (١١١) . ولم يخرجه الترمذي .

● وكَانَ لأَميرِ المؤمنينَ عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ شَيئانِ لَيْسَا لأَبي بكرٍ ولا لعُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : صَبْرُهُ على نَفْسِهِ حتَّى قُتِلَ مَظْلُوماً ، وجَمْعُهُ النَّاسَ على المُصْحَفِ . قاله ابن مهدي وغيره .

وقال المدائنيُّ : قُتِلَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يومَ الأَربعاء بعدَ العَصر ، ودُفِنَ يومَ السَّبتِ قبلَ الظُّهْرِ . وقيل : يَوْمَ الجُمعةِ ، لثَمان عشرةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الحِجَّة ، سنة خَمسٍ وثلاثينَ .

وقال المهدوي : قُتِلَ في وسطِ أَيَّامِ التَّشريقِ ، وأَقامَ ثلاثةَ أَيَّامٍ لَمْ يُدْفَنْ ، ولَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِ .

وقيل : صلَّى عَلَيْهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ جُبيرُ بن مُطعِم ، ودُفِنَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ لَيْلاً .

● وَاخْتُلِفَ في مُدَّةِ الحِصَارِ ؛ فقِيلَ : أَكثر من عِشرين يَوْماً ، وقيلَ : تسعةٌ وأَربعونَ يَوْماً ؛ قاله الواقديُّ .

وقال الزُّبير بن بَكَّار وغيره : ثَمانونَ يَوْماً .

وكانت خِلافَتُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه اثنتي عشرةَ سَنَةً ، إلاَّ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْماً ؛ وقُتل رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ وهو ابنُ ثَمانِينَ سنةً ؛ قاله ابنُ إسحاق .

وقال غيرُه : كانت خِلافَتُهُ إِحدى عشرةَ سَنةً ، وأَحدَ عَشَرَ شَهراً ، وأَربعةَ عشرَ يَوْماً ؛ وقُتِلَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ وعُمرهُ ثمانٍ وثمانونَ سنةً .

وقيل : كانتْ خِلافَتُهُ اثنتَيْ عشرةَ سنةً ، وقُتل وهو ابنُ اثنتين وثمانين سنةً ؛ وقيل : ابن ثلاثٍ وثَمانينَ سنةً ، وقيل : تِسعين . وقيل غير ذلك واللهُ أَعلمُ .

خِلافَةُ أَميرِ المؤمنينَ عليُّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[1]

● ثمَّ قامَ بعدَهُ بالأَمْرِ أَميرُ المؤمنين عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يومَ قُتِلَ عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ كما سيَأْتي إِنْ شاءَ الله تعالى .

وهو رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يَجتمعُ مع رسولِ اللهِ ﷺ في عبدِ المُطَّلِب الجَدِّ الأَدْنَى ؛ ويُنْسبُ إِلى هاشِم ؛ فيُقالُ : القُرَشيُّ الهاشميُّ، ابن عَمِّ رسولِ الله ﷺ لأَبَوَيْهِ .

ولَمْ يَزَلْ اسْمُهُ في الجاهِلِيَّةِ والإِسلامِ عليّاً ، ويُكْنَى أَبَا الحَسن ، وأَبا تُراب ، كَنَّاهُ بِهِ رسولُ الله ﷺ ، وكان أَحَبَّ النَّاسِ إِليهِ .

أَسلمَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه وهو ابنُ سبعٍ . وقيل : ابن تسع . وقيل : ابن عشرٍ . وقيل : خمسَ عشرةَ . وقيل غير ذلك .

وشهدَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ المشاهِدَ كُلَّها إِلاَّ تبوك ، فإِنَّهُ ﷺ خَلَّفَهُ في أَهْلِهِ .

وكانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ غَزيرَ العِلم ؛ ولمَّا هَاجَرَ رسولُ الله ﷺ أَقامَ بعدَهُ ثَلاثَ ليالٍ وأَيّامها ، حتَّى أَدَّى عَنْ رسولِ الله ﷺ الودائِعَ ، ثمَّ لَحِقَ بِهِ .

ويُقالُ : إِنَّهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ ، وأَوَّلُ مَنْ صَلَّى .

وَزَوَّجَهُ ﷺ ابنتَهُ فاطِمة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهَا ، وبَعَثَ معها خَميلةً ، ووِسادَةً من أَدَمٍ حَشْوُها لِيْفٌ ، ورَحَيَيْنِ ، وسِقاءً ، وجَرَّتَيْن .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : طبقات ابن سعد ٢/ ١٨١ و٣/ ١٧ و٨/ ١٣٤ ومقتل أَمير المؤمنين لابن أَبي الدُّنيا ومقاتل الطَّالبيِّين ٢٤ والمعارف ٢٠٣ وحلية الأَولياء ١/ ٦١ وتاريخ الطَّبري ٤/ ٤٢٧ ومروج الذَّهب ٣/ ٩٣ وخصائص أَمير المؤمنين للنَّسائي وتاريخ دمشق (ترجمة عليّ) ومختصره ١٧/ ٢٩٧ والمنتظم ٥/ ٦٢ والكامل في التَّاريخ ٣/ ١٩٠ وتاريخ الخلفاء ١٩٨ وشذرات الذَّهب ١/ ٢٢١ .

وشهدَ له بالجَنَّةِ ﷺ ؛ ومَناقِبُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه كثيرةٌ جدّاً ، ويَكْفِي منها قَوْلُهُ ﷺ : « أَنا مدينةُ العِلمِ ، وعَليٌّ بابُها » .

* * *

● **فائِدَةٌ لطيفةٌ** : قال أَبو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : ساداتُ الأَنبياءِ خمسةٌ : نوحٌ ، وإِبراهيمُ الخليل ، وموسى ، وعيسى ، ومحمَّد صلَّى اللهُ وسلَّمَ عليهم أَجمعين .

● **ذِكْرُ أَسْمَاءِ مَنْ وُلِدَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَخْتُوناً** : عن كعبِ الأَحبارِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قال : هم ثلاثةَ عَشَرَ : آدمُ ، وشِيْثٌ ، وإِدريسُ ، ونُوحٌ ، وسامُ ، ولُوطٌ ، ويوسفُ ، وموسى ، وشُعيب ، وسُليمان ، ويَحْيَى ، وعِيسى ، ومحمَّد صلَّى اللهُ وسلَّمَ عليْهِ وعلَيْهِم أَجمعِينَ .

● وَقالَ محمَّد بن حَبيب الهاشميّ[1] : هم أَربعةَ عشرَ : آدمُ ، وشيثٌ ، ونُوحٌ ، وهُودُ ، وصالِحُ ، ولُوطٌ ، وشعيبٌ ، ويوسفُ ، وموسى ، وسُليمانُ ، وزكريَّا ، وعيسى ، وحَنْظلة بن صَفْوان نَبِيُّ أَصحابِ الرَّسِّ ، ومحمَّد صلَّى اللهُ عَلْيهِ وسلَّمَ وعَلَيْهِمْ أَجمعِين .

● **ذِكْرُ أَسماءِ مَنْ كَانَ يَكتبُ لِرَسولِ الله ﷺ**[2] : أَبو بَكرٍ ، وعُمر ، وعُثمان ، وعليٌّ ، وأُبيُّ بن كعب ـ وهو أَوَّلُ مَنْ كَتبَ لَهُ ـ ، وزَيد بن ثابت الأَنصاري ، ومُعاوية بن أَبي سُفيان ، وحَنظلة بن الرَّبيع الأُسَيِّديّ ، وخالد بن العاص ؛ وكان المداومَ له على الكتابةِ زيدٌ ومعاويةُ .

---

(١) المحبّر ١٣١ .

(٢) ذكر ابن عساكر أَربعة وعشرين كاتباً لرسول الله ﷺ في تاريخ دمشق (السيرة النبويَّة ٢/ ٣٢٨ ـ ٣٥١) ومختصره ٢/ ٣٣١ ـ ٣٤٦ ؛ ويقارن لطائف المعارف ٥٦ ـ ٥٨ والوزراء والكتاب ٩ وترويح أُولي الدمائة ٢/ ٤١ .

● **ذِكْرُ مَنْ جَمَعَ القُرآنَ حِفْظاً على عهدِ رسولِ الله ﷺ**[1] : أُبَيُّ بن كَعب ، ومُعاذ بن جَبَل ، وأَبو يَزيد الأَنصاري ، وأَبو الدَّرداء ، وزيدُ بن ثابت ، وعُثمان بن عفَّان ، وتَميم الدَّاريّ ، وعُبادة بن الصَّامت ، وأبو أَيُّوب الأَنصاري .

● **ذِكْرُ مَنْ كانَ يَضربُ الأَعناقَ بينَ يَديهِ ﷺ** : عليٌّ ، والزُّبيرُ ، ومحمَّد بن مَسْلَمَة ، والمِقدادُ ؛ وعاصمُ بن أَبي الأَقلح .

● **ذِكْرُ مَنْ كَانَ يَحرسُهُ ﷺ** : سَعدُ بن أَبي وَقَّاص ، وسَعد بن مُعاذ ، وعبَّاد بن بِشْر ، وأَبو أَيُّوب الأَنصاريّ ، ومحمَّد بن مَسْلَمَة الأَنصاريّ ؛ فلمَّا نَزَلَ قولُهُ تَعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة : ٦٧] تَرَكَ الحِراسَةَ .

● **ذِكْرُ مَنْ كَانَ يُفتي على عهدِ رسولِ الله ﷺ من أَصحابِهِ** : أَبُو بَكْرٍ ، وعُمر ، وعُثمان ، وعليّ ، وعبدُ الرَّحمن بن عَوف ، وأُبَيُّ بن كَعب ، وعبدُ الله بن مَسعودِ ، ومُعاذُ بنِ جَبَلِ ، وَعَمَّار بن ياسر ، وَحُذَيفة ، وزَيد بن ثابت ، وسَلْمان ، وأَبو الدَّرداء ، وأَبو موسى الأَشعريّ[2] .

● **ذِكْرُ مَنِ انتهتْ إِليهم الفتوى مِنَ التَّابعين بالمدينةِ** : سَعيدُ بن المُسَيّب ، وأَبو بكر بن عَبد الرَّحمن بن الحارِث ، وقاسمُ [بن محمَّد بن أَبي بكر الصِّدِّيق] ، وعبيدُ اللهِ [بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود] ، وعُروة [بن

---

(١) يقارن المحبَّر ٢٨٦ .

(٢) قال الشيخ نجم الدِّين بن قاضي عجلون : [من الطويل]

لقد كان يُفتي في زمانِ نَبِيِّنا ... من الخلفاءِ الرَّاشدين أَئمَّةٌ

معاذٌ ، وعمَّارٌ ، وزيدُ بن ثابتٍ ... أُبيٌّ ، ابنُ مسعودٍ ، وعوفٌ ، حُذيفةٌ

ومنهم أَبو موسى ، وسَلمانُ حَبْرُهم ... كذاك أَبو الدَّرداءِ وهو تَتِمَّةٌ

وأَفتى بمرآهُ أَبو بكرٍ الرَّضي ... وصَدَّقَهُ فيها وتلكَ مَزِيَّةٌ

[عَرف البشام ، للمرادي ١٩ ـ ٢٠] .

الزُّبير بن العوام] ، وسُلَيْمان [بن يسار] ، وخارجةُ [بن زيد بن ثابت] .

● **ذِكْرُ مَنْ تَكَلَّمَ في المَهْدِ** : وهم أَربعةٌ : صاحبُ جريج ببراءَته من الزِّنا ، وشاهدُ يوسف ببراءَته من زَليخا ، وابن الماشِطَة التي لبنتِ فِرْعَوْن ، حَذَّرها من الكُفر ، وعيسى ابن مريم ببراءَةِ أُمِّه عليهما السَّلام[1] .

وَتكَلَّمَ بعد الموتِ أَربعةٌ : يَحْيى بن زكريَّا حين ذُبِح ، وحَبيب النَّجَّار حين قال : ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٢٦] وجعفرُ الطَّيَّار حيثُ قال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] إلخ . والحسينُ بن عليّ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنهما ، حيثُ قالَ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشُّعراء : ٢٢٧][2] .

● **ذِكْرُ مَنْ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ أَكثرَ مِنْ مُدَّةِ الحَمْلِ**[3] : سُفيان بن حيَّان ، وُلد لأَربعِ سِنين خَلَوْنَ في بَطنِ أُمِّه ، ومحمَّد بن عبد الله بن حَسَن ، والضَّحَّاك بن مُزاحم ، وُلد وهو ابنُ ستَّة عشرَ شَهراً خَلَوْنَ في بطنِ أُمِّهِ ، ويَحْيَى بن عليّ بن جابرِ البَغَويّ كذلك ، وسَلمان الضَّحَّاك ، وُلد ابنَ سنتَين خَلَتا في بطنِ أُمِّه .

● **ذِكْرُ النَّمارِدَةُ**[4] : وهم سِتَّةٌ : **فالأَوَّلُ** : نَمروذُ بن كَنعان بن حام بن نُوح عليه السَّلام ، وهو أَحدُ مُلُوكِ الأَرضِ الذِين مَلَكُوا الدُّنْيا بِأَجْمَعِها ، وقَدْ كانَ في زمنِ إِبراهيم عليه السَّلام .

---

(١) وخامسهم طفل أَصحاب الأُخدود ، الذي قال لأُمِّه : اثبتي يا أُمَّاه ، فإنكِ على الحقِّ .

(٢) وزيد بن خارجة بن زيد الأَنصاري ، ورجل من بني خطمة ، وأَخو رِبْعيّ بن خَراش . (الوافي بالوفيات ١٥/ ٤٢) .

(٣) كذا في ط ، وفيهم مَنْ لا يُعرف ؛ والنص ساقط من أ ، ب .
أَمَّا الذين ذُكروا في المعارف ٥٩٤ ولطائف المعارف ١١٤ والأَعلاق الخطيرة ، فهم : الضحاك بن مزاحم ، وشعبة بن الحجَّاج ، وهرم بن حيَّان ، ومحمَّد بن عجلان ، ومالك بن أَنس .

(٤) المحبّر ٤٦٥ ـ ٤٦٦ .

الثَّاني : نُمروذُ بن كُوش بن كَنْعان بن حام بن نوح عليه السَّلام ، وهو صاحِبُ النُّسورِ ؛ وقِصَّتُهُ مَشهورةٌ .

الثَّالثُ : نُمروذُ بن ماش بن إِرم بن سام[1] بن نوح عليه السَّلام .

الرَّابعُ : نُمروذُ [بن كَنعان] بن سَنحاريب بن نُمروذ بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام .

الخامس : نُمروذ بن ساروع بن أَرغو بن فالخ .

السَّادِسُ : نُمروذُ بن كَنعان بن المضاض بن يَقْطان .

● **ذِكْرُ الفَرَاعِنَةِ**[2] : وهم ثلاثةٌ : **فَأَوَّلُهم** : سِنانُ بن الأَشَلّ بن عُلوان بن العبيد بن عِمْليق ، وهو فَرعون إِبراهيم عليه السَّلام .

الثَّانِي : الرَّيَّان بن الوليد ، وهو فِرْعَون يُوسف عليه السَّلام .

الثَّالثُ : الوليدُ بن مُصعب ، وهو فِرعون موسى عليه السَّلام .

● **ذِكْرُ أَصحابِ المذاهبِ المُتَّبَعَةِ ، ووفياتهم ، من كتاب « علوم الحديث » للنووي رحمهُ الله** :

سُفْيان الثَّوريّ ، مات بالبصرةِ سنةَ إِحدى وستِّين ومئة ، ومَولدُهُ سنة سبعٍ وتِسعين .

مالك بن أَنس ، ماتَ بالمدينة سنةَ تسع وسَبعين ومئة ، وولد سنة [ثلاثٍ] وتسعين .

وأَبو حنيفة ، النُّعمانُ بن ثابت ، ماتَ ببغداد سنةَ خَمسينَ ومئة ، وهو ابن سبعين سنةً .

---

(١) في ط : نمرود بن ماش بن كنعان بن حام . . والمثبت من المحبّر .

(٢) المحبَّر ٤٦٦ ـ ٤٦٧ .

وأَبو عبد الله ، **محمَّد بن إدريس الشَّافعيّ** ، ماتَ بمصر آخر رجب ، سنةَ أَربعٍ ومئتين ، وولدَ سَنةَ خَمسين ومئةٍ .

وأَبو عبد اللهِ ، **أَحمد بن حَنْبَل** ، ماتَ [ببغداد ، في ربيع الأَوَّل ، سنةَ إحدى وأَربعينَ ومئتين ؛ وولد][1] ببغداد ، في شهر ربيع الآخر ، سنةَ أَربعٍ وستِّين ومئة ، رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم أَجمعين .

● **ذِكْرُ أَصحابِ الأَحادِيثِ المُعتمدة** :

أَبو عبد الله ، **البُخاريّ** : وُلِدَ يومَ الجُمعةِ ، لثلاثَ عشرَةَ خَلَتْ من شَوَّال ، سنةَ أَربعٍ وتسعينَ ومئة ، ومات ليلةَ الفِطر ، سَنةَ ستٍّ وخَمسين ومئتين .

ومُسلم : ماتَ بِنَيْسَابُور ، لخمسٍ بقينَ من رَجَبٍ ، سنةَ إِحدى وستِّينَ ومئتين ، وهو ابنُ خمسٍ وخَمسين .

وأَبو داود : ماتَ بالبصرةِ ، في شوَّال ، سنةَ خَمسٍ وسبعين ومئتين .

وَأَبو عيسى التِّرمذيّ : ماتَ بِترْمِذ لثلاثَ عشرةَ مَضَتْ من رَجَب ، سنةَ تسعٍ وسبعينَ ومئتين .

وأَبو عبد الرَّحمن النَّسائي : ماتَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثمئة .

وأَبو الحسنِ الدَّارقُطنيّ : ماتَ ببغدادَ ، في ذِي القَعْدة ، سنةَ خمسٍ وثَمانين وثلاثمئة ، ووُلِدَ في سنةِ ستٍّ وثلاثمئة ، رحمةُ الله عليهم أَجمعين .

* * *

● **قال أَهلُ التَّاريخ** : ولَمَّا قُتلَ عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَتى النَّاسُ عليّاً ، وضَربُوا علَيْهِ البابَ ، ودخلُوا فقالوا : إِنَّ هذا الرَّجلَ قد قُتل ، ولا بُدَّ

---

(١) الزيادة لازمة .

للنَّاسِ من إمامٍ ، ولا نعلمُ أحداً أَحَقَّ بها منكَ ، فَرَدَّهم عن ذلك ، فأَبَوْا ، فقال : إِنْ أَبَيْتُمْ إلاَّ بَيْعَتِي ، فإِنَّ بَيْعَتِي لا تكونُ سِرَّاً ، فأَتَوْا المسجدَ ؛ فحضر طلحةُ والزُّبيرُ وسعدُ بن أَبي وقَّاص والأَعيانُ ، وأَوَّلُ مَنْ بايَعَهُ طلحةُ ، ثمَّ بايَعَه النَّاسُ ، واجتمعَ على بيعتهِ المهاجرون والأَنصارُ ، وَتَخَلَّفَ عن بَيعته نَفَرٌ فلمْ يُكرهْهم ؛ وقال قومٌ : قَعدوا عن الحقِّ ، ولَم يَقومُوا مع الباطلِ ، وتَخَلَّفَ عن بَيعته أَيضاً مُعاوية ومَنْ معهُ بالشَّام ، إلى أَنْ كانَ منهم مَا كَانَ في صِفِّين ، ثمَّ خرجَ عليْهِ الخوارجُ ، فكَفَّرُوهُ وكلَّ مَنْ معهُ ، وأَجمعُوا على قِتاله ، قاتَلَهم الله ، وشَقُّوا العَصَا ـ يعني : عَصَا المُسلمين ـ ونَصَبُوا رايَةَ الخِلاف ، وسَفكوا الدِّماء ، وقَطعوا السَّبيلَ ؛ فخرجَ إليهم بِمَنْ معهُ ، ورامَ رُجوعَهم ، فأَبَوْا إلاَّ القتالَ ، فقاتلَهم بالنَّهروان فقَتَلهم ، واستَأْصَلَ جُمهورهم ، ولَمْ يَنْجُ منهُم إلاَّ القليلُ .

وكانَ أَميرُ المؤمنين عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قد قالَ حين طُعِنَ : إِنْ وَلَّوها الأَجْلَحَ ، سَلَكَ بهمُ الطَّريقَ المستقيمَ ، يعني عليَّاً ؛ وكما كان قال ، سَلَكَ بِهم ـ واللهِ ـ الطَّريقَ المستقيمَ .

وكان لَهُ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ شَفَقَةٌ على رَعِيَّتِهِ ، مُتواضِعاً ، وَرِعاً ، ذا قُوةٍ في الدِّينِ .

وكانَ قُوتُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ من دَقيقِ الشَّعيرِ ، يأخذُ منه قَبضةً ، فيضَعُها في القَدَحِ ، ثُمَّ يَصُبُّ عليها ماءً فيَشربُهُ .

وكانَ قد تَفَرَّقَ عليهِ الخوارِجُ ، واعتقدَ بعضُ النَّاسِ فيه الإِلَهِيَّةَ ، فأَحرقَهم بالنَّارِ .

● وسأَلَ رجلٌ ابنَ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : أَكانَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يُباشِرُ القتالَ بنفسِه يومَ صِفِّين ؟ فقال : واللهِ مَا رَأَيْتُ رجلاً ، أَطْرَحَ

لنفسِه فِي مَتْلَفَةٍ ، مثلَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، ولقد كُنْتُ أَراهُ يخرجُ حاسِراً عن رأْسِهِ ، بيدِهِ السَّيْفُ إِلى الرَّجلِ الدَّارِعِ ، فيَقْتله .

قال الحريري في « دُرَّةُ الغَوَّاص »[1] : ومِمَّا يُؤْثَرُ من شَجاعَةِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ أَنَّهُ كَانَ إِذا اعتَلَى قَدَّ؛ وإِذا اعترضَ قَطَّ ؛ فالقَدُّ : قَطْعُ الشَّيءِ طُولاً ؛ والقَطُّ : قَطْعُهُ عَرْضاً .

وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُ قَتْلهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ومَنْ قَتَلَهُ ؛ وكان طَعْنُ ابنِ مُلْجَمٍ له في ليلةِ الجُمعةِ ، السَّابعةَ عشر من شَهرِ رمضان ، سنة أَربعين من الهجرةِ ، وَثَبَ عليه ، فَضَرَبَهُ بخِنْجَرٍ على دِماغِهِ ، فماتَ بعدَ يَومين ؛ وأَخذُوا ابنَ مُلْجَمٍ فعذَّبُوهُ وقَطَّعُوهُ إِرْباً إِرْباً بعد موتِ عليٍّ ؛ وكان أَفضلَ مَنْ بقيَ من الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

ومَناقبهُ كثيرةٌ جدّاً ، جَمَعَها الحافِظُ أَبو عبد الله الذَّهبيّ في مجلَّدٍ .

● وذَكَرَ غيرُ واحدٍ ، أَنَّهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ لمَّا ضَربهُ ابْنُ مُلْجَمٍ ، قاتَلَهُ الله ، أَوْصى الحسنَ والحُسينَ وَصِيَّةً طَويلةً ، وفي آخِرِها[2] : يا بَني عبدِ المُطَّلِب ، لا تَخُوضُوا دِماءَ المُسلِمينَ خَوْضاً ، تقولُون : قُتلَ أَميرُ المؤمنين ، أَلا لا يُقْتَلَنَّ بِي غيرُ قاتِلِي ، اضربُوهُ ضربةً بِضَربةٍ ، ولا تُمَثِّلُوا بِهِ ؛ فإِنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إِيَّاكُمُ والمُثْلَةَ » .

ولمَّا ماتَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قَتَلَ الحسنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ عبدَ الرَّحمنِ بن مُلْجَمٍ ، فقَطَعَ يَدَيْهِ ورِجْلَيهِ ، وكَحَلَ عَينيهِ بمسمارٍ مُحَمَّىً في النَّارِ ، كلُّ ذلكَ ولَمْ يتَأَوَّهْ ، ولَمْ يَجْزَعْ ؛ فلمَّا أَرادُوا قَطْعَ لِسانِهِ ، تأَوَّهَ

---

(١) درَّة الغوَّاص ١٢٩ .

(٢) مقتل أَمير المؤمنين ٤٦ وما بعد ، وتاريخ الطبري ٥/ ١٤٧ ـ ١٤٨ ومقاتل الطالبيين ٣٩ وشرح النهج ٦/ ١٢٠ والبداية والنهاية ١١/ ١٦ .

وَجَزِعَ ، فسُئِلَ عن ذلك ؟ فقال : واللهِ مَا أَتَأَوَّهُ فَزَعاً ، ولا جَزَعاً من الموتِ ، وإنَّما أَتَأَوَّهُ لأَنْ تَمُرَّ عليَّ ساعةٌ من ساعاتِ الدُّنيا ، لا أَذكرُ الله تعالى فيها ؛ فقَطعُوا لِسانَهُ ، فماتَ بعدَ ذلكَ[1] .

● وفي الحديثِ ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لعليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : « يا عَليُّ أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الأَوَّلين ؟ قال : اللهُ ورسولُهُ أَعلمُ . قالَ : عاقِرُ ناقةِ صالح ؛ ثمَّ قال : أَتَدري مَنْ أَشقى الآخِرين ؟ قال : اللهُ ورسولُهُ أَعلم . قال : الذي يَضربُكَ على هَذِهِ ، فَيَبُلُّ منها هَذِهِ ، وأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ » .

وكانَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يقولُ : واللهِ لوددتُ لَوِ انْبَعَثَ أَشْقاها ؛ فَضَربهُ ابنُ مُلْجَمٍ الخارجيُّ قاتَلَهُ الله ، كما تَقَدَّمَ .

وكانَتْ وفاتُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، وهو ابنُ سبعٍ . وقيل : ثمانٍ وخَمسين . وقيل : ثلاثٍ . وقيلَ : ثمانٍ وستِّين .

وقالَ ابنُ جَريرٍ الطَّبريّ : ماتَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وعُمرُهُ خمسٌ وسِتُّونَ سنةً . وقالَ غَيْرُهُ : ثلاثٌ وسِتُّونَ سنةً[2] .

وكانت خِلافَتُهُ أَربعَ سِنين ، وتسعةَ أَشهرٍ ، ويَوماً واحداً .

وكانَتْ مُدَّةُ إقامَتِهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بالمدينةِ ، أَربَعَةَ أَشهرٍ ؛ ثمَّ سارَ إلى العِراقِ ، وقُتِلَ بالكوفَةِ ، كما تَقَدَّمَ ؛ وللنَّاسِ خِلافٌ في مُدَّةِ عُمرِهِ ، وفي قدرِ خِلافتِهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، واللهُ أَعلمُ .

---

(١) مقتل أَمير المؤمنين ٧٦ وما بعد والبداية والنهاية ١١/ ١٢٨ .

(٢) مقتل أَمير المؤمنين ٦١ وما بعد وتاريخ الطبري ٥/ ١٥١ ـ ١٥٢ .
ولم يقل الطَّبري أَنَّ عمر الإمام بلغ خمساً وستين سنةً ، بل نقل عن رواته أَنَّه قُتل وهو ابن ثلاثٍ وستِّين سنةً .

خلافَةُ أَميرِ المؤمنينَ الحَسَن بن عليّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[1]

وهو السَّادِسُ ، فَخُلِعَ كما سيأْتي .

قالوا : ثمَّ قامَ بالأَمرِ بَعدهُ ، أَميرُ المؤمنين الحَسَنُ بن عليّ بن أَبي طالب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ؛ وكُنيتُهُ : أَبو محمَّدٍ ، ولَقَبُهُ : الزَّكيُّ[2] ؛ وأُمُّهُ فاطِمةُ الزَّهراءُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ بعدَ وفاةِ والِدِه ، ثمَّ سارَ إِلى المدائنِ واستقرَّ بها ، فبَيْنَما هو بالمَدائِنِ إِذْ نَادَى مُنادٍ : إِنَّ قَيْساً قد قُتِلَ ، فانْفِرُوا ؛ وكان الحسنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قد جعله على مقدّمةِ الجيش ، وهو قَيس بن سَعْد بن عُبادة رضي الله تعالىٰ عنهما ، فلمّا خرج الحسنُ رضي الله تعالىٰ عنه عَدا عَليهِ الجرَّاح [بن سنان][3] الأَسَديَّ قَاتَلَهُ الله ، وهو يَسيرُ معه ، فَوَجَأَهُ بالخِنْجَرِ في فَخْذِهِ ليقتلَهُ ! فقالَ الحسنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : قَتَلْتُمْ أَبي بالأَمسِ ، وَوَثَبْتُم عليَّ اليومَ تُريدون قَتْلِي ، زُهْداً في العادلينَ وَرَغْبَةً في القاسِطِينَ ! واللهِ لَتَعْلَمُنَّ نَبأَهُ بعدَ حِينٍ ؛ ثمَّ كتبَ إِلى مُعاوية رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بتَسْلِيمِ الأَمرِ إِليه ، واشترَطَ عليهِ شُرُوطاً . فأَجابَهُ مُعاويةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه إِلى مَا الْتَمَسَهُ مِنهُ ، وصَيَّرَ لَهُ مَا اشتَرَطَ عليهِ ، فَسَلَّمَ الأَمْرَ إِلى مُعاويةَ ، وبايَعُ لهُ لخَمسٍ بَقينَ من شهرِ رَبيع الأَوَّل ، وذلك لأَنَّهُ رأَى المَصلحَةَ في جَمْعِ الكَلمةِ وتَرْكِ القتالِ ، وظهَرَتِ

---

(١) ترجمته وأَخباره في : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥٢ ومقاتل الطَّالبيِّين ٤٦ وتاريخ الطَّبري ٥/ ١٥٨ ومروج الذَّهب ٣/ ١٨١ والمنتظم ٥/ ١٦٤ ووفيات الأَعيان ٢/ ٦٥ وتاريخ دمشق (جزء الحَسن بن علي) ومختصره ٧/ ٥ وسير أَعلام النُّبلاء ٣/ ٢٤٥ والوافي بالوفيات ١٢/ ١٠٧ والكامل في التَّاريخ ٣/ ٤٦٠ وتاريخ الخلفاء ٢٢٢ وشذرات الذهب ١/ ٢٤٢ والبداية والنِّهاية ١١/ ١٨١ .

(٢) في أ : الوليّ .

(٣) الزيادة عن فرق الشيعة للنوبختي ٤٢ .

المعجزَةُ في قَولهِ ﷺ : « إِنَّ ابْني هَذَا سَيِّدٌ ، وسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ ـ وفي روايةٍ ـ : ولعلَّ اللهُ أَنْ يصلِحَ بِهِ بينَ فِئَتَيْنِ عَظِيمتَيْنِ من المُسلمينَ » .

ويُقالُ : إِنَّهُ أَخَذَ منهُ ـ يعني من مُعاوية ـ أَلف أَلف درهمٍ ؛ وقالت فِرقةٌ : إِنَّهُ صالَحَهُ بأَذْرُحٍ[1] ، في جُمادَى الأُولىٰ ، وأَخَذَ منه مئة أَلف دِينارٍ ؛ ويُقال : أَربعمئة أَلف درهمٍ ؛ ويُقالُ : إِنَّهُ شَرَطَ عليْهِ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِن بيتِ المالِ ، يأخذُ منه حَاجَتَهُ ، وأَنْ يَكونَ وَليَّ العهدِ مِن بَعده ؛ ففَرِحَ مُعاويةُ بذلك وأَجابَ ، فَخَلَعَ الحسنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه نفسَه ، وسَلَّمَ الأَمرَ إِلى مُعاوية ، وصالَحهُ ، ودخلَ هو وإِيَّاهُ الكوفةَ ، فَسُمِّيَ عامَ الجماعةِ ، لاجتماعِ الأُمَّة بعد الفُرقةِ على خَليفةٍ واحدٍ .

● قال الشَّعبيُّ : شَهدتُ خُطبةَ الحسنِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه حينَ صالحَ مُعاوية ، وخلعَ نفسَهُ من الخِلافَةِ ، فَحَمِدَ الله وأَثْنَى عليه ، ثمَّ قال :

أَمَّا بَعدُ ، فإِنَّ أَكْيَسَ الكَيْسِ التُّقَى ، وأَحْمَقَ الحُمْقِ الفُجورُ ، وإِنَّ هذا الأَمْرَ الذي اختلفتُ أَنا ومُعاوية فيهِ ، إِنْ كانَ لهُ فَهوَ أَحَقُّ منِّي بِهِ ، وإِنْ كانَ لِي فَقَدْ تَركتُه له إِرادةً لإِصلاحِ الأُمَّةِ ، وحَقْنِ دِماءِ المُسلمين ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء : ١١١] .

ثمَّ رَجَعَ إِلى المدينةِ ، وأَقامَ بِها ، فَعُوتِبَ على ذلك ، فقالَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : اخترتُ ثَلاثاً على ثلاثٍ : الجَماعةَ على الفُرْقَةِ ، وحقْنَ الدِّماءِ على سَفْكِها ، والعارَ على النَّارِ .

● وفي الحديثِ الصَّحيحِ ، عن أَبي بَكرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قال : رأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ على المنبرِ ، والحسَنُ إِلى جَنبه ، وهو يُقْبِلُ على النَّاسِ

---

(١) أَذرح : اسم بلد في أَطراف الشَّام ، من أَعمال الشَّراة ، ثمَّ من أَعمال البلقاء وعمَّان ، مجاورة لأَرض الحجاز . (معجم البلدان ١/ ١٢٩) .

مَرَّةً وعليه أُخرى ، ويقولُ : « إِنَّ ابْني هذا سَيِّدٌ ، ولعلَّ الله أَنْ يُصلحَ به بَيْنَ فِئَتين عَظِيمتَيْن من المُسلمين » .

● وَيُرْوى عن الحسن رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قال : إِنِّي لأَسْتَحْيي من رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ أَلقاهُ ولَمْ أَمْشِ إِلى بَيْتِهِ ؛ فَمَشَى عِشْرِينَ مَرةً على رِجْلَيْهِ من المدينَةِ إِلى مَكَّةَ ، وإِنَّ النَّجائِبَ لَتُقادُ معه .

وَخَرَجَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه من مالِهِ مَرَّتين ، وقاسَمَ الله عَزَّ وَجَلَّ مالَهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، حتَّى إِنَّهُ يُعطي نَعْلاً وَيُمْسِكُ أُخرى .

● قال ابنُ خلِّكان : لمَّا مَرِضَ الحسنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، كتبَ مَروانُ ابن الحَكَمِ إِلى مُعاوية بذلك ، فكتبَ إِليهِ مُعاوية : أَنْ أَقْبِلِ المَطِيَّ إِليَّ بخبرِ الحسنِ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ مُعاويةَ مَوْتُهُ ، سُمِعَ تكبيرُهُ من الخَضْراء[١] ، فَكَبَّرَ أَهلُ الشَّامِ لذلكَ التَّكْبيرِ ؛ فقالت فاخِتَةُ بنتُ قَرَظَة لمُعاويةَ : أَقَرَّ الله عَيْنَكَ ، مَا الذِي كَبَّرْتَ لأَجْلِهِ ؟ فقالَ : ماتَ الحسنُ ! فقالت : أَعلى موتِ ابنِ فاطِمَةَ تُكَبِّرُ ؟ فقالَ : واللهِ مَا كَبَّرْتُ شَماتَةً بموتِهِ ، ولكنْ استراحَ قَلْبي .

وَدَخَلَ عَلَيْهِ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ الله تعالى عنهما ، فقالَ له : يا ابْنَ عبَّاسٍ ، هَلْ تَدْرِي مَا حَدَثَ في أَهْلِ بَيْتِكَ ؟ فقالَ : لا أَدْرِي مَا حَدَثَ ، إِلاَّ أَنِّي أَراكَ مُسْتَبْشِراً ، وَقَدْ بَلَغَنِي تكبيرُك ؛ فقال : مَاتَ الحَسَنُ . فقالَ ابنُ عبَّاسٍ : يرحَمُ الله أَبا مُحَمَّدٍ ، ثلاثاً ، واللهِ يا مُعاويةُ لا تَسُدُّ حُفْرَتُهُ حُفْرَتَكَ ، ولا يَزِيدُ عُمرهُ في عُمرك ، ولئِنْ كُنَّا قَدْ أُصِبْنا بالحسنِ ، فَلَقَدْ أُصِبْنَا بإِمامِ المُتَّقين ، وخاتمِ النَّبيِّين ، فَجَبَرَ اللهُ تلكَ الصَّدْعَةَ ، وسَكَّنَ تلكَ العَبْرَةَ ، وكانَ اللهُ الخَلَفَ عَلَيْنا مِنْ بَعْدِهِ .

وكانَ الحسنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قَدْ سُمَّ ، سَمَّتْهُ امْرأَتُهُ جَعْدَةُ بنتُ

---

(١) الخضراء : قصر معاوية بدمشق ، وموقعه جنوبي الجامع الأُمويّ الكبير .

الأَشعثِ ، فَمَكَثَ شَهرينِ يُرْفَعُ مِنْ تَحْتِهِ في اليَوْمِ كذا وكذا مَرَّةً طَسْتٌ من دمٍ .

وكان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يقولُ : سُقيتُ السُّمَّ مِراراً ، مَا أَصابَنِي فِيها مَا أَصابَنِي في هَذِهِ المرَّةِ .

وكانَ قَدْ أَوْصَى لأَخيهِ الحُسين رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، وقالَ : إذا أَنا مِتُّ ، فادْفِنِّي مع جَدِّي رسولِ اللهِ ﷺ إنْ وَجَدْتَ إلى ذَلِكَ سَبيلاً ، وإِنْ مَنَعُوكَ فادْفِنِّي بِبَقِيعِ الغَرْقَدِ ؛ فلمَّا ماتَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، لَبِسَ الحُسَيْنُ ومَواليهِ السِّلاحَ ، وخَرَجُوا لِيَدفنُوهُ مع جَدِّهِ ، فَخرجَ مروانُ بن الحَكَمِ في مَوالِي بَنِي أُمَيَّةَ ، وهو يومئِذٍ عاملٌ على المدينةِ ، فَمَنَعَ الحُسينَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه من ذلك .

وكانَتْ وَفاتُهُ في شَهر ربيع الأَوَّل ، سنةَ تِسعٍ وأَربعينَ . وقيل : سنَة خَمسينَ .

وصلَّى عليهِ سَعيدُ بن العاص ، ودُفِنَ مع أُمِّهِ فاطمة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما . وقيل : دُفِنَ بالبَقيعِ في قبرٍ في قُبَّةِ العبَّاس .

ودُفِنَ في هذا القبرِ أَيضاً عليٌّ زينُ العابدين ، وابنُهُ محمَّد الباقِر ، وابنُ ابنه جَعْفَر بن محمَّد الصَّادق ؛ فهم أَربعةٌ في قبرٍ واحدٍ ، فأَكْرِمْ بِهِ قَبْراً .

وكانت خِلافته سِتَّةَ أَشهرٍ ، وخَمسةَ أَيَّامٍ . وقيل : ستَّةَ أَشهرٍ إلاَّ أَيَّاماً ؛ وهي تكملةُ مَا ذَكَرَهُ رسولُ الله ﷺ من مُدَّةِ الخلافَةِ ، ثمَّ يَكُونُ مُلْكاً عَضُوضاً ، ثمَّ يَكُونُ جَبَرُوتاً وَفَساداً في الأَرْضِ ؛ وكَانَ كَمَا قال رسولُ الله ﷺ .

وماتَ الحسنُ رضي الله تعالَى عنه ، وعُمرهُ سبعٌ وأَربعونَ سنةً ؛ رَضِيَ اللهُ عنه وأَرضاه .

خِلافَةُ أَميرِ المؤمنينَ مُعاويةُ بن أَبي سُفيان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[1]

قالوا : ولَمَّا خَلَعَ الحسنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه نفسَهُ من الخِلافَةِ ، تَمَّ الأَمْرُ لِمُعاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، واسْتَقَامَ لَهُ المُلْكُ ، وَصَفَتْ له الخِلافَةُ ، وكان قد بُويعَ له بالخلافَةِ يومَ التَّحكِيم، بَايَعَهُ أَهلُ الشَّامِ، واختلف عليه أَهْلُ العِراقِ، إلى أَنْ صَالَحَهُ الحسنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فأَجمعَ النَّاسُ على بَيْعَتِهِ .

ومَوْلِدُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بالخِيفِ من مِنى .

أَسْلَمَ قبلَ أَبيهِ أَبي سُفيان ، وصَحِبَ رسولَ اللهِ ﷺ ، وكتَبَ لَهُ ، وكان في عَسْكَرِ أَخيهِ يَزيد بن أَبي سُفيان ، وكان عامِلاً لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، استَعملَهُ على إِمْرَةِ دمشقَ ، فلمَّا احْتُضِرَ اسْتَخْلَفَ أَخاهُ عليها ، فَأَقَرَّهُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه على ذلك ، في سنة عشرين ، فَلَمْ يَزَلْ مُتَوَلِّياً على الشَّامِ عشرينَ سنةً ، وذلك بقيَّةَ خلافَةِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وخِلافَةِ عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالىَ عنه ؛ وفي خلافَةِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ مُتَغَلِّباً عليها ، إلى أَنْ سَلَّمَ إليهِ الحسنُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ الخِلافَةَ ، فاجتَمَعَ لَهُ الأَمْرُ ، وَبَعَثَ نُوَّابَهُ إلى البِلادِ ، وذلك في سنةِ إِحدى وأَربعينَ ، فَسُمِّيَ عامَ الجَماعَةِ ، لأَنَّ الأُمَّةَ اجتمعَتْ فِيهِ بَعْدَ الفُرْقَةِ على إمامٍ واحِدٍ .

وكانَتِ امرَأَةٌ[2] استشارَتِ النَّبيَّ ﷺ في أَنْ تَتَزَوَّجَ بِهِ ، فقال : « إِنَّهُ صُعلُوكٌ لا مَالَ لهُ » . ثمَّ بعدَ هذا القولِ بإِحدى عشرةَ سنةً ، صارَ نائِبَ دمشقَ ، ثمَّ بعد الأَربعينَ ، صارَ مَلِكَ الدُّنْيَا .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : طبقات ابن سعد ٦/ ١٥ و٩/ ٤١٠ والمعارف ٣٤٤ وأَنساب الأَشراف ٤/ ١/ ١٣ وتاريخ الطبري ٥/ ٣٢٣ ومروج الذهب ٣/ ١٨٨ وتاريخ بغداد ١/ ٥٧٤ والمنتظم ٥/ ١٨٥ ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٩٩ والكامل في التاريخ ٤/ ٥ وسير أَعلام النبلاء ٣/ ١١٩ والبداية والنهاية ١١/ ٣٩٦ وتاريخ الخلفاء ٢٣٠ وشذرات الذهب ١/ ٢٧٠ .

(٢) هي فاطمة بنت قيس ؛ والحديث في : أَبي داود (٢٢٨٤) ومسند أَحمد ٦/ ٤١٢ .

وكـانَ مَلِيْـحَ الشَّكْـلِ ، عَظِيـمَ الهَيْبَـةِ ، وافِـرَ الحِشْمَـةِ ، يَلبسُ الثِّيـابَ الفاخرةَ ، والعُدَّةَ الكامِلَةَ ، ويَركبُ الخيلَ المُسَوَّمَةَ ؛ وكان كثيرَ البَذْلِ والعَطَاءِ ، مُحسِناً إِلى رعيَّتِه ، كبيرَ الشَّأْنِ .

يَجتمعُ مع رسولِ الله ﷺ في عبد مَناف بن قُصَيّ ؛ وَيُنسبُ إِلى أُمَيَّةَ بن عبدِ شَمْسٍ ، فيُقالُ : الأُمَويُّ .

وَخَرَجَ علَيْهِ مُرَّةُ بن نَوفل الأَشْجَعِيّ الحَروريّ ، وورِدَ الكوفَةَ ، وهو أَوَّلُ الخوارِج ، فكتبَ مُعاويةُ إِلى أَهلِ الكوفَةِ : أَلا لا ذِمَّةَ لَكُمْ عِندي ، حتَّى تكفوني أَمْرَهُ ، فقاتَلُوه وقَتلُوهُ .

وهو أَوَّلُ مَنِ اتَّخَذَ المَقاصيرَ ، وأَقامَ الحَرَسَ والحُجَّابَ ، وَأَوَّلُ مَنْ مَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ صاحبُ الشَّرطَةِ بالحَرْبَةِ ؛ وَأَوَّلُ مَنْ تَنَعَّمَ في مَأْكَلِه ومَشْرَبِهِ ومَلْبَسِهِ .

وكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَليماً ، وله في الحِلْمِ أَخبارٌ كثيرةٌ .

ولمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ ، جمَعَ أَهْلَهُ فقال : أَلَسْتُمْ أَهْلِي ؟ قالُوا : بَلَى ، فَدَاكَ الله بِنا ؛ فقالَ : وعليكُمْ حُزْنِي ، ولكُمْ كَدِّي وكَسْبِي ؟ قالُوا : بلى ، فَدَاكَ اللهُ بنا ؛ قالَ : فَهَذِهِ نَفْسِي قَدْ خَرَجَتْ من قَدَمِي ، فَرُدُّوها علي إِنِ اسْتَطَعْتُمْ ؛ فَبَكَوا ، وقالوا : واللهِ مَا لَنَا إِلى هذا من سَبيلٍ ؛ فرفَع صوْتَهُ بالبُكاءِ ، ثمَّ قالَ : فَمَنْ تَغرُّهُ الدُّنْيا بَعْدِي ؟

وَذَكرَ غيرُ واحدٍ ، أَنَّهُ لَمَّا ثَقُلَ في مرَضِه ، وتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّهُ الموتُ ، قال لأَهْلِهِ : احْشُوا عَيْنَيَّ إِثْمداً ، وأَوسِعُوا رَأْسِي دُهْناً ؛ فَفَعلوا وبَرَّقُوا وَجْهَهُ بالدُّهْنِ ، ثمَّ مَهَّدُوا له مَجْلِساً ، وأَسْنَدُوهُ ، وأَذِنُوا للنَّاسِ ، فَدَخَلُوا وسلَّمُوا عليهِ قِياماً ، فلمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ، أَنشدَ قائِلاً[1] : [من الكامل]

---

(١) البيت لأَبي ذؤيب الهذلي ، في شرح أَشعار الهذليّين ١/ ٨ و١٠ وديوان الهذليّين ١/ ٣ .

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِيْنَ أُرِيْهِمُ   أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ[1]

فسمعَهُ رجلٌ من العَلويِّينَ ، فأَجابَهُ[2] : [من الكامل]

وإِذا المنيةُ أَنشبتْ أظفارها   أَلفيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تنفعُ

ثمَّ إِنَّهُ أَوصى أَنْ تُدَقَّ قُلامَةُ أَظْفارِ رسولِ الله ﷺ ، وتُجعلَ في مَنافِذِ وَجْهه ، وأَنْ يُكَفَّنَ بِثَوْبِ سَيِّدِنا رسولِ الله ﷺ .

وتُوفِّيَ بدمشق ، في نصفِ رَجَب ؛ وقيل : في مُسْتَهَلِّ رَجب ، سنةَ ستِّين ؛ وصَلَّى عليه الضَّحَّاكُ الفِهْرِيُّ ، لِغَيبةِ ابنِه يَزيد بِبيتِ المَقْدِسِ[3] .

واختُلفَ في عُمره ، فقيل : ثمانون ؛ وقيل : خَمسٌ وسَبعونَ سنةً ؛ وقيلَ : خَمسٌ وثمانونَ سنةً ، وقيلَ : ثمانٍ وثَمانون ، وقيل : تِسعون .

وكانت خِلافَتُهُ منذُ خَلَصَ لَهُ الأَمْرُ ، تسعَ عشرةَ سنةً ، وثلاثةَ أَشهرٍ ، وخَمسةَ أَيَّامٍ ؛ وكانَ أَميراً وخليفةً أَربعين سنةً ، منها أَربعُ سنينَ في خلافَةِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ؛ واللهُ أَعلَمُ .

خِلافةُ يزيد بن مُعاوية[4]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ابنُه يَزِيد ، بُويعَ له بالخِلافَةِ يومَ ماتَ أَبوهُ ، وذلكَ أَنَّ أَباه كان قد جَعَلَهُ وَليَّ العهدِ من بَعْدِهِ ، وكانَ بحمصَ ، فَقَدِمَ منها وبادَرَ إِلى قَبْرِ

---

(١) في أ : × أَنِّي لِوَشْكِ البَيْنِ لا أَتَضعضَعُ .

(٢) البيت لأَبي ذؤيب الهذلي ، في شرح أَشعار الهذليِّين ١/ ٨ و١٠ وديوان الهذليِّين ١/ ٣ .

(٣) كذا في أ ، ط . وهو خطأٌ ؛ بل كان بحوَّارين من أَرض حمص ، كما سيأتي في ترجمة يزيد .

(٤) **ترجمته وأَخباره في** : المعارف ٣٥١ ومروج الذَّهب ٣/ ٢٦٢ وتاريخ الطَّبري ٥/ ٣٣٨ و٤٩٩ والأَغاني ١٧/ ٢٠٩ وأَنساب الأَشراف ٤/ ١/ ٢٨٦ ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨ والكامل في التَّاريخ ٤/ ١٢٦ والمنتظم ٥/ ٣٢٢ وسير أَعلام النُّبلاء ٣/ ٣٥ وفوات الوفيات ٤/ ٣٢٧ والبداية والنِّهاية ١١/ ٦٣٧ وتاريخ الخلفاء ٢٤٢ وشذرات الذَّهب ١/ ٢٨٦ .

أَبيهِ ، ثم دَخَلَ دمشقَ إِلى الخَضْرَاءِ ، وكانت دارَ السَّلطنَةِ ، فَخَطبَ النَّاسَ بها ، وبايَعُوهُ بالخِلافَةِ ، وكتَبَ إِلى الأَقالِيمِ بذلكَ ، فبايَعُوهُ .

وَلَمْ يُبَايِعْهُ الحُسينُ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ولا عبدُ الله بن الزُّبيرِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، واختَفَيا من عامِلِه الوليد بن عُتْبة بن أَبي سُفيان ، وأَقامَا مُصِرَّيْنِ على الامتِنَاعِ إِلى أَنْ قُتِلَ الحسينُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بكَرْبَلاء .

وكَانَ الذي باشَرَ قَتْلَهُ الشَّمِرُ بن ذِي الجَوْشَنِ ، وقيل : سِنانُ بن أَنس النَّخعيّ ، وقيل : إِنَّ الشَّمِرَ ضَرَبَهُ على وَجْهِهِ ، وأَدْرَكَهُ سِنانُ فَطَعَنَهُ ، فأَلقاهُ عنْ فَرَسِهِ ، ونزَلَ خَوْليُّ بن يَزيد الأَصْبَحِيّ ليحزَّ رَأْسَهُ ، فارْتَعَدَتْ يَداهُ ، فنَزَلَ أَخوهُ شِبْلُ بن يَزيد ، فاحتزَّ رأْسَهُ ، وَدَفَعَهُ إِلى أَخِيهِ خَوْليّ ؛ وكانَ أَميرَ الجيشِ عُبيدُ الله بن زِياد بن أَبيهِ ، مِن قَبلِ يزيد بن مُعاوية .

وقالُوا : ثمَّ إِنَّ عُبيدَ الله بن زياد ، جَهَّزَ عليَّ بن الحُسين ، ومَنْ كَانَ مع الحُسين من حَرَمِهِ ، بعد أَنِ اعتمدُوا مَا اعتَمدُوهُ من سَبْيِ الحريمِ ، وقَتْلِ الذَّراريّ ، مِمَّا تَقْشَعِرُّ مِنْ ذِكْرِهِ الأَبْدَانُ ، وتَرتعدُ منه الفَرائِصُ ، إِلى البَغيضِ يَزيد بن مُعاوية ، وهو يَومئذٍ بدمشق ، مع الشَّمِرِ بن ذِي الجَوْشَنِ ، في جَماعَةٍ من أَصْحابِهِ ؛ فَسارُوا إِلى أَنْ وَصَلُوا إِلى دَيْرٍ في الطَّرِيقِ ، فَنَزَلُوا لِيَقيلُوا بِهِ ، فوَجَدُوا مَكتوباً على بَعْضِ جُدْرانِهِ[1] : [من الوافر]

أَتَـرْجُـو أُمَّـةٌ قَتَلَـتْ حُسَيْنـاً ... شَفـاعَـةَ جَـدِّهِ يَـوْمَ الحِسـابِ

فَسَأَلُوا الرَّاهِبَ عَنِ السَّطْرِ ، وَمَنْ كَتَبَهُ ؟ فقالَ : إِنَّهُ مَكْتُوبٌ هُنا من قَبْلِ أَن يُبْعَثَ نَبِيُّكم بخَمسمئةِ عامٍ .

وقيل : إِنَّ الجِدارَ انْشَقَّ ، فَظَهَرَ منه كَفٌّ مَكتوبٌ فِيهِ بالدَّمِ هذا السَّطْرُ .

---

(١) الخبر والبيت بلا نسبة ، في مختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٥٥ و١٥/ ٢٠٤ وبغية الطلب ٦/ ٢٦٥٢ و٢٦٥٣ وتهذيب الكمال ٦/ ٤٤٢ و٤٤٣ .

ثمَّ ساروا حتَّى قَدِمُوا دمشقَ ، ودَخَلُوا على يَزيد بن مُعاوية ، ومَعهم رأسُ الحُسينِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، فَرُمِيَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ يَزيد ، ثمَّ تكَلَّمَ شَمِرُ بن ذِي الجَوْشَنِ ، فقالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، وَرَدَ عَلَيْنَا هذا ـ يعني الحُسينَ ـ في ثمانيةَ عَشَرَ رَجُلاً من أَهلِ بَيْتِهِ ، وسِتِّينَ رَجُلاً من شِيْعَتِهِ ، فَسِرْنَا إِليهم ، وَسَأَلْناهُم النُّزولَ على حُكْمِ أَميرِنا عُبيد الله بن زياد أَوِ القتال ، فاخْتارُوا القِتالَ ، فَغَدَوْنا عليهم عندَ شُرُوقِ الشَّمسِ ، وأَحَطْنَا بهم من كلِّ جانبٍ ، فلمَّا أَخَذَتِ السُّيوفُ مَأْخَذَهَا ، جَعَلُوا يَلُوذُونَ لَوَذانَ الحَمامِ من الصُّقُورِ ، فَما كانَ إلاَّ مِقْدَارُ جَزْرِ جَزُورٍ أَوْ نَوْمَةِ قائِلٍ ، حتَّى أَتَيْنا على آخِرِهم ؛ فَهاتِيكَ أَجسادُهُم مُجَرَّدَةٌ ، وثِيابُهم مَزَمَّلَةٌ ، وخُدُودُهم مُعَفَّرَةٌ ، تَسْفِي عليهمُ الرِّياحُ ، زُوَّارُهُم العِقْبَانُ ، وَوُفودهُم الرَّخَمُ .

فَلَمَّا سَمِعَ يزيدُ ذلك ، دَمَعَتْ عَيْناهُ ، وقالَ : وَيْحَكُم ، قد كَنْتُ أَرْضَى من طاعَتِكم بدُونِ قَتْلِ الحُسَيْنِ ، لَعَنَ اللهُ ابْنَ مُرْجانَةَ ، أَمَا واللهِ لو كُنْتُ صاحِبَهُ لَعَفَوْتُ عَنهُ ، ثمَّ قالَ : يَرْحَمُ الله أَبَا عبدِ اللهِ ؛ ثمَّ تَمَثَّلَ بقولِ الشَّاعرِ[1] : [من الطَّويل]

يُفَلِّقْنَ هاماً من رِجالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

ثمَّ أَمَرَ بالذُّرِّيَّةِ فأُدْخِلُوا دارَ نِسائِهِ ، وَكَانَ يَزيدُ إِذا حَضَرَ غَداؤه ، دَعا عليَّ بنَ الحُسين وأَخاهُ عُمر بن الحُسين فأَكَلا معه ؛ ثمَّ وَجَّهَ الذُّرِّيَّةَ صُحْبَةَ عليّ ابن الحُسين إِلى المدينةِ ، وَوَجَّهَ معهم رَجُلاً في ثلاثينَ فارِساً يَسيرُ أَمامَهم ، حتَّى انتهَوا إِلى المدينةِ ، فَكَانَ بَيْنَ وَفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ وبَيْنَ اليَوْمِ الَّذي قُتِلَ فِيهِ الحُسينُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ خَمسونَ عاماً .

---

(١) البيت للحصين بن الحمام المرّيّ من مفضَّليَّة ، في المفضليّات ٦٥ ومنتهى الطلب ٢/ ١٥٠ وخزانة الأدب ٣/ ٣٢٣ .

وَقِيلَ : إنَّ الحُسينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا وَصَلَ إلى كَربلاء ، سَأَلَ عن اسْمِ المكانِ ، فقيل له : كَربلاء ؛ فقال : ذاتُ كَرْبٍ وبَلاءٍ ، لَقَدْ مَرَّ أَبِي بهذا المكانِ عندَ مَسيرِهِ إلى صِفِّين وأنا معهُ ، فَوَقَفَ وسَأَلَ عنهُ ، فأخبرُوهُ باسْمِهِ ، فقال : هَا هُنا مَحَطُّ رِحالِهِم ، وها هُنا مُهْراقُ دِمائِهِم ؛ فَسُئِلَ عن ذلك ، فقال : نَفَرٌ من آلِ محمَّدٍ ، ينزلُونَ هَا هُنا ؛ ثمَّ أَمَرَ بأَثْقَالِهِ فَحُطَّتْ فِي ذَلِكَ المكانِ .

وكانَ قَتْلُهُ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ يَوْمَ عاشوراء ، في سنةِ سِتِّينَ . ذَكَرَهُ أَبو حَنيفة في « الأَخبار الطِّوال »[1] .

وسيَأْتِي إنْ شاءَ اللهُ تَعالى في « بابِ الكافِ »، في لَفْظِ « الكَلْبِ » مَا ذَكَرَهُ ابنُ عبد البَرِّ في « بَهْجَةِ المَجالِسِ وأُنْسِ المُجالس »[2] أَنَّهُ قِيلَ لجعفر الصَّادق : كَمْ تَتَأَخَّرُ الرُّؤْيَا ؟ فقالَ : خَمسينَ سنةً ؛ لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَأَى كَأَنَّ كَلْباً أَبْقَعَ وَلَغَ في دَمِهِ ، فَأَوَّلَهُ بِأَنَّ رَجُلاً يَقْتُلُ الحسينَ ابنَ بِنْتِهِ ، فكَانَ الشَّمِرُ بن ذِي الجَوْشَنِ الكلبِ قاتلَ الحُسين رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وكانَ أَبْرَصَ ، فتَأَخَّرَتِ الرُّؤْيَا بَعْدَهُ ﷺ خَمسينَ سنةً .

وفي هَذِهِ السَّنَةِ ـ أَي سنَةَ سِتِّين ـ دَعَا ابنُ الزُّبير رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما إلى نَفْسِهِ بالخِلافَةِ بمكَّةَ ، وعابَ يَزيد بشُربِ الخَمرِ ، واللَّعِبِ بالكِلابِ ، والتَّهاونِ بالدِّينِ ؛ وأَظْهَرَ ثَلْبَهُ ، وَتَنَقَّصَهُ ، فبايَعَهُ أَهلُ تِهامةَ والحجازَ ، فلمَّا بلغَ يزيدُ ذلك ، نَدَبَ لَهُ الحُصَيْن بن نُمَيْر السَّكُونِيَّ ورَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ ، وضَمَّ إلى كُلِّ واحِدٍ جَيْشاً ، واستعملَ على الجميعِ مُسْلِمَ بن عُقْبَةَ المُرِّيّ ، وَجَعَلَهُ أَميرَ الأُمراءِ ، ولمَّا وَدَّعَهم قال : يا مُسلم ، لا تَرُدَّنَّ أَهْلَ الشَّامِ عن

---

(١) الأَخبار الطِّوال لأَبي حنيفة الدينوري ٢٥٣ .

(٢) بهجة المجالس ٢/ ١٤٩ .

شَيْءٍ يُرِيدُونَهُ بعَدُوِّهِم ، واجعلْ طريقَكَ على المدينةِ ، فإِنْ حارَبُوكَ فحارِبْهم ، فإِنْ ظَفرتَ بهم فأَبِحْها ثلاثاً .

فسارَ مُسلمُ بن عُقبةَ حتَّى نَزَلَ الحَرَّةَ ، وَخَرَجَ أَهلُ المدينةِ فعَسكرُوا بها ، وأَميرُهم عبدُ الله بن حَنْظَلة الرَّاهب ، وهو غَسيلُ الملائكَةِ ؛ فدعاهُمْ مُسلم ثلاثاً فلَمْ يُجِيبُوهُ ، فقاتَلَهُمْ ، فَغَلَبَ أَهْلُ الشَّامِ ، وقَتلوا أَميرَ المدينةِ عبدَ الله بن حَنْظَلةَ وسَبعمئةٍ من المهاجِرين والأَنْصار ، وَدَخَلَ مُسلمٌ المدينةَ ، وأَباحَها ثلاثةَ أيَّام ؛ وقد جَاءَ في الحديثِ عنه ﷺ أَنَّهُ قال : « مَنْ أَباحَ حَرَمِي ، فَقَدْ حَلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي » ثمَّ شَخَصَ بالجيشِ إِلى مَكَّةَ ، وكتبَ إِلى يزيد بما صَنَعَ بالمدينةِ ، فَلَمْ يَبْلُغْ مُسلم هَرْشَى[1] حتَّى اعْتَلَّ وماتَ ؛ فتولَّى أَمْرَ الجيشِ الحُصينُ بن نُمير السَّكوني ، فسارَ حتَّى وافى مكَّة ، فَتَحَصَّنَ منهُ ابنُ الزُّبير رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما في المسجدِ الحرامِ بِجَميعِ مَنْ كَانَ مَعَهُ ؛ فَنَصَبَ الحُصينُ المِنْجَنِيقَ على أَبي قُبَيْسٍ[2] ورَمى بِهِ الكَعْبَةَ المعظَّمةَ ؛ فَبَيْنَما هم كَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ الخَبرُ إِلى الحُصَيْنِ بِمَوْتِ يزيد بن معاوية ، فأَرسلَ إِلى ابنِ الزُّبير يسأَلُهُ المُوادَعَةَ ، فأَجابَهُ إِلى ذلك ، وفتحَ الأَبوابَ ، واخْتَلَطَ العَسكران يَطوفانِ بالبيتِ .

فبينما الحُصينُ يَطوفُ ليلةً بعد العشاءِ ، إِذِ اسْتَقْبَلَهُ ابنُ الزُّبير ، فأَخَذَ الحُصَيْنُ بيدِهِ ، وقال له سِرّاً : هَلْ لَكَ في الخُرُوجِ معي إِلى الشَّام ، فأَدعُو النَّاسَ إِلى بَيْعَتِكَ ، فإِنَّ أَمْرَهُمْ قَدْ مَرَجَ ، ولا أَرَى أَحَداً أَحَقَّ بها اليومَ منكَ ، ولستُ أُعصَى هُناك ؛ فاجْتَذَبَ ابنُ الزُّبيرِ يَدَهُ من يَدِهِ ، وَقَالَ وهو يَجهرُ بقَوله : دونَ أَنْ أَقْتُلَ بِكُلِّ واحدٍ من أَهلِ الحجازِ عشرةً من أَهلِ الشَّامِ فلا ؛ فقال

---

(١) هرشى : جبل في بلاد تهامة ، على ملتقى طريق الشام والمدينة . (معجم البلدان ٥/ ٣٩٧) .

(٢) أَبو قبيس : جبل يقابل باب الكعبة المشرّفة .

الحُصينُ : لَقَدْ كَذَبَ الذي يزعمُ أَنَّكَ من دُهاةِ العربِ ؛ أُكَلِّمُكَ سِرّاً فَتُكَلِّمُنِي علانيةً، وأَدعُوكَ إِلى الخلافَةِ وتَدْعوني للحربِ؟ ثمَّ انصرفَ بمَنْ مَعَهُ إِلى الشَّامِ .

وَتُوفِّيَ يزيدُ بن معاوية في شهر ربيع الأَوَّل؛ سنةَ أَربعٍ وسِتِّين ، وله تسعٌ وثلاثُونَ سنةً ، ودُفِنَ بمقبرةِ باب الصَّغِير[١] .

وكانت خلافتُه ثلاثَ سنينَ وتسعةَ أَشْهُرٍ .

وقد وَقَعَ للغَزاليِّ والكِيا الهَراسيّ فيه كلامٌ ، وسيأْتي إِن شاء الله تعالى في « باب الفاءِ » ، في لفظ « الفهد » .

خِلافَةُ مُعاوية بن يَزِيد بن مُعاوية بن أَبي سُفيان[٢]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بَعْدَهُ ابنُه مُعاوية ، وكان خَيْراً من أَبيهِ ، فيهِ دِيْنٌ وعَقْلٌ .

بُويعَ له بالخِلافَةِ يومَ موتِ أَبيهِ ، فأَقامَ فيها أَربعينَ يوماً ؛ وقيل : أَقام فيها خمسةَ أَشْهُرٍ وأَيَّاماً ، وَخَلَعَ نَفْسَهُ .

وذَكَرَ غيرُ واحدٍ أَنْ مُعاويةَ بن يَزيد لمَّا خَلَعَ نَفْسَهُ ، صعدَ المنبرَ فجلسَ طويلاً ، ثمَّ حمدَ اللهَ وأَثْنَى عليه بأَبلغِ مَا يَكُون من الحَمْدِ والثَّنَاءِ ، ثمَّ ذكَرَ النَّبيَّ ﷺ بأَحسنِ مَا يُذْكَرُ بهِ ، ثمَّ قال : أَيُّها النَّاسُ ، مَا أَنا بالرَّاغِبِ في الائْتِمَارِ عليكُم ، لِعظيمِ مَا أَكْرَهُهُ مِنكم ، وإِنِّي لأَعلَمُ أَنَّكُم تكرهونَنا أَيضاً ، لأَنَّا بُلِينا بِكُم وبُليتُم بنا ، إِلاَّ أَنَّ جَدِّي مُعاوية رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قد نَازَعَ في هذا الأَمْرِ مَنْ كَانَ أَوْلَى بِهِ منهُ ومن غَيرِهِ ، لقَرابَتِهِ من رسولِ الله ﷺ ، وعَظِيمِ فَضْلِهِ

---

(١) قال الواقديُّ : مات بحوَّارين ، فحمل إِلى دمشق ودفن في مقبرة الباب الصَّغير ؛ وقال غيره : دُفن بحوَّارين . (أَنساب الأَشراف ٤/ ١/ ٣٥٤) .

(٢) **ترجمته وأَخباره في** : تاريخ الطبري ٥/ ٥٠١ ومروج الذهب ٣/ ٢٧١ وأَنساب الأَشراف ٤/ ١/ ٣٥٦ والمعارف ٣٥٣ ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١١٠ والكامل في التاريخ ٤/ ١٢٩ وسير أَعلام النبلاء ٤/ ١٣٩ وتاريخ الخلفاء ٢٤٨ والبداية والنهاية ١١/ ٦٦٢ وشذرات الذهب ١/ ٢٨٧ .

وسابقَته ؛ أَعْظَمُ المهاجرينَ قَدْراً ، وأَشْجَعُهُمْ قَلْباً ، وأَكْثَرُهُمْ عِلْماً ، وأَوَّلُهُمْ إِيْماناً ، وأَشْرَفُهُم مَنْزِلَةً ، وَأَقْدَمُهُمْ صُحْبَةً ، ابنُ عَمِّ رسولِ الله ﷺ ، وصِهْرُهُ وأَخُوهُ ؛ زَوَّجَهُ ﷺ ابنتَهُ فاطمةَ ، وجَعَلَهُ لَها بَعْلاً باختيارِهِ لَها ، وَجَعَلَها له زوجةً باختيارِها لَه ؛ أَبو سِبْطَيْه سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وأَفْضَلِ هذه الأُمَّةِ ؛ تَربيةُ الرَّسولِ وابْنَيْ فاطمةَ البَتولِ ، من الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ .

فركبَ جَدِّي منهُ مَا تَعلمون ، ورَكبتُم معه ما لا تَجهلون ، حتَّى انْتَظَمَتْ لِجَدِّي الأُمورُ ؛ فَلَمَّا جاءَهُ القَدَرُ المَحتومُ ، واخْتَرَمَتْهُ أَيْدِي المَنونِ ، بقيَ مُرْتَهَناً بعَمَلِه، فَرِيداً في قَبْرِهِ، ووجَدَ مَا قَدَّمَتْ يَداهُ ، ورأَى مَا ارْتَكَبَهُ واعْتَداهُ.

ثمَّ انتقلَتِ الخِلافَةُ إِلى يَزيد أَبي ، فَتَقَلَّدَ أَمْرَكُمْ لِهَوىً كانَ أَبوهُ فِيه ، ولقد كَانَ أَبي يزيدُ بسُوءِ فِعلِه ، وإِسرافِهِ على نَفْسِهِ ، غيرَ خَليقٍ بالخِلافَةِ على أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ ، فركبَ هواهُ ، واستَحْسَنَ خَطَأَهُ ، وأَقْدَمَ على مَا أَقْدَمَ مِنْ جَراءَتِهِ على اللهِ ، وَبَغْيِهِ على مَنِ استَحَلَّ حُرْمَتَهُ من أَولادِ رسولِ الله ﷺ ، فَقَلَّتْ مُدَّتُهُ ، وانْقَطَعَ أَثَرُهُ ، وضاجَعَ عَمَلَهُ ، وصارَ حليفَ حُفْرَتِهِ ، رَهِينَ خَطِيئَتِه ، وبَقِيتْ أَوزارُهُ وتَبِعاتُه ، وحَصَلَ على مَا قَدَّمَ ، ونَدِمَ حيثُ لا ينفعُه النَّدَمُ ، وشَغَلَنا الحُزْنُ لَهُ عَنِ الحُزْنِ عليهِ ، فلَيْتَ شِعْرِي ماذا قالَ وماذا قِيلَ له ؟ هل عُوقِبَ بِإِساءَتِهِ ، وجُوزِيَ بعَمله ؟ وذلكَ ظَنِّي .

ثمَّ اخْتَنَقَتْهُ العَبْرَةُ ، فَبَكى طَويلاً ، وعلا نَحِيبُهُ ، ثمَّ قال : وصِرْتُ أَنا ثالِثَ القومِ ؛ والسَّاخِطُ عليَّ أَكثرُ من الرَّاضِي ، وما كُنْتُ لأَتَحَمَّلَ آثامَكُمْ ، ولا يَرانِيَ الله جَلَّتْ قُدرتُهُ مُتَقَلِّداً أَوْزارَكُمْ ، وأَلقاهُ بتَبِعاتِكم ، فَشَأْنَكُمْ أَمْرَكُمْ فَخُذُوهُ ، ومَنْ رَضِيتُم بِهِ عليكُمْ فوَلُّوهُ ، فلَقَدْ خَلَعْتُ بَيْعَتِي من أَعناقِكم ؛ والسَّلام.

فقالَ لَهُ مَروانُ بن الحَكَمِ ، وكانَ تَحْتَ المنبرِ : أَسُنَّةً عُمَرِيَّةً يا أَبا لَيْلَى ؟ فقال : اغْدُ عَنِّي ، أَعَنْ دِيْنِي تَخْدَعُنِي ؟ فواللهِ مَا ذُقْتُ حَلاوةَ خِلافَتِكُمْ ،

فأَتَجَرَّعَ مَرارَتَها ؛ ائْتِنِي بِرِجالٍ مثل رِجالِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، على أَنَّهُ مَا كَانَ من حِينِ جَعَلَها شُورى ، وَصَرَفَها عَمَّنْ لا يُشَكُّ في عَدَالَتِهِ ، ظَلُوماً ؛ واللهِ لئن كانَتِ الخِلافَةُ مَغْنَماً ، لقد نَالَ أبي منها مَغْرَماً وَمَأْثَماً ، ولئنْ كانتْ سُوءاً فَحَسْبُهُ مِنْها مَا أَصابَهُ .

ثمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ عليه أَقارِبُهُ ، وأَمُّهُ ، فَوَجَدُوهُ يَبْكِي ، فقالت له أُمُّه : لَيْتَكَ كُنْتَ حَيْضَةً ، وَلَمْ أَسْمَعْ بِخَبَرِكَ ؛ فَقالَ : وَدِدْتُ واللهِ ذلك ؛ ثمَّ قال : وَيْلِي إِنْ لَمْ يَرْحَمْني رَبِّي .

ثمَّ إِنَّ بَني أُمَيَّةَ قالُوا لِمُؤَدِّبِه عُمر المَقصوص : أَنْتَ عَلَّمْتَهُ هذا ، ولَقَّنْتَهُ إِيَّاهُ ، وَصَدَدْتَهُ عَنِ الخِلافَةِ ، وَزَيَّنْتَ لَهُ حُبَّ عليٍّ وأَولادِهِ ، وحَمَلْتَهُ على مَا وَسَمَنا بِهِ من الظُّلْمِ ، وَحَسَّنْتَ لَهُ البِدَعَ ، حتَّى نَطَقَ بِمَا نَطَقَ وقالَ مَا قَال ؟ فقال : واللهِ مَا فعلتُه ، ولكنَّهُ مَجبولٌ ومَطبوعٌ على حُبِّ عليٍّ ؛ فَلَمْ يَقْبَلُوا منهُ ذَلِكَ ، وأَخَذُوهُ ، ودَفَنُوهُ حَيّاً حَتَّى ماتَ .

وتُوُفِّيَ مُعاوية بنَ يزيد رحمهُ الله ، بعد خَلْعِهِ نفسَهُ ، بأَربعينَ ليلةً ؛ وقيل : بِسَبعينَ ليلةً ؛ وكان عُمرُهُ ثلاثاً وعِشْرِينَ سنةً ، وقيل : إِحدى وعشرين سنةً ، وقيل : ثماني عشرةَ ؛ ولم يُعْقِبْ .

خِلافَةُ مروان بن الحَكَمِ[1]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ مَروان بن الحَكَمِ بن أَبي العاص بن أُمَيَّة بن عبد شَمس ابن عبدِ مَناف .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩ والمعارف ٣٥٣ وأَنساب الأَشراف ٤/ ١/ ١٤١ وتاريخ الطبري ٥/ ٥٣٠ ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ١٧٢ وسير أَعلام النبلاء ٣/ ٤٧٦ وفوات الوفيات ٤/ ١٢٥ والوافي بالوفيات ٢٥/ ٤٣٤ والبداية والنهاية ١١/ ٧٠٦ وشذرات الذهب ١/ ٢٨٩ .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ بِالجابِيَةِ ، ثمَّ دخلَ الشَّامَ فَأَذْعَنَ أَهلُها لَهُ بِالطَّاعَةِ ، ثمَّ دخَلَ مصرَ بعدَ حُروبٍ كثيرةٍ ، فبايَعهُ أَهلُها .

وكان يُقالُ له : ابنُ الطَّريدِ ؛ لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان قَدْ طَرَدَ أَباهُ إِلى الطَّائِفِ ، فَرَدَّهُ عُثمانُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ حِينَ وَلِيَ ، كَمَا تَقَدَّمَ قريباً .

وتوفِّي مَروان في سنةِ خَمسٍ وسِتِّين ؛ وَثَبَتْ عَلَيْهِ زَوجتُه لِكَوْنِهِ شَتَمَها ، فَوَضَعَتْ على وَجْهِهِ مَخَدَّةً كبيرةً وهو نائِمٌ ، وَقَعَدَتْ هِيَ وَجَوارِيها فَوْقَها حتَّى ماتَ .

وكان قَدْ لَحِقَ النَّبيَّ ﷺ وهو صَبيٌّ .

وَوَلِيَ نيابَةَ المدينةِ مرَّاتٍ .

وهو قاتِلُ طَلْحَةَ أَحد العَشَرَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم .

وكان كاتِبَ السِّرِّ لعُثمانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وبِسبَبِهِ جَرى عَليهِ مَا جَرى .

وكانت خلافتُهُ عشرةَ أَشهرٍ ، وكان عُمْرُه ثلاثاً وثَمانينَ سنةً .

● روى الحاكم في كِتاب الفِتَنِ والملاحِم من « المستدرك » عن عبد الرَّحمنِ بن عَوْف رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قال[1] : كانَ لا يُولَدُ لأَحَدٍ مَولودٌ إلاَّ أُتِيَ بِهِ رسولُ الله ﷺ فَيَدعو له ، فأُدْخِلَ عَلَيْهِ مَروانُ بن الحَكَمِ ، فقال : « هو الوَزَغُ ابن الوَزَغِ ، المَلْعُونُ ابن المَلْعُونِ » ثمَّ قالَ : صَحيحُ الإِسنادِ .

ثمَّ روى أَيضاً عَنْ عَمْرو بن مُرَّةَ الجُهَنِيِّ[2] ، وكانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ، أَنَّ الحَكَمَ ابن أَبي العاص استَأْذَنَ على النَّبيِّ ﷺ ، فعرفَ صَوتَهُ ، فقال : « ائذَنُوا له ،

---

(١) المستدرك ٤/ ٤٧٩ .

(٢) المستدرك ٤/ ٤٧٩ ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ١٩١ .

عليهِ وعلى مَنْ يَخرجُ من صُلْبِهِ لَعْنَةُ الله ، إلاّ المُؤْمِنَ منهم وقَليلٌ مَا هُمْ ؛ يَشرفُونَ في الدُّنْيَا ، ويَضِيعُونَ في الآخرةِ ؛ ذُوو مَكْرٍ وخَدِيعَةٍ ، يُعْطَوْنَ في الدُّنيا وما لَهم في الآخِرَةِ من خَلاقٍ » .

وسيأْتِي إن شاءَ الله تعالى في « باب الواوِ » في لفظِ « الوَزَغ » .

خِلافَةُ عبدِ المَلكِ بن مروانَ[1]

ثُمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ابنُهُ عبدُ المَلِكِ .

بُويعَ له بالخِلافَةِ يَوْمَ موتِ أَبيهِ مَروان ؛ وهو أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ بعبدِ الملكِ في الإسلام ، وأَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّراهِمَ والدَّنانير بِسِكَّةِ الإِسلامِ ؛ وكَانَ على الدَّنانير نَقْشٌ بالرُّوميَّةِ ، وعلى الدَّراهم نَقْشٌ بالفارِسِيَّة .

قلتُ : ولهذا سببٌ ، وهو أَنِّي رَأَيْتُ في كتابِ « المحاسِنِ والمساوىء » للإِمامِ إبراهيم بن محمَّد البَيْهَقِيّ ، مَا نَصُّهُ[2] :

● قال الكسائيُّ : دخلْتُ على الرَّشِيدِ ذاتَ يومٍ ، وهو في إيوانِهِ ، وبين يَدَيْهِ مالٌ كثيرٌ ، قد شُقَّ عنهُ البِدَرُ شَقّاً ، وأَمَرَ بتَفْرِيقِهِ على خَدَمِهِ الخاصَّةِ وبيدِهِ دِرهمٌ تلوحُ كتابَتُهُ ، وهو يَتأَمَّلُهُ ، وكان كثيراً مَا يُحَدِّثُنِي ، فقال : هل عَلِمْتَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَذِهِ الكِتابَةَ في الذَّهَبِ والفِضَّةِ ؟ قلتُ : يَا سَيِّدِي ، هو عَبْدُ الملكِ ابن مَروان . قال : فَمَا كَانَ السَّببُ في ذلك ؟ قلْتُ : لا عِلْمَ لِي ، غَيْرَ أَنَّهُ أَوَّلُ

---

(١) ترجمته وأخباره في : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢١ والمعارف ٣٥٥ ومروج الذهب ٣/ ٢٩١ وتاريخ الطبري ٦/ ٤١٨ والمنتظم ٦/ ٣٩ وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٣٩ ومختصره ١٥/ ٢١٩ وفوات الوفيات ١/ ٤٠٢ والكامل في التاريخ ٤/ ١٩٣ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٦ والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٠٨ والبداية والنهاية ١٢/ ٣٧٧ وتاريخ الخلفاء ٢٥٣ وشذرات الذهب ١/ ٣٥٢ .

(٢) المحاسن والمساوىء للبيهقي ٢/ ٢٣٢ .

مَنْ أَحْدَثَ هَذِهِ الكِتابَةَ ؛ فقالَ : سأُخْبِرُكَ ؛ كانَتِ القَراطِيسُ للرُّومِ ، وكَانَ أَكثرُ مَنْ بمصرَ نَصرانيّاً على دِينِ مَلِكِ الرُّوم ، وكانَتْ تُطَرَّزُ بالرُّوميَّةِ ، وَكَانَ طِرازُها « أَباً وابْناً ورُوحاً قُدُساً » فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ صدرَ الإِسلام كلَّه ، يَمضي على مَا كانَ عليه ، إلى أَنْ مَلَكَ عَبْدُ الملكِ بن مَروانَ ، فتَنَبَّهَ له ، وكان فَطِناً ؛ فَبَيْنَما هو ذاتَ يَوْمٍ إِذْ مَرَّ بهِ قرطاسٌ ، فَنَظَرَ إلى طِرازِهِ ، فَأَمَرَ بأَنْ يُترجَمَ بالعربيَّةِ ، ففُعِلَ ذلك ، فأَنْكَرَهُ ، وَقالَ : مَا أَغْلَظَ هذا في أَمرِ الدِّينِ والإِسلامِ ، أَنْ يَكُونَ طِرازُ القَراطِيسِ وهي تُحْمَلُ في الأَوانِي والثِّيابِ ـ وهُما يُعملانِ بمصرَ ـ وغير ذلكَ مِمَّا يُطَرَّزُ من سُتورٍ وغَيرها من عَمَلِ هذا البلدِ ، على سَعَتِه وكَثرةِ مالِه ؛ والبَلَدُ يَخرجُ منهُ هذه القَراطيسِ ، تَدُورُ في الآفاقِ والبِلادِ ، وقَدْ طُرِّزَتْ بِشِرْكٍ مُثبتٍ عليها .

فَأَمَرَ بالكتابةِ إِلى عبدِ العزيز بن مروان ـ وكان عاملَهُ بمصر ـ بإِبطالِ ذَلِكَ الطِّرازِ على مَا كَانَ يُطَرَّزُ بِهِ من ثَوبٍ وقِرطاسٍ وسِتْرٍ وغير ذلكَ ، وأَنْ يأْمُرَ صُنَّاعَ القَراطِيسِ أَنْ يُطَرِّزُوها بسُورةِ التَّوحيد ، ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران : ١٨] وهذا طِرازُ القَراطِيسِ خاصَّةً إِلى هذا الوقتِ ، لَمْ يَنْقُصْ ولَمْ يَزِدْ وَلَمْ يَتَغَيَّرْ ، وكتبَ إِلى عُمَّال الآفاقِ جميعاً بإِبطالِ مَا فِي أَعمالِهِم من القَراطِيسِ المُطَرَّزَةِ بِطِرازِ الرُّومِ ، ومُعاقبةِ مَنْ وُجِدَ عندَهُ بَعدَ هذا النَّهْيِ شيءٌ منها ، بالضَّرْبِ الوَجيعِ والحَبْسِ الطَويلِ .

فلمَّا ثُبِّتت القَراطيسُ بالطِّرازِ المُحْدَثِ بالتَّوحيدِ ، وحُمِلَ إِلى بلادِ الرُّوم مِنها ، انتَشَرَ خَبَرُها ، وَوَصَلَ إِلى مَلِكِهم ، وتُرْجِمَ لهُ ذَلِكَ الطِّرازُ ، فأَنْكَرَهُ وغلظَ عليه ، واسْتَشَاطَ غَيْظاً ، فكتبَ إِلى عبدِ المَلِكِ : إن عَمَلَ القَراطِيسِ بمصرَ ، وسائرَ مَا يُطَرَّزُ هناكَ للرُّومِ ، ولَمْ يَزَلْ يُطَرَّز بطراز الرُّوم إِلى أَنْ أَبْطَلْتَهُ ، فإِنْ كانَ مَن تَقَدَّمَكَ من الخُلفاءِ قَدْ أَصابَ ، فَقَدْ أَخْطَأْتَ ، وإِنْ كنْتَ قَدْ أَصبْتَ فقَدْ أَخطأُوا ؛ فاخترْ من هاتَينِ الحالتَيْنِ أَيَّهما شئتَ وأَحْبَبْتَ ؛ وقد

بعثْتُ إِليكَ بَهَدِيَّةٍ تُشْبِهُ مَحلَّكَ ، وأَحببتُ أَنْ تَجعلَ رَدَّ ذَلِكَ الطِّرازِ إِلى مَا كَانَ عليهِ ، في جَميعِ مَا كانَ يُطَرَّزُ من أَصنافِ الأَعلاقِ ، حاجةً أَشكُرُكَ عليها ، وتأمرُ بقَبْضِ الهَدِيَّةِ ؛ وكانَتْ عَظيمةَ القَدْرِ .

فلمَّا قرأَ عبدُ المَلِكِ كتابَهُ ، رَدَّ الرَّسولُ ، وأَعلمَهُ أَنَّهُ لا جَوابَ لَهُ ، وَرَدَّ الهَدِيَّةَ ؛ فانصرفَ بها إِلى صاحِبِه ؛ فلمَّا وافاهُ أَضعفَ الهَدِيَّةَ وَرَدَّ الرَّسولَ إِلى عَبدِ المَلِكِ ، وقالَ : إِنِّي ظَنَنْتُكَ اسْتَقْلَلْتَ الهديَّةَ فلمْ تَقْبَلْها ، ولمْ تُجِبْنِي عن كتابي ، فأَضعفْتُ الهديَّةَ ، وإِنِّي أَرغبُ إِليكَ إِلى مثلِ مَا رَغِبْتُ فِيهِ من رَدِّ الطِّرازِ إِلى مَا كانَ عليهِ أَوَّلاً ، فقرأَ عبدُ المَلكِ الكتابَ ولَمْ يُجِبْهُ ، وَرَدَّ الهَدِيَّةَ .

فَكتبَ إِليهِ ملكُ الرُّومِ كتاباً يَقتضِي أَجوبةَ كُتُبِهِ ، ويقولُ : إِنَّكَ قَدِ اسْتَخْفَفْتَ بِجَوابي وَهَدِيَّتِي ، ولَمْ تُسْعِفْنِي بحاجَتِي ، فتَوَهَّمْتُكَ اسْتَقْلَلْتَ الهديَّةَ ، فأَضعفْتُها ، فَجَرَيْتَ على سَبيلِكَ الأَوَّلِ ، وَقَدْ أَضْعَفْتُها ثالثةً ، وأَنا أَحلفُ بالمسيحِ لَتَأْمُرَنَّ بردِّ الطِّرازِ إِلى مَا كَانَ عليه أَو لآمُرَنَّ بِنَقْشِ الدَّنانيرِ والدَّراهم ، فإِنَّكَ تَعلمُ أَنَّهُ لا يُنْقَشُ شيءٌ مِنها إِلاَّ مَا يُنْقَشُ في بلادِي ـ ولمْ تكُنِ الدَّراهمُ والدَّنانيرُ نُقِشَتْ في الإِسلامِ ـ فَيُنْقَشُ عليها شَتْمُ نَبِيِّكَ ، فإِذا قَرأْتَهُ ارْفَضَّ جَبينُكَ عَرَقاً ؛ فأُحِبُّ أَنْ تَقبَلَ هَدِيَّتِي ، وَتَرُدَّ الطِّرازَ إِلى مَا كانَ عليه ، ويكُونُ فِعْلُ ذلكَ هَدِيَّةً تَوَدُّنِي بِها ، ونَبْقَى على الحالِ الأُولَى بَيْنِي وبَيْنَكَ .

فَلَمَّا قَرَأَ عبدُ المَلِكِ الكتابَ ، صَعُبَ عَلَيْهِ الأَمرُ وغَلظَ ، وضاقَتْ بهِ الأَرضُ ، وَقَالَ : أَحْسَبُنِي أَشْأَمَ مَولُودٍ وُلِدَ في الإِسلامِ ، لأَنِّي جَنَيْتُ على رَسولِ اللهِ ﷺ مِنْ شَتْمِ هذا الكافِرِ مَا يَبْقَى غابرَ الدَّهْرِ ، ولا يُمكنُ مَحْوُهُ من جَمِيعِ مَمْلَكَةِ العربِ ، إِذ كانَتِ المُعاملاتُ تَدُورُ بَيْنَ النَّاسِ بدَنانيرِ الرُّومِ ودَراهِمِهم .

فَجَمَعَ أَهْلَ الإِسلامِ واسْتَشَارَهُمْ ، فَلَمْ يَجِدْ عِندَ أَحَدٍ منهم رَأْياً يَعْمَلُ بِهِ ،

فقال لَهُ رَوْحُ بن زِنْباع : إنَّكَ لَتعلمُ المَخْرَجَ من هذا الأَمرِ ، ولكنَّكَ تتَعَمَّدُ تَرْكَهُ ؛ فقالَ : وَيْحَكَ ، مَنْ ؟ فقالَ : عَلَيْكَ بِالباقِرِ ، مِنْ أَهلِ بيتِ النَّبيِّ ﷺ ، قال : صَدَقْتَ ، ولكنَّهُ أُرْتِجَ عليَّ الرَّأْيُ فِيهِ .

فَكَتَبَ إِلى عامِلِه بالمدينةِ : أَنْ أَشْخِصْ إِليَّ محمَّد بن عليّ بن الحُسين مُكرَّماً ، ومَتِّعْهُ بمئةِ أَلفِ دِرهمٍ لِجهازِهِ ، وبثلاثِمئةِ أَلفِ درهمٍ لِنَفَقَتِه ، وَأَرِحْ عَلَيْهِ في جِهازِهِ وجهازِ مَنْ يَخرُجُ مَعهُ من أَصحابِهِ ؛ وَحَبَسَ الرَّسُولَ قِبَلَهُ إِلى مُوافاةِ محمَّد بن عليّ .

فلمَّا وافاهُ ، أَخْبَرَهُ الخَبَرَ ، فقال لَهُ محمَّد رحمهُ اللهُ تَعالى : لا يَعْظُمُ هذا عَلَيْكَ ، فإِنَّهُ لَيْسَ بِشيْءٍ من جِهتين : إِحداهما : أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ لِيُطْلِقَ مَا تَهَدَّدَ بِهِ صاحِبُ الرُّومِ في رسولِ اللهِ ﷺ ؛ والأُخرى : وُجودُ الحِيلةِ فِيه . قال : وما هِيَ ؟ قال : تَدْعُو في هَذِهِ السَّاعَةِ بِصُنَّاعٍ ، فيَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ سِكَكاً للدَّراهِمِ والدَّنانِير ، وتَجْعَلُ النَّقْشَ عليها سورةُ التَّوحِيدِ وذِكْرَ رسولِ اللهِ ﷺ ، أَحدُهما في وَجهِ الدِّرهَمِ والدِّينارِ ، والآخَرُ في الوَجْهِ الثَّانِي ، وتَجْعلُ في مَدارِ الدِّرهم والدِّينارِ ذِكْرَ البلدِ الذي يُضْرَبُ فِيه ، والسَّنَةِ التي تُضْرَبُ فِيها تلكَ الدَّراهِمُ والدَّنانِيرُ ؛ وتَعمِدُ إِلى وَزْنِ ثلاثِينَ دِرْهَماً عدداً من الأَصْنافِ الثَّلاثَةِ التي العَشْرَةُ مِنها وَزْنُ عَشْرَةِ مَثاقِيل ، وعَشْرَةٌ مِنْها وَزنُ سِتَّةِ مَثاقِيلَ ، وعَشْرَةٌ منها وَزْنُ خَمْسَةِ مَثاقِيل ، فتكُونُ أَوزانُها جَميعاً أَحداً وعِشْرِينَ مِثْقالاً ، فَتُجَزِّئَها من الثَّلاثِين فَتَصِيرُ العِدَّةُ من الجَميعِ وزنَ سَبعةِ مَثاقِيلَ ؛ وتَصُبُّ صَنْجَاتٍ من قَواريرَ لا تَسْتَحِيلُ إِلى زِيادَةٍ ولا نُقْصَانٍ ، فتَضربُ الدَّراهِمَ على وَزْنِ عشرَةٍ ، والدَّنانيرَ على وزنِ سبعةِ مَثاقِيلَ .

وكانَتِ الدَّراهِمُ في ذلكَ الوَقْتِ إِنَّما هِي الكِسْرَوِيَّةُ ، التي يُقالُ لَها اليومَ : البَغْلِيَّةُ ؛ لأَنَّ رَأْسَ البَغْلِ ضَرَبَها لِعُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بِسِكَّةٍ كِسْرَوِيَّةٍ في الإِسلامِ ، مَكتوبٍ عليها صُورَةُ المَلِكِ ، وَتَحْتَ الكُرسيّ مَكتوبٌ بالفارِسِيَّةِ

« نوش خُور » أي كُلْ هَنِيئاً ؛ وَكَانَ وزنُ الدِّرهمِ منها قبلَ الإِسلام مِثْقالاً ، والدَّراهِمِ التي كَانَ وَزْنُ العَشرةِ منها وَزْنُ سِتَّةِ مَثاقيلَ ؛ والعَشرَةُ وَزْنُ خَمْسَةِ مَثاقيلَ هي السُّمَرِيَّةُ الخِفافُ والثِّقَالُ ، وَنَقْشُها نَقْشُ فارسَ .

فَفَعَلَ ذلِكَ عبدُ المَلِكِ ، وأَمَرَهُ محمَّد بن عليّ بن الحُسينِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَنْ يكْتُبَ السِّكَكَ في جميعِ بُلدانِ الإِسلامِ ، وأَنْ يَتقدَّمَ إِلى النَّاسِ في التَّعامُلِ بِها ، وأَنْ يَتَهَدَّدَ بقتلِ مَنْ يَتعامَلُ بغيرِ هَذِهِ السِّكَّةِ من الدَّراهِمِ والدَّنانيرِ وغيرها ، وأَنْ تُبطلَ وتُرَدَّ إِلى مَواضِعِ العَمَلِ حتَّى تُعادَ إِلى السِّكَكِ الإِسلامِيَّةِ ؛ فَفَعَلَ عبدُ المَلِكِ ذلكَ ، ورَدَّ رَسولَ مَلِكِ الرُّوم إِليهِ يُعْلِمُهُ بذَلِكَ ، ويَقولُ : إِنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ مانِعُكَ مِمَّا قَدْ أَرَدْتَ أَنْ تفعَلَهُ ؛ وقَدْ تَقَدَّمْتُ إِلى عُمَّالِي في أَقطارِ البلادِ بكذا وكَذَا ، وبإِبْطَالِ السِّكَكِ والطُّرُوزِ الرُّومِيَّةِ .

فقيلَ لِمَلِكِ الرُّومِ : افعلْ مَا كنتَ تَهَدَّدْتَ بِهِ مَلِكَ العربِ ، فَقَالَ : إِنَّما أَرَدْتُ أَنْ أَغِيظَهُ بما كتبْتُ إِليهِ ، لأَنِّي كنتُ قادِراً عليه ، والمالُ وغيرُهُ برُسُوم الرُّومِ ، فأَمَّا الآنَ فلا أَفعلُ ، لأَنَّ ذلك لا يَتعاملُ بِهِ أَهلُ الإِسلامِ ؛ وامتَنَعَ من الذِي قالَ ؛ وَثَبَتَ مَا أَشَارَ بِهِ مُحَمَّد بن عليّ بن الحُسين رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه إِلى اليوم .

ثمَّ رَمَى - يَعْنِي الرَّشيد - بالدِّرهَمِ إِلى بَعْضِ الخَدَمِ .

● وتَمكَّنَ عبدُ اللهِ بن الزُّبيرِ ، فَبايَعَهُ أَهلُ الحَرَمَين واليَمن والعِراقِ ، واسْتَنَابَ على العِراقِ وما يَليهِ أَخاهُ مُصعبَ بن الزُّبيرِ ، وتَفرَّقَتِ الكَلِمَةُ ، فبقيَ في الوقتِ خليفتانِ ، أَكبرُهما ابنُ الزُّبيرِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ ثمَّ لَمْ يَزَلْ عَبْدُ المَلِكِ إِلى أَنْ ظَفِرَ بِهِ ، وَقتَلَهُ بعدَ حُرُوبٍ عَظِيمَةٍ .

وَذَلِكَ أَنَّهُ سَارَ من دمشقَ إِلى العِراقِ ، فبرزَ إِليهِ نائبُها مُصعبُ بن الزُّبيرِ ، وكان عبدُ المَلِكِ قد كاتَبَ جيشَهُ بأُمُورٍ ، فَخَذَلُوهُ وَتَسَلَّلُوا عَنْهُ ، فَسَارَ مُصعبٌ في نَفَرٍ يَسيرٍ ، وَالْتَحَمَ بَيْنَهُما القتالُ ، فظَهَرَتْ من مُصعبٍ شَجاعَةٌ عَظِيمَةٌ ،

وَلَمْ يَزَلْ كذلكَ حتَّى قُتِلَ ، فاسْتَوْلَى عبدُ المَلِكِ حينئذٍ على العِراقِ وخُراسان ، واسْتَنَابَ عَلَيْها أَخاهُ بِشْرَ بنَ مَروانَ ، وَكَرَّ راجِعاً إلى دمشق .

ثمَّ جَهَّزَ الحَجَّاجَ بن يُوسف الثَّقَفيّ في جيشٍ لحربِ ابنِ الزُّبَيْرِ ، فحاصَرُوهُ وضايَقُوهُ ، ونَصَبُوا المِنْجَنِيقَ على جَبَلِ أَبي قُبَيْسٍ ، فَكَانَ يُضْرَبُ بشَجاعَتِهِ المَثَلُ ؛ كانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه يَحملُ عليهم وَحْدَهُ فيَهزِمُهم ويُخرجُهُم من أَبْوابِ المسجدِ ؛ واستمرَّ يُقاتِلُهم أَربعةَ أَشهرٍ ، ففي آخرِها حملَ عليهم ، فسقَطَتْ على رَأْسِهِ شُرَّافَةٌ من شَراريفِ المسجدِ ، فخرَّ منها ، فبادَرُوا إِليهِ ، واحتزُّوا رأْسَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ فأَمَرَ اللَّعِينُ الحجَّاجُ ـ أَخْزاهُ اللهُ وَقَبَّحَهُ ـ بِصَلْبِ جَسَدِهِ .

● وَكَانَ عبدُ المَلِكِ قبلَ الخِلافَةِ مُتَعَبِّداً ، ناسِكاً ، عالِماً ، واسِعَ العِلْمِ .

وكَانَ طَويلَ العُنُقِ ، رَقِيقَ الوَجْهِ ، مَشْدُودَ الأَسنانِ بالذَّهَبِ ، حازِماً ، لا يَكِلُ أَمْرَهُ إِلى سِواهُ ، شَديدَ البُخْلِ ، يُلَقبُ بِرَشْحِ الحَجَرِ[١] لِبُخْلِهِ ؛ ويُلَقَّبُ بِأَبِي الذِّبَّانِ[١] لِبَخْرِهِ ؛ مُحِبّاً للفَخْرِ ، مِقْداماً على سَفْكِ الدِّماءِ .

وكذلِكَ كَانَ عُمَّالُهُ : الحجَّاجُ بالعِراقِ ، والمُهَلَّبُ بن أَبي صُفرةَ بخُراسانَ ، وهِشامُ بنِ إِسماعيل [بالمدِينة] ، وعبدُ الله ابنه بمصرَ ، وموسى ابن نُصَيْر بالمغربِ ، ومحمَّد بن يُوسف أَخُو الحجَّاج باليَمنِ ، ومحمَّد بن مروان بالجَزيرةِ ؛ وكلٌّ من هؤُلاءِ ظلوم غَشومٌ جَبَّارٌ ؛ قالَهُ ابنُ خلِّكان[٢] .

---

(١) ثمار القلوب ٣٩٣/١ و٨٠٢/٢ ولطائف المعارف ٣٦ ـ ٣٧ والأوائل ٣٦٦/١ وتاريخ الخلفاء ٢٥٧ . وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٣٧٨/١٢ : وكان ـ عبد الملك ـ أَفْوَهَ مفتوح الفم ، فربَّما غفل فينفتح فَمُهُ ، فيدخل فيه الذُّباب ، ولهذا كان يقال له أَبو الذِّبَّان . وهذا مخالف لإجماع المصادر .

(٢) لم يقله ابن خلكان ، وليس من شرطه ترجمة الخلفاء .

● ومن غَريبِ مَا سُمِعَ ، فِيما حَكاهُ ابنُ خلِّكان[1] : أَنَّ عليَّ بن عبدالله بن عبَّاسٍ ، ومحمَّداً ابنَهُ ، دخلا على عبدِ المَلِكِ بن مروان ، وعنده قائِفٌ ، فأَجلسَهما ، ثمَّ قَالَ للقائِفِ : أَتعرفُ هذا ؟ قال : لا ، ولكنْ أَعرفُ من أَمْرِهِ ، إنْ كَانَ هَذا الفَتى الذي معه ابنُه ، فإِنَّهُ يَخرجُ من عَقِبهِ فَرَاعِنَةٌ يَملكُونَ الأَرضَ ، لا يُناوِئُهم مُناوِئٌ إلاَّ قَتَلُوهُ ؛ فتَغَيَّرَ لونُ عبدِ المَلِكِ ، ثمَّ قَالَ : زَعَمَ راهبُ إِيليا ، وكانَ قَدْ رآهُ عندَهُ ، أَنَّهُ يَخرجُ من صُلْبِهِ ثلاثَةَ عَشَرَ مَلِكاً ، وَوَصَفَهُمْ بِصِفاتِهم .

● وَذَكَرَ أَبُو حَنيفة في « الأَخبارِ الطِّوالِ »[2] : أَنَّ عبدَ المَلِكِ بن مَروان ، أَوصى ابنَهُ الوليد لَمَّا ثَقُلَ في مَرَضه ، فقالَ : يا وليدُ ، لا أُلْفِيَنَّكَ إذا وَضَعْتَنِي في حُفْرَتِي ، تَعصرُ عَينيكَ كالأَمَةِ الوَرْهَاءِ[3] ، بل اتَّزِرْ ، وشَمِّرْ ، والبسْ جِلْدَ النَّمِرِ ، وادْعُ النَّاسَ إِلى البَيْعَةِ ، فَمَنْ قال برَأْسِهِ : كذا ـ أَي لا ـ فَقُلْ بالسَّيف : كذا ـ أَي اضرِبْ عُنُقَهُ ـ . ا هـ .

● وكَانَ عبدُ المَلِكِ يُلَقَّبُ بَحمَامَةِ المَسجدِ ، لَقَّبَهُ به ابنُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، وجاءَتْهُ الخِلافَةُ وهو يَقْرَأُ في المُصْحَفِ ، فَطَبَقَهُ ، وقَالَ : سلامٌ عَلَيْكَ ، هَذَا فراقٌ بَيْنِي وَبَيْنكَ .

وقيل : إِنَّهُ قِيلَ لابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تعالى عنه : أَرَأَيْتَ لو تَفانى أَصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ، فَمَنْ نَسْأَلُ بَعْدَهم ؟ فقالَ : سَلُوا هذا الفَتَى ؛ يَعني عبدَ المَلِكِ .

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ١٨٦ .

(٢) الأَخبار الطوال ٣٢٥ وربيع الأَبرار ٥/ ٢٠١ وأَخبار وحكايات للرَّبعي ٢٣ ومروج الذهب ٣/ ٣٦٩ ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣١٩ والوصايا لأَبي حاتم ١٦٠ والتذكرة الحمدونية ٩/ ٢٩٣ والمستطرف ٣/ ٣٢٣ وتاريخ الخلفاء ٢٦٠ والبداية والنهاية ١٢/ ٦٠٦ .

(٣) في أ : الوكعاء . وفي ط : الولهاء . والمثبت من الأَخبار الطوال .

تُوُفِّيَ عبدُ المَلِكِ بن مَروان ، في شَوَّالَ ، سنةَ ستٍّ وثَمانين ، وله ثلاثٌ وسِتُّونَ سنةً ؛ وقيلَ : سِتُّونَ ؛ وَخَلَّفَ سبعةَ عَشَرَ وَلَداً ، وَلِيَ الخلافَةَ منهم أَربعةٌ .

وكانت خِلافَتُهُ إحدى وعِشرينَ سنةً ، وخمسَةَ عَشَرَ يَوْماً ؛ منها ثَماني سِنين مُزاحِماً لابْنِ الزُّبيرِ ، ثمَّ انْفَرَدَ بمَملَكَةِ الدُّنْيا إلى أَنْ مَاتَ ، رحمةُ اللهِ عليهِ .

خِلافَةُ عبدِ الله بن الزُّبَير [(١)]

وهو السَّادِسُ ، فَخُلِعَ وقُتل ، كما سيأْتي .

● قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مُعاويةَ بن يزيد بن مُعاوية بن أَبي سُفيان خَلَعَ نفسَهُ من الخِلافَةِ ، فكيفَ يَكُونُ ابنُ الزُّبيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما سادِساً ؟ .

وَسَبَقَ قبلَ ذَلِكَ أَنَّ الحَسَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خُلِعَ من الخِلافَةِ أَيضاً ، فعلى هذا الحالِ لا يَستقيمُ أَنْ يَكونَ ابنُ الزُّبيرِ رَضِيَ اللهُ عنهما سادِساً .

وبُويِعَ لَهُ ـ يَعْنِي ابنُ الزُّبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ بالخِلافَةِ بمَكَّة ، لسبعٍ بَقينَ من رجب ، سنةَ أَربعٍ وَسِتِّينَ ، في أَيَّامِ يَزيد بن معاوية كما تَقَدَّمَ ؛ وبايَعَهُ أَهلُ العِراقِ ، وَأَهْلُ مِصْر ، وبَعْضُ أَهلِ الشَّامِ ، إلى أَنْ بايَعُوا لمروان بعدَ حُرُوبٍ ، واستَمَرَّ له العِراقُ إلى سنةِ إحدى وسبعين ، وهي التي قَتل فيها عبدُ الملكِ بنُ مروانَ أَخاهُ مُصعبَ بن الزُّبيرِ ، وَهَدَمَ قصرَ الإمارَةِ بالكُوفَةِ .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : طبقات ابن سعد ٦/ ٤٧٣ والمعارف ٢٢٤ وأَنساب الأَشراف ٥/ ١٨٨ (ط . القدس) وحلية الأَولياء ١/ ٢٢٩ وتاريخ دمشق ٣٢/ ٣٧٤ ومختصره ١٢/ ١٧٠ ورياض النفوس ١/ ٦٣ ووفيات الأَعيان ٣/ ٧١ وفوات الوفيات ٢/ ١٧١ والحلة السّيراء ١/ ٢٤ وسير أَعلام النبلاء ٣/ ٢٤٤ والوافي بالوفيات ١٦/ ١٧٢ والبداية والنهاية ١٢/ ١٨٦ وتاريخ الخلفاء ٢٤٩ وشذرات الذهب ١/ ٣٠٧ .

● وَسَبَبُ هَدْمِهِ[1] : أَنَّهُ جَلَسَ ، وَوُضِعَ رَأْسُ مُصعب بَيْنَ يَدَيهِ ، فقال له عبدُ الملكِ بن عُمير : يا أَميرَ المُؤمنين ، جَلستُ أَنا وعُبيدُ الله بن زياد في هذا المجلسِ ، ورَأْسُ الحسينِ بَيْنَ يديهِ ؛ ثمَّ جلستُ أَنا والمُختار بن أَبي عُبيد ، فإذا رَأْسُ عُبيد الله بن زياد بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ ثمَّ جلستُ أَنا ومُصعب هذا ، فإذا رَأْسُ المختارِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ ثمَّ جلستُ مع أَمير المؤمنين فإذا رأْسُ مُصعب بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وإِنِّي أُعِيذُ أَميرَ المؤمنين بالله من شَرِّ هذا المجلس ؛ فارْتَعَدَ عبدُ المَلِكِ ، وَقَامَ من فَوْرِهِ ، وأَمَرَ بَهَدْمِ القَصْرِ .

● وكَانَ مُصعبُ شُجاعاً ، جَواداً ، حَسَنَ الوَجْهِ ، كالقَمَرِ ليلةَ البَدرِ ، رحمهُ الله تعالى .

ولَمَّا قُتِلَ مُصعبُ انهزَمَ أَصحابُهُ ، فاسْتَدْعَى بهم عبدُ المَلِكِ بن مَروان ، فبايَعُوهُ ، وسَارَ إِلى الكُوفَةِ ، وَدَخَلَها ؛ واستقرَّ لَهُ الأَمْرُ بالعِراقِ والشَّام ومصرَ ، ثمَّ جَهَّزَ الحَجَّاجَ في سنةِ ثلاثٍ وسبعين إِلى عبد الله بن الزُّبير رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، فَحَصَرَهُ بمَكَّةَ ، وَرَمَى البيتَ بالمِنْجَنِيقِ ، ثمَّ ظَفَرَ به ، فَقَتَلَهُ واحتزَّ الحجَّاجُ رَأْسَهَ ، وَصَلَبَهُ مُنكَّساً ، ثمَّ أَنْزَلَهُ وَدَفَنَهُ في مَقابِرِ اليَهُودِ[2] .

وقيلَ : إِنَّ الحجَّاجَ قَالَ : لا أُنْزِلُهُ حَتَّى تَتَشَفَّعَ فِيهِ أُمُّهُ أَسماء ، فَتَمَّ على تِلكَ الحَالِ مُدَّةً ، فَمَرَّتْ بِهِ أُمُّهُ يَوْماً ، فقالتْ : أَما آنَ لهذا الفارِسِ أَنْ يَتَرَجَّلَ ؛

---

(١) وفيات الأَعيان ٣/ ١٦٥ والغيث المسجم ٢/ ٢٢٦ ومروج الذهب ٣/ ٣١٢ .

(٢) كذا . وهو غير صحيح ، وهل في مكة مقبرة يهود ؟! . والخلاف قديم في مكان صلبه ودفنه ؛ ففي طبقات ابن سعد ٦/ ٥١٤ أَنَّه صلب على عقبة المدينة ، ليرى ذلك قريش المدينة ، فوقف عليه عبد الله بن عمر فترحَّم عليه ، فاستنزله الحجَّاج ورمى به في مقابر اليهود . وقال ابن سعد ٦/ ٥٠٢ : وحملته أُمُّه ودفنته بالمدينة ، في دار صفيَّة بنت حُيي . وفي تاريخ دمشق ٣٢/ ٤٧٣ وابن سعد ٦/ ٥١١ ، ٥١٢ : أَنَّ الحجاج صلبه على الثنيَّة التي بالحجون [بمكَّة] ثمَّ أذن لأُمِّه فوارته بالمقبرة بالحجون ، وصلى عليه عروة بن الزُّبير .

فَبَلَغَ الحَجَّاجَ ذلكَ ، فَأَمَرَ بإِنْزَالِهِ ، وأَنْ يُعطَى لأُمِّهِ أَسماءُ بنت أَبي بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، فَأَخَذَتْهُ وَدَفَنَتْهُ .

وسَيَأْتِي ذِكْرُ قَتْلِهِ أَيْضاً في « بابِ الشِّينِ المُعجمة »، في لَفْظِ « الشَّاةِ » .

وكانَتْ خِلافَتُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بالحِجازِ والعِراقِ تسعَ سنين واثنتين وعِشرين يَوْماً ؛ وَقُتِلَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ولَهُ من العُمرِ ثلاثٌ وسَبْعُونَ سنةً . وقيلَ : اثنتانِ وسَبعُونَ سنةً .

خِلافَةُ الوليدِ بن عَبْدِ المَلِكِ[1]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَ عَبْدِ المَلِكِ بن مروانَ ابنُهُ الوليدُ ، فإِنَّهُ كَانَ وَلِيَّ عَهْدِهِ .

وكانَ دَمِيماً ، سائِلَ الأَنْفِ ، يَخْتَالُ في مِشْيَتِهِ ، قليلَ العِلْمِ ، وكان يَختمُ القُرْآنَ في ثلاثِ لَيالٍ .

قال إِبراهيم بن أَبي عَبْلَةَ : كَانَ يَخْتِمُ في رَمضان سَبعَ عشرةَ مَرَّةً ، وَكَانَ يُعْطِينِي أَكياسَ الدَّراهمِ ، أَقْسِمُها في الصَّالِحِينَ .

وعنِ الوليد قَالَ : لَوْلا أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ذَكَرَ اللِّواطَ في كتابِهِ ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحداً يفعَلُهُ .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ تُوُفِّيَ والدُهُ ، ولَمْ يَدْخُلِ المنزلَ حتَّى صَعَدَ المِنبرَ ، فقالَ : الحمدُ للهِ ، إِنَّا للهِ وإِنَّا إِليه راجِعُونَ ، واللهُ المُستعانُ على مُصيبَتِنا بأَميرِ المؤمِنين ؛ والحمدُ للهِ على مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَينا مِنَ الخِلافَةِ ، قُومُوا فَبَايِعُوا .

---

(١) ترجمته وأخباره في : المعارف ٣٥٩ ومروج الذهب ٣/ ٣٦٥ وتاريخ الطبري ٦/ ٤١٨ والمنتظم ٦/ ٢٦٨ ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣١٧ والكامل في التاريخ ٤/ ٥٢٢ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٧ وفوات الوفيات ٤/ ٢٥٤ والوافي بالوفيات ٢٧/ ٤٦٣ والبداية والنهاية ١٢/ ٦٠٥ وتاريخ الخلفاء ٢٦٣ وشذرات الذهب ١/ ٣٨٨ .

● قال الحافظ ابن عساكر[1] : كانَ الوَلِيدُ عندَ أَهلِ الشَّامِ مِنْ أَفْضَلِ خُلفائِهِم ؛ بَنى المَساجِدَ بدمشقَ ، وأَعطى النَّاسَ ، وَفَرَضَ للمَجْذُومِينَ ؛ وقالَ : لا تَسْأَلُوا النَّاسَ ؛ وأَعْطَى كُلَّ مُقْعَدٍ خادِماً ، وكُلَّ أَعْمَى قائِداً ؛ وَكَانَ يَبَرُّ حَمَلَةَ القُرآنِ ، ويَقْضِي عنهم دُيونَهم ، وبَنى الجامِعَ الأُمويَّ ، وَهَدَمَ كَنيسة مَرْيُوحَنَّا وزادَها فيهِ ، وذلك في ذِي القَعدةِ ، سنةَ سِتٍّ وَثَمانِينَ .

وذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ في الجامِعِ وهو يُبْنىٰ اثنا عَشَرَ أَلف مُرَخِّمٍ ؛ وتُوفِّيَ الوليدُ ولَمْ يَتِمَّ بناؤُهُ ، فَأَتَمَّهُ سُليمانُ أَخُوهُ ، فَكَانَ جُملةُ مَا أَنْفَقَ على بنائِهِ أَربعمئةِ صُنْدُوقٍ في كلِّ صندوقٍ ثمانيةٌ وعشرونَ أَلف دينارٍ ؛ وَكَانَ فِيهِ ستِّمئة سلسلةِ ذَهَبٍ للقَنادِيلِ ، وَمَا زَالت إِلى أَيَّامِ عُمر بن عبدِ العَزيزِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فجَعَلَها في بيتِ المالِ ، واتَّخَذَ عِوَضَها صُفْراً وحَدِيداً .

وَبَنى قُبَّةَ الصَّخْرَةِ ببيْتِ المقدسِ ، وَبَنَى المَسْجِدَ النَّبويَّ ، وَوَسَّعَهُ حتَّى دَخَلَتِ الحُجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ فيهِ ؛ وله آثارٌ حسنةٌ كثيرةٌ جدًّاً .

ومع ذَلِكَ فقد رُوِيَ أَنَّ عمر بن عبد العزيز قال : لمَّا أَلْحَدْتُ الوَلِيدَ ، ارْتَكَضَ في أَكْفانِهِ ، وغُلَّتْ يَداهُ إِلى عُنقه ؛ نَسْأَلُ اللهَ العافِيَةَ والسَّلامةَ .

وفُتِحَتْ في أَيَّامِ خِلافَتِهِ الفُتُوحاتُ العِظامُ ، مثلُ السِّنْدِ والهِنْدِ ، والأَندلُسِ ، وغير ذلِكَ من الأَماكِنِ المُشتهرةِ .

وَكَانَ يَركبُ المركوبَ الحَسَنَ الجَيِّدَ ، ويَتَّقِي الرُّكوبَ والسَّفَرَ وَالحَرْبَ في هذه الأَيَّامِ الآتي ذِكْرُها ، ويَنْهَى عن ذلكَ ؛ وهي فائدةٌ جليلةٌ ، عَظِيمَةُ القَدْرِ .

● رَوَىٰ عَلقمةُ بن صَفْوان ، عَنْ أَحمد بن يَحْيَى ، مَرفُوعاً ، قال : قال

---

(١) لم يرد هذا القول في مختصر تاريخ دمشق ، وانظره في تاريخ الطبري ٤٩٦/٦ والبداية والنهاية ٦٠٩/١٢ .

رسولُ الله ﷺ[1] : « تَوقَّوا اثْنَي عَشَرَ يوماً في السَّنَةِ ، فإنَّها تذهبُ بالأَموالِ ، وتَهتكُ الأَستارَ ؛ فقلنا : مَا هِيَ يا رسُولَ الله ؟ قال : ثانِي عَشَرَ المُحرَّم ، وعاشِرُ صَفَر ، ورابعُ ربيع الأَوَّل ، وثامنَ عشرَ ربيع الثَّاني ، وثامِنَ عَشَرَ جُمادَى الأُولَى ، وثاني عَشَرَ جُمادَى الثَّانية ، وثانِي عَشَرَ رَجب ، وسادِسَ عِشري شَعبان ، ورابعَ عشرَي رَمضان ، وثانِي شَوَّال ، وثامنَ عَشَرَ ذِي القَعدة ، وثامنَ ذِي الحِجَّة » اهـ .

● وقولُهُ : إنَّ الوَلِيدَ بَنى قُبَّةَ الصَّخْرَةِ : فيه نَظَرٌ ، وإنَّما بَنى قُبَّةَ الصَّخْرَةِ عبدُ المَلِكِ بن مَروان ، في أَيَّامِ فِتْنَةِ ابنِ الزُّبَيْرِ ، لمَّا مَنَعَ عبدُ الملكِ أَهلَ الشَّامِ مِنَ الحَجِّ ، خَوْفاً مِنْ أَنْ يَأْخُذَ منهم ابنُ الزُّبيرِ البيعةَ له ، فَكَانَ النَّاسُ يقفونَ يَوْمَ عَرَفَة بِقُبَّةِ الصَّخْرَةِ ، إلى أَنْ قُتل ابن الزُّبيرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، كما سيأْتي إن شاءَ اللهُ تَعالى ، عن ابن خلِّكان وغيره[2] .

ولعلَّها تَشَعَّثَتْ ، فَهَدَمَها الوليدُ وبَناها ؛ واللهُ تَعالى أَعلم .

وتُوفِّيَ الوليدُ بن عبدِ الملكِ في خامسَ عَشَرَ جُمادَى الآخرةِ ، سَنَةَ سِتٍّ وتِسعِينَ ، بدَيْرِ مُرَّان[3] ، عَنْ سِتٍّ وأَربعينَ سَنَةً . وقيلَ : ثمانٍ وأَربعين . وقيلَ : خَمسينَ سنةً .

وَتَرَكَ أَربعةَ عَشَرَ وَلَداً[4] ؛ وحُمل على أَعناقِ الرِّجَالِ ، ودُفِنَ في مَقابِرِ باب الصَّغير ؛ وتَوَلَّى دَفْنَهُ عُمر بن عَبدِ العَزِيز .

وكانَتْ خِلافَتُهُ تِسعَ سِنينَ وثمانيةَ أَشهرٍ . وقيل : عَشرَ سنين، واللهُ أَعلمُ .

---

(١) الحديث : لم أَقف عليه .

(٢) وفيات الأَعيان ٣/ ٧٢ . وقد مضت ترجمة عبد الله بن الزُّبير .

(٣) دير مُرَّان : دير بالقرب من دمشق ، على تلٍّ مشرفٍ على مزارع الزَّعفران ورياض حسنة . (معجم البلدان ٢/ ٥٣٣) .

(٤) بل ترك تسعة عشر ذكراً . (تاريخ الطبري ٦/ ٤٩٦ والبداية والنهاية ١٢/ ٦١١) .

خِلافَةُ سُليمان بنِ عَبدِ المَلِكِ[1]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَه : أَخُوهُ سُليمان ، وذَلِكَ لأَنَّ أَباهُما عقدَ لَهُمَا جَمِيعاً بالأَمْرِ من بَعده .

بُويعَ له بالخِلافَةِ يَوْمَ موتِ أَخيهِ الوليد ، وكانَ سُليمانُ بالرَّمْلَةِ[2] ؛ فَلَمَّا جاءَتْه الخِلافَةُ ، عَزَمَ على الإقامَةِ بها ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلى دِمشقَ ، وكَمَّلَ عِمارَةَ الجامِعِ الأُمَويّ ، كما تَقَدَّمَ ، وجَهَّزَ أَخاهُ مَسْلَمَةَ بن عَبْدِ المَلِكِ في سنة سبعٍ وتِسعين إِلى غَزْوِ الرُّومِ ، فانْتَهَى إِلى القُسطنطينيَّة فنازَلَها ؛ وستَأْتِي الإِشارَةُ إِلى شيْءٍ من ذَلِكَ في « بابِ الجِيمِ » ، في لفظِ « الجراد » .

● وَمِمَّا يُحْكَى من مَحاسِنِه ، رحمهُ الله تعالى[3] : أَنَّ رَجُلاً دَخلَ عليه ، فقالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، أَنْشُدُكَ اللهَ والأَذانَ ؛ فَقالَ له سُليمان : أَمَّا أَنْشُدُكَ اللهَ ، فقد عَرفناهُ ؛ فما الأَذانُ ؟ قال : قَولُهُ تعالى : ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤٤] فقال له سُليمان : مَا ظُلامَتُكَ ؟ قالَ : ضَيْعَتِي الفُلانِيَّة ، غَلَبَني عليْها عامِلُكَ فلانٌ ؛ فَنَزَلَ سُلَيمان رحمهُ الله عن سَريرِهِ ، ورفَعَ البِساطَ ، وَوَضَعَ خَدَّهُ بالأَرضِ ، وقالَ : واللهِ لا رَفَعْتُ خَدِّي من الأَرْضِ ، حتَّى يُكْتَبَ لَهُ بِرَدِّ ضَيْعَتِهِ ؛ فَكُتِبَ الكِتابُ ، وهو واضِعٌ خَدَّهُ رحمهُ الله ، لمَّا سَمِعَ كلامَ رَبِّه الذي خَلَقَهُ وخَوَّلَهُ في نِعَمِهِ ؛ خَشِيَ على نَفْسِهِ من لَعْنَةِ اللهِ تَعالَى وَطردِهِ .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٦٠ ومروج الذهب ٤/ ٥ وتاريخ الطبري ٦/ ٥٠٥ والمنتظم ٧/ ١٣ ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠ والكامل في التاريخ ٥/ ١١ ووفيات الأَعيان ٢/ ٤٢٠ وفوات الوفيات ٢/ ٦٨ وسير أَعلام النبلاء ٥/ ١١١ والوافي بالوفيات ١٥/ ٤٠٠ والبداية والنهاية ١٢/ ٦٣٨ وتاريخ الخلفاء ٢٦٦ وشذرات الذهب ١/ ٣٩٨ .

(٢) الرَّملة : مدينة في فلسطين .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٥ ووفيات الأَعيان ٢/ ٤٢٥ .

● قيل : إِنَّهُ أَطْلَقَ من سجنِ الحجّاجِ ثلاثمئة أَلفٍ مَا بَيْنَ رَجُلٍ وامرأَةٍ .

وصادَرَ آلَ الحَجّاجِ .

واتَّخَذَ ابْنَ عَمِّه عُمر بن عبد العَزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه وَزِيراً ومُشِيراً .

وأَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَسْتَكْتِبَ يَزيد بن أَبي مُسلم وَزيرَ الحجَّاج ، فقالَ لهُ عُمر بن عبد العَزِيزِ : سَأَلْتُكَ باللهِ يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ ، لا تُحْيِ ذِكْرَ الحَجَّاجِ باسْتِكْتَابِكَ يَزيد ؛ فَقَالَ له : يَا عُمر ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ عندَهُ خِيانةً في درهمٍ ولا دِينارٍ ؛ فقال لَهُ : يَا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّ إِبليسَ أَعَفُّ منه في الدِّرهمِ والدِّينارِ ، وقد أَغْوَى الخَلْقَ كلَّهم جَميعاً ؛ فأَضْرَبَ سُلَيْمانُ عَمَّا عَزَمَ عَليهِ .

● وفي « كامل المبرّد » وغيره[1] : أَنَّ يزيدَ هذا دَخَلَ على سُليمان بن عبد المَلِكِ ، وكان يَزيدُ دَميماً قبيحاً ، فقال لهُ سُليمان : قَبَّحَ الله رَجُلاً أَجرَّكَ رَسَنَهُ ، وَأَشْرَكَكَ في أَمانَتِهِ ؛ فَقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، لا تَقُلْ هذا ؛ قال : وَلِمَ ؟ قال : لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي والأَمْرُ عَنِّي مُدْبِرٌ ، ولو رَأَيْتَنِي والأَمْرُ عليَّ مُقْبِلٌ ، لاسْتَحْسَنْتَ مَا اسْتَقْبَحْتَ مِنِّي ، ولاسْتَعْظَمْتَ مَا اسْتَصْغَرْتَ مِنِّي ؛ فقال لَهُ سُليمان : ويحكَ ، أَوَ قَد استقرَّ الحجَّاجُ في قَعرِ جهنَّمَ بعدُ أَمْ لا ؟ فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، لا تَقُلْ ذَلِكَ في الحجَّاجِ ؛ قالَ : وَلِمَ ؟ قال : لأَنَّ الحجَّاجَ وَطَّأَ لَكُمُ المَنابِرَ ، وأَذَلَّ لَكُمُ الجبابِرَةَ ؛ وإِنَّهُ يأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ عن يَمينِ أَبيكَ ويَسارِ أَخيكَ ، فحيثُما كانا كَان .

● وَكَانَ سُليمان رحمهُ الله فَصيحاً ، بَليغاً ، أَديباً ، مُؤْثراً لِلعَدْلِ ، مُحِبَّاً للغَزْوِ ، ومُحسناً لعلمِ العربيَّةِ ؛ ويرجعُ إِلى دِيْنٍ وخيرٍ ، واتِّبَاعِ القُرآنِ ، وإِظهارِ شعائرِ الإِسلامِ ، مُترفِّعاً عن سفكِ الدِّماءِ ، وكَانَ شَرِهاً نكَّاحاً .

---

(١) الكامل للمبرد ٢/ ٧٣٠ وبيان الجاحظ ١/ ٣٩٥ ومروج الذهب ٤/ ٩ وابن خلكان ٢/ ٤٢٥ .

● قال ابنُ خلّكان في تَرجمته[1] : إِنَّهُ كانَ يأْكُلُ في كلِّ يَومٍ نحو مئةِ رِطْلٍ شَاميٍّ ، وكَانَ بِهِ عَرَجٌ .

●ولَمَّا وُلِّيَ رَدَّ الصَّلاةَ إِلى مِيقاتِها الأَوَّلِ ، وكَانَ مَنْ قَبلَهُ من خُلفاءِ بَني أُمَيَّةَ يُؤخِّرونَها إِلى آخرِ وَقْتِها ؛ ولذلكَ قال محمَّد بن سيرين رحمهُ الله تعالى : إِنَّ سُلَيْمانَ افتتحَ خِلافتَهُ بخيرٍ ، واخْتَتَمَها بخيرٍ ، افتتحَهَا بإِقامَةِ الصَّلاةِ لميقاتِها الأَوَّلِ ، وخَتَمَها باسْتِخْلافِهِ لعُمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

● وَذَكَرَ المُفَضَّلُ وغيرُهُ[2] : أَنَّ سُلَيْمانَ بن عبدِ الملكِ خرجَ من الحمَّامِ في يوم جُمعةٍ ، فلبِسَ حُلَّةً خَضراءَ ، واعْتَمَّ بعمامةٍ خَضْراءَ ، وجلسَ على فِراشٍ أَخضرَ ، وَبَسَطَ مَا حَوْلَهُ بالخُضْرَةِ ؛ ثمَّ نَظَرَ في المِرْآةِ ، وكَانَ جَميلاً ، فأَعْجَبَهُ جَمالُهُ ، فَشَمَّرَ عن ذِراعَيْه ، وقال : كان فينا نَبيُّنا محمد ﷺ نبيّاً ورسولاً ، وكان أَبو بكرٍ رضي الله تعالى عنه صدِّيقاً ، وكَانَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ فارُوقاً ، وكانَ عُثمانُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ حَيِيّاً ، وكان عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ شُجاعاً ، وكان مُعاويةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ حَلِيماً ، وكانَ يزيدُ صَبُوراً ، وكان عبدُ المَلِكِ سائِساً ، وكَانَ الوَلِيدُ جَبَّاراً ، وأَنَا المَلِكُ الشَّابُّ ؛ ثمَّ خَرَجَ لصلاةِ الجُمعةِ فَوَجَدَ حَظِيَّةً لَهُ في صَحْنِ الدَّارِ ، فأَنْشَدَتْهُ هَذِهِ الأَبياتِ[3] : [من الخفيف]

أَنْـتَ نِعْـمَ المَتَـاعُ لَـوْ كُنْـتَ تَبْقَـى ... غَيْـرَ أَنْ لاَ بَقَـاءَ لِـلإِنْسَـانِ

لَيْـسَ فِيمَـا بَـدَا لَنَـا مِنْـكَ عَيْـبٌ ... عَـابَـهُ النَّـاسُ غَيْـرَ أَنَّـكَ فَـانِ

فلمَّا فَرَغَ من الصَّلاةِ وَدَخَلَ دارَهُ ، قال لتلك الحَظِيَّةِ : مَا قُلْتِ لِي في

---

(١) وفيات الأَعيان ٢/ ٤٢٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٥٤٧ ومروج الذهب ٤/ ٨ وابن خلكان ٢/ ٤٢١ والهفوات النادرة ٣٦ ـ ٣٧ والعقد الفريد ٣/ ١٦٤ .

(٣) البيتان بلا نسبة في مصادر الخبر ؛ وهما لموسى شهوات في الأَغاني ٣/ ٣٦٠ .

صَحْنِ الدَّارِ وأَنا خَارِجٌ ؟ قالتُ : مَا قُلْتُ لَكَ شَيْئاً ، ولا رَأَيْتُكَ ؛ وأَنَّى لِي بالخُرُوجِ إِلى صَحْنِ الدَّارِ ؟ فقالَ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي ؛ فَما دارَتْ عَلَيْهِ جُمعةٌ أُخرى حتَّى مَاتَ .

وقيلَ : إِنَّهُ صَعَدَ المنبَرَ ، وخَطَبَ ، وإِنَّ صَوْتَهُ لَيُسْمَعُ مِنْ أَقْصَى المسجِدِ ، فَأَخَذَتْهُ الحُمَّى ، فَما زَالَ صَوْتُهُ يَخْفَى ، حَتَّى لَمْ يسمعْهُ مَنْ تَحْتَهُ ، ثمَّ دَخَلَ دارَهُ يَسحَبُ رِجْلَيْهِ بين رَجُلَيْنِ ، فَما دارَتْ عليه جُمعةٌ أُخرى حتَّى توفِّي .

وقال ابنُ خلِّكان[١] : إِنَّهُ حُمَّ ، وَمَاتَ من لَيْلَتِهِ . وقيلَ : إِنَّهُ مَاتَ بِذاتِ الجَنْبِ .

وتوفِّيَ في صَفر ، في عاشِرِهِ ، سنة ثمانٍ وتسعين . وقيلَ : سنةَ تسعٍ وتِسعين ، بمَرْجِ دابق[٢] من أَرْضِ قِنَّسرين ، وله تسعٌ وثلاثونَ سنةً . وقيل : خمسٌ وأَربعونَ سنةً .

وكانت خِلافَتُهُ سَنَتَيْن وثمانية أَشهرٍ ، رحمةُ اللهِ تعالى عليه .

خِلافَةُ أَميرِ المؤمنين عُمر بن عَبْدِ العَزِيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٣]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ الخليفةُ الرَّاشِدُ ، والإِمامُ العالِمُ ، أَبو حَفْصٍ ، عُمرُ بن عبد العَزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

---

(١) وفيات الأَعيان ٢/ ٤٢١ .

(٢) دابق : قرية قرب حلب ، من أَعمال عزاز ، بينها وبين حلب أَربعة فراسخ . (معجم البلدان ٢/ ٤١٦) .

(٣) **ترجمته وأَخباره في** : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٤ والمعارف ٣٦٢ وحلية الأَولياء ٥/ ٢٥٣ ومروج الذهب ٤/ ١٦ وتاريخ الطبري ٦/ ٥٥٠ والمنتظم ٧/ ٣١ وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٠٠ ومختصره ١٩/ ٩٨ والكامل في التاريخ ٥/ ٣٨ والوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٠٦ وفوات الوفيات ٣/ ١٣٣ وسير أَعلام النبلاء ٥/ ١١٤ والبداية والنهاية ١٢/ ٦٧٦ وتاريخ الخلفاء ٢٧٠ وشذرات الذهب ٢/ ٥ .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يومَ ماتَ سُليمان بن عبد المَلِكِ ، بِعَهْدٍ لَهُ منه بذلِكَ .

وكَانَ يُقالُ له : أَشَجُّ بني أُمَيَّة[1] ؛ وأُمُّهُ أُمُّ عاصِم بنت عاصِم بن عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ؛ فَعُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه جَدُّهُ من قِبَلِ أُمِّه .

وهوَ تابعيٌّ جليلٌ ، رَوَى عن أَنس بن مالِك ، والسَّائِب بن يَزِيدِ رَضِيَ اللهُ عنهما ؛ ورَوى عنه جماعةٌ .

وَمولدُه رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بمصرَ ، سنةَ إِحدى وستِّين .

● قالَ الإِمامُ أَحمد : لَيْسَ أَحَدٌ من التَّابِعِينَ قَوْلُهُ حُجَّةٌ ، إِلاَّ عمر بن عبد العَزيز .

وفي « طبقَاتِ ابن سَعد »[2] : عن عمر بن قيس ، أَنَّهُ قَال : لَمَّا وُلِّيَ عمرُ ابن عبد العَزيزِ الخِلافَةَ ، سُمِعَ صوتٌ لا يُدْرَى قائِلُهُ : [من الطويل]

مِنَ الآنَ قد طابَتْ وَقَرَّ قَرارُها   على عُمر المَهْدِيِّ قامَ عَمودُها

● وكَانَ عمرُ بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ عَفيفاً ، زاهِداً ، ناسِكاً ، عابِداً ، مؤمناً ، تَقِيّاً ، صادِقاً .

وهو أَوَّلُ مَنِ اتَّخَذَ دارَ الضِّيافَةِ من الخُلفاءِ ، وأَوَّلُ مَنْ فَرَضَ لأَبْنَاءِ السَّبيلِ ، وأَزَالَ مَا كانَتْ بَنُو أُمَيَّة تذكرُ بِهِ عَلِيّاً على المَنابِرِ ، وجعلَ مكانَ ذلك قَولَهُ تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النَّحل : ٩٠] الآية .

وقال فيه كُثَيِّر عَزَّةَ[3] : [من الطَّويل]

---

(١) ثمار القلوب ١/ ٢١٢ .

(٢) لم يرد هذا الخبر في طبقات ابن سعد ، وهو في المعرفة والتاريخ ١/ ٦١١ وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٣٥ (ترجمة عمر بن عبد العزيز) بخلافٍ في رواية صدر البيت .

(٣) ديوانه ٣٣٤ ـ ٣٣٦ .

وَلِيْتَ وَلَمْ تَشْتِمْ عَلِيّاً وَلَمْ تُخِفْ بَرِيّاً وَلَمْ تَقْبَلْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ[1]

وَصَدَّقْتَ بالقَوْلِ الفَعالَ مَعَ الَّذِي أَتَيْتَ فَأَمْسَى راضِياً كُلُّ مُسْلِمِ

فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الأَرْضِ والغَرْبِ كُلِّها مُنادٍ يُنادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

يَقُولُ : أَمِيرَ المُؤْمنِيْنَ ظَلَمْتَنِي بِأَخْذِكَ دِيْنارِي ولا أَخْذِ دِرْهَمِي

فَأَرْبِحْ بِها مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبايِعٍ وَأَكْرِمْ بِها مِنْ بَيْعَةٍ ثُمَّ أَكْرِمِ

● وَكَتَبَ إِلى عُمَّالِهِ : أَن لا يُقَيِّدُوا مَسجُوناً بِقَيْدٍ ، فإِنَّهُ يَمنعُ من الصَّلاةِ .

وكتَبَ إِلى عامِلِهِ بالبَصْرَةِ عَدِيّ بن أَرطاة : عَلَيْكَ بأَربعِ لَيالٍ من السَّنةِ ، فإِنَّ اللهَ تبارَكَ وَتعالى يُفرغُ فيها الرَّحمةَ إِفراغاً ؛ وهي : أَوَّلُ ليلةٍ من رَجَب ، وليلةُ النِّصفِ من شَعبان ، وليلتا العيدين .

وَكَتَبَ إِلى عُمَّالِهِ : إِذا دَعَتْكُم قُدْرَتُكم على النَّاسِ إِلى ظُلْمِهِمْ ، فاذْكُرُوا قُدرةَ اللهِ تَعالى عليكم ، ونفادَ مَا تَأْتُونَ إِليه ، وبقاءَ مَا يَأْتي إِليكُمْ من العَذابِ بِسَببهم .

● وَذَكَرَ غيرُ واحدٍ عن [يحيىٰ بن] محمَّد المَرْوَزِيّ ، قالَ[2] : أُخبرتُ أَنَّ عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه لمَّا دَفَنَ سُليمانَ بن عبدِ الملكِ ، وخَرَجَ من قَبْرِهِ ، سَمِعَ لِلأَرْضِ هَدَّةً أَوْ رَجَّةً ، فقالَ : مَا هَذِهِ ؟ فقيل : هَذِهِ مَراكِبُ الخِلافَةِ ، قُرِّبَتْ إِليكَ يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ لِتَرْكَبَها ؛ فقالَ : مَا لي ولها ؟ نَحُّوها عَنِّي ، وقَرِّبُوا إِليَّ دابَّتِي ؛ فَقُرِّبَتْ إِليه فَرَكِبَها ، فجاءَ صاحِبُ الشُّرطَةِ ليسيرَ بَيْنَ يَدَيْه بالحَرْبَةِ ، جَرْياً على عادَةِ الخُلفاءِ قبلَه ، فقالَ لَهُ : تَنَحَّ عَنِّي ، مَا لِي وَلَكَ ؟ إِنَّما أَنَا رَجُلٌ من المُسلِمين ، ثمَّ سَار مُختلطاً بالنَّاسِ ، حتَّى دَخَلَ المسجدَ ، فَصَعَدَ المِنْبَرَ ، فاجتمَعَ النَّاسُ إِليهِ ، فحمدَ اللهَ ، وأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ

---

(١) في ط : وليت ولم تسبب . . . × .

(٢) الخبر بنصه في تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٨٦ ومختصره ١٩/ ١٥٥ ـ ١٥٨ .

النَّبيَّ ﷺ ، ثمَّ قال :

أَيُّها النَّاسُ ، إِنِّي ابتُليتُ بِهَذَا الأَمْرِ ، من غيرِ رأْيٍ منِّي فِيهِ ، ولا طلبةٍ ولا مَشُورَةٍ من المسلمين ، وإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ مَا فِي أَعناقِكُمْ مِنْ بَيْعَتِي ، فاخْتَارُوا لأَنْفسِكُمْ غَيْرِي .

فَصَاحَ المسلمونَ صَيْحةً واحِدةً : قد اختَرْنَاكَ يا أَميرَ المُؤمنين ، ورَضيناكَ أَميرَنا باليُمْنِ والبَرَكَةِ .

فلَمَّا سَكَتوا ، حمدَ اللهَ تَعالى وأَثْنَى عَلَيْهِ ، وصَلَّى على النَّبيِّ ﷺ ، ثمَّ قالَ : أُوصِيكُمْ بتَقْوَى اللهِ ، فإِنَّ تَقْوَى اللهِ تعالى خَلَفٌ من كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ مِنْ تَقْوَى اللهِ خَلَفٌ ؛ واعْمَلُوا لآخِرَتِكم ، فإِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لآخِرَتِهِ كَفاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وآخِرَتِهِ ؛ وأَصْلِحُوا سَرائِرَكم يُصلحِ اللهُ عَلانِيتَكم ، وأَكْثِرُوا ذِكْرَ المَوْتِ ، وأَحْسِنُوا له الاسْتِعْدَادَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بكم ، فإِنَّهُ هاذِمُ اللَّذَّاتِ ؛ وإِنِّي واللهِ لا أُعْطِي أَحَداً باطِلاً ، ولا أَمْنَعُ أَحَداً حَقّاً .

يا أَيُّها النَّاسُ ؛ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَجَبَتْ طاعَتُهُ ، وَمَنْ عَصَى اللهَ فلا طاعَةَ لَهُ ؛ أَطِيعُونِي مَا أَطعتُ الله ، فإِنْ عَصَيْتُهُ فلا طاعَةَ لي عليكُمْ .

ثمَّ نَزَلَ وَدَخَلَ دارَ الخِلافَةِ ، فأَمَرَ بالسُّتُورِ فَهُتِكَتْ ، وبالبُسُطِ فَرُفِعَتْ ، وأَمَرَ بِبَيْعِ ذَلِكَ وإِدْخَالِ أَثمانِها في بيتِ مالِ المُسلمين .

ثمَّ ذَهَبَ يَتَبَوَّأُ مَقيلاً ، فأَتَاهُ ابنُه عبدُ الملك ، فقال : مَا تُريدُ أَنْ تَصنعَ يا أَبَتِ ؟ قال : أَي بُنَيَّ ، أَقيلُ . قالَ : تَقِيلُ ولا تَرُدُّ المَظالِمَ ؟ قال : أَي بُنَيَّ ، إِنِّي قد سَهِرْتُ البارِحَةَ في أَمْرِ عَمِّكَ سُليمان ، فإِذا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ رَددْتُ المظَالِمَ ؛ فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، مِنْ أَيْنَ لَكَ أَنْ تَعيشَ إِلى الظُّهْرِ ؟ فقالَ : ادْنُ مِنِّي يا بُنَيَّ ؛ فَدَنا منهُ ، فَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَينيهِ ، وقالَ : الحمدُ للهِ الذي أَخْرَجَ من ظَهْرِي مَن يُعينُنِي على دِيني .

فَخَرَجَ ولَمْ يَقِلْ ، وأَمَرَ مُنادِيَهُ أَنْ يُنادِي : أَلا كُلُّ مَنْ كانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ فَلْيَرْفَعْهَا ؛ فَتَقَدَّمَ إِليهِ ذِمِّيٌّ من أَهلِ حِمصَ ، فقالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، أَسْأَلكَ كتابَ الله . قالَ : وما ذَاكَ ؟ قال : إِنَّ العبَّاسَ بن الوَليد اغتصَبَنِي أَرضي ؛ والعبَّاسُ جالِسٌ . فقال عمرُ : مَا تَقولُ يا عبَّاسُ ؟ قال : إِنَّ أَميرَ المؤمنين الوليد أَقطعَنِي إِيَّاها ، وهذا كتابُهُ ؛ فقال عمرُ : مَا تَقُولُ يا ذِمِّيٌّ ؟ قَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، أَسْأَلُكَ كتابَ الله تعالى ؛ فقال عمر : كتابُ الله أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ من كتابِ الوليدِ ، أُرْدُدْ إِلَيْهِ أَرْضَهُ يا عَبَّاسُ ؛ فرَدَّها إِليهِ .

ثمَّ جَعَلَ لا يَدَعُ شَيئاً مِمَّا كَانَ في يَدِ أَهلِ بَيْتِهِ من المظالِمِ إِلاَّ رَدَّها مظلمةً مظلمةً .

فلَّما بَلَغَ الخوارِجَ سِيرتُهُ ، وَمَا رَدَّ من المظالِمِ ، اجْتَمَعُوا وقالُوا : مَا يَنْبَغِي لنا أَنْ نُقاتِلَ هَذَا الرَّجُلَ .

ولَمَّا بَلَغَ عمرَ بن الوليدِ رَدُّ الضَّيعةِ على الذِّمِّيِّ ، كتبَ إِلى عمر بن عبد العزيز : إِنَّكَ قَدْ أَزْرَيْتَ على مَنْ كَانَ قَبْلَكَ من الخُلَفَاءِ ، وعِبْتَ عليهم ، وسِرْتَ بِغيرِ سِيرتِهم ، بُغْضاً لَهُم وشَنَآناً لِمَنْ بَعدَهُم مِنْ أَولادِهِم ، وقَطَعْتَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصلَ ، إِذ عمدتَ إِلى أَمْوالِ قُريش ، ومَواريثهم ، فأَدخلتَها بيتَ المالِ جُوراً وعُدواناً ، ولَنْ تُتْرَكَ على هَذَا الحال ، والسَّلامُ .

فلمَّا قَرَأَ كتابَهُ ، كَتَبَ إِليهِ : بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

من عبدِ اللهِ عُمر بن عبد العَزيز إِلى عُمر بن الوَليد : السَّلامُ على المُرسَلين ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، أَمَّا بَعْدُ :

فَقَدْ بَلَغَنِي كَتابُكَ ؛ أَمَّا أَوَّلُ شَأْنِكَ يا ابْنَ الوَلِيدِ ، فأُمُّكَ بَنانَةُ أَمَةُ السَّكُونِ ، كانَتْ تَطُوفُ في سُوقِ حِمص ، وتَدخلُ في حَوانِيتِها ، ثمَّ اللهُ أَعلمُ بِها ، ثمَّ اشْتراها دينار بن دينار من بيتِ مالِ المسلمين ، فأَهداها لأَبيكَ ، فَحَمِلَتْ

بكَ ، فَبِئْسَ المولودُ ؛ ثمَّ نَشَأْتَ فكنتَ جَبَّاراً عَنيداً ، تَزعمُ أَنِّي من الظَّالِمينَ ، إِذ حرمتُكَ وأَهلَ بَيْتِكَ مالَ اللهِ الذي فِيهِ حَقُّ القَرابَةِ والمَساكِين والأَرامِلِ .

وإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي ، وأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللهِ ، مَنِ اسْتَعْمَلَكَ صَبِيَّاً سَفيهاً على جُنْدِ المُسلِمين ، تَحكمُ فيهم برَأْيِكَ ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ في ذَلِكَ نِيَّةٌ إِلاَّ حُبُّ الوالِدِ لِوَلَدِهِ ، فَويلٌ لأَبيكَ ، مَا أَكْثَرَ خُصماءَهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، وكَيْفَ يَنْجُو أَبوكَ من خُصمائِهِ ؟

وإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي ، وأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللهِ ، مَنِ اسْتَعْمَلَ الحَجَّاجَ يَسفكُ الدَّمَ ، ويَأْخُذُ المالَ الحرامَ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي ، وأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللهِ ، مَنِ اسْتَعْمَلَ قُرَّةَ ، أَعرابِيَّاً جافِياً ، على مِصرَ ، وأَذِنَ لَهُ في المعازِفِ واللَّهْوِ والشُّرْبِ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي ، وأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللهِ ، مَنْ جعَلَ لِغاليَةَ البَرْبَرِيَّةَ في خُمْسِ العرب نَصِيباً .

فَرُوَيْداً يا ابْنَ بَنانَةَ ، فلَوِ الْتَقَتْ حَلَقَتا البِطان ، وَرُدَّ الفَيْءُ إِلى أَهْلِه ، لَتفَرَّغْتُ لَكَ ولأَهْلِ بَيْتِكَ ، فَوَضَعْتُهم على المَحَجَّةِ البَيضاءِ ، فَطالَما تَرَكْتُمُ الحَقَّ ، وأَخَذْتُمْ في الباطِلِ ؛ ومِنْ وَراءِ ذلكَ مَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ رَأَيْتُهُ مِنْ بَيْعِ رَقَبَتِكَ ، وَقَسْمِ ثمنكَ بَيْنَ اليَتامَى والمَساكِينِ والأَرامِلِ ، فإِنَّ لِكُلٍّ فِيكَ حَقَّاً ؛ والسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى ، ولا يَنالُ سلامُ الله القَوْمَ الظَّالِمينَ .

● ورُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ في زَمانِهِ غَلاءٌ عَظِيمٌ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَفْدٌ من العرب ، فاختارُوا رَجُلاً منهم لخِطابِهِ ، فَتَقَدَّمَ إِليهِ ، وقال : يا أَميرَ المُؤمنين ، إِنَّا وَفَدْنا إِلَيْكَ من ضَرورةٍ عَظِيمَةٍ ، وراحَتُنا في بَيْتِ المالِ ، ومالُهُ لا يَخْلُو من أَنْ يَكُونَ للهِ ، أَو لِعِبادِهِ ، أَو لَكَ ؛ فإِنْ كَانَ للهِ ، فاللهُ غَنِيٌّ عنهُ ؛ وإِنْ كَانَ لِعِبادِهِ ، فآتِهِمْ إِيَّاهُ ؛ وإِنْ كَانَ لَكَ ، فَتَصَدَّقْ بِهِ عَلَيْنا ، إِنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِين .

فَتَغَرْغَرَتْ عَيْنَا عُمر رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ بالدُّمُوعِ ، وقالَ : وهوَ كما ذكرتَ ؛ وأَمرَ بحَوائِجِهم فقُضِيَتْ .

فَهَمَّ الأَعرابيُّ بالانصِرافِ ، فقال عُمر : أَيُّها الرَّجُلُ ، كما أَوصلتَ حوائِجَ عِبادِ اللهِ إليَّ ، فأَوْصِلْ حاجَتِي ، وارْفَعْ فاقَتِي إلى الله ؛ فقَالَ الأَعرابيُّ : إلهي ، اصْنَعْ بِعُمر بن عبد العزيز كَصَنِيعِهِ في عِبادِكَ .

فما استَتَمَّ كلامَهُ حتَّى ارتَفَعَ غَيْمٌ عَظِيمٌ ، وأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ مَطراً كَثيراً ، فجاءَ في المَطرِ بَرَدَةٌ كبيرةٌ ، فَوَقَعت على جَرَّةٍ ، فانْكَسرت ، فَخَرجَ مِنْهَا كاغِدٌ مَكتوبٌ فِيه : هَذِهِ بَراءَةٌ من اللهِ العزيزِ الجَبَّارِ ، لِعُمر بن عبد العزيزِ من النَّار .

قال رجاءُ بن حَيْوَةَ : كَانَ عُمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ مِنْ أَعظمِ النَّاسِ ، وأَكْيَسِ النَّاسِ ، وأَجملهم في مِشْيَتِهِ ولبْسِهِ ؛ فَلَمَّا استُخلِفُ قُوِّمَتْ ثيابُهُ وعِمامَتُه وقَميصُهُ وقِباؤُهُ وخُفَّاهُ ورِداؤُهُ ، فإذا هنَّ يَعدلنَ اثنَيْ عَشَرَ درهماً .

● وَذَكَرَ ابنُ عَساكِر وغَيره[1] : أَنَّ عمرَ بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ قَدْ شَدَّدَ على أَقارِبِهِ ، وانْتَزَعَ كَثِيراً مِمَّا في أَيديهِم ، فَتَبَرَّمُوا بِهِ وسَمُّوه .

ويُرْوَى أَنَّهَ دَعا بِخادِمِهِ الَّذِي سَمَّهُ فقَالَ : وَيْحَكَ ، مَا حَمَلَكَ على أَنْ سَقَيْتَنِي السُّمَّ ؟ قال : أَلف دِينارٍ أُعطيتُها . قال : هاتِها ؛ فجَاءَ بها ، فأَمَرَ بِطَرْحِها في بيتِ مالِ المسلمين ؛ وقال لِخادِمِهِ : اذهبْ حَيْثُ لا يَراكَ أَحَدٌ .

● وعَنْ فاطمة بنت عبد الملك ، زَوْجِ عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّها قالت : واللهِ ما اغْتَسَلَ عمرُ من حُلُمٍ ولا مِنْ جَنابَةٍ ، مُنْذُ وَلِيَ هَذَا الأَمْرَ ؛ وكَان نَهارَهُ في أَشْغَالِ النَّاسِ ، وَرَدِّ المَظَالِمِ ، ولَيْلَهُ في عِبادَةِ رَبِّه .

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٠٣ ومختصره ١٩/ ١٢٤ وتاريخ الخلفاء ٢٨٨ .

● قال مَسْلَمَةُ بن عبد الملك : دخلتُ على أَمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَعودُهُ في مَرَضِهِ الذِي مَاتَ فِيه ، فإِذا عَلَيْهِ قَميصٌ وَسِخٌ ، فقُلتُ لِفاطمةَ بنتِ عبد الملك : يا فاطِمةُ ، اغْسِلِي قَميصَ أَميرِ المؤمنين ، فقالَتْ : نَفعلُ إِنْ شَاءَ الله تعالى ؛ ثمَّ غَدَوْتُ فإِذا القَمِيصُ على حالِهِ ، فقُلتُ : يا فَاطمةُ ، أَلَمْ آمُرْكِ أَنْ تَغْسِلِي قميصَ أَمير المؤمنين ؟ فإِنَّ النَّاس يَعودُونَهُ ؛ فقالتْ : واللهِ مَا لَهُ قَمِيصٌ غيرُهُ .

● وكانَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عنه كَثيراً مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الأَبيات[1] : [من الطويل]

نَهـارُكَ يَـا مَغْـرُورُ سَهْـوٌ وَغَفْلَـةٌ ... وَلَيْلُـكَ نَـوْمٌ والـرَّدَى لَـكَ لازِمُ
يَغُـرُّكَ مَـا يَفْنَـى وَتَفْـرَحُ بـالمُنـى ... كَمَا غَرَّ باللَّذَّاتِ في النَّوْمِ حالِمُ
وَشُغْلُـكَ فِيمـا سَـوْفَ تَكْـرَهُ غِبَّـهُ ... كَـذَلِـكَ في الـدُّنْيـا تَعِيشُ البَهـائِـمُ

● واعْلَمْ أَنَّ مَناقِبَ عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهُ كثيرةٌ جِدّاً ؛ فَمَن أَرادَ مَعرفَةَ ذَلِكَ ، فَعَلَيْهِ « بِسِيرَةِ العُمَرَيْن » و« الحِلْيَةُ »[2] وغيرِهما .

وكَانَ مَرَضُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بِدَيْرِ سَمعانَ من أَرضِ حِمص .

ولمَّا احتُضِرَ قال : أَجلِسُونِي ؛ فأَجْلَسُوهُ ، فقالَ : إِلهي ، أَنا الذي أَمَرْتَنِي فقَصَّرْتُ ، ونَهَيْتَنِي فعَصَيْتُ ، ولكن لا إِلهَ إِلا الله .

وتوفي رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ لخمسٍ ؛ وقيلَ : لِستٍّ مَضَيْنَ ، وقيل : لِعَشرٍ بَقينَ من رَجَبَ الفَرد ، سنةَ إِحدى ومئة ؛ وهو ابنُ تسعٍ وثلاثِينَ سنةً ، وأَشهرٍ ؛ وقيل : وهو ابنُ أَربعينَ سَنَةً .

وكان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه أَبيضَ مَلِيحاً ، جَمِيلاً ، مُهاباً ، نَحيفَ الجِسمِ ،

---

(١) الأَبيات بلا نسبة في تاريخ دمشق ٥٤/١٩٧ ومختصره ١٩/١٢٣ وحلية الأَولياء ٥/٣١٨ وسير أَعلام النبلاء ٥/١٣٨ والبداية والنهاية ١٢/٧٠٧ .

(٢) سيرة العمرين : لابن الجوزي . وحلية الأَولياء : لأَبي نُعيم الأَصبهاني .

حَسَنَ اللِّحيةِ ، بَجَبْهَتِه شُجَّةٌ من حافِرِ فَرَسٍ ، ضَرَبَهُ وهو صَغيرٌ ؛ وَكَانَ إِليه المُنتهى في العلمِ والفَضْلِ ، والشَّرفِ ، والوَرَعِ ، والتَّأَلُّفِ ، ونَشْرِ العَدلِ ؛ جَدَّدَ اللهُ تعالى بِهِ لِلأُمَّةِ دِيْنَها ، وسَارَ فيها بسيرةِ جَدِّهِ لأُمِّهِ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، وكانت دولته في طول مُدَّةِ أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين . وقبره رضي الله تعالى عنه بدَير سَمعان ، ظاهِرٌ يُزَارُ .

● وقَالَ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : الخُلفاءُ الرَّاشِدُون خمسةٌ : أَبو بكرٍ ، وعُمر ، وعُثمان ، وعليٌّ ، وعُمر بن عبد العزيز ، رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم أَجمعين .

● وَذَكَرَ الحافِظُ ابْنُ عساكر[1] : أَنَّهَ لَمَّا وُضِعَ في قَبرِهِ بِدَيْرِ سَمعان ، هَبَّتْ رِيحٌ شَديدةٌ ، فسقطَتْ منها صَحيفةٌ مَكتوبَةٌ بأَحْسَنِ خَطٍّ :

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ العَزيزِ الجبَّارِ ، لعُمر بن عبد العزيز من النَّارِ .

فأَخَذُوها وَوَضَعُوها في أَكْفانِهِ .

● وكانَتْ خِلافَتُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : سَنَتَيْنِ وخَمسةَ أَشْهرٍ .

خِلافَةُ يَزيد بن عبدِ المَلِكِ[2]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ يَزيدُ بن عبدِ المَلِكِ بن مروان .

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٠٩ ومختصره ٩/ ١٢٧ والبداية والنهاية ١٢/ ٧١٧ وتاريخ الخلفاء ٢٨٧ .

(٢) **ترجمته وأَخباره في** : المعارف ٣٦٤ ومروج الذهب ٤/ ٢٠ وتاريخ الطبري ٧/ ٢١ والمنتظم ٧/ ٦٥ والكامل في التاريخ ٥/ ٦٧ ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٧٨ وفوات الوفيات ٤/ ٣٣٢ وسير أَعلام النبلاء ٥/ ١٥٠ والبداية والنهاية ١٣/ ١٢ وتاريخ الخلفاء ٢٨٩ وشذرات الذهب ٢/ ٢٨ .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ مَاتَ ابنُ عَمِّهِ عمرُ بن عبدِ العزيز ، بعَهْدٍ لَهُ من أَخِيهِ سُليمان في ذَلِكَ .

ولمَّا وُلِّيَ قال : خُذُوا بِسِيرَةِ عُمر بن عبد العزيز ؛ فَسارُوا بسيرَتِهِ أَربعينَ يَوْماً ، فَدَخلَ عَلَيْهِ أَربعُونَ رَجُلاً من مَشايخِ دِمشقَ ، وحَلَفُوا له : إنَّهُ لَيْسَ على الخُلَفاءِ حِسابٌ ولا عِقابٌ في الآخِرَةِ ؛ وَخَدَعُوهُ بِذَلِكَ ، فانْخَدَعَ لهم ؛ وكان طائِفةٌ من جُهَّالِ الشَّامِيِّين يَعتقدُون ذَلِكَ .

وَكَانَ أَبيضَ جَسِيماً ، مَلِيحَ الوَجْهِ .

● وقال بعضُ المُؤَرِّخين : إنَّ يَزيدَ هذا ، هو المعروفُ بالفاسِقِ ؛ وَهوَ غَلَطٌ ؛ وإِنَّما الفاسِقُ وَلَدُهُ الوليد ، كما سيَأْتِي قَرِيباً إن شاءَ الله تعالى .

● وَذَكَرَ الحافِظُ ابنَ عَساكِرَ رحمهُ الله وغيرُه[١] : أَنَّ يَزِيدَ بن عبد الملك ، كَانَ قَدِ اشترَى في أَيَّامِ أَخيهِ سُلَيمان ، جارِيةً من عُثمان بن سَهْلِ بن حُنَيْفٍ ، بأَربعَةِ آلافِ دينارٍ ، وكان اسمُها حَبَّابة ـ بتشديد الباءِ المُوَحَّدة[٢] ـ وأَحَبَّها حُبَّاً شَديداً ، فبلغَ أَخاهُ سُلَيمان ذلك ، فقال : هَمَمْتَ أَنْ أَحجرَ على يزيد ؛ فبلغَ ذلك يزيد ، فباعَها خوفاً من أَخيهِ سُليمان ؛ فلمَّا أَفْضَتِ الخِلافَةُ إِليهِ قالتْ لَه زَوجتُهُ[٣] : يَا أَميرَ المؤمنين ، هل بقِيَ في نَفْسِكَ من الدُّنْيا شَيْءٌ ؟ قال : نعم ؛ قالَت : وما هو ؟ قال : حبَّابة ؛ فاشْتَرَتْها له وهو لا يَعْلَمُ ، وَزَيَّنَتْها ،

---

(١) الطبري ٧/ ٢٣ ـ ٢٤ والأَغاني ١٥/ ١٢٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٤ ـ ١٥ ومختصراً في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٨٣ .

(٢) بل الصحيح بتخفيف الباء الموحدة . (الإكمال ٢/ ٣٧٢ ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٢٩٨ والأَغاني ١٥/ ١٢٢) .
واسمها العالية ، وتكنى أُم داود ، من مولّدات المدينة ؛ وكانت شاعرة متأَدبّة ، ولها فيه مرتبة .

(٣) هي سَعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان . (الأَغاني ١٥/ ١٢٤) .

وأَجْلَسَتْها مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ لَها ، ثمَّ قالَتْ : يا أَميرَ المؤمنين ، هَلْ بقيَ في نفسِكَ من الدُّنْيا شَيءٌ ؟ قالَ : أَوَ مَا أَعْلَمْتُكِ أَنَّها حَبابَة ؟ فَرَفَعَتِ السِّتْرَ ، وقالت : هَا أَنْتَ وَحَبَّابة ؛ وتَرَكَتْهُ وإِيَّاها ، فَحَظِيَتْ عِنْدَهُ ، وغَلَبَتْ على عَقْلِهِ ، ولَمْ يُنْتَفَعْ بِهِ في الخِلافَةِ .

وإِنَّهُ قالَ يَوماً : إِنَّ بعضَ النَّاسِ يَقُولُونَ : إِنَّهُ لَنْ يَصْفُوَ لأَحدٍ من المُلُوكِ يَوْمٌ كامِلٌ مِنَ الدَّهْرِ ؛ وإِنِّي أُريدُ أَنْ أُكَذِّبَهُم في ذلك ؛ ثمَّ أَقبلَ على لَذَّاتِه ، واخْتَلَى مع حَبابة ، وأَمَرَ أَنْ يُحجبَ عن سَمعهِ وبَصَرِهِ كُلُّ مَا يَكرهُ ؛ فبينَما هو على تلك الحالةِ في صَفْوِ عَيْشِهِ ، وزِيادَةِ فَرَحِهِ وسُرورِهِ ، إِذ تَنَاوَلَتْ حَبَّابةُ حَبَّةَ رُمَّانٍ وهي تَضْحَكُ ، فَغَصَّتْ بِها ، فَماتَتْ ، فاخْتَلَّ عقلُ يَزيد ، وتَكَدَّرَ عَيْشُهُ ، وَذَهَبَ سُرُورُهُ ، ووجِدَ عليها وَجْداً شَديداً ، وتَرَكَها أَيَّاماً لَمْ يَدْفِنْها ، بَلْ يُقَبِّلُها وَيَتَرَشَّفُها حَتَّى أَنْتَنَتْ وجافَتٍ ، فأَمَرَ بدَفْنِها ، ثمَّ نَبَشَها من قَبْرِها ؛ ولَمْ يَعِشْ بعدَها إِلاَّ خَمسةَ عَشَرَ يَوْماً ؛ وكانَ مَرَضُهُ بالسُّلِّ ؛ وقال فيها[1] : [من الطويل]

فَإِنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أَوْ تَدَعِ الهَوَى ... فَبِالْيَأْسِ تَسْلُو عَنْكِ لا بِالتَّجَلُّدِ
وَكُلُّ خَليلٍ زارَني فَهْوَ قائِلٌ: ... مِنَ اجْلِكِ هَذا هَالِكُ اليومِ أَوْ غَدِ

وسيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى قريبٌ من هذا ، في « بابِ الدَّال المُهملةِ » ، في « الدَّابَّة » عن سُليمان بن داود عليهما الصَّلاةُ والسَّلام .

وتوفِّيَ يَزيد بن عبد الملك بِإِرْبِد من أَرضِ البَلْقَاء ؛ وقيل : بِالجَولان ؛ وحُملَ على أَعناقِ الرِّجالِ إِلى دمشق ، ودُفِنَ بين بابِ الجابيةِ وبابِ الصَّغيرِ ، وذلك لخمسٍ بَقينَ من شَعبان ، سنةَ خَمسٍ ومئة ، ولَهُ تسعٌ وثلاثون سنةً[2] ،

---

(١) البيتان لكثير عزَّة في ديوانه ٤٣٥ ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٠٢ و٢٧/ ٣٨٣ .

(٢) في أ ، ط : وله تسعه وعشرون ! ! . والتصحيح من المصادر ، وقيل : إنه بلغ الأَربعين .

وقيل : ثمانٍ وثلاثونَ سنةً وشَهر .

وكانَتْ خِلافَتُهُ أَربعَ سِنين وشَهراً .

خِلافَةُ هشام بن عبدِ المَلِكِ[1]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَه أَخُوهُ هِشام بن عبد الملك بن مَروان ، بُويعَ له بالخِلافَةِ يومَ ماتَ أَخُوهُ يزيد بعهدٍ منه إليه ؛ ولَمَّا أَتَتْهُ الخِلافَةُ كَان بالرُّصافَةِ ، فَسَجَدَ وسَجَدَ أَصحابُهُ لمَّا بُشِّرَ بها ، وسارَ إلى دمشق .

● قال مُصعبُ الزُّبيريُّ[2] : زَعَمُوا أَنَّ عبدَ الملكِ بن مروان رأَى في مَنامِهِ ، أَنَّهُ بالَ في المحرابِ أَربعَ مَرَّاتٍ ، فَدَسَّ مَنْ سَأَلَ سَعيد بن المسيِّب ، وكان يُعَبِّرُ الرُّؤْيَا ، فقالَ : يَملِكُ مِنْ صُلبِهِ أَربعةٌ ؛ فكانَ آخرُهم هِشاماً . انتهى .

● وكان هشام ، حازِماً ، عاقِلاً ، صاحِبَ سياسةٍ حَسَنَةٍ ، أَبيضَ جَميلاً ، سَميناً ، أَحْوَلَ ، يَخضبُ بالسَّوادِ ؛ وكان ذا رَأْيٍ ودَهاءٍ ، وَفيهِ حِلْمٌ وَقِلَّةُ شَرٍّ .

وقامَ بالخِلافَةِ أَتَمَّ قِيامٍ ؛ وكان يَجمعُ الأَموالَ ، ويُوصَفُ بالبُخْلِ والحِرْصِ ؛ يُقالُ : إِنَّهَ جَمَعَ من الأَموالِ ما لا جَمعَهُ خَليفةٌ قبلَه ، فلمَّا ماتَ احتاطَ الوليد بن يَزيد على تَرِكَتِهِ؛ فَما غُسِّلَ وكُفِّنَ إلاَّ بالقَرْضِ والعارِيَةِ .

وتوفِّيَ بالرُّصافة في شهر ربيع الآخر ، ودُفن بدمشق سنةَ خَمسٍ وعشرين ومئة ، وهو ابْنُ ثلاثٍ وخَمسينَ سنةً . وقيل : أَربع وخَمسينَ سنةً . وكانت خلافتُه تِسعَ عشرةَ سنةً وتسعةَ أَشهرٍ . وقيل : عشرين عاماً .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٦٥ ومروج الذهب ٤/ ٤١ وتاريخ الطبري ٧/ ٢٥ والمنتظم ٧/ ١٠٧ والكامل في التاريخ ٥/ ١٢٣ ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٩٧ والوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٥٣ وفوات الوفيات ٤/ ٢٣٨ وسير أَعلام النبلاء ٥/ ٣٥١ والبداية والنهاية ١٣/ ١٥١ وتاريخ الخلفاء ٢٩١ وشذرات الذهب ٢/ ١٠٢ .

(٢) نسب قريشٍ للمصعب ١٦٣ وتاريخ الخلفاء ٢٩١ .

خِلافَةُ الوليدِ بن يَزِيد بن عَبْدِ الملكِ[1]

وهو السَّادِسُ فَخُلِعَ ، كما سيَأْتِي قَرِيباً .

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ابنُ أَخيهِ : الوليدُ بن يَزِيد ، الفاسِقُ ، كان أَبُوهُ حين احتُضر عَهِدَ بالأَمْرِ إِلى هشامٍ أَخيه ، بأَنْ يَكُونَ العهدُ من بعدِهِ لولدِهِ الوليد بن يَزِيد ؛ فلمَّا مات هشامٌ ، بُويِعَ له بالخِلافَةِ يَوْمَ مَوْتِ عَمِّه هشام ، وهو إِذ ذاك بالبَرِّيَّةِ ، فارّاً من عَمِّهِ هشام ، لأَنَّهُ كَانَ بينَهُ وبين عَمِّهِ مُنافَرَةٌ ، لأَجلِ استِخْفافِهِ بالدِّيْنِ ، وشُرْبِهِ الخمرَ ، واشْتِهارِهِ بالفِسْقِ ، فَهَمَّ هشام بقَتْلِهِ ، ففرَّ منه ، وصارَ لا يُقيمُ بأَرضٍ خَوفاً من هشام .

فلمَّا كانَتِ اللَّيْلَةُ التي قَدِمَ عليهِ البَرِيدُ في صَبيحتِها بالخِلافَةِ ، قَلِقَ تلكَ اللَّيْلَةَ قَلَقاً شَديداً ، فقال لبعضِ أَصحابِهِ : ويحكَ ، إِنَّهَ قَدْ أَخَذَنِي اللَّيْلَةَ قلقٌ ، فاركبْ بنا حتَّى نَنْبَسِطَ ؛ فَسارَا مقدارَ مِيلين ، وهما يَتَحدَّثان في أَمر هشامٍ ، وما يَتعلَّقُ بِهِ من كُتبه إِليه بالتَّهديدِ والوَعيدِ ، ثمَّ نَظَرَا فرأَيا من بُعْدٍ رَهَجاً وصَوْتاً ، ثمَّ انكَشَفَ ذلك عن بُرُدٍ يَطلبُونَهُ ، فقالَ لِصاحبِه : وَيْحك ، إِنَّ هذه رُسُلُ هشامٍ ، اللَّهُمَّ أَعْطِنا خيرَهم ؛ فلمَّا قربَ البُرُدُ منهما ، وأَثبتُوا الوليدَ مَعرفةً ، تَرَجَّلُوا ، وجاؤُوا فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بالخِلافَةِ ، فَبُهت ، وقال : وَيحكم ، أَماتَ هشام ؟ قالُوا : نَعم ؛ ثمَّ أَعطوه الكُتب فقرأَها ، وسارَ من فَورِهِ إِلى دمشق ، فأَقامَ في الخِلافَةِ سنةً واحدةً ، ثمَّ أَجمعَ أَهلُ دمشقَ على خَلْعِهِ وَقَتْلِهِ ، لاشْتِهارِهِ بالمُنكراتِ ، وتَظاهُرِهِ بالكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : الأَغاني ٧/ ١ والمعارف ٣٦٦ ومروج الذهب ٤/ ٤٩ وتاريخ الطبري ٧/ ٢٠٨ والمنتظم ٧/ ٢٤٦ والكامل في التاريخ ٥/ ٢٦٤ ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٦٢ وفوات الوفيات ٤/ ٢٦٥ وسير أَعلام النبلاء ٥/ ٣٧٠ والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٨ وتاريخ الخلفاء ٢٩٥ وشذرات الذهب ٢/ ١٠٨ .

● قال الحافظُ ابن عساكِر وغيره : انهمكَ الوليدُ في شُربه الخمرَ ولذَّاته ، وَرَفَضَ الآخِرَةَ وراءَ ظَهره ، وأَقبلَ على القَصْفِ واللَّهْوِ والتَّلَذُّذِ مع النُّدَماءِ والمُغَنِّين ؛ وَكَانَ يَضربُ بالعودِ ، ويُوَقِّعُ بِالطَّبْلِ ويَمْشِي بالدَّفِّ ؛ وَكَانَ قَدِ انْتَهَكَ مَحارِمَ الله تَعالى ، حتَّى قيل لهُ : الفاسِقُ .

وكانَ أَكملَ بني أُمَيَّةَ أَدباً وَفَصَاحَةً وظَرْفاً ، وأَعْرَفَهُمْ بالنَّحْوِ واللُّغَةِ والحَديثِ ؛ وَكَانَ جَواداً مِفْضالاً ؛ ومع ذلِكَ لَمْ يَكُنْ في بَنِي أُمَيَّةَ أَكثرَ إِدْماناً للشَّرابِ والسَّماعِ ، ولا أَشَدَّ مُجُوناً وَتَهَتُّكاً واسْتِخْفافاً بِأَمْرِ الأُمَّةِ ، من الوليدِ بن يزيد .

يُقالُ : إِنَّهُ واقَعَ جارِيَةً لَهُ وهوَ سَكرانُ ، وجاءَهُ المُؤَذِّنُونَ يُؤْذِنُونَهُ بالصَّلاةِ ، فَحَلَفَ أَنْ لا يُصَلِّي بالنَّاسِ إِلاَّ هِيَ ، فلبسَتْ ثِيابَهُ ، وتنَكَّرَتْ ، وصَلَّتْ بالمُسلمين وهي جُنُبٌ سَكْرَى .

ويُقالُ : إِنَّهُ اصْطَنَعَ بِرْكَةً من خَمْرٍ ، وكان إذا طَرِبَ أَلْقَى نَفْسَهُ فِيها ، وشَرِبَ مِنها حتَّى يَبينَ النَّقْصُ في أَطرافِها .

● وحكى الماوَرديّ في كتابِ « أَدب الدِّينِ والدُّنيا » عنه[1] : أَنَّهُ تفاءَلَ يَوْماً في المُصْحَفِ ، فخرجَ لَهُ قولُه تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم : ١٥] فَمَزَّقَ المُصْحَفَ ، وأَنْشَأَ يَقُولُ[2] : [من الوافر]

أَتُوعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنيدٍ ... فَها أَنا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنيدُ
إِذا مَا جِئْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ ... فَقُلْ : يَا رَبّ مَزَّقَنِي الوَلِيدُ

فلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ أَيَّاماً يَسيرَةً حتَّى قُتِلَ شَرَّ قِتْلَةٍ ، وصُلِبَ رأْسُهُ على قَصْرِهِ؛ ثمَّ على أَعلى سُورِ بَلدِهِ . ا هـ .

---

(١) أَدب الدنيا والدين ٥٠٠ ـ ٥٠١ . وسيأتي بتخريج أَوفى .
(٢) ديوانه ٤٥ .

وسيأْتِي هذا أَيضاً إِنْ شاءَ الله تعالى في « بابِ الطَّاءِ المُهملةِ » ، في الكلام على الطِّيَرَةِ ، في لفظ « الطَّير » .

وأَخبارُهُ في مثلِ هذا كثيرةٌ مَشهورةٌ في كتبِ التَّوارِيخِ ، فلا نُطِيلُ بِذِكْرِها .

● وقد جَاءَ في الحديث[1] : « لَيكونَنَّ في هذه الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ : الوَليدُ ، هو شَرٌّ مِنْ فِرعون » . فتَأَوَّلَهُ العُلماءُ : الوليد بن يزيد هذا .

● وَلَمَّا خَلَعَهُ أَهلُ دمشقَ بايَعُوا ابنَ عَمِّه يَزيد بن الوليد بن عبد الملك ؛ فقال : مَنْ أَحضَرَ رَأْسَ الوليدِ ، فَلَهُ مِئَةُ أَلف درهمٍ ؛ وَكانَ الوَلِيدُ بالبَخْرَاء ، فَحَصَرَهُ أَصْحابُ يَزيد ، فهمَّ أَصحابُ الوليدِ بالقِتالِ ، فَنهاهم عن ذلك ؛ فانْفَلُّوا من حَوْله ، ثمَّ دخلُوا عَلَيْهِ في قَصْرِهِ ، فقالَ : يَوْمٌ كيَوْمِ عُثمان . فقيلَ له : ولا سَواءٌ ؛ فَقُطِعَ رأْسُهُ ، وَطِيفَ بِهِ في دِمشق ، ونُصِبَ على قَصْرِهِ ، ثمَّ على أَعْلَى سُورِ دمشق .

ولمَّا قُتِلَ الوليدُ اضطربَتِ البلادُ ، واستَنْصَرَ على بني أُمَيَّة أَعداؤُهم ، ولَمْ تَقُمْ لهم قائمةٌ بَعْدَهُ .

وقُتل في جُمادَى الأُولى ، سنةَ سِتٍّ وعِشرين ومئة ؛ وكانَتْ خلافَتُهُ سنةً واحدةً ، وقيل : سنةٌ وشَهرانِ .

وكان من أَجملِ النَّاسِ ، وأَحسنِهم ، وأَقواهم ، وأَجودِهم شِعْراً ؛ وكان فاسِقاً مُسْتَهْتِراً ، مُتَهَتِّكاً ؛ فقامُوا عليه لِفسقِهِ وارتِكابِهِ القَبائحَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ تَدَيُّناً ابنُ عَمِّهِ يزيد بن الوليد بن عبد الملك المُلَقَّب بالنَّاقصِ ، وتَغَلَّبَ على دمشقَ ؛ وكان الوليدُ بناحيةِ تَدمر في الصَّيْدِ ، فَجَهَّزَ يزيدُ عسكراً ، فحارَبَهُ إِلى أَنْ أَحاطُوا بِهِ بِحِصْنِ البَخْراء من أَرضِ تَدمر ، ثمَّ تَسَوَّرُوا علَيْهِ ، وذَبَحُوهُ ، وَأَتَوْا بِرأْسِهِ على رُمْحٍ ، ثمَّ نَصَبُوه على [سُورِ] دمشق .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٦٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٨ وتاريخ الخلفاء ٢٩٦ .

خِلافَةُ يَزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مَروان[1]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك ، بُويعَ لَهُ بالخلافَةِ يَومَ خُلِعَ ابن عمهِ الوليد بن يَزيد ، وهو أَوَّلُ خَليفةٍ كانَتْ أُمُّهُ أَمَةً ، وكَانَ بَنُو أُمية يتحرزونَ ذلِكَ تَعْظِيماً للخلافَةِ ، ولما سَقطَ إِليهم أَنَّ ملكَهم يَزولُ على يَدِ خَليفةٍ أُمه أَمَة ، وكانُوا يتخَوفُونَ من ذلكَ إلى أَنْ وليَ الخلافَةَ الوليدُ بن يَزِيد ، فعلمُوا أَنَّ مُلكَهم قَدِ انقضى ، وكان يَزيدُ يُسمَّى « النَّاقِص » ، وإِنَّما سُمِّيَ بذَلِكَ لأَنَّهُ نقصَ أُعطياتِ النَّاسِ ورَدهم إِلى مَا كانُوا عليه أَيَّامَ هِشامٍ . وقيل : لِنُقْصَانٍ كَانَ في أَصابعِ رِجليه ؛ وأَولُ مَنْ سَمَّاهُ بهذا مروانُ بن محمَّد .

وأَقامَ يَزيدُ في الخلافةِ والأُمورُ مُضطربة عليهِ .

وكان مُظْهِراً للنُّسْكِ وقراءَةِ القُرآنِ وأَخلاقِ عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وكَانَ ذَا دِينٍ وَوَرَعٍ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يمتع وبغتته المَنِيَّةُ .

تُوفيَ في ثامن عَشَرَ جُمادَى الآخِرة من السنةِ المَذْكُورَةِ وهو ابْنُ أَربعينَ سنةً . وقيل ست وأربعين .

● وقال الشَّافعيُّ رحمهُ اللهُ تَعالى[2] : وَلِيَ يَزيدُ بن الوليدِ ، فدَعَا النَّاسَ إِلى القَدَرِ ، وحَمَلَهمْ عَلَيْهِ .

وكانَتْ خِلافَتُهُ خَمسةَ أَشهرٍ ونِصْفاً ؛ وقيلَ : ستَّةَ أَشهرٍ ؛ واللهُ أَعلمُ .

---

(١) ترجمته وأخباره فيه : المعارف ٣٦٧ ومروج الذهب ٤/ ٥٨ وتاريخ الطبري ٧/ ٢٦١ والمنتظم ٧/ ٢٦٤ وفوات الوفيات ٤/ ٣٣٣ والكامل في التاريخ ٥/ ٢٩١ وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٨٣ وتاريخ الخلفاء ٢٩٨ وشذرات الذهب ٢/ ١١٦ .

(٢) تاريخ الخلفاء ٢٩٩ .

خِلافَةُ إبْرَاهِيمَ بن الوَلِيدِ[1]

وَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ ، بُويعَ أَخُوهُ إبراهيم بن الوليدِ بعهدٍ من أخيه يزيد بن الوليد ، وَلَمْ يَثبتْ لَهُ أَمرٌ ؛ فَكانَ جمعةً يُسَلَّمُ عليه بالخِلافَةِ وجمعةً بالإمارة ، وجُمعةً لا يسلم عليه لا بالخلافة ولا بالإمارَةِ ؛ وَمَا زَالتِ الأُمُورُ مُضطربةً عليهِ إلى أَنْ قَتلَهُ مَروانُ بن محمّد وصَلَبَهُ .

وَكانَتْ ولايتُهُ شَهرين وعشرةَ أَيَّامٍ .

وفي هذا نَظَرٌ ، لأَنَّ مَروانَ بن محمَّد بن مَروان ، الحمارَ ، لمَّا سَمِعَ بمُبايَعَتِهِ ، وكَانَ نائِباً على أَذربيجان وتلكَ النَّواحِي ، وصاحبَ الفُتُوحاتِ ، سارَ لِحِينِهِ ، وَدَعا إِلى نَفْسِهِ ، وقَدِمَ الشَّامَ ؛ فَجَهَّزَ لَهُ إبراهيم بن الوليد أَخوَيْهِ بِشْراً ومَسرُوراً ، فالْتَقَوْا ، وانتصَرَ عليهم مَروان ، فَزَحَفَ حتَّى نَزَلَ مَرْجَ عَذْراءَ ، فبرزَ إِليهِ سُليمان بن هِشام بن عبدِ المَلِكِ ، فانْكَسَرَ ؛ فبرزَ إِليهِ الخَليفةُ إبراهيم بن الوليد ، وعَسْكَرَ بظاهِرِ دمشقَ ، فَخَذَلَهُ جُنْدُهُ ، وخامَرُوا عليْهِ بعْدَ أَنْ أَنْفَقَ عليهم الخَزائنَ ، فاخْتَفَى إبراهيم ، فبايَعَ الناس مروان ، واستوثَقَ لَهُ الأَمْرُ ؛ فظهرَ إبراهيمُ ، ودخلَ عليهِ ، وَنَزلَ لَهُ عَنِ الخِلافَةِ .

خِلافَةُ مَروان بن محمَّد ، الجَعْدِيّ ؛ الحمار ؛ وهو آخرُهم[2]

ولمَّا قُتِلَ[3] إبراهيمُ بن الوليد ، بُويعَ لمَروان بن مُحَمَّدٍ المنبوزِ بالحمارِ بالخِلافَةِ .

---

(١) ترجمته وأخباره في : المعارف ٣٦٧ ومروج الذهب ٤/ ٥٨ وتاريخ الطبري ٧/ ٢٩٩ ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٧٢ والكامل في التاريخ ٥/ ٣٠٨ وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٦ والوافي بالوفيات ٦/ ١٦٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٠٥ وتاريخ الخلفاء ٣٠٠ وشذرات الذهب ٢/ ١١٧ .

(٢) ترجمته وأخباره في : المعارف ٣٦٩ ومروج الذهب ٤/ ٧١ وتاريخ الطبري ٧/ ٣١١ والمنتظم ٧/ ٢٧٠ ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢١٥ والكامل في التاريخ ٥/ ٣٢٣ وسير أعلام النبلاء ٦/ ٧٤ والوافي بالوفيات ٢٥/ ٤٣٨ وفوات الوفيات ٤/ ١٢٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٤ وتاريخ الخلفاء ٣٠٢ وشذرات الذهب ٢/ ١٣٩ .

(٣) الصواب : خُلِعَ .

وفي أَيَّامِهِ ظَهَرَ أَبُو مُسلم الخُراسانيُّ صاحِبُ الدَّعوة ، وظهرَ السَّفَّاحُ بالكُوفَةِ ، وبُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ ، وجَهَّزَ عمَّهُ عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبَّاس لِقِتالِ مروان بن محمَّد ، فالتقى الجَمْعانُ بالزَّابِ ـ زَابِ المَوْصِل ـ واقْتَتَلُوا قِتالاً شَديداً ، فانهزمَ مَروان ، وقُتِلَ من عَسْكَرِهِ ، وغَرِقَ مَا لا يُحْصَى ، وتَبِعَهُ عبدُ اللهِ إِلى أَنْ وَصَلَ إِلى نَهرِ الأُردنِّ ، فلقِيَ جَماعَةً من بني أُمَيَّةَ ، وكانُوا نَيِّفاً وثَمانينَ رَجُلاً ، فقَتلَهم عن آخِرهم ، ثمَّ أَمرَ عبدُ اللهِ بِسَحبِهم فَسُحِبُوا ، وَبَسَطَ عليهِمْ بساطاً ، وجَلَسَ هُوَ وأَصحابُهُ فَوْقَهُم ، واستَدْعَى بِالطَّعامِ ، فَأَكَلُوا وهُمْ يَسمعونَ أَنينَهم من تَحتِهم ؛ فقالَ عبدُ اللهِ : يَوْمٌ كيَوْمِ الحُسَيْنِ ولا سَواءٌ .

ثمَّ جَهَّزَ السَّفَاحُ عَمَّهُ صالح بن عليّ على طَرِيقِ السَّماوَةِ ، فلحِقَ بأَخِيهِ عبدِ الله ، وقَدْ نَازَلَ دِمشقَ ، ففَتَحَها عُنْوَةً ، وَأَباحَها ثلاثةَ أَيَّامٍ ، وَنَقَضَ عبدُ اللهِ سُورَها حَجَراً حَجَراً .

وهَرَبَ مَروانُ إِلى مِصرَ ، فَتَبِعَهُ صالِحٌ ، وَقَتَلَ مَروان بأَبِي صِيْرٍ ـ قَريةٍ من قُرَى الصَّعيدِ ـ كما سيأْتِي في « بابِ الهاءِ » ، في لفظ « الهِرِّ » .

وكانَ قَدْ عَزَمَ على الدُّخُولِ إِلى الحَبشَةِ ، فَبَيَّتُوهُ ، فقالَ حِينَ قُتِلَ : انْقَرَضَتْ دَولتُنا .

كَانَ بَطَلاً شَديداً ، شُجاعاً مُهاباً ، ذا هَيْئَةٍ ، أَبيضَ رَبْعَةً ، أَشْهَلَ ضَخْماً ، كَثَّ اللِّحْيَةِ ؛ وَكَانَ حازِماً سائِساً ؛ وتَمَزَّقَتْ بِمَوْتِهِ دولةُ بني أُمَيَّةَ .

وَكَانَ قَتْلُ مَروانَ الجَعْدِيِّ : في سَنَةِ ثَلاثٍ وثلاثِينَ ومِئة ؛ وهو ابْنُ سِتٍّ وخَمسينَ سنةً .

وكانَتْ خِلافَتُهُ خَمسَ سِنينَ . قيلَ : وشَهرينِ وعَشرةَ أَيَّامٍ .

وهُوَ آخرُ خُلفاءِ بَنِي أُمَيَّة ؛ وهم أَربعةَ عَشَرَ خَليفةً ؛ أَوَّلُهُم مُعاوية بن أَبِي

سُفْيَان بن صَخْر بن حَرْب بن أُمَيَّةَ بن عَبْدِ شَمس بن عبدِ مَناف ؛ وآخِرهم مَروانُ الجَعْدِيُّ ، المَنبوزُ بالحِمارِ .

وكانَتْ مُدَّةُ خِلافَتِهِمْ نَيِّفاً وثَمانِينَ سنةً ، وهي أَلفُ شَهْرٍ .

ولمَّا انْقَضَتْ دولتُهم ، عُلِمَ مَا قَالَ الحسنُ بن عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، لمَّا قِيلَ لَهُ : تَرَكْتَ الخِلافَةَ لِمُعاوية ؟ فقالَ : ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر : ٣] .

وبدَولةِ مَروان اختلَّ النِّظامُ في أَنَّ كلَّ سادِسٍ يُخْلَعُ ؛ لأَنَّ العِدَّةَ لَمْ تكْمَلْ ، لأَنَّ الولِيدَ بن يَزيد المخلوعَ لَمْ يَلِ بعدَه من بني أُمَيَّة سوى ثلاثةٌ : يزيدُ بن الوليد بن عبد الملكِ ، ثمَّ أَخُوهُ إِبراهيم ، ثمَّ مَروان بن محمَّد بن مراون بن الحَكَم ؛ وبهِ انْقَرضَتْ دولةُ بني أُمَيَّةَ ، وجاءَت الدَّولةُ العَبَّاسِيَّةُ ، ثَبَّتَها اللهُ إِلى قِيامِ السَّاعَةِ .

الدَّولةُ العبَّاسِيَّة

خِلافَةُ أَبي العبَّاس السَّفَّاحِ[1]

● قال المؤرِّخُون : ولمَّا أَتَى الله تَعالى بالدَّوْلَةِ العَبَّاسيَّةِ ، كَانَ أَوَّلَهم السَّفَّاحُ ، وهو أَبو العبَّاس ، عبدُ الله بن محمَّد بن عليّ بن عبدِ الله بن عبَّاس الهاشميّ .

بُويعَ له بالخِلافَةِ في سنةِ اثنتين وثلاثين ومئة ، يوم الجُمعةِ ، ثالث عَشَر شَهر ربيعِ الأَوَّل .

واستَوْزَرَ أَبا سَلَمَةَ حَفْصاً الخلاَّلَ ، وهو أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بالوَزِيرِ ، واستمرَّ اللَّقَبُ من بعدِه إلى زمنِ الصَّاحبِ بن عبَّاد ؛ وإنَّما سُمِّيَ بالصَّاحِبِ ، لأَنَّهُ صَحِبَ ابنَ العَميدِ ؛ واستمرَّ على هذا الوزراءُ بعدَهُ إلى زَمننا .

● قال الإمامُ أَبو الفَرَج بن الجَوزيّ وغيره[2] : إنَّ السَّفَّاحَ خَطَبَ يوماً ، فسقطَتْ العَصَا من يَدِهِ ، فتطيَّرَ بذلك ؛ فقام شخصٌ من أَصحابِهِ ، ومَسَحَ العَصا ، وناوَلَهُ إيَّاها ، وأَنْشَدَ[2] : [من الطَّويل]

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٧٢ وأَنساب الأَشراف ٣/ ١٢٨ وتاريخ بغداد ١١/ ٢٣٦ وتاريخ دمشق ٣٨/ ١٧٨ ومختصره ١٣/ ٣٠٢ ومروج الذهب ٤/ ٩٤ وتاريخ الطبري ٧/ ٤٧٠ والمنتظم ٧/ ٢٩٥ والكامل في التاريخ ٥/ ٤٠٨ وسير أَعلام النبلاء ٦/ ٧٧ والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٧٣ وفوات الوفيات ٢/ ٢١٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٩٣ وتاريخ الخلفاء ٣٠٤ وشذرات الذهب ٢/ ١٦١ .

(٢) تمام المتون ٣٦٧ . وقد مضى تخريج البيت ؛ ولهذا الخبر نظائر ، انظر : تمام المتون ٣٦٧ ـ ٣٦٨ وسرح العيون ١٨٨ ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٧٦ والبداية والنهاية ١٥/ ٢١٤ .

فَأَلْقَتْ عَصاها واسْتَقَرَّ بِها النَّوى كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإِيابِ المُسافِرُ

فَسُرِّيَ عَنْهُ .

● وَذَكَرَ ابنُ خلّكان في ترجمته[1] : أَنَّهُ نَظَرَ يَوْماً في المِرآةِ ، وكانَ من أَجملِ النَّاسِ وَجْهاً ، فقالَ : اللَّهُمَّ ، إِنِّي لا أَقُولُ كما قَالَ سُليمان بن عبد الملك ، ولَكِنِّي أَقُولُ : اللَّهُمَّ عَمِّرْنِي طَويلاً في طاعَتِكَ ، مُتَمتَّعاً بالعافيةِ .

قال : فما اسْتَتَمَّ كلامَه حتَّى سَمِعَ غُلاماً يَقُولُ لغلامٍ آخرَ : الأَجَلُ بَيْنِي وبَيْنَكَ شَهرانِ وخَمسةُ أَيَّام ؛ فَتَطَيَّرَ من كلامِهِ ، وقَالَ : حَسْبِيَ اللهُ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وبِهِ اسْتَعَنْتُ .

فما مَضَتِ الأَيَّامُ المذكورةُ ، حتَّى أَخَذَتْهُ الحُمَّى ، فمرضَ ، وماتَ بعدَ شَهرين وخَمسة أَيَّامٍ بالجُدريِّ ، بالأَنبارِ ، بمدينتهِ التي بَناها وسَمَّاها الهاشِمِيَّة ، [سنةَ ستٍّ وثلاثين ومئة] ، وهو ابنُ اثنتينِ وثلاثينَ سنةً ونصفَ سنةٍ .

وكانت خلافتُه أَربع سِنين وتِسعة أَشهرٍ .

وكَانَ أَبْيَضَ مَليحاً جَميلاً ، حَسَنَ اللِّحيةِ والهيئة .

خِلافَةُ أَبي جَعفر المنصور[2]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ، أَخوهُ أَبو جعفر ، عبدُ الله بن محمَّد المنصور .

بُويعَ لهُ بالخِلافَةِ يومَ وفاةِ أَخيهِ بعهدٍ منه ؛ وكان السَّفَّاحُ قد وَلاَّهُ أَمرَ

---

(١) لم يترجم له ابن خلكان ، ولم يرد الخبر فيه ؛ وهو في تاريخ بغداد ١٠/ ٤٩ وتاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٢ ومختصره ١٣/ ٣٠٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٩٧ .

(٢) **ترجمته وأَخباره في** : المعارف ٣٧٧ وأَنساب الأَشراف ٣/ ١٨٣ وتاريخ بغداد ١١/ ٢٤٤ ومروج الذهب ٤/ ١٢٨ وتاريخ دمشق ٣٨/ ٢٠١ ومختصره ١٣/ ٣١١ وتاريخ الطبري ٨/ ٥٩ والمنتظم ٧/ ٣٣٤ والكامل في التاريخ ٥/ ٤٦١ وسير أَعلام النبلاء ٧/ ٨٣ والوافي بالوفيات ١٧/ ٤٣٣ وفوات الوفيات ٢/ ٢١٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٤٥٩ وتاريخ الخلفاء ٣٠٨ وشذرات الذهب ٢/ ٢٦١ .

الحجِّ ، فأَتتهُ الخلافةُ بمكانٍ يُعرف بالصَّافِيةِ ، فقالَ : صَفا أَمْرُنا إِنْ شاءَ اللهَ تَعالى ؛ فَبايَعَهُ النَّاسُ ، وحَجَّ بِهم ؛ فلمَّا رَجعَ وَدَخَلَ الهاشِمِيَّة ، بايَعَهُ النَّاسُ البَيعةَ العامَّةَ .

● وأَنَّهُ حَجَّ ثانياً ، فلمَّا قَرُبَ من مكَّةَ ، رأَى على جِدارٍ سَطرين مَكتوبينِ ، وهُما[1] : [من الطَّويل]

أَبا جَعْفَرٍ حانَتْ وَفاتُكَ وانْقَضَتْ سِنُوكَ وأَمْرُ اللهِ لا بُدَّ واقِعُ
أَبا جَعْفَرٍ هَلْ كاهنٌ أَوْ مُنَجِّمٌ لَكَ اليَوْمَ مِنْ رِيْبِ المَنِيَّةِ دافِعُ

فلمَّا قَرَأَها تَيَقَّنَ انْقِضاءَ أَجَلِه ، فماتَ بعدَ ثلاثةِ أَيَّامٍ .

● وكان قَدْ رأَى في نَومه قبلَ موتِهِ قائِلاً يَقولُ[2] : [من الطَّويل]

كَأَنِّي بِهَذَا القَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَعُرِّيَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنازِلُهْ
وَصارَ رَئيسُ القَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ إِلى جَدَثٍ تُبْنَى عَلَيْهِ جَنادِلُهْ

● وكانَتْ وَفاتُهُ في سنةِ ثمانٍ وخَمسينَ ومئة ، ببئرِ مَيمونة ، على أَميالٍ من مَكَّةَ ، وهو مُحْرِمٌ بالحَجِّ ، وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّينَ سنةً .

وكانت خِلافَتُهُ إِحدى وعِشرينَ سنةً ، وأَحدَ عشَرَ شَهْراً ، وأَربعةَ عَشَرَ يَوْماً .

وأُمُّهُ بَربريَّةٌ .

---

(١) الخبر والبيتان في تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤٢ و٢٤٤ ومختصره ١٣/ ٣٢٩ والطبري ٨/ ١٠٧ والكامل ٦/ ٢٢ والبداية والنهاية ١٣/ ٤٧١ .

(٢) الخبر والبيتان في تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤٣ ومختصره ١٣/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ والبداية والنهاية ١٣/ ٤٧٢ .
والخبر ذاته يروى عن المهدي ، انظر : الديباج للختّلي ١١٠ والمنتظم ٨/ ٣١٥ وأَخبار الدول المنقطعة ١٢٠ ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٣١٦ وأَنس المسجون ٧٤ وتاريخ بغداد ١/ ٨٣ .

وكَانَ طَوِيلاً ، أَسمرَ ، نَحيفاً ، خفيفَ اللِّحيةِ ، رَحْبَ الجَبهةِ ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ لِسانانِ ناطِقان ، صارِماً ، مَهِيباً ، ذا جَبَرُوتٍ ، وسَطوةٍ ، وحَزْمٍ ، وَرَأْيٍ ، وشَجاعَةٍ ، وكَمالِ عَقْلٍ ، ودَهاءٍ ، وعِلْمٍ ، وفِقْهٍ ، وخِبرَةٍ بالأُمُورِ ، تَقبلُه النُّفوسُ ، وتَهابُهُ الرِّجالُ ؛ وَكانَ يخلطُ أُبَّهَةَ المُلْكِ بِزِيِّ النُّسْكِ ؛ وكَانَ بَخِيلاً بِالمالِ إلاَّ عندَ النَّوائِبِ .

خِلافَةُ محمَّد المهديّ[1]

ثمَّ قامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُه أَبُو عبد الله ، محمَّد المَهديّ .

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَومَ وفاةِ أَبيهِ المنصور بعهدٍ منه ، وهو يومئذٍ ببغداد[2] ، ثم بُويعَ لَهُ بِها لإِحدى عَشرَةَ من ذِي الحِجَّة ، البَيعةَ العامَّةَ .

وتوفِّيَ بقريةٍ من قُرى ماسَبَذان ؛ ساقَ خَلْفَ صَيْدٍ ، فَدَخَلَ خِرْبَةً ، فَدَقَّ بابَ الخِرْبَةِ من قُوَّةِ سَوْقِ الفرسِ ، فَتَلِفَ لِوَقْته .

وقيلَ : بل سَمَّتْهُ جارِيتُهُ ؛ قيلَ : إِنَّها جَعلتِ السُّمَّ في طعامٍ ، لِضَرَّتِها ، فدخلَ وَمَدَّ يَدَهُ ، فأَكَلَ ، فما جَسرتْ أَن تقولَ له : هوَ مَسمومٌ .

وكانَتْ وفاتُهُ لثمانٍ بَقينَ من المُحَرَّمِ ، سنةَ تسعٍ وستِّينَ ومئة ، ولَمْ يُوجَدْ لَهُ نعشٌ يُحملُ عليهِ ، فحُمِلَ على بابٍ ، ودُفِنَ تحتَ شجرةِ جوزٍ ، ولهُ اثنتانِ

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٧٩ وأَنساب الأَشراف ٣/ ٢٧٥ وتاريخ بغداد ٣/ ٣٨٢ ومروج الذهب ٤/ ١٦٥ وتاريخ الطبري ٨/ ١٦٨ ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٩٦ والمنتظم ٨/ ٢٠٥ والكامل في التاريخ ٦/ ٣٢ والوافي بالوفيات ٣/ ٣٠٠ وسير أَعلام النبلاء ٧/ ٤٠٠ وفوات الوفيات ٣/ ٤٠٠ والبداية والنهاية ١٣/ ٥٥٣ وتاريخ الخلفاء ٣٢٢ وشذرات الذهب ٢/ ٥٨ .

(٢) قال الصَّفدي في الوافي ٣/ ٣٠٠ : بويع له بمكَّة في المسجد الحرام عند وفاة المنصور في ذي الحجَّة سنة ١٥٨ . . . ثمَّ بويع له ببغداد على أَصحِّ الأَقوال يوم الثَّلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجَّة .

وأَربعونَ سنةً ونصفٌ . وقيل : ثلاثٌ وأَربعُونَ سَنَةً .

وكانَتْ خِلافَتُهُ عشرَ سنين وشَهْراً .

وكانَ جَواداً ، مَمْدُوحاً ، مُحَبَّباً إِلى رَعِيَّتِهِ ، حسنَ الخَلْقِ والخُلُقِ .

يُقالُ : إِنَّ أَباهُ خَلَّفَ في الخزائنِ مئة أَلف أَلف درهمٍ وستِّينَ أَلفَ أَلفِ درهمٍ ففَرَّقَها .

ويُقالُ : إِنَّهُ أَجازَ شاعِراً بمئة أَلف درهمٍ .

خِلافةُ مُوسَى الهادِي[1]

ثمَّ قامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُه موسى الهادِي .

بُويعَ له بالخِلافَةِ يَوْمَ مَوْتِ أَبيه ، وكانَ مُقِيماً بجُرجان ، يُحارِبُ أَهل طَبَرِسْتَان ؛ بُويعَ لَهُ بماسَبَذان ، ثمَّ أَخذَ لَهُ أَخُوهُ الرَّشيدُ البيعةَ ببغدادَ ، وبَعَثَ إِليهِ يُعَزِّيهِ في والِدِهِ وَيُهَنِّيهِ بالخلافةِ ، فقدمَ بغدادَ على خَيلِ البَريدِ ، فتلقَّاهُ النَّاس وبايَعُوهُ ، ثمَّ عَزَمَ على خَلْعِ أَخيهِ الرَّشيد من ولايَةِ العهدِ ، فعاجَلَهُ القَضاءُ ، وحالَ بَيْنَهُ وبينَ مُرادِهِ .

وكانَتْ وَفاةُ الهادِي ببغدادَ ، رابعَ عشرَ شهر رَبيعٍ الأَوَّل ، سنةَ سَبعين ومِئة ؛ ولَهُ أَربعٌ وعشرونَ سنةً . وقيل : نحوٌ من خَمسٍ وعشرين سنةً ، بقَرحةٍ أَصابَتْهُ .

وكانَتْ خِلافَتُهُ سنةً واحِدَةً، وخَمسةً وأَربعينَ يَوْماً. وقيل : سنةً وشهرين.

وَكانَ طَويلاً ، مَلِيحاً ، جَسِيماً ، ذا ظُلْمٍ وجَبرُوتٍ ؛ سامَحَهُ اللهُ تَعالى .

---

(١) ترجمته وأخباره في : المعارف ٣٨٠ وتاريخ بغداد ١٥/ ٧ ومروج الذهب ٤/ ١٨٣ وتاريخ الطبري ٨/ ٢٠٥ والمنتظم ٨/ ٣٠٥ والكامل في التاريخ ٦/ ٨٧ وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٤١ وفوات الوفيات ٤/ ١٧٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٥٥٨ وتاريخ الخلفاء ٣٣١ وشذرات الذهب ٢/ ٣١٤ .

خِلافَةُ هارون الرَّشيد[1]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَه ، أَخُوهُ هارُون الرَّشيد بن محمَّد المَهديّ ، وكَانَ أَبُوهُما قَدْ أَخَذَ لهما ولايةَ العهدِ معاً .

بُويعَ لهُ بالخِلافَةِ في اللَّيلةِ التي تُوفِّيَ فيها أَخُوه ، وَوُلِدَ له في تِلْكَ اللَّيْلَةِ المأْمُونُ ، وكانتَ ليلةً عَجيبةً لَمْ يُرَ مثلُها في بني العبَّاسِ ؛ ماتَ فيها خليفةٌ ، وَوُلِدَ فِيها خَليفةٌ ، ووُلِّيَ فيها خليفةٌ[2] .

ولمَّا بُويعَ الرَّشيدُ ، قَلَّدَ يَحْيَى بن بَرْمَك وزارَتَهُ .

وسيأتي إن شاء الله تعالى في « باب العين المُهملةِ » ، في لفظِ « العُقاب » إيقاعُ الرَّشِيدِ بالبَرامِكَةِ ، وقَتْلُ جَعفر بن يَحْيَى بن خالد بن بَرْمَكَ ، وتَخليدُ يَحْيَى وَوَلَدُهُ الفَضْل في السِّجنِ إلى أَنْ مَاتا ، وسببُ ذلكَ مبيَّناً إن شاء الله .

●ومِنْ غَريبِ ما اتَّفقَ لهارون الرَّشيد ، أَنَّ أَخاهُ موسى الهادِي لمَّا وَلِيَ الخلافةَ ، سَأَلَ عن خاتمِ عظيمِ القَدْرِ كَانَ لأَبِيه المهديّ ، فبلغَهُ أَنَّ الرَّشيدَ أَخَذَهُ ، فَطَلَبَهُ منهُ ، فامتَنَعَ من إعطائِهِ ، فأَلَحَّ عَلَيْهِ فِيهِ ، فَحَنِقَ علَيْهِ الرَّشيدُ ، وَمَرَّ على جِسْرِ بغدادَ ، فرَماهُ في الدِّجلةِ .

فلمَّا ماتَ الهادِي ، ووَلِيَ الرَّشيدُ الخِلافَةَ ، أَتى ذلك المَكَانَ بعَيْنِه ، ومعهُ خاتمُ رَصاصٍ ، فرَماهُ في ذلك المَكانِ ، وأَمر الغَطَّاسينَ أَنْ يَلتَمِسُوهُ ؛

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٨١ وتاريخ بغداد ١٦/٩ ومروج الذهب ٤/١٩٦ وتاريخ الطبري ٨/٣٢٤ ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/٥ والمنتظم ٨/٣٢٠ والكامل في التاريخ ٦/١٠٦ وسير أَعلام النبلاء ٩/٢٨٦ وفوات الوفيات ٤/٢٢٥ والبداية والنهاية ١٤/٢٦ وتاريخ الخلفاء ٣٣٦ وشذرات الذهب ٢/٤٣١ .

(٢) فهي ليلة الخلافة ، وكانت ليلة السَّبت ، لأَربع عشرة ليلةً بقيت من شهر ربيع الأَوَّل ، سنة سبعين ومئة . (ثمار القلوب ٢/٩٠٥ ولطائف المعارف ١٤١ والديارات ٧٢٢ ومروج الذهب ٤/١٩٣ والمحاسن والمساوىء ١/٢٤٤ وتاريخ دمشق ٣٩/٢٢٦) .

فَفَعلُوا ، فاسْتَخْرَجُوا الخاتَمَ الأَوَّلَ ، فَعُدَّ ذلكَ من سَعادَةِ الرَّشيدِ ، وبَقاءِ مُلْكِهِ .

● ونظِيرُ هذا مَا حَكاهُ ابنُ الأَثير في حوادِثِ سنة تسعٍ وخَمسين وخَمسمئةٍ ، قال[1] : لمَّا فَتَحَ السُّلطانُ نورُ الدِّينِ الشَّهيد محمود بن زنكي ، قلعَةَ بانياس[2] ، وأَخَذَها من الفِرَنْجِ ، مَلأَها ذَخائِرَ وعُدَّةً ورِجالاً ، ثمَّ عادَ إلى دمشقَ ، وفي يَدِهِ خاتمٌ بفَصٍّ ياقُوتٍ قيمتُه أَلفٌ ومِئة دينارٍ ، فسقَطَ من يَدِهِ في شَجَرِ بانياس ، وهي كثيرةُ الأَشجارِ ، مُلْتَفَّةُ الأَغْصَانِ ؛ فلمَّا بَعُدَ عَنِ المَكانِ الذي ضاعَ فيهِ الخاتمُ ، علمَ بِهِ ، فأَعادَ بعضَ أَصحابِهِ في طلبِهِ ، وَدَلَّهم على مَكانِهِ ، وقالَ : أَظُنُّهُ هُناكَ سَقَطَ ؛ فَرَجَعُوا إليهِ فوَجَدُوهُ . انتهى .

● وكَانَ الرَّشيدُ مع عِظَمِ مُلْكِهِ ، يَعترِيهِ خوفُ اللهِ تعالى ؛ فمن ذلِكَ مَا ذَكَرَهُ الإِمامُ العلاَّمةُ محمَّد بن ظَفَر وغيره : أَنَّ خارِجِيّاً خَرَجَ عليْهِ ، فَقَتَلَ أَبْطالَهُ ، وانْتَهَبَ أَموالَهُ مِراراً ، ثمَّ إِنَّهُ جَهَّزَ إليهِ مَرَّةً جَيْشاً كَثيفاً ، فقاتَلُوهُ ، فغَلَبُوهُ بعْدَ جَهْدٍ ، وأَمْسَكُوهُ ، وأَتَوْا بِهِ الرَّشِيدَ ؛ فجلسَ مَجلساً عامّاً ، وأَمَرَ بإِدْخالِهِ عليهِ ، فلمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْه ، قال له : يا هَذَا مَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِكَ ؟ قال : مَا تُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَ اللهُ بِكَ إِذا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيْه ؛ فَعَفا عنهُ ، وأَمرَ بإِطْلاقِهِ .

فلمَّا خَرَجَ قال بعضُ جُلسائِهِ : يا أَميرَ المؤمنين ، رَجُلٌ قَتَلَ أَبطالَكَ ، وانتهبَ أَموالَكَ ، تُطلقُهُ بكلمةٍ واحدةٍ ؟ تأَمَّلْ هَذَا الأَمْرَ ، فإِنَّهُ مِمَّا يُجَرِّىءُ عليْكَ أَهْلَ الشَّرِّ ؛ فقالَ الرَّشيدُ : رُدُّوهُ ؛ فعلِمَ الرَّجلُ أَنَّهُ قَدْ تُكلِّمَ في أَمْرِهِ ، فقالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، لا تُطِعْهُمْ ؛ فلَوْ أَطاعَ اللهُ فِيكَ النَّاسَ ، ما وَلاَّكَ طَرْفَةَ

---

(١) في أ ، ط : . . . في حوادث ستِّين وخمسمئة ، قال : لمَّا فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب !!!
والخبر في الكامل لابن الأثير ١١/ ٣٠٤ .

(٢) هي التي تسمَّى قلعة الصُّبيبة بالجولان ، قرب مدينة بانياس .

عَيْنٍ . قال : صَدَقْتَ ؛ ثمَّ أَمَرَ له بِصِلَةٍ ، وصَرَفَهُ .

وسيأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى مَا اتَّفَقَ له مع الفُضَيْلِ بن عِياض ، وسُفيان الثَّوريّ ، في « بابِ الباءِ الموحَّدةِ » ، و« الفاءِ » .

وتوفِّيَ الرَّشيدُ في سنةِ ثلاثٍ وتسعين ومئة بِطُوس ، ليلة السَّبت ، لثلاثٍ خَلَوْنَ من جُمادَى الآخِرة ، وهو ابن سبعٍ وأَربعِينَ سنةً . وقيل : خَمسٍ وأَربعينَ .

وكانت خِلافتُهُ ثلاثاً وعِشرينَ سنةً وشهراً . وقيل : ثلاثاً وعشرين فقط .

وَوُلِدَ بالرَّيِّ .

وكَانَ جَواداً ، مَمْدُوحاً ، غازِياً ، مُجاهِداً ، شُجاعاً ، مَهِيباً ، مَلِيحاً ، أَبيضَ ، طَويلاً ، عَبْلَ الجِسْمِ ، قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ .

يُقالُ : إِنَّهُ منذُ استُخْلِفَ كانَ يُصَلِّي كلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ مئةَ ركعةٍ ، ويَتَصَدَّقُ من خالِصِ مالِهِ بأَلْفِ درهمٍ ، وكَانَ لَهُ مَعرفةٌ جَيِّدَةٌ بالعُلُومِ .

خِلافَةُ محمَّد الأَمين(١)

وهو السَّادسُ ، فخُلِعَ وقُتِلَ ، كما سيأْتِي .

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ابنُهُ محمَّد الأَمين .

بُويِعَ له بالخِلافَةِ يَوْمَ تُوفِّيَ والِدُهُ بطُوس ، واستَنابَ أَخاهُ المَأْمُونَ على مَمَالِكِ خُراسان ، وهوَ إِذ ذَاكَ ببغدادَ ؛ فورَدَ بِها عَلَيْهِ خاتَمُ الخِلافَةِ والبُرْدَةُ والقَضِيبُ ؛ ثم بُويِعَ له بِها البيعةَ العامَّةَ وفي سائِرِ الآفاقِ .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٨٤ وتاريخ بغداد ٤/ ٥٤١ ومروج الذهب ٤/ ٢٦١ وتاريخ الطبري ٨/ ٤٧٨ ومختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ٣٠٤ والمنتظم ٩/ ٢١٨ والكامل في التاريخ ٦/ ٢٢١ وسير أَعلام النبلاء ٩/ ٣٣٤ والوافي بالوفيات ٥/ ١٣٥ وفوات الوفيات ٤/ ٢٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١٠٢ وتاريخ الخلفاء ٣٥١ وشذرات الذهب ٢/ ٤٦٠ .

وكَانَ الرَّشيدُ قَدْ جَدَّدَ البَيعةَ بطُوس ، بولايَةِ العهدِ لابْنِهِ المَأْمُون بعدَ الأَمين ، وأَشهدَ على نَفْسه أَنَّ جَمِيعَ مَا مَعَهُ من مالٍ وسلاحٍ وغيرِ ذَلِكَ للمَأْمُونِ ، وأَوْصَى أَنْ يَكُونَ مَا معهُ من الجيوشِ مَضمومين إِليهِ بخُراسان .

فلمَّا ماتَ الرَّشيدُ نادى الفضلُ بن الرَّبيع في عَسْكَرِ الرَّشيدِ بالرَّحِيلِ إِلى بَغداد ، وخَالَفَ وَصِيَّة الرَّشِيدِ ، فعظُمَ ذَلِكَ على المَأْمُونِ ، وكتبَ إِلى الفَضْلِ يُذَكِّرُهُ العُهُودَ التي أَخَذَها عليهِ الرَّشِيدُ ، ويُحَذِّرُهُ البَغْيَ ، ويَسأَلُهُ الوَفاءَ ؛ فلَمْ يلتفتِ الفضلُ إِليهِ ، فكَانَ هذا الأَمْرُ سببَ ابتداءِ الوَحْشَةِ بيْنَ الأَمِينِ والمَأْمُونِ .

● وَذَكَرَ أَبو حَنيفة في « الأَخبار الطِّوالِ »[1] وغيره ، عَنِ الكِسائيّ ، أَنَّهُ قالَ : إِنَّ الرَّشيدَ وَلاَّنِي تَأْدِيبَ الأَمين والمَأْمُونِ ، فكُنْتُ أُشَدِّدُ عليهما في الأَدبِ ، وآخُذُهما بِهِ أَخْذاً شَدِيداً وخاصَّةً الأَمينُ ، فأَتَتْنِي ذاتَ يَوْمٍ خالِصَةُ جارِيَةُ زُبَيْدَة ، وقالت : يا كِسائيُّ ، إِنَّ السَّيِّدَةَ تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ ، وتقولُ لَكَ : حاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَرْفُقَ بابْنِي محمَّد ، فإِنَّهُ قُرَّةُ عَيْنِي ، وثَمرةُ فُؤادِي ، وأَنا أَرِقُّ عَلَيْهِ رِقَّةً شَديدةً ؛ فقلتُ لِخالِصَةَ : إِنَّ محمَّداً مُرَشَّحٌ للخلافَةِ بعد أَبيه ، ولا يَجُوزُ التَّقْصِيرُ في أَمرِهِ ؛ فقالتْ خالصةُ : إِنَّ لِرقَّةِ هَذِهِ السَّيِّدَةِ سَبَباً ، أَنا أُخبِرُكَ إِيَّاهُ : إِنَّها في اللَّيْلَةِ التي وَلَدَتْهُ فيها ، رَأَتْ في مَنامِها ، كَأَنَّ أَربعَ نِسْوَةٍ أَقبلْنَ إِليهِ ، فاكْتَنَفْنَهُ عَنْ يَمينِهِ وشِمالِهِ وأَمامه ووَرائه ، فقالتِ التَّي بَيْنَ يَدَيْهِ : مَلِكٌ قليلُ العُمرِ ، عَظِيمُ الكِبْرِ ، ضَيِّقُ الصَّدْرِ ، واهِي الأَمْرِ ، كَثِيرُ الوِزْرِ ، شَديدُ الغَدْرِ .

وقالت التي مِنْ وَرائِهِ : مَلِكٌ قَصَّافٌ ، مُبَذِّرٌ مِتْلافٌ ، قليلُ الإِنْصَافِ ، كَثيرُ الإِسرافِ .

وقالت التي عن يَمِينِهِ : مَلِكٌ عَظِيمٌ ضَخْمٌ ، قَلِيلُ الحِلْمِ ، كَثِيرُ الإِثْمِ ،

---

(١) الأَخبارُ الطوال : ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

قَطوعٌ للرَّحِمِ .

وقالت التي عن يَسارِهِ : مَلِكٌ غَدَّارٌ ، كَثِيرُ العِثَارِ ، سَرِيعُ الدَّمارِ .

ثمَّ بَكَتْ خالصَةُ ، وقالتْ : يا كِسائيُّ ، وهل ينفعُ الحَذَرُ من القَدَرِ ؟

ثمَّ إِنَّ المأْمُونَ خَلَعَ الأَمينَ من الخلافَةِ ، وجَهَّزَ لِقِتالِهِ طاهرَ بن الحُسين وهَرْثَمَةَ بن أَعْيَن ، فسارا إِليهِ وحاصَراهُ ببغداد بعد حُروبٍ كثيرةٍ ، وترامَوا بالمجانِيقِ ، وجَرَتْ بينهم وقائعُ متعدِّدَةٌ ، وعَظُمَ الأَمْرُ ، واشْتَدَّ البلاءُ ، حتَّى خَرِبَ بسببِ ذَلِكَ منازلُ المدينةِ ، ووثبَ العيَّارُونَ على أَموالِ النَّاسِ فانْتَهَبُوها ، وأَقام الحِصارُ مُدَّةَ سنةٍ ، فَتَضايَقَ الأَمْرُ على الأَمِينِ ، وفارَقَهُ أَكْثَرُ أَصحابِهِ .

وكَتَبَ طَاهِرٌ إِلى وُجُوهِ أَهل بغدادَ سِرّاً ، يَعِدُهُمْ إِنْ أَعانُوهُ ، وَيَتَوَعَّدُهُم إِنْ لَمْ يَدخلوا في طاعَتِهِ ، فأَجابُوهُ وصَرَّحُوا بِخَلْعِ الأَمينِ ، وتَفَرَّقَ عنهُ أَكثرُ مَنْ معهُ ، فالْتَجَأَ إِلى مدينةِ أَبي جَعفر ؛ فحاصَرَهُ طاهرٌ بها ، ومَنَعَهُ من كلِّ شَيْءٍ ، حتَّى كَادَ هو وَأَصحابُهُ يموتُونَ جُوعاً وعَطَشاً ، فلمَّا عايَنَ الأَمينُ ذلكَ ، كاتَبَ هَرْثَمة بن أَعين ، وطلبَ منهُ أَنْ يُؤَمِّنَهُ حتَّى يأْتِيَهُ ، فأَجابَهُ إِلى ذلك ؛ فبَلَغَ ذلكَ طاهِراً ، فَشَقَّ عليه كراهيةَ أَنْ يَظهرَ الفتْحُ لهرثَمَة دونَهُ .

فلمَّا كَانَ يومُ الخميسِ ، لخَمسٍ بقِينَ من المحرَّم ، سَنَةَ ثَمانٍ وتِسعين ومئة ، خَرَجَ الأَمينُ إِلى هَرْثَمَة ، فلَقِيَهُ في حَرَّاقَةٍ ، فَرَكِبَ الأَمينُ معه ، وكان طاهِر قد أَكْمَنَ للأَمِينِ ، فلمَّا صَارَ الأَمينُ في الحَرَّاقَةِ ، خَرَجَ عَلَيْهِ كمينُ طاهرٍ ، ورَمَوْا الحَرَّاقَةِ بالحِجَارةِ ، فغَرِقَ مَنْ فيها ، فَشَقَّ الأَمينُ ثِيابَهُ ، وسبَحَ إِلى بُستانٍ ، فأَدْرَكُوهُ وأَخَذُوهُ ، وحَملُوهُ على برْذَوْنٍ ، وأَتَوْا به طاهِراً ، فبعثَ إِليهِ جماعةً وأَمرَهُمْ بقَتْلِهِ ، فَهَجَمُوا عليه وبأَيْدِيهم السُّيوفُ ، فَرَكِبُوا عليهِ وَذَبَحُوهُ من قَفاه ، وأَخَذُوا رَأْسَهُ وأَتَوْا بِهِ طاهِراً ، فأَمَرَ بنَصْبِهِ ؛ فلمَّا رآهُ الناسُ

سَكَنَتِ الفِتنةُ ، ثمَّ جَهَّزَهُ طاهرٌ إلى المأمُونِ ، وصُحْبَتُهُ خاتمُ الخلافَةِ وبُرْدَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وقَضِيبُهُ ؛ فلمَّا وُضِعَ الرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ خَرَّ ساجِداً ، شُكراً لله تعالى على مَا رَزَقَهُ من الظَّفَرِ ، وأَمَرَ للرَّسولِ بألفِ أَلفِ درهمٍ .

● وَذُكِرَ عَنِ الأَصْمَعِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ[1] : دخلتُ على الرَّشِيدِ ، وكنتُ قَدْ غِبْتُ عنهُ بالبصرةِ حَولين ، فَسَلَّمْتُ عليْه بالخِلافَةِ ، فأَوْمَأَ إليَّ بالجُلُوسِ قريباً منهُ ، فجلستُ قليلاً ثمَّ نهضتُ ، فأَوْمَأَ إليَّ أَنِ اجلسْ ، فجلستُ حتَّى خَفَّ النَّاسُ ؛ ثمَّ قَالَ لِي : يا أَصمعِيُّ ، أَلا تُحِبُّ أَنْ تَرَى مُحمَّداً وعبدَ اللهِ ابنيَّ ؟ قلتُ : بَلى يا أَميرَ المؤمنين ، إنِّي لأُحِبُّ ذلك ، وما أَردتُ القصدَ إلاَّ إليهما لأُسَلِّمَ عليهما ؛ فقالَ : يَكفي ذلك ، ثمَّ قالَ : عليَّ بمحمَّدٍ وعبدِ الله ؛ فانْطَلَقَ الرَّسولُ إليهما ، وقال : أَجيبا أَميرَ المؤمنين .

فأَقْبلا كَأَنَّهُما قَمَرا أُفُقٍ ، قَدْ قارَبا خُطاهما ، وَرَمَيا ببَصَرِهِما الأَرْضَ ، حتَّى وَقَفا على أَبيهما ، فسلَّما عليْه بالخِلافَةِ ، فَأَوْمَأَ إليهما بالجُلُوسِ ، فَجَلَسَ محمَّدٌ عَنْ يَمِينِه وعبدُ الله عن شِمالِه ، ثمَّ أَمَرَني بمُطَارَحَتِهِما الأَدَبَ ، فكُنْتُ لا أُلْقِي عليهما شَيْئاً من فُنُونِ الأَدَبِ إلاَّ أَجابَا فيه وأَصابَا ، فقَالَ : كَيْفَ تَرَى أَدَبَهُما ؟ قُلْتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، مَا رَأَيْتُ مثلَهما في ذَكائِهِما ، وَجُودةِ فَهْمِهِما ، وذِهْنِهِما ، فأَطَالَ اللهُ تَعالى بقاءَهما ، ورزقَ الأُمَّةَ من رَأْفَتِهِما ومعطفتهما . فَضَمَّهُما إلى صَدْرِهِ ، وسَبقتْهُ عَبْرَتُهُ ، فَبَكى حتَّى تَحَدَّرتْ دُموعُهُ على لِحْيَتِه .

ثمَّ أَذِنَ لَهما في القِيامِ ، فنَهَضا حتَّى إذا خَرَجَا قال لي : يا أَصمعِيُّ ، كيف بِهِما إذا ظَهرَ تَعادِيهما ، وبَدَأَ تباغُضهما ، وَوَقَعَ بأْسُهما بَيْنَهما ، حتَّى تُسْفَكَ الدِّماءُ ، وَيَوَدُّ كثيرٌ من الأَحياءِ أَنَّهم كانُوا مَوْتى ؟ قلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ؛

---

(١) الأَخبارُ الطوال ٣٨٨ .

هذا شيءٌ قَضَى بِهِ المُنَجِّمُونَ عِنْدِ مَوْلِدِهما ، أَوْ شيءٌ أَثَرته العُلماءُ في أَمرهما .
قال : لا ، بَلْ شيءٌ أَثَرته العُلماءُ عَنِ الأَوْصِيَاءِ عن الأَنبياءِ في أَمرهما .

وكانَ المأمُونُ يقولُ في خِلافَتِهِ : كانَ الرَّشِيدُ سَمِعَ جَميعَ مَا جَرَى بَيْنَنا من موسى بن جعفر ، ولذلكَ قالَ مَا قَالَ .

● وَذَكَرَ صاحِبُ « عُيُونِ التَّواريخ » وغيرُهُ : أَنَّ المأْمُونَ مَرَّ يَوْماً على زُبَيْدة أُمِّ الأَمِين ، فرآها تُحَرِّكُ شَفَتَيْها بشَيءٍ لا يَفهمه : فقال لها : يا أُمَّاهُ ، أَتَدْعِينَ عليَّ ، لِكَوْنِي قتلتُ ابنَكِ ، وسَلَبْتُهُ مُلْكَهُ ؟ فقالت : لا واللهِ يا أَميرَ المؤمنين . قال : فَمَا الَّذي قُلْتِهِ ؟ قالت : يُعْفِيني أَميرُ المؤمنين ؛ فَأَلَحَّ عليها ، وقال : لا بُدَّ أَنْ تَقُولِيهِ . قالت : قلتُ : قَبَّحَ اللهُ المُلاحَحَةَ . قَالَ : وكيفَ ذَلِكَ ؟ قالت : لأَنِّي لَعِبْتَ يَوْماً مع أَميرِ المؤمنين الرَّشيد بالشَّطرنج ، على الحُكمِ والرِّضا ، فَغَلَبَني ، فأَمَرَنِي أَنْ أَتجَرَّدَ من أَثْوابي ، وأَطُوفَ القَصْرَ عُريانةً ؛ فاسْتَعْفَيْتُهُ فلَمْ يُعْفِني ؛ فَتَجرَدْتُ من أَثوابي ، وطُفْتُ القصرَ عُريانةً ، وأَنا حَقِنَةٌ عليه ؛ ثمَّ عاوَدْنا اللَّعبَ فغلبتُه ، فأَمرتُهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلى المطبخ ، ويَطَأَ أَقبحَ جاريةٍ وأَشْوَهَها خِلْقَةً فيه ؛ فاسْتَعْفانِي من ذلك ، فَلَمْ أُعْفِهِ ، فَبَذَلَ إِليَّ خَراجَ مِصر والعِراقَ ، فأَبيتُ ، وقلتُ : واللهِ لتفعلنَّ ذلك ؛ فأَبى ، وأَلْحَحْتُ عليهِ ، وأَخَذْتُ بيدِهِ ، وجئتُ بهِ للمطبَخ ، فَلَمْ أَرَ جارِيَةً أَقْبَحَ ولا أَقْذَرَ ولا أَشْوَهَ خِلْقَةً من أُمِّكَ مَراجِل ؛ فأَمَرْتُهُ أَنْ يَطأَهَا ، فَوَطِئَها ، فَعَلِقَتْ منهُ بكَ ، فكنتَ سبباً لقتل وَلَدِي وسَلْبِهِ مُلْكَهُ ؛ فولَّى المأمونُ وهو يقولُ : لَعَنَ اللهُ المُلاحَحَةَ . أَي التَّي أَلَحَّ عَلَيْها حتَّى أَخبرَتْهُ بِهذا الخَبَرِ .

●وقُتِلَ الأَمينُ وهو ابْنُ ثَمانٍ وعِشرين سنةً . وقيل : سبع وعشرين .

وَكَانَ طويلاً أَبيضَ ، بديعَ الحُسْنِ ، وكانت خِلافَتُهُ أَربعَ سِنين وثَماني شُهورٍ . وقيل : ثلاثةَ أَعوامٍ وأَيّاماً ، لأَنَّهُ خُلِعَ في رجب سنةَ ستٍّ ؛ ومن حَسَبَ لَهُ إِلى مَوْتِهِ فخِلافَتُهُ خَمسَ سِنينَ خلا أَشهُراً .

وكانَ مُبَذِّراً لِلأَمْوَالِ ، لعَّاباً لا يَصْلُحُ للخِلافَةِ ، وكانَ مُشتغِلاً باللَّهْوِ والقَصْفِ ، والإقبَالِ على اللَّذَّاتِ ؛ فقالَ فِيهِ بعضُهم من أَبياتٍ[1] : [من البسيط]

إِذَا غَـدَا مَلِـكٌ بـاللَّهْـوِ مُشْتَغِـلاً فاحْكُمْ على مُلْكِهِ بالوَيْلِ والحَرَبِ
أَمَا تَرَى الشَّمْسَ في المِيزانِ هابِطَةً لَمَّا غَدَا وَهو بُرْجُ اللَّهْوِ والطَّرَبِ

خِلافَةُ عبدِ اللهِ المأمونِ[2]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ أَخوهُ عبدُ اللهِ المأمونِ .

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ البَيعةَ العامَّةَ ، صَبيحَةَ اللَّيلةِ التي قُتِلَ فيها الأَمِينُ ، بإجماعٍ من الأُمَّةِ على ذلك ، خَلا مَا كَان من أَميرِ الأَنْدَلُس ، فإِنَّهُ كَانَ والأُمراء قَبْلهُ وبعدَهُ لَمْ يَتَقَيَّدُوا بِطاعَةِ العبَّاسيِّين لِبُعْدِ الدِّيارِ .

● قال في « الأَخبارِ الطِّوالِ »[3] : كَانَ المَأْمُونُ شَهْماً ، بَعِيدَ الهِمَّةِ ، أَبيَّ النَّفْسِ ، وكانَ نجمَ بني العَبَّاس في العِلمِ والحِكمةِ ، وَكانَ قَدْ أَخَذَ من العُلُومِ بِقِسْطٍ وَضَرَبَ فِيها بِسَهْمٍ ، وهُوَ الَّذِي استخْرَجَ « كتابَ إِقليدس » وأَمَرَ بتَرْجَمَتِهِ وتَفْصِيلِهِ ، وعَقَدَ المَجالِسَ في خِلافَتِه للمُناظَرَةِ في الأَدْيَانِ والمَقالاَتِ ؛ وَكَانَ أُستاذُهُ فِيها أَبا الهُذَيْل محمَّد بن الهُذَيْل البَصْرِيّ المُعتزليّ ، الَّذِي يُقالُ لَهُ : العَلاَّفُ .

---

(١) هما لأَبي الفتح البُسْتيّ ، في ديوانه ٣٢ والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٢٩ .

(٢) **ترجمته وأَخباره في** : المعارف ٣٨٧ وتاريخ بغداد ١١/ ٤٣٠ وبغداد لابن طيفور ومروج الذهب ٤/ ٢٩٩ وتاريخ الطبري ٨/ ٦٤٦ وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٢٢ ومختصره ١٤/ ٩٢ والمنتظم ١٠/ ٤٩ والكامل في التاريخ ٦/ ٣٥٧ والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٥٤ وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٥ وسير أَعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٢ والبداية النهاية ١٤/ ٢١٤ وتاريخ الخلفاء ٣٦٢ وشذرات الذهب ٣/ ٨١ .

(٣) الأَخبار الطوال ٤٠١ .

وستأتي الإشارة إليه في « بابِ الباءِ الموحَّدة » في لَفظ « البِرْذَوْنِ » .

وفي أيَّامِهِ ظَهَرَ القولُ بِخَلْقِ القُرْآنِ .

وقالَ غيرُهُ : إنَّ القَوْلَ بخَلْقِ القُرآنِ ظهرَ في أيامِ الرَّشيد ، وكان النّاسُ فيه بينَ أَخْذٍ وتَرْكٍ إلى زمن المأمون ، فحَمل النّاسَ على القول بخلق القُرآنِ ؛ وكلُّ مَنْ لَمْ يَقُلْ بخَلْقِ القُرْآنِ عاقَبَهُ أَشَدَّ عُقُوبَةٍ .

وكَانَ الإمامُ أَحمد رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه إمامُ أَهْلِ السُّنَّةِ من الممتنعينَ من القولِ بِخَلْقِ القُرآنِ ، فَحُمِلَ إلى المأْمُونِ مُقَيَّداً ، فَماتَ المأمُونُ قبلَ وُصولِهِ إليهِ ؛ وسيأتِي ذِكْرُ مِحْنَتِهِ في خِلافَةِ المُعْتَصِم .

وقالوا[1] : دَخَلَ المأْمُونُ بلادَ الجزيرةِ والشَّامِ ، وأَقام بها مُدَّةً طَويلةً ، ثمَّ غَزَا الرُّومَ ، وفتحَ فُتُوحاتٍ كَثيرةً ، وَأَبْلَى بلاءً حَسَناً ، وتوفِّي بنَهْرِ بَذَنْدُون[2] ، لاثنتي عشرةَ ليلةً بقيت من رَجَب ، وقيل : لثمانٍ مَضينَ منه ، سنةَ ثماني عشرَةَ ومئتين ؛ وهو ابنُ تسعٍ وأَربعين سنةً ؛ وقيل : تسعٍ وثلاثِين ؛ والأَوَّلُ أَصَحُّ . وقيلَ : ثمانٍ وأَربعين .

وكانت خِلافَتُهُ عِشرين سنةً ، وخَمسةَ أَشهرٍ ؛ وَدُفِنَ بَطَرَسُوسَ .

● قال ابن خلِّكان[3] : كَانَ المأْمُونُ عَظِيمَ العَفْوِ ، جَواداً بالمالِ ، عارِفاً بالنُّجُوم والنَّحْوِ وغَيرهما من أَنواعِ العُلُوم ، خُصُوصاً علمُ النُّجومِ ؛ وكانَ يقولُ : لَو يَعلمُ النَّاسُ مَا أَجِدُ في العَفْوِ من اللَّذَّةِ ، لَتَقَرَّبُوا إليَّ بالذُّنُوبِ .

● وقال غيرُه : إنَّهُ لَمْ يَكُنْ في بني العبَّاس أَعْلَمَ مِنَ المَأْمُونِ ، وَكَانَ

---

(١) الأَخبار الطوال ٤٠١ .

(٢) في ط : بنهر بردى ! . وبَذَنْدُون : قريةٌ بينها وبين طرسوس يومٌ ، من بلاد الثغر . (معجم البلدان ١/ ٣٦١) .

(٣) لم يقله ابن خلكان في وفيات الأَعيان ، وليس من شرطه ترجمة الخلفاء ! ! .

يَشْتَغِلُ بعلمِ النُّجُومِ كَثِيراً ؛ وفي ذلك يقُولُ الشَّاعِرُ[1] : [من الخَفيف]

هَلْ عُلُومُ النُّجُومِ أَغْنَتْ عَنِ المَأْ مُونِ شَيْئاً أَوْ مُلْكِهِ المَأْسُوسِ[2]
خَلَّفُوهُ بِساحَتَيْ طَرَسُوسٍ مِثْلَما خَلَّفُوا أَبَاهُ بِطُوسِ

● وَكانَ أَبيضَ ، مَلِيحَ الوَجْهِ ، مَربُوعاً ، طَويلَ اللِّحيةِ ، دَيِّناً ، عارِفاً بالعِلمِ ، فيه دَهاءٌ وسياسةٌ .

خِلافَةُ أَبي إسحاق ، محمَّد المُعتصم[3]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ أَخُوهُ أَبو إسحاق، محمَّد المُعتصم[4] بن هارُون الرَّشيد . بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ مَوْتِ أَخيه ، بعهدٍ منه .

فأَمَرَ بِهَدْمِ مَا بَنَوْا من طُوانَةَ[5]، وغَزَا عَمُّوريَّةَ[6]، وأَناخَ عليها ، وحاصَرَها حِصاراً شَديداً ؛ ولَمْ يَكُنْ في بني العبَّاسِ مثلَهُ في القُوَّةِ والشَّجَاعَةِ والإِقْدَامِ .

قيل : إِنَّهُ أَصْبَحَ ذاتَ يومٍ بَرْدٌ عَظِيمٌ وثَلْجٌ ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحدٌ على إِخْراجِ يَدِهِ ولا إِمسَاكِ قَوْسِهِ ، فأَوْتَرَ المعتصمُ في ذلكَ اليوم أَربعةَ آلافِ قوسٍ ، ولَمْ يَزَلْ

---

(١) هما لأَبي سعيد المخزومي ، في مروج الذهب ٤/ ٣٤٣ وتاريخ الطبري ٨/ ٦٥٥ ومختصر تاريخ دمشق ١٤/ ١٢١ وتاريخ الخلفاء ٣٧٠ وتاريخ بغداد ١١/ ٢٤٢ .

(٢) في أ : . . . عن المأ× مون أَو عزّ ملكه المأسوس . وفي ط : × . . . المأنوس .

(٣) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٩٢ وتاريخ بغداد ٤/ ٥٧٤ ومروج الذَّهب ٤/ ٣٤٤ وتاريخ الطَّبري ٩/ ١١٨ ومختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ٣١٣ والمنتظم ١١/ ٢٥ والكامل في التَّاريخ ٦/ ٤٣٩ وسير أَعلام النُّبلاء ١٠/ ٢٩٠ والوافي بالوفيات ٥/ ١٣٩ وفوات الوفيات ٤/ ٤٨ والبداية والنِّهاية ١٤/ ٢٨٣ وتاريخ الخلفاء ٣٩٢ وشذرات الذَّهب ٣/ ١٢٧ .

(٤) في أ ، ط : . . . إبراهيم المعتصم !! .

(٥) طوانه : بلدٌ بثغور المصّيصة ؛ وكان المأمون لمَّا قدم الثَّغر غازياً ، أَمر أَن يُسَوَّر على الطُّوانة قدر ميلٍ في ميلٍ ، وعيَّنه مدينةً ، وهيَّأَ له الرِّجال ، فمات بعد شروعه بقليل ، فبطَّله المعتصم . (معجم البلدان ٤/ ٤٥) .

(٦) عمّورية : بلدٌ في الرُّوم ، غزاه المعتصم ففتحه سنة ٢٢٣ هـ . (معجم البلدان ٤/ ١٥٨) .

يُحاصِرُها حتَّى فتَحَها عُنْوَةً ، واحْتَوَى على مَا فيها منَ الأَمْوَالِ وغيرها ، وأَخَذَ أَهْلَها أَسْرَى .

ولَمَّا وُلِّيَ طَلَبَ الإمامَ أَحمد ، وكان في سجنِ المأْمُونِ كما تقدَّم ، وامتحنَهُ بِخَلْقِ القُرْآنِ ، كما سنذكرُه إنْ شاءَ اللهُ تَعالى .

وتلخيصُ مَا كَانَ مِنْ أَمرهِ[1] : أَنَّ هارونَ الرَّشيدَ لَمْ يَقُلْ بِخَلْقِ القُرآنِ مُدَّةَ خلافته ، ولهذا السَّببِ كان الفُضيل بن عِياضٍ يَتَمَنَّى طُولَ عُمرِ الرَّشِيد ، لأَنَّهُ ـ واللهُ أَعلم ـ كانَ قَدْ كُشِفَ لَهُ بِأَنَّ فِتْنَةً تَحدثُ بعدَ موتِ الرَّشيدِ ، ولَمْ تحدثْ في أَيَّام خِلافَتِهِ فتنةٌ ، ولكن كان الأَمرُ في زمنِ وِلايَتِهِ بَيْنَ أَخْذٍ وتَرْكٍ ، كما قدَّمْنا قريباً ، إلى أَنْ وَليَ ابنُهُ المأمونُ ، فقَالَ بِخَلْقِ القُرآنِ ، وبقيَ يُقَدِّمُ رِجْلاً وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى في دَعواهُ النَّاسَ إلى ذَلِكَ ، إلى أَنْ قَوِيَ عزْمُهُ في السَّنة التي مَات فيها ، فحملَ النَّاسَ على القولِ بِخَلْقِ القُرآن ؛ وكلُّ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِخَلْقِهِ عاقَبَهُ أَشَدَّ عُقُوبَةٍ ؛ وأَنَّهُ طَلَبَ الإمامَ أَحمد بن حَنبل وَجَماعةً ، فَحُمل إليهِ الإمام أَحمد ، فلمَّا كان ببعضِ الطَّريقِ ، تُوفِّيَ المَأْمُونُ ، وعَهدَ إلى أَخيهِ المعتصِم بالخِلافَةِ ، وأَوْصَاهُ بِأَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ على القَوْلِ بِخَلْقِ القُرآنِ .

واستمرَّ الإمامُ أَحمدُ مَحبوساً إلى أَنْ بُويِعَ المعتصمُ ، فأُحْضِرَ الإمامُ أَحمد إلى بغداد ، وعَقَدَ لَهُ مَجْلِساً للمُناظَرَةِ ، وفيهِ عبدُ الرَّحمن بن إسحاق والقاضِي أَحمد بن أَبي دُواد وغيرهما ، فناظَرُوهُ ثلاثَةَ أَيَّامٍ ، ولَمْ يَزَلْ معهم في جِدالٍ إلى اليومِ الرَّابعِ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ بالسِّيَاطِ ، ولَمْ يَزَلْ عَنِ الصِّرَاطِ إلى أَنْ أُغْمِيَ عليهِ ، وَنَخَسَهُ عُجيفٌ بالسَّيْفِ ، وَرمى عليه بارِيَّةً ، ودِيْسَ عليْهِ ، ثمَّ حُمِلَ على حمارٍ وصَارَ إلى مَنزله .

---

(١) انظر محنة الإمام أَحمد بتفصيل في : حلية الأَولياء ٩/ ٢٠٤ ، وما بعد ، وسير أَعلام النبلاء ١١/ ٢٣٢ وما بعد وتاريخ الإسلام [وفيات ٢٤١ ـ ٢٥٠] ص٩٧ وما بعد .

وكانت مُدَّةُ مُكْثِهِ في السِّجْنِ ثمانيةً وعشرينَ شَهراً[1] ، وَلَمْ يَزَلْ بعد ذَلِكَ يحضُرُ الجُمعةَ والجماعاتِ ، ويُفْتِي ويُحَدِّثُ إِلى أَنْ مَاتَ المتعصمُ .

وَوَلِيَ الوَاثِقُ فأَظْهَرَ مَا أَظْهَرَهُ المأمونُ والمعتصمُ من المِحْنَةِ ، وقال للإمامِ أَحمد : لا تَجمعنَّ إِليكَ أَحَداً ، ولا تُساكِنِّي في بلدٍ أَنا فِيهِ ؛ فأَقامَ الإِمامُ أَحمدُ مُختفياً ، لا يَخْرُجُ إِلى صَلاةٍ ولا غَيرها ، حتَّى مَاتَ الواثِقُ .

وَوَلِيَ المتوكِّل ، فَرَفَعَ المِحنَةَ ، وأَمَرَ بِإِحْضَارِ الإِمام أَحمد ، وإِكرامِهِ وإِعزازِهِ ، وأَطْلَقَ لَهُ مالاً كَثيراً ؛ فَلَمْ يَقْبَلْهُ ، وَفَرَّقَهُ على الفُقراءِ والمَساكِينِ ، وأَجْرَى المتوكِّلُ على أَهْلِهِ وَوَلده في كُلِّ شَهرٍ أَربعةَ آلافِ درهمٍ ، فَلَمْ يَرْضَ الإِمامُ أَحمد بِذَلِكَ ؛ رحمهُ اللهُ تَعالى .

● وَذَكَرَ العراقيُّ في « مَجمعِ الأَخبار »[2] وغيره : أَنَّهُ نُوظِرَ في الأَيَّامِ الثَّلاثَةِ ، وَأَنَّ المُعتصمَ كان يَخْلُو بهِ ، ويَقُولُ لَهُ : وَيْحَكَ يا أَحمدُ ، أَنا واللهِ شَفيقٌ ، وإِنِّي أُشفقُ عليكَ مثلَ شَفَقَتِي على ابني هارون ـ يعني الواثق ـ فأَجِبْنِي ، فواللهِ لَئِنْ أَجَبْتَنِي لأُطْلِقَنَّ غُلَّكَ بيَدِي ، ولأَطَأَنَّ عَقِبَك ، ولأَرْكَبَنَّ إِليكَ بِجُنْدِي ؛ فيقولُ : يا أَميرَ المؤمنين ، أَعطُوني شَيْئاً من كِتابِ اللهِ تعالى ، أَوْ سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ .

فإِذا طالَ بِهِ المَجلِسُ ، ضَجِرَ وقَامَ ، وَرَدَّ أَحمدَ إِلى الموضعِ الذي كَانَ فِيهِ ، وتَتَرَدَّدُ إِليهِ رُسُلُ المُعتصمِ يَقُولُونَ : يا أَحمدُ ، أَميرُ المؤمنين يقولُ لك : مَا تَقُولُ في القُرآن ؟ فيردُّ عليهم كما رَدَّ أَوَّلاً ؛ فلمَّا كَانَ في اليومِ الثَّالِثِ ،

---

(١) كذا في تاريخ الإسلام ١٠٩ . وفي ابن خلكان ١/ ٦٤ : ثمانية وعشرين يوماً ! وفي أ : يوماً .

(٢) مجمع الأخبار في مناقب الأخيار ، لمحمد بن حسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم الحسيني الشافعي ، المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ؛ في مجلَّدات ، رتَّبه على تراجم الرِّجال الزَّاهدين . (كشف الظنون ٢/ ١٥٩٦) .

طُلِبَ للمُناظَرَةِ ، فأُدْخِلَ على المعتصمِ ، وعندَه محمَّد بن عبد المَلِكِ الزَّيَّات والقاضِي أَحمد بن أَبي دُواد ، فقال المعتصمُ : كَلِّمُوهُ وناظِرُوهُ ؛ فَلَمْ يَزالُوا معه في جِدالٍ إِلى أَنْ قالُوا : يا أَميرَ المؤمنين ، اقْتُلْهُ وَدَمُهُ في أَعناقِنا ؛ فَرَفَعَ المعتصمُ يَدَهُ ، ولَطَمَ بها وَجْهَ الإِمام أَحمد ، فَخَرَّ مَغْشِيّاً عليهِ ، فَتَمَعَّرَتْ وُجوهُ قُوَّادِ خُراسان ، وكانَ عَمُّ أَحمد فيهم ، فَخَافَ الخليفَةُ منهم على نَفْسِهِ ، فَدَعا بماءٍ وَرَشَّ على وَجْهِهِ ، فلمَّا أَفاقَ من غَشيتِهِ ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلى عَمِّه ، وقال : يَا عَمُّ ، لَعلَّ هذا الماءَ الذي رُشَّ على وَجْهِي ، غُصِبَ عَلَيْهِ صاحِبُهُ ؛ فقال المعتصمُ : وَيْحَكُم ، أَما تَرَوْنَ مَا يَتَهَجَّمُ به عليَّ هذا ؟ وقَرابتي من رسولِ اللهِ ﷺ لا رَفَعْتُ السَّوطَ عنهُ حتَّى يَقُولَ : القُرآنُ مَخْلُوقٌ ؛ ثمَّ التفَتَ إِلى أَحمد ، وأَعادَ عَلَيْهِ القَوْلَ ، فَرَدَّ أَحمدُ كالأَوَّلِ ، فَلَمْ يَزَلْ كذلِكَ حتى ضَجِرَ وَطالَ المجلسُ ، فعندَ ذلِكَ قال : عَلَيْكَ لعنةُ اللهِ ، لَقَدْ كُنْتُ طَمِعْتُ فِيكَ قبلَ هذا ، خُذُوهُ ، اخْلَعُوهُ ، اسْحَبُوهُ ؛ فأُخِذَ وسُحِبَ ثمَّ خُلِعَ ، ثمَّ قالَ المعتصمُ : السِّياط .

قالَ الإِمامُ أَحمد : وكَانَ عِنْدِي شَعراتٌ من شَعْرِ النَّبيِّ ﷺ قَدْ صَرَرْتُها في كُمِّ قَمِيصِي ، فجَاءَ بعضُ القَوْمِ إِلى قَمِيصِي ، لِيُخَرِّقَهُ ، فقالَ لَهُ المعتصمُ : لا تُخَرِّقُوهُ وانزعوهُ عنهُ؛ وإِنَّما دُرِىءَ عَنِ القَمِيصِ الخَرْقُ ببَرَكَةِ شَعْرِ النَّبيِّ ﷺ ؛ وشَدُّوا يَدَيْهِ فَتَخَلَّعا ، ولَمْ يَزَلْ أَحمد يَتَوَجَّعُ منها حتى ماتَ .

ثمَّ قالَ المعتصمُ للجَلَّادِين : تقدَّمُوا ، ونَظَرَ إِلى السِّياطِ ، فقالَ : ائْتُونِي بغيرِها ؛ ثمَّ قَالَ لأَحَدِهم : ادْنُهُ ، وأَوْجِعْ ، قَطَعَ اللهُ يَدَك ؛ فتقدَّمَ وَضَرَبَهُ سَوْطَيْنِ ثمَّ تَنَحَّى ؛ ثمَّ قالَ لآخرَ : ادْنُهُ ، وشُدَّ ، قطَعَ اللهُ يَدَكَ ؛ فتقدَّمَ وضَرَبَهُ سَوطينِ ثمَّ تَنَحَّى ، ولَمْ يَزَلْ يَدْعُو رَجُلاً رَجُلاً ، فيضربُه كلٌّ واحدٍ سَوطَيْنِ ويَتَنَحَّى ؛ ثمَّ قالَ المعتصمُ ، وجاءَهم وهم مُحدقُونَ بِهِ ، وقَالَ : يا أَحمدُ ، تقتلُ نَفْسَكَ ؛ أَجِبْنِي حتَّى أُطلقَ غُلَّكَ بِيَدِي ؛ وَجعلَ بعضُهم يقُولُ لَهُ :

يا أَحمدُ ، إمامُكَ على رَأْسِكَ قائمٌ فَأَجِبْهُ ؛ وعُجيفٌ يَنْخَسُهُ بسَيفِه ويقولُ : أَتريدُ أَنْ تَغلِبَ هؤلاءِ كُلَّهم ؟ وبعضُهم يقولُ : يا أَميرَ المؤمنين ، اجعَلْ دَمَهُ في عُنُقِي ؛ فَرَجَعَ المعتصمُ إِلى الكُرسيِّ ، ثمَّ قالَ للجَلاَّدِ : ادْنُهْ ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ ؛ ثمَّ جاءَ المعتصمُ إِليهِ ثانياً وقالَ : يا أَحمدُ ، أَجِبْنِي ؛ فقالَ كالأَوَّلِ ؛ فَرَجَعَ المعتصمُ وجَلسَ على الكُرسيِّ ، ثمَّ قالَ للجَلاَّدِ : شُدَّ عَليهِ ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ .

قال أَحمدُ : فَذَهَبَ عَقْلِي ، فما عقلْتُ إِلاَّ وَأَنَا في حُجْرَةٍ ، مُطْلَقٌ عَنِّي ؛ وكلُّ ذلِكَ وهو صائِمٌ لَمْ يَفْطِرْ ، رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ وضُرِبَ ثَمانِيَةَ عَشَرَ سَوْطاً .

فلمَّا كَانَ في أَثناءِ الضَّرْبِ ، انْحَلَّتْ وَزْرَتُهُ ، فَهَمْهَمَ بِشَفَتيه ، فخَرجت يَدان فَرَبطتاها[1] ؛ فَسُئِلَ عن ذلكَ بعدَ إِطلاقِهِ ، فقَالَ : قلتُ : اللَّهُمَّ ، إِنْ كنت على الحَقِّ فلا تَفْضَحْنِي .

ثمَّ وَجَّهَ المعتصمُ رجُلاً ينظُرُ الضَّرْبَ والجِراحاتِ، ويُعالِجُه ؛ فَنَظَرَ إِليهِ ، وقالَ : واللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ ضُرِبَ أَلفَ سَوْطٍ ، فَمَا رَأَيْتُ أَشَدَّ ضَرْباً من هذا ؛ ثم عالَجهُ وبقِيَ أثر الضَّرْب بَيِّناً في ظَهرِهِ إِلى أَنْ مَاتَ رحمةُ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ .

وَقَال صَالِحٌ : سمعتُ أَبي يَقُولُ : واللهِ لَقَدْ أَعطيتُ المجهودَ مِنْ نَفْسِي ، ولوددتُ أَنِّي أَنْجُو من هَذَا الأَمْرِ كَفافاً ، لا عَلَيَّ ولا لِي .

● وحُكِيَ[2] : أَنَّ الإِمامَ الشَّافعيَّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، لمَّا كانَ بمصرَ ، رَأَى في المَنامِ سَيِّدَ المُرسلين ﷺ ، وهو يقُولُ لَهُ : « بَشِّرْ أَحمد بن حَنبل بالجَنَّةِ ، على بَلْوَى تُصِيبُهُ ؛ فإِنَّهُ يُدعى إِلى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرآنِ فلا يُجِيبُ إِلى ذَلِكَ ، بَلْ يقولُ : هو مَنَزَّلٌ غيرُ مَخلوقٍ » .

---

(١) قال الإمام الذَّهبيّ : هذه حكايةٌ منكرةٌ ، أَخاف أَن يكون داود [بن عرفة] وضعها . (سير ١١/ ٢٥٥) .

(٢) المنهج الأَحمد ١/ ١٢٠ .

فلمَّا أَصْبَحَ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ كتَبَ صُورةَ مَا رآهُ في مَنامِهِ ، وأرسله مع الرَّبيع إلى بغداد ، إلى الإمام أَحمد ، فلمَّا وَصَلَ إلى بغدادَ ، قَصَدَ منزلَ أَحمد ، واسْتَأْذَنَ عليهِ ، فأُذِنَ لَهُ ، فلمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قال لَهُ : هذا كِتابُ أَخِيكَ الشَّافعيِّ ؛ فقالَ لَهُ : هل تَعلَمُ مَا فِيهِ ؟ قال : لا ؛ فَفَتَحَهُ وَقَرأَهُ وبَكى ، وقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ ، لا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ؛ ثمَّ أَخبرَهُ بما فِيهِ ، فقالَ : الجائِزَةَ ، وكَانَ عَلَيْهِ قَميصانِ ، أَحَدُهما على جَسَدِهِ ، والآخَرُ فَوْقَهُ ، فَنَزَعَ الَّذِي على جَسَدِهِ وَدَفَعَهُ إِليهِ ، فأَخَذَهُ وَرَجَعَ إلى الشَّافعيِّ ، فقَالَ لَهُ الشَّافعيُّ : مَا أَجازَكَ ؟ قالَ : أَعطانِي القَميصَ الذي على جَسَده ؛ فقالَ : أَمَّا أَنَا فلا أَفجعُكَ فِيهِ ، ولكنْ اغْسِلْهُ وائْتِنِي بِمائِهِ ؛ فَغَسَلَهُ وأَتاهُ بالماءِ ، فأَفاضَهُ على سائِرِ جَسَدِهِ .

وقالَ إِبراهيمُ الحَرْبيُّ : جَعلَ الإمامُ أَحمد بن حنبل جَميعَ مَنْ ضَرَبَهُ ، أَو أَمَرَ بضَرْبِهِ ، أَوْ حَضَرَهُ ، أَو سَاعَدَ عليْهِ ، في حِلٍّ إِلاَّ ابْنَ دُوادٍ ؛ وقَالَ : لَوْلا أَنَّهُ ذُو بِدْعَةٍ لأَحْلَلْتُهُ ، ولَوْ تَابَ من بِدْعَتِهِ لأَحْلَلْتُهُ .

● وقَالَ أَحمدُ بن سِنان : بَلَغَنا أَنَّ أَحمد بن حَنبل ، جَعَلَ المُعتصمَ في حِلٍّ يَوْمَ فَتْحِ بابَكَ ، أَو فَتْحِ عُمُّوريَّة ، وقال : هُوَ في حِلٍّ من ضَرْبي .

قال عبدُ الله بن الوردِ : رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ في المَنامِ ، فقلتُ لَهُ : يَا رَسُولَ الله ، مَا شأنُ أَحمد بن حَنبل ؟ فقَالَ ﷺ : « سَيأْتِيكَ مُوسى بن عِمْران ، فاسْأَلْهُ » فإذا أَنا بِمُوسَى بنِ عِمْران ﷺ ، فقلتُ : يَا كَلِيمَ الله ، مَا شَأْنُ أَحمد بن حَنبل ؟ فقالَ : أَحمدُ بن حَنبل ، بُليَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، فَوُجِدَ صابراً صادِقاً ، فأُلْحِقَ بالصِّدِّيقين .

والحِكْمَةُ في إِحالَةِ النَّبيِّ ﷺ على مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، أُمُورٌ :

منها : بَيَانُ فَضِيلَةِ أُمَّةِ محمَّد ﷺ على الأُمَمِ ، حتَّى إِنَّ مُوسَى عليْهِ السَّلامُ يُبَيِّنُ ذَلِكَ ويُقَرِّرُهُ .

ومنها : بَيَانُ فَضْلِ الإِمام أَحمد بن حَنبل رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ ومَا حَصَلَ

لَهُ من الثَّوابِ العَظِيمِ في المِحْنَةِ لِما جَرَى عليه ، حتَّى إِنَّهُ شَهِدَ بعظيمِ فَضْلِهِ وعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ نَبيٌّ كَرِيمٌ .

ومنها : أَنَّ مِحْنَةَ الإمام أَحمد في كَوْنِ القُرآنِ مَخْلُوقاً ، وهو كلامُ اللهِ تعالَى ، ومُوسَى بن عِمْران عَلَيْهِ السَّلام كَلِيمُ اللهِ تَعالى ، كلَّمه اللهُ تَكْلِيماً ، وهو يَعْلَمُ أَنَّ القُرْآنَ كلامُ الله تَعالَى ليس بمَخْلُوقٍ ؛ فناسَبَ الإحالَةَ ، لِيعرفَ النَّاسُ ذَلِكَ ، لِيَزْدادَ يَقينُهم بِأَنَّهُ مُنَزَّلٌ غيرُ مَخْلُوقٍ .

● وَذَكَرَ ابن خلِّكان في ترجمتِه[1] : أَنَّهُ وُلِدَ في سَنَةِ أَربعٍ وسِتِّينَ ومئةٍ ، وتُوفِّيَ في سَنَةِ إِحْدَى وأَربعينَ ومئتين ؛ وحُزِرَ مَنْ حَضَرَ جنازَتَهُ من الرجال فكانُوا ثمانمئة أَلف ، ومن النِّسَاءِ ستِّينَ أَلْفاً ؛ وَأَسْلَمَ يَوْمَ موته عِشرونَ أَلفاً من اليَهود والنَّصارى والمجوسِ[2] . انتهى .

وقال الإمامُ النَّوَويُّ ، في « تَهْذِيبِ الأَسماءِ وَاللُّغَاتِ »[3] : إِنَّ المُتَوَكِّلَ أَمَرَ أَنْ يُقاسَ الموضعُ الَّذِي وَقَفَ النَّاسُ فِيهِ للصَّلاَةِ على الإمامِ أَحمد ، فَبَلَغَ مقامَ أَلْفَيْ أَلفٍ وخَمسمئةِ أَلفٍ ، وَوَقَعَ المَأْتَمُ في أَرْبَعَةِ أَصْنافٍ ، في المُسلِمينَ واليَهودِ والنَّصارى والمَجُوسُ . انتهى .

● قَالَ محمَّد بن خُزَيْمَةَ[4] : لمَّا بَلَغَنِي موتُ الإمامِ أَحمد بن حَنبلٍ ، اغتمَمْتُ غَمَّاً شَدِيداً ، فَرَأَيتُه من لَيْلَتِي في المَنَامِ ، وهو يَتبختَرُ في مِشْيَتِهِ ،

---

(١) وفيات الأَعيان ١/ ٦٤ ـ ٦٥ .

(٢) قال الإمام الذَّهبي (السير ١١/ ٣٤٣) : هذه حكايةٌ منكرةٌ . . . ثم العادة والعقل تُحيل وقوع مثل هذا ، وهو إِسلام أُلوفٍ من النَّاس لموت وليٍّ للهِ ، ولا ينقل ذلك إِلاَّ مجهولٌ لا يُعرف . فلو وقع ذلك لاشتُهر ولتواتر لتوفّر الهمم ، والدَّواعي على نقل مثله ؛ بل لو أَسلم لموته مئة نفس ، لقُضي من ذلك العجبُ ، فما ظنُّك ؟! . وانظر تاريخ الإسلام ١٤٣ [وفيات ٢٤١ ـ ٢٥٠] .

(٣) تهذيب الأَسماء واللُّغات ١/ ١١٢ .

(٤) تاريخ دمشق ٧/ ٢٩٠ و٢٩١ ومختصره ٣/ ٢٥٥ والبداية والنهاية ١٤/ ٤٢٧ .

فقُلْتُ : يَا أَبا عبدِ اللهِ ، مَا هَذِهِ المِشْيَةُ ؟ فقالَ : مِشْيَةُ الخُدَّامِ في دَارِ السَّلام ؛ فقلْتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بكَ ؟ فقَالَ : غَفَرَ لِي ، وَتوَّجَنِي ، وأَلْبَسَنِي نَعلينِ من ذهبٍ ، وقالَ : يا أَحمدُ ، هذا بقَولِكَ في القُرآنِ : كلامِي غير مَخلُوقٍ .

ثمَّ قَالَ تَبارَكَ وتَعالَى : يا أَحمدُ ، ادْعُنِي بتِلْكَ الدَّعواتِ التي بَلَغَتْكَ عن سُفيان ، التي كنتَ تَدْعُو بهنَّ في دَارِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فقُلْتُ : يَا رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَسْأَلُكَ بقُدْرَتِكَ على كُلِّ شَيْءٍ ، لا تَسْأَلْنِي عن شَيْءٍ ، واغْفِرْ لِي كُلَّ شَيْءٍ ؛ فقَالَ جَلَّ وَعَلا : يا أَحمد ، هذه الجنَّةُ ، قمْ فادخُلْها ؛ فَدَخَلْتُها فإذا أنا بسُفيان الثوريّ ، له جناحان أخضران ، يَطِيرُ بهما من نَخْلَةٍ إلى نَخْلَةٍ ، وهو يَقُولُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ [الزُّمَر : ٧٤] .

قالَ : قُلتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بعبدِ الوَهَّابِ الوَرَّاق ؟ قَالَ : تَرَكْتُهُ في بَحرٍ من نُورٍ ، في زَورقٍ من نُورٍ ، يَزُورُ رَبَّهُ الملكَ الغفورَ ؛ فقُلتُ : فما فُعِلَ ببَشرِ بن الحارِثِ ؟ فقالَ لي : بَخٍ بَخٍ ، ومَنْ مِثْلُ بشْرٍ ، تركتُه بَيْنَ يَدَيْ الله جَلَّ جَلالُه ، وبينَ يَدَيْه مائِدَةٌ من الطَّعامِ ، والجليلُ جلَّ جَلالُهُ مُقبلٌ عَلَيْه ، وهو يَقُولُ : كُلْ يَا مَنْ لَمْ يَأْكُلْ ، واشْرَبْ يَا مَنْ لَمْ يشربْ ، وانْعَمْ يَا مَنْ لَمْ يَنْعَمْ .

● وَفي سَنَةِ سبعٍ وعِشرين ومئتينِ ، احْتَجَمَ المُعتصمُ بسُرَّ مَنْ رَأَى ، فَحُمَّ وَمَاتَ ؛ وَذَلِكَ لاثنتي عَشَرَةَ ليلةً خَلَتْ مِنْ شَهرِ رَبيع الأَوَّل ؛ وهُوَ ابْنُ ثَمانٍ ، أَوْ سَبْعٍ وأَربعينَ سنةً ؛ وكانتْ خِلافَتُهُ ثماني سِنينَ ، وثَمانيةَ شُهورٍ ، وثَمانيَةَ أَيَّامٍ .

وهُوَ الثَّامِنُ من خُلَفَاءِ بَنِي العَبَّاسِ ؛ وَخَلَّفَ من الذَّهَبِ ثمانيةَ آلافِ دِينارٍ ، ومن الدَّراهِمِ ثمانِيَةَ عَشَرَ أَلفَ دِرْهَمٍ ، وَمِنَ الخَيْلِ ثَمانية آلافِ فَرَسٍ ، ومثلَها من الجِمالِ والبِغالِ ، ومِنَ المَمَالِيكِ ثمانية آلافِ مَمْلُوكٍ ، وثمانيةَ آلافِ جاريَةٍ ؛ وَكَانَ يُقالُ لهُ : الثَّماني لأَجْلِ ذَلِكَ .

وَكان أُمِّيّاً ، وذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ مَمْلُوكٌ صَغيرٌ ، يَذهبُ معه إِلى الكُتَّابِ ، فَمَاتَ ؛ فَقالَ لهُ الرَّشِيدُ : مَاتَ مَملوكُك يا مُحمَّد[1] ؟ فقالَ : اسْتَرَاحَ من الكُتَّابِ يا أَميرَ المُؤمِنين ؛ فقَالَ : أَوَ بَلَغَ الكُتَّابُ مِنْكَ إِلى هَذَا الحَدِّ ؟ اترُكُوا وَلَدِي لا تُعَلِّمُوهُ ؛ فكَانَ أُمِّيّاً لِذَلِكَ .

وَكَانَ أَبيضَ ، أَصْهَبَ اللِّحْيَةِ ، مَرْبُوعاً ؛ وَكَانَ شُجاعاً ، مَهِيباً ، قَوِيَ البَدَنِ إِلى الغايَةِ .

فَتَحَ الفُتُوحَاتِ الكِبارِ مِثْلَ عَمُّوريّة مِنْ أَقْصَى بِلادِ الرُّومِ ، ودانَتْ لَهُ الأُمَم ، وَكَانَ فِيهِ ظُلْمٌ وعُنْفٌ ؛ وَبِذَلِكَ أَرْهَبَ الأَعْدَاءَ ، سامَحَهُ اللهُ تَعالى .

خِلافَةُ هارون ، الواثِق باللهِ[2]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعده ابنه هارون ، الواثق بالله ، بويع له بالخِلافَةِ بسرَّ مَنْ رأى يوم مَوْتِ أَبيهِ ، ونفذتِ البَيْعةُ إِلى بغدادَ ، واستقَرَّ له الأَمْرُ ببغدادَ وغيرِها .

● ولمَّا وليَ[3] قَتَلَ أَحمد بن نَصْر الخُزاعيّ على القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ ، وَنَصْبِ رأْسِهِ إِلى الشَّرقِ ، فَدَارَ إِلى القِبلةِ ، فأَجلسَ رجلاً مَعَهُ رُمْحٌ أَوْ قَصَبَةٌ ، فَكَانَ كُلَّما دارَ الرَّأْسُ إِلى القِبْلَةِ أَدارَهُ إِلى الشَّرْقِ .

---

(١) في أ ، ط : يا إبراهيم !!.

(٢) ترجمته وأَخباره فِي : المعارف ٣٩٣ وتاريخ بغداد ١٦/٢٢ ومروج الذهب ٤/٣٦٤ والأَغانِي ٩/٢٧٦ وتاريخ الطبريّ ٩/١٥٠ ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/٣٩ والمنتظم ١١/١١٩ والكامل في التاريخ ٦/٥٢٨ وسير أَعلام النبلاء ١٠/٣٠٦ والوافِي بالوفيات ٢٧/٢٠١ وفوات الوفيات ٤/٢٢٨ والبداية والنهاية ١٤/٣٢٥ وتاريخ الخلفاء ٤٠٠ وشذرات الذهب ٣/ ١٥٠ .

(٣) سير أَعلام النُّبلاء ١١/ ١٦٧ والمنهج الأَحمد ١/ ١٧٥ ـ ١٧٦ وتاريخ الخلفاء ٤٠٠ .

ورُوي أَنَّهُ رُؤِيَ في المنامِ ، فقِيلَ لَهُ[1] : مَا فَعَلَ اللهُ بكَ ؟ فقَالَ : غفَرَ لِي وَرَحَمني ، إلاَّ أَنِّي كنتُ مَهْموماً منذُ ثَلاثٍ . قيل : ولِمَ ؟ قالَ : لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيَّ مَرَّتَين ، فَأَعْرَضَ بوَجْهِهِ الكَريمِ عنِّي ، فَغَمَّنِي ذَلِكَ ، فلمَّا مَرَّ عليَّ ﷺ الثَّالثةَ ، قلتُ لَهُ : يا رسولَ الله ، أَلَسْتُ على الحَقِّ ، وهم على الباطِلِ ؟ قال : « بلى » . قلتُ: فمَا بَالُكَ تُعْرِضُ عَنِّي بوَجْهِكَ الكَريمِ؟ فقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « حَياءً مِنكَ ، إذ قَتَلَكَ رَجلٌ من أَهْلِ بَيْتِي » .

● وَقَدْ رَأَيْتُ حِكايَةً تدلُّ على أَنَّ الواثِقَ رَجَعَ عن هَذا الاعتِقادِ والامتِحانِ؛ وذَلِكَ فيما ذَكَرَهُ الخَطِيبُ البغداديُّ في « تاريخه » في ترجَمتهِ ، قال[2] :

سمعتُ طاهِرَ بن خَلف يقولُ : سَمعتُ مُحَمَّد بن الواثِقِ الذِي يُقالُ لَهُ المُهْتَدِي باللهِ ، يقولُ : كَانَ أَبِي إِذا أَرادَ أَنْ يَقتلَ رَجُلاً أَحْضَرَنا ذلِكَ المَجْلِسَ ، فبينَما نَحْنُ ذاتَ يَوْمٍ عندَهُ ، إذ أُتِيَ بشيخٍ مَصْفُودٍ مُقَيَّدٍ ، فقَالَ أَبي : ائذَنُوا لأَبي عبدِ الله ـ يعني ابنَ أَبي دُوادٍ ـ وأَصحابهِ ، وأُدْخِلَ الشَّيْخُ في مُصَلاَّهُ ، فقالَ : السَّلامُ علَيْكَ يا أَميرَ المؤمنين ؛ فقالَ : لا سَلَّمَ اللهُ عَلَيْكَ ؛ فقالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، بِئْسَما أَدَّبَكَ بهِ مُؤَدِّبُكَ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النِّساء : ٨٦] واللهِ مَا حَيَّيْتَنِي بها ولا بأَحسنَ منها . فقال ابنُ أَبِي دُوادٍ : يا أَميرَ المؤمنين ، الرَّجلُ مُتكلِّمٌ ؛ فقالَ : كَلِّمْهُ ؛ فقالَ : يا شَيْخُ ، مَا تَقُولُ في القُرآنِ ؟ قال : أَنْصِفْنِي في السُّؤَالِ ؛ فقال لَهُ : سَلْ ؛ فقَالَ الشَّيْخُ : مَا تَقُولُ أَنتَ فِي القُرآنِ ؟ قالَ : مَخلوقٌ ؛ فقَالَ الشَّيْخُ : هَذَا شَيْءٌ عَلِمَهُ النَّبيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وعُمر وعُثمان وعلي رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم والخُلفاءُ الرّاشدون ، أَم شَيءٌ لم يَعْلَموهُ؟ فقال: شَيءٌ لم يَعْلَموهُ. فقال:

---

(١) المنهج الأَحمد ١/ ١٧٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٢٤٦ [ترجمة ابن أَبي دواد] ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٣ وسير أَعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣١٠ والوافي بالوفيات ٢٧/ ٢٠٣ وفوات الوفيات ٤/ ٢٢٩ وتاريخ الخلفاء ٤٠١ والنجوم الزَّاهرة ٢/ ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ . ـ والخبر ساقط من أ .

سُبْحَانَ الله ، شيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ النَّبيُّ ﷺ ولا أَبو بَكرٍ ولا عُثمان ولا عليٌّ ولا الخلفاءُ الرَّاشدون تَعلمهُ أَنْتَ ؟ فَخَجِلَ ، وَقَالَ : أَقِلْنِي ؛ فقَالَ : قَدْ فَعلتُ ، والمَسْأَلَةُ بحالِها . قالَ : نَعمْ . قالَ : فمَا تَقُولُ في القُرآنِ ؟ قَالَ : مَخْلُوقٌ . قَالَ : هَذَا شَيْءٌ عَلِمَهُ النَّبيُّ ﷺ وأَبو بَكرٍ وعُمر وعُثمان وعليٌّ والخلفاءُ الرَّاشِدُون أَمْ لَمْ يَعْلَمُوهُ ؟ قال : عَلِمُوهُ ، ولَمْ يَدْعُوا النَّاسَ إِليهِ ؛ فقالَ : أَفَلا وَسِعَكَ مَا وَسِعَهُم ؟ .

قَالَ : ثمَّ قَامَ أَبي ، فدَخَلَ مَجلِسَ الخَلْوَةِ ، واستَلْقَى على قَفاهُ ، وَوَضَعَ إِحدى رِجليهِ على الأُخْرَى ، وهو يقولُ : هذا شيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ النَّبيُّ ﷺ ولا أَبُو بَكرٍ ولا عُمر ولا عُثمان ولا عليٌّ ولا الخلفاءُ والرَّاشِدونَ تَعلمُهُ أَنتَ ؟ سُبحانَ اللهِ ! شيْءٌ عَلِمَهُ النَّبيُّ ﷺ وأَبو بَكر وعُمر وَعُثمانَ وعليّ والخلفاءُ الرَّاشِدُون وَلَمْ يَدْعُوا النَّاسَ إِليهِ ، أَفَلا وَسِعَكَ مَا وَسِعَهُم ؟ .

ثمَّ دَعَا عَمَّاراً الحاجِبَ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَ القُيُودَ عَنْهُ ، ويعْطِيهُ أَربعَمئة دِينارٍ ، ويأْذَنَ لَهُ في الرُّجُوعِ ؛ وسَقَطَ من عَيْنِهِ ابْنُ أَبي دُوادٍ ، ولَمْ يَمْتَحِنْ بعدَ ذَلِكَ أَحَداً ، رحمةُ الله تعالى عليه(*) .

(*)كَذَا وَقَعَ في هَذِهِ الرِّوايةِ أَنَّ المهتدي بالله بن الواثق اسمه محمَّد؛ وبذلك سمَّاه الحافِظُ أَبو عبد الله الذَّهبيّ في كتاب « دُول الإِسلامِ »[1] وذَكَرَ المؤلِّفُ بعدُ في تَرجمتهِ أَنَّ اسمَه جَعفرٌ[2] ، وقد جاء في روايةٍ غيرِ هذه ما يدلُّ على أَنَّ اسْمَهُ أَحمدُ[2] ، وفيها زيادةٌ ونقصٌ ومُغايرةٌ في بعضِ الأَلفاظِ

(*) هذه إضافة كتبها أحد العلماء ، وليست من الأصل ، ولم ترد في أ .

(١) دول الإسلام ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

(٢) كلاهُما خطأٌ محضٌ ، وليسَ للمهتدِي اسمٌ غير محمَّد .

. . . .

والمَعنى ؛ وذلك فيما ذَكرهُ الحافظُ أبو نُعيم في « حليته » قال[1] :

قال الحافظ أَبو بَكر الآجُرِّيّ : بَلَغَنِي عن المُهتدِي رحمهُ اللهُ تعالى ، أَنَّهُ قال : ما قَطَعَ أَبي ـ يعني الواثقَ ـ إلاَّ شيخٌ جِيءَ بِهِ من المَصِّيصَةِ[2] ، فمكثَ في السِّجنِ مُدَّةً ، ثمَّ إِنَّ أَبي ذَكَرَهُ يوماً ، فقالَ : عليَّ بالشَّيْخِ ، فَأُتِيَ بِهِ مُقَيَّداً ، فلمَّا وقفَ بينَ يديهِ ، سلَّمَ عليهِ ، فلَمْ يردَّ عليهِ السَّلامَ ، فقال له الشَّيخُ : يا أَمير المؤمنين ، ما استعملتَ معي أَدَبَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ولا أَدَبَ رسولِ اللهِ ﷺ ؛ قال اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النِّساء : ٨٦] وَأَمَرَ النَّبيُّ ﷺ برَدِّ السَّلام ؛ فقال له أَبي : وعليكَ السَّلامُ ؛ ثمَّ قال لابن أَبي دُوادٍ : سَلْهُ ؛ فقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، أَنا محبُوسٌ مُقَيَّدٌ ، أُصَلِّي في الحَبْسِ ، وَأَتَيَمَّمُ للصَّلاةِ ، فَمُرْ لي بحلِّ القَيْدِ وبالوضوءِ ، فأَمَرَ بحلِّه ، وأَمرَ بماءٍ ، فَتَوَضَّأَ وصَلَّى ، ثمَّ قالَ لابن أَبي دُوادٍ : سَلْهُ ؛ فقالَ الشَّيخُ المسأَلَةُ لِي ، فَمُرْهُ أَنْ يُجِيبَنِي ؛ فقالَ : سل ، فأَقبلَ الشَّيخُ على ابن أَبي دُوادٍ ، فقالَ : أَخبرْنِي عن هذا الأَمْرِ الذي تَدعو النَّاسَ إِلَيْهِ ، أَشيءٌ دَعا إِليهِ رسولُ اللهِ ﷺ ؟ قالَ : لا . قالَ : فشيْءٌ دَعا إِليهِ أَبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بعدَه ؟ قال : لا . قالَ : فشيْءٌ دَعا إِليهِ عُمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بعدَهما ؟ قالَ : لا . قَالَ : فشَيْءٌ دعا إِليه عُثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بعدَهم ؟ قال : لا . قَالَ : فشيْءٌ دَعا إِليهِ عليُّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بعدَهم ؟ قال : لا . قَالَ الشَّيخُ : فَشَيْءٌ لَمْ يَدْعُ إِليهِ رسولُ اللهِ ﷺ ولا أَبو بكرٍ ولا عُمر

---

(١) لمْ يَردْ هذا الخبر في الحلية !! . وسيُذكر برواية الآجري في ترجمةِ المهتدي .

(٢) المَصِّيصة : مدينة على شاطىء جيحان ، من ثغور الشام ، بين أَنطاكية وبلاد الرُّوم ، تقارب طرسوس . (معجم البلدان ٥/ ١٤٤) .

● وكان الواثقُ مُؤثراً لكثرَةِ الجِماعِ ، فقال لطَبيبِه : اصنَعْ لِي دواءً للباهِ ؛ فَقَالَ لَهُ الطَّبيبُ : يا أَميرَ المؤمنين ، لا تَهْدِمْ بَدَنَكَ بالجِماعِ ، واتَّقِ اللهَ في نفسِكَ . فقالَ : لا بُدَّ من ذَلِكَ ؛ فأَمَرَهُ الطَّبيبُ أَنْ يُؤخَذَ لحمُ سَبُعٍ ، فيُغلى عليهِ سبعَ غَلياتٍ بخلٍّ خَمرٍ ، ويَتناوَلَ منهُ إذا شَرِبَ وزنَ ثلاثَةِ دراهِمَ ، ولا يجاوِزْ هَذَا القَدْرَ ؛ فأَمَرَ بِذَبْحِ سَبُعٍ ، فذُبِحَ وَطُبِخَ لهُ من لَحمه ، وصارَ يَتَنَقَّلُ منهُ على

ولا عُثمان ولا عليّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، تَدْعُو أَنتَ النَّاسَ إِليه ؛ لَيسَ يَخْلو أَن تقولَ : عَلِمُوهُ ، أَو جَهِلُوهُ ؛ فإِنْ قلتَ : عَلِمُوهُ وسَكَتُوا عنهُ ، وَسِعَنِي وإِيَّاكَ من السُّكُوتِ ما وَسِعَ القومَ ؛ وإِنْ قلتَ : جَهِلُوهُ وَعَلِمْتَهُ أَنْتَ ؛ فيا لُكَعَ ابنَ لُكَعٍ ، يَجهلُ النَّبيُّ ﷺ والخُلفاءُ الرَّاشِدُونَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم شَيْئاً وَتَعلمُهُ أَنتَ وَأَصحابُكَ ؟ . قال المهتدي : فرَأَيْتُ أَبي وثبَ قائِماً ، ودخلَ إِلى الحُجْرَةِ ، وجعلَ ثوبَهُ في فِيهِ ، وهو يَضحكُ ، ثمَّ جعلَ يقولُ : صدقَ ، ليسَ يَخْلُو من أَن يَقُولَ : عَلِمُوهُ أَو جَهِلُوهُ ؛ فإِنْ قُلنا : عَلِمُوهُ وسَكَتُوا عَنْهُ ؛ وَسِعَنا من السُّكُوتِ ما وَسِعَ القوم ؛ وإِنْ قُلْنا : جَهِلُوهُ وعَلمتَه أَنتَ ، فَيَا لُكَعَ ابنَ لُكَعٍ ، يَجهلُ النَّبيُّ ﷺ شيْئاً وأَصحابه وتَعلمه أَنتَ وأَصحابُكَ ؟ ثمَّ قَالَ : يا أَحمدُ ، فقلتُ : لَبَّيْكَ ؛ قالَ : لَسْتُ أَعنِيكَ ، إِنَّما أَعْنِي ابْنَ أَبي دُوادٍ ؛ فَوَثَبَ إِليهِ ، فقالَ : أَعْطِ هذا الشَّيْخَ نفقةً ، وأَخْرِجْهُ عن بَلَدِنا .

فدلَّ هذا على أَنَّ المُهتدي كانَ اسمُهُ أَحمد ، لقَوله : لستُ أَعنيكَ ؛ لأَنَّهُ رُبَّما قال قائلٌ : إِنَّما كَانَ استجابةُ المهتدي لأَبيه على طريق الأَدبِ ؛ فقولُهُ : إِنَّما أَعْنِي ابن أَبي دُوادٍ ، يُبطَل ذَلِكَ ، لأَنَّ اسمَه أَحمدُ ؛ وستأتي إِنْ شاءَ اللهُ تعالى في تَرْجَمَةِ المُهتدي هذه الحِكايَةُ بطريقةٍ أُخرى ؛ بسياقٍ غير هذا ، وهذا الذي قاله الشَّيخُ إلزامٌ صَحيحٌ ، وبَحْثٌ لازِمٌ للمُعتزلةِ .

شَرابِهِ ، فلَمْ يَكُنْ إلاَّ قَليلاً حتَّى اسْتَسْقَى ، فأَجمعَ الأَطِبَّاءُ على أَنْ لا دَواءَ لهُ إلاَّ أَنْ يُبْزَلَ بطنُهُ ، ثمَّ يُتْرَكَ في تَنُّورٍ قد سُجِرَ بحَطبِ زَيتونٍ ، حتَّى يَصِيرَ جَمراً ، ثمَّ يجلسَ فيهِ ؛ فَفُعلَ ذلك ، ومُنِعَ الماءَ ثلاثَ ساعاتٍ ، فجعلَ يَستغيثُ ويطلُبُ المَاءَ ، فلَمْ يَسْقوهُ ، فَصَارَ في جِسَدِهِ نَفّاطاتٍ مثل البِطِّيخِ ، ثمَّ أَخرجُوهُ ، فجعلَ يَقولُ : رُدُّونِي إلى التَّنُّورِ وإلاَّ متُّ ؛ فَرَدُّوهُ ، فَسَكَنَ صِياحُه ، ثمَّ انفجَرَتْ تلكَ النَّفَّاطاتِ ، وقطرَ منها ماءٌ ، فأُخرِجَ من التَّنُّورِ وَقَدْ اسْوَدَّ جَسَدُهُ ، ومَاتَ بعد ساعةٍ .

ولمَّا احتُضر جعلَ يقولُ[1] : [من البسيط]

المَـوْتُ فِيـهِ جَمِيـعُ النَّـاسِ تَشْتَـرِكُ ... لا سُـوْقَـةٌ مِنْهُـمُ يَبْقَـى ولا مَلِـكُ
مَـا ضَـرَّ أَهْـلَ قَليـلٍ فـي مَقـابِـرِهِـمْ ... وَلَيْسَ يُغْني عن المُلاَّكِ مَا مَلَكُوا[2]

ثمَّ أَمَرَ بالبُسُطِ فَطُوِيَتْ ، وأَلصقَ خَدَّهُ بالأَرْضِ وجَعَلَ يَقُولُ : يا مَنْ لا يَزُولُ مُلْكُهُ ، ارْحَمْ مَنْ قَدْ زَالَ مُلْكُهُ .

ولمَّا مَاتَ سُجِّيَ بثَوبٍ ، واشتغلَ النَّاسُ بالبَيْعَةِ للمُتوكِّلِ ، فجاءَ جرذونٌ من البُستانِ ، فاسْتَلَّ عَينيه وذَهَبَ بِهِمَا ، ولَمْ يَعلموا بِهِ حتَّى غَسَّلُوهُ ، وهذا من أَغربِ ما سُمِعَ .

---

(١) البيتان بلا نسبة في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٧ ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٥ وتاريخ الخلفاء ٤٠٤ وسير أَعلام النبلاء ١٠/ ٣١٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٣٣٠ .
وهُما لأَبي العتاهيَّة ، في ديوانِهِ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ برواية : [من السريع]
المَـوْتُ بيـن الخلـق مشتـرك ... لا سـوقـة يبقـى ولا ملـك
مـا ضَـرَّ أَصحـابَ القليـلِ ومـا ... أَغْنَـى عـن الأَمـلاكِ مَـا مَلَكُـوا
(٢) في أ : مَا ضَرَّ أَهل عليل في بقائهم × ! ! .

● وحُكِيَ أَنَّ ذَلِكَ لَهُ سببٌ ، وهو أَنَّ الواثقيَّ[1] قال[2] : كنتُ أُمَرِّضُ الواثِقَ ، إذ لَحِقَتْهُ غَشْيَةٌ ، فَمَا شَكَكْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ؛ فقال بعضُنا لبعضٍ : تقدَّمُوا ؛ فما جَسَرَ أَحَدٌ مِنَّا ، فَتَقَدَّمْتُ أَنا ، فلمَّا أَردْتُ أَنْ أَضَعَ إِصبعي على أَنْفِهِ ، فتحَ عَينيه ؛ فَكِدْتُ أَنْ أَمُوتَ فَزَعاً ، وَتَأَخَّرْتُ إِلى خَلْفِي ، فتعلَّقَتْ قَبيعةُ السَّيْفِ بالعَتَبَةِ ، وعَثَرْتُ ، فاندَقَّ السَّيفُ ، فكادَ أَنْ يدخلَ في لحمي ، فخرجتُ وطلبتُ سَيْفاً غيرَهُ ، ثمَّ رجعْتُ فوقفْتُ عندَهُ ، فوجَدْتُهُ مَاتَ بلا شَكٍّ ، فَشَدَدْتُ لَحْيَيْهِ ، وغَمَّضْتُهُ ، وَسَجَّيْتُهُ ، وأَخَذَ الفرَّاشُونَ تلكَ الفُرُشِ الثمينة لِيَرُدُّوها إِلى الخِزانَةِ ، وتُرِكَ وحدَهُ في البيتِ ، فقالَ لي أَحمد بن أَبي دُواد القاضِي : إِنَّا نَشْتغلُ بعَقدِ البَيعةِ ، فاحْفَظْهُ حتَّى يُدْفَنَ ؛ فرجعْتُ وجَلسْتُ عندَ البابِ ، فسمعتُ بعد ساعةٍ حركةً أَفزعَتنِي ، فدخلْتُ فإذا بجرذونٍ قد جَاءَ فاسْتَلَّ عَيْنَيْهِ فأَكلهما ؛ فقلتُ : لا إِلهَ إِلاَّ الله ، هَذهِ العَيْنُ التي فتحَها من ساعةٍ ، فعَثَرْتُ واندقَّ سَيفي هَيبةً لها ؟ ! .

● وتوفِّيَ الواثِقُ بِسُرَّ مَن رأَى ، في رَجبٍ ، سنةَ اثنتين وثلاثين ومئتين ، وهو ابن سِتٍّ وثَلاثِينَ سنةً وأَشهرٍ .

وكانت خلافتُهُ خَمسَ سِنين وتِسعةَ أَشْهُرٍ .

وَكَانَ أَبْيَضَ مَليحاً ، يَعْلُوهُ اصْفِرارٌ ، حَسَنَ اللِّحْيَةِ ، في عَيْنَيْهِ نُكْتَةٌ ، عالِماً ، أَديباً ، جَيِّدَ الشِّعرِ ، شُجاعاً ، مُهاباً ، حازِماً ، فِيهِ جَبَرُوتٌ كَأَبيهِ ، سامَحَهُما اللهُ تَعالى .

---

(١) هو أَحمد بن محمَّد الواثقي ، أَمير البصرة .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٥ وتاريخ بغداد ١٦/ ٢٧ ـ ٢٨ والكامل في التاريخ ٧/ ٣٠ وسير أَعلام النبلاء ١٠/ ٣١٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٣٣٠ .

خلافةُ جَعْفَر المتوكِّل[1]

ثمَّ قامَ بالأَمر بعدَه أَخوهُ جَعفر المُتوكِّل .

بُويعَ له بالخِلافَةِ بسُرَّ مَن رأَى ، يومَ موتِ أَخيهِ الواثِقِ بعهدٍ منه له ، في ذي الحِجَّةِ ، سنةَ اثنتين وثلاثين ومئتين ، فَرفَعَ المِحْنَةَ بِخَلْقِ القُرآنِ ، وَأَظْهَرَ السُّنَّةَ ، وأَمر بنَشْرِ الآثارِ النَّبويّة .

● وذكر ابنُ خلِّكانَ في تَرجمته ، أَنَّه قال[2] : ركبتُ إِلى دارِ الواثقِ في مَرَضِهِ الذي ماتَ فِيهِ لأَعودَهُ ، فجلستُ في الدِّهليزِ أَنْتظِرُ الإِذْنَ ، فبينَما أَنا جالِسٌ إِذْ سَمعتُ النِّياحَةَ عليهِ ، وإِذا إِيتاخ ومحمَّد بن عبدِ الملك الزَّيَّات يأتمرانِ في أَمرِي ؛ فقالَ محمَّد : نَقتلُه في التَّنُّورِ ! وقال إِيتاخُ : بَلْ نَدَعُهُ في الماءِ البارِدِ حتَّى يَموتَ ، ولا يُرى عَليهِ أَثرُ القَتلِ ! . فبينَما هُما على ذلِكَ إِذ جاءَ أَحمدُ بن أَبي دُوادٍ القاضِي ، فدخلَ وحَدَّثَهُما كَلاماً لا أَعقلُه ، لِما داخَلَنِي من الخوفِ ، وشُغْلِ القلبِ بإِعمالِ الحيلةِ في الهرب ؛ فبينَما أَنا كذلكَ وإِذا بالغِلمانِ يَتَعادَونَ ، ويَقُولون : انهضْ يا مَولانا ؛ فلَمْ أَشُكَّ أَنِّي داخِلٌ لأُبايعَ وَلَدَ الواثِقِ ، ثمَّ يُنَفَّذُ فيَّ ما قُدِّرَ .

فلمَّا دخلْتُ بايَعُوني ، فسأَلْتُ عن الحالِ ، فأُعلمتُ أَنَّ ابنَ أَبي دُوادٍ كان سببَ ذَلِكَ .

---

(١) **ترجمته وأَخباره في** : المعارف ٣٩٣ وتاريخ بَغْداد ٨/ ٤٥ ومروج الذهب ٥/ ٥ وتاريخ الطبري ٩/ ٢٢٢ ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٨٥ والمنتظم ١١/ ١٧٨ والكامل في التاريخ ٧/ ٣٣ ووفيات الأَعيان ١/ ٣٥٠ وسير أَعلام النبلاء ١٢/ ٣٠ والوافِي بالوفيات ١١/ ١٢٩ وفوات الوفيات ١/ ٢٩٠ والبداية والنهاية ١٤/ ٤٥١ وتاريخ الخلفاء ٤٠٧ وشذرات الذهب ٣/ ٢١٨ .

(٢) لَمْ يَرِدْ الخبرُ عند ابن خلكان ! وهو بتوسّع في الهفوات النادرة ٣٦٢ ـ ٣٦٥ .

ثمَّ إنَّ المتوكِّلَ قتلَ إِيتاخ بالماءِ البارِدِ ، وابنَ الزَّيَّاتِ في التَّنُّورِ .

قال : وهذا من أَغربِ الاتِّفاقِ ، وعجيبِ الظَّفَرِ .

ومن العجبِ أَيضاً : أَنَّ محمَّد بن عبد الملكِ الزَّيَّاتِ ، هو الَّذِي صنعَ التَّنُّورَ ليعذِّبَ فِيهِ النَّاسَ ، فعذَّبَهُ اللهُ فِيهِ ؛ وكانَ التَّنُّورُ من حديدٍ ، داخِلُهُ مساميرُ غيرُ مَثْنِيَّةٍ ، وكانَ يُسْجَرُ بحطبِ الزَّيتونِ حتَّى يَصيرَ كالجَمْرِ ، ثمَّ يُدْخِلُ الإِنسانَ فِيهِ ؛ نسأَلُ اللهَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ .

● ولمَّا وليَ المتوكِّلُ أَحْيا السُّنَّةَ ، وأَماتَ البِدْعَةَ ، وكتب للآفاقِ برَفْعِ المحنةِ وإِظهارِ السُّنَّةِ ، وتُكلِّمَ في مَجلسِهِ بالسُّنَّةِ ، وأَعَزَّ أَهلَها ، وأَخْمَدَ المُعتزلةَ ، وكانُوا في قُوَّةٍ ونَماءٍ إِلى أَيَّامِ المتوكِّلِ فَخَمدوا ؛ وَلَمْ يكُنْ في هذه المِلَّةِ الإِسلاميَّةِ أَهلُ بِدْعَةٍ شَرّاً منهم ؛ نعوذُ باللهِ من شَرِّ مَقالتهم ، ونسأَلُ اللهَ السَّلامَةَ من الزَّيغِ والرَّدى .

وكَانَ المتوكِّلُ يُبغضُ عليّاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ويَتَنَقَّصُهُ ؛ فَذَكَرَ عليّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوماً وغَضَّ منهُ ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ ابنِه المُنتصر لذلك ، فَشَتَمَهُ المتوكِّلُ ، وأَنشدَ مُواجهاً له : [من المنسرح]

غَضِبَ الفَتى لابْنِ عَمِّهْ رَأْسُ الفَتى في حِرِ أُمِّهْ

فحقَدَ عليه ، وأَغراهُ ذلكَ على قَتْلِهِ ، لِما كانَ يَغلو في بُغْضِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، ويُكثرُ الوقيعةَ فِيهِ والاستِخفافَ به ؛ فبينَما المتوَكِّلُ في قَصرِهِ يَشربُ مع نُدمائِهِ وقَدْ سَكِرَ ، إِذْ دَخَلَ بُغا الصَّغيرُ ، وأَمرَ النُّدماءَ بالانصرافِ ، فانصَرَفُوا ، وَلَمْ يبقَ عندَهُ إِلاَّ الفَتْحُ بن خاقان ، فإِذا الغِلمانُ الَّذينَ عَيَّنَهُم المُنتصرُ لقتلِ المتوكِّل قد دَخَلُوا ، وبأَيديهم السُّيوفُ مُصْلَتَةٌ ، فهَجَمُوا عليْهِ ، فقالَ الفَتْحُ بن خاقان : وَيلكُمْ ، أَمير المؤمنين . ثمَّ رَمَى نفسَهُ عليهِ ، فقَتَلوهما جَميعاً ، ثمَّ خَرَجُوا إِلى المنتصرِ فسلَّمُوا عليهِ بالخِلافَةِ .

وَكَانَ قتلُ المتوكِّلِ في شوَّال ، سنةَ سبعٍ وأَربعين ومئتين ، وعُمْرُهُ أَربعونَ سنةً .

وَكَانَتْ خِلافَتُهُ أَربعَ عشرةَ سنةً ، وعشرَةَ أَشهرٍ . وقيلَ : خَمسَ عشرةَ سنةً .

وَكَانَ أَسْمَرَ ، رَقيقاً ، مَلِيحَ العينينِ ، خَفيفَ اللِّحيَةِ ليسَ بالطَّويلِ ، فِيهِ قَصْفٌ وانْهِماكٌ على اللَّهْوِ والمَكارمِ ؛ لكنَّهُ أَحْيَا السُّنَّةَ ، وأَماتَ بِدْعَةَ القَوْلِ بِخَلْقِ القُرآنِ ؛ وله كَرَمٌ زَائِدٌ .

وَكَان قَدْ عَزَمَ على خَلْعِ وَلَدِهِ المُنتصر من ولايةِ العهدِ ، وتَقديمِ ابنه المعتزّ عليهِ لِفَرْطِ مَحَبَّتِهِ لأُمِّهِ ، وأَخذَ يُؤْذِيهِ ويتهدَّدهُ إِنْ لَمْ يَخْلَعْ نفسَه ، واتَّفقَ مُصادرَته لوَصيفٍ وبُغا ، فعَملُوا على قَتْلِهِ ، فَدَخلَ عليهِ خَمسةٌ نصفَ اللَّيلِ ، وهو في مَجلسِ لَهْوِهِ ، ففَتكُوا بِهِ ، وضَربُوهُ بسُيُوفِهِم ، وقَتَلُوا معهُ وزيرَهُ الفَتْح بن خاقان ؛ كما تقدَّمَ .

خِلافَةُ محمَّد المنتصر باللهِ[1]

ثمَّ قامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُه محمَّد المنتصر باللهِ .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ في اللَّيلَةِ التي قُتِلَ فِيها أَبُوهُ ، وبُويعَ لَهُ من الغَدِ البَيعةَ العامَّةَ ، فلَمْ تَطُلْ دَولتُهُ ، ولَمْ يُمَتَّعْ بالمُلْكِ .

رُويَ أَنَّهُ بُسِطَ بينَ يَدَيْهِ بساطٌ ، فرأَى عليهِ شيئاً مَكتوباً ، فلَمْ يعلم مَا هُو ، فأَمر بإِحضارِ مَنْ قرأَهُ ، فإِذا كتابتُه بِقَلمِ اليُونانِ ، وإِذا عليهِ مكتوبٌ : عُمِلَ هذا

---

(١) تَرجمتُه وَأَخباره في : المعارف ٣٩٣ وتاريخ بغداد ٢/ ٤٨٤ ومروج الذهب ٥/ ٤٦ وتاريخ الطبري ٩/ ٢٥١ والمنتظم ١١/ ٣٥٣ والكامل في التَّاريخ ٧/ ١١٤ وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢ والوافِي بالوفيات ٢/ ٢٩٥ وفوات الوفيات ٣/ ٣١٧ والبداية والنهاية ١٤/ ٤٥٦ وتاريخ الخلفاء ٤٢٠ وشذرات الذهب ٣/ ٢٢٤ .

البِساطُ للمَلِكِ قَباذ بن كِسرى قاتِلِ أَبيهِ ، وفُرِشَ قُدَّامَهُ ، فلَمْ يَلْبَثْ غيرَ ستَّةِ أَشهرٍ وماتَ[1] . فتَطَيَّرَ المنتصرُ ، واغتمَّ لذلكَ ، وأَمر برفعِ البساطِ ، وماتَ في آخِرِ السِّتَّةِ أَشهرٍ .

وكانتْ خِلافَتُهُ ستَّةَ أَشهرٍ وأَيَّاماً ، وعُمرُهُ ستٌّ وعشرونَ سنةً ؛ وأُمُّهُ رُوميَّةٌ .

وَكَانَ مَربُوعاً ، سَميناً ، أَعْيَنَ ، أَقْنَىٰ الأَنفِ ، مَليحاً ، مُهاباً ، كامِلَ العَقلِ ، يُحِبُّ الخيرَ .

قيلَ : إِنَّ أُمراءَ التُّرْكِ خافُوهُ ، فلمَّا حُمَّ دَسُّوا إِلى الطَّبيبِ بِكيسٍ فيه أَلفُ دينارٍ ، فَفَصَدَهُ بريشَةٍ مَسمومةٍ . وقيل : بل سُمَّ في طَعامِهِ ؛ فقالَ لأُمِّهِ : ذَهَبَتْ عَنِّي الدُّنيا والآخِرة ؛ عاجَلْتُ أَبي فَعُوجِلْتُ .

خِلافَةُ أَحمد المُستعينِ باللهِ[2]

وهو السَّادِسُ ، فَخُلِعَ وقُتِلَ .

ثمَّ قامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُ عَمِّهِ ، أَحمد المُستعين باللهِ بن محمَّد المعتصم .

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ ليلةَ الاثنينِ ، لِسِتٍّ خَلَوْنَ من شَهْرِ ربيعٍ الآخرِ ، وعُمره إِذا ذَاكَ ثمانٍ وعشرونَ سنةً .

وكان كثيرَ الجِماعِ ، مُغْرَماً بِحُبِّ النِّساءِ .

● وكانَتْ لَهُ ابنَةُ عَمٍّ بَديعةُ الحُسْنِ والجَمالِ ، فَطَلَبَها من أَبيها فامْتَنَعَ ،

---

(١) لا يُعقل هذا ؛ فكَيْفَ عرفَ اليونان أَنَّهُ سيعيشُ ستَّةَ أَشهرٍ ويَموتُ ؟ ! .

(٢) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٩٣ ومروج الذهب ٥/ ٥٩ وتاريخ بغداد ٦/ ٢٥٥ وتاريخ الطبري ٩/ ٣٦٢ والمنتظم ١٢/ ٦ والكامل في التاريخ ٧/ ١٧٢ وسير أَعلام النبلاء ١٢/ ٤٦ والوافِي بالوفيات ٨/ ٩٣ وفوات الوفيات ١/ ١٤٠ والبداية والنهاية ١٤/ ٤٦٤ وتاريخ الخلفاء ٤٢٣ وشذرات الذهب ٣/ ٢٣٦ .

فأَحضَرَ الأَصميَّ والرَّقاشيَّ وأَبا نُواسٍ ، وقالَ : كلُّ مَنْ أَنْشَدَ لِي بِطِبْقِ مُرادِي في ابْنَةِ عَمِّي ، أَعْطَيْتُهُ الجائِزَةَ العُظْمَى ، فأَنْشَدَ أَبُو نُواسٍ[1] : [من السَّريع]

« يـا رَوْضُ رَيْحـانُكُـمُ الـزَّاهِـرُ » ويـا شَـذَا نَشْـرِكُـمُ العـاطِـرُ[2]
وَحَـقِّ وَجْـدِي والهَـوَى قـاهِـرُ مُـذْ غِبْتُـمُ لَـمْ يَبْـقَ لِـي نـاظِـرُ
« والقَلْبُ لا سالٍ ولا صابِرُ »
« قـالَـتْ : أَلا تَلِجَـنْ دارَنـا » وكـابِـدِ الأَشْـواقَ مِـنْ أَجْلِنـا
واصْبِـرْ علـى مُـرِّ الجَفـا والضَّنـا ولا تَمُـرَّنَّ علـى بَيْتِنـا
« إِنَّ أَبـانـا رَجُـلٌ غـائِـرُ »
« فَقُلْـتُ : إِنِّـي طـالِـبٌ غِـرَّةً » يَحْظَـى بِهـا القَلْـبُ وَلَـوْ مَـرَّةً
قـالَـتْ : بُعَيْـدَ ذاكَ مُـتْ حَسْـرَةً قُلْـتُ : سَـأَقْضِـي غِـرَّتِـي جَهْـرَةً
« مِنْـكِ وَسَيْفِـي صـارِمٌ بـاتِـرُ »
« قـالَـتْ : فـإِنَّ البَحْـرَ مِـنْ بَيْنِنـا » فـابْـرَحْ ولا تَـأْتِ إِلـى حَيِّنـا
وَاشْرَبْ بِكَأْسِ المَوْتِ مِنْ هَجْرِنا قُلْـتُ وَلَـوْ كَـانَ كَثيـرَ العَنـا
« يَكْفِيْـكِ أَنِّـي سابِـحٌ مـاهِـرُ »
« قالَتْ : فإِنَّ القَصْرَ عالي البِنا » قُلْـتُ : وَلَـوْ كَـانَ عَظِيـمَ السَّنـا
أَوْ كَـانَ بـالجَـوِّ بَلَغْـتُ المُنَـى قـالَـتْ : مَنِيـعٌ فـي الـوَرَى قَصْـرُنـا
« قُلْـتُ : وَإِنِّـي فَـوْقَـهُ طـائِـرُ »

---

(١) لا أَصل لهذا الخبر ، ولا يصحُّ اجتماع المستعين بهؤلاء الثلاثة ؛ فإذا كانَتْ وفاة أَبي نُواس سنة ١٩٨ هـ ، وكانت وفاةُ الأَصمعي سنة ٢١١ هـ ، وكانت وفاةُ الرَّقاشي [الفَضل بن عبد الصَّمد] في حدود ٢٠٠ هـ ، فكيفَ يمكنهم الاجتماع بالمستعين المولود سنة ٢٢١هـ؟!!.
والقصيدة تخميسٌ لقصيدةٍ تُنسب إِلى أَبي دهبل الجمحي في الفصوص ٢/ ٢٣٧ ، وليست في ديوانه ، وإِلى وضَّاح اليمن في الأَغانِي ٦/ ٢١٦ والبصائر والذخائر ٣/ ٦٨ وتاريخ دمشق ٣٢/ ٣٨٤ وفوات الوفيات ٢/ ٢٧٢ وديوانه ٤٦ ـ ٤٨ يقولُها في محبوبته رَوضة .

(٢) في أ : ما روض . . . × وَمَا . . . والقصيدة ليست في أ ، ب .

« قـالَـتْ : فَعِنْـدِي لَبْـوَةٌ والِـدُ » فَقُلْــتُ : إِنِّـــي أَسَـــدٌ شـــارِدُ
غَشَمْشَـــمٌ مُقْتَنِـــصٌ صـــائِـــدُ قـــالَـتْ : لَهـا شِبْـلٌ بِهـا لابِـدُ
« قُلْتُ : وإِنِّي لَيْثُها الكاسِرُ »

« قَـالَـتْ : فَعِنْـدِي إِخْـوَةٌ سَبْعَـةٌ » جَمْعـــاً إِذا مَـــا الْتَفَتُـــوا عُصْبَـــةٌ
قُلْــتُ : وَلِــي يَــوْمَ اللِّقَــا وَثْبَــةٌ قَـالَـتْ : لَهُـمْ يَـوْمَ الـوَغَـى سَطْـوَةٌ
« قُلْـتُ : وإِنِّـي قـاتِـلٌ قـاهِـرُ »

« قـالَـتْ : فـإِنَّ اللهَ مِـنْ فَـوْقِنـا » يَعْلَـمُ مـا نُبْـدِيـهِ مِـنْ شَـوْقِنـا
نَمْضِـي إِلَـى الحَـقِّ غَـداً كُلُّنـا وَنَخْتَشِـي النِّقْمَـةَ مِـنْ رَبِّنـا
« قُلْـتُ : وَرَبِّـي سـاتِـرٌ غـافِـرُ »

« قـالَـتْ : فَكَـمْ أَعْيَيْتَنـا حُجَّـةً » تَجِـي بِهـا كـامِلَـةً بَهْجَـةً
فَيـا لَهـا بَيْـنَ الـوَرى خَجْلَـةً إِنْ كُنْـتَ مـا تُمْهِلُنـا سـاعَـةً
« فَائْتِ إِذا مَا هَجَعَ السَّاهِرُ »

« واسْقُـطْ عَلَيْنـا كَسُقُـوطِ النَّـدَى » إِيَّـاكَ أَنْ تُظْهِـرَ حَـرْفَ النِّـدا
يَسْتَيْقِـظُ الـواشِـي وَيَـأْتِـي الـرَّدَى وَكُـنْ كَضَيْـفِ الطَّيْـفِ مُسْتَـرْصِـدا
« سـاعَـةَ لا نـاهٍ ولا آمِـرُ »

« حـاجَجْتُهـا عَشْـراً وصَـافَحْتُهـا » علـى دِنـانِ الخَمْـرِ صـافَيْتُهـا
رامَـتْ مَـواثيقـاً فَـوافَيْتُهـا مُلْتَحِفـاً سَيْفِـي ولاقَيْتُهـا
« آخِـرَ لَيْلِـي والـدُّجَى عـاكِـرُ »

« يَـا لَيْلَـةً قَضَّيْتُهـا خَلْـوَةً » مُـرْتَشِفـاً مِـنْ رِيقِهـا قَهْـوَةً
تُسْكِـرُ مَـنْ قَـدْ يَبْتَغِـي سَكْـرَةً ظَنَنْتُهـا مِـنْ طِيبِهـا لَحْظَـةً
« يـا لَيْـتَ لا كـانَ لَهـا آخِـرُ »

فَلَمَّا أَنْشَدَ ذلِكَ أَبُو نُواسٍ بحَضْرَةِ الخَليفَةِ ، أَعْجَبَهُ ذلكَ ، وأَمَرَ لَهُ بِالجائِزَةِ العُظْمَى ، ووفَى بِما عَهِدَ .

● ثمَّ إِنَّ المُستعينَ أَشْهَدَ على نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ خَلَعَها من الخِلافَةِ ، وأَنَّهُ أَحَلَّ النَّاسَ من بَيعتِهِ بِشُرُوطٍ ؛ وَخُطِبَ للمعتزِّ بن المتوكِّلِ ، فَنُقِلَ المُستعينُ إِلى قَصْرِ الحَسَنِ بن وَهْبٍ ، فاعْتُقِلَ بِهِ تِسْعَةَ أَشهرٍ ، وَوُكِّلَ بهِ مَنْ يَحْفَظُهُ ، ثمَّ أُحْدِرَ بِهِ إِلى واسِط ، ودَسَّ عليه المعتزُّ سَعيداً الحاجِبَ ، فَقَتَلَهُ صَبْراً في أَوَّلِ شَهرِ رمضان[1] ، سنةَ اثنتين وخَمسينَ ومئتين ، وجِيءَ برَأْسِهِ إِلى المُعتزِّ وهو يلعبُ بالشَّطرنْجِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذا رَأْسُ المَخْلُوعِ ؛ فَقالَ : دَعُوهُ هناكَ حتَّى أَفرغَ من اللَّعِبِ ؛ فلمَّا فَرغَ ، أَحْضَرَهُ ونظرَهُ ، ثمَّ أَمرَ بِدَفْنِهِ .

وكانَتْ خِلافَتُهُ سَنَتين وتسعة أَشهرٍ ، وعُمره إِحدى وثلاثين سنةً .

وكَانَ مَربُوعاً ، مَلِيْحَ الوَجْهِ بِهِ أَثَرُ جُدَرِيٍّ ؛ وَكَانَ أَلْثَغَ ؛ يَجْعَلُ السِّينَ ثاءً ، وكَانَ كَرِيماً مُبَذِّراً لِلأَمْوالِ ؛ رحمهُ اللهُ تعالى .

خِلافَةُ أَبي عبد اللهِ محمَّد ، المعتزِّ باللهِ بن المُتَوَكِّل[2]

ثمَّ قامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُ عَمِّهِ محمَّد المعتزّ بن المُتَوَكِّل .

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ لَمَّا خَلَعَ المُستعينُ نفسَهُ ، في أَوَّلِ سنةِ اثْنتينِ وخَمسينَ ومئتينِ ، ثمَّ دَبَّرَ عليهِ صالحُ بن وَصيف حاجبُهُ ، فَجَاءَ إِليهِ ومعهُ جَماعةٌ ، وبعثُوا إِليهِ أَنِ اخْرُجْ ، فاعْتَذَرَ أَنَّهُ تناوَلَ دواءً ، فأَمَرَ صالح أَنْ يدخلَ إِليهِ بعضُهم ، فدخَلُوا وَجَرُّوا بِرِجْلَيْهِ إِلى بابِ الحُجْرَةِ ، فأُقِيمَ في الشَّمسِ الحارَّةِ ،

---

(١) بل قُتل في ثالث شوَّال ، وقيل : قُتل ليومين بقيا من رمضان . (سير ١٢/٤٩ وتاريخ الخلفاء ٢٢٤) .

(٢) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٩٤ وتاريخ بغداد ٢/٤٨٧ ومروج الذهب ٥/٧٨ وتاريخ الطبري ٩/٣٨٨ والمنتظم ١٢/٤٣ والكامل في التَّاريخ ٧/١٩٥ وسير أَعلام النبلاء ١٢/٥٣٢ والوافي بالوفيات ٢/٢٩١ وفوات الوفيات ٣/٣١٩ والبداية والنهاية ١٤/٥٠٥ وتاريخ الخلفاء ٤٢٥ وشذرات الذهب ٣/٢٤٦ .
وقيل في اسمه : الزُّبير .

فصَارَ يرفعُ قَدَماً ويَضَعُ أُخرى ، وهم يَلطمُونَهُ ، ويقُولُونَ لهُ : اخْلَعْها ؛ وهو يتَّقِي بيَدَيْهِ ويَأْبى ، ثمَّ أَجابَهُمْ ، وخَلَعَ نَفْسَهُ .

فَتَسَلَّمَهُ صالحُ بن وَصِيفٍ ومنَعَهُ من الطَّعامِ والشَّرابِ ثلاثَةَ أَيَّامٍ ، ثمَّ أَنْزلَهُ إِلى سِردابٍ مُجَصَّصٍ ، وأَطْبَقَهُ عَلَيْهِ حتَّى مَاتَ ، ثمَّ أَخْرَجَهُ وأَشهدَ عليْهِ أَنَّهُ لا أَثَرَ بِهِ .

وقِيلَ : إِنَّهُ بَعْدَ خَلْعِهِ بِخمسةِ أَيَّامٍ ، أَدْخَلَهُ الحَمَّامَ ، ومنَعهُ الماءَ حتَّى عايَنَ التَّلَفَ ؛ ثمَّ أَتَوْهُ بماءٍ مالحٍ[1] ، فشَرِبَهُ فَسَقَطَ مَيِّتاً ؛ وذلك في رَجب ، سنة خَمسٍ وخَمسين ومئتين .

وَكَانَ عُمره ثلاثاً وعشرينَ سنةً ، وخلافَتُهُ أَربعَ سنين وستَّة أَشهرٍ ؛ وكانَ بَدِيعَ الحُسْنِ ، رحمهُ اللهُ تَعالَى .

خِلافَةُ محمَّد المُهتدِي باللهِ بن هارُونَ[2]

ثمَّ قامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُ عمِّهِ محمَّد[3] بن هارون الواثق بن المعتصم[4] .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ خَلْعِ ابنِ عَمِّهِ المعتزِّ باللهِ .

● ولمَّا ولِيَ أَخرجَ الملاهي ، وحَرَّمَ سَماعَ الغِناءِ والشَّرابِ ، وأَمرَ بنفي المُغَنِّيَاتِ ، وطَرْدِ الكلابِ والسِّباعِ ؛ وأَلْزَمَ نفسَهُ الإِشْرَافَ على الدَّواوِينِ ،

---

(١) في مصادر ترجمته : فسَقَوه ماءً بثلجٍ ، فشربه وسَقَطَ مَيِّتاً .

(٢) ترجمته وأَخباره في : المعارف ٣٩٤ وتاريخ بغداد ٤/ ٥٥٣ ومروج الذهب ٥/ ٩٢ وتاريخ الطبري ٩/ ٤٥٦ والمنتظم ١٢/ ٨١ والكامل في التاريخ ٧/ ٢٢٨ وسير أَعلام النبلاء ١٢/ ٥٣٥ والوافي بالوفيات ٥/ ١٤٤ وفوات الوفيات ٤/ ٥٠ والبداية والنهاية ١٤/ ٥٠٨ وتاريخ الخلفاء ٤٢٧ وشذرات الذهب ٣/ ٢٥٠ .

(٣) اسمه في أ ، ط : جَعفر ! ! .

(٤) زادَ هنا أَحد القُرَّاء في ط : ورأَيتُ في غيرِ هذا الموضعِ ، أَنَّ المهتدي اسمُهُ محمَّد ، ويُلقَّب بأَبي إِسحاق .

وَالجُلُوسِ للنَّاسِ ، وإزالَةِ المَظالِمِ ، وتَغْييرَ المُنكراتِ ؛ وَقَال : إنِّي أَسْتَحْيي من اللهِ أَنْ لا يَكُونَ في بني العَبَّاسِ مثلَ عُمر بن عبد العزيز في بني أُمَيَّة ؛ فَتَبَرَّمَ بِهِ بايكباك التُّركيّ[1] ـ وَكَانَ ظَلُوماً غَشُوماً ـ فأَمرَ المُهتَدِي بقَتْلِه .

ولمَّا قُتِلَ هاجَتِ الأَتْرَاكُ ، وَوَقَعَ الحربُ بينَهُم وبَيْنَ المَغارِبة ، فقُتِلَ من الفَرِيقَيْنِ أَربعةُ آلافٍ ؛ وخرجَ المُهتَدِي [ومعه صالح بن عليّ[2]] والمصحف في عُنقِهِ ، وهو يَدْعُو النَّاسَ إِلى نُصْرَتِهِ ، والمغارِبَةُ مَعهُ وبعضُ العامَّةِ ، فَحَملَ عليهم طغوتيا[3] أَخُو بايكباك فهزَمَهم ، ومضى المُهتدي مُنهزماً ، والسَّيْفُ في يَدِهِ ، وَقَدْ جُرِحَ جُرْحَيْن ، حتَّى دخلَ دارَ محمَّد بن يَزْداد ، فتجمَّعت الأَتراكُ وَهَجَمُوا عليْهِ ، وأَخَذُوهُ أَسيراً ؛ وحَملَهُ أَحمد بن خاقان على دابَّةٍ ، وأَردَفَ خَلْفَهُ سائِساً بيدِهِ خِنْجَرٌ ، فأُدخِلَ إِلى دَارِ أَحمد بن خاقان ، وجَعلُوا يَصْفَعُونَهُ ، ويَقُولُون لَهُ : اخْلَعْهَا ، فَأَبى عَلَيْهِمْ ؛ فَسُلِّمَ إِلى رَجلٍ ، فَوَطِىءَ مَذاكيرَهُ حتَّى قَتَلَهُ ، وذَلِكَ في رجب ، سنةَ ستٍّ وخَمسينَ ومِئتين ، وهو ابنُ سَبعٍ وثلاثين سنةً .

وكانت خِلافَتُهُ أَحَدَ عَشَرَ شَهْراً ، رحمةُ اللهِ تعالى عليهِ . وقيل : سَنَةً .

وكانَ أَسْمَرَ ، مَلِيحَ الصُّورَةِ ، دَيِّناً ، وَرِعاً ، عابداً ، عادِلاً ، حازِماً ، شُجاعاً ، خَليقاً للإِمارَةِ ، لكنَّهُ لَمْ يَجِدْ ناصِراً .

ويُقالُ : إِنَّهُ كَانَ يَسْرُدُ الصَّوْمَ ، وَرُبَّما كَانَ فَطُورُهُ في بعضِ اللَّيالِي على خبزٍ وَخَلٍّ وزَيتٍ ؛ وكَانَ قَدْ سَدَّ بابَ اللَّهْوِ والطَّرَبِ والغِناءِ ، وحسمَ الأُمراءَ عن الظُّلمِ ، وَكَانَ يجلسُ لِحسابِ الدَّواوِينِ بنَفسه .

---

(١) في ط : بابك التُّركي ! . والتَّصحيح من مصادر ترجمته .

(٢) الزِّيادة من تاريخ الطبري ٩/ ٤٥٨ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٣٩ .

(٣) في ط ، أ : طيبغا أَخو بابك !! . والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٤٥٨ والبداية والنهاية ١٤/ ٥٢١ .

● وَمِمَّا يُحْكَى من مَحاسِنِهِ ، مَا ذَكَرَهُ الحافِظُ أَبو بَكرٍ ، محمَّد بن الحُسين ابن عبد الله البَغدادي[1] ، في كتابه قَالَ :

إِنَّ أَبا الفَضْلِ ، صالحَ بن عليّ بن يعقوب بن المنصور الهاشميّ ـ وكانَ من وُجُوهِ بَني هاشِمٍ ، وأَهلِ الخِلافَةِ والسَّبقِ منهم ـ قالَ : حضرتُ المهتدي باللهِ أَميرَ المؤمنين ، وقد جلسَ ينظُرُ في أُمورِ النَّاسِ في دارِ العامَّةِ ، فنظرتُ إِلى قِصصِ النَّاسِ تُقْرَأُ علَيْهِ من أَوَّلِها إِلى آخِرِها ، فيأْمُرُ بالتَّوْقِيعِ فِيها ، وإِنشاءِ الكُتُبِ لأَصحابِها ، فَتُخْتَمُ وتدفعُ إِلى أَصحابِها بَينَ يَديهِ ؛ فَسَرَّنِي ذَلِكَ ، وَجَعَلْتُ أَنظرُ إِليهِ ، ففطنَ لي ، ونظرَ إِليَّ ، فَغَضَضْتُ عنهُ حتَّى كان ذلكَ مِنِّي ومنهُ مِراراً ، إِذا نظرَ إِليَّ غَضَضْتُ ، وإِذا اشْتَغَلَ عَنِّي نَظَرْتُ ، فقَالَ : يا صالِحُ ؛ قلتُ : لَبَّيْكَ يا أَميرَ المؤمنين ؛ وقُمتُ قائِماً ، فقَالَ : أَفِي نفسِكَ مِنِّي شَيْءٌ تُحِبُّ أَنْ تقُولَهُ ؟ فقلتُ لَهُ : نعم يا سَيِّدِي ؛ فقَالَ لِي : عُدْ إِلى مَوضِعِكَ ؛ فَعُدْتُ ، وعادَ في النَّظَرِ حتَّى قَامَ ، وقال للحاجِبِ : لا يَبْرَحْ صالِحٌ ؛ فانْصَرَفَ الناسُ .

ثمَّ أَذِنَ لِي وَقَدْ أَهَمَّتْنِي نَفْسِي ، فَقُمْتُ فدخلْتُ ، ودعوتُ لَهُ ، فقالَ لي : اجلسْ ؛ فجلسْتُ ، فقالَ : يا صالِحُ ، تقولُ ما دَارَ في نَفْسِكَ أَوْ أَقُولُ أَنا مَا دَارَ في نَفْسِي ؛ إِنَّهُ دارَ في نَفْسِي مَا دَارَ في نَفْسِكَ ؛ فقُلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، ما تعزمُ عليهِ ، وتأمرُ بهِ ، أَطالَ اللهُ بقاءَكَ ؛ فقَالَ : كَأَنِّي بكَ وَقَدِ اسْتَحْسَنْتَ مَا رَأَيْتَ مِنَّا ، فقلتَ : أَيُّ خَليفةٍ خليفتُنا إِنْ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ : القُرآنُ مَخْلُوقٌ ؟ .

فوردَ على قلبي أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وأَهَمَّتْنِي نَفْسِي ، ثمَّ قُلْتُ : يا نَفْسُ هل

---

(١) وهو الإمامُ الآجُرّيّ (سير ١٦/ ١٣٣) . وقد مَضى تخريج الخبر في ترجمة الواثق ؛ وانظره بهذه الرِّواية في سير أَعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

تَمُوتِينَ إلاَّ مَرَّةً ؟ وهل تَمُوتِينَ قبلَ أَجَلِكِ ؟ وهل يَجُوزُ الكَذِبُ في جِدٍّ أَوْ هَزْلٍ ؟ فقلتُ : واللهِ ـ يا أَميرَ المؤمنين ـ مَا دَارَ في نَفْسِي إلاَّ مَا قُلْتَ ؛ ثمَّ أَطرقَ مَلِيّاً ، وَقَالَ : وَيْحَكَ ، اسمَعْ مِنِّي مَا أَقُولُ ، فواللهِ لتَسمعنَّ الحقَّ ؛ فَسُرِّيَ عنِّي ، فقلْتُ : يا سَيِّدِي ، منْ أَوْلَى بِقَوْلِ الحقِّ منكَ ، وأَنتَ أَميرُ المُؤمنين ، وخليفةُ ربِّ العالمين ، وابْنُ عَمِّ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ من الأَوَّلين والآخِرين ؟ فقالَ لي : ما زِلْتُ أَقولُ : القُرآنُ مَخلوقٌ ، صَدْراً من خِلافَةِ الواثِقِ ، حتَّى أَقْدَمَ علَيْنا أَحمد بن أَبي دوادٍ شيْخاً من أَهلِ الشَّامِ ، من أَهلِ أَذَنَةَ[1] ؛ فأُدخِلَ الشَّيْخُ على الواثِقِ مُقَيَّداً ، وهو جَمِيلُ الوَجْهِ ، تامُّ القامَةِ ، حَسَنَ الشَّيْبَةِ ؛ فَرَأَيْتُ الواثِقَ قَدِ اسْتَحْيَا منهُ وَرَقَّ لَهُ ، فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ ويُقَرِّبُهُ حتَّى قَرُبَ منهُ ، فَسَلَّمَ الشَّيْخُ بأَحْسَنِ السَّلامِ ، ودَعا بِأَبْلَغِ الدُّعاءِ وأَوْجَزَ ، فقالَ لَهُ الواثِقُ : اجلِسْ . ثمَّ قال لَهُ : يا شيخُ ، ناظِرْ ابنَ أَبي دُوادٍ على ما يُناظِرُكَ عَلَيْهِ ؛ قَالَ الشَّيْخُ : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّ ابْنَ أَبي دُوادٍ يَقِلُّ ويَصْغُرُ ويَضْعُفُ عَنِ المُناظَرَةِ ؛ فغَضِبَ الواثِقُ ، وعَادَ مَكانَ الرِّقَّةِ لَهُ غَضباً ، فقالَ : أَبو عبدِ اللهِ بن أَبي دُوادٍ ؛ يقِلُّ وَيَصْغُرُ وَيَضْعُفُ عن مُناظَرَتِكَ أَنْتَ ؟ فقالَ الشَّيْخُ : هَوِّنْ عَلَيْكَ يا أَميرَ المؤمنين مَا بكَ ، وائذَنْ لِي في مُناظَرَتِهِ ؛ فقَالَ الواثِقُ : مَا دَعوتُكَ إلاَّ للمُناظَرَةِ ؛ فقَالَ الشَّيْخُ : يا أَحمدَ بن أَبي دُوادٍ ، إِلامَ دَعوتَ النَّاسَ ودَعوتَني إِليهِ ؟ فقَالَ : إِلى أَنْ تَقُولَ : القُرآنُ مَخْلُوقٌ ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ من دُونِ اللهِ مَخلُوقٌ ؛ فقَالَ الشَّيْخُ : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنِّي رأَيْتُ أَنْ تحفظَ عليَّ وعليه ما نَقُولُ . قال : أَفعلُ ؛ فقالَ الشَّيْخُ : يا أَحمد ، أَخبِرْنِي عن مَقالَتِكَ هذه ، أَواجِبَةٌ داخِلَةٌ في عقْدِ الدِّينِ ؛ فلا يَكُونُ الدِّينُ كاملاً حتَّى يُقالَ فِيهِ مَا قلتَ ؟ قال : نعم . قال الشَّيْخُ : يا أَحمد ، أَخبِرْني عن رسولِ اللهِ ﷺ حينَ بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، هل سَتَرَ شَيْئاً مِمَّا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ في دِينهِ ؟ قالَ : لا . قالَ الشَّيْخُ : فَدَعا

---

(١) أَذَنة : بلدٌ من الثُّغور ، قرب المَصِّيصة . (معجم البلدان ١/ ١٣٣) .

رسولُ الله ﷺ النَّاسَ إلى مَقالَتِكَ هَذِهِ ؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبي دُوادٍ ، فقَالَ الشَّيْخُ لهُ : تكلَّمْ ؛ فسَكَتَ ، فالْتَفَتَ الشَّيْخُ إلى الواثِقِ ، وَقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، واحدةٌ ؛ فقَالَ الواثِقُ : واحدةٌ ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ : يا أَحمدُ ، أَخبرْنِي عن آخِرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ من القُرآنِ على رسولِ الله ﷺ.فقالَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة : ٣] فقالَ الشَّيخُ : أَكانَ اللهُ تبارَكَ وتَعالَى الصَّادقَ في إكمالِ دِينِهِ ، أَمْ أَنتَ الصَّادِقُ في نُقْصانِه ، فلا يَكُونُ الدِّينُ كامِلاً حتَّى يُقالَ فِيهِ بمَقالَتِكَ هذه ؟ فَسَكَتَ ابنُ أَبي دُوادٍ ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ : أَجِبْ يا أَحمد ، فَلَمْ يُجِبْ ؛ فَقَال الشَّيْخُ : يا أَميرَ المؤمنين ، اثنتان ؛ فقال الواثِقُ : اثنتـانِ ؛ فقَـالَ الشَّيْـخُ : يـا أَحمـد ، أَخبـرْنِـي عـن مَقـالَتِـكَ هَـذِهِ ، أَعَلِمَهـا رسولُ الله ﷺ أَمْ جَهِلَهَا ؟ فقالَ ابنُ أَبي دُوادٍ : عَلِمَها ؛ فقَالَ الشَّيْخُ : أَدَعا النَّاسَ إليها ؟ فسَكَتَ ابْنُ أَبي دُوادٍ ؛ فقَالَ الشَّيخُ : يا أَميرَ المؤمنين ، ثلاثٌ ؛ فقَالَ الواثِقُ : ثلاثٌ ؛ فقَالَ الشَّيْخُ : يا أَحمد ، فاتَّسَعَ لِرَسولِ الله ﷺ ـ كما زَعَمْتَ ـ فلَمْ يُطَالِبْ أُمَّتَهُ بها ؟ قَالَ : نَعم ؛ فقَالَ الشَّيْخُ : واتَّسَعَ لأَبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه وعُمر بن الخَطَّاب وعُثمان بن عفَّان وعليِّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ؟ قال ابْنُ أَبي دُوادٍ : نَعم ؛ فأَعرضَ الشَّيخُ عنهُ ، وأَقبلَ على الواثِقِ ، فقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، قَدْ قَدَّمْتُ القولَ أَنَّ أَحمد يَقِلُّ ويَصْغُرُ ويَضْعُفُ عن المناظَرَةِ ؛ يا أَميرَ المؤمنين ، إِنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَكَ من الإِمساكِ عن هذه المَقالَةِ ما اتَّسَعَ لِرَسُولِ الله ﷺ ولأَبي بَكرٍ وعُمر وعُثمان وعَليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم ، فلا وَسَّعَ اللهُ على مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَهُ مَا اتَّسَعَ لَهُمْ من ذَلِكَ ؛ فَقَالَ الواثِقُ : نعم ، إِنْ لَمْ يَتَّسِعْ لنا من الإِمساكِ عن هذه المَقالَةِ ما اتَّسَعَ لِرَسُولِ الله عليْهِ الصَّلاةِ والسَّلام ولأَبي بَكرٍ وعُمر وعُثمان وعليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، فلا وَسَّعَ اللهُ عَلينا ؛ اقْطَعُوا قَيْدَ الشَّيْخ .

فلمَّا قَطَعُوا قَيْدَهُ ، ضَرَبَ الشَّيْخُ بيدِهِ إلى القَيْدِ لِيأْخُذَهُ ، فَجَذَبَهُ الحَدَّادُ

إِليهِ ، فقَالَ الواثِقُ : دَعِ الشَّيْخَ ليأخذهُ ؛ فَأَخَذَهُ الشَّيْخُ ، فَوَضَعَهُ في كُمِّهِ ؛ فقِيلَ للشَّيْخِ : لِمَ جاذَبْتَ عليْهِ ؟ فقَالَ الشَّيخُ : لأَنِّي نَوَيْتُ أَنْ أَتقَدَّمَ إِلى مَنْ أُوْصِي إِلَيْهِ ، إِذا أَنا مِتُّ ، أَنْ يَجْعَلَهُ بَيْنِي وبَيْنَ كَفَنِي ، حتَّى أُخاصِمَ بِهِ هَذَا الظَّالِمَ عندَ اللهِ يومَ القِيامَةِ ، وأَقولَ : يا رَبِّ ، سَلْ عَبْدَكَ هذا لِمَ قَيَّدَنِي ، وَرَوَّعَ أَهْلِي وَوَلَدِي وإِخْوانِي بلا حَقٍّ أَوْجَبَ ذَلِكَ عَليَّ ؟ وبَكَى الشَّيْخُ ، وبكى الواثِقُ ، وبَكَيْتُ ، ثمَّ سَأَلَهُ الواثِقُ أَنْ يَجعَلَهُ في حِلٍّ وسَعَةٍ مِمَّا نالَهُ منهُ ، فقَالَ الشَّيْخُ : واللهِ يا أَميرَ المؤمنين ، قَدْ جَعلتُكَ في حِلٍّ وَسَعَةٍ من أَوَّلِ يَوْمٍ ، إِكْراماً لرسُولِ اللهِ ﷺ ، إِذْ كُنْتَ رَجُلاً من أَهْلِهِ ؛ فقَالَ الواثِقُ : لِي إِلَيْكَ حاجَةٌ ؛ فقَالَ الشَّيْخُ : إِنْ كانَتْ مُمْكِنَةً فَعلتُ ؛ فقَالَ الواثِقُ : تُقِيمُ قِبَلَنا ، فَتَنْتَفِعَ بكَ فِتْيانُنا ؛ فقَالَ الشَّيخُ : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّ رَدَّكَ إِيَّايَ إِلى الموضِعِ الذي أَخرَجَنِي منهُ هذا الظَّالِمُ ، أَنْفَعُ لَكَ من مقامِي عندَك ؛ وأُخبركَ لِمَ ذَلِكَ ؟ أَصيرُ إِلى أَهْلِي وَوَلَدِي ، فَأَكُفَّ دُعاءَهُم عَلَيْكَ ، فَقَدْ خَلَّفْتُهُم على ذَلِكَ ؛ فقَال لَهُ الواثِقُ : أَفتقبلُ مِنَّا صِلَةً تَستَعينُ بها على دَهْرِكَ ؟ فقالَ الشَّيخُ : يا أَميرَ المؤمنين ، لا تَحِلُّ لي ، أَنا عَنْها غَنِيٌّ وذُو ثَرْوَةٍ ؛ فقَالَ لَهُ : أَتَسْأَلُ حاجَةً ؟ قَالَ : أَوَ تَقْضِيهَا يا أَميرَ المؤمنين ؟ قَالَ : نعم ؛ قَالَ : تُخَلِّي سَبيلِي إِلى السَّفَرِ السَّاعَةَ ، وتَأْذَنُ لِي ؛ قالَ : قَدْ أَذنتُ لَكَ ؛ فسلَّمَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ وخَرجَ .

قال صالِحٌ : فَقَالَ المُهْتَدِي بِاللهِ : فرجعتُ عن هذِهِ المقالَةِ منذُ ذَلِكَ اليوم ؛ وأَظُنُّ أَنَّ الواثِقَ باللهِ كانَ رجعَ عنها من ذلِكَ الوقتِ .

ولِي فيها طُرُقٌ أُخرَى ، وفيها بعضُ المُغايَرَةِ لهذِهِ ؛ **وقَد سَبَقَ** في ترجمة الواثِقِ ما يَدُلُّ على رُجُوعِهِ . واللهُ تَعالى أَعلمُ .

خِلافَةُ أَبي القاسِمِ ، أَحمد المُعتمد على اللهِ بن المُتَوَكِّل[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُ عَمِّهِ أَحمد المعتمدُ على الله بن المتوكِّل على الله بن المعتصم باللهِ .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ قُتِلَ ابْنُ عَمِّه المُهتدِي بالله بِسُرَّ مَن رأَى ؛ وكانَ لَهُ اسمُ الخلافَةِ ، ولأَخِيه الموفَّق بن المتوكِّل تَدبير المُلْكِ .

ولمَّا مَاتَ الموفَّقُ ، قامَ بتَدبيرِ المُلْكِ بعدَهُ ابنُهُ أَحمدُ المُعتضد بن الموفَّق ، وغَلَبَ على عَمِّهِ المعتمدِ كما كَانَ أَبوهُ غالباً عَلَيْه ، فَكَانَ المعتمدُ يطلبُ الشَّيْءَ الحقيرَ فلا يناله ؛ ولَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَى الاسم ؛ فقَالَ في ذَلِكَ[2] :

[من الوافر]

أَلَيْسَ مِنَ العَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي يَرى مَا قَلَّ مُمْتَنِعاً عَلَيْهِ
وَتُؤْخَذُ بِاسْمِهِ الدُّنْيا جَمِيعاً وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٌ في يَدَيْهِ

● قِيلَ : إِنَّهُ شَرِبَ يَوْماً على الشَّطِّ شَراباً كثيراً ، فتغشَّى ومَاتَ . وقيلَ : إِنَّهُ غُمَّ ومَاتَ ، وهو نائمٌ في بِساطٍ . وقيلَ : إِنَّهُ سُمَّ في لحمٍ ؛ وذلكَ في شوَّالٍ[3] ، سنةَ تسع وسَبعينَ ومِئتين ، ولَهُ خَمسُونَ سَنَةً ؛ وكانت خلافتُه ثلاثاً وعشرين سنةً ؛ وتوفِّي ببغداد .

---

(١) **ترجمته وأَخباره في** : المعارف ٣٩٤ وتاريخ بغداد ٥/ ٩٨ ومروج الذهب ٥/ ١٠٧ وتاريخ الطبري ١٠/ ٢٩ ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٤ والمنتظم ١٢/ ١٠٣ والكامل في التاريخ ٧/ ٥١٣ وسير أَعلام النبلاء ١٢/ ٥٤٠ والوافي بالوفيات ٦/ ٢٩٢ وفوات الوفيات ١/ ٧٢ والبداية والنهاية ١٤/ ٦٤٣ وتاريخ الخلفاء ٤٣٠ وشذرات الذهب ٣/ ٣٧١ .

(٢) هُما له في الوافي بالوفيات ٦/ ٢٩٣ وفوات الوفيات ١/ ٦٦ ومآثر الإنافة ١/ ٢٥٤ والبداية والنهاية ١٤/ ٦٤٣ وتاريخ الخلفاء ٤٣٢ وسير أَعلام النُّبلاء ١٢/ ٥٤٨ .

(٣) بل في رجب ، لإِحدى عشرة ليلةٍ بقيت منه . (مصادر ترجمته) .

وَكَانَ أَسمرَ ، ربعةً ، رقيقاً ، مُدَوَّرَ الوجهِ ، مَلِيحَ العَينينِ ، صغيرَ اللِّحيَةِ ؛ أَسْرَعَ إِليهِ الشَّيْبُ ، مُنْهَمِكاً على اللَّهْوِ واللَّذَّاتِ ، يَسكرُ ويَعَضُّ يَدَهُ .

خِلافَةُ أَبي العَبَّاسِ أَحمد المعتضد بالله بن الموفَّق[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ، ابنُ أَخيهِ أَحمد المعتضد[2] .

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ مَاتَ عَمُّهُ المُعتمدُ ، فاستقَلَّ بالأَمْرِ .

وَكَانَ شُجاعاً ، عادِلاً ، ذا هَيْبَةٍ عَظيمةٍ ، مع سَطوةٍ وجَبَرُوتٍ ، وحَزْمٍ ، ورَأْيٍ ، وذَكاءٍ مُفْرِطٍ في أَحْكامِهِ ؛ وسيَأْتِي ذِكْرُ شَيْءٍ من ذَلِكَ .

وَكَانَ كَثِيرَ الجِماعِ ، فاعْتَرَاهُ فَسادُ مِزاجٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ سبب وَفاتِهِ .

وكَانَ مُحِبّاً للعَدْلِ ، مُؤْثِراً له ؛ وَلَهُ فِيهِ حِكاياتٌ نادِرَةٌ .

توفِّيَ سنةَ تسعينَ ومئتين[3] ، لسبعٍ بَقينَ من شَهرِ ربيعِ الآخر ، وهو ابن ستٍّ وأَربعين سنةً ؛ وقيل : [ابن سبعٍ و][4] أَربعينَ سنةً .

وكانَتْ خِلافَتُه تِسعَ سِنينَ ، وتِسعَةَ أَشْهُرٍ ؛ وقيلَ : عشرَ سِنين .

وَكَانَ أَسمرَ مَهيباً ، مُعتدلَ الشَّكْلِ .

---

(١) **ترجمته وأَخباره في** : مروج الذهب ٥/ ١٣٧ وتاريخ بغداد ٦/ ٧٩ وتاريخ الطبري ١٠/ ٨٦ ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ١١١ والمنتظم ١٢/ ٣٠٦ والكامل في التاريخ ٧/ ٥١٣ وسير أَعلام النبلاء ١٣/ ٤٦٣ والوافي بالوفيات ٦/ ٤٢٨ وفوات الوفيات ١/ ٧٢ والبداية والنهاية ١٤/ ٦٩٨ وتاريخ الخلفاء ٤٣٦ وشذرات الذهب ٣/ ٣٧١ .

(٢) الفقرة من أ . وهي ساقطةٌ من ط .

(٣) بل في سنة ٢٨٩ هـ .

(٤) الزِّيادة لازمة ، لأَنَّه ولد سنة ٢٤٢ هـ ، وقيل : ٢٤٣ هـ .

خِلافَةُ أَبي مُحَمَّدٍ ، عليّ المُكتفي باللهِ بن المعتضد[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُه [أبو] محمَّد ، عليُّ بن أَحمد ، المُكتفي بالله بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم .

بُويعَ لهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ تُوفِّيَ أَبُوهُ المعتضد .

وتوفِّي ببغداد سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئتين[2] ، وهو ابنُ أَربع وثلاثين سنة[2] ؛ وقيلَ : ثلاثين[2] ؛ وخِلافَتُهُ سَنتانِ وثمانية أَشهر[2] .

* هكذا[3] ذَكَرُوا وفاتَهُ وعُمرَه وخِلافتهُ ! والذي رأَيْتُهُ في كُتبِ الذَّهبيّ ، أَنَّهُ كانَتْ وَفاتُهُ في ذِي القَعدةِ ، سنةَ خَمسٍ وتِسعين ومئتين[4] ، عن إِحدى وثَلاثِينَ سنةً ، وكانت خَلافَتُهُ ستَّ سِنين ونِصفاً .

وَكَانَ وَسِيماً جميلاً بَدِيعَ الحُسْنِ ، دُرِّيَّ اللَّوْنِ ، مُعْتَدِلَ الطُّولِ ، أَسْوَدَ الشَّعرِ .

وَكَانَ حسنَ العَقيدَةِ ، كارِهاً لِسَفْكِ الدِّماءِ ، وَوَطَّأَ لَهُ أَبُوهُ المُتعضد الأُمورَ .

وكانَ المُكتفي مائِلاً إِلى حُبِّ عليٍّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، بارّاً بِأَوْلادِهِ .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : مروج الذهب ٥/١٧٦ وتاريخ بغداد ١٣/٢١٢ وتاريخ الطبري ١٠/١٣٨ والمنتظم ١٣/٣ والكامل في التاريخ ٨/٨ وسير أَعلام النبلاء ١٣/٤٧٩ وفوات الوفيات ٣/ ٥ والبداية والنهاية ١٤/ ٧٤٢ وتاريخ الخلفاء ٤٤٤ وشذرات الذهب ٣/ ٤٠١ .

(٢) كذا ، وكلُّه غير صحيح .

(٣) هذه الفقرة من إِضافاتِ قارئ، وهي صحيحةٌ بعد تصحيح سنة وفاته من ٢٩٩هـ إِلى ٢٩٥هـ.

(٤) في ط : سنة تسع وتسعين ومئتين ! . والتصحيح عن كتب الذَّهبي وغيره . والفقرة ليست في أ .

● وَيُحْكَى أَنَّ يَحيى بن عليّ الشَّاعر[1] ، أَنشَدَهُ بالرَّقَّةِ قصيدةً ، يَذْكُرُ فِيها فَضْلَ أَولادِ العبَّاسِ على أَولادِ عليٍّ . فَقَطَعَ المُكتفي عليه إنشادِهِ ، وقَالَ : يا يحيىٰ ، كأَنَّهُمْ لَيْسوا بَني عَمٍّ ! ما أُحِبُّ أَنْ يُخاطَبَ أَهْلُنا بِشَيْءٍ من ذَلِكَ ، وإِنْ كانُوا خُلَفاء .

وَلَمْ يَسْمع القَصيدةَ ، ولا أَجازَهُ عليها ؛ رحمةُ اللهِ عليهِ .

خِلافَةُ أَبي الفَضْل ، جَعْفَر المُقتدِر باللهِ[2]

وهو السَّادِسُ ، فخُلِعَ مَرَّتَيْنِ كَمَا سيأتِي .

ثمَّ قامَ بالأَمرِ بعدَهُ أَخُوهُ أَبو الفَضْل ، جعفر المُقتدر بن المُعتضد .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ ببغدادَ يَوْمَ وَفَاةِ أَخيهِ ، وهو ابْنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً ، وأَربعين يَوْماً ؛ ولَمْ يَلِ الخِلافَةَ بعدَهُ ـ قيل : ولا قَبْلَهُ ـ أَصغر منهُ ، وضَعفَ دَسْتُ الخِلافَةِ في أَيَّامِهِ .

● وَذَكَرَ صاحبُ « النَّشوار » وغيرُه ، عن صافِي مَولى المُعتضِدِ ، أَنَّهُ قَالَ[3] : مَشيْتُ يَوْماً بَيْنَ يَدَيْ المعتضدِ وهو يُريدُ دارَ الحَرَمِ ؛ فلمَّا بَلَغَ بابَ دارِ المُقتدرِ ، وقفَ وتَسَمَّعَ وتَطَلَّعَ من خَللٍ في السِّتْرِ ، فإِذا هو بالمُقتدر ، وله إذ ذاكَ خَمسُ سِنين أَوْ نَحوها ، وهو جالِسٌ ، وحولَهُ قَدْرُ عَشْرِ وَصائفَ من

---

(١) هو أَبو أَحمد ، يَحْيَى بن عليّ بن يحيى بن أَبي منصور المنجم ، شاعر مطبوع ، راجزٌ مقصّدٌ ؛ أَشعر أَهل زَمانه ، وأَحسنهم أَدَباً ، وأَنْزُهم افتناناً في علوم العرب والعجم ؛ وجالس الموفق والمعتمد ، وخصَّ به وبالمكتفي بعده ؛ توفِّي سنة ٣٠٠ هـ . (معجم الشُّعراء ٤٩٣ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٨٢٥ ووفيات الأَعيان ٦/ ١٩٨) .

(٢) **ترجمته وأَخباره في** : مروج الذهب ٥/ ١٩٣ وتاريخ بغداد ٨/ ١٢٦ والمنتظم ١٣/ ٥٩ والكامل في التاريخ ٨/ ٢٤١ وسير أَعلام النبلاء ١٥/ ٤٣ والوافي بالوفيات ١١/ ٩٤ وفوات الوفيات ١/ ٢٨٤ والبداية والنهاية ١٥/ ٦٠ وتاريخ الخلفاء ٤٤٧ وشذرات الذهب ٤/ ٩٨ .

(٣) نَشوار المحاضرة ١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩ وتاريخ بغداد ٨/ ١٢٩ ـ ١٣١ والمنتظم ١٣/ ٦٥ ـ ٦٦ .

أَترابِه ، في قَدْرِ سِنِّه ، وبينَ يديهِ طَبَقُ فِضَّةٍ وفِيه عُنقودُ عِنَبٍ ، في وقتٍ فِيهِ العنبُ عَزيزٌ جدًّا ، والصَّبيُّ يأْكُلُ عنبةً واحدةً ، ثمَّ يُطعمُ الجماعةَ عنبةً عنبةً على الدَّورِ ، حتَّى إذا بلغَ الدَّورُ إليهِ أَكَلَ واحدةً مثلَ ما أَكَلُوا ، حتَّى فَنِيَ العُنقودُ ، والمُعتضدُ يتمزَّقُ غَيْظاً ، ثمَّ رَجَعَ ولَمْ يدخلِ الدَّارَ ، فَرَأَيْتُهُ مَهْمُوماً ، فقُلتُ : يا مَوْلاي ، ما سببُ مَا فَعَلْتَهُ ؟ فقَالَ : يا صافِي ، واللهِ لولا العارُ والنَّارُ لَقَتَلْتُ هذا الغُلامَ اليومَ - يعني المُقتدرَ - فإنَّ في قَتْلِه صَلاحاً لِلأُمَّةِ ، فقلتُ : يا مَولاي ، مَا شَأْنُهُ ؟ وأَيَّ شيْءٍ عَمِلَ ؟ أُعيذُكَ باللهِ يا مَوْلايَ من هذا ؛ فقالَ : وَيْحَكَ ، أَنَا أَبْصَرُ بما أَقُولُهُ ؛ أَنا رجلٌ قَدْ سُسْتُ الأُمُورَ ، وأَصْلَحْتُ الدُّنيا بعدَ فَسادٍ شَديدٍ ، ولا بُدَّ من مَوتِي ، وَأَنا أَعلمُ أَنَّ النَّاسَ بَعدِي لا يَخْتارُونَ أَحَداً على وَلَدِي ، وأَنَّهم سَيُجْلِسُونَ ابني عَلِيّاً - يعني المُكتفي - وما أَظُنُّ عُمره يَطُولُ للعِلَّةِ التي بِهِ - يعني الخنازير[1] التي كانت في حَلْقِهِ - فيتلَفُ عن قَريبٍ ، ولا يَرى النَّاسُ إِخراجَها عن وَلَدِي ، ولا يَجِدُونَ بعدَهُ أَمْثَلَ من جَعْفَر - يعني المُقتدرَ - وهو صَبِيٌّ ، وَلَهُ من الطَّبْعِ والسَّخَاءِ هذا الذي قد رأَيتَهُ ، من أَنَّهُ أَطعمَ الوصائِفَ مثلَ ما أَكلَ ، وساوَى بينَهُ وبَينهنَّ في شَيْءٍ عزيزٍ في العالَم ؛ والشُّحُّ على مِثله في طِباعِ الصِّبْيَانِ غالبٌ ، فَتَحْتَوِي عليْهِ النِّساءُ لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِهِنَّ ، فَيَقسمُ ما جمعتُهُ من الأَمْوَالِ كما قَسَمَ العِنَبَ ، وَيُبَدِّدُ ارْتِفاعَ الدُّنْيَا ، فتضيعُ الثُّغُورُ ، وتَعظمُ الأُمُورُ ، وتَخْرُجُ الخَوارِجُ ، وتَحدثُ الأَسبابُ التي يَكُونُ فِيها زَوال المُلْكِ عن بَنِي العبَّاسِ رَأْساً .

فقُلْتُ : يا مَولايَ ، يُبْقِيكَ اللهُ حتَّى يَنشأَ في حياةٍ منكَ ، ويَصيرَ كَهْلاً في أَيَّامِكَ ، ويَتَأَدَّبَ بآدابكَ ، ويَتَخَلَّقَ بأَخْلاقِكَ ، ولا يكونُ هذا الذِي ظننتَ ؛ فقَالَ : وَيْحَكَ ، احْفَظْ عَنِّي ما أَقُولُ لَكَ ، فإِنَّهُ كما قُلتُ .

---

(١) الخنازير : قروح تحدث في الرَّقبة . (القاموس) .

قالَ : ومكثَ يَوْمَهُ مَغْمُوماً مهموماً ؛ وَضَرَبَ الدَّهرُ ضَرَبانَهُ ، وماتَ المُعتضدُ ، ووليَ المُكتفي ، فلَمْ يَطُلْ عُمرهُ وَمَاتَ ، ووَلِيَ المُقتدرُ ؛ فكانَتِ الصُّورَةُ كما قَالَ مَولايَ المعتضد بعَيْنِها ، فكنتُ كُلَّما ذكرتُ قولَه أَعجبُ منه .

فواللهِ لقد وقفتُ يوماً على رأسِ المُقتدرِ ، وهو في مَجلسِ لَهْوِهِ ، فَدَعا بالأَموالِ فأُخرجَتْ إليه ، ووُضِعَتِ البِدَرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فجعلَ يُفَرِّقُها على الجَوارِي والنِّساءِ ، ويَلْعَبُ بِها ويَمْحَقُها وَيَهَبُها ؛ فذكرتُ قولَ مَولايَ المعتضد .

ثمَّ إنَّ الجُنْدَ وَثَبُوا على العبَّاسِ وَزيره فقَتَلُوهُ ، وأَحضَرُوا عبدَ الله بن المعتزِّ ، وبايَعُوهُ ، وخَلَعُوا المُقتدرَ .

خِلافَةُ عبد اللهِ بن المعتزِّ ، المُرتَضِي باللهِ[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمر بعدَهُ ، عبد اللهِ بن المعتزِّ ، المُرتَضِي باللهِ[2] .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ بعدَ خَلْعِ المُقتدرِ ، بعدَ أَنْ شَرَطَ عليهم أَنْ لا يَكُونَ في ذَلِكَ حَرْبٌ ولا سَفْكُ دَمٍ ؛ فَلَمَّا بُويعَ لَهُ كَتَبَ إلى المُقتدر يأْمُرُهُ بِلُزومِ دارِ ابن طاهرٍ بوالدَتِهِ وجَوارِيهِ ؛ وأَمَرَ الحسنَ بن حَمدان وابن عَمرويه صاحبَ الشَّرطة أَن يَصيرَا إلى دارِ المُقتدرِ ، فَمَضَيا ، فخرجَ إليهما الغِلْمانُ وَرَموهُما بالحِجَارَةِ ، وَجَرَى بينهم حربٌ شَديدٌ ، آخرُهُ أَنَّ أَصحابَ المُقتدر ظَهَرُوا عليهما ، فانهزَما وانْهَزَمَ المُرتضي باللهِ ، وتفرَّقَ أَصحابُهُ ، واستترَ عندَ ابنِ

---

(١) ترجمته وأَخباره في : أَشعار أَولاد الخلفاء ١٠٧ ومروج الذهب ٥/ ١٩٤ والأَغاني ١٠/ ٢٧٤ وتاريخ بغداد ١١/ ٣٠٢ والمنتظم ١٣/ ٧٩ والكامل في التاريخ ٨/ ١٤ ووفيات الأعيان ٣/ ٧٦ وسير أَعلام النبلاء ١٤/ ٤٢ والوافي بالوفيات ١٧/ ٤٤٧ وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٩ والبداية والنهاية ١٤/ ٧٥٢ وثمار القلوب ١/ ٣١٨ ومعاهد التنصيص ٢/ ٣٩ .

(٢) وقيل : المنصف بالله ، وقيل : الغالب بالله ، وقيل : الرَّاضي بالله . (ابن خلِّكان) .

الجَصَّاصِ[1] ، ولَمْ يتمَّ لَهُ أَمرٌ غير يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ؛ ولِذَلِكَ لم يعدَّ المؤرِّخُونَ خِلافَتَهُ في هذه المُدَّةِ القريبة ؛ ثمَّ عادَ المُقتدرُ إلى مَا كَانَ عليهِ ، ثمَّ ظفرَ بالمُرتضِي باللهِ فقتَلَهُ خَنْقاً ، وأَظْهرَ أَنَّهُ مَاتَ حَتْفَ أَنفه ، وأُخرج وهو ميِّتٌ من دارِ الخِلافَةِ ، فَدَفَنُوهُ في خَرابَةٍ بإزاءِ دارِهِ ؛ وكان عُمرُهُ خَمسينَ سنةً .

● قَالَ ابنُ خلِّكانَ في تَرجمته[2] : كان شاعِراً ماهِراً ، فَصِيحاً ، مُجيداً ، مُخالطاً للعُلماءِ والأُدباءِ ، وهو صاحِبُ التَّشبيهات التي أَبْدَعَ فِيها ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ مَنْ شَقَّ غُبارَهُ .

وَكَانَ قَدِ اتَّفَقَ معهُ جماعةٌ ، وَخَلَعُوا المُقتدرَ وبايَعُوهُ ، ولَقَّبُوهُ بالمُرْتَضِي باللهِ ، فأَقَامَ يَوْماً وَليلةً ؛ ثمَّ إنَّ أَصحابَ المُقتدر تَحَزَّبُوا ، وحارَبُوا أَعوانَ ابن المعتزِّ وشتَّتوهم ، فاسْتَخْفى ابنُ المُعتزِّ ، ثمَّ أُخِذَ لَيْلاً ؛ فلمَّا أُدْخِلَ على المُقتدر أَمرَ بِهِ فَطُرِحَ على الثَّلجِ عُرياناً ، وحُشِيَ سَراويلُهُ ثَلْجاً ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ والمُقتدرُ يَشربُ إلى أَنْ مَاتَ ، وَذَلِكَ في شهرِ ربيعِ الآخرِ ، سنةَ سِتٍّ وتسعين ومئتين ، رحمهُ اللهُ ، وليس هو بمعدودٍ في الخُلفاءِ ، لأَنَّهُ لَمْ يثبتْ لَهُ أَمرٌ .

[خِلافَةُ المُقتدِرِ الثَّانية]

واستمرَّ للمقتدرِ الأَمرُ ، إلى أَنْ بَلَغَ مُؤنساً الخادمَ أَنَّ المُقتدرَ قد عزمَ على اغتيالِهِ ، وكانَ مُؤْنِسٌ مُقَدَّمَ جَيْشِ المُقتدرِ ، فبَلَغَ المقتدرَ ما نُقِلَ إلى مُؤْنِسٍ ، فَحَلَفَ على بُطْلانِ ذلكَ ، وَأَسَرَّها مُؤنِسٌ في نَفْسِهِ ، ثمَّ جرى بَيْنَ العامَّةِ وَبَيْنَ بَعْضِ مَماليكِه حربٌ ، فظنَّ أَنَّ ذَلِكَ بأَمْرِ المُقتدرِ ، فَوافَى مُؤنسٌ دارَ الخِلافَةِ في اثْنَيْ عَشَرَ أَلفِ فارِسٍ ، فَدَخَلَ إلى المُقتدرِ ، وقبضَ عليْهِ وعلى والِدَتِهِ

---

(١) هو أَبو عبد اللهِ ، الحسين بن عبد الله بن الحسين ، المعروف بابن الجصَّاص ، التَّاجر الجوهريّ ؛ كان يُنسب إلى الحمق والبله . (الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٨٦ وفوات الوفيات ١/ ٢٧١ وثمار القلوب ٢/ ٦٦١) .

(٢) الإحالة غير دقيقة ، وليس في وفيات الأعيان كلُّ هذا الكلام ! .

السَّيِّدة ، وحَملهما إلى قَصْرِه ، ونَهَبَ الجُنْدُ دَارَ الخِلافَةِ ، وخَلَعَ المقتدرُ نَفسَهُ من الخِلافَةِ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إلى الآفاقِ .

[وأُحْضِرَ محمَّد بن المعتضد ، وبايَعَهُ مُؤنِسٌ والأُمراءُ ، ولقَّبُوهُ « القاهر بالله »[1]] .

فلمَّا كَانَ ثاني يَوم خَلْعِهِ ، شَغبَ الجُنْدُ ، وقَتَلُوا صاحِبَ الشَّرطةِ ، وهربَ ابنُ مُقْلَةَ الوَزيرُ ، وهربَ الحجَّابُ ، وجاءَ المقتدرُ فجلسَ ، وأَحضَرَ أَخاهُ القاهِرَ ، وأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : يا أَخِي ، لا ذَنْبَ لَكَ ؛ فَجَعَلَ القاهِرُ يَقُولُ : اللهَ اللهَ في نَفْسِي يا أَميرَ المؤمنين ؛ فقالَ المقتدرُ : واللهِ وَحَقِّ رسولِ اللهِ ﷺ لا جَرَى عليكَ منِّي سوءٌ أَبَداً .

وعَادَ ابنُ مُقْلَةَ الوَزيرُ ، وكتبَ إلى الآفاقِ بخِلافَةِ المُقتدرِ ، ثمَّ جَرَى بَيْنَ المُقتدرِ وبينَ مُؤنس الخادم حربٌ ، فاقْتَحَمَ المقتدرُ نَهْرَ السَّكران ، فأَحاطَ بهِ جَماعةٌ من البَربَر ، فقتلَه رجلٌ منهم ، وأَخَذُوا رَأْسَهُ وَسَلَبَهُ وثِيابَهُ ، ومَضَوْا إلى مُؤنس الخادم ، فمرَّ بالمقتدرِ رجلٌ مِنَ الأَكرادِ ، فسترَ عَورتَهُ بحشيشٍ ، ودَفَنَهُ وأَخْفَى أَثَرَهُ .

وَكَانَ قتلُهُ يَوْمَ الأَربعاءِ ، لثلاثٍ بَقِينَ من شوَّالٍ ، سنةَ ستَّ عشرةَ وثلاثمئةٍ[2] ، وهو ابْنُ ثَمانٍ وثَلاثِينَ سنةً وشهرٍ .

وكانَتْ خِلافَتُهُ أَرْبَعاً وعِشْرِينَ سنةً وأَحَدَ عَشَرَ شَهْراً ، خُلِعَ فِيها مَرَّتَيْن ، ثمَّ قُتِلَ كما تقدَّم .

● وَحَكَى الذَّهبيُّ[3] : أَنَّ خِلافَتَه كانت خَمساً وعشرين سنةً ، وأَنَّهُ عاشَ

---

(١) الزيادة من تاريخ الخلفاء ٤٥٢ ليستقيم النَّص .

(٢) بل سنة عشرين وثلاثمئة . (مصادر ترجمته) .

(٣) في سير أَعلام النبلاء ١٥/ ٥٥ . وهذه الفقرة إضافة من قارئ .

ثمانياً وثلاثينَ سنةً ، وأَنَّهُ كَانَ مُسْرِفاً ، مُبَذِّراً للمالِ ، ناقِصَ الرَّأْيِ ؛ أَعْطَى جاريةً لَهُ الدُّرَّةَ اليَتيمةَ ، وكَانَ وَزْنُها ثلاثةَ مثاقيل ، وما كانَتْ تُقَوَّمُ[1] .

وقيلَ : إِنَّهُ مَحَقَ من الذَّهبِ ثَمانِينَ أَلفَ أَلف دينارٍ في أَيَّامه .

وأَنَّهُ خَلَّفَ من الأَولادِ عدَّةً ، منهم : الرَّاضي باللهِ ، والمُقتفي باللهِ ، وإِسحاق ، والمُطِيع للهِ .

خِلافَةُ محمَّد القاهر باللهِ[2]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ أَخُوهُ أَبُو مَنْصُور محمَّد بن المعتضدِ باللهِ .

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ ببغدادَ ، لِليلَتَيْن بَقِيَتا من شوَّالٍ .

ولما وليَ الخلافةَ قَبَضَ على ابْنِ أَخيهِ المُكتفِي ، وأَمرَ بِهِ فأُقيمَ في بيتٍ ، وسُدَّ عليه بالآجُرِّ والجِصِّ حتَّى ماتَ غَمّاً ؛ وَقَبضَ على السَّيِّدَةِ أُمِّ المُقتدرِ ، وطالَبَها بمالٍ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَتَهَدَّدَها وَضَرَبَها بيَدِهِ ، وَعَذَّبَها بأَنْوَاعِ العَذَابِ ، وَعَلَّقَها مُنكَّسَةً ، حتَّى كانَ يَجْرِي بَولُها على وَجْهِها ، وهي تَقُولُ لَهُ : أَلَسْتُ أُمَّكَ في كِتابِ اللهِ ؟ وَخَلَّصْتُكَ من ابني في المَرَّةِ الأُولى ؟ وأَنتَ تُعاقِبُني بِهَذِهِ العُقُوبَةِ ، ولَمْ يبقَ عندي مالٌ ! ، ثمَّ إِنَّها ماتَتْ عقبَ ذَلِكَ .

ثمَّ إِنَّ الجُنْدَ شَغَبُوا عليهِ ، وجاؤُوا إِلى دارِهِ ، وهَجَمُوا عليْهِ مِنْ سائِرِ الأَبْوابِ ، فَهَرَبَ إِلى سَطْحِ حَمَّامٍ ، واستترَ فيهِ ، فأَتَوْا إِليهِ ، وقَبَضُوا عَلَيْهِ ، وَحَبَسُوهُ ، وخَلَعُوهُ من الخلافَةِ ، وسَمَلُوا عَيْنَيْهِ ، وذَلِكَ في جُمادَى الآخر سنة اثنتين وعِشرين وثلاثمئة .

---

(١) انظر عن جوهر الخلافة ، ثمار القلوب ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥ .

(٢) **ترجمته وأخباره في** : مروج الذهب ٥/ ٢١٠ وتاريخ بغداد ٢/ ١٩٣ والمنتظم ١٣/ ٣٠٥ والكامل في التاريخ ٨/ ٢٧٩ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٨ والوافي بالوفيات ٢/ ٣٤ ونكت الهميان ٢٣٦ والبداية والنهاية ١٥/ ٦٢ وتاريخ الخلفاء ٤٥٦ وشذرات الذهب ٤/ ٢٠٨ .

● قال ابن البطريق في « تاريخه »[١] : كانَ القاهرُ قدِ ارْتكَبَ أُمُوراً قَبيحةً لَمْ يُسمع بِمِثْلِها في الإِسْلاَمِ ؛ وَذَكَرَ مِنْها طَرَفاً طَويلاً .

حُكي أَنَّ رجلاً قال : صلَّيتُ في جامعِ المَنصورِ ببغدادَ ، فإذا أَنا بإِنسانٍ عليْهِ جُبَّةٌ عُنَّابيَّةٌ ، وقد ذهبَ وَجْهُها وبَقي بَعضُ قُطنِ بِطانَتها ، وهو يقولُ : أَيُّها النَّاسُ ، تَصَدَّقوا عليَّ ، بالأَمس كنتُ أَميرَ المؤمنين ، وأَنا اليوم من فُقراءِ المُسْلمين ؛ فسأَلتُ عنهُ ، فَقيلَ لي : إِنَّه القاهرُ باللهِ .

وفي هذه الحكايةِ أَعظمُ عبرةٍ ، نعوذُ باللهِ من سَخَطِه وزَوالِ نِعَمِه .

وكانَتْ خِلافتهُ ستَّ سنين ، وستَّة أَشهرٍ ، وسبعة أَيامٍ .

وكان أهوجَ طائِشاً ، سفَّاكاً للدِّماءِ ، يُدْمِنُ السُّكْرَ ؛ وكان له حَرْبَةٌ يأْخُذها بيَدِهِ، فلا يَضَعُها حتَّى يقتلَ إِنْساناً؛ ولولا وجودُ الحاجِبِ سلامة لأَهلَكَ النَّاس.

[تُوفِّي سنةَ تسعٍ وثلاثين، في جُمادى الأُولى، عن ثلاثٍ وخَمْسِينَ سنةً][٢].

خِلافَةُ أَبي العبَّاسِ ، أَحمد الرَّاضي بالله بن المُقتدر[٣]

ثمَّ قام بالأَمر بعدَه ابن أَخيه[٤] أَبو العبَّاسِ ، أَحمد الرَّاضِي بالله بن المُقتدر بن المُعتضد .

---

(١) والمسعودي في المروج ٥/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ٤٥٩ ـ ٤٦٠ ، وابن كثير في البداية والنهاية ١٥/ ٧٩ .

(٢) زيادةٌ لازمةٌ من مصادر ترجمته .

(٣) ترجمته وأَخباره في : أَخبار الرَّاضي والمتَّقي ١ وتاريخ بغداد ٢/ ٥٢٠ ومروج الذهب ٥/ ٢١٧ والمنتظم ١٣/ ٣٥٣ والكامل في التاريخ ٨/ ٣٦٦ وسير أَعلام النبلاء ١٥/ ١٠٣ والوافي بالوفيات ٢/ ٢٩٧ وفوات الوفيات ٣/ ٣٢١ والبداية والنهاية ١٥/ ٨٠ و ١٢٧ وتاريخ الخلفاء ٤٦١ وشذرات الذهب ٤/ ١٦٥ .
ـ اسمه محمَّد ، وقيل : أَحمد . والأَوَّل أَشهر .

(٤) في ط : أَخوه ! .

بُويعَ له بالخلافة يومَ خَلْعِ عمِّه القاهر ، واسْتَوْزَرَ أَبا عليّ بن مُقْلَةَ ، وأطلَق كلَّ مَن كان في حَبْسِ القاهِر ؛ ثمَّ استدعى بالأَميرِ محمَّد بن رائق ، وكان بواسِط مُتَغَلِّباً عليها ، لأَنَّ الضَّرورةَ أَلْجَأَتْهُ إِلى ذَلك ، لاضْطِرابِ الأُمُورِ عليه ، ولِضَعف مَن يَلِي الوزارةَ عَنِ القيامِ بها ؛ فقَدِمَ ابنُ رائق بغدادَ ، فجعلَهُ الرَّاضِي أَميرَ الأُمراء ، وفوَّضَ إِليهِ تدبيرَ المَملكةِ ، وَخَلَعَ عليْهِ وأَعطاهُ اللِّواءَ ؛ ومن ذَلِكَ اليومِ بطلَ أَمرُ الوزارةِ ببغدادَ ، ولم يبقَ إِلاَّ اسمُها ، والحُكْمُ لِلأُمَراءِ والمُلوكِ المُتَغَلِّبين .

وَكَانَ قُدُومه لِخَمسٍ بَقينَ من ذِي الحِجَّة ، سنةَ أَربعٍ وعشرين وثلاثمئة .

ثمَّ دخَلتْ سنة خَمسٍ ، والدُّنيا في أَيْدِي المتغلِّبين ، وهم مُلوكُ الأَرْضِ ، وكلُّ مَن حصلَ في يَدِهِ بَلَدٌ مَلَكَهُ ومانَعَ عنه .

فالبَصرةُ وواسِط والأَهواز : في يَدِ عبد الله البَريدي وأَخويه .

وفارسُ : في يَدِ عِمادِ الدَّولة بن بُوَيْه .

والمَوْصِلُ وَدِيارُ بَكر وديارُ رَبيعة وديارُ مُضَر : في يَدِ بَني حَمْدان .

ومصرُ والشَّامُ في يَدِ الإِخْشِيد بن طُغْج .

والمغرِبُ وإِفريقيّة في يدِ المَهديّ .

والأَنْدلسُ في يَدِ بَني أُمَيَّةَ .

وخُراسانُ وما والاها : في يَدِ نَصر بن أَحمد السَّاماني .

واليَمامَةُ وهَجَر والبَحرين : في يَدِ أَبي طاهرٍ القُرمطيّ .

وَطَبَرستان وجُرجان : في يد الدَّيْلَمِ .

ولمْ يبقَ في يدِ الرَّاضِي وابنِ رائقٍ سوى بَغداد وما والاها ، فبطلَتْ دَواوينُ المملكةِ ، ونَقصَ قَدْرُ الخِلافةِ ، وضَعُفَ مُلْكُها ، وعَمَّ الخرابُ لِذلك .

وتوفِّيَ الرَّاضِي ليلةَ السَّبتِ ، خامِس عشرَ ربيعِ الأَوَّل ، سنةَ تسعٍ وعشرين وثلاثمئة بعِلَّةِ الاسْتِسْقَاءِ والتَّشَنُّجِ ؛ وَكَانَ أَكبرُ أَسبابِ عِلَّته من كثرةِ الجِماعِ ؛ وهو ابنُ اثنتين وثلاثين سنةً وأَشهرٍ .

وخِلافته ستُّ سنين وعشرةُ أَشهرٍ .

وَكَانَ سَمْحاً ، جَواداً ، واسِعَ الصَّدْرِ ، أَديباً ، شاعِراً ، حَسنَ البَيانِ .

وقيلَ : إِنَّ عُمره كان اثنتين وثلاثين سنةً ، وخِلافَته ستَّ سنين [وعشرة أَشهر][1] وعشرة أَيَّامٍ .

وكَانَ قَصيراً ، أَسمر ، نَحيفاً ؛ ولَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ مُدَوَّنٌ ، وخطبَ بالنَّاسِ في سامرَّا ، فأَبلغَ وَأَجادَ ؛ ومرضَ أَيَّاماً ثمَّ قاءَ دماً كثيراً وَمَاتَ .

خِلافَةُ إبراهيم المُتَّقِي للهِ[2]

ثمَّ قامَ بالأَمْرِ بعدَهُ أَخُوهُ أَبو إِسحاق[3] إِبراهيم المُتَّقِي للهِ بن المُقتدر بن المُعتضد .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يومَ موتِ أَخيهِ الرَّاضِي ، فصلَّى رَكعتين ، وصعدَ على السَّريرِ .

وَكَانَ ذَا دِينٍ ، وَوَرَعٍ ، ولهذا لقَّبُوهُ المُتَّقي للهِ .

فكانَ تَدبيرُ المَمْلكةِ إِلى الأَميرِ بَجْكَم التُّركيّ ، وليسَ للمُتَّقِي إِلا

---

(١) عن تاريخ بغداد ٢/ ٥٢٠ .

(٢) **ترجمته وأَخباره في** : أَخبار الرَّاضِي والمتَّقي ١٨٧ وتاريخ بغداد ٦/ ٥٥٤ ومروج الذهب ٥/ ٢٣١ والمنتظم ١٤/ ٣ والكامل في التاريخ ٨/ ٣٦٨ وسير أَعلام النبلاء ١٥/ ١٠٤ والوافي بالوفيات ٥/ ٣٤١ ونكت الهميان ٨٧ وفوات الوفيات ١/ ١٧ والبداية والنهاية ١٥/ ١٣١ وتاريخ الخلفاء ٤٦٥ وشذرات الذهب ٤/ ٢٩٧ .

(٣) كنيته في أ ، ط : أَبو العبَّاس !! .

الاسمُ[1] ؛ ثمَّ إِنَّ تُوزون استولى على بغداد ، وخَلعَ المُتَّقِي للهِ ، وسَلَّمَهُ لابْنِ عَمِّهِ المُستكْفِي باللهِ ، فأَخرجَهُ إِلى جزيرةٍ بِقُرْبِ السِّنْدِيَّة ، وكَحله بعد أَن أَشهدَ على نَفْسِهِ بالخَلْعِ ، وذلكَ يومَ السَّبتِ لعشرٍ بَقينَ من صَفرٍ ، سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وثلاثمئة .

وكانت خلافتُه ثلاثَ سِنينَ ، وأَحدَ عَشَرَ شَهراً ؛ وقيلَ : كانت أَربع سِنين ؛ وتوفِّي سنةَ سبعٍ وخَمسينَ وثلاثمئة ، وكَانَ مولده في سنة سبعٍ وتسعين ومئتين ؛ فأَبوه أَكبرُ منه بخَمسَ عشرةَ سنةً .

وَكَانَ كثيرَ الصَّومِ والتَّهَجُّدِ ، يُدْمِنُ التِّلاوَةَ في المُصحفِ ، ولا يشربُ مُسكراً ؛ وعاشَ بعدَ خَلْعِهِ أَربعاً وعشرين سنةً .

خلافة عبد الله المُستكفي بالله بن المُكتفي[2]

ثمَّ قام بالأمر بعده ابنُ عَمِّه ، أَبو القاسم[3] عبدُ الله المُستكفي بالله بن المُكتفي بن المُعتضد .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يومَ خَلْعِ ابنِ عَمِّهِ المُتَّقِي للهِ .

ولمَّا وليَ الخلافَةَ ، خَلَعَ على تُوزون ، وَفَوَّضَ إِليهِ تَدبيرَ المملكةِ .

وفي أَيَّامِهِ قَدِمَ مُعزُّ الدَّولةِ بن بُوَيْه بغداد ، فخَلع عليهِ ، وفَوَّضَ إِليهِ ما وراءَ بابِهِ وضَربَ السِّكَّةَ باسْمِهِ ، وأَمَرَ أَنْ يُخطَب له على المَنابرِ ، ولقَّبَهُ

---

(1) في تاريخ الخلفاء : ولم يَكُنْ لَه سوى الاسم ، والتَّدبير لأَبي عبد الله أَحمد بن عليَّ الكوفي ، كاتب بجكم .

(2) **ترجمته وأَخباره في** : مروج الذهب ٥/ ٢٤٤ وتاريخ بغداد ١١/ ١٧٩ والمنتظم ١٤/ ٤٠ والكامل في التاريخ ٨/ ٤٢٠ وسير أَعلام النبلاء ١٥/ ١١١ والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٢٣ ونكت الهميان ١٨٢ والبداية والنهاية ١٥/ ٢٠١ وتاريخ الخلفاء ٤٦٩ وشذرات الذهب ٤/ ٢٠٢ .

(3) كنيته في أ ، ط : أَبو العبَّاس !! .

بِمُعِزِّ الدَّولةِ ، ولقَّبَ أَخاهُ أَبا الحسنِ عليّاً بعِمادِ الدَّولةِ ، وهو أَكبرُ بَنِي بُوَيْه ـ ولهُ خبرٌ عَجيبٌ ، سيأتِي إِن شاء الله تعالى في « بابِ الحاءِ المُهملةِ » ، في لفظ « الحيَّة » ـ ولقَّب أخاهما أَبا الفَتحِ برُكْنِ الدَّولةِ ، وهو أَوْسَطُهم ـ وَلَهُ خَبرٌ عَجِيبٌ أَيضاً ، يأتِي إِن شاء الله تعالى في « باب الدَّالِ المُهملة » ، في لفظ « الدَّابَّةِ » ـ وَكَانَ قُدومُ معزِّ الدَّولةِ في سَنَةِ أَربعٍ وثلاثينَ وثلاثمئة .

وفيها كانَ خَلْعُ المُستكفي باللهِ ؛ وسببُ ذلكَ أَنَّ مُعِزَّ الدَّولةِ ، بَلَغَهُ أَنَّ المُستكفي قَدْ دَبَّرَ على هلاكِهِ ، فدخلَ على المُستكفي ، وقَبَّلَ الأَرضَ ، ثمَّ قَبَّلَ يَديهِ ، فَطُرِحَ لَهُ كُرسيٌّ ، فجلسَ عليهِ ، ثمَّ تقدَّمَ لديهِ رَجُلانِ من الدَّيلم ، ومَدَّا أَيْدِيهَما إِلى المُستكفي ، فَظَنَّ أَنَّهما يُريدانِ تَقبيلَ يَدِهِ ، فمَدَّها إِليهما ، فَجَذَبَاهُ عَنِ السَّريرِ ، وجَعَلا عِمامَتَهُ في عُنقِهِ ، ثمَّ سُحِبَ إِلى مُعِزِّ الدَّولةِ ، واعْتُقِلَ ، ثمَّ خُلِعَ وسُمِلَتْ عَيْنَاهُ ، وانتُهِبَتْ دارُ الخِلافَةِ حتَّى لَمْ يبقَ فِيها شَيْءٌ ، وَذلكَ لِثَمانٍ بَقينَ من جُمادَى الآخرة ، سنةَ أَربع وثلاثين وثلاثمئة .

وتوفيَ مُعِزُّ الدَّولةِ في سنة ثلاثٍ وأَربعينَ وثلاثمئة ، وهو ابنُ سِتٍّ وأَربعينَ سنةً .

وكانَتْ خِلافَتُهُ سنةً وأَربعة شُهورٍ .

خِلافَةُ أَبي القاسِم ، الفَضل ، المُطِيع للهِ بن المُقتدرِ[1]

وهو السَّادِسُ ، فَخُلِعَ .

ثمَّ قَامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُ عَمِّهِ أَبُو القاسم الفضل ، المُطيع للهِ بنْ المُقتدرِ بن المُعتضدِ .

---

(١) ترجمته وأَخباره في: مروج الذهب ٥/ ٢٥٩ وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٥٦ والمنتظم ١٤/ ٤٦ والكامل في التاريخ ٨/ ٤٥١ وسير أَعلام النبلاء ١٥/ ١١٣ والوافي بالوفيات ٢٤/ ٣٠ وفوات الوفيات ٣/ ١٨٢ والبداية والنهاية ١٥/ ١٦٨ وتاريخ الخلفاء ٤٧١ وشذرات الذهب ٤/ ٣٤١ .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ ، ولهُ يومَئذٍ أَربعٌ وثلاثُونَ سنةً ، يومَ خَلْعِ ابنِ عَمِّهِ المُستكفي باللهِ ، وَصَارَ تَدبيرُ المَملكَةِ إلى مُعِزِّ الدَّولةِ بن بُوَيْه .

وفي أَيَّامِهِ توفِّيَ مُعِزُّ الدَّولةِ ببغدادَ ، في سنةِ سِتٍّ وخَمسينَ وثلاثمئة ، وكانت مُدَّةُ مُلكه بالعِراقِ إحدى وعِشرين سنةً ، وأَحدَ عشرَ شَهراً .

وَكَانَ مَلِكاً شُجاعاً ، مِقْداماً ، قَويَّ القلبِ ، إلاَّ أَنَّهُ كَانَ في أَخلاقِهِ شَراسَةٌ ، فما زَالتِ التَّجارِبُ تُحَنِّكُهُ ، والسَّعادَةُ تَخدمُهُ وَتَرفَعه ، إلى أَنْ بَلَغَ الغايةَ التي لم يبلغْها قبلَه أَحدٌ في الإسلامِ إلاَّ الخُلفاءُ .

ولمَّا توفِّيَ قامَ ولدُه عزُّ الدَّولةِ بُخْتِيار بتَدبيرِ المَملكَةِ ، وقلَّده المُطيعُ للهِ مَوضعَ والدِهِ ، وخلعَ عليهِ ، واستقلَّ بالأُمورِ .

وفي أَيَّامِهِ أَيضاً تُوفِّيَ كافُور الإِخْشيديّ صاحبُ مِصر ، في سنةِ ثَمانٍ وخَمسينَ وثلاثمئة ، وكانتْ مُدَّةُ مُلكِهِ اثنتين وعِشرين سنةً .

وفيها قَدِمَ جَوهرُ القائدُ ـ غُلامُ المعزِّ لدينِ اللهِ صاحبِ القَيْرَوان ـ مصرَ ، فأَقَامَ الدَّعوةَ بِها للمُعِزِّ لدينِ اللهِ ، وبايَعه بِها النَّاسُ على ذَلك ، وانقطعَتِ الخطبةُ بمصرَ عن بني العبَّاسِ ؛ وشرعَ جوهرُ القائدُ في بناءِ القاهرةِ لإسْكَانِ الجُنْدِ بِها ؛ ثمَّ دخلَ المعزُّ لدِينِ اللهِ مصرَ لثَمانٍ مَضين من شهر رمضان ، سنةَ اثنتين وستِّينَ وثلاثمئة ؛ وهو أَوَّلُ الخُلفاءِ الفاطِمِيِّينَ بمِصرَ .

ولَمَّا تَغَلَّبَ سُبكتكين التُّركيّ على بَغداد ، وكَانَ أَكبرَ حُجَّابِ مُعِزِّ الدَّولةِ ، ولَمْ تَزَلْ مَنزلته ترتفعُ عندَ مُعِزِّ الدَّولةِ حتَّى عَظُمَ أَمرُهُ ونفذتْ كلمتُه ، خافَ المُطِيعُ للهِ منهُ على نَفسِهِ ، وانْضَافَ إلى ذَلِكَ مرضٌ لازَمَهُ ، فخَلَعَ نفسَه من الخِلافةِ طائِعاً ، وسَلَّمها لولَدِهِ عبد الكريم ـ وقيل : أَبي بكرٍ ، وقيلَ : إنَّها كُنيتُهُ[١] ـ وسَمَّاهُ الطائعَ للهِ ؛ وذلكَ لثلاثَ عشرةَ ليلةً خَلَت من ذِي القَعدة ،

(١) هي كنيته كما سيأتي .

سنةَ ثلاثٍ وستِّينَ وثلاثمئة ، ثمَّ توفِّيَ بدَير العاقولِ ، سنة أَربعٍ وسِتِّينَ وثلاثمئة .

وكانَ بين خَلعه ومَوته شَهران ؛ وكَانَ عُمره ثلاثاً وستِّينَ سَنَةً .

وكَانَ وَطِيءَ الجانب ، كثير الصَّدقاتِ ، غيرَ أَنَّهُ كَانَ مَغلوباً على أَمرهِ ، وليس له من الخلافة إلاَّ الاسمُ .

وكانَتْ خِلافتُه تسعاً وعِشرينَ سنةً وأَربعةَ شهورٍ ، رحمةُ الله تعالى عليه .

خِلافَةُ أَبي بكرٍ عبد الكريمِ ، الطَّائِع للهِ[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ولدُهُ عبدُ الكريم أَبو بَكرٍ ، الطَّائعُ للهِ .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يومَ خَلَعَ أَبوهُ نَفْسَهُ من الخِلافَةِ ، وعُمرهُ سبعٌ وأَربعونَ سنةً ، ولَمْ يَلِ الخِلافَةَ من بَنِي العبَّاسِ مَن هو أَكبرُ منهُ سِنّاً .

قالَ صاحِبُ « رَأْسِ مالِ النَّدِيمِ »[2] : إِنَّه لم يتقلَّدِ الخلافَةَ من أَبُوهُ حَيٌّ ، سِوَى الطَّائِع للهِ والصِّدِّيق رضيَ الله تعالى عنه ، وكِلاهما اسمُه أَبو بَكرٍ ، وهو السَّادسُ فَخُلِعَ ، كما سيأْتِي إِنْ شاء الله تعالَى ؛ وذلك إذا لَمْ يُعَدَّ ابنُ المعتزِّ ، وإِنْ عُدَّ فَالمُطيع هوَ السَّادسُ ، وقَدْ خَلَعَ نفسَه لمَّا حصَلَ له مِنَ الفالِجِ .

ولمَّا وليَ ـ أَعني الطَّائع ـ خلعَ على سُبكتكين التُّركيّ ، وولاَّهُ مَا وَراءَ بابِهِ .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : تاريخ بغداد ١٢/ ٣٥٩ والمنتظم ١٤/ ٢٢٥ والكامل في التاريخ ٨/ ٦٣٧ وسير أَعلام النبلاء ١٥/ ١١٨ والوافي بالوفيات ١٩/ ٨٦ ونكت الهميان ١٩٦ وفوات الوفيات ٢/ ٣٧٥ والبداية والنهاية ١٥/ ٣٤٥ وتاريخ الخلفاء ٤٧٩ وشذرات الذهب ٤/ ٤٩٨ .

(٢) رأس مال النديم : في التاريخ ، لأَبي العبَّاس أَحمد بن عليّ بن بابه ، المتوفي سنة ٥١٠هـ . (إِيضاح المكنون ١/ ٥٤٦) .

وفي أَيَّامِ الطَّائِعِ ، استولى المَلِكُ عضدُ الدَّولةِ بن رُكْنِ الدَّولةِ بن بُوَيْه على بَغداد ومَلَكَها ، فَخَلَعَ عليهِ الطَّائعُ للهِ الخِلَعَ السُّلطانيَّة ، وتَوَّجَهُ وطَوَّقَهُ وسَوَّرَهُ ، وعقَد له لِواءَين ، وولاَّهُ مَا وراءَ بابِهِ .

وتَسلَّم عضدُ الدَّولة الوزيرَ أَبا طاهر بن بَقِيَّةَ[1] ـ وزير عِزِّ الدَّولة ـ فقَتله وَصلَبه ، فَرثاهُ أَبو الحسنِ بن الأَنباريّ[2] بمرثيةٍ لَمْ يُسمعْ في مَصلوبٍ مثلُها ، فلْنَأْتِ بها ، وهي هَذِهِ[3] : [من الوافر]

عُلُـوٌّ فـي الحَيـاةِ وَفـي المَمَـاتِ ... لَحَـقٌّ أَنْـتَ إِحْـدى المُعْجِـزاتِ

كَـأَنَّ النَّـاسَ حَـوْلَـكَ إِذْ أَقـامُـوا ... وُفـودُ نَـداكَ أَيَّـامَ الصِّـلاتِ[4]

كَـأَنَّـكَ قـائِـمٌ فِيهِـمْ خَطيبـاً ... وَكُلُّهُـمُ قِيـامٌ لِلصَّـلاةِ

مَـدَدْتَ يَـدَيْـكَ نَحْـوَهُـمُ احْتِفَـاءً ... كَمَـدِّهِمـا إِلَيهِـمْ بِـالهِبـاتِ

وَلَمَّـا ضَـاقَ بَطْـنُ الأَرْضِ عَـن أَن ... يَضُـمَّ عُـلاكَ مِـن بَعْـدِ المَمـاتِ

أَصـارُوا الجَـوَّ قَبْـرَكَ واسْتَعـاضـوا ... عَـنِ الأَكْفَـانِ ثَـوْبَ السَّـافِيـاتِ

لِعُظْمِـكَ فـي النُّفُـوسِ تَبيتُ تُـرْعـى ... بِحُـرَّاسٍ وَحُفَّـاظٍ ثِقَـاتِ

وَتُـوقَـدُ حَـوْلَـكَ النِّيْـرَانُ قِـدْمـاً ... كَـذَلِـكَ كُنْـتَ أَيَّـامَ الحَيـاةِ[5]

---

(١) هو الوزير أَبو طاهر محمد بن محمد بن بقيَّة بن عليّ ، الملقب نصير الدَّولة ؛ كان من جلَّة الرؤساء وأَكابر الوزراء ؛ قتل وصلب سنة ٣٦٧ هـ . (ابن خلكان ٥/ ١١٨ ونكت الهميان ٢٧١) .

(٢) أَبو الحسن ، محمد بن عمر بن يعقوب ، الأَنباريّ ؛ شاعر مقلٌّ ، رثى ابن بقيَّة حين صلب . (تاريخ بغداد ٤/ ٥٦ ويتيمة الدهر ٢/ ٣٧٣) .

(٣) القصيدة في : أَسرار البلاغة ٣٤٦ ويتيمة الدهر ٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥ ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٦ ووفيات الأَعيان ٥/ ١٢٠ والوافي بالوفيات ١/ ١٠١ ونكت الهميان ٢٧٢ .
وبعضها في التذكرة الحمدونية ٥/ ٣٨٤ والثاني والثالث في معاهد التنصيص ٢/ ٥٠ .

(٤) في أ : . . حين قاموا × .

(٥) في أ : . . ليلاً × .

رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِن قَبلُ زَيْدٌ   عَلاها في السِّنينِ الماضِياتِ[1]
وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيها تَأَسٍّ   تُباعِدُ عَنْكَ تَعْيِيرَ العُداةِ[2]
وَلَمْ أَرَ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعاً   تَمَكَّنَ مِنْ عِناقِ المَكْرُماتِ
أَسَأْتَ إِلى النَّوائِبِ فاسْتَثارَتْ   فَأَنْتَ قَتيلُ ثَأْرِ النَّائِبَاتِ
وَكُنْتَ تُجيرُنا مِنْ صَرْفِ دَهْرٍ   فَعادَ مُطالِباً لَكَ بالتِّراتِ
وَصَيَّرَ دَهْرُكَ الإِحْسانَ فيهِ   إِلَيْنا مِنْ عَظيمِ السَّيِّئاتِ
وَكُنْتَ لِمَعْشَرٍ سَعْداً فَلَمَّا   مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بالمُنْحِساتِ
غَليلٌ باطِنٌ لَكَ في فُؤادِي   حَقيقٌ بالدُّموعِ الجارِياتِ
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ على قِيامٍ   بِفَرْضِكَ والحُقُوقِ الواجِباتِ
مَلأْتُ الأَرْضَ مِنْ نَظْمِ القَوافِي   وَنُحْتُ بِها خِلافَ النَّائِحاتِ
وَلَكِنِّي أُصَبِّرُ عَنْكَ نَفْسي   مَخافَةَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الجُناةِ
وَما لَكَ تُرْبَةٌ فَأَقُولَ تُسْقَى   لأَنَّكَ نَصْبُ هَطْلِ الهاطِلاتِ
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَتْرَى   بِرَحْماتٍ غَوادٍ رائِحاتِ

● وتُوفِّيَ الملكُ عَضُدُ الدَّولةِ بن بُوَيْه في ذِي الحِجَّةِ ، سنةَ اثنتين وسَبعين وثلاثمئة ، وهو ابن تسعٍ وأَربعين سنةً وأَحَدَ عشرَ شَهراً ؛ وَكَانَ لَهُ مُلك العِراقِ وكَرمان وعُمان وخُوزسْتان والمَوْصِل وديار بكرٍ وحَرَّان ومَنْبج ؛ وَكانَتْ مُدَّةُ مُلكِهِ ببغدادَ خَمسَ سِنين ، وكَانَ مِلكاً فاضِلاً ، جَليلاً عَظيماً ، مُهاباً ، صارِماً ، كَريماً ، شُجاعاً ، ذَكِيّاً ؛ ولَهُ في الذَّكاءِ أَخبارٌ عَجِيبَةٌ ، وَنُكَتٌ غَريبَةٌ ، لَيْسَ هذا مَوضِعُ ذِكْرِها .

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَسَمَّى بِمَلِكٍ في الإِسلامِ ؛ ولمَّا احتُضِرَ جعلَ يَقُولُ : ﴿ مَآ

---

(١) إشارة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، صلبه يوسف بن عمر الثقفي والي العراقين بكناسة الكوفة ، أيام هشام بن عبد الملك . (وفيات الأعيان ٥/ ١٢٢) .

(٢) في أ : × يباعد . . .

أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة : ٢٨ ـ ٢٩] ويُرَدِّدُها حتَّى مَاتَ .

ولَمَّا مَاتَ كُتِمَ مَوْته ، ودُفن بدَارِ المَملكَةِ ببغدادَ ، ثمَّ ظَهَرَ مَوته ، وأُخرجَ من قَبره ، وَحُملَ إِلى مشهدِ أَميرِ المؤمنين عليّ بن أَبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه ، فَدُفِنَ بِهِ ؛ وكَانَ عضدُ الدَّولة قد بَنى المشهدَ قبلَ موتِهِ ، كما سيأْتِي ذكره إِنْ شاءَ الله تَعالى في « بابِ الفاءِ » في لَفْظِ « الفهد » .

● وَمِمَّا يُحكى أَنَّ عضدَ الدَّولةِ خَرَجَ يوماً إِلى بُستانٍ لَهُ مُتنزِّهاً ، فقالَ : ما أَطيبَ يومَنا هذا ، لو ساعَدَنا فِيهِ الغيثُ ؛ فَجَاءَ المطرُ في الوَقْتِ ، فقَالَ[1] : [من الرَّمل]

لَيْسَ شُرْبُ الرَّاحِ إِلاَّ في المَطَرْ ... وَغِنَاءٌ مِن جَوارٍ في السَّحَرْ
نَاعِمَاتٍ سَالِبَاتٍ لِلنُّهَى ... نَاغِمَاتٍ في تَضَاعِيفِ الوَتَرْ
مُبْرِزاتِ الكَأْسِ مِنْ مَطْلَعِها ... سَاقِيَاتِ الرَّاحِ مَنْ فَاقَ البَشَرْ
عَضُدَ الدَّوْلَةِ وابْنَ رُكْنِها ... مَلِكَ الأَمْلاكِ غَلاَّبَ القَدَرْ
سَهَّلَ اللهُ لَهُ بُغْيَتَهُ ... فِي مُلُوكِ الأَرْضِ مَا دَارَ القَمَرْ
وَأَرَاهُ الخَيْرَ فِي أَوْلادِهِ ... لِيُسَاسَ المُلْكُ مِنْهُمْ بِالغُرَرْ

فلَمْ يُفْلِحْ بعدَ هذه الأَبياتِ ، وعُوجِلَ بقَولِهِ : غَلاَّب القَدَر .

ولمَّا مَاتَ عضدُ الدَّولةِ قامَ بتَدبيرِ المملكةِ بعدَهُ وَلَده بَهاءُ الدَّولة ، فَخَلَعَ عليْهِ الطَّائعُ للهِ وقلَّدَه ما كان بيدِ أَبيه ؛ ثمَّ إِنَّ بَهاءَ الدَّولةِ أَمْسَكَ الطَّائعَ للهِ واعتقلَهُ ، وَنَهَبَ دَارَ الخِلافَةِ ، ثمَّ أَشْهَدَ على الطَّائعِ بِخَلْعِ نَفْسِهِ من الخِلافَةِ ، وَذَلِكَ في شهرِ شَعبان ، سنةَ إِحدى وثَمانين وثلاثمئة ؛ وَأَقَامَ مخلوعاً مُعتقَلاً

---

(١) الأَبيات في : يتيمة الدهر ٢/٢١٨ والمنتظم ١٤/٢٩٣ ـ ٢٩٤ ووفيات الأَعيان ٤/٥٤ وسير أَعلام النبلاء ٦/٢٥٠ والبداية والنهاية ١٥/٤١٣ ومعاهد التنصيص ٣/٣٤ وهي أَبيات كفريَّة ؛ كما قَالَ الإِمام الذهبي في السِّير .

إلى أَنْ تُوفِّي ، ليلةَ عيدِ الفطرِ ، سنةَ ثلاثٍ وتسعين وثلاثمئة .

وكانَتْ خِلافتُه سبعَ عشرةَ سنةً ، وتِسعةَ أَشهرٍ ؛ وعُمرُهُ ثَمانٍ وسبعونَ سنةً .

وَكَانَ مَربوعاً ، أَشقرَ ، كبيرَ الأَنْفِ ، شديدَ القُوَّةِ ، في خُلُقِه حِدَّةٌ ، كَرِيماً ، شُجاعاً ، بَطَلاً ، جَواداً ، سَمْحاً إِلاَّ أَنَّ يَدَهُ كانَتْ قصيرةً مع مُلُوكِ بَنِي بُوَيْه ، رحمةُ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ .

خلافة أَبي العبَّاسِ أَحمد ، القادر باللهِ بن إِسحاق[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمرِ بعدَهُ ، أَبُو العبَّاس أَحمد بن إِسحاق بن المُقتدر بن المعتضد .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ ليلةَ خَلْعِ الطائِعِ للهِ ، وعُمرُهُ يومئذٍ أَربعٌ وأَربعُونَ سنةً .

وَكَانَ كَثيرَ البِرِّ والصَّدَقَاتِ ، مُريداً لِلفُقَراءِ ، مُؤثراً للتَّبرُّكِ بِهم ، لكنَّهُ كَانَ مَقهوراً على أَمْرِهِ .

وتوفِّيَ في ذِي القَعدة ـ ويُقال في ليلةِ الأَضْحى ، ويُقالُ : ليلةَ الحادِي عشرَ من ذِي الحجَّة ـ سنةَ اثنتين وعشرين وأَربعمئة ، وهو ابنُ ستٍّ وثَمانينَ سنةً ، وكانت خلافته إِحدى وأَربعين سنةً وشُهوراً . قيل : هي ثلاثة ؛ وقيل : إِنَّه كانَ ابن سبعٍ وثَمانين سنة .

وكان أَبيضَ ، طويلَ اللِّحيَةِ ، كبيرَها ، يَخضِبُها لِشَيبِهِ ؛ وَكَانَ دائِمَ التَّهَجُّدِ ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ ، من الدِّيانَةِ على عِفَّةٍ اشتُهِرَتْ عليهِ .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : تاريخ بغداد ٥/ ٦١ والمنتظم ١٥/ ٢٢٠ والكامل في التاريخ ٩/ ٨٠ و ٤١٤ وسير أَعلام النبلاء ١٥/ ١١٨ والوافي بالوفيات ٦/ ٢٣٩ وفوات الوفيات ١/ ٥٨ وطبقات الشافعية لابن الصَّلاح ١/ ٣٢٤ والبداية والنهاية ١٥/ ٤٣٧ وتاريخ الخلفاء ٤٨٥ وشذرات الذهب ٥/ ١١٠ .

لَهُ مُصَنَّفٌ فِي السُّنَّةِ وَذَمِّ المُعتزلةِ والرَّوافِضِ ؛ وَكَانَ يُقرأُ[1] في كلِّ جُمعَةٍ مَرَّةً ، ويَحضرُهُ النَّاسُ .

خِلافَةُ أَبي جَعفر عبد الله القائم بِأَمْرِ الله بن القادر بالله[2]

ثمَّ قَامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُه أَبو جعفر ، عبد الله القائمُ بِأَمرِ الله بن القادر .

بُويع له بالخلافةِ يومَ موتِ والدِه .

وَفِي أَيَّامِهِ كان ابتداءُ دولةِ السَّلاطينِ السَّلجوقِيَّة، وانْقراضُ دَولةِ بني بُوَيْه ، وكانت مُدَّةُ مُلْكِهم مئة سنة وسَبعاً وعشرين سنةً ، وذلكَ في سنةِ ثلاثينَ وأَربعمئة؛ ذكر ذلك ابنُ البِطريق في «تاريخه» في حوادِثِ سنة ستٍّ وأَربعين .

وَكَانَ القائِمُ بأَمرِ الله أَبيضَ اللَّوْنِ ، مَلِيحَ الوَجْهِ ، مُشْرَباً بحُمرةٍ ، وَرِعاً ، زَاهِداً ، عابِداً ، مُرِيداً لِقَضاءِ حوائِجِ المُسلِمين ، مُوَقِّراً لأَهْلِ العلمِ ، مُعتقِداً في الفُقَراءِ والصَّالِحينَ ، حَسَنَ الطَّوِيَّةِ ، ولَمْ يُقِمْ أَحدٌ في الخِلافَةِ قَدْرَ إِقامَتِه ؛ وكان كَثِيرَ الصَّدقةِ ، لَهُ فَضلٌ وعلمٌ ، من خِيارِ الخلفاءِ ، لا سيَّما بعد عَودِهِ للخِلافَةِ في نَوْبَةِ البَساسيريّ ، فإِنَّهُ صارَ يُكثرُ الصِّيامَ والتَّهَجُّدَ ، وَمَا كَانَ يَنامُ إِلاَّ على سَجَّادَةٍ ، وَمَا تَجَرَّدَ من ثِيابِهِ لِنَومٍ قطُّ .

---

(١) في ط : وَكانَ يقرأ القُرآن !! . قال الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٦٢ ، وعنه ابن الصَّلاح في طبقات الشافعية ١/ ٣٢٥ :
وكَانَ صنَّف كتاباً في **الأُصول** ، ذكر فيه فضائل الصَّحابة على ترتيب مذهب أَصحاب الحديث ، وأَورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز ، وإِكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن ؛ وكان الكتاب يُقرأُ كلَّ جمعةٍ في حلقة أَصحاب الحديث بجامع المهديّ ، ويحضر النَّاس سماعه .

(٢) **ترجمته وأَخباره في** : تاريخ بغداد ١١/ ٤٧ والمنتظم ١٥/ ١٦٨ والكامل في التاريخ ١٠/ ٩٤ وسير أَعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٧ والوافي بالوفيات ١٧/ ٢٠ وفوات الوفيات ٢/ ١٥٧ والبداية والنهاية ١٦/ ٤٧ وتاريخ الخلفاء ٤٩٢ وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٥ .

وتوفِّيَ القائِمُ بأَمرِ اللهِ في سنةِ سبعٍ وستِّين وأَربعمئةٍ ، لعشرِ لَيالٍ مضَت من شَعبان .

وَكَانَتْ خلافَتُه أَربعاً وأَربعينَ سنةً ، وثمانية أَشْهُرٍ . وقيلَ : تسعة أَشهرٍ ، وقيلَ : خَمساً وأَربعينَ سنةً .

وأُمُّهُ أَرْمَنِيَّةٌ ؛ رحمهُ اللهُ تعالى .

خِلافَةُ أَبي القاسِم [عبد الله] المُقتدي بأَمرِ اللهِ بن محمَّد بن القائم بأَمرِ اللهِ[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ولدُ وَلدِه ، أَبو القاسم عبد الله المقتدي بأمر الله بن محمَّد بن القائم بأَمر الله .

بُويع له بالخِلافةِ يومَ وفاةِ جَدِّهِ القائمِ بأَمرِ اللهِ ، في ثالث عشر شَعبان ، سنةَ سبعٍ وستِّينَ وأَربعمئة ؛ وذَلِكَ أَنَّ جَدَّهُ كانَ لَمَّا مَرِضَ افتُصِدَ ، فانْفَجَرَ فِصادُهُ وخرجَ منهُ دمٌ عظيمٌ ، فخارَتْ قُوَّتُهُ ، وعجزَ ، فطلبَ ابنَ ابنِه ، وعهدَ إِليهِ بالأَمرِ ، وَلَقَّبَه المُقتدي بأَمرِ اللهِ ، بمحضرٍ من الأَئِمَّةِ والعُلَماءِ .

وكان وُلِدَ بعد موتِ أَبيه ذَخيرة الدِّين بستَّةِ أَشهرٍ .

وَعَمُرَتْ بغدادُ في أَيَّامِهِ ، وخُطِبَ لَهُ بالحِجَازِ واليَمَنِ والشَّامِ .

● حُكي[2] أَنَّ المُقتدي قُدِّمَ إِليهِ يوماً طعامٌ ، فتناوَلَ منهُ ، وغسلَ يَديه ، وهو على أَكْمَلِ حالٍ ، وأَحسنِ هيئَةٍ في نَفْسِه وجِسمِه ، وبَيْنَ يَدَيْهِ قَهرمانتُه شَمس ، فقال لها : مَا هَذِهِ الأَشخاصُ الَّذينَ دَخَلُوا بغيرِ إِذنٍ ؟ فالتفَتَت فلَمْ تَرَ أَحَداً ، ثمَّ نظرَت إِليه فرأَته قَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُه ، واسْتَرْخَتْ يَداهُ ، وانْحَلَّت قُواه ،

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المنتظم ١٧/ ١٤ والكامل في التاريخ ١٠/ ٩٤ وسير أَعلام النبلاء ٨/ ٣١٨ والوافي بالوفيات ٧/ ٤٦٧ وفوات الوفيات ٢/ ٢١٩ والبداية والنهاية ١٦/ ١٤١ وتاريخ الخلفاء ٤٩٩ وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٣ .

(٢) المنتظم ١٧/ ١٠ والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٢٩ والبداية والنهاية ١٦/ ١٤٠ .

وسقطَ إِلى الأَرضِ ؛ فظنَّت أَنَّهُ قَدْ غُشِيَ عليْهِ ، فإِذا هُوَ قَدْ مَاتَ ؛ فأَمْسَكَتْ نفسَها عَنِ البُكَاءِ ، واستدْعَت الخادِمَ ، فاسْتَدعى الوزيرَ أَبا مَنصورٍ ، فَبَكِيَا ، وأَحضرا أَبَا العَبَّاس أَحمد المُستظهر بن المُقتدي ـ وَكَانَ قد عهدَ إِليهِ أَبُوهُ ـ فَعَزَّيَاهُ وهَنَّآهُ ، وَكَانُ عمرُهُ ثلاثاً وثَلاثينَ سنةً .

وكانت خِلافَتُهُ تسعَ عشرةَ سنةً وأَشهراً . قيلَ : هي ثلاثةٌ . وقيلَ : إِنَّ عُمره كانَ تِسعاً وثَلاثِينَ سنةً .

وَكَانَ مَوْتُه في المُحرَّم ، سنةَ سبعٍ وثَمانِينَ وأَربعمئة ، ويُقالُ : إِنَّ جارِيَتَهُ سَمَّتْهُ .

وَقَدْ كَانَ السُّلطانُ[1] صَمَّمَ على إِخراجِهِ من بغدادَ إِلى البصرة ؛ وكانت حُرمته وافرةً ، بِخلافِ مَنْ كَانَ قَبلَهُ مِنَ الخُلَفاءِ ، رحمهُ اللهُ تَعالَى .

خِلافَةُ المُستظهر باللهِ أَبي العبَّاسِ أَحمد [بن المُقتدي][2]

ثم قام بالأَمر بَعده ابنُه المُستظهر بالله أَبي العبَّاسِ أَحمد .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ مَوْتِ أَبيهِ بعهدٍ منهُ ؛ وكانَ مولِدُهُ في سنةِ سَبعين وأَربعمئة .

وَكَانَ المُستظهرُ كَرِيمَ الأَخلاقِ ، سَخِيَّ النَّفْسِ ، مُحِبّاً للعُلماءِ ، حافِظاً للقُرآنِ ، مُنْكِراً للظُّلْمِ ؛ وكَانَ لَيِّنَ الجانِب ، مُحِبّاً للخيرِ ، جَيِّدَ الأَدَبِ والفَضِيلَةِ ، قَويَّ الكِتابَةِ ، مُسارعاً في أَعمالِ البِرِّ .

تُوفِّيَ لسبعٍ بَقينَ من شهرِ ربيعِ الآخر ، سنةَ اثنتي عشرةَ وخَمسمئة ، وله

---

(١) هو السُّلطان ملكشاه بن أَلب أَرسلان السَّلجوقيّ .

(٢) تَرجمته وأَخباره في : المنتظم ١٧/ ١٦٥ والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٣١ و ٥٣٤ وسير أَعلام النبلاء ١٩/ ٣٩٦ والوافي بالوفيات ٧/ ١١٥ وفوات الوفيات ١/ ٨٨ والبداية والنهاية ١٦/ ٢٣٦ وتاريخ الخلفاء ٥٠٣ وشذرات الذهب ٦/ ٥٤ .

إِحدى وأَربعُونَ سنةً ؛ وقيلَ : اثنتان وأَربعون ، أَو ثَلاث ، بِعِلَّةِ التَّراقي ، وهي الخوانِيق .

وخَلَّفَ أَولاداً عِدَّةً ؛ وتُوفِّيَتْ جَدَّتُهُ أُرجوان بعدَهُ بيسيرٍ ، في خلافَةِ ابنِهِ المُسترشدِ ، وهي سرِّيَّة محمَّد الذَّخيرة .

وكانت خِلافتُهُ أَربعاً ، وقيلَ : خَمساً وعشرينَ سنةً وثلاثة أَشهرٍ ، رحمه الله تَعالى .

خِلافَةُ أَبي منصور الفَضْل ، المُسترشد بالله بن المُستظهر[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ابنُه أَبو منصور الفَضْل ، المُسترشِد بالله بن المُستظهر بالله .

بُويعَ له بالخِلافةِ يومَ مَوتِ والدهِ بعهدٍ من أَبيهِ ، وسِنُّهُ سبعٌ وعشرون سنةً .

ورُوِيَ أَنَّهُ وردَ إِليهِ رُسُلٌ ، فَجَلَسَ لَهم في جَماعَةٍ من أَهلِ بيتِهِ ، فلمَّا أَحضروهم بينَ يَديهِ ، هجمَ عليه الفِداوِيَّةُ بالسَّكاكِينِ ، فقَتلوه وقَتلوا معه جماعةً من أَصحابِهِ .

يُقَالُ : إِنَّ مَسعوداً عمَّ[2] السُّلطان مَحمود جَهَّزَ عليه الفِداوِيَّةَ[3] وذلِكَ في سابِعِ عشر ذي القعدة ، سنةَ تسعٍ وعشرين وخَمسمئةٍ .

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المنتظم ١٧/ ٣٠٤ وذيل ابن النجار ٥/ ٢٣٠ والكامل في التاريخ ١١/ ٢٧ وسير أَعلام النبلاء ١٩/ ٥٦١ وطبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٢٥٧ والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٩ وفوات الوفيات ٣/ ١٧٩ وطبقات الشافعية لابن الصّلاح ٢/ ٦٥٨ والبداية والنهاية ١٦/ ٢٣٧ و ٣٠٥ ، وتاريخ الخلفاء ٥٠٩ ، وشذرات الذهب ٦/ ١٤٣ .

(٢) في ط : أَخا السلطان ! . والواقع أَنَّ مسعوداً هو عمُّ السُّلطان محمود بن محمَّد بن ملكشاه السلجوقي .

(٣) الفداويّة : قومٌ من الباطنيَّة الحشَّاشين ، أَتباع الحسن بن الصباح صاحب قلعة أَلموت .

وكانت خلافتُه سبعَ عشرةَ سنةً ، وثَمانية شُهُورٍ ـ وقيلَ : سبعة أَو ستَّةُ أَشهرٍ ـ وعاشَ أَربعاً وأَربعين سنةً ـ وقيل : خَمساً وأَربعين ـ ولم يَلِ الخلافَةَ بعدَ المُعتضِد باللهِ أَشْهَمَ منهُ .

وكان بَطَلاً شُجاعاً ، مِقْداماً ، شَديدَ الهَيْبَةِ ، ذا رَأْيٍ وفِطنةٍ ، وهِمَّةٍ عاليَةٍ ، ضَبَطَ الأُمورَ ، وَأَحْيَا مَجْدَ بَني العَبَّاس ، وجاهَدَ غيرَ مرَّةٍ .

خِلافَةُ أَبي جَعفر ، منصور الرَّاشد بالله [بن المسترشد][1]

وهُوَ السَّادِسُ ، فخُلِعَ كما سيأْتِي[2] .

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ـ يعني المُسترشِدَ ـ ابنه أَبو جعفر ، منصور الرّاشد بالله[3] بن المُسترشد بن المُستظهر .

بُويع له بالخلافة يومَ موتِ أَبيه بعهدٍ منه ، فمكثَ ما شاءَ الله ، ثمَّ وقعَ بينَه وبين السُّلْطانِ مَسعود ، فاستَخدمَ الرَّاشِدُ أَجناداً كثيرةً ، وَتَهيَّأَ لِلقائِه ؛ فَكَاتَبَ السُّلطانُ مَسعود أَتابك زَنْكي ، واسْتَمالَهُ ، وكَذَلِكَ فَعَلَ بأَرقُش ، فأَشارا على الرَّاشد بالتَّوقُّفِ ، وأَقبلَ السُّلطانُ مَسعودٌ بجُيُوشِهِ ، فَدَخلَ بغدادَ في ذِي القَعدةِ ـ وقيلَ : في ذِي الحِجَّةِ ـ سنةَ ثلاثين وخَمسمئة ، فَنهبَ دُورَ الجُنْدِ ، ومَنعَ من نَهبِ البَلدِ ، واسْتَمالَ الرَّعِيَّةَ ، وَأَحْضَرَ القُضاةُ والشُّهود فقَدحُوا في الرَّاشِدِ بأَنَّهُ صدرَتْ منه سيرةٌ قَبيحةٌ ، من سَفكِ الدِّماءِ المحرَّمَة ، وارتِكابِ المَكرُوهاتِ ،

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المنتظم ١٧/ ٣٣٢ والكامل في التاريخ ١١/ ٢٧ وسير أَعلام النبلاء ١٩/ ٥٦٨ ، وفوات الوفيات ٤/ ١٦٨ والبداية والنهاية ١٦/ ٣٠٦ و ٣١٨ وتاريخ الخلفاء ٥١٤ وشذرات الذهب ٦/ ١٦٥ .
ـ في ط ، أ : أَبو منصور ، جعفر الراشد بالله !! .

(٢) بعده تعليق من قارىء : هذا إذا لَمْ يعدّ ابن المعتزّ ؛ وإلاَّ فَالسَّادِس المسترشد ، وقد هجم عليه قاعدته (؟) أَي الباطنيَّة ، أَرسلهم السلطان سنجر الملقب ذو القَرنين ، فَقتلوه .

وفِعْلِ ما لا يَجُوزُ فِعْلُهُ ؛ وشَهدُوا عليْهِ بذلِكَ ، فحَكمَ قاضِي قُضاةِ المَمالِكِ ، وهو ابن الكَرْخيِّ ـ والعلمُ عندَ اللهِ تَعالَى ـ بِخَلعِهِ ، فخَلَعُوهُ لأَربعَ عشرةَ من ذِي القَعدةِ ، سنةَ ثلاثين وخَمسمئةٍ .

وَكَانَ الرَّاشِدُ قَدْ هَرَبَ هو وأَتابك زِنكيّ إِلى المَوْصِل ، فَطَلَبَهُ السُّلطانُ مَسعود ، فهربَ إِلى فارس ، ثمَّ دخلَ أَصبهان[1] ، فحاصرَها وتَمَرَّضَ هُناكَ ، فوثبَ عليه جَماعةٌ من الفِداوِيَّةِ فقَتَلوه ، ولهُ إِحْدَى وعشرُونَ سنةً ؛ وقيلَ : ثلاثُونَ سنةً ؛ وكانت خلافتُه إِلى أَنْ خُلع منها سنةً إِلاَّ أَيَّاماً .

وكانَ قتلُه في سنةِ اثنتينِ وثلاثين وخَمسمئةٍ ، وهو صائِمٌ ، في اليَوم السَّادِسِ والعشرين من شهر رَمضان ؛ وقيلَ : إِنَّهُ كَانَ قَدْ سُقِيَ أَيضاً ، ودُفِنَ في جامعِ جَيّ[2] .

وَخَلَّفَ بِضْعاً وعِشرينَ وَلَداً ذَكَراً ؛ وخُطِبَ لَهُ بولايَةِ العَهْدِ أَكثرَ أَيَّام أَبيه .

وَكَانَ شابّاً أَبيضَ مَلِيحاً ، تامَّ الشَّكلِ شَديدَ البَطْشِ ، شُجاعَ النَّفْسِ ، حَسَنَ السِّيْرَةِ ، شاعِراً فَصِيحاً ، جَواداً ، كَرِيماً ، لَمْ تَطُلْ دَولتُهُ ، رحمهُ اللهُ تَعالَى .

خِلافَةُ أَبي عبدِ اللهِ محمَّد ، المُقتفي لأَمرِ اللهِ بن [المُستظهر بالله][3]

ثمَّ قَامَ بالأَمرِ بعدَهُ عَمُّه أَبو عبد اللهِ ، محمَّد بن المُستظهر بن المُقتدي .

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ خَلْعِ ابنِ أَخيهِ ، وَلُقِّبَ بالمُقتفِي لأَمرِ الله ؛ وسببُ

---

(١) كَذَا ، والصواب : ثمَّ مضى إِلى أَصبهان . . .

(٢) جيّ : مدينة على باب أَصفهان ، يُسميها المحدِّثون : المدينة ، ويُسمِّيها العامَّةُ : شهرستان (معجم البلدان ٢/ ٢٠٢) .

(٣) **ترجمته وأَخباره في** : المنتظم ١٧/ ٣١٢ و ١٨/ ١٤٤ والكامل في التاريخ ١١/ ٤٢ والمحمدون للقفطي ٧٣ وسير أَعلام النبلاء ٢٠/ ٣٩٩ والوافي بالوفيات ٢/ ٩٤ والبداية والنهاية ١٦/ ٣١٠ و ٣٩٣ وتاريخ الخلفاء ٥١٦ وشذرات الذهب ٦/ ٢٨٨ .

لَقَبِهِ بهذا : أَنَّهُ رأى النَّبيَّ ﷺ في المَنام قبلَ خِلافَتِه بِستَّةِ أَشهرٍ ، وقيلَ : بسَنةٍ ، وهو يقولُ : « إِنَّهُ سيصلُ إِليكَ هذا الأَمرُ ، فاقْتفِ بي » .

وكَانَ آدَمَ اللَّوْنِ ، بِوَجْهِهِ أَثَرُ جُدَرِيٍّ ، مَلِيحَ الشَّيْبَةِ ، عظيمَ الهَيبةِ ، سَيِّداً ، عالِماً ، فاضِلاً ، دَيِّناً ، حَليماً ، شُجاعاً ، فَصِيحاً ، مهيباً ، خَليقاً للإِمارَةِ ، كاملَ السُّؤدَدِ ، عَظِيمَ المملَكَةِ ، بيدِهِ أَزِمَّةُ الأُمُورِ .

كَانَ لا يَجْرِي في خِلافَتِه أَمرٌ وإِنْ صَغُرَ إِلاَّ بتَوقيعِهِ .

وَكَانَتْ أُمُّهُ حَبَشِيَّةً .

كتبَ في أَيَّامِ خِلافَتِه ثلاثَ رَبْعاتٍ .

وكانَتْ وفاتُهُ بالخوانيقِ ، في شهر ربيعِ الأَوَّل ، سنةَ خَمسٍ وخَمسين وخَمسمئة ، وهو ابنُ سِتٍّ وستِّينَ سنةً .

وكانَتْ خِلافَتُهُ ثلاثاً وعشرين سنةً ، وقيلَ : خَمساً وعشرين سنةً .

وقَدْ جَدَّدَ بابَ الكَعْبَةِ ، وَعملَ لِنَفْسِهِ من العَقِيقِ تابُوتاً دُفِنَ فِيهِ .

● وَقَدْ[1] رَأَيْتُ فِيما نَقَلْتُهُ من خَطِّ صاحِبِنا الحافظ صلاحِ الدِّين خليل بن محمَّد الأَقْفَهْسِيّ ، فيما نَقَلَهُ من خَطِّ الصَّدْرِ عبد الكريم العلاَّمة ابن العلاَّمة علاء الدِّين القُونَوي : أَنَّ القائِمَ بالأَمرِ بعدَ المُقتفي : المُستظهر . كذا ذَكَرَ ؛ ولا أَعلمُ مَنْ هَذا المُستظهرُ ، فَلْيُحَرَّرْ ذلك .

وَقَدْ ذَكَرَ الخُلفاءَ كما هنا الذَّهبيُّ على هذا التَّرتيب .

---

(١) هذه الفقرة : إِضافةٌ من قارىءٍ ؛ لأَنَّ وفاةَ الأَقفهسي سنة ٨٢٠ هـ . أَي بعد وفاة الدَّميري باثنتي عشرةَ سنة (الضَّوء اللاَّمع ٣/ ٢٠٢)، أَمَّا قولُهُ : إِنَّ القائِمَ بالأَمْرِ بعد المقتفي : المستظهر ؛ فغير صحيحٍ .

خِلافَةُ أَبي المُظَفَّر يوسف ، المُستنجد بالله بن المُقتفِي[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ابنُه أَبو المُظَفَّر ، يوسف المُستنجد بالله بن المُقتفي ، وكَانَ أَبوهُ وَلاَّهُ العهدَ في سنةِ سبعٍ وأَربعينَ وخمسمئة .

بُويعَ لَهُ بالخلافة بعدَ موتِ أَبيهِ بيومٍ ، وقيلَ : بل يومَ ماتَ أَبُوهُ .

● قال ابنُ خلِّكان في تَرجمته[2] : وهنا نُكتَةٌ لَطِيفَةٌ : وهيَ أَنَّ المُستنجِدَ رأَى في مَنامِهِ في حياةِ والِدِهِ المُقتفي : أَنَّ مَلَكاً نَزَلَ من السَّماءِ ، فكتَبَ في كَفِّه أَربعَ خاءاتٍ ؛ فطَلبَ مُعَبِّراً ، وَقَصَّ عليْهِ ما رَآهُ ، فقَالَ لَهُ : تَلِي الخِلافَةَ سنةَ خَمسٍ وخَمسينَ وخَمسمئة ، فَكَانَ كذَلِكَ .

وتوفِّيَ في سَنَةِ ستٍّ وستِّينَ وخَمسمئةٍ ، في ثامن شَهرِ ربيعٍ الثَّانِي ـ وَحُبِسَ في حَمَّامٍ ـ وهو ابنُ ثَمانٍ وأَربعينَ سنةً .

وكانَتْ خلافَتُه إِحدى وعشرينَ سَنةً .

وَكَانَ مَوْصُوفاً بالعَدْلِ ، والدِّيانَةِ ، وأَبطلَ المُكوسَ ، وقامَ كلَّ القيامِ على المُفْسِدِينَ ؛ ولَهُ شِعْرٌ وَسَطٌ .

وَأُمُّهُ طاووس الكَرْجِيَّة ، أَدْرَكَتْ دَولتَه .

---

(١) **ترجمته وأَخباره في** : المنتظم ١٨/ ١٣٩ والكامل في التاريخ ١١/ ٢٥٦ وسير أَعلام النبلاء ٢٠/ ٤١٢ والوافي بالوفيات ٢٩/ ٢٩٩ وفوات الوفيات ٤/ ٣٥٨ والبداية والنهاية ١٦/ ٣٩٤ و ٤٤٤ وتاريخ الخلفاء ٥٢٢ وشذرات الذهب ٦/ ٣٦٢ .

(٢) ليس للمستنجد ترجمة في وفيات الأَعيان ، وهذا الخبرُ أَورده ابن خلِّكان في ترجمة المؤيّد بن محمد الأَلوسي ٥/ ٣٥٠ . وقارن ما ورد في المنتظم ١٨/ ١٤٤ ، والبداية والنهاية ١٦/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤ : قال عفيف النَّاسخ : رأَيتُ في المنام قائلاً يقولُ : إِذا اجتمعت ثلاث خاءات مات المكتفي . يعني : خمساً وخمسين وخمسمئة .

خِلافَةُ [أَبي محمَّد الحسن ،] المُستضيء بنُورِ الله ابن المُستنجدِ[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمرِ بعدَهُ ابنُه أَبو محمَّد الحسن المُستضيء بنُورِ اللهِ بن المُسْتنجِد .

بُويعَ لَهُ بالخلافة يومَ وَفاةِ أَبيهِ ، وخُطِبَ له بالدِّيَارِ المِصريَّة واليَمن ، وكانتِ الدَّولةُ العبَّاسيَّةُ مُنقطعةً منهما من زمنِ المُطيع .

وَكَانَ جواداً كَرِيماً ، مُؤْثراً للخَيرِ ، كثيرَ الصَّدَقَاتِ ، مُعَظِّماً للعِلْمِ وأَهْلِهِ .

وتوفِّي سنةَ خَمسٍ وسَبعينَ وخَمسمئة ، وكانت خِلافتُه [تسعَ سنين ، وثلاثة أَشهر ، وسبعة][2] عشرَ يَوماً ، وعاشَ تِسعاً وثلاثين سنةً .

وكانَ سَمْحاً ، جَواداً ، مُحِبّاً للسُّنَّةِ ؛ أَمِنَتِ البِلادُ في زَمنِهِ ، وأَبطلَ مَظالِمَ كَثيرةً ، واحتجبَ عن أَكثرِ النَّاسِ ، ولَمْ يكن يَركبُ إِلاَّ مع مَماليكه ، ولَمْ يكنْ يَدخلُ عليْهِ غير الأَمير قَيْماز .

خِلافَةُ أَبي العبَّاس أَحمد ، النَّاصر لدينِ اللهِ[بن المستضيء][3]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ ابنُهُ أَبو العبَّاس أَحمد ، النَّاصرُ لدِينِ اللهِ بن المُستضيء .

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ في بغداد يومَ وفاةِ أَبيهِ ، في أَوَّلِ ذِي القَعدة ، سنةَ خَمسٍ

---

(١) **ترجمته وأَخباره في** : المنتظم ١٨/ ١٩٠ والكامل في التاريخ ١١/ ٤٥٩ وسير أَعلام النبلاء ٢١/ ٦٨ والوافي بالوفيات ١٢/ ٣٠٩ وفوات الوفيات ١/ ٣٧٠ والبداية والنهاية ١٦/ ٤٤٥ و ٥٤٠ وتاريخ الخلفاء ٥٢٥ وشذرات الذهب ٦/ ٤١٤ .

(٢) في أ ، ط : وكانت خلافته تسع عشرة سنة ! والمثبت من البداية والنهاية ١٦/ ٥٤٠ .

(٣) **ترجمته وأَخباره في**: ذيل الروضتين ١٤٥ والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٢١ والكامل في التاريخ ١٢/ ٤٣٨ وسير أَعلام النبلاء ٢٢/ ١٩٢ والوافي بالوفيات ٦/ ٣١٠ وفوات الوفيات ١/ ٦٦ والبداية والنهاية ١٦/ ٥٤٢ و١٧/ ١٣٣ وتاريخ الخلفاء ٥٣٠ وشذرات الذهب ٧/ ١٧٢ .

وسبعين وخَمسمئة[١] ، وعمرُهُ ثلاثٌ وعشرونَ سنةً .

فَبَسَطَ العَدْلَ ، وَأَمَرَ بإراقَةِ الخُمُورِ ، وكَسْرِ المَلاهِي ، وإزالَةِ المُكوسِ والضَّرائِبِ ؛ فعمرَتِ البلادُ ، وكثُرَتِ الأَرزاقُ ، وقصدَ النَّاسُ بغدادَ ، وتبرَّكُوا بِهِ .

وتوفِّيَ سنةَ اثنتين وعشرين وستِّمئة ، وهو ابنُ سَبعين سنةً[١] ، وذَلِكَ في سَلْخِ شَهرِ رَمَضان ، وَحُمل على أَعناقِ الرِّجالِ إِلى البَدريَّةِ ، وَدُفِنَ بِها[٢] ، رحمةُ اللهِ تَعالى عليهِ .

وكانَتْ خلافَتُهُ سَبْعاً وأَربعين سنةً[١] .

وكانَ أَبيضَ ، تركيَّ الوَجْهِ ، أَقْنَى الأَنْفِ ، مَلِيحاً ، خَفيفَ العارِضين ، أَشقرَ اللِّحْيَةِ ، رَقيقَ المحاسِنِ ، فِيهِ شَهامَةٌ وإِقْدامٌ ، ولَهُ عَقلٌ ؛ وَكَانَ فِيهِ دَهاءٌ وفِطنةٌ ، وَتَيَقُّظٌ ، وَنَهضةٌ بأَعباءِ الخِلافَةِ ؛ وَكَانَ في أَكْثَرِ اللَّيْلِ يَشُقُّ الدُّروبَ والأَسواقَ ، وكانَ النَّاسُ يَتَهَيَّبُونَ لِقاءَهُ ؛ وكان مُستقلاً بالأُمُورِ في العِراقِ ، مُتَمَكِّناً من الخِلافَةِ ، يَتولَّى الأُمُورَ بنفْسِهِ ، وَمَا زَالَ في عِزٍّ وجَلالَةٍ واسْتِظْهَارٍ وَسَعادَةٍ ؛ أَظْهَرَ القِسِيَّ والبُندقَ والحَمامَ في أَيَّامِهِ .

وهو أَطولُ بني العبَّاسِ خلافةً ؛ وَكَانَ لَهُ عُيُونٌ على كُلِّ سُلْطانٍ ، يأْتُونَهُ بالأَخبارِ .

وَيُحْكَى أَنَّ بَعْضَ الكِبارِ كَان يعتقدُ فِيه ، أَنَّ لَهُ كَشْفاً واطِّلاعاً على المُغَيَّباتِ ؛ وفي آخِرِ أَيَّامِهِ أَصابَهُ الفالِجُ ، بقيَ معهُ سَنتين وَذَهَبَ عنه ؛ وَكَانَ فِيهِ عَسْفٌ للرَّعِيَّةِ .

---

(١) في أ ، ط : سنة خمس وتسعين وخمسمئة ! وهو ابن خمسين سنة ! . وكانت خلافته سبعاً وعشرين سنة !! .

(٢) في البداية والنهاية ١٧/ ١٣٤ : دفن في دار الخلافة ، ثمَّ نقل إلى التُّرب من الرّصافة .

خِلافَةُ [أَبي نصرٍ محمَّد ،] الظَّاهر بأَمرِ اللهِ بن النَّاصِرِ لدينِ اللهِ[1]

ثمَّ قام بالأَمر بعدَه ابنُه محمَّد ، الظَّاهر بأَمر الله بن النَّاصر لدِين الله .

بُويع له بالخِلافَةِ يَوْمَ مَوْتِ أَبيه ، فعَملَ عزاءَه ثلاثَةَ أَيَّامٍ ، وأَحسنَ إِلى النَّاسِ ، وأَبْطَلَ المُكوسَ ، وأَزالَ المَظالِمَ[2] .

وَأَرْسَلَ الخِلَعَ إِلى أَوْلادِ الملِكِ العادِلِ أَبي بَكر بن أَيُّوب ، ثمَّ إِنَّ حاجِبَهُ قرايغدي بلغه أَنَّهُ يُريدُ قتلَهُ ، فَهَجَمَ عليْهِ وأَمسكَهُ ، وأَشهدَ عَلَيْهِ بالخَلْعِ وَقَتلهُ ، فعُمل له العزاءُ في البلادِ كُلِّها لأَجلِ إِحسانِه إِليهم ، وكَانَ ذَلِكَ في سنةِ أَربعين وستِّمئة ، وهو ابنُ ثلاثينَ سنةً ، وكانت خِلافَتُهُ ثَمانِي عشرةَ سنةً[*] .

(*) هكذا لقيتُ هَذِهِ التَّرجمةَ في النُّسخة التي نقلتُ منها ، وفيها تَخليطٌ ، لأَنَّها تَحْتَوِي على بعْضِ ترجمةِ الظَّاهِرِ بأَمرِ اللهِ ، وبعض ترجمة المُستنصر باللهِ ، وأَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِخِ ؛ وهَذِهِ ترجمةُ كلٍّ واحدٍ منهما على حِدَتِهِ؛ واللهُ المُوفِّق :

فالظَّاهِرُ بأَمرِ اللهِ : هوَ أَبُو النَّصرِ محمَّد بن النَّاصِر لدِينِ اللهِ أَبي العبَّاس أَحمد بن المُستضيء بنورِ اللهِ [أَبي محمَّد][3] حَسن بن المُستنجدِ باللهِ أَبي المُظَفَّر يُوسف بن المُقْتَفِي لأَمْرِ اللهِ أَبي عبدِ اللهِ محمَّد العبَّاسي . =

---

(١) ترجمته وأَخباره في : ذيل الروضتين ١٤٩ والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٣١ والكامل في التاريخ ١٢/ ٤٤١ وسير أَعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦٤ والوافي بالوفيات ٢/ ٩٥ والبداية والنهاية ١٧/ ١٣٦ و ١٤٨ وتاريخ الخلفاء ٥٤١ وشذرات الذهب ٧/ ١٩٢ .

(٢) إِلى هنا والكلام ينطبق على ترجمة الظاهر ؛ وما بعده تخليطٌ لا معنى لَهُ ، كما سيشير إِلى ذلك بعضُ عُلماء القُرَّاء ، جزاه الله خيراً ؛ وما ذكره من ترجمتي الظَّاهر والمستنصر فصحيحٌ ؛ ولم ترد هذه الزِّيادة في أ .

(٣) في ط : حسن بن أَبي الحسن ! .

. . . .

= وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ خَطبَ لَهُ بولايَةِ العَهْدِ ، فلمَّا تُوفِّيَ تَسَلَّمَ الخِلافَةَ ، وبايَعَهُ الكِبارُ في يَوْمِ مَوْتِهِ .

وَكَانَ مَولده في سنةِ إحدى وسَبعين وخمسمئة ، ووفاتُهُ في ثالث عشرَ رَجَب ، سنةَ ثلاثٍ وعشرين وستِّمئةٍ ؛ وله اثْنَتَانِ أَو ثلاثٌ وخَمسُونَ سنةً ؛ وكانت خِلافته تسعةَ أَشهرٍ ، وقيلَ : ونِصفاً .

وكَانَ جَميلَ الصُّورَةِ ، أَبْيَضَ مُشْرَباً بحُمرةٍ ، حُلْوَ الشَّمائِلِ ، شَديدَ القُوى ، فِيهِ دِينٌ ، وعقلٌ ووقارٌ وخيرٌ وَعَدْلٌ ، حتَّى بالَغَ فِيهِ ابنُ الأثير ، فقَالَ : لَقَدْ أَظْهرَ من العدلِ والإِحسانِ ما أَعادَ به سُنَّةَ العُمَرين .

قيل له : أَلا تتفسَّحُ وتَتَنَزَّهُ ؟ فقالَ : لَقَدْ يَبْسَ الزَّرْعُ ؛ فَقِيلَ لَهُ : يُبارِكُ الله في عُمرك ؛ فقَالَ : مَنْ فَتَحَ دُكَّانَهُ بعْدَ العَصْرِ ، أَيش يَكْسَبُ ؟ .

ثمَّ قَالَ : إنَّهُ أَحْسَنَ إلى الرَّعِيَّةِ ، وَبَذَلَ الأَمْوَال ، وَأَزَالَ المَظَالِمَ ، وَأَبْطَلَ المُكُوسَ ؛ وكَانَ يَقولُ : الجَمْعُ شُغْلُ التُّجَّارِ ؛ أَنتم إِلى إمامٍ فعَّالٍ أَحْوَجُ منكم إِلى إمامٍ قوَّالٍ ؛ اترُكُونِي أَفعلِ الخَيرَ فيكم ما بَقيتُ أَعيشُ .

وَقَدْ فَرَّقَ ليلةَ العيدِ مئةَ أَلف دينارٍ على العُلماءِ والصَّالِحين .

والمُسْتَنْصِرُ بالله[1] : هو أَبو جَعْفَر منصور بن الظَّاهر بأمر الله بن النَّاصر لدينِ الله العبَّاسيّ . أُمُّهُ تُركيَّةٌ ؛ وُلِدَ في سنةِ ثَمانٍ وثَمانين وخَمسمئة ؛ وبُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَبيهِ ؛ بايَعَهُ إِخوتُهُ ـ وَكَانَ أَكبرَهم ـ وبنو عَمِّه ، وهو إِذ =

---

(١) **ترجمته وأَخباره في** : تكملة المنذري ٣/ ٦٠٧ والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٨٣ والحوادث ١٨٥ و ١٨٨ وسير أَعلام النبلاء ٢٣/ ١٥٥ وفوات الوفيات ٤/ ١٦٩ والبداية والنهاية ١٧/ ١٤٨ و ٢٦٠ وتاريخ الخلفاء ٥٤٤ وشذرات الذهب ٧/ ٣٦١ .

. . . .

= ذَاكَ ابنُ خَمسٍ وثَلاثِينَ سنةً .

ماتَ في بُكْرَةِ يَوْمِ الجُمعةِ ، عاشر جُمادَى الثَّانية ، سنةَ أَربعين وستِّمئة .

وَكَانَ مَليحَ الشَّكلِ كأَبيه ، وكَانَ أَشقرَ ، ضَخْماً ، قَصِيراً ، وَخَطَهُ الشَّيْبُ ، فَخَضبَ بالحِنَّاءِ ، ثمَّ تَرَكَ .

قال ابنُ السَّاعي : حضرتُ بيعتَه ، فلمَّا رُفعتُ السِّتار شاهَدْتُه ، وقَدْ كَمَّلَ اللهُ صُورَتَه ومَعناه ؛ كَانَ أَبيضَ مُشْرَباً بحُمرةٍ ، أَزجَّ الحاجبين ، أَدْعَجَ العَينين ، سَهْلَ الخَدَّيْن ، أَقْنى الأَنْفِ ، رَحْبَ الصَّدْرِ ، عليه ثوبٌ أَبيضُ ، وقِباءٌ أَبيضُ ، وطَرْحَةُ قَصَبٍ بَيضاءُ ؛ فجَلَسَ إِلى الظُّهرِ .

وَبَلَغَنِي أَنَّ عِدَّةَ الخِلَعِ التي خَلَعَها ، بَلغَتْ ثلاثَةَ آلافِ خلعةً وخَمسمئة خلعة وسَبعينَ خلعةً .

وكانت خِلافَتُهُ وافرةَ الحِشْمَةِ ، وَفِيهِ عَدْلٌ وَدِينٌ وقَمْعٌ للمُتمرِّدِين ، ونهضةٌ بأَعباءِ الخِلافَةِ ؛ وَوَقَفَ المَدارسَ والمساجِدَ ، وَبَذَلَ الأَموالَ ، ودانَت له المُلوكُ ؛ وَكَانَ جَدُّهُ النَّاصِرُ يُحِبَّهُ ، ويُسَمِّيهِ : القاضِي ، لعَقله ومَحَبَّتِهِ للحَقِّ .

وَأَنْشأَ المدرسةَ التي لا نَظِيرَ لها في الدُّنيا ، واستخدَمَ عَسْكَراً عَظِيماً إِلى الغايَةِ ، حتَّى إِنَّ جريدةَ جَيشِه بلغَتْ نحوَ مئة أَلفِ فارِسٍ استعداداً لحربِ التَّتارِ ؛ وَقَدْ خُطِبَ له بالأَندلس وبعضِ بلادِ المَغربِ ؛ وكانَتْ خلافَتُه سبعَ عشرةَ سنةً ؛ فاللهُ يَتَغَمَّدُه برحمته ومَغْفِرَتِهِ ؛ فَلَمْ يُخْلَعْ هو ولا أَبُوهُ ؛ بهذا انقَضَتْ القاعِدَةُ ؛ إِلاَّ أَنَّ التَّتَار كَانَ أَمرُهم قد عَظُمَ في أَيَّامِهما ، فأَخَذُوا جُملةً مستكثَرة من بلادِ الإِسلامِ ، وَفُقِدَ جَلالُ الدِّينِ خوارزم شاه في أَيَّامِ المُستنصر ، في وقعةٍ =

خلافة المُستعصم بالله[1]

ثمَّ قَامَ بالأَمْرِ بعدَهُ المُستعصِم باللهِ(*) .

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ يومَ قتلِ الظَّاهِرِ البَيْعَةَ العامَّةَ ، وذلك في جُمادَى الأُولى ، سنةَ أَربعين وستِّمئةٍ(**) .

وهو السَّادِسُ ، فخُلِعَ وقُتل في أَيَّامِ هولاكو لمَّا أَخذ بغدادَ ، سنةَ خَمسٍ

= كانت بينَهُ وبينَ التَّتارِ ، وهذا أَعظمُ وأَطَمُّ من الخَلْعِ ؛ ثمَّ لَمْ يَنْتَظِمْ لبني العبَّاسِ في العِراقِ أَمرٌ ؛ بحيثُ أَنَّ مَنْ وَلِيَ بعدَ هؤلاءِ لَمْ يُكملُوا العِدَّةَ المَشروطةَ ، فإِنَّ الَّذِي جَاءَ بعدَهم واحدٌ ، وهو المُستعصِمُ باللهِ ابن المُستنصر ، وهو الذي قَتَلَهُ التَّتارُ ؛ وانقَرَضَتِ الدَّولةُ العبَّاسيَّةُ من العِراقِ سنةَ ستٍّ وخَمسينَ وستِّمئة ؛ فإِنَّ المُستعصمَ قُتِلَ في الثَّامن والعشرين من المحرَّم ، كما سَنَراهُ في ترجمته إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى .

(*) وهو : أبو أحمد عبد الله بن المُستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن النّاصر ، العبّاسي آخرُ الخُلفاءِ العِراقيِّين ، وكانت دولتُهم خمسمئة سنة وأَربعاً وعشرين سنةً ؛ وكان مَولدُ أَبي أَحمد في خِلافَةِ جَدِّ أَبيهِ .

(**) فَظَهَرَ بهذه العبارةِ أَنَّ المُؤَلِّفَ جعلَ التَّرجمةَ السَّابقة للظَّاهر ، ولَمْ يَجْعَلْ للمُستنصر ترجمةً ، وأَنَّ النَّاسِخَ نَقلَ ذلكَ كما وَجَدَهُ ، فالاعتمادُ على مَا ذكرتُه من ترجمتهما .

---

(١) ترجمته وأخباره في : ذيل مرآة الزّمان ١/ ٢٥٣ ، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٢٤٤ ، والحوادث ٣٥٧ ، وسير أَعلام النُّبلاء ٢٣/ ١٧٤ ، والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٤١ ، والمنهل الصَّافي ٧/ ١٢٦ ، وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٠ ، وعقد الجمان ١/ ٢٠٥ ، والبداية والنِّهاية ١٧/ ٢٦٣ ، وتاريخ الخلفاء ٥٤٩ ، وشذرات الذَّهب ٧/ ٤٦٧ .

وخَمسين وستِّمئة ، وكان ذَلِكَ بمُواطأَةِ وَزِيرِهِ ابن العلقميّ ، وسُوءِ تَدبيرِ المُستعصم ، واشْتِغالِهِ بلعبِ الحَمام وبما لا يليقُ بِهِ .

وَكَانَ قد خَرَجَ إلى هُولاكو ومعه الفُقهاءُ والصُّوفيَّةُ ، فقُتلوا عن آخرِهم ، وأُخِذَ المُستعصمُ فخُلِعَ ووُضِعَ في جُوالقٍ ، وضُرِبَ بالمرازِبِ ، وَقِيلَ : بمَداقّ الجِصِّ إِلى أَنْ مَاتَ ؛ ولَمْ ينتظمْ لِبَنِي العبَّاسِ بعدَهُ أَمرٌ ، وذلِكَ في الثَّامِنِ والعشرين من المحرَّمِ ، سنةَ ستٍّ وخَمسينَ وستِّمئة(***) .

(***) وَكَانَ السَّبَبُ في قَتْلِهِ : أَنَّ الطَّاغِيَةَ هولاكو بن قَبْلاي خان بن جَنكيز خان المُغْليّ ، لمَّا كان في أَوائِلِ سنةِ ستٍّ وخَمسينَ وستِّمئةٍ ، قَصَدَ بَغداد بجيشٍ عَرمرمٍ ، فَخَرَجَ إليهِ الدُّويدَارُ بالعسكرِ ، فالتقَوْا بطَلائع هُولاكُو ، وعليهم تايجو ، فانْكَسرُوا لِقِلَّتِهِم ؛ ثمَّ أَقبلَ تايجو فنَزَلَ غربي بغدادَ ، ونزلَ هُولاكُو على شَرقيِّها ، فأَشارَ الوَزيرُ على الخليفةِ أَنْ يخرُجَ إلى هُولاكو في تَقريرِ الصُّلحِ ، فخرجَ الكلبُ[١] وتوثَّقَ لِنَفْسِهِ ثمَّ رجعَ ، فقالَ : إنَّ هُولاكُو رَغِبَ في أَنْ يُزَوِّجَ ابنتَهُ بابنِكَ ، وأَنْ تكُونَ الطَّاعةُ لَهُ كالمُلُوك السَّلجوقِيَّةِ ، ويرحلَ عنك ؛ فخرجَ الخليفةُ في أَكابرِ الوَقْتِ وأَعيانِ دولتِهِ ، ليحضُروا العقدَ ، فضَربوا رقابَ الجميعِ ، وقُتِلَ الخليفةُ .

وكَانَ حَلِيماً كَرِيماً ، سَلِيمَ الباطِنِ ، قليلَ الرَّأْيِ ، حسنَ الدِّيانَةِ ، مُبْغضاً للبِدْعَةِ ؛ وبالجُملةِ خُتِمَ لَهُ بخيرٍ ، فإِنَّ الكافِرَ هُولاكُو أَمَرَ به وَبولَدِهِ أَبي بَكرٍ فَرُفِسا حتَّى ماتا ، وذلكَ في حُدُودِ آخر المُحرَّم ؛ وكان الأَمْرُ أَشْغَلَ من أَنْ يوجدَ مُؤَرِّخٌ لِمَوْتِهِ ، أَو لِمُواراةِ جَسَدِهِ ، فلا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العليِّ العَظِيمِ . =

---

(١) يقصد ابن العلقميّ .

. . . .

= وبقي الوقتُ بلا خَليفَةٍ ثلاثَ سِنينَ ، فلمَّا كَانَ في شَهرِ رَجب ، سنة تسعٍ وخَمسينَ وستِّمئةٍ ، بايَعَ المصريُّونَ بمصرَ المُستنصرَ باللهِ[١] .

خِلافَةُ المُستنصر باللهِ ، أَحمد ابن الخَليفة الظَّاهر باللهِ[٢]

هو أَحمد بن الخليفة الظَّاهر باللهِ بن محمَّد بن النَّاصر ، العبَّاسيّ الأَسود . كانت أُمُّهُ حَبَشِيَّةً ، وكانَ بَطَلاً شُجاعاً .

قَدِمَ مِصرَ فعَرفُوهُ ، وهُوَ عَمُّ المُستعصم المقتولِ ؛ نهضَ بإقامَةِ دَولتِهِ ومُبايَعَتِه ، السُّلطانُ الملكُ الظَّاهرُ ، ففوَّضَ أَمْرَ الأُمَّةِ إِليهِ ، ثمَّ خَرَجَا إِلى الشَّامِ ؛ ثمَّ إِنَّ الخليفةَ فارَقَهُ مِنْ ثَمَّ ، وسارَ بعسكرٍ نَحْوَ أَلفٍ ليملكَ بغداد ، فكَانَ القِتالُ بينَهُ وبَيْنَ التَّتارِ في آخِرِ السَّنَةِ ، فَعُدِمَ في الموقعَةِ ، وكَانَ في خدمتِهِ الحاكم أَبو العبَّاس أَحمد ، فانهزَمَ إِلى الشَّامِ .

خِلافَةُ الحاكِم بأَمْرِ اللهِ[٣]

فلمَّا كان في ثامنِ المحرَّم ، سنةَ إِحدى وستِّين وستِّمئةٍ ، عُقِدَ مجلسٌ =

---

(١) التَّرجمات الآتية كلُّها من إِضافَةِ أَحدِ عُلماءِ القرَّاءِ ؛ إِذ لا يُعْقَلُ أَنْ يذكرَ المؤلف المتوفَّى سنةَ ٨٠٨ هـ وفاةَ المستعينَ باللهِ سنة ٨٣٣ هـ ! .

(٢) **ترجمته وأَخباره في** : ذيل الروضتين ٢١٣ وذيل مرآة الزمان ١/ ٤٤١ وسير أَعلام النبلاء ٢٣/ ١٦٨ والوافي بالوفيات ٧/ ٣٨٤ والمنهل الصافي ٢/ ٧٢ والمقفى الكبير ١/ ٦٩٤ وعقد الجُمان ١/ ٢٩٦ و ٣٢٨ والبداية والنهاية ١٧/ ٤٢٥ وتاريخ الخلفاء ٥٦٢ وشذرات الذهب ٧/ ٥٢٨ .

(٣) **ترجمته وأَخباره في** : ذيل مرآةِ الزمان ٦/ ٥٣٠ والوافي بالوفيات ٦/ ٣١٧ وتذكرة النبيه ١/ ٢٤٠ وعقد الجمان ١/ ٣٢٩ و ٣٤٦ والدرر الكامنة ١/ ١١٩ والبداية والنهاية ١٧/ ٤٣٦ وتاريخ الخلفاء ٥٦٤ وشذرات الذَّهب ٨/ ٦ .

. . . .

= عَظِيمٌ لعقْدِ البيعةِ للخَلِيفَةِ ، فأَحضرُوا أَبا العبَّاسِ أَحمد بن الأَمير أَبي عليّ بن أَبي بكر بن المُسترشد بالله بن المُستظهر باللهِ العبَّاسيّ ، فأَثبتَ نسبَه ، فعندَ ذَلِكَ مَدَّ السُّلطان الملكُ الظَّاهرُ يَدَهُ ، وبايَعَهُ بِالخلافةِ ، ثمَّ بايَعَهُ القُضاةُ والأُمراءُ ، وَلُقِّبَ بالحاكِمِ بأَمرِ اللهِ .

فلَمَّا كان مِنَ الغَدِ ، خطَبَ خُطبةً ، أَوَّلُها : الحمدُ للهِ الذي أَقامَ لبني العبَّاس رُكْناً وظَهيراً ؛ ثمَّ كُتبَ بدَعوتِهِ وإِمامَتِهِ إِلى الأَقطارِ ، وبَقِيَ في الخلافةِ أَربعينَ سنةً وأَشهراً .

وكانت وفاتُهُ في جُمادَى الأُولى ، سنةَ إِحدى وَسَبعمئةٍ ، ودُفِنَ عندَ السَّيِّدة نَفيسة ، رحمةُ اللهِ تَعالى عليهِما .

خِلافَةُ المُستكفي باللهِ أَبي الرَّبيع سُليمان بن الحاكم بأَمرِ اللهِ[1]

عَهِدَ إِليهِ بالأَمرِ أَبُوهُ الحاكمُ بأَمْرِ اللهِ ، وقُرِىءَ تَقليدُه بَعْدَ عَزَائِهِ بوالِدِهِ ، وخُطِبَ لَهُ على المنابرِ في جُمادَى الأُولى ، سنةَ إِحدى وسَبعمئة ؛ واستمرَّ في الخِلافَةِ تِسعاً وثلاثِينَ سنةً .

ومَاتَ بقُوصٍ ، في شَعبان ، سنةَ أَربعين وسَبعمئةٍ ، وهو ابنُ بضعٍ وخَمسينَ سنةً ، رحمةُ الله تَعالى عليه . =

---

(١) ترجمته وأَخبارهُ في : ذيول العبر ٢١٤ والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٤٩ والمنهل الصافِي ٦/ ١٨ والدرر الكامنة ٢/ ١٤١ وتذكرة النبيه ٢/ ٣١٥ وعقد الجمان ٤/ ١٩٠ والبداية والنهاية ١٨/ ١٢ و ٤١٧ وتاريخ الخلفاء ٥٧٠ وشذرات الذهب ٨/ ٢٢٢ .

. . . .

= ## خِلافَةُ الحاكِمِ بِأَمْرِ اللهِ أَحمد بن المُستكفي باللهِ[1]

كانت خِلافَتُهُ في المحرَّمِ ، سنةَ اثنتينِ وأَربعين وسَبعمئة ، بُويعَ للحاكمِ بأَمْرِ اللهِ أَحمد بن المُستكفي باللهِ أَبي الرَّبيع سُليمان بن الحاكم بأَمْرِ اللهِ العبَّاسيّ ، وكانَ وليَّ عهدِ أَبيهِ . هكذا ذكره الحُسيني في « ذيله على العِبر »[2] .

وَذَكَرَ الذَّهبيُّ في آخِرِ « ذيله عليه »[3] في سنة أَربعين وسَبعمئة : أَنَّ المُستكفي لَمَّا ماتَ ، بُويعَ لأَخِيهِ إِبراهيم بغيرِ عهدٍ[4] ، واستمرَّ الحاكمُ في الخِلافَةِ إِلى أَنْ أَتاهُ حِمامُهُ ، وهو بالقاهِرَةِ ، في سنةِ ثلاثٍ وخَمسِينَ وسَبعمئة .

خِلافَةُ المُعتضد باللهِ[5]

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ بعهدٍ من أَخيهِ الحاكم بأَمر الله ، ولُقِّبَ بالمُعتضِدِ باللهِ ، =

---

(١) ترجمته وأَخباره في : ذُيول العبر ٢٢٦ و ٢٨٩ والمنهل الصافي ١/ ٢٩١ والدُّرر الكامنة ١/ ١٣٧ وتذكرة النبيه ٣/ ٢٤ وتاريخ ابن قاضِي شهبة ٢/ ٣٨ والمقفى الكبير ١/ ٣٨٧ والذيل التام ١/ ١٣٠ والبداية والنهاية ١٨/ ٤٢٦ وتاريخ الخلفاء ٥٧٨ وشذرات الذهب ٨/ ٢٩٦ .

(٢) ذيل الحسيني على العبر ٢٢٦ و ٢٨٩ .

(٣) ذيل الذهبيّ على العبر ٢١٤ .

(٤) ترجمة إِبراهيم ، الواثق باللهِ ، في : الدُّرر الكامنة ١/ ٥٦ وتاريخ ابن قاضِي شهبة ١/ ١١٣ و ١٣٥ و ٢٠١ والمقفى الكبير ١/ ٢٨٩ وتاريخ الخلفاء ٥٧٥ .

(٥) ترجمته وأَخباره في : ذيول العبر ٣٥٠ والذيل على العبر لابن العراقي ١/ ٩٧ والدُّرر الكامنة ١/ ٤٤٣ وتذكرة النبيه ٣/ ٢٤٨ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٢١٧ والذيل التام ٩/ ١٨٧ والبداية والنِّهاية ١٨/ ٦٥٥ وتاريخ الخلفاء ٥٨٩ وشذرات الذهب ٨/ ٣٣٨ .

. . . .

= وهو : أَبو الفتح ، أَبو بَكرِ بن المُستكفي باللهِ أَبي الربيعِ سُليمان بن الحاكم بأَمْرِ اللهِ أَبي العبَّاسِ أَحمد بن أَبي عليّ بن المُسترشد باللهِ العبَّاسيّ .

فكانَتْ خلافَتُهُ نَحواً من عشرِ سنين[1] ؛ وماتَ في رابعِ جُمادَى الأُوْلَى ، سنةَ ثلاثٍ وستِّين وسَبعمئةٍ بالقاهرةِ .

خِلافَةُ المُتَوَكِّل على اللهِ[2]

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ بعدَ وفاةِ والِدِهِ بعهدٍ منهُ ، في سابع جُمادى الثَّانية ، سنةَ ثلاثٍ وستِّينَ وسَبعمئةٍ ، وكَانَ مَولدُهُ في سنةِ نَيِّفٍ وأَربعين وسَبعمئةٍ ، أَو قَريبٍ مِنْهَا .

وهو : أَبُو عبد اللهِ محمَّد ـ وقيل : حمزة ـ المتوكِّل على اللهِ بن المُعتضد باللهِ العبَّاسيّ .

فاستقَرَّ في الخِلافَةِ إِلى أَنْ مَاتَ ، في شَعبان ، سنةَ ثمانٍ وثمانمئة ؛ غير أَنَّهُ تخلَّلَ فِيها أَعْوامٌ خُلِعَ فِيها . وبُويعَ لقَريبهِ زكريّا بن إِبراهيم ، في ثالث عشر صَفَر ، سنةَ تسعٍ وسَبعين وسَبعمئةٍ ، ثمَّ أُعيدَ بعد شَهرٍ ، واستمرَّ إِلى شهرِ رَجب ، سنَةَ خَمسٍ وثَمانين فخُلِعَ وحُبِسَ ، وَبُويعَ لعُمر بن المُعتضد ، ولُقِّبَ بالواثِقِ ، ثمَّ مَاتَ ، فبُويعَ لأَخيهِ زكريَّا ، ولُقِّبَ بالمُستعصِم ؛ واستمرَّ المتوكِّلُ مَحبوساً إِلى صَفَر ، سنةَ إِحدى وَتِسعين ، فأُفرِجَ عَنْهُ ، ثمَّ ضُيِّقَ عَليهِ ، ومُنِعَ النَّاسُ من الدُّخُولِ إِليهِ ، فلمَّا كَانَ في سابِعِ عشر شهرِ رَبيعِ الأَوَّل ، أُفْرِجَ عنهُ ؛ =

---

(١) في ط : عشرين سنة ! .

(٢) ترجمته وأخباره في : ذيل الدرر الكامنة ١٧٧ وإنباء الغمر ٥/ ٣٣٦ والذيل التام ٦/ ٤٤٥ والضوء اللامع ٧/ ١٦٨ وتاريخ الخلفاء ٥٩١ وشذرات الذهب ٩/ ١١٦ .

. . . .

= فلمَّا كَانَ اليومُ الأَوَّلُ من جُمادَى الأُولى ، بُويعَ ونزلَ إلى دارِهِ ، وفي خِدمتِهِ الأُمراءُ والقُضاةُ ، وكانَ يوماً مَشْهُوداً ؛ واستمرَّ إلى أَنْ مَاتَ ، رحمةُ اللهِ تَعالى عليه .

خِلافَةُ المُستعين باللهِ(١)

هو : أَبو الفضل ، العبَّاسُ بن المتوكِّل على اللهِ أَبي عبد الله محمَّد بن المُعتضد أَبي بَكر بن سُليمان بن أَحمد العبَّاسيّ .

عَهِدَ إليهِ أَبُوهُ بالخِلافَةِ ، وكَانَ قَدْ عَهِدَ قبلَهُ لولَدِهِ الآخر المُعتمد على الله أَحمد ، ثمَّ خُلِعَ وَوُلِّيَ هذا ، واستمرَّ أَحمدُ مَخلوعاً إلى أَنْ مَاتَ .

فلمَّا مَاتَ المتوكِّلُ بُويعَ ابنُهُ العبَّاسُ في شهرِ رجب ، سنةَ ثَمانٍ وثمانمئة ، واستمرَّ في الخِلافَةِ إلى أَنْ حُوصِرَ الملكُ الناصر فَرج بن بَرقُوق بدمشق .

وقيلَ : بُويعَ لَهُ بالسَّلْطَنَةِ مُضافَةً إلى الخِلافَةِ ، في يَوْمِ السَّبتِ ، خامس عشر المحرَّم ، سنةَ خَمس عَشرةَ وثمانمئة .

اجتمعَ أَهلُ الحَلِّ والعَقْدِ ، والقُضَاةُ والأُمراءُ ، ومَنْ حَضَرَ ، فسأَلُوهُ في ذلك ، فامْتَنَعَ واشتدَّ امتناعُهُ ، وَصَمَّمَ ؛ ثمَّ إنَّهُ أَجابَهُمْ إلى ذلِكَ بعدَ أَنْ تَوَثَّقَ منهم بالأَيمانِ ، ولَمْ يُغَيِّرْ لَقَبَهُ ، وضُربت سكَّةُ الذَّهبِ والفِضَّةِ باسْمِهِ وَتَصَرَّفَ بالولايَةِ والعَزْلِ ؛ وفي الحقيقةِ إنَّما كانَتْ إليهِ العَلامَةُ والخُطْبَةُ .

فلمَّا تَوَجَّهَ العسكرُ إلى مصرَ ، كانتِ الأُمراءُ كلُّهم في خِدمتهِ على هيئةِ السَّلْطَنَةِ ، ولكنَّ الحَلَّ والعَقْدَ للأَميرِ شَيْخٍ . =

---

(١) ترجمته وأَخباره في : مآثر الإنافة ٢/ ٢٠٢ وإنباء الغمر ٨/ ٢١٣ والذيل التامّ ١/ ٥٦٧ والضوء اللامع ٤/ ١٩ وتاريخ الخلفاء ٥٩٨ وشذرات الذهب ٩/ ٢٩٥ .

. . . .

= فلَمَّا كَانَ اليومُ الثَّامن من شهرِ ربيعِ الثَّانِي ، دخلَ مصر فَشَقَّها ، والأُمراءُ بينَ يَدَيْهِ ، وكانَ يَوْماً مَشْهُوداً ، فاستمرَّ إلى القلعَةِ فَنَزَلَها ، ونزلَ شيخٌ في الإِصْطَبْلِ ببابِ السِّلسلةِ ، فلمَّا كَانَ في اليومِ التَّالي لذلك اليوم ، دخلَ شيخٌ والأُمراءُ إلى القَصْرِ ، وجلسَ الخليفةُ على تَخْتِ المَملكةِ ، وَخَلَعَ على شَيْخٍ خِلعةً عَظِيمةً بِطرازٍ لَمْ يعهد مثلُه ، وَفَوَّضَ إليهِ أَمرَ المَملكَةِ ، ولَقَّبَهُ بِنِظامِ المُلْكِ ، فَكَانَ يُدْعَى لهما على المَنابِرِ في الحَرَمَينِ وغَيرِهما .

وصارَ الأُمراءُ إِذا فَرَغُوا من الخِدْمَةِ في القَصْرِ ، نَزَلُوا إلى خِدمَةِ شَيْخٍ في الإِصْطَبْلِ ، فأُعيدَتِ الخِدْمَةُ عندَهُ ، ووقَعَ الإِبرامُ والنَّقْضُ ، ثمَّ يتوجَّهُ دُويدارُهُ إلى الخليفَةِ ، فَيُعَلِّمَ على المَناشِيرِ والتَّواقِيعِ ؛ واستمرَّ الأَمْرُ على ذلِكَ مُدَّةً .

وَكَانَ شيخٌ يظُنُّ أَنَّ الخَلِيفَةَ يتوجَّهُ إلى بيته ، ويَستعفي من السَّلْطَنَةِ ، فلمَّا لَمْ يَفعلْ ، أَعرضَ عنهُ ولَمْ يَبْقَ عِندَهُ إلاَّ مَنْ يخدمُهُ من حاشِيَتِهِ ؛ فلمَّا كَانَ في يَوْمِ الاثنَيْنِ؛ ، مُستهلِّ شَعبان ، أَحضرَ شيخٌ أَهلَ الحَلِّ والعَقْدِ ، والقُضَاةَ والأُمراءَ ، والمُباشرين ، فبايَعُوهُ بالسَّلْطَنَةِ ، ولَقَّبُوهُ بالمَلِكِ المُؤَيَّدِ أَبي النَّصرِ ؛ ثمَّ إِنَّهُ صَعَدَ القَصرَ ، وجلسَ على تَخْتِ المَمْلَكَةِ ، فَقبَّلَ الأُمَراءُ الأَرضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وصافَحَهُ القُضاةُ وأَهلُ الوظائفِ ؛ وأَرسلَ إلى الخَلِيفَةِ يَسأَلُهُ أَنْ يَشْهَدَ عليهِ بتفويضِ السَّلْطَنَةِ لهُ ، على عادَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، فأَجابَهُ بشرطِ أَن يذهبَ إلى بيتِهِ ، فَلَمْ يَوافِقْهُ على ذلِكَ أَيّاماً ، ثمَّ إِنَّهُ نَقَلَهُ من القَصْرِ ، وأَنزلَهُ في دارٍ من دُورِ القَلعةِ ، ومعهُ أَهلَهُ ، ووكَّلَ بهِ مَنْ يَمنعُ النَّاسَ من الدُّخُولِ إِليهِ .

فلمَّا كَانَ في ذِي القعدةِ ، قطعَ الدُّعاءَ للخَلِيفَةِ على المنابِرِ ، وكانَ قبلَ أَن يليَ السَّلطنةَ يُدعى لهُ مع السُّلطانِ ، واستمرَّ في الخِلافَةِ إلى أَنْ خُلِعَ في سنةِ سِتَّ عشرةَ .
=

. . . .

= فلمَّا خَرَجَ المُؤَيَّدُ إلى نَيْرُوزٍ[1] أَرسلَهُ إلى الإسكندَرِيّة ، فَعُقِلَ بها ، ولَمْ يَزَلْ بها إلى أَنِ استقرَّ طَطَر في المَملكة ، فأَرسلَ في إطلاقه ، وأَذِنَ لَهُ في المجيءِ إلى القاهِرَةِ ، فاختارَ الإقامَةَ في الإسكندرِيَّةِ ، لأَنَّها لاقَتْ بحالِه ، واستَطابَها ، وحصلَ لَهُ بها مالٌ جزيلٌ من التِّجارَةِ ، فاستمرَّ إلى أَنْ مَاتَ فيها شَهيداً بالطَّاعونِ ، سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وثمانمئة .

خِلافَةُ المُعتضِد باللهِ أَبي الفتح داود[2]

بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ في سابع عشر ذِي الحِجَّة ، سنةَ ستَّ عشرةَ وثمانمئة ، عوضاً عن أَخيهِ المُستعين باللهِ لمَّا خَلَعَهُ الملكُ السُّلْطَانُ المُؤَيَّدُ ، فاستَدْعاهُ وأَجلسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القاضِي الشَّافعيّ صالح البُلْقِيني ، وقَرَّرَهُ في الخلافَةِ ، فاستمرَّ فيها إلى أَنْ مَات ، يَومَ الأَحَدِ ، الرَّابع من شهرِ ربيعِ الأَوَّل ، سنة خمسٍ وأَربعين وثمانمئة ، وقَدْ قارَبَ السَّبعين ، بعد مَرَضٍ طَويلٍ ، رحمةُ اللهِ تعالى عليه . =

---

(١) نوروز نائب الشَّام ، انتصر للخليفة فاستفتى القضاة والعلماء عمَّا صنعه المؤيد من خلع الخليفة وحصره ، فأَفتوا بأَنَّ ذلكَ لا يجوز ، فأَجمع على قتال المؤيد سنة ٨١٧ هـ . (تاريخ الخلفاء ٦٠٠) .

(٢) تأَخَّرت هاتان التَّرجمتان في ط إلى ما بعدِ الفصل الآتي ؛ وكلُّ ذلكَ ليس من الأَصل .
وترجمة المعتضد وأَخباره في : مآثر الإنافة ٢/ ٢٠٩ والمنهل الصافي ٥/ ٣٠١ وإنباء الغمر ٩/ ١٧٣ والذيل التام ١/ ٦٣٤ والضوء اللامع ٣/ ٢١٥ وتاريخ الخلفاء ٦٠٢ وشذرات الذهب ٩/ ٣٧١ .

. . . .

= **خِلافَةُ المُستكفي باللهِ**[1]

هو سُلَيمان أَبو الرَّبيعِ بن المتوكِّلِ على اللهِ أَبي عبدِ اللهِ محمَّد بن أَبي بكرٍ بن سُليمان بن أَحمد العبَّاسيّ .

بُويِعَ لَهُ بالخِلافَةِ يومَ موتِ أَخيهِ ، شقيقِه المُعتضد باللهِ ، بعهدٍ منهُ ، في العشرِ الأَوَّل من شهرِ ربيعِ الأَوَّلِ ، من سنةِ خَمسٍ وأَربعين وثمانمئة .

[مَاتَ يوم الجُمعةِ ، سلخ ذي الحِجَّة ، سنةَ أَربعٍ وخَمسين وثمانمئة ، ولهُ ثلاثٌ وستُّونَ سنةً][2] .

* * *

فَصل
فِيما يَجِبُ على مَنْ يَصحبُ الخُلفاءَ الرَّاشدين ، وأُمراءَ المُؤمنين ، والمُلُوكَ ، والسَّلاطِينَ

● قال الشَّعبيُّ[3] : قال لي عبدُ اللهِ بن عبَّاسٍ : قالَ لي العَبَّاسُ : يا بنيَّ ؛ إِنِّي أَرى هذا الرَّجلَ - يعني عمرَ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه - يُقَدِّمُكَ على كثيرٍ من أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وَإِنِّي أُوصيكَ بكلماتٍ أَربعٍ : لا تُفْشِيَنَّ لَهُمْ سِرَّاً ، ولا تُحدِّثْهم كَذِباً ، ولا تَطْوِيَنَّ عَنهم نَصِيحةً ، ولا تَغتابَنَّ لَديهم أَحَداً . =

---

(١) ترجمته وأَخباره في : المنهل الصافي ٦/ ١٨٣ والضوء اللامع ٤/ ٢٦٩ وتاريخ الخلفاء ٦٠٥ وشذرات الذهب ٩/ ٢٦٩ .

(٢) الزيادة من تاريخ الخلفاء .

(٣) العقد الفريد ١/ ٩ - ١٠ . وفي المستطرف ١/ ٢٩٠ وأَسرار الحكماء ٣٠٠ تخريج واسع له .

. . . .

= قَالَ الشَّعبيُّ : فقُلتُ لابن عَبَّاسٍ : كلُّ واحدةٍ منهنَّ خَيرٌ من أَلفٍ . قالَ : إِي واللهِ ، ومن عشرةِ آلافٍ .

● قال بعضُ الحُكماءِ[1] : إذا زَادَكَ السُّلطانُ إِكراماً ، فَزِدْهُ إِعْظاماً ؛ وإذا جَعَلَكَ وَلَداً ، فاجْعَلْهُ سَيِّداً ؛ وإذا جَعَلَكَ أَخاً ، فاجعلْه والداً ؛ ولا تُديمنَّ النَّظَرَ إِليهِ ، ولا تكثرْ من الدُّعاءِ لهُ ، ولا تَتَغَيَّرْ منه إذا سخطَ ، ولا تَغْتَرَّ بِهِ إذا رَضِيَ ، ولا تلحَّ في مَسْأَلَتِهِ .

وقد قِيلَ في المعنى : [من الرَّجَز]

قُرْبُ المُلُوكِ يَا أَخَا البَدْرِ السَّنِي   حَظٌّ جَزِيلٌ بَيْنَ شِدْقَيْ ضَيْغَمِ

● قال الفضلُ بن الرَّبيعِ[2] : مَنْ كَلَّمَ المُلُوكَ في حاجَةٍ في غَيْرِ وَقْتِها ، جُهِلَ مَقامُه ، وضَاعَ كلامُه ؛ وما أشبهَ ذَلِكَ إِلاَّ بِأَوْقَاتِ الصَّلاةِ التي لا تُقبل إِلاَّ في وَقْتِها .

● قال خالدُ بن صَفوان : مَن صحبَ السُّلطان بالنَّصِيحَةِ والأَمانَةِ ، كَانَ أَكبرَ عَدُوٍّ لَهُ ممَّنْ صَحِبَهُ بالفسقِ والخيانَةِ ؛ لأَنَّهُ يجتمعُ على النَّاصِحِ عدوُّ السُّلطانِ وصديقُه بالعَداوةِ والحسدِ ؛ فَعَدُوُّ السُّلْطَانِ يُبْغِضُهُ لنَصيحَتِهِ ، وصديقُهُ يُنافسهُ في مَرتبتِهِ .

● قالَ أَفلاطون الحَكيم : إذا خدمتَ مَلِكاً ، فلا تُطِعْهُ في مَعصيَةِ رَبِّكَ ، فإِنَّ إِحسانَهُ إِليكَ أَفضلُ من إِحسانهِ إِليكَ ، وإِيقاعَهُ بكَ أَغلَظُ من إِيقاعِهِ بِهِ . =

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٤٦٠ وأَسرار الحكماء ٩٤ .

(٢) وفيات الأَعيان ٢/ ٢٩٧ وأَسرار الحكماء ٦٢ .

. . . .

= ● وَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ تَواضَعَ لِغَنِيٍّ لأجلِ غِناهُ ، ذَهبَ ثُلثا دِينهِ » .

رَواهُ البَيهقيُّ في « الشُّعَبِ » من حَديثِ ابنِ مَسعودٍ وأَنَسٍ ، بلفظِ « مَنْ أَصبحَ حَزِيناً على الدُّنيا ، أَصبحَ ساخِطاً على رَبِّهِ ، ومَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصيبَتَه ، فإِنَّما يَشكو رَبَّه ، ومَنْ دَخلَ لغنِيٍّ فَتَضَعْضَعَ لَهُ ، ذهَبَ ثلثُ دينِه » .

وأَخرجَ الدَّيلميُّ من حديثِ أَبي ذَرٍّ : « لَعَنَ اللهُ فقِيراً يَتَواضَعُ لِغَنِيٍّ من أَجلِ ماله ؛ مَن فعلَ ذلك فقد ذهبَ ثُلثا دينِه » .

وقَدْ قَال ﷺ : « مَنْ تَرَكَ شَيْئاً للهِ ، عَوَّضَهُ اللهُ خَيراً منه » .

ورَوى أَحمدُ عن بعضِ الصَّحابَةِ ، مرفوعاً : « إِنَّكَ لا تدعُ شَيْئاً اتِّقَاءَ اللهِ ، إلاَّ أَعطاكَ اللهُ خَيراً منه » .

● وقَالَ أَفلاطُون الحكيم : من لم يعتبرْ بالتَّجارِبِ ، أَوْقعه اللهُ في المهالك .

وقالَ : كفى بالتَّجارِبِ تأدِيباً ، وبتقلُّبِ الأَيَّامِ عِظَةً .

وقَالَ : المَلِكُ كالنَّهْرِ الأَعْظَمِ ، تستمدُّ منهُ الأَنهارُ الصِّغارُ ؛ فإِنْ كَانَ عَذْباً عَذُبَت ، وإِنْ كَانَ مالِحاً مَلحَتْ .

وسُئِلَ عَنِ الرَّجلِ العاقِلِ ، فقَالَ : مَنِ اجتمعتْ فِيهِ خِصالُ الأَدَبِ ، ولا يقهرُهُ الغضبُ ؛ لأَنَّ العقلَ أَصلُهُ التَّثَبُّتُ في الأُمُورِ ، وثَمرتُهُ السَّلامَةُ .

وقَالَ : السُّلْطانُ كالسُّوقِ ، مَا رَاجَ فِيهِ حُمِلَ إِليهِ ؛ وصاحِبُ المَلِكِ كراكِبِ الأَسَدِ ، تَهابُهُ النَّاسُ ، وهوَ لمركوبِهِ أَهْيَبُ .

وَقَالَ : مَنْ عَرفَ مَا يطلبُ ، هانَ عليهِ مَا يَبذلُ ؛ ومَنْ أَطْلَقَ بَصَرَهُ ، طَالَ =

. . . .

= أَسَفُهُ ، ومَنْ طَالَ أمله ، ساءَ عمله ؛ وَمَنْ أَطلق لِسانَه ، قَيَّدَ نفسَه ؛ وَمَن أَصلح فاسدَه ، أَرغمَ حاسِدَهُ ؛ وَمَنْ قاسَى الأُمورُ ، فَهِمَ المستورَ ؛ ومَنْ أَحَبَّ المكارِمَ ، اجتَنبَ المحارمَ ؛ ومَنْ حسنَتْ بِهِ الظُّنونُ ، رَمَقتهُ الرِّجَالُ بِالعيونِ .

وَقَالَ : الأَدَبُ ينوبُ عن الحسبِ ، والعفوُ يُفسِدُ اللَّئيمَ ، بقدرِ مَا يُصلحُ الكَريمُ ؛ مَنْ شاوَرَ ذَوِي الأَلبابِ ، دُلَّ على الصَّوابِ ؛ مَنْ أَمَّلَ إِنساناً هابَهُ ، ومَنْ قَصَّرَ عَنْ شيْءٍ عابَهُ ، ومَنْ بَالَغَ في الخُصُومَةِ أَثِمَ ، ومَنْ قَصَّرَ عنها ظُلِمَ ، ولا يَستَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خاصَمَ ، مَنْ فَرَّطَ في الأَمانَةِ ، ضِدَّها عَمِلَ ؛ مَنْ عَرَّضَ نفسَهُ لِمَا قَصَّرَ عَنْهُ فِعْلُهُ ، فَقَدْ نَقَصَ في عينِ غيرِهِ ؛ وَمَنْ جادَ سادَ ، وَمَنْ سادَ قادَ ، وَمَنْ قادَ بلغَ المرادَ ؛ ظُلْمُ الأَيامى واليتامىٰ مِفْتَاحُ الفَقْرِ ؛ لا يَصلحُ للصَّدْرِ إِلاَّ مَنْ كَانَ واسِعَ الصَّدْرِ ، ما تَاهَ إِلاَّ وَضِيعٌ ، ولا فاخَرَ إِلاَّ لَقِيطٌ ، وَلا تَعَصَّبَ إِلاَّ بَخِيلٌ ، ولا أَنْصَفَ إِلاَّ كَرِيمٌ .

الحاجَةُ إِلى الأَخِ المُعينِ ، كالحاجَةِ إِلى الماءِ المَعينِ ؛ الكَريمُ يَلِينُ إِذا اسْتُعْطفَ ، واللَّئِيمُ يَقْسُو إِذا لُوطِفَ .

أَقربُ النَّاسِ إِلى اللهِ ، أَكثرُهم عَفْواً عندَ القُدرةِ ؛ وَأَنْقَصُ النَّاسِ عَقْلاً ، مَنْ ظَلم مَنْ هُوَ دُونَهُ ؛ من لم يكن له من نَفسه واعظٌ ؛ لَمْ تنفعْه المواعِظُ .

مَنْ رَضِيَ بالقَضَاءِ صبرَ على البَلاءِ ؛ مَنْ عَمَّرَ دُنياهُ ، ضَيَّعَ مالَهُ ؛ ومَنْ عَمَّرَ آخِرَتَهُ ، بلغَ آمالَهُ ؛ القَناعَةُ عِزُّ المُعسرِ ، والصَّدقةُ كنزُ المُوسِرِ ؛ مَنْ سَرَّهُ فسادُه ، ساءَ مَعادُهُ ؛ الشَّقِيُّ مَنْ جَمَعَ لغَيرِهِ ، وبخلَ على نَفسه ؛ الخيرُ أَجَلُّ بِضاعةٍ ، والإِحسانُ أَفضلُ صناعةٍ ؛ مَنْ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ ، أَمنَ من عَوارِضِ الإِفلاسِ؛ مَنْ رفعَ حاجَةً إِلى اللهِ، اسْتَظْهَرَ في أَمرِهِ؛ وَمَنْ رَفَعَها إِلى النَّاسِ، =

. . . .

= وَضَعَ مِنْ قَدْرِهِ ؛ مَنْ أَبْدَى سِرَّ أَخيهِ ، أَبْدَى اللهُ أَسرارَ مَساويه ؛ اعْصِ الجاهِلَ تَسْلَمْ ، وأَطِعِ العاقِلَ تَغْنَمْ ؛ ازدِيادُ الأَدَبِ عندَ الأَحمقِ ، كازدِيادِ الماءِ العذبِ في أُصُولِ الحَنْظَلَةِ ، لا يزيدُها إلاَّ مَرارَةً .

مَكتوبٌ في الإنجيلِ : كما تَدينُ تُدانَ ، بالكيلِ الذي تكيلُ تُكالُ .

● وَكَانَ بعضُ الخُلفاءِ[1] يتلطَّفُ في إدخالِ السُّرورِ على إخوانِهِ ، فيضعُ عندَهم الصُّرَّةَ فيها أَلف درهمٍ ، ويقُولُ لبعضِهم : أَمسِكْها حَتَّى أَعودَ إِليكَ ؛ ثمَّ يرسلُ إِليهِ بعضَ غِلْمانِهِ ، فيقُولُ لَهُ : أَنتَ في حِلٍّ من ذَلِكَ .

● وَقَالَ بعضُ الحُكماءِ : أَحْزَمُ النَّاسِ؛ مَنْ وَقَى نفسَهُ بمالِهِ ، ووَقَى دينَهُ بنَفْسه ؛ وأَجودُ النَّاسِ ، مَنْ عاشَ النَّاسُ في فَضْلِهِ ؛ وأَفضلُ اللَّذَّاتِ ، التَّفَضُّلُ على الإخوانِ .

وَقَالَ : المعروفُ ذَخِيرَةُ الأَدَبِ ، والبِرُّ غَنِيمةُ الحازِمِ ، والخيرُ عِطْرُ الأَخيارِ . مَنْ بَذَلَ مالَهُ اسْتَعْبَدَ أَمْثالَهُ ؛ وَمَنْ أَذَلَّ فِلْسَهُ ، أَعَزَّ نَفْسَهُ ؛ وإِنَّ صاحِبَ المعروفِ لا يقعُ ، وإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَّكأً .

وقال : إِمامٌ عادِلٌ ، خيرٌ من مطرٍ وابلٍ ، وسُلطانٌ غَشُومٌ ، خيرٌ من فِتْنةٍ تَدُومُ .

وقَالَ : فَضلُ المُلُوكِ في الإعطاءِ ، وَشَرَفُهم في العَفْوِ ، وعَزُّهم في العَدْلِ ، والعَدْلُ هو نِظامُ العالَمِ . =

---

(١) ليس بعض الخلفاء ، وإنما هو القعقاع بن شور الذُّهليّ ، كما في ثمار القلوب ١/ ٢٣٤ والمستطرف ١/ ٣٨٠ وفيهما مزيد تخريج .

● قَالَ الشَّيخ صلاح الدِّينِ الصَّفدي في « شرحِ لاميَّةِ العجم »[1] : قلتُ : وكذَلِكَ العُبَيْديُّونَ الَّذِينَ تَسَمَّوا بالفاطِمِيِّينَ ، خُلفاء مِصر ؛ فأَوَّلُ مَنْ ملك منهم بالمغربِ المهديُّ ، ثمَّ القائِمُ ، ثمَّ ابنُهُ المنصورُ ، ثمَّ المُعِزُّ ، وهو أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِصرَ منهم كما تقدَّمَ ، ثمَّ العَزيزُ ، ثمَّ كانَ السَّادِسُ الحاكِمُ ، فَقَتَلَتْهُ أَختُه ، وسيأْتِي لَهُ ذِكْرٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالى في « بَابِ الحَاءِ المُهملةِ » ، في لَفْظِ « الحِمَارِ » ، ثمَّ قَالَ : وإِنَّها لَمَّا قَتَلَتْهُ وَلَّتِ ابْنَهُ الظَّاهرَ ، ثمَّ كَانَ المُستنصرُ ، ثمَّ المُستعلي ، ثمَّ الآمِرُ ، ثمَّ الحافِظُ ، ثمَّ كَانَ السَّادِسَ الظَّافرُ ، فخُلِعَ وقُتِلَ ، ثمَّ وُلِّيَ ابنُهُ الفائِزُ ، ثمَّ العاضِدُ وهو آخرُهم .

قالَ : وكذَلِكَ بَنُو أَيُّوب في مُلْكِ مِصر ، فأَوَّلُهم صلاحُ الدِّينِ المَلِكُ النَّاصِرُ ، ثمَّ ابنُهُ العَزيزُ ، ثمَّ أَخُوهُ الأَفضلُ بن صلاحِ الدِّينِ ، ثمَّ العادلُ الكَبيرُ أَخو صلاحِ الدِّينِ ، ثمَّ الكامِلُ وَلده ، ثمَّ كَانَ السَّادِسَ العادِلُ الصَّغيرُ ، فَقَبضَ

= ● وَقَالَ ﷺ : « سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ ، يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ : إمامٌ عادِلٌ » فبدأَ بالعدلِ .

وقال عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « عَدْلُ السُّلْطَانِ يوْماً ، يعدلُ عِبادَةَ سَبعينَ سنةً » .

وَقَالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « عدلُ ساعةٍ في الحكومةِ ، خيرٌ من عِبادَةِ سِتِّين سنةً » .

وقال ﷺ : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ في الأَرْضِ ، يَأْوِي إِليهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبادِهِ ؛ فإِنْ عَدَلَ كَانَ لَهُ الأَجْرُ وعلى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ ، وإِنْ جارَ كانَ عليهِ الإِثْمُ وعلى الرَّعيَّةِ الصَّبْرُ » .

---

(١) الغيث المسجم ٢/ ١١٢ .

عليهِ أَربابُ دَولتِهِ ، وخَلَعُوهُ ، وَوَلَّوْا المَلِكَ الصَّالحَ نَجم الدِّينِ أَيُّوب ، ثمَّ ولده المعظَّم تُوران شاه وهو آخرُهم .

قَالَ : وكذَلِكَ دولةُ الأَترَاكِ ، فأَوَّلُهم المُعِزُّ عِزُّ الدِّينِ أَيْبَكَ الصَّالِحيّ ، ثمَّ ابنه المنصور ، ثمَّ المظفَّرُ قُطز ، ثمَّ الظَّاهر بيبرس ، ثمَّ ابنُهُ السَّعيدُ محمَّد ، ثمَّ كانَ السَّادِسَ العادِلُ سَلامش بن الظَّاهر بيبرس ، فَخُلِعَ ، ثمَّ مَلَكَ النَّاسَ السُّلطانُ المَنصور قَلاوون الأَلْفِي . انتهى(*) .

(*) وَقَدْ ذَكَرَ المُؤَلِّفُ رحمهُ اللهُ تَعالَى دولةَ العُبيديِّينَ ، وغيرهم من مُلُوكِ مصر ، على الإِجمالِ مُختصراً ؛ وَها أَنَا أَذْكُرُهم مُفَصَّلاً مُبَيَّناً .

وذلك[1] أَنَّ الحُسينَ بن محمَّد بن أَحمد بن عبدِ اللهِ القَدَّاح ـ كَانَ يُعالِجُ العُيُونَ ويَقْدَحُها ـ ابن مَيمونَ بن محمَّد بن إِسماعيل بن جَعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحُسينِ بن عليّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ الله عنهم ، قَدِمَ إِلى سَلَمِيَّةَ قبلَ وفاته ، وَكانَ له بها وَدائِعُ وأَموالٌ من ودائِعِ جَدِّه عبد الله القَدَّاح ، فاتَّفَقَ أَنَهُ جَرَى بِحَضْرَتِهِ ذِكْرُ النِّساءِ ، فوَصَفُوا لَهُ امرأَةَ يَهُودِيٍّ حَدَّادٍ مَاتَ عنها زوجُها ، وهيَ في غايَةِ الحُسْنِ والجَمالِ ، وله منها ولدٌ يُماثِلُها في الجَمالِ ، فَتَزَوَّجها ، وأَحَبَّها ، وحَسُنَ موضِعُها منهُ ، وَأَحَبَّ وَلَدَها ؛ فعلَّمه ، فتعلَّم العلمَ ، وصارَت له نَفْسٌ عَظِيمةٌ ، وهِمَّةٌ كبيرةٌ ، وكَانَ الحُسينُ يَدَّعِي أَنَّهُ الوَصِيُّ وصاحِبُ الأَمْرِ ، والدُّعاةُ باليَمنِ والمغربِ يُكاتِبُونَهُ ويُراسِلُونَهُ ، ولَمْ يكن له وَلَدٌ ، فَعَهدَ إِلى ابْنِ اليَهُودِيِّ الحدَّادِ ؛ وهو عُبيدُ اللهِ المهديِّ ، أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ =

---

(1) هذه الرِّوايَةُ في الكامل لابن الأَثيرِ ٨/ ٣٩ وما بعد ، واتِّعاظ الحنفا ١/ ٤١ ـ ٤٢ .
وعقَّب ابنُ الأَثيرِ بقولِه : فيا ليت شعري ، مَا الَّذِي حمل أَبا عبد الله الشّيعي وغيره ممَّن قام بإِظهار هذه الدَّعوة ، حتَّى يُخرجُوا هذا الأَمرَ من أَنفسهم ، ويسلِّموهُ إِلى ولدِ يهوديٍّ ؟ وهل يُسامحُ نفسَهُ بهذا الأَمرِ مَنْ يعتقدهُ ديناً يُثابُ عليه ؟! .

. . . .

= من العُبَيديِّينَ ، ونِسْبَتُهُمْ إِليهِ ، وعَرَّفَهُ أَسرارَ الدَّعوةِ من قولٍ وفِعْلٍ ، وأَمْرَ الدُّعاةِ ، وأَعطاهُ الأَموالَ وَالعَلامَاتِ ، وأَمَرَ أَصحابَهُ بطاعَتِه وخِدْمَتِه ، وَقَالَ : إِنَّهُ الإِمامُ والوَصِيُّ ، وَزَوَّجَهُ بابنَةِ عَمِّهِ ؛ فوضعَ حينئذٍ المهديُّ لنفسِهِ نَسَباً ، وهو : عُبيدُ اللهِ بن الحُسين بن عليّ بن محمَّد [بن عليّ] بن مُوسَى بن جَعْفَر ابن محمَّد بن عليّ بن الحُسينِ بن عليّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ وبعضُ النَّاسِ يقولُ : إِنَّهُ من وَلَدِ القَدَّاحِ .

فلمَّا توفِّي الحُسينُ ، وقَامَ بعدَهُ المهديُّ ، انتشرَتْ دعوته ، وأَرسلَ إِليهِ داعيهِ بالمغربِ يُخبرُهُ بما فتَحَ اللهُ عليهِ من البِلادِ ، وأَنَّهم يَنتظرونَهُ ، فَشَاعَ خبرُهُ عندَ النَّاسِ أَيَّامَ المُكْتَفِي ، فطُلِبَ فهرَبَ هو وولدُهُ أَبو القاسِمِ نِزار ، المُلَقَّبُ بالقائِمِ ، وهو يومئِذٍ غلامٌ ، ومعهما خاصَّتُهما ومَواليهما ، يُريدانِ المغربَ ، فلمَّا وَصلا إِلى أَفريقيَّة ، أَحضَرَ الأَموالَ منها واستَصحبَها معه ، فوصلَ إِلى رَقَّادة في العشرِ الأَخيرِ من شهرِ ربيعِ الآخر ، سنةَ سبعٍ وتسعين ومئتين ، ونزل في قصرٍ من قُصُورِها ، وأَمَرَ أَنْ يُدعى له في الخطبةِ يومَ الجُمعةِ في جميعِ تِلْكَ البِلادِ ، ويُلَقَّبُ بأَميرِ المؤمنين المهديّ ، وجلسَ للدُّعاءِ في يومِ الجمعةِ ، فأَحضرَ النَّاسَ بالعنفِ ودَعاهم إِلى مَذهبه ، فَمَنْ أَجابَ أَحسنَ إِليه ، ومَنْ أَبى حبسهُ .

فابتداءُ دولتهم سنةَ سبعٍ وتِسعينَ ومئتين ؛ فَأَوَّلُهم المهديُّ عُبيد الله ، ثمَّ ابنه القائِم نزار ، ثمَّ ابنه المنصور إِسماعيل ، ثمَّ ابنُه المعزُّ مَعَدٌّ ، وهوَ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِصر من العُبيديِّين ، وَكَانَ ذَلِكَ في سابع عشر شَعبان ، سنةَ ثلاثٍ وخَمسينَ وثلاثمئة ، ودُعِيَ لَهُ فِيها يوم الجُمعةِ ، لعشرينَ من شَعبان على المنابِرِ ، وانقطَعت خُطبةُ بني العَبَّاس من الدِّيارِ المصريَّةِ من يومئذٍ ، وَكانَ =

. . . .

= الخليفةُ العبَّاسيُّ إذا ذَاكَ المطيعُ لله الفضل بن جَعْفَر .

● وفي يوم الثَّلاثاء ، سادس شهر رمضان ، سنة اثنتين وستِّين وثلاثمئة ، دخل المُعزُّ مصرَ ، بعدَ مضيِّ ساعة من اليوم المذكور ـ وكلُّ هذا جَاءَ بطريق الاستطراد ؛ فإنَّ المقصُودَ خلافُهُ ـ ثمَّ العزيزُ بن المُعَزِّ ، ثمَّ ابنُهُ الحاكمُ أبو العبَّاسِ أَحمدَ ، وهو السَّادسُ من العُبَيديِّين فقُتلَ ، لأنَّهُ خرجَ عشيَّةَ يوم الاثنينَ ، سابعَ عشرَ شَوَّال ، سنة إحدى عشرة وأَربعمئة ، وطافَ على عادَته في البلد ، ثمَّ توجَّهَ إلى شرقيِّ حلوان ، ومعه ركابيَّان فردَّهما ، وانتظرهُ النَّاسُ إلى ثالثَ ذي القَعدةَ ، ثمَّ خَرجُوا في طلبه ، فبلَغُوا ذَيْلَ القَصر ، وَأَمْعَنُوا في الطَّلب ، فشاهَدُوا حمارَهُ على ذُرْوَة الجبَلِ مَضروبَ اليَدَيْن بالسَّيف ؛ فتتبَّعُوا الأَثَرَ ، فانتهَوْا إلى برَكة هناك ،ـ ونَزَلَ شخصٌ فيها فوَجَدَ سبعَ جبابَ مَزررةً ، وفيها أَثَرُ السَّكاكين ، فَلَمْ يَشُكُّوا حينئذ في قتله ؛ ثمَّ ابنُهُ الظَّاهرُ أَبو الحسن عليّ ، ثمَّ ابنُهُ المُستنصر ، ثمَّ ابنُهُ المُستَعلي ، ثَمَّ ابنُه الآمرُ ، ثمَّ الحافظُ عبد المجيد بن أبي القاسم محمد بن المُستنصر ، ثمَّ ابنُه الظَّافر ، وهو السَّادس فقُتلَ ، ولَم يلِ الخلافةَ بعدهُ منهم إلاَّ اثنان ، ابنُهُ الفائز ، ثمَّ العاضدُ عبدُ الله بن يوسف بن الحافظ ، وانقرضَتْ دولَةُ العُبيديِّين في سنة سبع وستِّينَ وخمسمئة ، وذلكَ في أيَّام المُستضيء بنور الله أبي محمَّد ، الحسنُ بن المُستنجد العبَّاسيّ .

● وَخَلَفَهُمْ بمصرَ السُّلطان السَّعيد الشَّهيد الملكُ النَّاصرُ صلاحُ الدِّين يوسف بن أيُّوب ، ثمَّ ابنُهُ الملكُ العزيزُ عُثمان ، ثمَّ أخُوهُ الأفضلُ ، ثمَّ الملكُ العادلُ الكَبيرُ أبو بكر بن أيُّوب ، ثمَّ ابنُهُ الملكُ الكاملُ محمَّد ، ثمَّ ابنه الملكُ العادَلُ الصَّغير ، وهوَ السَّادسُ فَخُلعَ ، ثمَّ الملكُ الصَّالحُ أيُّوب بن الكامل ، ثمَّ ابنُه المعظَّمُ تُوران شاه ، ثمَّ أخُوهُ الأشرف يُوسف وهوَ ابن شَجرة الدُّرِّ ، ثمَّ =

. . . .

= المُعِزُّ أَيْبَك ، ثمَّ ابنُه المنصور عليّ ، ثمَّ المُظَفَّرُ قُطُز ، وهو السَّادسُ فقُتِلَ ، ثمَّ الظَّاهر بيبرس ، ثمَّ ابنُهُ السَّعيدُ محمَّد بَركة خان ، ثمَّ أَخُوهُ العادِل سَلامش ، ثمَّ المنصورُ قَلاوون ، ثمَّ ابنُه الأَشرف خليل ، ثمَّ القاهِرُ بَيدر ، وهو السَّادس ، أَقامَ نصفَ يوم وقُتِلَ ، ثمَّ النَّاصِرُ بن المنصور ، فَخُلِعَ مَرَّةً بالعادِل كَتْبُغا ، وخَلَعَ نَفْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَتَسَلْطَنَ مملوكُ أَبيهِ المُظَفَّر بيبرس ، ثمَّ العادِلُ كَتْبُغا ، ثمَّ المنصورُ لاجين ، ثمَّ المُظَفَّرُ بيبرس ، ثمَّ أَخُوهُ الأَشرف كُجُك ، فخُلِعَ ثمَّ قُتلَ وهو السَّادِسُ ، ثمَّ أَخُوهم النَّاصِرُ أَحمد ، ثمَّ أَخُوهم الصَّالح إِسماعيل ، ثمَّ أَخوهُم الكاملُ شَعبان ، ثمَّ أخوهم المُظَفَّرُ حاجِي ، ثمَّ أَخُوهم الملكُ النَّاصِرُ حَسن ، ثمَّ أَخُوهم الملكُ الصّالح صالح ، وهو السَّادِسُ فخُلِعَ وسُجِنَ ، وأُعيدُ المُلْكُ لِمَنْ كَانَ قبلَهُ ، وهو الملكُ النَّاصِرُ حسن ، ثمَّ المنصور عليّ بن الصَّالح ، ثمَّ الأَشرف شَعبان بن حسين بن النَّاصر ، ثمَّ المنصورُ عليّ بن الأَشرف شَعبان بن حسين بن النَّاصر ، ثمَّ أَخُوهُ الصَّالِح حاجِي بن الأَشرف ، ثمَّ الظَّاهر بَرقوق ، ثمَّ أُعِيدَ حاجِي ولُقِّبَ بالمَنْصُورِ ، ثمَّ أُعيدَ بَرقوق ، ثمَّ وَلدُهُ النَّاصر فَرج ، ثمَّ أَخُوه العَزيزُ ، ثمَّ أُعِيدَ فَرجٌ فخُلِعَ وقُتِلَ ، ثمَّ الخليفةُ المُستعين باللهِ العبَّاسي ، ثمَّ الملكُ المُؤَيَّدُ أَبو النَّصر شَيْخٌ ، ثمَّ ابنُهُ الملكُ المُظَفَّرُ أَحمد فخُلِعَ ، ثمَّ المِلكُ الظَّاهِرُ طَطَر ، ثمَّ وَلَدُهُ الملكُ الصَّالِحُ محمَّد فخُلِعَ ، ثمَّ الملكُ الأَشرفُ بَرْسباي ، ثمَّ ابنُهُ الملكُ العَزيزُ يوسف فَخُلع ، ثمَّ الملكُ الظَّاهِرُ جَقمق ، ثمَّ ولَدُه الملكُ المنصورُ عُثمان فَخُلِعَ ، ثمَّ الملكُ الأَشرفُ أَينالَ ، ثمَّ ولَدُهُ الملكُ المُؤَيَّدُ أَحمد فخُلِعَ ، ثمَّ الملكُ الظَّاهِرُ خُشْقَدَم ، ثمَّ الملكُ الظَّاهِرُ بَلْباي فخُلِعَ ، ثمَّ الملكُ الظَّاهِرُ تَمُرْبُغا فخُلِعَ ، ثمَّ الملكُ الظَّاهرُ خايِر بك فخُلِعَ من لَيْلَتِهِ ، ثمَّ الملكُ الأَشرف =

● ولنرجع إِلى مَا قَصدناهُ من الكِتابِ ، واللهُ تَعالى المُوَفِّقُ للصَّوابِ ، فَنَقُولُ :

وهو ـ أَي الإِوَزُّ[1] ـ يحبُّ السِّباحَةَ في الماءِ ، وفَرْخُهُ يخرُجُ من البيضِ فيَسْبَحُ في الحالِ ، وإِذا حَضَنَتِ الأُنْثَى قَامَ الذَّكَرُ يَحْرُسُها ، لا يُفارِقُها طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وتَخرُجُ فِراخُها في أَواخِرِ الشَّهرِ .

● وفي « المجالسة » للدِّيْنَوَرِيّ ، و « الأَذْكِياء » لأَبي الفَرج بن الجوزيّ ، عن محمَّد بن كعب القُرَظِيّ ، قال[2] : جاءَ رَجلٌ إِلى سُليمانَ بن داودِ عليهما الصَّلاةُ والسَّلاَمُ ، فقَالَ : يا نبيَّ اللهِ ، إِنَّ لِي جِيراناً يَسرقُونَ إِوَزِّي ؛ فَنَادَى : الصَّلاةَ جامعةً ، ثمَّ خَطَبَهم ، فقالَ في خُطبته : وأَحدُكم يسرِقُ إِوَزَّ جارِهِ ، ثمَّ يَدْخُلُ المَسْجِدَ والرِّيشُ على رَأْسِهِ ؛ فَمَسَحَ رجلٌ رأْسَهُ بيدِهِ ، فقالَ سُليمان : خُذُوهُ ، فإِنَّهُ صاحِبُكم .

= قايْتباي ، ثمَّ ولدُهُ الملكُ النَّاصِرُ محمَّد فقُتل ، ثمَّ الملكُ الظَّاهرُ قانْصوَه ، خالُ الملِكِ النَّاصِر محمَّد فخُلِعَ ، ثمَّ الملكُ الأَشرفُ جانْبُلاط فخُلِعَ وَقُتِلَ ، ثمَّ الملكُ العادِلُ طُومان باي فخُلِعَ وقُتِلَ ، ثمَّ الملكُ الأَشرفُ قانصوَه الغُوريّ ، ثمَّ السُّلطانُ سَليم بن محمَّد بن بايَزيد بن عُثمان ، ثمَّ ولدُهُ السُّلطانُ سُليمان ، ثمَّ ولدُهُ السُّلطانَ سَليم ، ثمَّ ولدُهُ السُّلطانَ مُراد ، نَصَرَهُ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً ، وفتحَ لهُ فَتْحاً مُبيناً ، بمحمَّدٍ وآلِهِ ، والحمدُ للهِ وحدَهُ ؛ وَقَدْ أَطَلْنا الكَلامَ في ذَلِكَ ، ولكن لا يَخْلُو من فائِدَةٍ أَو فوائِدَ .

---

(١) عَنْ عَجائب المخلوقات ٢٦٩ ، وقد مضى هذا القول .

(٢) المُجالسة ٧/ ٢٠٤ وأَخبار الأَذكياء ١٦ وعيون الأَخبار ١/ ٢٠٦ ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٤٦ .

وحُكمُهُ : حلُّ الأكْلِ بالإجْماعِ .

الخَواصُّ[1] : لَحْمُ الإوَزِّ والبَطِّ كثيرُ الحرارةِ والرُّطُوبَةِ ؛ وبُقراط الحكيم يقُولُ : إنَّهُ أرْطَبُ الطَّيرِ الحَضَرَيِّ ، وأجودُها المَخاليفُ ؛ وهو يُخصبُ الأبدانَ ، لكنَّهُ يملؤُها فُضُولاً ؛ ودفعُ ضَرَرِها نَفْخُ البَوْرَقِ في حُلُوقِها قبلَ الذَّبْحِ ، وهو يَولِّدُ خَلْطاً بَلْغَمِيّاً ، ويُوافِقُ أَصْحَابَ الأَمْزَجَةِ الحارَّةِ ؛ ويُخْتارُ أَنْ يُطْلَى لَحْمُها قبلَ الشَّيِّ بالزَّيتِ ، لتذهبَ زُهومَتُهُ ؛ وفي طبخِهِ أَنْ يكثرَ من الأَبازير الحارَّةِ لِيَزُولَ غِلَظُهُ وزُهومَتُه ، لأنَّهُ كثيرُ الفُضول ، غيرُ مُوافقٍ للمَعدَةِ لعُسْرِ انْهِضامِهِ ، وهو لتكْثيرِهِ الفُضول يُسرعُ إلى توليدِ الحمياتِ .

● قَالَ القَزْوينيّ[2] : إذا شُويت خِصْيَةُ الإوَزِّ ، وأَكَلَها الرَّجلُ ، وجامَعَ زَوْجَته من وَقْتِه ، فإنَّها تَعْلَقُ بإذْنِ اللهِ تَعالى .

وفي جَوْفِهِ حَصاةٌ تَمْنَعُ من الاسْتِطْلاقِ ، إذا شَرِبَها المَبطونُ نَفَعَتْهُ .

وَدُهْنُهُ يَنْفَعُ من ذَاتِ الجَنْبِ ، ودَاءِ الثَّعلَبِ ، إذا طُلِيَا بِهِ .

وَأَكْلُ لِسانِهِ يَنْفَعُ من تَقْطِيرِ البَولِ ؛ إذا دِيمَ عليهِ ، وغِذاؤُهُ جَيِّدٌ ، إلاَّ أَنَّهُ بَطيءُ الهضمِ .

وَأَمَّا بَيْضُهُ فمعتدلُ الحرارَةِ ، لكنَّهُ غليظٌ ، وأَنْفعُه النِّيمبرشْت[3] ، لَكِنَّهُ يَضُرُّ بأَصْحَابِ القُولَنْجِ والرِّيَاحِ والدُّوارِ ؛ وأَكْلُهُ بالصَّعترِ والمِلحِ يَدْفَعُ ضَرَرَهُ ، وهو يُوَلِّدُ دَماً مُنْتناً ، ويُوافِقُ أَصْحابَ الأَمْزِجَةِ الحارَّةِ ، وهو وَبيضُ النَّعامِ غَليظانِ ، بَطيئا الانْهِضَامِ ؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَكْلَهُما فلْيَقنعْ بِصُفرتِهما ؛ ويجبُ أَنْ

---

(١) تذكرة داود ١/ ٦٣ وجامع ابن البيطار ١/ ٦٧ وعجائب المخلوقات ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٦٤ .

(٢) لم أقف على هذا القول بنصه في عجائب المخلوقات .

(٣) لفظة فارسيَّة تعني : نصف مسلوقة ؛ من : نيم : نصف ، وبرشت : شَيّ .

يَعلمَ أَنَّ الصُّفْرَةَ من كلِّ بيضٍ ، أَلطفُ منَ البياضِ ، والبياضُ أَرْطَبُ مِنَ الصُّفْرَةِ ؛ وأَغْذَى البيضِ وأَلْطَفُهُ ذو الصُّفْرَةِ ، وَأَقَلُّهُ غذاءً ما كَانَ من دجاجٍ لا ديكَ لَهُ ؛ وهذا النَّوعُ لا يَتَوَلَّدُ منه حيوانٌ ، ولا مِمَّا يُباضُ في نُقصانِ القَمر على الأَكثر ، لأَنَّ البيضَ من الاستهلالِ إِلى الإِبدارِ يمتلىءُ ويَرطبُ فَيَصلحُ للكونِ ، وبالضِّدِّ من الإِبدارِ إِلى المَحاقِ .

وسيأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ بيضِ الحَجَلِ والدَّجاجِ في أَماكنهما .

٣٨ الإِلْقَةُ[١] : السِّعْلاةُ . وقيلَ : الذِّئبةُ .

وسيأْتِيان إِنْ شاءَ الله تعالى ، في « بابِ السِّينِ المُهملةِ » و« الدَّالِ المُعجمة » .

٣٩ الإِلْقُ[٢] : بالكَسْرِ : الذِّئْبُ ، والأُنْثَى : إِلْقَةٌ ؛ وجَمعُها إِلْقٌ ، ورُبَّما قالُوا للقِرَدَة : الإِلْقَةُ ، ولا يُقالُ للذَّكَرِ : إِلْقٌ ، ولكن قِرْدٌ وَرَبَّاحٌ .

٤٠ الأَوْدعُ : اليَرْبُوعُ ؛ قاله الجَوهريّ[٣] .

وسيأْتي إِن شاءَ اللهُ تَعالى ، في « باب الياءِ » آخرِ الحُرُوف .

٤١ الأَوْرَقُ : من الإِبلِ : الذي لونُهُ بَياضٌ إِلى سوادٍ ؛ قالَهُ الجَوهريُّ[٤] ، وهو أَطيبُ الإِبلِ لحماً ، وليس بمحمودٍ عندَهم في عَمله وسَيْرِه .

٤٢ الأَوْسُ : الذِّئْبُ ؛ وبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ ؛ وأُوَيْسٌ[٥] : اسمٌ للذِّئبِ ،

---

(١) اللسان (أَلق) ١/ ١١٠ . وفي ط : الألفة ! .

(٢) الصحاح ٤/ ١٤٤٦ ، واللسان (أَلق) ١/ ١١٠ .

(٣) الصحاح ٣/ ١٢٩٦ (ودع) .

(٤) الصحاح ٤/ ١٥٦٥ (ورق) .

(٥) عن الصحاح ٣/ ٩٠٦ (أوس) .

جاءَ مُصَغَّراً مثل الكُمَيْت واللُّجَيْن ، قَالَ الهُذَليُّ[1] : [من الرَّجز]

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ والأَمْرُ أَمَمْ   مَا فَعَلَ اليَوْمَ أُوَيْسٌ بالغَنَمْ

وقالَ الكُميتُ[2] : [من الطَّويل]

كَما خامَرَتْ في حِضْنِها أُمُّ عامِرٍ   لِذِي الحَبْلِ حتَّى عَالَ أَوْسٌ عِيالَها

لأَنَّ الضُّبُعَ إذا صِيْدَت . وَلَها وَلَدٌ مِنَ الذِّئْبِ ، لَمْ يَزلِ الذِّئْبُ يُطعِمُ وَلَدَها إلى أَنْ يَكبرَ . قَالَهُ الجَوهريُّ[3] .

قالَ : وقولُهُ لِذِي الحَبْلِ : أَيْ للصَّائِدِ الَّذِي يُعَلِّقُ الحَبْلَ في عُرْقُوبِها ؛ وسيأتِي هذا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « العسبار » أَيضاً .

● روى الحافظ أَبُو نُعيم[4] ، بسَنَدِهِ إِلى حَمْزَةَ بن [أَبي] أَسيد الحارثيِّ ، قَالَ[5] : خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأَنصارِ إِلى بَقيعِ الغَرْقَدِ ، فإذا ذِئْبٌ مُفترشٌ ذِراعَيْه ، فقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « هَذَا أُوَيْسٌ ، فافْرِضُوا لَهُ » فَلَمْ يَفْعَلُوا . انتهى .

وسيأتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى في « باب الذَّالِ المُعجمة » ، في لفظِ « الذِّئبِ » قصَّةُ وافِدِ الذِّئَابِ على رَسولِ اللهِ ﷺ .

---

(١) الشطران لعمرو ذي الكلب الهذلي في رواية الأَصمعي ، من أُرجوزة في ١٥ شطراً ، وهما لأَبي خراش الهذلي في رواية أَبي عمرو الشيباني ، ولرجل من هذيل غير مسمّى في رواية ابن الأَعرابي . [شرح أَشعار الهذليين ٢/ ٥٧٥] وفي ديوان الهذليين ٣/ ٩٦ بلا نسبة .
ـ ورواية الشطر الأَوّل في أ : . . . عمم . وهي رواية صحيحة .

(٢) ديوانه ١/ ٣٨٣ وعيون الأَخبار ٢/ ٧٩ والحيوان ١/ ١٩٨ وثمار القلوب ١/ ٥٨٣ .

(٣) الصِّحاح ٥/ ١٧٧٧ (عول) .

(٤) أَحادِيثُ الذِّئب في دلائل النبوة لأَبي نعيم ٣٧٣ ـ ٣٧٥ وليس فيها هذا الحديث بهذا اللفظ .

(٥) في أ ، ب ، ط : حمزة بن أَسد الحارِثي ، والتصويب من الإصابة ٢/ ١٠٥ (رقم ١٨٢٨) وطبقات ابن سعد ٧/ ٢٦٧ وتهذيب الكمال ٧/ ٣١٣ . وبداية الحديث في الإصابة (ترجمته) .

● وبهَذَا سُمِّيَ أُوَيْسٌ بن عامر القَرني[١] ، أَدركَ النَّبيَّ ﷺ وَلَمْ يَرَهُ ، وسكَنَ الكُوفَةَ ، وهو من أَكبرِ تابعيها .

● روى مُسلمٌ[٢] ، عن أُسير بن جابر ، عن عمر بن الخَطَّاب رضي الله تعالى عنه ، أَنَّ رَسول الله ﷺ ، قال : « خيرُ التَّابعِينَ رجلٌ يُقالُ له : أُوَيْسٌ القَرَنيّ ، يَأْتي عليكم في أَمدادِ أَهلِ اليَمنِ ؛ لو أَقسمَ على اللهِ لأَبَرَّهُ ، فإِنْ استطعتَ أَنْ يَستغفرَ لَكَ فافعلْ » . فلمَّا قَدِمَ على عمر رَضِيَ الله تعالى عنه ، سَأَلَهُ أَنْ يستغْفِرَ لَهُ فاستغفرَ له . الحديثُ بطُولِه .

وقُتل أُوَيْسٌ يَوْمَ صِفِّين مع عليّ بن أَبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه .

● وَرَوَى أَحمد بن حَنبل رضي الله تعالى عنه في « الزُّهد » عن حسنِ البَصري ، أَنَّهُ قَالَ[٣] : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يدخلُ الجَنَّةَ بشفاعَةِ رَجُلٍ من أُمَّتِي ، أَكثر من رَبيعة ومُضر » قال الحسنُ : هو أويس القَرَنيُّ .

وهو منسوبٌ إِلى قَرَن ، بِفَتْحِ الرَّاءِ ، قبيلةٌ من مُراد .

وللجَوهريِّ رحمهُ اللهُ تَعالى في ذَلكَ غَلَطٌ مَشْهُورٌ[٤] .

● وَخَرَّجَ ابنُ السَّمَاك ، عن يحيى بن جعفر ، قال : حدَّثنا شَبابة بن سِوار ، قَالَ : حدَّثَنا جرير بن عُثمان ، عن عبدِ اللهِ بن مَيْسرة ، وحبيب بن عُبيد الرَّحْبيّ ، عن أَبي أُمامة قَالَ[٥] : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يدخلُ الجَنَّةَ بشَفاعَةِ رَجُلٍ من أُمَّتِي ، مثل أَحَدِ الحَيَّين رَبيعة ومُضر . قِيلَ : يا رَسولَ اللهِ ،

---

(١) ترجمته في : طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨١ وحلية الأَولياء ٢/ ٧٩ ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٧٩ وسير أَعلام النبلاء ٤/ ١٩ .

(٢) صحيح مسلم ٢٥٤٢ ومسند أَحمد ١/ ٣٨ وسير أَعلام النبلاء ٤/ ٢٠ .

(٣) الزهد ٤١٤ .

(٤) إِذ نسبه إِلى قَرَن : ميقات أَهل نجد ! . (الصحاح ٦/ ٢١٨١) .

(٥) قارن : التِّرمذيّ (٢٤٣٨) وابن ماجه (٤٣١٦) ومسند أَحمد ٣/ ٦٣ و ٤٦٩ ـ ٤٧٠ .

وما ربيعةُ من مُضَر ؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّما أَقُولُ ما أَقُولُ » . قَالَ : فَكَانَ المَشْيَخَةُ يَرونَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجلَ عُثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه .

● وَذَكَرَ القاضِي عِياضٌ في « الشِّفاءِ » عَنْ كعبٍ[1] : أَنَّ لِكُلِّ رجلٍ من الصَّحابَةِ شَفاعةٌ .

● وَذَكَرَ ابنُ المبارك ، قال : أَخبرَنا عبدُ الرَّحمنِ بن يزيد بن جابر ، أَنَّه بَلَغَه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ[2] : « يَكُونُ في أُمَّتِي رجلٌ يُقالُ لَهُ صِلَةُ بن أَشْيَم ، يَدخلُ الجنَّةَ بشفاعَتِه كذا وكذا » .

٤٣ إيلس : قال القزويني[3] : إِنَّهُ نوعٌ من السَّمَكِ عَظِيمٌ جدّاً ، وحيوانات البحرِ كلُّها تُصاد سواهُ .

ومن خَواصِّهِ : أَنَّهُ إذا شُوِيَ وأَكلَ منهُ شَخْصَان معاً ، بينَهما عَداوةٌ وخصُومةٌ ، تَبَدَّلَتْ أُلْفَةً .

٤٤ الأَيْمُ والأَيْنُ : الحَيَّةُ .

● وقال الأَزرقيُّ في « تاريخ مكَّة »[4] : الأَيْمُ : الحَيَّةُ الذَّكَر ، ثمَّ روى بإسنادِهِ عن طَلْق بن حَبيب ، قَالَ : كنَّا جُلُوساً مع عبد الله بن عَمرو بن العاص رَضِيَ الله تَعالى عنهما في الحِجْرِ ، إِذْ قلصَ الظِّلُّ وقامَتِ المَجالِسُ ، وإذا نَحْنُ ببَرِيقِ أَيْمٍ طَالِعٍ من بابِ بَنِي شَيبةَ ، فاشْرَأَبَّتْ لَهُ أعينُ النَّاس ، فَطَافَ بالبيتِ سبعاً ، وصلَّى ركعتين وراءَ المقامِ ، فقُمْنا إِليهِ ، وقلنا لهُ : أَيُّها المُعْتَمِرُ ، قَدْ

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٥٣٩ . وكعب هو كعب الأَحبار .

(٢) الحديث في حليةِ الأَولياء ٢/ ٢٤١ وسير أَعلام النبلاء ٣/ ٤٩٧ . وقال الذَّهبي : هذا حديث معضل .

(٣) عجائب المخلوقات ٩٨ . وفيه : إِليس ، كما في ب . وفي مسالك الأَبصار ٢٠/ ١٣٢ : آليس .

(٤) أَخبار مكَّة للأَزرقي ٢/ ١٧ .

قَضى اللهُ نُسكَك ، وإِنَّ بأَرْضِنا عَبيداً وسُفهاءَ ، وإِنَّا نَخشى عليك منهم ؛ فمرَّ ذاهِباً نحو السَّماءِ ، فَلَمْ نَرَهُ .

وفي الحديثِ ، أَنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِ الأَيْمِ[1] .

قال ابنُ السِّكِّيتِ : أَصلُه أَيِّمٌ فَخُفِّفَ ، مثل : لَيِّنٌ ولَيْنٌ ، وهَيِّنٌ وهَيْنٌ ؛ والجمع أُيُومٌ .

وسيأتي إِن شاءَ اللهُ تَعالَى في « الكُعَيْت » ما ذَكَرَهُ الأَزرقيُّ عقبَ هذا مِمَّا يُشبهه .

٤٥ الأَيِّلُ : بِتَشديدِ الياءِ المَكسُورَةِ : ذَكَرُ الأَوْعَالِ ، والإِيِّلُ لغةٌ فيه ؛ ويُقالُ : هو الذي يُسَمَّى بالفارِسِيَّةِ : كوزن .

وأَكثرُ[2] أَحواله شبيهٌ ببقرِ الوَحْشِ ، وهو إِذا خَافَ من الصَّيَّادِ ، يرمي نفسَهُ من رأسِ الجَبلِ ، ولا يتضرَّرُ بذَلِكَ ؛ وعدد سِنِيِّ عُمرهِ عددُ العُقَدِ التي في قَرنه ؛ وإِذا لَسَعَتْهُ الحَيَّةُ أَكَلَ السَّرطانَ .

ويُصادِقُ السَّمكَ ، فهو يَمْشِي إِلى السَّاحلِ لِيَرَى السَّمكَ ، والسَّمَكُ يَقربُ من البَرِّ لِيَراهُ ؛ والصَّيَّادُونَ يَعرفونَ هذا ، فيلبَسون جِلْدَهُ ليقصدَهم السَّمكُ ، فَيَصِيدوا منه ؛ وهو مولَعٌ بأَكلِ الحَيَّاتِ يَطلبُها حَيْثُ وَجَدَها ؛ ورُبَّما لَسَعَتْهُ ، فَتَسيل دمُوعُهُ إِلى نُقْرَتَيْنِ تَحتَ مَحاجِرِ عَينيهِ ، يَدخلُ الإِصبعُ فيهما ، فتجمدُ تلكَ الدُّموعُ وتَصيرُ كالشَّمعِ ، فَيُتَّخَذُ دِرياقاً لِسُمِّ الحَيَّاتِ ، وهو البادزَهر الحيوانيّ ، وأَجودُه الأَصفرُ ؛ وأَماكِنُهُ بلادُ الهندِ والسِّنْدِ وفارس .

وإِذا وُضِعَ على لَسْعِ الحَيَّاتِ والعَقارِبِ نَفَعَها ، وإِنْ أَمْسَكَهُ شارِبُ السُّمِّ في فِيهِ نَفَعَهُ ، ولَهُ فِي دَفعِ السُّمومِ خاصِّيَّةٌ عَجيبةٌ .

---

(١) النهاية ١/ ٤٦ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٥١ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣٦ .

وهذا الحَيوانُ لا تَنبتُ لَهُ قُرونٌ إلاَّ بَعْدَ مُضِيِّ سَنتين من عُمره ، فإذا نبتَ قَرناهُ نَبَتا مُستقيمين كالوَتَدَين ، وفي الثَّالِثَةِ يَتَشَعَّبانِ ، ولا يَزَالُ التَّشَعُّب في زيادَةٍ إلى تَمامِ ستِّ سِنينَ ، فحينئذٍ يَكُونانِ كالشَّجرتين في رأسِهِ ، ثمَّ بعدَ ذَلِكَ يُلْقِي قَرنيهِ في كلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، ثمَّ ينبتانِ ، فإذا نَبَتا تَعَرَّضَ بِهما للشَّمسِ لِيَصْلُبا .

● وقال أَرسطو[1] : إنَّ هَذا النَّوعَ يُصادُ بالصَّفِيرِ والغِناءِ ، ولا يَنامُ ما دَامَ يَسمعُ ذَلِكَ ؛ فَالصَّيَّادُونَ يَشغلونَهُ بِذَلِكَ ، ويَأْتُونَهُ من وَرائِهِ ، فإذا رَأَوْهُ قد استرخَتْ أُذناهُ أَخَذُوهُ .

وَذَكَرُهُ من عَصَبٍ ، لا لَحْمَ ولا عَظْمَ ؛ وقَرْنُهُ مُصْمَتٌ لا تَجويفَ فِيهِ ، وهو في نَفْسِهِ جَبانٌ دائِمُ الرُّعبِ .

وهو يأكُلُ الحَيَّاتِ أَكْلاً ذَريعاً ، وإذا أَكَلَ الحَيَّةَ بَدَأَ بِأَكْلِ ذَنَبِها إلى رَأْسِها .

وهو يُلْقِي قُرونَهُ في كلِّ سنةٍ ، وذلكَ إلهامٌ من اللهِ تَعالى ، لِمَا لِلنَّاسِ فِيها مِنَ المنفعةِ ، لأَنَّ النَّاسَ يَطردُونَ بقَرنِهِ كلَّ دابَّةٍ سوءٍ ؛ ويُيَسِّرُ عُسْرَ الولادَةِ ، ويَنفعُ الحواملَ ، ويُخْرِجُ الدُّودَ من البَطْنِ إذا أُحْرِقَ منهُ جُزْءٌ ، ولُعِقَ بالعسلِ . قالَهُ في النُّعوتِ .

ويَسمنُ هذا الحيوانُ سمناً كثيراً، فإذا اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ هَرَبَ خَوْفاً من أن يُصَادَ[2] .

● تَتِمَّةٌ : قالَ الزَّجّاجِيُّ : سُئِلَ ابْنُ دُرَيدٍ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ[3] : [من الوافر]

---

(١) طباع الحيوان ٣٨٤ ـ ٣٨٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣٠ « بقر الوحش » .

(٢) وانظر أخبار الأذكياء ٢٥٢ . وما قاله الزمخشري في ربيع الأبرار ٥/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٣) أَمالي الزّجّاجي ٢٤٧ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٤٩٧ والأشباه والنظائر للسيوطي ٣/ ٦٠ والأبيات فيها جَميعاً بلا نِسْبة .
ـ الأَول ساقط من أ . والرابع ساقط من ب .

هَجَرْتُكِ لا قِلىً مِنِّي وَلَكِنْ ... رَأَيْتُ بَقاءَ وُدِّكِ في الصُّدُودِ
كَهَجْرِ الحائِمَاتِ الوِرْدَ لَمَّا ... رَأَتْ أَنَّ المَنِيَّةَ في الوُرُودِ
تَغِيضُ نُفُوسُها ظَمَأً وَتَخْشَى ... حِماماً فَهْيَ تَنْظُرُ مِنْ بَعِيدِ[1]
تَصُدُّ بِوَجْهِ ذِي البَغْضَاءِ عَنْهُ ... وَتَرْمُقُهُ بِأَلْحَاظِ الوَدُودِ

فقَالَ : الحائِمُ : الَّذِي يَدُورُ حَوْلَ المَاءِ ولا يَصِلُ إليهِ ؛ ومعنى الشِّعرِ : أَنَّ الأَيائِلَ تأْكُلُ الأَفاعِي في الصَّيْفِ ، فَتَحْمىٰ وتَلتهبُ لِحَرَارَتِها ، فتطلبُ الماءَ ، فإِذا رَأَتْهُ امتنعَتْ من شُرْبِهِ ، وحامَتْ عَلَيْهِ تَتَنَسَّمُهُ ، لأَنَّها لو شَربتهُ في تلك الحالَةِ ، فصادَفَ الماءُ السُّمَّ الذي في أَجوافِها هلكَتْ ؛ فلا تَزَالُ تَمتنعُ من شُرْبِ الماءِ حتَّى يَطُولَ بِها الزَّمانُ ، فيذهبُ ثَوَرَانُ السُّمِّ ، ثمَّ تَشْربُه فلا يضرُّها .

فيقولُ هذا الشَّاعِرُ : أَنا في تَرْكِي وِصالَكِ مع شِدَّةِ حاجَتِي إِليهِ ، بِمثابَةِ الحائِمَاتِ الَّتِي تَدَعُ شُرْبَ الماءِ مع شِدَّةِ حاجَتِها إِليهِ ، إِبقاءً على حَياتِها .

● **والزَّجاجيُّ**[2] : هو عبدُ الرَّحمنِ بن إِسحاق ، أَبو القاسم ، الزَّجَّاجِيُّ ، إِمامُ النَّحوِ ، صَحِبَ أَبَا إِسحاقَ الزَّجَّاج فَعُرِفَ بِهِ ، ونُسِبَ إِلَيْهِ .

وَصَنَّفَ كتابَ « الجُمل » وطَوَّلَهُ بكثرَةِ الأَمثلةِ ، ولَمْ يَشْتَغِلْ به أَحَدٌ إِلاَّ انتفعَ بِهِ ، لأَنَّهُ صَنَّفَهُ بمَكَّةَ المُشرَّفَة ؛ وَكَان إِذا فرغَ من بابٍ طافَ أُسبوعاً[3] وَسَأَلَ اللهَ تَعالَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ، وأَنْ يَنْفَعَ بِهِ قارِئه .

ومن كلامه : ما حَرَّمَ اللهُ شَيْئاً إِلاَّ وَأَحَلَّ بِإِزائِهِ خَيْراً منهُ ؛ حَرَّمَ المَيْتَةَ وأَبَاحَ

---

(١) في أ ، ط : تغيظ . . . × .
(٢) ترجمته في : إنباه الرُّواة ٢/ ١٦٠ ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٦ ، وسير أَعلام النبلاء ١٥/ ٤٧٥ .
(٣) أَي سبعة أَشواطٍ .

المُذَكّىٰ ، وحَرَّمَ الخَمْرَ وأَباحَ النَّبيذَ ، وَحَرَّمَ السِّفاحَ وأَباحَ النِّكاحَ ، وحَرَّمَ الرِّبا وأَباحَ البَيْعَ .

توفِّيَ سنةَ سبعٍ ، أَو تِسعٍ وثلاثين وثلاثمئة بدمشق ، وقيل : بطبريَّة .

وما أَحسنَ قولَ أَبي منصورٍ مَوهوب الجَواليقيّ اللُّغويُّ[1] : [من الكامل]

وَرَدَ الوَرَى سِلْسَالَ جَودِكَ فارْتَوَوا   وَوَقَفْتُ حَوْلَ الوِرْدِ [وِقْفَةَ] حائِمِ
حَيْــرَانَ أَطْلُــبُ غَفْلَــةً مِــن وارِدٍ   والــوِرْدُ لا يَــزْدَادُ غَيْــرَ تَــزاحُــمِ

● وَكَانَ الجَواليقيُّ[2] إماماً في فُنونُ الأَدبِ ، وله تَصانيفُ مُفيدةٌ ؛ وكان إماماً للخليفةِ المُقْتَفي ، يُصَلِّي بِهِ الصَّلواتِ الخَمس ؛ ولمَّا دَخَلَ عليْهِ أَوَّلَ دَخْلَةٍ ، قَالَ : السَّلامُ على أَمير المؤمنين ورحمةُ اللهِ وبَركاته ، فقال له الطَّبيب هبة الله بن صاعد بن التلميذ النَّصرانيُّ : ما هكذا يُسَلَّمُ على أَميرِ المؤمنين يا شيخُ ؛ فلَمْ يلتفتْ إِليه الجواليقيُّ ، وقالَ للمُقْتَفِي : يا أَميرَ المؤمنين ، سَلامِي هو ما جَاءتْ بِهِ السُّنَّةُ النَّبويَّة ـ وَرَوَى له خَبَراً في صُورةِ السَّلامِ ـ ثمَّ قَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، لو حَلَفَ حالِفٌ أَنَّ نصرانِيّاً أَو يَهوديّاً لَمْ يَصِلْ إِلى قلْبِهِ نوعٌ من أَنواعِ العلمِ على الوَجْهِ المُعتبرِ ، لَمَا لَزِمَتْهُ كَفَّارَةُ الحنثِ ؛ لأَنَّ اللهَ تَعالى خَتَمَ على قُلوبهم ، ولن يَفُكَّ خَتْمَهُ إِلاَّ الإِيمانُ ؛ فَقَالَ : صَدَقتَ وأَحسنتَ . قَالَ : فكأَنَّما أُلقِمَ ابنُ التِّلميذِ بحجرٍ ، مع فَضلِهِ وَغَزارَةِ أَدبهِ .

ووجدتُ البيتين المتقدِّمين لابنِ الخشَّابِ من أَبياتٍ .

---

(١) نسبهما ابن خلكان ٥/ ٣٤٣ إلى الجواليقي ، ثم قال : وجدت البيتين المتقدمين لابن الخشاب ، كما سيأتي ؛ وهما للخشاب في معجم الأُدباء ٤/ ١٥٠٤ .

(٢) الترجمة بحروفها عن ابن خلكان ٥/ ٣٤٢ وما بعد ؛ وانظر إِنباه الرواة ٣/ ٣٣٥ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٧٣٥ وسير أَعلام النبلاء ٢٠/ ٨٩ .

وخبر دخولِه على الخليفة : في مصادر ترجمته وتاريخ الخلفاء ٥٢٠ .

توفي الجَواليقيُّ في سنةِ تِسعٍ وثلاثين وخَمسمئة ببغداد .

الحُكمُ : يحلُّ أَكْلُهُ ، لأنَّهُ مُستطابٌ كالوَعْلِ ؛ ولم يَذكرهُ الرَّافعيُّ في بابِ الأَطعمةِ ، وإنَّما ذكره في بابِ الرّبا ، فقَالَ : وفي لحمِ الظِّباءِ مع الأَيِّلِ تردُّدٌ للشَّيْخِ أَبي محمَّد ، واستقرَّ جوابُهُ على أَنَّهما كالضَّأنِ مع المَعْزِ : أَي فلا يُباعُ أَحدُهما بالآخر إلاَّ مِثْلاً بِمِثْلٍ . انتهى .

وحَكى المُتَولِّي في ذلِكَ وَجهين ، من غير تَرجيحٍ .

الخَواصُّ[1] : إذا بُخِّرَ بقَرنه، طردَ الهوامَّ وَكُلَّ ذِي سُمٍّ ؛ وإذا أُحْرِقَ قَرْنُهُ ، وسُحِقَ ، واسْتِيكَ بِهِ ، قطعَ الصُّفْرَةَ والحُفَرَ من الأَسنانِ ، وشَدَّ أُصولَها .

ومن عُلِّقَ عليْهِ شَيْءٌ من أَجزائِهِ ، لَمْ ينمْ ما دامَ عليهِ .

وإذا جُفِّفَ قَضيبُهُ ، وسُقِيَ ، هَيَجَ الباهَ ؛ وإذا شُرِبَ دَمُهُ ، فَتَّتَ الحَصاةَ التي في المثانَةِ ؛ واللهُ تعالى أَعلم .

٤٦ ابنُ آوى : جَمعه : بَناتُ آوى ؛ وكذلك ابن عِرْسٍ وابنُ المَخاضِ ، وابنُ اللَّبُونِ ؛ تقول : بَنات عِرْسٍ ، وبَنات مَخاضٍ ، وبَنات لَبونٍ ، وبَنات آوى ؛ ولا يَنصرفُ ؛ قَالَ الشَّاعرُ[2] : [من الرَّجز]

إنَّ ابـنَ آوى لَشَـديـدُ المُقْتَنَـصْ   وَهْـوَ إذا مـا صِيْـدَ رِيْـحٌ فـي قَفَـصْ

وكُنيته : أَبو أَيُّوب ، وأَبو ذُؤَيب ، وأَبو كعب ، وأَبو وائل .

وسُمِّيَ ابنُ آوى ، لأَنَّهُ يأْوِي إِلى عُواءِ أَبناءِ جِنسه ، ولا يَعوي إِلاَّ ليلاً ، وذلك إذا استوحَش وبقيَ وَحدَه ؛ وصِياحُهُ يُشبِهُ صِياحَ الصِّبيان ، وهو طَويلُ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٥١ ، وتذكرة داود ١/ ٦٣ ـ ٦٤ وجامع مفردات ابن البيطار ١/ ٧٢ ، ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٣٦ .

(٢) الشطران في ثمار القلوب ١/ ٤٢٠ وخاص الخاص ٩٨ والإعجاز والإيجاز ٩٩ ولطائف اللُّطف ٥٢ ووفيات الأَعيان ٢/ ١١٨ بلا نسبة .

المَخالِبِ والأَظفارِ ، يَعدو على غَيره ، ويأكلُ مِمَّا يَصيدُ من الطُّيُورِ وغَيرها .

وخوفُ الدَّجاجِ منهُ أَشَدُّ من خَوْفِها من الثَّعلَبِ ، لأَنَّهُ إِذا مرَّ تَحْتَها ، وهيَ على الشَّجرةِ أَو الجدارِ ، تساقطَتْ ، وإِنْ كانت عَدَداً كَثيراً .

الحُكْمُ : الأَصَحُّ : تَحريمُ أَكلِه ، لأَنهُ يَعْدُو بنابِهِ ؛ ولو قِيلَ : إِنَّ نابَهُ ضَعيفٌ ، فيَكُونُ كالضَّبُعِ والثَّعلبِ ، لَكَانَ مَذهباً .

وملخَّصُ مَا فِيهِ عندنا وَجهانِ : الأَصَحُّ في « المُحرَّر » و« المنهاج » و« الشَّرح » و« الحاوي » الصَّغيرين ، التَّحريمُ ؛ والثَّانِي : وهو اختيارُ الشَّيْخِ أَبي حامِد : الحِلُّ .

وسُئِلَ الإِمامُ أَحمد عنهُ ، فَقَالَ : كلُّ ما نَهَشَ بأَنيابِهِ فهو من السِّباعِ ؛ وبِحَظْرِهِ قَالَ أَبو حَنيفة وصاحِباهُ .

الخَواصُّ[1] : إِذا تُرِكَ لسانُهُ في بيتٍ ، وقَعت الخُصومةُ بين أَهله .

ولحمُه ينفعُ من الجنونِ والصَّرع العارضِ في أَواخِرِ الشَّهرِ .

وإِذا عُلِّقَتْ عينُه اليُمْنَى على مَنْ يَخافُ العَين ، أَمِنَ ولمْ تَضُرَّهُ عينُ عائنٍ .

وقلبُهُ إِذا عُلِّقَ على شَخْصٍ أَمِنَ من سائِرِ السِّبَاعِ بإِذْنِ اللهِ تَعالَى ؛ واللهُ تَعالى أَعلمُ .



(١) عجائب المخلوقات ٢٥٢ ومسالك الأبصار ٢٠/٣٨ ـ ٣٩ .

باب الباء المُوَحَّدة

٤٧ **البابُوس** : الصَّغيرُ من أُولادِ النَّاسِ ، وغيرهم ؛ قَال ابنُ أَحمر[١] :

[من البسيط]

حَنَّتْ قَلُوصِي إِلى بابُوسِها طَرَباً وَمَا حَنينُكَ بَلْ ما أَنْتَ والذِّكْرُ

٤٨ **البازي** : أَفْصَحُ لُغاته بازِي ، مخفَّفة الياءِ ، والثَّانيةُ بازٌ ، والثَّالثةُ بازيّ بتَشديدِ الياءِ ؛ حكاها ابنُ سِيْدَه . وهو مُذَكَّرٌ لا اختلافَ فِيه .

ويُقالُ في التَّثنية : بازِيان ، وفي الجَمْعِ : بُزاةٌ ، كقاضِيانِ وقُضاةٌ .

ويُقَالُ للبُزاةِ والشَّواهين وغيرهما مِمَّا يَصيدُ : صُقورٌ .

ولفظُهُ مشتقٌّ من البَزَوانِ ، وهوالوَثْبُ .

وكُنيَتُهُ : أَبو الأَشعثِ ، وأَبو البُهلولِ ، وأَبو لاحِقٍ ؛ وهو مِنْ أَشَدِّ الحيوانِ تكَبُّراً ، وأَضْيَقِها خُلُقاً .

● قالَ القَزوينيّ في « عجائبِ المَخلوقاتِ »[٢] : قالُوا : إِنَّهُ لا يَكونُ إِلاَّ أُنْثَى ، وَذَكَرُها من نوعٍ آخرَ كالحِدَأِ والشَّواهِينِ ، ولهذا اختَلفَ أَشكالُها .

● روينا عن عبدِ اللهِ بن المبارك ، أَنَّهُ كانَ يَتَّجِرُ ويَقُولُ[٣] : لَوْلا خَمسةٌ ما اتَّجَرْتُ : السُّفيانان وفُضيل وابنُ السَّمَّاكِ وابنُ عُلَيَّة ؛ أَي ليصِلَهم ؛ فقَدِمَ

---

(١) ديوانه ١٠٢ .

(٢) عجائِبُ المخلوقاتِ ٢٧٠ وعنه مسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٥ والمستطرف ٢/ ٤٤٧ .

(٣) الخبر والأَبيات في : تاريخ بغداد ٧/ ٢٠٦ و ٢٠٧ والورقة ١٦ وروضة العقلاء ٢٣ و ٢٤ ومحاضرات الرَّاغب ١/ ٣٤ ـ ٣٥ وسير أَعلام النبلاء ٨/ ٤١١ و ٩/ ١١٠ و ١١٧ وأَخبار القُضاة ٣/ ١٦٩ ، وديوانه ٦٨ .

سنةً ، فقِيلَ لَهُ : قَدْ وَليَ ابْنُ عُلَيَّة القَضاءَ ؛ فَلَمْ يَأْتِهِ ولَمْ يَصِلْهُ بشيءٍ ، فأتى إليهِ ابنُ عُلَيَّة ، فلَمْ يرفعُ رأسَهُ إليهِ ، ثمَّ كَتَبَ إليهِ ابنُ المباركِ يَقُولُ : [من السَّريع]

يا جَاعِلَ العِلْمِ لَهُ بازِياً ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ المَساكِينِ
احْتَلْتَ لِلدُّنْيا وَلَذَّاتِها ... بِحِيْلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّيْنِ
فَصِرْتَ مَجْنُوناً بِها بَعْدَما ... كُنْتَ دَواءً لِلمَجانِينِ
أَيْنَ رِواياتُكَ في سَرْدِها ... لِتَرْكِ أَبْوابِ السَّلاطِينِ
أَيْنَ رِواياتُكَ فِيما مَضَى ... عَن ابْنِ عَوْفٍ وابْنِ سِيْرِينِ
إِنْ قُلْتَ : أُكْرِهْتُ ؛ فَذَا باطِلٌ ... زَلَّ حِمارُ العِلْمِ في الطِّيْنِ

فلمَّا وَقفَ إسماعيل بن عُلَيَّة على الأَبياتِ ، ذَهَبَ إِلى الرَّشِيدِ ، ولَمْ يَزَلْ بِهِ إلى أَنْ اسْتَعْفاهُ من القَضاءِ ، فأَعفاه .

● وعَبدُ اللهِ بن المبارك[1] : إمامٌ جَليلٌ ، زاهدٌ عابدٌ ؛ جمعَ بينَ العِلمِ والعَمَلِ .

● ذكر ابن خلّكان في تَرجمته ، قَال[2] : عَطَسَ رجلٌ عند عبد الله بن المُبارَكِ ، فلَمْ يَحْمَدِ اللهَ عزَّ وَجَلَّ ، فقالَ لَهُ ابنُ المبارك : أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُ العاطِسُ إذا عَطسَ ؟ قَالَ : الحمدُ للهِ . فَقَالَ ابنُ المُبارَك : يَرحمكَ اللهُ ؛ فعجبَ الحاضِرُونَ من حُسْنِ أَدَبِهِ .

● وَقال أَيضاً[3] : قَدِمَ هارُونُ الرَّشِيدُ الرَّقَّةَ ، فانْجَفَلَ النَّاسُ خَلْفَ

---

(١) ترجمته في : تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٨ وتاريخ دمشق ٣٨/ ٣٠١ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٢ وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٦ .

(٢) لم يرد الخبر في ترجمته من وفيات الأعيان ، واستدركه محققه في ٨/ ٦٢٩ عن الدَّميري ؛ وهو في تاريخ بغداد ١١/ ٣٩١ وتاريخ دمشق ٣٨/ ٣٥٠ ، وحلية الأولياء ٨/ ١٧٠ وسير ٨/ ٣٨٣ .

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٣ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣ وسير ٨/ ٣٨٤ .

عبد اللهِ بن المبارك ، وتقطّعت النِّعالُ ، وارتفعَتِ الغَبْرَةُ ، فأَشرفتْ أُمُّ الرَّشيدِ من قصرِ الخَشَبِ ، فلمَّا رَأَتِ النَّاسَ ؛ قَالتْ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : عالِمٌ من أَهلِ خُراسان ، يُقالُ لَهُ عبدُ اللهِ بن المبارك ؛ فقالتَ : هذا واللهِ المُلْكُ ، لا مُلْكُ هارُون الذي لا يَجْمَعُ النَّاسَ إلاَّ بِشُرَطٍ وَأَعْوانٍ .

● وَذَكَرَ غيرهُ[1] : أَنَّ عبدَ الله بن المبارك استَعارَ قَلَماً مِنَ الشَّامِ ، فعرَضَ لَهُ سَفَرٌ ، فسافرَ إلى أَنطاكيَّة ، وكان قد نَسِيَ القلمَ معه ، فتذَكَّره هناك ، فرجعَ من أَنطاكِيَّة إلى الشَّامِ مَاشياً ، حتَّى رَدَّ القلمَ إلى صاحبه وعادَ .

ورُوي أَنَّ عندَ ذِكره ، تنزلُ الرَّحمةُ .

توفِّي رحمه الله تعالى سنةَ إِحدى وثمانين ومئة ، رحمةُ الله تعالى عليه .

● ومن أَخبارِ الرَّشيدِ[2] : أَنَّهُ خَرَجَ يَوْماً إِلى الصَّيْدِ ، فأَرْسَلَ بازِياً أَشهبَ ، فلم يزلْ يُحلِّقُ حتَّى غابَ في الهواءِ ، ثمَّ رَجعَ بعد اليَأْسِ منه ، ومعهُ سَمكةٌ ، فأَحضرَ الرَّشيدُ العُلماءَ ، وسَأَلَهم عن ذَلِكَ ، فَقَالَ مُقاتل : يا أَميرَ المؤمنين ، رَوينا عن جَدِّكَ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما ، أَنَّ الهَوَاءَ مَعمورٌ بأُمَمٍ مُختلِفَةِ الخَلْقِ ، سُكَّانٍ فِيه ، ذَواتِ بَيْضٍ ، تفرِّخُ فِيه شَيْئاً عَلَى هَيْئَةِ السَّمَكِ ، لَهَا أَجنحَةٌ لَيْسَت بِذَواتِ رِيشٍ ؛ فأَجازَ مُقاتِلاً على ذَلِكَ وَأَكْرَمَهُ .

وهو خَمسةُ أَصنافٍ : البازِي ، والزُّرَّقُ ، والباشِقُ ، والبَيْدَقُ ، والعِفصي .

● **والبَازِي** : أَحَرُّها مِزاجاً ، لأَنَّهُ قَليلُ الصَّبر على العطشِ ، ومأْوَاهُ مَساقِطُ الشَّجَرِ العالِيَةِ المُلتفَّةِ ، والظِّل الظَّليل ؛ وهو خَفيفُ الجناحِ ، سَرِيعُ الطَّيَرانِ ؛ وإِناثُهُ أَجْرَأُ على عِظامِ الطَّيْرِ من ذُكُورِهِ ؛ وَهَذَا الصِّنْفُ تُصيبُهُ

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٧ وسير ٨/ ٣٩٥ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٣٠ والمستطرف ٢/ ٤٤٨ .

الأَمراضُ ، وانْحِطاطُ اللَّحْمِ والهزال ؛ وأَحسنُ أَنْواعه ما قَلَّ رِيشُه ، واحمرَّت عَيناهُ ، مَع حِدَّةٍ فيهما ؛ كَما قَالَ النَّاشِيءُ[1] : [من الرَّجز]

لَـوِ اسْتَضَـاءَ المَـرْءُ فـي إِدْلاجِـهِ ... بِعَيْنِـهِ كَفَتْـهُ عَـن سِـراجِـهِ

وَدونَهُ الأَزرقُ ، والأَحمر العَيْنينِ ؛ والأَصْفَرُ دُونَهُما .

وَمِنْ صِفاتِهِ المحمودَةِ أَنْ يَكُونَ طَويلَ العُنقِ ، عَريضَ الصَّدْرِ ، بَعيدَ المَنكبين ، شديدَ الانْخِراطِ إِلى ذَنَبِهِ ، وأَنْ تكُونَ فخذاه طَويلتين مُسَرْوَلَتَيْن بريشٍ ، وذِراعَاهُ غَليظتينِ قَصيرتين .

وفرخُ البازِي يُسَمَّى غِطْرِيفاً ، ويُضربُ بالبازِي المَثَلُ في نِهايَةِ الشَّرفِ ، كَما قَالَ الشَّاعِرُ : [من الوافر]

إِذا مَـا اعْتَـزَّ ذُو عِلْـمٍ بِعِلْـمٍ ... فَعِلْـمُ الفِقْـهِ أَوْلـى بـاعْتِـزازِ[2]

وَكَـمْ طِيْـبٍ يَفُـوحُ ولا كَمِسْـكٍ ... وَكَـمْ طَيْـرٍ يَطِيـرُ ولا كَبـازِ[3]

● قال الشَّيخ الزَّاهدُ أَبُو العَبَّاسِ القَسطلانيّ : سمعتُ الشَّيْخَ أَبا شُجاع زاهر ابن رُسْتَم الأَصْبَهانيّ أَمامَ مَقامِ إِبراهيم بِمَكَّةَ ، يقولُ : سمعتُ الشَّيخ أَحمد خادم الشَّيخ حمَّاد ، يَقُولُ : دَخلَ الشَّيْخ عبدُ القادر على الشَّيخ حَمَّاد الدَّبَّاس[4] يَزُورُهُ ، فَنَظَرَ إِليهِ الشَّيْخُ ، وكَانَ قَدْ رَأَى أَنَّهُ اصْطَادَ بازِياً ، فأَثَّرت نظرةُ الشَّيْخِ فِيهِ ، فَخَرَجَ من عندِه وتَجَرَّدَ عن أَسبابِهِ ، وكَانَ من أَكابِرِ أَصْحابِهِ . انتهى .

---

(١) الشطران في ديوانه ٤٩ [ضمن مجلة المورد العراقيَّة مج ١١ ع ٣] ، والمستطرف ٢/ ٤٤٨ .

(٢) في ب : × . . . أشرفها اعتزازي .

(٣) في ب : × وكم طيرٍ ولكن لا كَبازي .

(٤) الشيخ حمَّاد بن مسلم الدَّبَّاس البغدادي ، أَخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وانتهت إليه رئاسة الصُّوفيَّة ببغداد ؛ توفي سنة ٥٢٥ هـ . (طبقات المناوي ٢/ ٤٠٤ و ٤/ ٢٧٠ والوافي بالوفيات ١٣/ ١٥٢) .

ولهَذَا كَانَ الشَّيخ عبدُ القادِرِ يَقول : [من الكامل]

أَنــا بُلْبُــلُ الأَفْــرَاحِ أَمْــلأُ دَوْحَهــا طَـرَبـاً وفــي العَلْيَــاءِ بــازٌ أَشْهَــبُ

● قالَ الشَّيْخُ أَبُو إِسحاق الشِّيرازي في « طبقاته »[1] : كَانَ ابنُ سُرَيْجٍ ، يُقالُ لَهُ : البازُ الأَشْهَبُ .

● وقَالَ الوعيظيُّ[2] في أَوَّلِ قَصيدَتِهِ : [من البسيط]

لَيْسَ المُقامُ بِدارِ الذُّلِّ من شِيَمي ولا مُعــاشَــرَةُ الأَنْــذَالِ مــن هِمَمِـي
وَلا مُجــاوَرَةُ الأَوْبَــاشِ تَجْمُــلُ بِــي كَـذَلِـكَ البـازُ لا يَـأْوِي مـعَ الـرَّخَـمِ

● وَأَمَّا **البَاشَقُ** : بفَتْحِ الشِّين وكسرِها ، فأَعجميٌّ مُعَرَّبٌ ، وكُنيته أَبو الأَخْذِ ، وهو أَيضا حارُّ المِزاجِ ، يغلبُ عَلَيْهِ القَلَقُ والزَّعارَّةُ ، يأنَسُ وَقتاً ويَستوحشُ وقتاً ؛ وهو قويُّ النَّفسِ ؛ فإِذا أَنِسَ منهُ الصَّغيرُ بلغَ صاحِبُه من صَيدِهِ المُرادَ ؛ وهو خَفيفُ المَحْمَلِ ، ظَرِيفُ الشَّمائِلِ ، يَلِيقُ بالمُلُوكِ أَنْ تَحْمِلهُ ، لأَنَّهُ يَصِيدُ أَفخرَ مِمَّا يَصِيدُه البازي ، وهو الدُّرَّاجُ والحَمامُ والوَرْشَانُ ؛ وهو كَثيرُ الشَّبَقِ ، وإِذا قَوِيَ عليْهِ صيدُه لا يَتركُه إِلاَّ أَنْ يَتْلَفَ أَحدُهما .

وأَحمدُ صِفاتِهِ أَنْ يَكُونَ صَغيراً في المنظرِ ، ثَقيلاً في المِيزانِ ، طَويل السَّاقَيْنِ ، قَصِيرَ الفَخْذَيْنِ .

● وَأَمَّا **البيدقُ** : فلا يَصِيدُ إِلاَّ العصَافِيرَ ، وهو قليلُ الغَناءِ ، قَرِيبٌ في الطَّبْعِ من العفْصي .

● قالَ أَبو الفَتْح كَشاجم في المَعنى[3] : [من الرَّجز]

---

(١) طبقات الفقهاء ١٠٨ ـ ١٠٩ . (وابن سريج : هو أَبو العبَّاس أَحمد بن عمر بن سريج الشافعي ، توفي سنة ٣٠٦ هـ) .

(٢) كَذا في ط ، وفي أ : البغيضي . ولم أَعرفهما .

(٣) ديوانه ٤٥٨ . والأَوَّل في ط : . . . والبيارق × . والمثبت من أ ، ب .

حَسْبِـي مِـن البُـزاةِ والـزَّرارِقِ ... بِبَيْـدَقٍ يَصِيـدُ صَيْـدَ البـاشِـقِ
مُـؤَدَّبٍ مُـدَرَّبِ الخَـلائِـقِ ... أَصْيَـدَ مِـنْ مَعْشُـوقَـةٍ لِعـاشِـقِ
يَسْبِـقُ فـي السُّـرْعَـةِ كُـلَّ سابِـقِ ... لَيْـسَ لَـهُ فـي صَيْـدِهِ مِـنْ عـائِـقِ
رَبَّيْتُـهُ وَكُنْـتُ غَيْـرَ واثِـقِ ... أَنَّ الفَـرازِيْـنَ مِـنَ البَيـادِقِ

● وأَمَّا **العفصي** : فهو أَصغرُ الجوارِحِ نَفْساً ، وأَضعفُها حِيلةً ، وَأَشَدُّها ذُعراً ، وأَيْبَسُها مِزاجاً ؛ يَصِيدُ العصفورَ في بعضِ الأَحايينِ ، وربَّما هَربَ منهُ ؛ وهو يُشبه الباشِقَ في الشَّكْلِ إلاَّ أَنَّهُ أَصغرُ منه .

● **الحُكم** : يُحرَّمُ أَكلُهُ بِجَمِيعِ أَنواعِهِ ، لِنَهْيِهِ ﷺ عن أَكْلِ كُلِّ ذِي نابٍ مِنَ السِّباعِ ومخلبٍ من الطُّيُورِ ، رواهُ مُسلم ، عن مَيمون بن مِهْرَان ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[1] ؛ وبهذا قَالَ أَكْثرُ أَهلِ العِلْمِ .

وقَالَ مالِكٌ واللَّيْثُ والأَوزاعِيُّ ويحيى بن سَعيد : لا يُحَرَّمُ مِنَ الطَّيْرِ شَيْءٌ ، واحتجُّوا بِعُمومِ الآياتِ المُبيحةِ ، وَلَمْ يثبتْ عِنْدَ مالك حديثُ النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نابٍ من السِّباعِ ، فَكَانَ على الإِباحَةِ .

قال الأبهريُّ : ليس في ذي المخلب عن النَّبِّي ﷺ نَهْيٌ صحيحٌ .

وقَالَ غيرُهُ : لَمْ يثبتْ حَدِيثُ النَّهيِ عَنْ أَكلِ كلِّ ذِي مخلبٍ مِنَ الطَّيرِ ، لأَنَّ مَيمونَ بن مِهْران رَواهُ عن ابن عبَّاسٍ ، وسقَطَ بينَهما سَعيد بن جُبير ، فَصَارَ هذا عِلَّةً تَحُطُّه عن رُتْبةِ الصَّحيحِ .

وَقَالَ إِمامُنا الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، يُكرهُ للمُحرمِ استصحابُ البازي ، وكلِّ صائدٍ من كلبٍ وغيرِهِ ، لأَنَّهُ يُنَفِّرُ الصَّيْدَ ، وَرُبَّما انْفلَتَ فقَتلَ صَيْداً ، فإِنْ حَمَلَهُ فأَرسَلَهُ على صَيْدٍ ، فَلَمْ يقتلْهُ ولَمْ يُؤْذِهِ ، فلا جزاءَ عليهِ ،

---

(١) صحيح مسلم (١٩٣٤) و (١٩٣٢) .

لكنْ يأْثَمُ ، كما لَوْ رَماهُ بِسهمٍ فأَخطَأَهُ ، فإِنَّهُ يَأْثَمُ بالرَّمي لِقَصدهِ الحَرامَ ، ولا ضَمانَ لعدمِ الإِتلافِ .

قالَ : وَما فِيهِ مَضَرَّةٌ وَمَنفعةٌ ، لا يُسْتَحَبُّ قتلُهُ لِما فِيهِ من المنفعةِ ، ولا يُكرهُ لِعدوانِهِ على النَّاسِ كالبازِي والفَهد والصَّقر والعُقاب ونَحوها .

وَيَصِحُّ بَيعُ البازِي وإِجارَته بلا خلافٍ ، لأَنَّهُ طاهِرٌ مُنتفعٌ بِهِ .

● رَوى التِّرمذيّ[1] عن عديّ بنِ حاتم رضي الله تعالى عنه ، قال : سأَلتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن صيدِ البازِي ، فَقَالَ : « مَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ فَكُلْ » .

الأَمثالُ : قالتِ العربُ :

وهَلْ يَنْهَضُ البازِي بِغَيْرِ جَناحِ

يُضرَبُ في الحَثِّ على التَّعاوُنِ والوِفاقِ .

قال الشَّاعِرُ[2] : [من الطَّويل]

أَخـاكَ أَخَـاكَ إِنَّ مَـنْ لا أَخـا لَـهُ ... كَسَاعٍ إِلـى الهَيْجَـا بِغَيْـرِ سِـلاحِ[3]

وإِنَّ ابْنَ عَمِّ المَرْءِ فاعْلَمْ جَناحَهُ ... وَهَـلْ يَنْهَـضُ البـازِي بِغَيْـرِ جَنـاحِ

● ومن مُلَحِ أَمثالِ أَبي أَيُّوب سُليمان بن مَخلد[4] : قال خالد بن يزيد

---

(١) الترمذيّ (١٤٦٧) وأَبو داود (٢٨٥١) وأَحمد في المسند ٤/ ٢٥٧ .

(٢) البيتان لمسكين الدَّارمي في أَمثال أَبي عبيد ١٨١ وفصل المقال ٢٦٩ وشرح أَبيات سيبويه للسيرافي ١/ ١٢٧ وخزانة الأَدب ٣/ ٦٥ ـ ٦٧ ، وديوانه ٢٩ . والأَوَّل عند الشنتمري في تحصيل عين الذهب ١٨١ منسوباً إِلى إِبراهيم بن هرمة ، وليس في ديوانه .
وقال البكري في فصل المقال : ٢٧٠ : نسبه أَبو جعفر ابن النحاس في كتابه الذي عمله في أَبياتِ سيبويه إِلى ابن هرمة .
قلتُ : والبيت بلا نسبة في المطبوع من شرح أَبيات سيبويه لابن النحاس ١٤٧ ! .

(٣) في ب : × كَداعٍ . . . .

(٤) في أ ، ط : سليمان بن أَبي مجالد . وفي الوافي بالوفيات ١٥/ ٤٢١ : سليمان بن مجالد بن=

الأَرقط : بينَما أَبُو أَيُّوب [الموريانيّ] في أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ إِذْ طلبَه المنصورُ ، فاصفَرَّ وارْتَعَدَ ، فلمَّا خَرَجَ من عندِه تراجَعَ لونُه ، وكَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُ كلَّما طلَبَه ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّا نَراكَ مع كثرةِ دُخُولِكَ إِلى أَميرِ المؤمنين وأُنْسِهِ بكَ ، تتغيَّرُ إِذا دخلتَ عليْهِ ! فضرَبَ لِذَلِكَ مَثَلاً ، فَقَالَ : زَعَمُوا أَنَّ بازِياً ودِيكاً تَناظَرا ، فَقَالَ البازي للدِّيكِ : ما أَعرفُ أَقَلَّ وفاءً منك ؛ فَقَالَ : وكَيف ؟ قَالَ : لأَنَّكَ تُؤْخَذُ بيضةً ، فَيَحْضُنكَ أَهلُك ، وتخرُجُ على أَيْديهم ، فيُطعمونَكَ بِأَكُفِّهم ، حتَّى إِذا كبرتَ صرتَ لا يَدنُو مِنكَ أَحدٌ إِلاَّ طِرْتَ ها هُنا وها هُنا وَصِحْتَ ، وإِنْ عَلَوْتَ حائِطَ دارٍ كنتَ فِيها سنينَ ، طِرْتَ وتَركتَها ، وصِرْتَ إِلى غيرِها ؛ وأَنا أُوخذُ من الجِبالِ ، وقد كبرَت سِنِّي ، فأُطعمُ الشَّيءَ القَلِيلَ ، وأُونسُ يَوْماً أَو يَومين ، ثمَّ أُطلقُ على الصَّيْدِ ، فأَطِيرُ وَحدي ، فآخذُه وأَجِيءُ بِهِ إِلى صاحِبي ؛ فقَالَ لَهُ الدِّيكُ : ذهبَت عنك الحُجةُ ؛ أَما لو رَأَيتَ بازِيينِ في سَفُودٍ ، ما عُدْتَ إِليهم أَبَداً ؛ وأَنا كلَّ يومٍ ووقتٍ أَرى السَّفافِيدَ مَملوءَةً دُيُوكاً ، وأُقِيم معهم ، فأَنَا أَوْفَى منكَ لَوْ كنْتُ مثلَكَ ؛ وأَنتم لَوْ عَرفتُم من المنصورِ ما أَعرِفُ ، لكنتُم أَسْوَأَ حالاً مِنِّي عندَ طَلَبِهِ إِيَّاكم .

ثمَّ إِنَّهُ قتلَهُ في سنةِ أَربعٍ وخَمسين ومئة ، بعد أَنْ عَذَّبَهُ وأَخَذَ أَموالَه ، وَكان قد تَمَكَّنَ من المنصورِ غايَةَ التَّمَكُّنِ ، لإِحسانِ فِعْلِه معَ المنصورِ قبل خِلافَته ، ثمَّ أَبغضَه ، وَهَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ ، وتَطَاوَلَ ذَلِكَ ، وكَانَ كُلَّما دَخلَ عَلَيْهِ ظَنَّ أَنَّهُ

= أَبي مجالد . وكلُّه تصحيفٌ ، صوابُهُ سليمان بن مخلد ، كما في ابن خلِّكان ٢/ ٤١٠ ، والوزراء والكتَّاب ٦٥ ، والفخريّ ١٧٥ .

والخبر في : الوزراء والكتاب ٧٠ ، وحيوان الجاحظ ٢/ ٣٦٢ ، وثمار القلوب ١/ ٣٣٢ ، والتَّمثيل والمحاضرة ٤٢ ، وشرح نهج البلاغة ١٩/ ٣٥٠ ، ووفيات الأَعيان ٢/ ٤١٠ ، وأَخبار الأَذكياء ٢٥٦ ، ونثر الدُّرّ ٧/ ٢٧٨ ، والتَّذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٢٢١ . والزِّيادةُ للتَّوضيحِ .

سيُوقعُ به ، ثمَّ يَخْرُجُ سالِماً .

قِيلَ : إنَّهُ كَانَ معه شيءٌ من الدُّهْنِ ، قد عملَ فِيهِ سِحْراً ، فَكَانَ يدهنُ حاجِبيه إِذا دخل على المنصور ، فَصَارَ مثلاً في العامَّةِ ، يَقُولُون : دُهْنُ أَبي أَيُّوب .

قال في « الجواهر الزَّواهر » : وَكَانَ المَنْصُورُ يَوَدُّهُ كَثيراً ، ويتبسمُ إِليهِ ؛ وأَنْشَدَ على ذَلِكَ لناصِحِ الدِّينِ سعيد [بن المبارك] بن الدَّهَّان ، سيبويه عَصره في النَّحْوِ ، قوله[1] : [من البسيط]

لا تَجْعَلِ الهَزْلَ دَأْباً فَهْوَ مَنْقَصَةٌ ... والجِدُّ تَغْلُو بِهِ بَيْنَ الوَرَى القِيَمُ
وَلا يَغُرَنْكَ مِنْ مَلْكٍ تَبَسُّمُهُ ... ما سَحَّتِ السُّحْبُ إِلاَّ حِينَ تَبْتَسِمُ

وَمِنْ مَحاسِنِ شِعْرِهِ ، قولُهُ[2] : [من البسيط]

بادِرْ إِلى العَيْشِ والأَيَّامُ راقِدَةٌ ... ولا تكُنْ لِصُرُوفِ الدَّهْرِ تَنْتَظِرُ
فَالعُمْرُ كَالكَأْسِ يَبْدُو في أَوائِلِهِ ... صَفْوٌ وآخِرُهُ في قَعْرِهِ كَدَرُ

وَلَهُ أَيْضاً ـ وَيُقالُ : إِنَّهُ لابنِ طَباطَبا الطَّالبيّ[3] ـ : [من الطَّويل]

تَأَمَّلْ نُحولي والهِلالَ إِذا بَدَا ... لِلَيْلَتِهِ في أُفْقِهِ أَيُّنا أَضْنَى
على أَنَّهُ يَزْدادُ في كُلِّ لَيْلَةٍ ... نُمُوّاً وَجِسْمِي بِالضَّنى دائماً يَفْنَى[4]

وَلَهُ أَيْضاً[5] : [من الكامل]

---

(١) هُما له في وفيات الأَعيان ٢/ ٣٨٣ والوافي بالوفيات ١٥/ ٢٥١ .
(٢) وفيات الأَعيان ٢/ ٣٨٤ ومعجم الأُدباء ٣/ ١٣٧٠ وإِنباه الرواة ٢/ ٤٩ والوافي بالوفيات ١٥/ ٢٥٢ .
(٣) هُما لابن طباطبا في ديوانه ١٠١ .
(٤) في أ : × . . . دائباً يفنى .
(٥) ليسا له ، وسيأتي تخريجهما .

واللهِ لَـــوْلا أَنْ يُقـــالَ تَغَيَّـــرا وَصَبا وإِنْ كَـانَ التَّصابِـي أَجْـدَرَا
لأَعَـدْتُ تُفَّـاحَ الخُـدُودِ بَنَفْسَجـاً لَثْمـاً وَكـافُـورَ التَّـرائِـبِ عَنْبَـرَا

● ذَكَرَ[١] في « اليَتيمة » هذين البيتين لتميم بن معدّ[٢] ، وقبلَهما[٣] : [من الكامل]

مـا بـانَ عُـذْرِي فِيـهِ حَتَّـى عَـذّرا وَمَشَـى الـدُّجَـى فـي خَـدِّهِ فَتَحَيَّـرا
هَمَّـتْ تُقَبِّلُـهُ عَقـارِبُ صُـدْغِـهِ فـاسْتَـلَّ نـاظِـرُهُ عَلَيْهـا خِنْجَـرا

وَكانتْ وفاتُه سنة تسعٍ وستِّين وخَمسمئة .

قال الغزنوي : التَّرائِبُ : جمعُ تَربيةٍ ، وهوَ مَوضعُ القِلادَةِ من الصَّدْرِ ؛ وَزَادَ الكواشي : وَقيلَ : الصَّدر ؛ وقيلَ : النَّحر ، وقيلَ : أَطرافُ الرِّجْلِ .

● **الخَواصُّ**[٤] : مَرارَتُهُ مَنِ اكْتَحَلَ بِها ، أَمِنَ من نُزولِ الماءِ في عَينيهِ ؛ وإِن شَربت امرأَةٌ من ذَرق البازِي مُدافاً بماءٍ ، أَعانَ على الحَبَلِ ، وإِن كانت عاقِراً .

● وَأَمَّا **الباشِقُ**[٤] : فَدِماغُه ينفعُ من الخَفَقَانِ العارِضِ من السَّوداءِ ، إِذا سُقِيَ منهُ وزنُ دِرهمٍ بِماءِ وَرْدٍ ؛ ومَرارتُه تَنْفَعُ من ظُلمةِ العينِ اكْتِحالاً .

● **التَّعبيرُ**[٥] : البازي في المنامِ يدلُّ على سُلطانٍ لمن هو من أَهلِ

---

(١) هذا المقطع من أ فقط .
(٢) في أ : لمعد بن عدي ! ! ! .
(٣) البيتان هما الأول والثاني ، وما ورد قبلهما هما الثالث والرابع .
والأَربعة لتميم بن معدّ (المعزّ) في يتيمة الد هر ١/ ٢٩٢ ودمية القصر ١/ ١١٥ (أَلتونجي) و ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣ (العاني) ووفيات الأَعيان ١/ ٣٠١ ونسمة السَّحر ١/ ٤٤٧ وديوانه ٤٦٤ . والأَوّل والثاني له في الإِعجاز والإِيجاز ٢٦٤ .
(٤) عجائب المخلوقات ٢٧٠ وتذكرة داود ١/ ٦٨ .
(٥) تعبير الرُّؤيا ١٩٠ وتفسير الواعظ ٢٩٤ .

الإِمارَةِ ؛ فإِن ذهَبَ مِن يَديه وبقيَ منهُ ساقُهُ ، ذَهبَ مُلْكُهُ وبقيَ ذِكْرُهُ ؛ وإِنْ بقيَ في يَدِهِ شيءٌ من الرِّيشِ ، بقيَ في يَدِهِ شيءٌ من المالِ .

وَذَبْحُ البازِي : ظَفَرٌ بِلِصٍّ ؛ وَذَبْحُ البُزاةِ ، يَدُلُّ على موتِ المُلُوكِ الَّذِينَ يأخذونَ الأَموال جهاراً .

ولُحوم لبُزاةِ : أَموالُ السَّلاطين .

والبُزاةُ للرَّجلِ السُّوقيِّ : رياسةٌ وشَرَفٌ .

والباشِقُ في المنامِ : لِصٌّ ؛ وقيلَ : وَلَدٌ ذَكَرٌ .

٤٩ البازِلُ : البعيرُ الَّذِي فَطَرَ نابُهُ : أَي انْشَقَّ ، ذَكَراً كَانَ أَوْ أُنثى ؛ وذلك في السَّنةِ الثَّامنةِ ؛ والجَمعُ : بُزْلٌ وبُزَّلٌ وبَوازِلُ .

● رَوى مُسلم ، عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عنه[1] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ استقرضَ بَكْراً ، فرَدَّ بازِلاً ، وقَالَ : « خَيْرُكُمْ أَحسنُكُم قَضاءً » .

● وَرَوَى الخطَّابيُّ عن ابْنِ خُزيمة ، قَالَ : سمعتُ يونس بن عبد الأَعلى يَقُول : سُئل ابنُ عُيينة عَنْ مَعنى قولِ رسولِ اللهِ ﷺ[2] : « مَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيوتِرْ » فَسَكَتَ ابنُ عُيينة ؛ فقيلَ : أَتَرْضَى بِما قَالَهُ مالِكٌ ؟ قَالَ وما قَالَ مالكٌ ؟ قَالَ : قالَ : الاسْتِجْمَارُ : الاسْتِطابَةُ بالأَحجَارِ . قَالَ : فَقَالَ ابنُ عُيينة : إِنَّما مَثَلِي وَمَثَلُ مالكٍ ، كَمَا قَالَ الأَوَّلُ[3] : [من البسيط]

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذا ما لُزَّ في قَرَنٍ   لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعِيْسِ

---

(١) مسلم (١٦٠٠) .

(٢) غريب الحديث للخطابي ١/ ٦٩ ـ ٧٠ والبخاري ١/ ٤٨ (كتاب الوضوء ـ باب الاستجمار وتراً) ومسلم (٢٣٧) والتِّرمذيّ (٢٧) والنَّسائيّ (٤٣) وابن ماجه (٤٠٦) والموطأ ١/ ١٩ ومسند أَحمد ٤/ ٣١٣ و ٣٣٩ و ٤٤٠ وتاريخ دُنيسر ٢٩ ـ ٣٠ .

(٣) البيت لجرير في ديوانه ١/ ١٢٨ .

٥٠ **الباقِعَةُ** : الدَّاهِيَةُ ؛ يُقالُ : رجلٌ باقعةٌ ، إذا كان ذا دَهاءٍ .

وَنقلَ الهرويُّ عن أَبي عَمرو[١] : أَنَّهُ طائِرٌ حَذِرٌ ، إذا شَرِبَ المَاءَ يَطِيرُ يَمْنَةً ويَسْرَةً .

وفي حَدِيثِ القبائِلِ : أَنَّ عَليّاً[٢] قَالَ لأَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : « لقد عَثَرْتَ من الأَعْرابِ على باقِعةٍ » .

وفي حديثٍ آخر[٣] : « ففَاتَحْتُهُ فإذا هُوَ باقِعةٌ » .

٥١ **بالام** : رَوَى « البُخاري » و« مُسلم »[٤] ، عن أَبي سعيد الخُدْريّ ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ : « تكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القيامَةِ خُبْزَةً واحِدَةً ، يَكْفَؤُها الجبَّارُ بيَدِهِ ، كَمَا يَكْفَأُ أَحدُكم خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ ، نُزُلاً لأَهلِ الجَنَّةِ ؛ قَالَ : فأَتى رجلٌ من اليَهود ، فقَالَ : بارَكَ الرَّحمن فِيكَ يا أَبا القاسم ؛ أَلا أُخبرُكَ بنُزُلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يومَ القيامَةِ ؟ قال : بلى . قال : تكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً واحِدَةً ـ كما قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ ـ . قَالَ : فنَظَرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلَيْنا ، ثمَّ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ ، ثمَّ قَالَ : أَلا أُخْبِرُكَ بإدامِهم ؟ قَالَ : بَلى . قَالَ : بالامٌ ونونٌ ؛ قَالَ : وما هُما ؟ قَالَ : ثَوْرٌ ونُونٌ ، يأْكُلُ من زِيادَةِ كَبِدِهما سَبعونَ أَلْفاً » . هَكَذَا عند البُخاريّ سَبعونَ بتَقْدِيمِ السِّينِ .

● وفي « صحيح مُسلم » في كتابِ « الحيض »[٥] من حديثِ ثَوبان ،

---

(١) اللسان (بقع) ١/ ٣٢٧ والنهاية ١/ ١٤٦ ومجمع الأَمثال ١/ ٩٧ .

(٢) حديث القبائل في : الفاخر ٢٣٥ وما بعد والميداني ١/ ١٧ ـ ١٨ ونضرة الإغريض ٤٥٩ والمحاسن والمساوىء ١/ ١١٩ .
ونسب القول إلى رسول الله ﷺ في النهاية واللسان .

(٣) النهاية واللسان (بقع) .

(٤) البخاري ٧/ ١٩٤ (كتاب الرقاق ـ باب يقبض الله الأَرض) ومسلم (٢٧٩٢) .

(٥) مسلم (٣١٥) . وفي الأُصول : كتاب الطّهار !! .

قَالَ : « كنتُ قائِماً عندَ رسولِ اللهِ ﷺ ، فجاءَهُ حَبْرٌ من أَحبارِ اليَهودِ ، فقال : السَّلامُ عليكَ يا محمَّد ، فدفعتُهُ دفعةً كَادَ يُصْرَعُ مِنها ، فَقَالَ : لِمَ تَدفعُنِي ؟ فقلتُ : لِمَ لا تَقولُ : يا رسولَ الله ؟ فَقَالَ اليَهُوديُّ : إِنَّا نَدْعُوهُ باسمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُه ؛ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ اسمي محمَّدٌ الذي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي ؛ فَقَالَ اليَهُوديُّ : جِئْتُ أَسْأَلكَ ؛ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثتكَ ؟ فَقَالَ : أَسْمَعُ بأُذني ؛ فنكَتَ رسولُ اللهِ ﷺ بعُودٍ معهُ ، وَقَالَ : سَلْ ؟ فَقَالَ اليهوديُّ : أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّماواتُ ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : هم في ظُلْمَةٍ دونَ الحَشْرِ ؛ فَقَالَ : فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجازَةً يَوْمَ القِيامَةِ ؟ قَالَ ﷺ : فُقراءُ المُهاجرين . قَالَ اليَهوديُّ : فَمَا تُحْفَتُهُم حِينَ يَدخلونَ الجَنَّةَ ؟ قَالَ : زِيادَةُ كَبِدِ النُّونِ . قَالَ : فما غَداؤهُم على أَثَرِها ؟ قَالَ : يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الجَنَّةِ ، الذي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرافِها ؛ قَالَ : فما شَرابُهم عليْهِ ؟ قَالَ : من عَيْنٍ فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً . قَالَ : صدقتَ ؛ وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عن شَيْءٍ لا يَعلَمُهُ أَحَدٌ من أَهْلِ الأَرْضِ ؛ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ رَجلٌ أَو رَجُلانِ ؛ قَالَ : أَيَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثتُك ؟ قَالَ : أَسمعُ بأُذني . قَالَ : سَلْ . قَالَ : أَسْأَلُكَ عَنِ الوَلَدِ ؟ قَالَ ﷺ : ماءُ الرَّجلِ أَبيضُ ، وماءُ المرأَةِ أَصفَرُ ؛ فإِذا اجتَمعا فَعَلا مَنِيُّ الرَّجلِ مَنِيَّ المرأَةِ ، كَانَ ذَكَراً بإِذْنِ اللهِ تَعالَى ؛ وإِذا عَلا مَنِيُّ المرأَةِ مَنِيَّ الرَّجلِ ، كانَ أُنْثَى بإِذنِ اللهِ تَعالى . قَال اليَهوديُّ : صدقتَ ؛ إِنَّكَ لَنَبِيٌّ ؛ ثمَّ انْصَرَفَ .

فَلَمَّا ذَهَبَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : قَدْ سَأَلَنِي هذا عَنِ الذي سَأَلَنِي عنهُ ، وما لِيَ عِلْمٌ بِشَيْءٍ منهُ حتَّى أَتانِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ[1] » .

وفي « صَحيحِ البُخاري[2] » من حَدِيثِ أَنس قَرِيبٌ من هذا ؛ وأَنَّ اليَهوديَّ

---

(١) في أ : حتى أَتاني جبريل ، فأَخبرني عن الله عزَّ وجلَّ به .

(٢) البخاريّ ٤/ ١٠٢ (كتاب الأنبياء) و ٤/ ٢٦٨ (كتاب مناقب الأنصار) .

هو عبدُ اللهِ بن سلام رَضِيَ اللهُ عنه .

هَكَذَا جَاءَ الحَدِيثُ مُفَسَّراً .

أَمَّا النُّونُ : فهو الحوتُ ، وبِهِ سُمِّيَ يُونس عليهِ السَّلامُ : ذا النُّونِ .

وَأَمَّا **بالام** : فَقَدْ تَمَحَّلوا لَهَا شَرْحاً غيرَ مَرْضِيٍّ ، ولعلَّ اللَّفْظَةَ عِبْرانِيَّةٌ ؛ كَذَا قَالَ في « النِّهايَةِ » . وقَال الخطَّابيُّ : لعلَّ اليهوديَّ أَرادَ التَّعمية ، فَقَطَّعَ الهِجَاءَ ، وقَدَّمَ أَحَدَ الحَرفين على الآخِرِ ، وهي لام أَلف وياء ، يُرِيدُ : لَأْيٌ بوزن لَعْيٍ ، وهو الثَّوْرُ الوَحْشِيُّ ، فَصَحَّفَ الرَّاوِي الياءَ بالباءِ . قَالَ : وهَذا أَقربَ ما يَقَعُ لِي فِيهِ[1] . اهـ . والصَّحيحُ أَنَّها لفظةٌ عِبْرانِيَّةٌ .

وأَمَّا **زِيادَة كَبِدِ الحُوتِ** : فهِيَ القطعةُ المُنفردةُ المتعلِّقَةُ بِها ، وهي أَطيبُها .

وهؤلاءِ السَّبعون أَلفاً ، يُحتملُ أَنَّهم الَّذين يَدخلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حسابٍ ؛ ويُحتملُ أَنهُ عَبَّرَ بالسَّبعين أَلفاً ، عن العَدَدِ الكَثِيرِ من غيرِ إِرادَةِ حَصْرٍ ؛ ورواهُ النَّسائيُّ في « عِشْرَةِ النِّسَاءِ » أَيْضاً[2] .

٥٢ البالة : سَمكةٌ تكُونُ في البحرِ الأَعظمِ ، يبلغُ طولُها خَمسينَ ذِراعاً ، يُقَالُ لَها : العَنْبَرُ ، وليسَتْ بعربيَّةٍ[3] . قَالَ الجَواليقيُّ : كَأَنَّها عُرِّبَتْ .

وَقَالَ في « الصِّحاحِ »[4] : البالُ : الحوتُ العَظيمُ من حِيتانِ البحرِ ، لَيْسَ بعربيٍّ .

---

(١) النهاية ١/ ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) لم أَقف عليه عند النَّسائيّ ، فلعلَّه في السنن الكبرى .

(٣) هذا قول الأزهري ، فيما نقله عنه الجواليقي في المعرّب ١٠٠ . وكذا قال الجاحظ في الحيوان ٥/ ٣٦٢ . وقال الجواليقي : كَأَنَّها أُعربت فقيل : بالٌ .

(٤) الصحاح ٤/ ١٦٤٢ (بول) .

وَقَال القَزوينيُّ[1] : البالُ : سمكةٌ طُولُها خَمسمئة ذراعٍ أو أَكثر ، تَظهرُ في بعضِ الأَوقاتِ ، طَرَفُ جَناحها كالشِّراعِ العَظيمِ ، وأَهلُ المَراكِبِ يَخافُونَ منها أَعظمَ خَوْفٍ ، فإذا أَحَسُّوا بها ضَرَبُوا بالطُّبُولِ لِتَنفِرَ عنهم ؛ فإذا بَغَتْ على حيوانِ البحرِ ، بعثَ اللهُ سمكةً نحوَ الذِّراعِ [تُدعى اللشك] تلصقُ بأُذُنِها ، فلا خلاصَ للبالِ مِنها ، فتطلبُ قَعْرَ البَحرِ ، وتَضربُ الأَرْضَ برَأْسِها ، حتَّى تَمُوتَ ، وتَطْفُو على الماءِ كالجبلِ العَظِيم ؛ ولها أُناسٌ من الزَّنْج يَرصُدونها ، فإذا وَجَدُوها طَرَحُوا فيها الكلاليبَ ، وجَذَبُوها إِلى السَّاحِلِ ، وشَقُّوا بَطْنَها ، واستَخْرَجُوا العنبرَ منها .

وسيأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ العينِ المُهملةِ » ، ذكرُ هذا الحيوانِ ، وما يَتَعَلَّقُ بالعنبرِ من الأَحكامِ .

٥٣ البَبرُ : بباءَيْنِ مُوَحَّدَتَيْن ، الأُولى مَفتوحةٌ ، والثَّانِيَةُ مَكسُورَةٌ : ضَرْبٌ من السِّباعِ ، يُعادِي الأَسَدَ ـ من العَدْوِ لا مِنَ العُدْوانِ ـ وَيُقالُ لَهُ : البريدُ ؛ ويقال له : الفُرانِقُ ، بضمِّ الفاءِ وكسرِ النُّونِ ؛ وهو هنديٌّ معرَّبٌ ، شَبيهٌ بابْنِ آوَى[2] ؛ ويُقالُ : إِنَّهُ مُتَوَلِّدٌ من الزِّبرِقانِ[3] واللَّبوةِ .

من طَبْعِهِ أَنَّ الأُنْثَى منهُ تَلقَحُ من الرِّيحِ ، ولهذا كَانَ عَدْوُهُ كالرِّيْحِ ! .

ولا يَقْدِرُ أَحَدٌ على صَيْدِهِ ، وإِنَّما تُسرقُ جِراؤُهُ ، فَتُجعَلُ في مثلِ القَوارِيرِ من زُجاجٍ ، ويُركَضُ بها على الخيولِ السَّابقَةِ ، فإذا أَدركَهم أَبوها ، أَلْقَوا إِلَيْهِ قارورةً منها ، فَيَشْتَغِلُ بالنَّظَرِ إِلَيْها ، والحيلةِ في إِخْرَاجِ وَلَدِهِ منها ، فَيَفُوتُهُ بَقِيَّتُها ، فيُرَبَّى حينئذٍ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٢ و ٩٨ والمستطرف ٤٤٨/٢ ومسالك الأَبصار ١٣٣/٢٠ . وانظر حيوان الجاحظ ١٠٦/٧ و ١٠٩ وأَخبار الصين والهند ٣٠ .

(٢) قارن عجائب المخلوقات ٢٥٥ .

(٣) كذا في أ ، ط . والزّبرقان : القمر . ولعلّه يقصد الزَّرافة .

ويَأْلَفُ الصِّبْيانَ ، ويَأْنَسُ بالإنسِ ، وهو يَألفُ شَجرةَ الكَافُورِ كثيراً ؛ فإذا كَانَ عِنْدَها لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَأْخُذَ منها شَيْئاً ، لكنَّهُ يفارِقُها في زمنٍ مَعلومٍ ، فإذا عَلمَ أَهلُ النَّواحِي بذَلِكَ ، أَتَوْا إلى الشَّجَرَةِ ، وأَخَذُوا مِنْها الكافُورَ .

الحكم : يحرَّمُ أَكْلُهُ ، لأنهُ يتقوَّى بنابِهِ .

الخَواصُّ[١] : مَنْ أَصابَهُ سِرْسَامٌ أَوْ برسامٌ[٢] ، يُطْلَى رَأْسُه بِمَرارَةِ البَبرِ ، مَضروبَةً بالماءِ ، يَنفعُهُ نَفْعاً بيِّناً .

وإذا تَحَمَّلَتْها المرأَةُ لا تَحْمِلُ أَبَداً ، وإذا كانَتْ حامِلاً أَسقطَت .

وَكعبُه يُشَدُّ على الزَّنْدِ ، فلا يتعبُ حاملُه أبداً ، ولَوْ سَارَ كلَّ يومٍ عشرِينَ فَرْسَخاً .

وجِلْدُه يَجْلسُ عليه مَن بِهِ حَبُّ القَرَعِ ، يَزولُ عنه .

● وَذَكَرَ في « ربيع الأَبرار »[٣] : أَنَّ البَبرَ على صُورَةِ الأَسَدِ الكَبيرِ ؛ وهو أَبيضُ ، يَلمعُ بِصُفْرَةٍ وخُطُوطٍ سُودٍ .

● وَقَالَ أَرسطُو : البَبرُ : سَبُعٌ مَهيبٌ ، يَكُونُ بأَرْضِ الحَبَشةِ خاصَّةً ، لا بِغَيرِها .

٥٤ البَبَّغَاءُ : بثَلاثِ باآتٍ مُوَحَّدَاتٍ ، أُولاهنَّ وثالثتهنَّ مَفتوحتان ، والثَّانية ساكنةٌ ، وبالغين المُعْجَمة ؛ وهي هذا الطَّائِرُ الأَخْضَرُ ، المُسَمَّى بالدُّرَّةِ ، بِدَالٍ مُهملةٍ مَضمومَةٍ ، قَالَهُ في « العباب »[٤] .

وضبطها ابن السَّمعانيّ في « الأَنساب » بباءَيْنِ ، بَفَتْحِ الأُولى وبإِسْكَانِ

---

(١) عن عجائب المخلوقات ٢٥٥ .

(٢) البرسام : التهاب يعرض للحجاب الذي بين الكبد والقلب . (معجم الأَلفاظ الفارسيَّة ١٩ ، والمعرّب ٩٣) .

(٣) لم يرد هذا القول في باب الوحوش والسباع ، من ربيع الأَبرار .

(٤) وكذا في التكملة والذيل والصلة ٤/ ٣٩٧ .

الثَّانية[1] ؛ وَقَالَ : لُقِّبَ بِهَا أَبُو الفَرَج الشَّاعر ، لفصاحَته ؛ وَقَالَ القُضاعيُّ : لِلُثْغَةٍ كانت فِي لِسانِه .

وهي في قَدْرِ الحَمام ، يَتَّخِذُها الناسُ للانْتِفاعِ بصَوْتِها ، كَمَا يَتَّخِذُونَ الطَّاووسَ للانْتِفَاعِ بِصُورَتِهِ ولَوْنِهِ .

وَمِنَ البَبَّغاءِ نوعٌ أَبيضُ ؛ وقَدْ أُهْدِيَ[2] لِمُعِزِّ الدَّولة بن بُوَيْه دُرَّةٌ بَيْضاءُ اللَّوْنِ ، سَوداءُ المِنقارِ والرِّجلَيْنِ ، على رَأْسِها ذُؤابَةٌ فُستُقِيَّةٌ .

وَجَمِيعُ أَنْواعِها معدومٌ سِوى الأَخضر ، فهو الموجودُ الآن .

وهي حيوانٌ دَمِثُ الخُلُقِ ، ثاقِبُ الفَهمِ ، لَها قُوَّةٌ على حِكايَةِ الأَصْواتِ ، وقُبولِ التَّلقِينِ ، تَتَّخِذُه الملوكُ والأَكابرُ لِتنمَّ بِما تَسْمَعُ من الأخبارِ ، وتتناوَلُ مَأْكُولَها بِرِجْلِها كما يَتناوَلُ الإِنْسَانُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ ؛ والنَّاسُ يَحتالُونَ في تَعْلِيمِها بِطُرُقٍ عِدَّةٍ .

● قَالَ أَرسطاطاليس[3] : إذا أَرَدْتَ تَعليمَ البَبَّغاءِ الكَلامَ فخذْ مِرآةً ، واجعلْها أَمامَها ، فَتَرَى صُورَتَها ـ أَي صورَةَ نَفسها ـ ثمَّ تكَلَّمْ من ظاهِرِ المِرْآةِ وتُعاوِدُها ، فإِنَّها تُعِيدُ الكلامَ .

● وَقَالَ ابنُ الفَقِيهِ[4] : رَأَيْتُ بجزيرة زابج حيواناتٍ غَريبةَ الأَشكالِ ،

---

(١) الأنساب ٢/ ٧٠ . وكذا ضبطه صاحب القاموس . وقال في التاج : بفتح فسكون ، وقد تُشَدَّدُ الباء الثَّانية .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٤٩ .

(٣) والقزويني في عجائب المخلوقات ٢٧٠ والعمري في مسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٨ .

(٤) عبارة ابن الفقيه في كتابه « البلدان » ٦٦ (بيروت) و ١٠ (ليدن) : وبالزّابج بَبّغات بيضٌ وحمرٌ وصفرٌ ، تتكلّم على مَا لُقِّنت بكلامٍ فصيحٍ ، عربيّة وفارسيّة وروميّة وهنديّة . . .
والزّابج : جزيرة في أقصى بلاد الهند ، وراء بحر هركند في حدود الصِّين . (معجم البلدان ٣/ ١٢٤) .

وَرأَيتُ فِيها صِنْفاً من البَبَّغَاءِ أَحمر وأَبيَض وَأَصفرَ ، يُعيدُ الكَلامَ بأَيِّ لُغَةٍ كانَتْ .

● قَالَ أَبُو إِسحاق الصَّابي في وَصْفِها[1] : [من الرَّجز]

أَنْعَتُهَــا صَبيحــةً مَليحَــهْ ... نــاطِقَــةً بِــاللُّغَــةِ الفَصِيْحَــهْ
عُــدَّتْ مِــنَ الأَطْيَــارِ ، واللِّســانُ ... يُــوهِمُنــي بِــأَنَّهــا إِنْسَــانُ
تُنْهِــي إِلــى صــاحِبِهــا الأَخْبَــارَا ... وَتَكْشِــفُ الأَسْــرارَ والأَسْتَــارا
سَكَّــاءُ إِلاَّ أَنَّهــا سَميعَــهْ ... تُعِيــدُ مــا تَسْمَعُــهُ طَبيعَــهْ
زارَتْــكَ مِــنْ بــلادِهــا البَعِيــدَهْ ... واسْتَــوْطَنَــتْ عِنْــدَكَ كــالقَعِيْــدَهْ
ضَيْــفٌ قِــراهُ الجَــوْزُ والأَرُزُّ ... والضَّيْــفُ فــي إِتْيَــانِــهِ يُعَــزُّ
تَــراهُ فــي مِنْقَــارِهــا الخَلــوقــي ... كَلُــؤلُــؤٍ يُلْقَــطُ بــالعَقِيــقِ
تَنْظُــرُ مــن عَيْنَيْــنِ كــالفَصَّيْــنِ ... فــي النُّــورِ والظُّلْمَــةِ بَصَّــاصَيْــنِ
تَميــسُ فــي حُلَّتِهــا الخَضْــراءِ ... مِثْــلَ الفَتَــاةِ الغــادَةِ العَــذْرَاءِ[2]
خَــريــدَةٌ خُــدُورُهــا الأَقْفَــاصُ ... لَيْــسَ لَهــا مِــنْ حَبْسِهــا خَــلاصُ
تَحْبِسُهــا وَمــا لَهــا مِــنْ ذَنْــبِ ... وإِنَّمــا ذَاكَ لِفَــرْطِ الحُــبِّ[3]
تِلْــكَ التــي قَلْبِــي بِهــا مَشْغُــوفُ ... كَنَّيْــتُ عَنْهــا واسْمُهــا مَعْــرُوفُ
يَشْــرَكُ فِيهَــا شــاعِــرُ الــزَّمــانِ ... الكــاتِــبُ المَعْــرُوفُ بــالبَيَــانِ
ذَلِــكَ عَبْــدُ الــواحِــدِ بــن نَصْــرِ ... تَقِيــهِ نَفْســي حــادِثــاتِ الــدَّهْــرِ

فأَجابَهُ أَبُو الفَرَجِ ، بِقَوْلِه[4] : [من الرَّجز]

مَــنْ مُنْصِفِــي مــن حَكَــمِ الكُتَّــابِ ... شَمْــسِ العُلُــومِ قَمَــرِ الآدابِ

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٢٥٣ وبعضها في الكشف والتنبيه للصفدي ٤٢٧ .
(٢) في أ : × ميل . . .
(٣) في أ ، ب : × وإنَّما تحبسها للحبِّ .
(٤) ديوان الببغاء ٢٩ و ٩٨ ، واليتيمة ١/ ٢٥٣ والكشف والتنبيه ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

أَمْسَى لأَصْنَافِ العُلُومِ مُحْرِزا   وَسَامَ أَنْ يُلْحَقَ لِمَا بَرَّزا
وَهَلْ يُجارِي السَّابِقَ المُقَصِّرُ   أَوْ هَلْ يُبارِي المُدْرِكَ المُغَرَّرُ

إِلى أَنْ قَالَ فِي وَصْفِها :

ذاتُ شَغْيَ تَحْسَبُهُ ياقُوتا   لا تَرْتَضِي غيرَ الأَرزِّ قُوتا[1]
كَأَنَّما الحَبَّةُ في مِنْقارِها   حَبابَةٌ تَطْفُو على عُقارِها

● وَقَالَ القاضِي ابن خلّكان في تَرْجمة الفَضْلِ بن الرَّبيع : إِنَّ أَحمد بن يوسفَ الكاتب ، كتبَ إِلى بعضِ إِخوانِهِ ، وقدْ ماتَتْ لَهُ بَبَّغاءُ ، ولَهُ أَخٌ كثيرُ التَّخَلُّفِ يُسَمَّى عبدَ الحَميد[2] : [من الخفيف]

أَنْتَ تَبْقَى وَنَحْنُ طُرّاً فِداكا   أَحْسَنَ اللهُ ذُو الجَلالِ عَزاكا[3]
فَلَقَدْ جَلَّ خَطْبُ دَهْرٍ أَتاكا   بِمقادِيرَ أَتْلَفَتْ بَبَّغاكا
عَجَباً لِلمَنُونِ كَيْفَ أَتَتْها   وَتَخَطَّتْ عَبْدَ الحَمِيدِ أَخاكا
كانَ عبدُ الحَميدِ أَجْمَلَ لِلْمَوْ   تِ مِنَ البَبَّغاءِ وَأَوْلَى بذاكا
شَمَلَتْنا المُصِيبَتانِ جَميعاً   فَقْدُنا هَذِهِ وَرُؤْيَةُ ذاكا

● قال الزَّمخشريُّ : إِنَّ البَبَّغاءَ تَقُولُ : وَيْلٌ لِمَنْ كانَتِ الدُّنْيا هَمَّهُ[4] .

الحُكْمُ : يُحرَّمُ أَكْلُها على الأَصَحِّ في « الرَّافعيّ » ، ونقلَهُ في « البَحرِ »

---

(١) الشَّغى : اختلاف نبتة الأَسنان بالطُّول والقصر ، والدخول والخروج ؛ ويقال للعُقاب : الشَّغواء ، بفضلٍ في منقارها الأَعلى على الأَسفل ، وقيل : لتعقّفٍ في منقارها . (اللِّسان (شغا) والمخصص ٨/ ١٤٦) .

(٢) الخبر والأَبيات في : وفيات الأَعيان ٤/ ٤٠ وأَخبار الشعراء المحدثين ٢٢٢ وتاريخ بغداد ٦/ ٤٦٤ ومعجم الأُدباء ٢/ ٥٦٢ وبغية الطلب ٣/ ١٢٧٣ ـ ١٢٧٤ والوافي بالوفيات ٨/ ٢٧٩ .

(٣) في أ : . . . والناس طُرّاً فداكا × .

(٤) سيأتي في (الطيطوى) .

عن الصَّيْمَرِيّ وأَقَرَّهُ ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بخُبْثِ لَحْمِها .

وَقِيلَ : هِيَ حَلالٌ ، لأَنَّها تَأْكُلُ من الطَّيِّبَاتِ ، ولَيْسَتْ من ذَواتِ السُّموم ، ولا من ذَوَاتِ المخلبِ ، ولا أُمِرَ بقتلها ولا نُهِيَ عنه .

وَقطعَ المُتَوَلِّي بِجَوازِ اسْتِئْجارِها للأُنْسِ بِصَوْتها ؛ وَحَكَى البَغَوِيُّ في ذَلِكَ وَجْهَين ، وَكَذا كُلُّ ما يُسْتَأْنَسُ بِصَوْتِهِ كالعَنْدَلِيبِ وغيرِهِ .

الخَواصُّ[1] : مَنْ أَكلَ لِسانَ البَبَّغاءِ ، صَارَ فَصِيحاً ، جَرِيئاً في الكَلاَمِ .

ومَرارَتُها تُثْقِلُ اللِّسانَ أَكْلاً .

وَدَمُها يُجَفَّفُ ويُسْحَقُ ويُنْثَرُ بَيْنَ صَدِيْقَينِ ، تظهرُ بينَهما العَداوَةِ .

وَذَرَقُها يُخلطُ بِماءِ الحِصرم ، يَنْفَعُ من الظُّلْمَةِ والرَّمَدِ اكْتِحالاً .

التَّعبيرُ : البَبَّغاءُ في المَنامِ[2] : رجلٌ نَخَّاسٌ كَذَّابٌ ، وَقِيلَ : رجلٌ فيلسُوفٌ ، وفَرْخُهُ : وَلَدُ فَيلسُوفٍ ؛ وقيلَ : هِيَ جاريَةٌ أَوْ غُلامٌ يَتيمٌ .

٥٥ البحّ : مِنْ طَيْرِ المَاءِ ؛ وسيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ الجِنْسِ أَجمع ، في « بابِ الطَّاءِ المُهملة » .

٥٦ البَجَعُ : الحَوْصَلُ ؛ وسيأتي إِن شاء الله تعالى في « باب الحاءِ » .

● وَقَدْ أَحسن الشَّاعرُ حيثُ قَالَ فِيهِ مُلْغِزاً[3] : [من الرَّجز]

مـــا طـــائِـــرٌ فـــي قَلْبِـــهِ ... يَلُـــوحُ لِلنَّـــاسِ عَجَـــبْ
مِنْقَـــارُهُ فـــي بَطْنِـــهِ ... والعَيْـــنُ مِنْـــهُ فـــي الـــذَّنَـــبْ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٧١ ومسالك الأبصار ٢٠/٩٨ .

(٢) تفسير الواعظ ٢٩٧ . وقال ابن قتيبة : البَبَّغاء : غلامٌ يُناغي غُلاماً . (تعبير الرُّؤيا ١٩٤) .

(٣) البيتان في المستطرف ٣/١٤٨ بلا نسبة ، ونقلهما ابن حجَّة الحمويّ في خزانة الأدب ٤/١٧٣ .

● وَقَال التَّميميُّ في « منافعِ القُرآنِ » : مَنْ كَتَبَ على جِلْدِ حَوْصَلَةِ البَجَع بماءِ وَرْدٍ ، أَوْ بماءِ مَطَرٍ ، قوله تَعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص : ٦٩] ثمَّ جَعَلَ ذَلِكَ على صَدْرِ النَّائِمِ ، من رجلٍ وامرأةٍ ، فإِنَّهُ يُخبرُ بكلِّ ما عَمِلَ .

٥٧ **البَحْزَجُ** : بالباءِ المُوَحَّدةِ والزَّاي والجيمُ : ولدُ البَقرةِ الوَحْشِيَّةِ .

٥٨ **البُخَاقُ** : كغُرابٍ : الذِّئب الذَّكَرُ .

٥٩ **البُخْتُ** : من الإِبلِ ، مُعَرَّبٌ ، وبعضُهم يَقُولُ : هو عربيٌّ ، الواحِدُ الذَّكَرُ : بُخْتِيٌّ ، والأُنْثى بُخْتِيَّةٌ ، وَجَمْعُهُ بَخاتِيّ ، غير مَصرُوفٍ ، لأَنَّهُ بزِنَةِ جَمْعِ الجَمْعِ ، ولَكَ أَنْ تُخَفِّفَ الياءَ فَتقولَ : البَخاتي ، وَكَذَا كُلُّ ما أَشبهها مِمَّا واحِدُهُ مُشَدَّدٌ ، يَجُوزُ في جَمْعِهِ التَّشْدِيدُ والتَّخفيفُ ، كالعَوارِي والسَّوارِي والعَلالِي والأَوانِي والأَثافي والكَراسِي والمَهاري وشَبهها ؛ وممَّن ذَكَرَ هَذِهِ القاعِدَة ابنُ السِّكِّيتِ في « إِصلاحِهِ » والجَوهريُّ في « صِحاحِهِ »[1] .

قَال ابنُ السِّكِّيتِ : والأُثْفِيَّةُ بثاءٍ مثلَّثةٍ : مُفردُ الأَثافِي ؛ وهيَ الأَعْمِدَةُ الثَّلاثَةُ ، تُتَّخَذُ لِوَضْعِ القِدْرِ عليها حالَ الطَّبْخِ .

ومن كلامِ العربِ[2] : رماهُ اللهُ بثالِثَةِ الأَثافِي : يعني الجبلَ ، لأَنَّ الإِنْسَانَ إِذا لَمْ يَجِدْ إِلاَّ اثنتينِ ، جَعَلَ الثَّالِثَةَ الجَبَلَ ، فعبَّرُوا بثالِثَةِ الأَثافِي عن الجبلِ .

والبَخاتِي : جِمالٌ طِوالُ الأَعناقِ .

● رَوَى أَبو داود والتِّرمذيّ والنَّسائي وأَحمد ، من حديثِ جُنادة بن أَبي أُمَيَّة ، قَالَ[3] : كُنَّا مع بُسْر بن أَرطاةَ في البَحْرِ ، فأُتِيَ بِسارِقٍ قَدْ سَرَقَ بُخْتِيَّةً ،

---

(١) إِصلاح المنطق ١٨٧ والصحاح ١/ ٢٤٣ (بخت) .

(٢) الميداني ١/ ٢٨٧ والزمخشري ٢/ ١٠٢ وأَبو عبيد ٧٥ .

(٣) أَبو داود (٤٤٠٨) والترمذي (١٤٥٠) والنَّسائي (٤٩٧٩) ومسند أَحمد ٤/ ١٨١ .

فَقَالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لا تُقْطَعُ الأَيْدِي في السَّفَرِ » ولَوْلا ذَلِكَ لَقَطعتُه .

● وفي « صحيح مُسلمٍ »[1] من حديث زهير ، عن جَرير ، عن سُهيل ، عن أَبيهِ ، عن أَبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ في صِفَةِ النِّسَاءِ اللاَّتِي يَأْتِينَ في آخِرِ الزَّمانِ : « رُؤُوسهنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ ، لا يَجِدْنَ رِيحَ الجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيْحَها لَيُوجَدُ من مَسِيرَةِ خَمسمئة عامٍ » .

● وفي « المستدرك »[2] من حَدِيثِ عبد الله بن عمر ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قَالَ : « سَيَكُونُ في آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ رِجالٌ ، يَرْكَبُونَ على المياثِرِ ، حتَّى يَأتوا أَبْوابَ مَساجدهم ، نساؤُهم كاسِياتٌ عارياتٌ ، على رؤُوسهنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ العِجافِ ؛ الْعَنُوهُنَّ ، فإِنَّهنَّ مَلعوناتٍ » .

● وفي « الكامل »[3] في ترجمة فضل بن مختار البَصري ، عن عَبدِ اللهِ بن مَوهب ، عن عِصمة بن مالكٍ ، قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ في الجَنَّةَ طَيْراً أَمثال البَخاتي ؛ قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : إِنَّها لَناعمَةٌ يا رسولَ الله ؟ فقال ﷺ : أَنْعَمُ مِنْهَا مَنْ يَأكلُها ، وأَنْتَ ممَّنْ يَأْكُلها يا أَبا بَكرٍ » .

٦٠ **البَدَنَةُ** : جَمْعُها بُدُنٌ ، بِضَمِّ الدَّالِ ، وإِسكانِها ، وبالإِسكان جاءَ القُرآنُ ؛ وممَّن ذكرَ الضَّمَّ الجوهريُّ رحمهُ اللهُ[4] ، وهو ما أُشْعِرَ من ناقةٍ أَو بَقرةٍ ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنَّها تُبَدَّنُ أَي تُسَمَّنُ .

---

(١) مسلم (٢١٢٨) ومسند أَحمد ٢/ ٢٢٣ و ٣٥٦ .

(٢) المستدرك ٤/ ٤٣٦ . والمياثر : جمع مِيْثَرَة : وهي وطاءٌ محشوٌّ يُترك على رحل البعير تحتَ الرَّاكب . (اللِّسان « وثر » ٦/ ٤٧٦٣) .

(٣) الكامل في الضعفاء ٧/ ١٢٢ ومسند أَحمد ٣/ ٢٢١ .

(٤) الصحاح ٥/ ٢٠٧٧ (بدن) .

وَقالَ النَّوويُّ[1] : هي البعيرُ ، ذَكَراً كانَ أَو أُنْثى ، وشَرطُها أَنْ تَكُونَ في سِنِّ الأُضْحِيَةِ عندَ الفُقَهاءِ ، وعِنْدَ اللُّغَوِيِّينَ أَوْ أَكْثرهم تُطلَقُ على الإِبلِ والبَقر . وقالَ الأَزهريُّ : تكُونُ في الإِبلِ والبَقَرِ والغنمِ ؛ سُمِّيتْ بذلك لِعِظَمِ أَبْدَانِها .

وَيشهدُ لاخْتِصاصِها بالإِبلِ : ما روى مُسلم عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قَالَ[2] : « مَنِ اغتسلَ يومَ الجُمعةِ ، ثمَّ رَاحَ في السَّاعَةِ الأُولى ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّما قَرَّبَ بقرةً ، ومَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّالثَةِ فَكأَنَّما قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابعَةِ ، فَكأَنَّما قَرَّبَ دَجاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الخامِسَةِ فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَيْضَةً » .

وفي « مُسندِ الإِمام أَحمد » رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[3] : « في السَّاعَةِ الرَّابعةِ بَطَّةً ، وفي الخامِسةِ دَجاجَةً ، وفي السَّادِسةِ بَيْضَةً » .

وَوَصَفَ الكبشَ بالقَرْنِ لأَنَّهُ أَكملُ وأَحسنُ صُورةً .

وَجَمْعُ البَدَنَةِ بُدْنٌ ؛ قَال تَعالى : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أَي من أَعلامِ دِينِ اللهِ ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ [الحج : ٣٦] قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله تعالى عنهما : هِيَ نَفْعٌ في الدُّنْيا ، وأَجْرٌ في الآخِرَةِ .

● حَجَّ[4] صفوان بن سُليم ، وليسَ معهُ إِلاَّ سبعةُ دنانير ، فاشترى بها بَدَنَةً ، فقيل له في ذَلِكَ ، فقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ اللهَ تعالَى يَقُولُ : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ [الحج : ٣٦] .

---

(١) تهذيب الأَسماء واللُّغات ٢/ ٢١ .

(٢) البخاري ١/ ٢١٣ (كتاب الجمعة) ومسلم (٨٥٠) والترمذي (٤٩٩) وأَبو داود (٣٥١) والنسائي (١٣٨٦) و (١٣٨٧) .

(٣) مسند أَحمد ٢/ ٤٦٠ . وليس فيه ذكر البطَّة .

(٤) حلية الأَولياء ٣/ ١٦٠ والمعرفة والتاريخ ١/ ٦٦١ ومختصر تاريخ دمشق ١١/ ٩٧ وسير أَعلام النبلاء ٥/ ٣٦٦ وتهذيب الكمال ١٣/ ١٨٨ .

● وَأَوَّلُ[1] مَنْ أَهْدَى البُدْنَ إلى البيتِ الحَرامِ : إلياسُ بن مُضَر .

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ مَقامَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام لِلنَّاسِ ، بعدَ غَرَقِ البيتِ وانْهِدَامِهِ زمنَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلام ، فَكَانَ إلياسُ أَوَّلَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ ، فَوَضَعَهُ في زاوِيَةِ البَيْتِ ، ولم تزل العَربُ تُعَظِّمُ إلياسَ بن مُضَر إلى أَنْ مات .

ولمَّا مَاتَ أَسِفَتْ عَليهِ زَوْجَتُهُ خِنْدِفُ أَسَفاً شَدِيداً ، وحَرَّمَتِ الرِّجَالَ والطِّيبَ ، وَنَذَرَتْ أَنْ لا تُقِيمَ ببلدَةٍ ماتَ فِيها ، ولا يُؤْويها بيتٌ ، فَلَمْ تَزَلْ سائِحةً حتَّى هلكَتْ حُزْناً ؛ وكانَتْ وفاتُه يومَ الخمِيسِ ، فنذَرت أَنْ تبكيَه ، كُلَّما طَلَعتْ شمسُ يوم الخَمِيسِ حتَّى تَغِيبَ الشَّمسُ .

● قالَ السُهيليُّ[1] : وَيُذكر عن النَّبيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : « لا تَسُبُّوا إلياسَ ، فإِنَّهُ كَانَ مُؤْمِناً » .

وَذُكِرَ أَنَّ إلياسَ كان يُسْمَعُ من صُلبهِ تَلبيةُ النَّبيِّ ﷺ بالحَجِّ .

● وَرَوَى « مُسلمٌ »[2] ، عن موسى بن سَلَمَة الهُذْلي ، قَالَ : انطلقتُ أَنا وسِنان بن سَلَمَة مُعتمرَيْن . قَالَ : وانْطَلَقَ سِنانٌ ومعهُ بَدَنَةٌ يَسُوقُها ، فأَزْحَفَتْ عليْه بالطَّريقِ ، فغَمَّنِي شأنُها إذْ هِيَ أُبدِعَتْ ـ أَي كَلَّت ـ فأَتينا إلى ابنِ عبَّاسٍ نَسأَلُهُ ، فقال : على الخَبيرِ سَقطتَ ؛ بعثَ رسولُ الله ﷺ بِستَّ عشرةَ بَدَنَةً مع رَجلٍ ، وأَمَّرَهُ فِيها ، فَقَالَ : يا رَسولَ الله ، وما أَصنعُ بما أُبْدِعَ عَليَّ منها ؟ قَالَ ﷺ : « انْحَرْها ، ثمَّ اصبُغْ نَعْلَها في دَمِها ، ثمَّ اجْعَلْهُ على صَفْحَتِها ، ولا تأكلْ مِنها أَنتَ ولا أَحدٌ من رُفْقَتِكَ » .

وسيأْتي إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الهاءِ » ، الكلامُ على « الهَدْيِ » .

---

(١) الأَوائل للعسكري ١/ ٧٤ . والروض الأنف ١/ ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) مسلم (١٣٢٥) و (١٣٢٦) وأَبو داود (١٧٦٢) والترمذيّ (٩١٠) وابن ماجه (٣١٠٦) .

● وَرَوَى البُخاري ومُسلم وأَبُو داود والنَّسائيُّ[1] ، عن أَبي هُريرة رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَأَى رَجلاً يَسُوقُ بَدَنَةً ، فَقَالَ لَهُ : « ارْكَبْها » . فَقَالَ : يا رسُولَ اللهِ ، إِنَّها بَدَنَةٌ . قَالَ : « اركَبْها » . قَالَ : إِنَّها بَدَنَةٌ . قَالَ : « ارْكَبْها ، ويلَكَ » في الثَّانية أَو في الثَّالثة .

وفي روايَةٍ : « وَيْلَكَ ارْكَبْها ، وَيْلَكَ ارْكَبْها » .

● وروى الحاكِمُ[2] ، عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّه قال : إِذا أَرَدْتَ أَنْ تنحَرَ البَدَنَةَ ، فَأَقِمْها ، ثمَّ قُلْ : اللهُ أَكبرُ ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وإِلَيْكَ ، ثمَّ سَمِّ وانْحَرْها ، وكَذَلِكَ في الأُضحية .

● وفي « الصَّحيحين »[3] عن زياد بن جبير ، قال : « رَأَيْتُ ابنَ عُمر رضي الله تعالى عنهما ، أَتَى على رجلٍ قَدْ أَناخَ بَدَنَةً يَنْحَرُها ، فقَالَ : ابْعَثْها قائِمَةً مُقَيَّدَةً ، سُنَّةَ محمَّد ﷺ » .

● وَرَوَى الإِمامُ أَحمد ، وأَبو داود[4] ، عن عبد الله بن قُرْطٍ ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « أَعْظَمُ الأَيَّامِ عندَ اللهِ ، يَوْمُ النَّحْرِ ، ثمَّ يَوْمُ القَرِّ » . وقُرِّبَ إِلى رسُولِ اللهِ ﷺ خمسُ بَدَناتٍ ، أَوْ ستٌّ ، يَنحرهنَّ ، فَطَفِقْنَ يَزْدَلِفْنَ إِليهِ أَيَّتُهُنَّ يَبْدأُ بِها » .

● وفي رُكُوبِ البَدَنَةِ ، مَذاهبُ للعُلَماءِ : فَذَهَبَ الشَّافعيُّ إِلى أَنَّهُ يركبُها إِذا احتاجَ ، ولا يركبُها من غَيرِ حاجَةٍ ؛ وإِنما يَركبُها بالمعروفِ من غيرِ إِضرارٍ

---

(١) البخاري ٢/ ١٨٤ (كتاب الحجّ ـ باب تقليد النعل) ومسلم (١٣٢٢) و (١٣٢٣) وأَبو داود (١٧٦٢) والنَّسائيّ (٢٧٩٩) و (٢٨٠٠) والتّرمذيّ (٩١١) وابن ماجه (٣١٠٤) .

(٢) المستدرك ٢/ ٣٨٩ .

(٣) البخاري ٢/ ١٨٥ (كتاب الحجّ ـ باب نحر الإبل مقيّدة) ومسلم (١٣٢٠) .

(٤) مسند أَحمد ٤/ ٣٥٠ وأَبو داود (١٧٦٥) . ويوم القَرِّ : هو اليوم الثَّاني بعدَ النَّحر .

بِها ؛ وبِهذا قَالَ ابنُ المباركِ وابنُ المنذرِ وجماعةٌ .

وَقَالَ مالك وأَحمد : لَهُ ركوبُها من غيرِ حاجةٍ ؛ وبِهِ قَالَ عُروةُ بن الزُّبيرُ وإِسحاقُ بن راهَويه .

وَقَالَ أَبُو حَنيفة : لا يركبُها إلاَّ أَنْ لا يَجِدَ مِنهُ بُدّاً .

وَحَكَى القاضِي عن بعضِ العُلماءِ : أَنَّهُ يجبُ رُكوبُها لِظاهِرِ الأَمرِ .

وَدَليل الجُمهُورِ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَهْدَى وَلَمْ يَركبْ هَدْيَهُ ، ولَمْ يأمرِ النَّاسَ بركوبِ الهَدْي .

وقولُ النَّبيِّ ﷺ : « وَيْلك » هذه الكلمَةُ أَصْلُها لمن وقعَ في هلكةٍ ، فقال له ذلك ، لأَنَّهُ كَانَ مُحتاجاً ، قد وقع في جهدٍ وتعبٍ .

وقيل : هَذِهِ الكَلِمَةُ تَجْرِي على اللِّسانِ ، وتُستعملُ من غيرِ قَصدٍ إِلى ما وُضِعَتْ لَهُ أَوَّلاً ، وهي كقَولِهم : لا أُمَّ لَهُ ، لا أَبَ لَهُ ، تَرِبَتْ يَداهُ ، قاتَلَهُ اللهُ ، عَقْرَى ، حَلْقى ؛ وما أَشْبهَ ذَلِكَ .

٦١ **البَذَجُ** : بالذَّالِ المُعجمة : من أَولادِ الضَّأْنِ ، بمنزلةِ العَتُودِ من أَولادِ المعزِ ؛ وجمعُهُ : بِذْجَان ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[١] : [من الرَّجز]

قَدْ هَلَكَتْ جارَتُنا مِنَ الهَمَجْ وإِنْ تَجُعْ تَأْكُلْ عَتُوداً أَوْ بَذَجْ

قَال الجوهريُّ : ومُرادُهُ بالهَمَجِ : سُوءُ التَّدبيرِ في المَعاشِ[٢] .

● وفي الحديث : « يخرجُ رجلٌ مِنَ النَّارِ كَأَنَّ بَذَجٌ ، تَرعدُ أَوْصَالُهُ » .

● وَرَوَى[٣] ابْنُ المبارَكِ ، عن إِسماعيل بن مُسلم ، عن الحسنِ وقَتادة ،

---

(١) الشطران في الصحاح (بذج) ١/ ٢٩٩ و (همج) ١/ ٣٥٥ بلا نسبة ؛ وهما في اللسان (بذج) ١/ ٢٣٦ لأبي محرز المحاربيّ ، واسمه عبيد .

(٢) الصحاح (همج) ١/ ٣٥٥ . وفي اللسان : قال ابن خالويه : الهمج هنا : الجوع .

(٣) التّرمذيّ (٢٤٢٧) .

عن أَنسٍ رضِي الله تعالى عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ ، قَالَ : « يُجاءُ برَجُلٍ يَوْمَ القيامَةِ كَأَنَّهُ بَذَجٌ من الذُّلِّ ، فيُوقفُ بين يدي الله تعالى ، فيَقولُ لَهُ : أَعْطَيْتُكَ ، وخَوَّلْتُكَ ، وأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ ، فماذَا صَنَعْتَ ؟ فيَقولُ : ربِّ ، جَمعتُه وثَمَّرْتُهُ ، وتركْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ ، فارْجعْنِي آتِكَ بِهِ فيقُولُ اللهُ تَعالَى : أَرِنِي ما قَدَّمْتَ ؛ فإذا هُوَ عَبْدٌ لَمْ يَقَدِّمْ خَيْراً ، فَيُمْضِي بِهِ إِلى النَّارِ » . خَرَّجَهُ ابنُ العربيِّ المالكيّ ، في « سراجِ المُرِيدين » . وَقَالَ : حديثٌ صَحيحٌ ، من مَراسيل الحسن .

قَالَ الحافِظُ المنذريُّ في « التَّرغيبِ والتَّرْهِيبِ » : رَوَاهُ التِّرمذيُّ[1] ، عَنِ إسماعيل بن مُسلم المكِّي ـ وهو واهٍ ـ عَنِ الحسن .

والبَذَجُ : بباءٍ موحَّدَةٍ مَفتوحَةٍ ، وذالٍ مُعجمةٍ ساكنةٍ[2] ، ثمَّ جِيمٍ : من أَولادِ الضَّأْنِ ؛ شُبِّهَ به هذا ، لما يأتِي به من الذُّلِّ والحقارَةِ . انتهى .

● وفي « مسند أَبي يَعلى الموصليّ »[3] عن أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُؤْتَى بابْنِ آدَمَ يوم القِيامَةِ ، كَأَنَّهُ بَذَجٌ من الذُّلِّ ، فيقولُ الله تعالَى : أَنا خيرُ قَسيمٍ يا ابنَ آدمَ ؛ انظُرْ إِلى عَملكَ الَّذِي عملتَ لِي ، فأَنا أَجزيكَ بِهِ ؛ وانظُرْ إِلى عَمِلكَ الذي عملْتَ لغيري ، فإنَّ جزاءك على الذي عملتَ لَهُ » .

وَرَواهُ الحافِظُ أَبو نُعيمٍ في ترجمةِ الرَّبيعِ بن صَبيح ، مَرْفُوعاً[4] .

وَالبَذَجُ : كَلمةٌ فارِسِيَّةٌ ، تكَلَّمَتْ بها العَرَبُ .

● وعن بعض الأَعرابِ[5] : أَنَّهُ وُجِدَ مُتعلِّقاً بأَسْتارِ الكعبةِ ، وهو يقولُ :

---

(١) التّرمذيّ (٢٤٢٧) .

(٢) كذا ، وصوابه : وذال معجمة مفتوحة .

(٣) مسند أَبي يعلى ٧/ ١٥١ و ١٥٢ وحلية الأَولياء ٦/ ٣١٠ .

(٤) حلية الأَولياء ٦/ ٣١٠ .

(٥) حيوان الجاحظ ٥/ ٥٠٢ وعيون الأَخبار ٣/ ٢٧٦ وثمار القلوب ١/ ٢٤٨ وقطب السرور =

اللَّهُمَّ أَمِتْنِي مِيْتَةَ أَبي خارجَة ؛ فَقِيلَ لَهُ : وكيفَ ماتَ أَبو خارِجَةَ ؟ قَالَ : أَكَلَ بَذَجاً ، وشَرِبَ مِشْعَلاً ، وَنَامَ شامِساً ؛ فَلَقِيَ الله تعالى شَبْعانَ رَيَّانَ دَفْآنَ .

المِشْعَلُ : إِناءٌ يُنبذُ فيه .

الأَمْثال : قالوا[1] : « فلانٌ أَذَلُّ من بَذَجٍ » ، لأَنَّهُ أَضعفُ مَا يَكونُ من الحُمْلانِ .

٦٢ البُراقُ : الدَّابَّةُ التي ركِبَها سَيِّدُ المُرسلينَ ﷺ ليلةَ الإسراءِ ، وركبَها الأَنبياءُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ .

مُشْتَقَّةٌ من البَرْقِ الذي يلمعُ في الغَيمِ ، (سُمِّيَ بَرْقاً لِنُصُوعِ لَوْنِهِ ، وشِدَّةِ بَريقِهِ ، وَقيلَ : لِسرعةِ حركته ، شبَّهها ببرقِ السَّحاب)[2] ؛ كما رُوي في حديثِ المُرورِ على الصِّراطِ[3] : « فمنهم من يَمُرُّ كَالبَرْقِ الخاطِفِ ، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالرِّيحِ العاصِفِ ، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالفَرَسِ الجَوادِ » .

وفي « الصَّحيح »[4] : « أَنَّهُ دابَّةٌ دونَ البَغْلِ وفَوْقَ الحِمارِ ، أَبيضُ ، يَضَعُ خَطْوَهُ عندَ أَقْصَى طَرْفِهِ » .

وَيُؤخَذُ من هَذَا أَنَّهُ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ إِلى السَّماءِ في خُطوةٍ ، وإِلى السَّماواتِ السَّبعِ في سبعِ خُطواتٍ ؛ وَبِهِ يُرَدُّ على مَنِ اسْتَبْعَدَ مِنَ المُتَكَلِّمينَ إِحضارَ عرشِ بَلقيسَ في لحظةٍ واحدةٍ ، وَقَالَ : إِنَّهُ أُعْدِمَ ثمَّ أُوجِدَ ؛ وعلَّله بأَنَّ المسافةَ

= ١/ ١٨٧ وشرح النهج ١٨/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

(١) الميدانيّ ١/ ٢٨٥ والعسكري ١/ ٤٧٠ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٠٣ و ٢٠٥ والزمخشري ١/ ١٣٠ .

(٢) الزيادة من ب . وهي عبارة ابن الأَثير في النهاية ١/ ١٢٠ .

(٣) البخاري ٨/ ١٨٢ (كتاب التوحيد) ومسلم (١٨٣) والترمذي (٣١٥٩) ومسند أَحمد ٣/ ١٧ و ٢٥ و ٦/ ١١٠ .

(٤) البخاري ٤/ ٢٤٨ (كتاب مناقب الأَنصار ـ باب المعراج) ومسلم (١٦٤) .

البعيدةَ لا يُمكنُ قَطْعُها في هَذِهِ اللَّحْظَةِ ؛ وَهَذا أَوْضَحُ دَليلٍ في الرَّدِّ عَلَيْه .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ[1] : وَمِمَّا يُسْأَلُ عنهُ : شِماسُ البُراقِ حِينَ رَكِبَهُ ، فَقَال لَهُ جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَما تَسْتَحْيي يا بُراقُ ؟ فما رَكِبَكَ عَبْدٌ قبلَ محمَّدٍ أَكرمَ على الله منهُ .

قَالَ ابنُ بَطَّال : إِنَّما كَانَ ذَلِكَ لِبُعْدِ عَهْدِهِ بالأَنْبياءِ ، وَطُولِ الفَترةِ بين عيسى ومحمَّد عليهما الصَّلاة والسَّلام .

● وَنقلَ النَّوويُّ عن الزُّبيديِّ ، في « مُختصر العَين »[2] وعن صاحِبِ « التَّحرير » : أَنَّهُ دابَّةٌ كَانَ الأَنبياءُ عليهمُ السَّلامُ يَركبُونَها ؛ ثمَّ قَالَ : وَهَذا الَّذي قالاهُ من اشتراكِ جَميعِ الأَنبياءِ فِيها ، يَحتاجُ إِلى نقلٍ صَحيحٍ .

● وقالَ صاحِبُ « المُقتفى » : والحِكْمَةُ في كَوْنِهِ على هَيْئَةِ بَغْلٍ ولم يكنْ على هيئَةِ فَرَسٍ ، التَّنبيهُ على أَنَّ الرُّكوبَ كان في سِلْمٍ وأَمْنٍ لا في حَرْبٍ وخَوْفٍ ، أَو لإِظْهارِ الآيَةِ في الإِسْراعِ العَجِيبِ في دابَّةٍ لا يُوصَفُ شَكْلُها بالإِسْرَاعِ ؛ فإِنْ قِيلَ : ركبَ ﷺ البَغْلَةَ في الحربِ ، فَالجَوابُ : أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِتحقيقِ نُبُوَّتِه وشَجاعَته ﷺ .

قَالَ : وَكَانَ البُراقُ أَبيضَ ، وكانَتْ بَغْلَتُهُ شَهْباءَ - وهي التي أَكْثَرُها بَياضٌ - إِشارةً إِلى تَخْصِيصِهِ بِأَشْرَفِ الأَلْوانِ .

قَالَ : واختَلَفَ النَّاسُ ، هل رَكِبَ جبريلُ عليْهِ السَّلامُ معهُ ﷺ ؟ فَقِيلَ : نَعم ، كان رَديفَهُ ﷺ .

قَال : والظَّاهِرُ عندي أَنَّهُ لم يركبْ معه ، لأَنَّه ﷺ هو المَخْصُوصُ بِشَرَفِ

---

(١) الروض الأُنف ٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٢) العين ٥/ ١٥٧ .

الإسراءِ ؛ لَكِنْ رُوِيَ أَنَّ إبراهيم عليْهِ السَّلامُ كَانَ يَزُورُ[١] وَلَدَهُ إسماعِيلَ على البُراقِ ، وَأَنَّهُ رَكِبَهُ هو وإسماعيل وهاجَر حِينَ أَتى بِهِما البيتَ الحَرامَ .

في أَواخِرِ « المستدرك »[٢] عن عبد الله رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « أُتِيتُ بالبُراقِ ، فَرَكِبْتُ خلفَ جبريل » إلى أن قال : تفَرَّدَ بِهِ أَبُو حَمزة ميمون الأَعور ، وقَدِ اختلفوا فيه .

● وَفِيهِ[٣] في ذِكْرِ مَناقبِ فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها ، عن أَبي هُريرةَ رضي اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قَالَ : « تُبْعَثُ الأَنبياءُ عليهمُ السَّلامُ يَوْمَ القِيامَةِ على الدَّوابِّ ، ليُوافوا بالمؤمنينَ من قَوْمِهم المَحْشَرَ ، ويُبعثُ صالحٌ على ناقَتِهِ ، وأُبعثُ على البُراقِ ، خَطْوُها عند أَقْصَى طَرْفِها ، وتُبعثُ فاطمةُ أَمامِي » .

● وَقَالَ أَبُو القاسم إسماعيل بن محمَّد الأَصفهانيّ ، في كتاب « الحُجَّة إلى بَيانِ المَحَجَّة » : إنْ قِيلَ : لِمَ عرجَ البُراقُ بِهِ ﷺ إلى السَّماءِ ، وَلَمْ ينزل عندَ مُنصرفِهِ عَلَيْهِ ؟ فالجَوابُ : أَنَّهُ عَرجَ بِهِ عليْهِ إظهاراً لِكَرامَتِهِ ، ولَمْ ينزِلْ عليْهِ إظهاراً لقُدرةِ اللهِ تَعالى .

وَقِيلَ : دَلَّ بالصُّعودِ على النُّزولِ بِهِ عليْهِ ، كَقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النَّحل : ٨١] يعني والبردَ ، وكَقوله : ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] أَي والشَّرُّ[٤] .

---

(١) في ب : يُردف .

(٢) المستدرك ٤/ ٦٠٦ .

(٣) المستدرك ٣/ ١٥٢ .

(٤) قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٢٧٦ بعد إيراد حديث الإسراء : والمقصود أَنَّه ﷺ لمَّا فرغ من أَمرِ بيتِ المقدس ، نُصب له المعراج ـ وهو السُّلَّم ـ فصعد فيه إلى السَّماء ، ولم يكن الصُّعود على البُراق ، كما قد يتوهَّمه بعضُ النَّاسِ ، بل كان البُراق مربوطاً على باب=

● وَقَال حُذيفةُ : ما زَايلَ ظهرَ البُراقِ حتَّى رجعَ .

● ثمَّ إِنَّ البُراقَ يَوْمَ القِيامَةِ يَركبُهُ النَّبيُّ ﷺ دُونَ سائرِ الأَنْبِيَاءِ ؛ يَدُلُّ لِذلِكَ ما رَواهُ الحاكِمُ قَرِيباً ، وما رَواهُ أَبو الرَّبيع بن سَبُع السَّبْتيّ في « شِفاءِ الصُّدُورِ » عن سُويد بن عَمرو ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قَالَ : « حَوْضِي أَشربُ منهُ يومَ القيامَةِ أَنا ومَن استَسقانِي من الأَنبياءِ عليهمُ السَّلام ؛ ويَبعثُ اللهُ تَعالى لصالح ناقَتَهُ ، يحلبُها ويشربُ هو والَّذين آمنُوا معه ، ثمَّ يَركبُها حتَّى يُوافِي بها الموقفَ ولها رُغاءٌ » . فقال له رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ، وأَنتَ يومئذٍ على العضبَاءِ ؟ قَالَ ﷺ : « تِلْكَ تُحْشَرُ عَلَيْها ابنتي فاطمةُ ، وأَنا أَحشرُ على البُراقِ ، أُخَصُّ بِهِ دُونَ الأَنبياءِ عليهم الصَّلاة والسَّلام » .

● واختلفَ النَّاسُ في تاريخ الإِسراءِ ؛ فَقَالَ ابنُ الأَثيرِ[1] : الصَّحيحُ عندي ، أَنَّهُ كَانَ ليلةَ الاثنينِ ، لسبعٍ وعشرين من شهرِ ربيعِ الأَول ، قبلَ الهجرةِ بِسَنَةٍ ؛ وبهذا جزمَ شيخُ الإِسلامِ مُحيي الدِّينِ النَّوويّ في « شرح مُسلم » . وجزم في « فتاويه » في كتاب الصَّلاةِ بأَنَّهُ كَانَ في شَهرِ ربيعِ الأَوَّل[2] . وفي « سير الرَّوضة » أَنَّهُ كَانَ في رَجب ؛ وإِنَّما كَانَ ليلاً لتظهرَ الخُصُوصيَّةُ بينَ جليسِ المَلِكِ نَهاراً وَجَليسه ليلاً .

● قَالَ أَهل التَّاريخ : وُلِدَ النَّبيُّ ﷺ عامَ الفيلِ ، وأَقامَ في بَنِي سَعْدٍ خَمسَ سنين ، ثمَّ تُوفِّيَتْ أُمُّهُ بالأَبواءِ وهو ابنُ ستِّ سِنين ، وكَفِلَهُ جَدُّه عبدُ المُطَّلب ، ثمَّ تُوفِّيَ وهو ابنُ ثَمانِ سِنين ، فكفلَه عَمُّه أَبو طالبٍ ، وخرجَ معهُ إِلى الشَّامِ ، وهو ابنُ اثنتي عشرَةَ سَنَةً .

= مسجد بيت المقدس ، ليرجع عليه إِلى مكَّة . . .

(١) لم يرد هذا القول في الكامل لابن الأثير ٢/ ٥١ . وانظر ما يقوله الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٢٦٩ .

(٢) فتاوى الإمام النَّوويّ ٢٢ .

ثمَّ خَرَجَ ﷺ في تِجارَةٍ لخديجةَ وهو ابنُ خَمسٍ وعشرين سنةً ، وتزوَّجَها في تلكَ السَّنَةِ .

وبَنَتْ قُريشٌ الكعبةَ ورَضِيَتْ بِحُكمه فِيها وهو ابنُ خَمسٍ وثلاثين سنةً .

وبُعثَ ﷺ وهو ابنُ أَربعينَ سنةً .

وتوفِّيَ أَبو طالبٍ وهو ابنُ تسعٍ وأَربعينَ سنةً وثَمانية أَشهرٍ وأَحد عشر يوماً .

وَتُوفِّيَتْ خديجةُ رضي الله تعالى عنها بعد أَبي طالبٍ بثلاثَةِ أَيَّامٍ .

ثمَّ خَرَجَ ﷺ إلى الطَّائِفِ ، ومعَهُ زيدُ بن حارثة رَضِيَ اللهُ عنه بعدَ ثلاثَةِ أَشهرٍ من موتِ خَديجةَ رضي الله تعالى عنها ، فأَقامَ بهِ شَهراً ، ثم رجع إلى مَكَّةَ في جِوارِ المُطْعِمِ بن عَدِيّ .

فلمَّا أَتَتْ لَهُ خَمسونَ سنةً ، قَدِمَ عَلَيْهِ جِنٌّ نَصيْبِينَ فأَسلموا .

فلمَّا أَتت لَهُ إِحْدَى وخَمسونَ سنةً وتسعةَ أَشهرٍ ، أُسرِيَ بِهِ ﷺ .

وهاجَرَ إلى المدينةِ ، وهو ابْنُ ثلاثٍ وخَمسينَ سنةً ، وهي السَّنَةُ الثَّالثةَ عشرَة من بعثته ﷺ ـ وقِيلَ : هاجَرَ في الرَّابعة عشرَة من بعثته ﷺ ـ ومعه أَبو بكرٍ الصِّدِّيق ، ومَولاهُ عامر بن فُهَيْرَةَ ، وَدَليلُهم عبد الله بن أُرَيْقِط ؛ وَهَذِهِ السَّنَةُ علَيْها مَبْنَى التَّاريخِ الإِسلاميِّ ، وهي سنةُ **إِحدى** .

وفيها آخَى رسولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الصَّحابة رضي الله عنهم ، واتَّخَذَ عليَّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ الله عنه أَخاً .

وفيها أُتِمَّت صلاةُ الحضَر وأُقِرَّتْ صلاةُ السَّفر .

وفيها تَزَوَّجَ عليٌّ فاطمةَ رَضِيَ الله تعالى عنهما .

وفي سَنة **اثنتينِ** : كانَتْ غَزوةُ وَدّان ـ وهو اسمُ مَكانٍ ـ وغَزوةُ بُواط ـ وهي

من ناحيَةِ رَضْوى ـ وغَزْوَةُ العَشيرةِ ، وغَزوةُ بدرٍ الأُولَى ، وكانَتْ في جُمادَى الآخرةِ ، وغزوةُ بدرٍ الكُبْرَى ، وهي التي قُتل فِيها صَناديدُ قُريشٍ ، وأَعَزَّ اللهُ تَعالى بها الدِّينَ ، وكانت يوم الجُمعةِ سابعَ عشرَ رَمضان[1] ، وغَزوةُ بَني سُلَيْم ، و[غَزوةُ السَّويق][2] ، وكانَتْ في ذِي الحِجَّةِ ؛ خَرَجَ ﷺ يُرِيدُ أَبا سُفيان فَلَمْ يَلْقَهُ .

وفي سنةِ **ثلاثٍ** : كانت غَزوةُ بَني غَطفان ، وغزوةُ بَحْران ، وغَزوةُ قَيْنقاع ، وغَزوةُ أُحُد ، وغَزوةُ حمراءِ الأَسَدِ .

وفي سَنَةِ **أَربعٍ** : كانَتْ غزوةُ بني النَّضِير ، وغَزوةُ ذاتِ الرِّقاعِ .

وفي سنةِ **خَمسٍ** : كانَتْ غَزوةُ دُومَةِ الجَندل ، وغَزوةُ الخَندق ، وغَزوةُ بَنِي قريظة .

وفي سَنَةِ **سِتٍّ** : كانت غَزوةُ بني لِحْيان ، وغَزوةُ بَنِي المُصطلق .

وفي سنةِ **سبعٍ** : اتَّخَذَ النَّبيُّ ﷺ المنبرَ ، وغزا غَزوةَ خَيبر ، وفيها كانَتْ قصَّةُ فَدَك ، وهي مشهورةٌ ؛ وكانت فَدَكُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خالِصةً .

وفي سَنَةِ **ثَمانٍ** : كانَتْ غَزْوَةُ مُؤْتَةَ ، وفتحُ مَكَّةَ المُشَرَّفة ، وغَزوةُ حُنين ، وغَزوة الطَّائِفِ ، وقِسْمَةُ أَمْوَالِ هَوازِن .

وفي سَنَةِ **تسعٍ** : كانَتْ غَزوةُ تبوك .

وفي سنة **عشرٍ** : كانَت حُجَّةُ الوَداعِ ، ونَحَرَ فِيها بيَدِهِ الشَّريفَةِ ﷺ ثلاثاً وسِتِّينَ بَدَنَةً ، وأَعْتَقَ ثلاثاً وَسِتِّينَ رَقَبَةً ، هي عددُ سِني عُمره .

وفي سَنَةِ **إحدى عشرةَ** : كانَتْ وَفاته ﷺ ؛ وكان ابتِداءُ الوَجَعِ في مُستهلِّ شَهرِ ربيعٍ الأَوَّل ، وتُوفِّيَ في الثَّاني عشرَ منه ؛ وعاشَ ﷺ ثلاثاً وَسِتِّيْنَ سَنَةً ،

---

(١) في الأُصول : ثالث عشر رمضان ! . وانظر العبر ١/ ٣ ومروج الذَّهب ٣/ ٢٨ . . .

(٢) الزِّيادة لازمة . وانظر الطبريّ ٢/ ٤٨٣ .

وكانَتْ مُدَّةُ مَقامِهِ في المدينَةِ عشرَ سِنين ؛ وقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ في « بابِ الهَمزةِ » ، في الكلامِ على « الإوَزِّ » .

وَكَانَ أَوْلادُهُ ﷺ كلُّهم من خَديجة رَضِيَ الله تعالى عنها ، إلاَّ إبراهيم فإنَّهُ مِنْ مارِيَّةَ القِبْطِيَّةَ ، وهم الطَّيِّبُ والطَّاهِرُ والقاسِمُ وفاطمة وزَينب ورُقَيَّةُ وأُمُّ كُلْثُومٍ وإبراهيم ، سلامُ اللهِ ورضوانُهُ عليهم أَجمعين ؛ فأَمَّا الذُّكور فماتوا كُلُّهم أَطْفالاً . ولَمْ يَتزَوَّجْ ﷺ في حَياةِ **خَديجة** غيرَها ؛ فلمَّا ماتَتْ تَزَوَّجَ **سَوْدَةَ بنت زَمْعَة** رَضِيَ الله تَعالى عنها ؛ **وعائِشة** رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها ، ولَمْ يَتزَوَّج ﷺ بِكْراً غيرَها ، وماتت رَضِيَ اللهُ عنها في أَيَّام معاوية رَضِيَ الله تعالى عنه ، سنةَ ثَمانٍ وخَمسينَ ، عن سبعٍ وستِّيْنَ سَنةً .

وَتَزَوَّجَ ﷺ **حَفْصَةَ بنت عُمر بن الخَطَّابُ** رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، سنةَ ثَلاثٍ ، وَتُوفِّيَتْ في أَيَّامِ عثمان رضي الله تَعالَى عنه . وتَزَوَّجَ ﷺ **زَيْنَبَ بنت خُزيمة** ، وَتوفِّيَتْ في حياتِهِ ﷺ ؛ ولَمْ يَمُتْ عندَهُ من نِسائه غيرُها وغيرُ خَديجةَ رَضِيَ الله تعالى عنها .

وَتَزَوَّجَ ﷺ **أُمَّ سَلَمة** رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها ، سنةَ أَربعٍ ؛ وأُمُّها عاتِكة عَمَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ ؛ وتُوفِّيَتْ سَنَةَ تسعٍ وخَمسين في أَيَّام مُعاوية أَيضاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه . وَقِيلَ : تُوفِّيَتْ سنةَ إِحدى وَسِتِّينَ ، في يَوْمِ عاشُوراء ، وهو اليومُ الذي قُتِلَ فِيهِ الحُسينُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

وَتَزَوَّجَ ﷺ **زَينبَ بنت جَحْشٍ** ، في سنةِ خَمسٍ ، وَتُوفِّيَتْ في سنةِ عشرين في أَيَّامِ عُمر رَضِيَ الله تعالى عنهما ؛ وهي أَوَّلُ أَزْواجِهِ ﷺ لُحوقاً بِهِ .

وَتَزَوَّجَ **أُمَّ حَبيبةَ** ، واسمُها رَمْلَة بنتُ أَبي سُفيان ، (صخر بن حرب ، عقدَ لَهُ عليْها النَّجاشيُّ بأَرْضِ الحَبَشَة)[1] ، وتُوفِّيَتْ سنةَ أَربعٍ وأَربعينَ ، في أَيَّامِ

---

(١) من أ .

أَخيها مُعاوية رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما .

(وَتَزَوَّجَ **صفِيَّةَ بنت حُيَيّ بن أَخطبَ الإِسرائِيليَّة** ، سَنةَ سَبْعٍ من الهجرةِ ؛ وتُوفِّيَتْ في رمضان ، سَنةَ خَمسين)[1] .

وَتَزَوَّجَ **جُويرية بنت الحارث المُصْطَلِقِيَّة** ؛ وتُوفِّيَتْ سنةَ سِتٍّ وخَمسين ، في أَيَّامِ مُعاوية .

وَتَزَوَّجَ **مَيمونةَ بنت الحارث** في سنةِ سبعٍ ، وتُوفِّيَتْ سنةَ أَربعينَ ؛ ومَاتَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عن تِسْعٍ .

٦٣ البِرْذَوْنُ : بِكَسْرِ البَاءِ ، وبالذَّالِ المُعجمة ؛ والجمعُ بَراذِين ؛ والأُنْثَى بِرْذَوْنَةٌ ؛ وكُنْيَتُهُ : أَبُو الأَخْطَل ؛ كُنِّيَ بِهِ لِخَطَلِ أُذُنَيْهِ ، وهو اسْتِرْخاؤُهُما بِخِلافِ أُذُني الفَرَسِ العَرَبيّ ، وهو الَّذِي أَبواهُ أَعْجَمِيَّانِ .

والأَعْجَمِيُّ من النَّاسِ : الَّذِي لا يُفْصِحُ الكَلاَمَ ، عَجَمِيّاً كَانَ أَوْ عَرَبِيّاً ؛ أَلا تَرَاهُمْ قَالُوا : زياد الأَعجم ، لِعُجْمَةٍ كانَتْ في لِسانِهِ ، وهو عربيٌّ .

قَالَ ﷺ : « صَلاةُ النَّهارِ عَجماء » لإِخْفَاءِ القِراءَةِ فِيها ، لكِنْ قَالَ النَّوويُّ : إِنَّهُ حديثٌ باطِلٌ[2] .

ويُطلقُ العَجَميُّ والأَعْجَمِيُّ على من ليس مِنْ أَهلِ الكَلامِ ؛ قَالَ ﷺ[3] : « العَجْمَاءُ جُرْحُها جُبارٌ » وهِيَ الدَّابَّةُ المُنفلتةُ ؛ وإلا فالإِجْماعُ على تَضْمِينِ السَّائِقِ والقائِدِ .

---

(١) من أ .

(٢) الدُّرر المنتثرة (٢٧٤) ، وقال الإمام السّيوطي : قال الدَّارقطنيّ والنّوويّ : باطلٌ لا أَصلَ له ؛ وهو في فضائل القرآن لأَبي عبيد [١٧٠] من كلام أَبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود .

(٣) البخاري ٤٦/٨ (كتاب الديات) ومسلم (١٧١٠) وأَبو داود (٣٠٨٥) و (٤٥٩٣) والترمذي (٦٤٢) و (١٣٧٧) والنسائي (٢٤٩٥ ـ ٢٤٩٨) وابن ماجه (٢٥٠٩) .

● وَقَالَ صاحب « منطق الطَّير » : إِنَّ البِرْذَوْنَ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قُوتَ يوم بيومٍ .

● وَرَوَى الحاكِمُ ، عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله تعالى عنه ، قَالَ[1] : كَأَنِّي بِالتُّرْكِ وَقَدْ أَتَتْكُم على بَرَاذينَ مُجَدَّعَةِ الآذَانِ ، حتَّى تَربِطَها بِشَطِّ الفُراتِ » .

● وَرُوِيَ أَيْضاً[2] عن أَبي هُريرة رَضِي الله تعالى عنه ، أَنَّهُ مَرَّ بِمَرْوانَ ، وهو يَبْنِي في دارهِ بالمدينةِ . قَالَ : فجلستُ إليهِ والعُمَّالُ يَعملونَ ، فقُلْتُ : ابْنُوا مَشيداً ، وأَمِّلُوا بَعيداً ، وَمُوتُوا قَريباً ؛ فَقَالَ مروانُ : إِنَّ أَبا هريرةَ يُحَدِّثُ العُمَّالَ ، فماذا تقُولُ يا أَبا هُريرة ؟ قَالَ : قلتُ : ابنُوا مَشيداً ، وأَمِّلُوا بَعيداً ، ومُوتُوا قَريباً ؛ يا معشرَ قُريشٍ ـ ثلاثَ مَرَّاتٍ ـ اذكُرُوا كيْفَ كنتم أَمسِ ، وكَيْفَ أَصبحتمُ اليومَ تُخْدَمُونَ ! أَرِقَّاؤُكُمْ فارسُ والرُّومُ ؛ كُلُوا خُبْزَ السَّمِيدِ ، واللَّحْم السَّمِين ، ولا يأكُلْ بعضُكم بَعْضاً ، ولا تكادَمُوا تَكَادُمَ البَراذِين ؛ وَكُونُوا اليَوْمَ صِغاراً ، تكُونُوا غَداً كِباراً ، واللهِ لا يَرْتَفِعُ رجلٌ منكم في الدُّنْيَا درجةً ، إلاَّ وَضَعَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ درجةً .

● وأَنْشَدَ السِّراجُ الوَرَّاقُ في « مَنْاهِجِ الفكر » في أَوْصَافِ الخَيْلِ المَذْمُومَةِ[3] : [من السَّريع]

لِصاحِبِ الأَحْباسِ بِرْذَوْنَةٌ ... بَعيدَةُ العَهْدِ عَنِ القُرْطِ
إِذَا رَأَتْ خَيْلاً على مَرْبَطٍ ... تَقُولُ : سُبْحانَكَ يا مُعْطِي
تَمْشِي إِلى خَلْفٍ إِذا ما مَشَتْ ... كَأَنَّما تكْتُبُ بِالقِبْطِي

---

(١) المستدرك ٤/ ٤٧٥ .

(٢) ترجمة أَبي هريرة ، من تاريخ دمشق ١٤٨ ومختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٠٤ .

(٣) البيتان له في المستطرف ٢/ ٤٥٠ . والقرط : نوع من النَّبات .

● قَالَ الجاحِظُ[1] : سَأَلْتُ بعضَ الأعرابِ : أَيُّ الدَّوابِّ آكَلُ ؟ قَالَ : بِرْذَوْنَةٌ رَغوثٌ .

● وفي أَواخِرِ الجزءِ الخامِسِ من « الغَيْلانِيَّات » وفي « المُستدرك » في كِتابِ اللِّبَاسِ[2] ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت : « أَتَى رجلٌ إِلى رسولِ اللهِ ﷺ على بِرْذَونٍ ، وعليهِ عِمامَةٌ ، وقد أَرخى طَرَفَها بَيْنَ كَتفيه ؛ فسألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عنهُ ، فَقَالَ : هَلْ رَأَيْتِهِ ؟ قلتُ : نَعم ؛ قَالَ : ذَاكَ جِبريلُ ، أَمَرَنِي أَنْ أَمضيَ إِلى بَنِي قُرَيظَة » .

● وقال في « الكامل » في حوادِثِ سنة خمس عشرةَ[3] : لمَّا افتتح عمر رضي الله عنه بيتَ المَقْدِسِ ، وقدمَ إِلى الشَّامِ أَربع مَرَّاتٍ : الأُولَى على فَرَسٍ ، والثَّانيةُ على بَعيرٍ ، والثَّالثةُ [عَلَى بَغْلٍ] ، رجعَ لأَجلِ الطَّاعُونِ ، والرَّابعة على حِمارٍ ؛ وَكَتَبَ إِلى أُمَراءِ الأَجنادِ أَن يُوافوهُ بالجابيةِ ، فركِبَ فَرسه ، فَرَأَى بِهِ عَرَجاً فنزل عنه ، وأُتِيَ ببرذَوْنٍ فَرَكِبَهُ ، فَجَعَلَ يَتجلجلُ بِهِ ـ أَي يَزْهُو في مِشيته ـ فنزل عنه ، وصَرَفَ عنه وجهه ، وَقَالَ : لا عَلَّمَ اللهُ مَنْ عَلَّمَكَ هَذِهِ الخُيَلاءِ ؛ ثمَّ رَكِبَ ناقتَهُ ، ولم يركبْ برذَوْناً بعدَهُ ولا قَبلَهُ أَبداً .

وَكَانَ[3] عمر رضي الله تعالى عنه لَمَّا أَرادَ الخروجَ إِلى الشَّامِ ، استخلفَ على المدِيْنَةِ عليَّ بن أبي طالبٍ رَضِي الله عنه ، فقال له عليٌّ : أنت تخرجُ بنفسِكَ إِلى هَذَا العَدُوِّ الكَلِبِ ؟ فَقَالَ عمر رضي الله تعالى عنه : أُبادِرُ بالجِهادِ قبلَ مَوْتِ العبَّاسِ رَضِيَ اللهُ تعالى عنه ؛ إِنَّكُمْ إِذا فَقَدْتُمُ العَبَّاسَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه

---

(١) الحيوان ١/ ١١٢ والبيان ٣/ ٢١٢ والبغال (ضمن رسائل الجاحظ) ٢/ ٣٤٠ . والرَّغوث : المرضعة .
(٢) المستدرك ٤/ ١٩٤ .
(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠١ والمستطرف ٢/ ٤٥٠ .

انْتَقَضَ بِكُمُ الشَّرُّ كَمَا يَنْتَقِضُ الحَبْلُ ؛ فَماتَ العبَّاسُ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه لِستِّ سِنينَ من خلافَةِ عُثمان رَضِي الله تعالى عنه ، وانتقَضَ بالنَّاسِ الشَّرُّ ، كَمَا قال عمر رضي الله عنه .

● وفي « وَفياتِ الأَعْيَانِ » في تَرجمةِ أَبي الهُذَيل محمَّد بن الهُذَيْل العلاَّف البَصْريّ ، شيخِ البَصريِّين في الاعْتِزَالِ ، قَالَ[1] :

خَرَجْتُ من البصرةِ على بِرْذَوْنٍ ، أُرِيدُ المَأْمُونَ ببغدادَ ، فسرْتُ إِلى دَيْرِ هِزْقِل ، فإِذا رَجلٌ مَشْدُودٌ في حائِطِ الدَّيْرِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عليَّ السَّلامَ ، وحَمْلَقَ إِليَّ ، وَقَالَ : أَمُعْتَزِليٌّ أَنتَ ؟ قُلتُ : نعم ؛ قَالَ : وإِماميٌّ أَنتَ ؟ قُلتُ : نَعم . قَالَ : أَنتَ إِذن أَبو الهُذَيل العَلاَّف ؟ قُلْتُ : أَنا ذَاكَ . قَالَ : فَهَل للنَّوْمِ لَذَّةٌ ؟ قلتُ : نَعم . قَالَ : وَمَتَى يَجِدُها صاحِبُها ؟ فقلتُ لِقلبي : إِنْ قلتَ : مع النَّوْمِ ، أخطأتَ ، فَإِنَّهُ ذاهِبُ العَقْلِ ؛ وإِنْ قلتَ : قَبلَ النَّوم ، أَخْطَأْتَ أَيضاً ، لأَنكَ أَحلتَ على عَدَمٍ ؛ وإِنْ قُلْتَ : بعدَ النَّوْمِ ، غلطتَ ، لأَنَّهُ شَيْءٌ قَدِ انقضى .

قَالَ : فَتَحَيَّرَ فَهْمِي ، وجالَ في الخاطِرِ وَهْمِي ، وقُلْتُ لَهُ : قُلْ أنتَ حتَّى أَسمعَ مِنْكَ ؛ وأَنقلَ عنكَ . فَقَالَ : بشرطِ أَنْ تسأَلَ امرأَةَ صاحِبِ هذا الدَّيْرِ أَنْ لا تَضرِبَني يَوْمي هذا ؛ فَسَأَلْتُها فأَجابت ؛ فَقَالَ : اعْلَمْ أَن النُّعاسَ داءٌ يَحِلُّ بالبَدَنِ ، ودَواؤُهُ النَّوم ؛ فاستحسنتُ ذَلِكَ منهُ ، وهممتُ بالانْصِرافِ ، فَقَالَ : يا أَبا الهُذَيْل ، قِفْ واسْمَعْ مَسْأَلَةً عُظْمَى . قَالَ : ما تقولُ في رسولِ الله ﷺ ، أَمينٌ هو في السَّماءِ والأَرضِ ؟ قلتُ : نعم ؛ قَالَ : أَيُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الخِلافُ في أُمَّته ، أَمِ الوِفاقُ ؟ قلتُ : بَلِ الوِفاقُ والاتِّفاقُ ؛ فقال : قَالَ تَعالَى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] فَمَا بَالُهُ ﷺ حِينَ مَرِضَ مَرَضَ مَوْتِهِ ،

---

(١) لم يرد هذا الخبر في ترجمة أَبي الهذيل العلاَّف ، من وفيات الأَعيان ، ولا في ترجمة غيره . وهو في عقلاء المجانين ٣٣٢ ـ ٣٣٤ .

مَا قَالَ : هذا خليفتكم من بَعْدِي ؟ وَقد نَصَّ ﷺ على الوَصِيَّةِ وَحَثَّ علَيْها وَحَرَّضَ ؟ قَالَ أَبُو الهُذيلِ : فَلَمْ أحرْ جَواباً ؛ وَسَأَلته الجَوابَ فنكَرْتُ حَالَهُ ، فَفَتَلْتُ عِنانَ بِرْذَوْنِي وانصرفتُ عنه ؛ فوصلتُ إِلى المَأْمُونِ ، فاستخبرني عن طَرِيقِي ، فأَخْبَرْتُهُ بما جَرَى ، فَأَمر بإحضاره على حالَته التي هو عليها ، فأحضِرَ ؛ فقَالَ لَهُ المأْمُونُ : أَعِدِ السُّؤَالَ الَّذِي سَألتَ عنه أَبَا الهُذيلِ ؛ فأَعاده ، وَكَانَ في المَجْلِسِ جَماعَةٌ من العُلَماءِ الأَفاضِلِ ، فما مِنهم من أَجابَ ، فقَالَ لَهُ المَأْمُونُ : ما الجَوابُ ؟ فقَالَ : سُبْحانَ الله ، أَكُونُ سائِلاً وَمُجِيباً في حالةٍ واحِدَةٍ ؟ فقَالَ المَأْمُونُ : وما عَلَيْكَ أَنْ تُفِيدَنا ؟ فقَالَ : نَعَمْ يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ ، اعلمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكَمَ في سالِفِ أَزَلِه ، وَقَضَى وَقَدَّرَ في سابقِ عِلْمِه ، وَأَطْلَعَ نَبيَّهُ ﷺ من ذَلِكَ على حُكمه ، فَلَمْ يكنْ لَهُ أن يتعدَّاهُ ، ولا أَنْ يَتَخَطَّاهُ ، فتَرَكَ الأمر على ما قَدَّرَهُ اللهُ تَعالَى وَقَضاهُ ، إِذْ لا رادَّ لأَمْرِهِ ، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه ؛ فاسْتَحْسَنَ المَأْمُونُ ذَلِكَ ، وَعَرَضَ لَهُ شُغْلٌ ، فقَامَ داخِلاً إِلى دارِهِ ، فقَالَ لَهُ المَجْنُونُ : يا ابْنَ اللَّخْناءِ ، أَخَذْتَ مَنْفُوعَنا ، وفَرَرْتَ مِنَّا ؟ فعَادَ المَأْمُونُ وَقَالَ : ما تَشْتَهِي ؟ فقَالَ : أَلفَ دِينارٍ . قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بها ؟ قَالَ : آكُلُ بِها كُسْباً وَتَمْراً ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِها ، وحَمَلَهُ إِلى أَهْلِهِ ، وهو على حالِهِ .

وتوفِّيَ أَبُو الهُذَيْلِ العلاَّف سنة سبعٍ وعشرِينَ ومئتين .

● وَذَكَروا أَنَّ السِّنَةَ في الرَّأْسِ ، والنُّعاسَ في العَيْنِ ، والنَّوْمَ في القَلْبِ ؛ وَهو غَشْيَةٌ ثَقِيلَةٌ تَقَعُ على القلبِ تَمْنَعُهُ المَعْرِفَةَ بالأَشْيَاءِ ؛ وَقد نَفَى اللهُ ذَلِكَ عن نفسِه بقولِه تَعالَى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] لأَنَّهُ آفَةٌ ، وهوَ سُبْحانَهُ وَتعالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الآفاتِ ؛ ولأَنَّهُ تَغَيُّرٌ ، ولا يَجُوزُ عَلَيْه تبارَكَ وَتَعالى .

● وَذَكر الإِمامُ أَبُو الفَرَجِ بن الجوزيّ في كِتابِ « الأَذْكِياءِ »[1] عن خالد بن

---

(١) أخبار الأذكياء ١٢١ ـ ١٢٣ ومروج الذهب ٤/ ١٠٥ ـ ١٠٧ والهفوات النادرة ١٠١ ـ ١٠٥ وتحفة العروس ١٧٦ ـ ١٧٩ والمحاسن والمساوىء ٢/ ١٠٨ ـ ١١٠ .

صَفوان التَّميميّ : أَنَّهُ دَخَلَ على أَبي العَبَّاسِ السَّفَّاحِ ولَيْسَ عندَهُ أَحدٌ ، فقَالَ : يا أَمير المُؤْمِنين ، إِنِّي واللهِ ما زِلْتُ مُنْذُ قَلَّدَكَ اللهُ الخِلافَةَ ، أَطلبُ أَنْ أَصيرَ إِلى مِثْلِ هذا المَوْقِفِ في الخَلوةِ ، فإِنْ رَأَى أَميرُ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمُرَ بِإِمْسَاكِ البابِ حتَّى أَفرغَ ، فلْيَفعلْ ؛ فَأَمَرَ الحاجِبَ بذَلِكَ ، فَقَالَ : يا أَميرَ المُؤمنين ، إِنِّي فَكَّرْتُ في أَمركَ ، وأَجَلْتُ الفِكْرَ فِيكَ ، فَلَمْ أَرَ أَحَداً لَهُ قُدْرَةٌ واتِّساعٌ على الاسْتِمْتَاعِ بِالنِّسَاءِ مثلَكَ ، ولا أَضْيَقَ فِيهنَّ عَيْشاً مِنْكَ ؛ إِنَّكَ مَلَّكْتَ نَفْسَكَ امرأَةً مِنْ نِساءِ العالَمِين ، فاقتَصَرْتَ عَلَيْها ؛ فإِنْ مَرِضَتْ مَرِضْتَ ، وإِنْ غابَتْ غِبْتَ ، وإِنْ عَرَكَتْ عَرَكْتَ[1] ، وَحَرَمتَ نَفْسَكَ ـ يا أَميرَ المُؤمنين ـ التَّلَذُّذَ باسْتِطرافِ الجوارِي ، وَمَعرِفَةِ اختِلافِ أَحوالهنَّ ، والتَّلَذُّذَ بما يُشْتهى مِنْهُنَّ ؛ فإِنَّ منهنَّ الطَّويلَةَ التي تُشْتهى لِجِسْمِها ، والبَيْضَاءَ التي تُحَبُّ لِرَوْعَتِها ، والسَّمراءَ اللَّعْسَاءَ ، والصَّفْراءَ الذَّهبيَّةَ ، ومُوَلَّداتِ المدينةِ والطَّائِفِ واليَمامَةِ ، ذواتِ الأَلْسُنِ العذبةِ والجَوابِ الحاضِرِ ، وبَناتِ سائِرِ المُلُوكِ ، وما يُشتهى من نَضارَتهنَّ وَنَظَافَتِهنَّ .

وَتَخَلَّلَ خالدٌ بِلِسانِهِ ، فأَطْنَبَ في صِفاتِ ضُرُوبِ الجَوارِي ، وَشَوَّقَهُ إِليهنَّ ، فلمَّا فَرغَ من كلامِهِ؛ قَال لَهُ السَّفَّاحُ : وَيْحَكَ ، مَلأْتَ مَسامعي بِمَا شَغَلَ خاطِرِي ، واللهِ مَا سَلَكَ مَسامِعِي كلامٌ أَحسن من هذا ؛ فأَعِدْ عليَّ كلامَكَ ، فَقَدْ وَقَعَ منِّي مَوْقِعاً ؛ فأَعادَ عَلَيْهِ خالدٌ كلامَهُ بأَحسنَ ممَّا ابتَدَأَهُ؛ ثمَّ قَالَ لهُ : انْصَرِفْ .

فانصرفَ ، وَبَقِيَ أَبُو العَبَّاسِ مُفَكِّراً ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سَلَمَةَ زوجتُه ، وَكَانَ قَدْ حَلَفَ لَها أَنْ لا يَتَّخِذَ عليها زَوْجَةً ولا سرِّيَّةً ، وَوَفَى لَهَا بذَلِكَ ، فلمَّا رأَته على تِلْكَ الحَالَةِ ، قالَتْ لَهُ : إِنِّي لأُنْكِرُكَ يا أَميرَ المُؤْمِنين ، فَهَلْ حَدَثَ

---

(١) عَرَكَتْ : حاضَت .

شَيْءٌ تكْرَهُه ، أَوْ أَتاكَ خَبَرٌ ارْتَعْتَ لَهُ ؟ قَال : لا . فلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَها بمقالَةِ خالِدٍ ؛ فقالتْ : وما قُلْتَ لابْنِ الفاعِلَةِ ؟ فَقَالَ لَها : أَيَنْصَحُنِي وَتَشتُمِيه ؟ فَخَرَجَتْ إلى مَواليها ، وأَمَرَتْهُمْ بِضَرْبِ خالِدٍ .

قَالَ خالِدٌ : فخرجْتُ من الدَّارِ مَسْرُوراً بما أَلْقَيْتُ إلى أَميرِ المُؤْمِنينَ ، وَلَمْ أَشُكَّ في الصِّلَةِ ؛ فبينَما أَنا واقِفٌ إذا أَقْبَلُوا يَسْأَلُونَ عَنِّي ، فَحَقَّقْتُ أَنَّهُ أَمَرَ لِي بالجائِزَةِ ، فقُلْتُ لَهُمْ : ها أَنا ذا . فاسْتَبَقَ إِليَّ أَحدُهم بخَشبةٍ ، فَغَمَزْتُ بِرْذَوْنِي ، فَلَحِقَنِي ، وَضَرَبَ كَفَلَ البِرْذَوْنِ ، فَرَكَضْتُ ، فَفُتُّهُم واستخْفَيْتُ في مَنزِلِي أَيَّاماً ، وَوَقَعَ في قَلْبِي أَنِّي أُتِيتُ مِن أُمِّ سَلَمَةَ .

فبينَما أَنا ذَاتَ يَوْمٍ جالِسٌ في المَجْلِسِ ، فَلَمْ أَشْعُرْ إلاَّ بِقَوْمٍ قَدْ هَجَمُوا عليَّ ، وقالوا : أَجِبْ أَميرَ المُؤْمِنين ؛ فسبقَ إلى قَلْبِي أَنَّهُ المَوْتُ ؛ فَقُلْتُ : إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُون ، واللهِ لَمْ أَرَ دَمَ شَيْخٍ أَضْيَعَ مِنْ دَمِي ؛ فرَكِبْتُ إلى دَارِ أَميرِ المُؤْمِنِينَ ، فأَصبتُه جالِساً ، ولَحظتُ في المجلِسِ بَيْتاً عَلَيْهِ سُتُورٌ رِقاقٌ ، وسمِعْتُ حِسّاً من خَلْفِ السِّتْرِ ، فأَجْلَسَنِي ، ثمَّ قَالَ : ويحكَ يا خالِدُ ، وَصَفْتَ لأَميرِ المُؤْمنينَ صِفَةً فَأَعِدْها ؛ فقلتُ : نَعم يا أَميرَ المُؤْمنين ؛ أَعْلمتُكَ أَنَّ العربَ إِنَّما اشْتَقَّتْ اسمَ الضَّرَّتَيْن من الضَّرَرِ ، وأَنَّ أَحَداً لَمْ يكن عنده من النِّسَاءِ أَكثرَ من واحدةٍ إِلاَّ كَانَ في ضُرٍّ وَتَنْغِيصٍ ؛ فَقَالَ السَّفَّاحُ : لَمْ يكن هذا كلامَكَ أَوَّلاً ؛ قُلْتُ : بَلَى يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ ، وأَخبرْتُكَ أَنَّ الثَّلاثَ من النِّسَاءِ يُدخِلْنَ على الرَّجُلِ البُؤْسَ ، وَيُشِبْنَ الرُّؤُوسَ ؛ فَقَالَ السَّفَّاحُ : بَرِئْتُ من رَسُولِ اللهِ ﷺ إنْ كُنْتُ سَمعتُ هَذَا منكَ ، أَوْ مَرَّ في حديثك ؛ قلت : بلىٰ يا أمير المؤمنين ، وأخبرتُك أَن الأربعَ من النِّساء شَرٌّ مَجموعٌ لِصاحِبِهِنَّ ، يُشَيِّبْنَهُ ويُهْرِمْنَهُ . قَالَ : واللهِ ما سَمعتُ هذا مِنْكَ أَوَّلاً ؛ قلتُ : بَلى واللهِ . قَالَ : أَتُكَذِّبُنِي ؟ قُلتُ : أفتقْتلُني ؟ نعم واللهِ يا أَميرَ المُؤمنين ، إِنَّ أَبْكَارَ الإِماءِ رِجالٌ ، إِلاَّ أَنَّهُنَّ لَيْسَ لَهُنَّ خُصى .

قَالَ خالدٌ : فَسَمِعْتُ ضَحِكاً من خَلْفِ السِّتْرِ ، ثمَّ قلتُ : واللهِ وأَخْبَرْتُكَ أَنَّ عِنْدَكَ رَيْحانَةَ قُرَيْشٍ ، وَأَنْتَ تَطْمَحُ بِعَيْنَيْكَ إِلى النِّسَاءِ والجَوارِي ؛ فَقِيلَ لِي مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ : صَدَقْتَ واللهِ يا عَمَّاهُ ؛ بِهَذَا حَدَّثْتَهُ ، ولَكِنَّهُ غَيَّرَ حَدِيثَكَ ، وَنَطَقَ بِما في خاطِرِهِ عن لِسانِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ السَّفَّاحُ : قاتَلَكَ اللهُ .

قَالَ خالدٌ : فانْسَلَلْتُ وخَرَجْتُ ، فَبَعَثَتْ إلي أُمُّ سَلَمَةَ بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، وَبِرْذَوْنٍ ، وتختِ ثِيابٍ .

الحُكْمُ : هو كعموم الخَيْلِ .

الخواصّ : إِذا شَرِبَتْ امرَأَةٌ دَمَ بِرْذَوْنٍ ، لَمْ تَحْبَلْ أَبَداً .

وزِبْلُهُ يُخرجُ المَشيمَةَ والجنينَ المَيِّتَ ، لخاصِيَّةٍ فِيهِ ؛ وإذاجُفِّفَ وَذُرَّ منه في الأَنْفِ ، حَبَسَ الرُّعافَ ؛ وإِذا ذُرَّ على الجِراحاتِ حَبَسَ الدَّمَ .

التَّعبيرُ(١) : البِرْذَوْنُ في المَنامِ ، خُصُومةٌ ؛ وَقِيلَ : غُلامٌ ، ويُعَبَّرُ أيضاً بِرَجُلٍ أَعْجَميٍّ ، والبَراذِينُ رِجالٌ أَعاجِمُ .

ويُعَبَّرُ أَيضاً بامْرَأَةٍ ؛ فَمَنْ سُرِقَ بِرْذونهُ ، طَلَّقَ زَوجتَهُ ؛ وضَياعُهُ فُجُورُ المَرأَةِ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٦٤ **البَرْغَشُ** : بِفَتْحِ الباءِ والغَينِ المُعجمة : نوعٌ من البَعُوضِ .

● وأَنْشَدَ الحافظ زكي الدِّينِ عبد العظِيمِ ، لِشَيْخِهِ الحافِظ أَبي الحَسَنِ المَقدسيّ ، شيخِ والِدِ الشَّيْخِ تقيّ الدِّين بن دَقيق العيد ؛ وَوَفاتُه في مُسْتهلِّ شَعبان ، سنة إِحدى عشرةَ وَسِتِّمئة(٢) بالقاهرَةِ(٣) : [من السَّريع]

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧٣ وتفسير الواعظ ٢٦٥ .

(٢) في الأُصول : سنة إِحدى وعشرين وستّمئة ! . والتصحيح من مصادر ترجمته . والمقدسي : هو أَبو الحسن عليّ بن المفضَّل بن حاتم . (تكملة المنذري ٢/ ٣٠٦ ووفيات الأَعيان ٣/ ٢٩٠ وسير أَعلام النبلاء ٢٢/ ٦٦) .

(٣) البيتان للمقدسي في وفيات الأَعيان ٣/ ٢٩١ .

ثَــلاثُ بَـــاآتٍ بُلِيْنَـــا بِهـــا البَــقُّ والبُــرغُــوثُ والبَــرْغَــشُ[1]
ثَــلاثَــةٌ أَوْحَــشُ مَــا فِــي الــوَرَى يَــا لَيْــتَ شِعْــرِي أَيُّهــا أَوْحَــشُ

٦٥ **البَرْغَزُ** : بِفَتْحِ الباءِ والغَيْنِ المُعجمة ، وضَمِّهما : وَلَدُ البقرةِ الوحشيَّةِ .

٦٦ **البُرْغُوثُ** : بِالثَّاءِ المثلَّثَةِ : واحدُ البَراغِيثِ ، وضَمُّ بائِهِ أَشهرُ من كَسْرِها .

وَقَوْلُهم : أَكَلُونِي البَراغِيثُ : لغةُ طَيِّءٍ ، وهي لغةٌ ثابتةٌ ، خَرَّجُوا علَيْها قَوْلَهُ تعالَى : ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ [الأنبياء : ٣] على أَحدِ المَذَاهِبِ ، وقولَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ [القمر : ٧] ، ومثلَهُ : « يَتعاقَبُونَ فيكم ملائكةٌ »[2] . وَقَولَه في « صَحيحِ مُسلم » وغيره[3] : « حتَّى احْمَرَّتَا عَيْناه » وأَشباهه كَثيرةٌ مَعروفةٌ .

● وَقَالَ سيبويه[4] : لغةُ أَكلُونِي البَراغِيثُ ، ليست في القُرْآن . قال : والضَّميرُ فِي ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ﴾ فاعِلٌ و﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بَدَلٌ منهُ .

وَكنيةُ البُرْغُوثِ : أَبُو طامِرٍ ، وأَبُو عَديٍّ ، وَأَبُو الوَثَّابِ ، ويُقال له : طامِر بن طامِر .

وهو[5] من الحيوانِ الذِي له الوثبُ الشَّديدُ ؛ ومن لُطفِ اللهِ تَعالَى بِهِ ، أَنَّهُ

---

(١) في أ : . . . . بلائي بها × .
(٢) البخاري ١/ ١٣٩ (كتاب مواقيت الصَّلاة ـ باب فضل صلاة العصر) ، ومسلم (٦٣٢) .
(٣) مسلم (٣٧) .
(٤) كتاب سيبويه ٢/ ٤١ .
(٥) الطرثوث في خبر البرغوث ٢٤٢ (ضمن مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٧٥ ج ٢) والمستطرف ٢/ ٤٥٠ .

يَثِبُ إِلى ورائِه لِيَرَى من يَصيدُه ، لأَنَّهُ لَوْ وَثَبَ إِلى أَمامِه ، لَكَانَ ذَلِكَ أسرعَ إِلى حِمامِهِ .

● وحكى الجاحِظُ عن يَحْيَى البَرمكيّ[1] : أَنَّ البُرْغُوثَ مِنَ الخَلْقِ الَّذِي يَعرِضُ له الطَّيرانُ ، كَمَا يَعرضُ للنَّملِ ؛ وهو[1] يُطِيلُ السِّفادَ ، ويَبيضُ ويُفَرِّخُ بعْدَ أَنْ يتولَّدَ ؛ وهو يَنْشَأُ أَوَّلاً من التُّرابِ ، لا سِيَّما في الأَماكِنِ المُظْلِمَةِ ، وسُلطانُه في أَواخِرِ فصلِ الشِّتاءِ وأَوَّلِ فصلِ الرَّبيعِ ؛ وهو[1] أَحْدَبُ نَزَّاءٌ ؛ ويُقالُ[1] : إِنَّهُ على صُورَةِ الفِيْلِ ، لَهُ أَنْيَابٌ يَعَضُّ بها ، وخُرطومٌ يمصُّ بِهِ .

وحكمه : تَحريمُ الأَكْلِ ، واستِحْبَابُ قَتْلِه للحَلالِ والمُحْرِمِ .

● ولا يُسَبُّ لِما رَوَى الإِمامُ أَحمدُ والبَزَّارُ والبُخاريُّ في « الأَدَبِ » والطَّبرانيّ في « الدَّعواتِ » عن أَنسٍ رَضِيَ الله تعالى عنه[2] ، « أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَسُبُّ بُرْغوثاً ، فقَالَ : لا تَسُبَّهُ ، فإِنَّهُ أَيْقَظَ نَبِيّاً لِصَلاةِ الفَجْرِ » .

● وَفِي « مُعجَمِ الطَّبرانيّ » عن أَنسٍ رضي الله تعالَى عنه ، قَالَ[3] : « ذُكرتِ البَراغِيثُ عندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ : إِنَّها تُوقِظُ لِلصَّلاةِ » أَيْ لِصَلاةِ الفَجْرِ .

وَفِيه[3] عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قَالَ : « نَزَلْنا مَنْزِلاً ، فآذَتْنَا البَراغِيثُ ، فَسَبَبْناها ؛ فقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : لا تَسُبُّوها ، فَنِعْمَتِ الدَّابَّةُ ، فإِنَّها أَيْقَظَتْكُمْ لِذِكْرِ اللهِ تَعالى » .

---

(١) الحيوان ٥/ ٣٧٣ و ٣٩٢ و ٣٨٤ . ونقلة السيوطي في الطرثوث عن الدَّميري . ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٠١ ، والمستطرف ٢/ ٤٥٠ .

(٢) البخاري في الأَدب المفرد (١٢٣٧) والطرثوث ٢٤٣ والمستطرف ٢/ ٤٥٢ والبيان والتعريف ٣/ ٢١٧ .

(٣) الطرثوث ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

ويُعْفَى عن قَليلِ دَمِها في الثَّوْبِ والبَدَنِ ، لِعمومِ البلوى بِهِ وعُسرِ الاحْتِرازِ .

وَقَال أَبُو عمر بن عبد البَرِّ : أَجمعَ العُلماءُ على التَّجاوُزِ والعفوِ عن دَمِ البَراغِيثِ ، ما لَمْ يَتَفاحَشْ .

قَالَ أَصْحابُنا : ولا خِلافَ في العَفْوِ عن قَلِيلَهِ ، إلاَّ إِذا حَصَلَ بِفِعْلِه ، كَمَا إِذا قَتَلَهُ في ثَوْبِهِ أَوْ بَدَنِهِ ، فَفِي العفوِ عنه وَجهان ، أَصَحُّهما العفوُ أَيضاً ؛ وكذلك كل ما لَيسَ له نَفْسٌ سائِلَةٌ كالبَقِّ والبَعُوضِ وشَبَهِهما .

● وَسُئِلَ شَيْخُ الإِسلامِ عزُّ الدِّينِ بن عبد السَّلامِ ، عَنْ ثوبٍ فِيهِ دَمُ البَراغِيث ، هَل يَجُوزُ للإِنسانِ أَنْ يَلْبَسَهُ رَطْباً ثمَّ يُصَلِّيَ فِيهِ ؟ وإِذا عَرِقَ فِيهِ هل يُصَلِّي فِيهِ ؟ وهَلْ يَتَنَجَّسُ بِذَلِكَ بَدَنُهُ أَوْ يُعْفَى عنهُ ؟ وَهَلْ يُنْدَبُ لَهُ غَسْلُهُ قبلَ وَقْتِهِ المعتادِ ؟ .

فأَجابَ : نعم ، يَنْجَسُ الثَّوبُ والبَدَنُ بذَلِكَ ، ولا يُؤْمَرُ بغَسْلِهِ إلاَّ فِي الأَوْقَاتِ المُعتادَةِ ؛ وغسْلُهُ في غيرِ ذَلِكَ وَرَعٌ خارجٌ عَمَّا كَانَ السَّلَفُ عَلَيْهِ ، وَكَانُوا أَحْرصَ على حِفْظِ أَدْيانِهِم من غَيْرِهم .

وَأَمَّا الكَثيرُ من دَمِ البَراغِيثِ ، فالأَصَحُّ عِنْدَ المُحَقِّقين ـ كما قَالَهُ النَّوويُّ ـ العفوُ عنه مُطلقاً ، سَواءٌ انْتَشَرَ بعَرَقٍ أَمْ لا .

● **فائِدَةٌ مُجَرَّبَةٌ صحيحةٌ للبَراغِيثِ** : وهوَ أَنْ تَأخُذَ قَصَبَةً فارِسِيَّةً ، وَتُلَطِّخَها بلبنِ حِمارَةٍ وشَحْمِ تَيسٍ ، وتغرسَها في وسطِ الدَّارِ ، ثمَّ تقُول ٢٥ مَرَّةً : أَقسمتُ عليكم ـ أَيُّها البَراغِيثُ ـ أَنَّكُمْ جُنْدٌ من جُنُودِ اللهِ من عهدِ عادٍ وثَمُود ، وأقسمتُ عليكم بخالِقِ الوجودِ الفَرْدِ الصَّمَدِ المَعْبُودِ ، أَنْ تَجْتَمِعُوا إِلى العودِ ، وَلَكُمْ عليَّ المواثِيقُ والعُهُودُ ، أَنْ لا أَقْتُلَ منكم والِداً ولا مَوْلود ؛ فإِنَّها تَجْتَمِعُ ، فإِذا اجْتَمَعَتْ إِلى العُودِ ، فَخُذْها وارْمِها إِلى مَكانٍ آخرَ ، ولا

تقتُلْ منها أَحَداً يبطلُ السِّرُّ ؛ ثمَّ تكنسُ البيتَ ، وتَقُولُ عليه ٤٠ مَرَّةً : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم : ١٢] فإنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلِ البيتَ بُرْغُوثٌ أَبَداً ؛ وهو سِرٌّ لَطِيفٌ مُجَرَّبٌ .

● **فائِدَةٌ** : سُئِلَ[١] مالكٌ رحمة اللهِ تَعالى عليه عن البَراغِيثِ ، أَمَلَكُ الموتِ يَقْبِضُ أَرْواحَها ؟ فَأَطْرَقَ مَلِيّاً ، ثمَّ قَالَ : أَلَها نَفْسٌ سائِلَةٌ ؟ قَالُوا : نعم ، قَالَ : مَلَكُ المَوْتِ يَقْبِضُ أَرْواحَها ؛ ثمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزُّمر : ٤٢] الآية ؛ ويدلُّ لَهُ ما يَأْتِي في « البَعوض » .

الأَمْثَالُ : قالُوا[٢] : « أَطْمَرُ من بُرْغُوثٍ » ، وَ« أَطْيَرُ من بُرغُوثٍ » .

وَخَاصِّيَّتُهُ : اللَّسْعُ والأَذَى .

● قال بعضُ الأَعرابِ يصفُ البَراغِيثَ ، وَقَدْ سكنَ مِصْرَ[٣] : [من الطَّويل]

تَطاوَلَ في الفُسْطاطِ لَيْلي وَلَمْ يَكُنْ ... بِأَرْضِ الغَضا لَيْلٌ عَلَيَّ يَطولُ[٤]
أَلاَ لَيتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... وَلَيْسَ لِبُرْغُوثٍ عَلَيَّ سَبِيلُ

● وَقَدْ أَجادَ مجدُ الدِّينِ أَبُو المَيْمُونِ الكِنانيّ[٥] ، حَيثُ قَالَ مُلْغِزاً في

---

(١) الطرثوث ٢٤٥ ، والمستطرف ٢/ ٤٥٢ .
(٢) المثل الأوّل في الميداني ١/ ٤٤١ . والثّاني في الزمخشري ١/ ٢٣٠ ، برواية : أَطيش . والطرثوث ٢٤٣ .
ـ وفي أ : أهمز من برغوث ، وأَطيش من برغوث .
(٣) البيتان في الحيوان ٥/ ٣٨٩ وربيع الأبرار ٥/ ٤٨٠ والمستطرف ٢/ ٤٥١ لأَبي الرَّمَّاح الأَسدي ، وفي ديوان المعاني ٢/ ٩٢٨ للرَّمَّاح الأَسدي .
واسمه في المؤتلف والمختلف للآمدي ١٨٠ : الرَّمَّاح بن نهشل الأَسدي . وهما في الطرثوث ٢٥٣ ـ ٢٥٤ بلا نسبة .
(٤) في ب : × . . . ليلي عليَّ يطول .
(٥) هو المبارك بن كامل بن علي . . . بن منقذ الكناني ، كان من أُمراء الدَّولة الصَّلاحيَّة ؛ =

البَراغِيثِ[1] : [من البسيط]

وَمَعْشَرٍ يَسْتَحِلُّ النَّاسُ قَتْلَهُمُ ... كَمَا اسْتَحَلُّوا دَمَ الحُجَّاجِ في الحَرَمِ

إِذَا سَفَكْتُ دَماً مِنْهُمْ فَما سَفَكَتْ ... يَداَيَ مِنْ دَمِهِ المَسْفُوكِ غَيْرَ دَمِي[2]

● وَقَالَ أَبُو الحَسَنِ بن سُكْرَة الهاشِميّ في مليحٍ يُعرفُ بابنِ بُرغُوثٍ[3] :

[من الوافر]

بُلِيْتُ وَلا أَقُولُ بِمَنْ لأَنِّي ... مَتَى مَا قُلْتُ مَنْ هُوَ يَعْشَقُوهُ

حَبِيبٌ قَدْ نَفَى عَنِّي رُقادِي ... فَإِنْ أَغْمَضْتُ أَيْقَظَنِي أَبُوهُ

وَمِنْ مَحاسِنِ شِعْرِهِ : [من السَّريع]

كَأَنَّ خالاً لاحَ في خَدِّهِ ... لِلْعَيْنِ في سِلْسِلَةٍ مِنْ عِذارْ

أَسْوَدُ يُسْتَخْدَمُ في جَنَّةٍ ... قَيَّدَهُ مَوْلاهُ خَوْفَ الفِرارْ

وَلَهُ أَيْضاً[4] : [من الوافر]

وَمَا عِشْقِي لَهُ وَحْشاً لأَنِّي ... كَرِهْتُ الحُسْنَ واخْتَرْتُ القَبِيحا

وَلَكِنْ غِرْتُ أَنْ أَهْوى مَلِيحاً ... وَكُلُّ النَّاسِ يَهْوَوْنَ المَلِيحا

وَلَهُ أَيْضاً[5] : [من الطَّويل]

تَحَمَّلْ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ ... وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُوماً فَقُلْ : أَنا ظالِمُ

فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَغْفِرِ الذَّنْبَ في الهَوَى ... يُفارِقْكَ مَنْ تَهْوَى وَأَنْفُكَ راغِمُ

وقيلَ : إِنَّ هَذَيْن البيتين للعبَّاس بن الأَحْنَفِ .

= توفِّي سنة ٥٨٩ هـ . (وفيات الأعيان ٤/ ١٤٤) .

(١) هما له في وفيات الأعيان ٤/ ١٤٦ والطرثوث ٢٥٦ .

(٢) في أ : × . . . . المسفوح غير دمي .

(٣) له في اليتيمة ٣/ ٨ ـ ٩ ووفيات الأعيان ٤/ ٤١١ (الحاشية) .

(٤) ليسا له ، وهما لعليّ بن أفلح العبسي ، في وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٩ .

(٥) هما للعبَّاس بن الأحنف ، في ديوانه ٢٤٣ وابن خلكان ٧/ ٢٤٠ .

توفِّيَ ابْنُ سُكَّرة ، سنةَ خَمسٍ وثَمانين وثلاثمئة .

● **فائِدةٌ** : روى ابنُ أَبي الدُّنيا ، في كِتابِ « التَّوَكُّلِ »[1] : أَنَّ عامِلَ أَفريقيَّة كتبَ إِلى عُمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عنه ، يَشْكُو إِلَيْهِ الهوامَّ والعقارِبَ . فكتب إِلَيهِ : وما على أَحدِكم إِذا أَمسى وَأَصبح أَن يقول : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم : ١٢] الآية .

قَالَ زُرعة بن عبد الله ، أَحدُ رُواتِهِ : وينَفعُ من البراغِيثِ .

وَسَيأتِي إِنْ شاء الله تعالى في « باب الهاءِ » آيةٌ أُخرى نظيرُ هَذه ، ذكرها في « فردوس الحِكْمَةِ » .

● وفي كِتابِ « الدَّعواتِ » للمُستغفريّ : عن أَبي الدَّرداءِ رَضِيَ الله تعالى عنه ، و « شَرح المقامات » للمَسعوديّ : عن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ الله تَعالَى عنه[2] ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قَالَ : « إِذا آذاكَ البُرغوثُ ، فَخُذْ قَدَحاً من ماءٍ ، واقْرَأْ عَلَيْهِ سبعَ مَرَّاتٍ ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم : ١٢] الآية ، ثمَّ تقول : إِن كنتم مُؤمنين فَكُفُّوا شَرَّكُمْ وَأَذَاكُمْ عَنَّا ؛ ثمَّ تَرُشُّهُ حَوْلَ فراشكَ ، فإِنَّكَ تَبيتُ آمِناً من شَرِّها » .

● وَقَالَ حُنين بن إِسحاق[3] : والحِيلةُ في طَردِ البَراغيثِ ، أَنْ يُؤخذَ شيءٌ من الكبريت والرَّاوَند ، فَيُدَخَّنُ بِهِما البيت ، فإِنَّهنَّ يهربْنَ أَوْ يَمُتْنَ ، أَوْ يُحْفَرُ في البَيْتِ حَفيرةٌ ، ويُلْقَى فِيها وَرَقُ الدِّفْلَى ، فإِنَّهنَّ يَأْوِينَ إِلَيْها كُلَّهنَّ فيَقَعْنَ فِيها .

---

(١) الطرثوث ٢٤٥ . ولعلَّ عامل أَفريقيَّة هذا ، هو إِسماعيل بن عبيد الله بن أَبي المهاجر . (رياض النُّفوس (الترجمة ٣٨)) .

(٢) الطرثوث ٢٤٤ والمستطرف ٢/ ٤٥٢ .

(٣) المستطرف ٢/ ٤٥٢ .

● وَقَالَ الرَّازِي : يُرَشُّ البيتُ بِطَبيخِ الشُّونِيزِ ، فإِنَّهُ يقتلُ بَراغِيثَهُ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : إذا نُقِعَ السُّدابُ في ماءٍ ، ورُشَّ في بيتٍ ، ماتَتْ بَراغيثُهُ ؛ وإذا بُخِّرَ البَيْتُ بِمشاقِّ الكتَّانِ القَدِيمِ وقُشُورِ النَّارنْجِ ، لا تَعُودُ البَراغِيثُ إِلَيْهِ أَبَداً .

وإذا دَخَلَ البُرغوثُ في أُذُنِ الإنْسَانِ اليُمنى ، فليمسِكْ بيَدِهِ اليُمْنَى خِصْيَةَ نَفْسِهِ اليُسرى ؛ وإذا دخلَ في أُذُنِهِ اليُسرى ، فَليمسِكْ بيَدِهِ اليسرى خِصْيَةَ نَفْسِهِ اليُمْنَى ، فإِنَّهُ يخرُجُ سَريعاً .

التَّعبيرُ : البراغِيثُ في المَنامِ : أَعداءٌ ضِعافٌ طَعَّانون ؛ وَتُعَبَّرُ أَيْضاً بِأَوْبَاشِ النَّاسِ .

وَقَال جاماسب : مَنْ قَرَصَهُ بُرْغُوثٌ ، نَالَ مالاً .

٦٧ البُرا : بِضَمِّ الباءِ : طائِرٌ يُسَمَّى السَّموأَلُ[١] .

وَسيأْتِي إِن شاء الله تعالى في « باب السينِ المهملة » .

٦٨ البُرْقانَةُ : الجَرادَةُ المُتَلَوِّنَةُ ؛ وجَمْعُها بُرقان ؛ قَالَهُ ابنُ سِيْدَه[٢] .

٦٩ البِرْقِشُ : بِكَسْرِ الباءِ الموحَّدَةِ ، ثمَّ راءٌ مُهملةٌ ، فقافٌ ، فَشينٌ معجَمَةٌ : طائِرٌ صغيرٌ مثل العصفورِ ، ويُسَمِّيهِ أَهلُ الحِجَازِ الشُّرْشُورِ[٣] .

وَأَمَّا أَبو بَراقِش : فسيأْتِي في آخِرِ البابِ إِنْ شاءَ الله تَعالَى .

● وَبَراقِشُ : اسمُ كَلْبَةٍ ضُرِبَ به المَثَلُ ، فقالُوا[٤] : « على أَهْلِها دلَّتْ

---

(١) في ب : السمول . وفي ط : السمويل . ولم يذكر المؤلف فيما سيأتي من باب السِّين المهملة طائراً بهذا الاسم ، وأَقرب رسم له هو السّمندل . وانظر ما سيأتي برقم ١٠٢ .

(٢) المخصص ٨/ ١٧٢ واللسان والقاموس (برق) .

(٣) المخصص ٨/ ١٦٥ .

(٤) الميداني ٢/ ١٤ وفصل المقال ٤٥٩ وأَمثال أَبي عبيد ٣٣٣ والعسكري ٢/ ٥٢ والزمخشري =

بَراقِشُ » ؛ لأَنَّها سَمِعَتْ وَقْعَ حوافِرِ الدَّوابِّ ، فنبحَتْ ، فاسْتَدَلُّوا بِنُباحِها على القَبيلَةِ ، فاسْتَبَاحُوهم[1] .

٧٠ **البُرْكَةُ** : بالضَّمِّ : طائِرٌ من طُيُورِ المَاءِ ؛ والجَمْعُ : بُرَكٌ .

● قَالَ زُهيرٌ يَصِفُ قَطاةً ، فَرَّتْ من صَقْرٍ إِلى ماءٍ جارٍ على وَجْهِ الأَرْضِ[2] : [من البسيط]

حتَّى اسْتَغاثَتْ بِماءٍ لا رِشاءَ لَهُ ... بَيْنَ الأَباطِحِ في حافاتِهِ البُرَكُ

قال ابْنُ سِيْدَه[3] : البُرْكَةُ : من طَيْرِ المَاءِ ، والجَمعُ : بُرَكٌ وأَبْراكٌ وبُرْكانٌ ؛ وعِنْدِي أَنَّ أَبْراكاً وبُرْكاناً جمعُ الجمعِ ؛ والبُرْكَةُ أَيْضاً : الضِّفْدَعُ ؛ وَقَدْ فَسَّرَ به بعضُهم قولُ زهيرٍ : في حافاتِهِ البُرَكُ .

انتهى كلامُهُ .

قَالَ : والبُرَكُ : جماعَةُ الإِبلِ البارِكَةِ ؛ الواحِدُ : بارِكٌ ، والأُنْثَى : بارِكَةٌ . قاله في « العبابِ » .

٧١ **البَشَرُ** : الإِنْسَانُ الواحِدُ ، والجَمْعُ والمُذَكَّرُ والمُؤَنَّثُ في ذَلِكَ سَواءُ ؛ وَقد يُثَنَّى ، وفي[4] التَّنزيلِ : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ [المؤمنون : ٤٧] والجمعُ : أَبْشَرٌ .

٧٢ **البَطُّ** : طائِرُ المَاءِ ، الواحِدَةُ : بَطَّةٌ ، وَلَيْسَتِ الهاءُ للتَّأْنيثِ ، وإِنَّما

= ٢/ ١٦٥ وثمار القلوب ١/ ٥٨٥ واللسان (برقش) ١/ ٢٦٤ والحيوان ١/ ٢٩١ وأَمثال الضبي ٦٩ والفاخر ٣٦٣ .

(١) في اللسان (برقش) أَقوال أُخر لهذا المثل .

(٢) ديوان زهير ١٧٥ .

(٣) وعنه اللسان (برك) ١/ ٢٦٧ .

(٤) في أ : وفي التَّنزيل ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ [القمر : ٢٤] .

هِيَ لِلواحِدِ من الجِنْسِ ؛ يُقالُ : هَذِهِ بَطَّةٌ ، للذَّكَرِ والأُنثى جَميعاً ؛ مثل حَمامة ودَجاجة ، وليس بِعَرَبِيٍّ مَحْضٍ .

والبَطُّ عِنْدَ العَرَبِ صِغارُهُ ، وكِبارُهُ إوَزٌّ .

وَحُكمه وخَواصه : كالإِوَزِّ .

● وفي « مُسنَد الإمامِ أَحمد »[1] : عن عبد الله بن زُرير ، قَالَ : دخلتُ على عليّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه يَوْمَ نَحْرٍ ، فَقَرَّبَ إِلينا خَزيرةً ، فقُلْنا : أَصْلَحَكَ اللهُ ، لَوْ قَرَّبْتَ إِلَيْنا من هذا البَطِّ - يَعْنُونَ الإِوَزَّ - فإِنَّ اللهَ تعالى قَدْ أكثرَ الخَيْرَ ؛ فَقَالَ : يا ابْنَ زُرير ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لا يَحِلُّ للخَلِيفَةِ من مالِ اللهِ تَعالى إِلاَّ قَصْعَتانِ ؛ قَصْعَةٌ يَأكلُها [هو وَأَهْلُهُ] وقَصْعَةٌ يَضَعُها بينَ أَيْدِي النَّاسِ » .

● وفي « كامِل » ابن عديّ[2] ، في تَرْجَمَةِ عليّ بن زَيْد بن جُدعان : قَالَ سُفْيان بن عُيَينة : سمعتُ عليَّ بن زيد بن جُدعان سنةَ سبعٍ وستِّينَ يَقُولُ : مَثَلُ النِّساءِ إِذا اجتمعنَ ، بِمنزِلةِ البَطِّ ؛ إِذا صاحَتْ واحِدَةٌ صِحْنَ جَميعاً .

● فَرعٌ : قَالَ الماوَرْدِيّ : البَطُّ الَّذي لا يَطِيرُ مِنَ الإِوَزِّ : لا جَزاءَ فِيهِ إِذا قَتَلَهُ المُحْرِمُ ، لأَنَّهُ لَيْسَ بِصَيْدٍ .

وَقالَ غيرُهُ : الطُّيُورُ المائية التي تَغوصُ في الماءِ وتخرُجُ منهُ ، مُحَرَّمَةٌ على المُحْرِمِ ؛ وَمَثَّلُوهُ بالبَطِّ ؛ أَمَّا الَّذِي لا يَعِيشُ إِلاَّ في المَاءِ كالسَّمَكِ فلا يحرمُ صَيدُهُ ولا جَزاءَ فِيهِ .

والجرادُ : من صَيْدِ البَرِّ ، يَجِبُ الجزاءُ بقَتلِه على الصَّحيحِ .

---

(١) مسند أَحمد ١/ ٧٨ .

(٢) الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٣٧ .

● ومن الأَمثالِ السَّائرة بينَ العامَّةِ : « أَوَ لِلبَطِّ تُهَدِّدِينَ بالشَّطِّ » .

● **قُلتُ** : وَقَدْ أَذكرنِي هذا مَا حَكاهُ القاضي أَحمد بن خلكان رحمه الله ، في ترجمة السُّلطانِ نُورِ الدِّين مَحمود بن زَنْكِيّ رحمهُ الله[1] : وكانَ بينَه وبينَ أَبي الحَسَنِ سِنان بن سُليمان بن محمَّد الملقَّب براشِدِ الدِّين ، صَاحِبِ القِلاعِ الإِسماعِيليَّةِ ، مُكاتباتٌ ، فكتبَ السُّلْطَانُ إِليهِ كتاباً يُهَدِّدُهُ فِيهِ ؛ فَكتبَ سِنانُ جَوابَهُ أَبياتاً ورسالةً ، وهما : [من البسيط]

يـا لَلـرِّجَـالِ لأَمْـرٍ هَـالَ مَفْظَعُـهُ	مَـا مَـرَّ قَـطُّ علـى سَمْعِـي تَـوَقُّعُـهُ
يـا ذَا الَّـذِي بِقِـراعِ السَّيْـفِ هَـدَّدَنـا	لا قَامَ قائِمٌ جَنْبِي حين تَصْرَعُهُ[2]
قَـامَ الحَمـامُ إِلـى البـازِي يُهَـدِّدُهُ	واسْتَيْقَظَتْ لأُسُودِ الغابِ أَضْبُعُهُ[3]
أَضْحَـى يَسُـدُّ فَـمَ الأَفْعَـى بِإِصْبَعِـهِ	يَكْفِيـهِ مـا قَـدْ تُـلاقِـي مِنْـهُ إِصْبَعُـهُ

وَقَفْنا على تَفصِيلِهِ وجُمله ، وعَلِمْنا ما هَدَّدَنا بِهِ من قَولِهِ وَعَمِلِه ، فبالله العجبُ من ذُبابةٍ تَطنُّ في أُذنِ فِيلٍ ، وبَعوضَةٍ تُعَدُّ في التَّماثِيلَ ! ولقد قَالَها قبلَك قومٌ آخَرون ، فدمَّرْنا عليهم وما كَانَ لهم من ناصِرينَ ، أَوَ لِلحَقِّ تَدحضُونَ ، وللباطِلِ تنصرُونَ ؟ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعراء : ٢٢٧] .

وَأَمَّا مَا صَدَّرتَ بِهِ من قَوْلِكَ ، مِنْ قَطْعِ رَأْسِي ، وَقَلْعِكَ لِقِلاعِي من الجِبالِ الرَّواسي ، فتلكَ أَمانيُّ كاذبةٌ ، وخيالاتٌ غير صائبةٍ ، فإِنَّ الجواهرَ لا تزولُ بالأَعراضِ ، كما أَنَّ الأَرواحَ لا تَضمحلُّ بالأَمراضِ ؛ كَمْ بين قويٍّ وضَعيفٍ ودَنيٍّ وشَريفٍ ؟ وإِنْ عُدْنا إِلى الظَّواهرِ والمحسوساتِ ، وعَدَلْنا عن البواطِنِ

---

(١) وفيات الأعيان ٥/ ١٨٥ ـ ١٨٧ .

(٢) في أ : × لا قام نائم . . . وفي ب : × لا نام قائم . . .

(٣) في أ : × واستصرخت لأُسود البرِّ أَضبعه . وفي ب : × واسترخصت بأُسودِ الغاب أَضبعه . وفي هامش ب : واستيقظت .

والمَعقولاتِ ، فلنا أُسْوَةٌ برسولِ اللهِ ﷺ في قوله : « ما أُوذيَ نبيٌّ ما أُوذِيتُ » وقد علمتُم ما جَرى على عِتْرَتِهِ وأَهلِ بيتِهِ وَشِيعَتِهِ ، والحالُ ما حَالَ ، والأَمرُ ما زَالَ ؛ للهِ الحمدُ في الآخرَةِ والأُولى ، إذ نَحْنُ مَظْلُومُونَ لا ظَالِمُونَ ، ومَغصُوبُونَ لا غاصِبُونَ . وإذا جاءَ الحقُّ زَهَقَ الباطِلُ ، إنَّ الباطِلَ كَانَ زَهُوقاً .

وَقَدْ عَلِمْتُم ظاهِرَ حالِنا ، وكيفَ قِتالُ رِجالِنا ، وما يَتَمَنُّونَهُ من الفَوتِ ، وَيَتَقَرَّبُونَ بهِ إلى حِياضِ المَوْتِ ، قُلْ : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٦ ـ ٧] .

وفي أَمثَالِ العامَّةِ السَّائِرَةِ : « أَوَ للبطِّ تُهَدِّدِينَ بالشَّطِّ » .

فَهيِّىءْ للبلايا جِلْباباً ، وتَدَرَّعْ للرَّزايا أَثْواباً ، فلأَظهرنَّ عليك منك ، ولأُفنينَّهم فِيكَ عنكَ ؛ ولا تَكُونَنَّ كالباحِثِ عن حَتفِهِ بِظِلْفِهِ ، والجادِعِ مارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ ؛ وإذا وقفت على كِتابنا ، فَكُنْ لأَمْرِنا بالمِرصادِ ، ومن حالكَ على اقتصادٍ ، واقرأْ أَوَّلَ النَّحلِ وآخر صَاد[1] . ثمَّ خَتَمَها بِهَذَيْنِ البَيْتَيْنِ : [من الطَّويل]

بنَا نِلْتَ هَذَا المُلْكَ حتَّى تَأَثَّلَتْ ... بُيوتُكَ فِيهِ واسْتَقَرَّ عَمودُها[2]

فَأَصْبَحْتَ تَرْمِينا بِنَبْلٍ بِنا اسْتَوى ... مَغارِسُها قِدْماً وَفِيْنا حَدِيدُها

● ويُشبه هذا مَا حكاه أَيْضاً في ترجمةِ يعقوب بن يوسف بن عبدِ المؤمن ، صاحب بلادِ المغربِ ، وكَانَ بينَهُ وبَيْنَ الأَذفونش صاحِبُ طُلَيْطِلة مُكاتباتٌ ، قَالَ[3] : بَعَثَ الأَذفونشُ رَسُولاً إلى الأَميرِ يَعقوب يَتَوَعَّدُهُ وَيَتَهَدَّده ، ويَطلُب

---

(١) ليت شعري ، ماذا فعل هذا البازي العظيم أَمام جموع الصَّليبيِّين ؟ أَمْ كانَتْ مهمته اغتيال المجاهدين من ملوك المسلمين ؟ ! .

(٢) في أ : × . . . واشْمَخَرَّ عمودُها .

(٣) وفيات الأَعيان ٧/ ٥ ـ ٧ .

منه بعضَ الحُصُونِ ، وكتبَ إليهِ رِسالَةَ من إنْشَاءِ وَزيرِهِ ابن الفَخَّار ، وهي :

باسْمِكَ اللَّهُمَّ ، فاطِرَ السَّماواتِ والأَرض ، وصَلَّى اللهُ على السَّيِّدِ المسيحِ ، روحِ اللهِ وكَلمتِه الرَّسولِ الفَصيحِ .

أَمَّا بعدُ : فإِنَّهُ لا يَخْفَى على ذِي ذِهْنٍ ثاقِبٍ ، ولا ذِي عَقلٍ لازِبٍ ، أَنَّكَ أَميرُ المِلَّةِ الحَنيفيَّةِ ، كما أَنِّي أميرُ المِلَّةِ النَّصرانيَّةِ ؛ وَقَدْ علِمْتَ الآنَ ما عليْهِ رُؤَساءُ الأَنْدَلُسِ مِنَ التَّخاذُلِ وَالتَّواكُلِ والتَّكاسُلِ ، وإِهمالهم أَمْرَ الرَّعِيَّةِ ، وإخلادِهم إِلى الرَّاحَةِ والأُمنيَّةِ ؛ وأَنا أَسُوسُهم بِحُكْمِ القَهْرِ وَجَلاءِ الدِّيَارِ ، وأَسْبِي الذَّرارِي وأُمَثِّلُ بالرِّجَالِ ، وأُذيقُهم عذابَ الهُونِ وشَديدَ النَّكالِ ، ولا عذرَ لَكَ في التَّخَلُّفِ عن نُصْرَتِهم إِذا أَمْكنتكَ يَدُ القُدْرَةِ ، وساعَدَكَ من عَساكِرِكَ وجُنودِكَ ذو رَأْيٍ وخِبْرَةٍ ؛ وأَنتمُ تزعُمونَ أَنَّ اللهَ تعالى قَدْ فَرضَ عليكم قِتالَ عشرَةٍ مِنَّا بواحِدٍ منكُم ، والآنَ خَفَّفَ الله عنكُم وعلمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً رَحمةً منهُ وَمَنّاً ، وَنَحْنُ الآنَ نُقاتِلُ عشرةً منكم بواحِدٍ مِنَّا ، لا تَستَطِيعُونَ دِفاعاً ، ولا تَملِكُونَ امْتِناعاً ؛ وَقَدْ حُدِّثْنا عنكَ أَنَّكَ أَخَذْتَ في الاحْتِفَالِ ، وأَشرفْتَ على رَبْوَةِ القِتالِ ، وتُماطِلُ نفسَكَ سنةً بعدَ أُخرى ، تقَدِّمُ رِجْلاً وتُؤَخِّرُ أُخْرَى ؛ فلا أَدْرِي أَكَانَ الجبْنُ أَبْطَأَ بِكَ ، أَم التَّكْذِيبُ بِوعْدِ رَبِّكَ ؟ ثمَّ قِيلَ لي : إِنَّكَ لا تَجِدُ إِلى جوازِ البَحرِ سَبيلاً ، لِعِلَّةٍ لا يَسُوغُ لَكَ التَّقَحُّمُ فِيه سَبيلاً ، وها أَنا أَقُولُ لَكَ ما فِيهِ الرَّاحةُ لَكَ ، وأَعْتَذِرُ عنكَ ولَكَ ، على أَنْ تَفِيَ بِالعُهُودِ والمَواثِيقِ ، والاسْتِكْثَارِ من الرِّهان ، وتُرسلَ إِليَّ جُملةً من عَبيدِكَ ، بالمراكِبِ والشَّوانِي والطَّرائِدِ والمُسَطَّحاتِ ، وإِلاَّ جُزْتُ بِجُمْلَتِي إِليكَ فأُقاتِلُكَ في أَعَزِّ الأَماكِنِ لَدَيْكَ ؛ فإِنْ كانتْ لَكَ ، فغنيمةٌ كبيرةٌ جُلِبَتْ إِلَيْكَ ، وَهَدِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مَثُلَتْ بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ وإِنْ كانَتْ لِي ، كانَتْ لِيَ اليَدُ العُليا عليكَ ، واستحققتُ إِمارَةَ المِلَّتَيْنِ ، والحُكْمَ على البَرَّيْنِ ؛ واللهُ يُوَفِّقُ للسَّعادَةِ ، ويُسَهِّلُ الإِرادَةَ ، لا رَبَّ غيرُهُ ، ولا خَيرَ إِلاَّ خَيْرُهُ .

فَمَزَّقَ يَعقُوبُ الكِتَابَ ، وَكَتَبَ على قِطْعَةٍ منه : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النَّمل : ٣٧] الجَوابَ ما تَرَى لا ما تسمعُ ؛ واسْتَشْهَدَ بِبَيْتِ المُتَنَبِّي[١] : [من الطَّويل]

ولا كُتْــبَ إِلاَّ المَشْــرِفِيَّــةُ عِنْــدَهُ وَلا رُسْلُهُ إِلاَّ الخَمِيْسُ العَرَمْرَمُ[٢]

ثمَّ أَمَرَ بِكُتبِ الاسْتِنْفَارِ ، واسْتَدْعَى الجُيُوشَ من الأمصارِ ، ، وضُرِبَتِ السُّرادقاتُ من يَوْمِهِ بِظاهِرِ البلدِ ، وسَارَ إِلى البَحْرِ المَعْرُوفِ بِزُقاقِ سَبْتَةَ ، فعبَرَ فِيهِ إِلى الأَنْدَلُسِ ، وَدَخَلَ بِلادَ الفرنج ، فَكَسَرَهُم كَسْرَةً شَنيعةً ، وعادَ بغنائِمِهم[٣] .

وَكَانَ[٤] الأَميرُ يعقوب مُتَمَسِّكاً بالشَّرعِ ، يَأْمر بالمعروفِ ، ويُقِيمُ الحُدُودَ حتَّى في أَهلِ بَيْتِهِ ، كما يُقِيمُها في النَّاسِ أَجمعين ، وَأَمَرَ بِرَفْضِ فُرُوعِ الفِقْهِ ، وأَنَّ الفُقَهَاءَ لا يُفتونَ إِلاَّ بالكِتابِ العَزيزِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ ، ولا يُقَلِّدُونَ أَحَداً ، وأَنْ تَكُونَ أَحكامُهم بما يُؤَدِّي إِلَيْهِ اجْتِهادُهم من اسْتِنْبَاطِهِم القَضَايَا مِنَ الكِتابِ والحديثِ والإِجماعِ والقِياسِ ، وَقَدْ وَصَلَ إِلَيْنا من المغربِ جماعةٌ على تِلْكَ الطَّرِيقَةِ ، مِنهم أَبو عُمر وأَبو الخَطَّابِ ابنا دِحْيَةَ ، ومُحيي الدِّينِ بن عَربيّ الصُّوفِي صاحِبُ « الفُصُوصِ » و« الفُتُوحات المَكِّيَّة » و« عَنْقَاء مُغرب » وغيرهم .

توفِّيَ الأَميرُ يَعقوب في سنةِ خَمسٍ وتِسعين وخمسمئة ، رحمةُ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ[٥] .

---

(١) ديوان المتنبِّي بشرحه المنسوب للعكبري ٣/ ٣٥٢ .

(٢) في أ : . . . عندنا × ولا رسلٌ . . .

(٣) وزاد ابن خلكان : وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة .

(٤) وفيات الأَعيان ٧/ ١١ .

(٥) في ط : في سنة تسع أَو عشر وستّمئة ! ! . والنص ساقط من أ ، ب .

● وَلْنَعُدْ إلى ذِكْرِ السُّلْطانِ مَحْمُود : قَالَ ابنُ الأَثِيرِ[1] : بَلَغَ مِنْ عَدْلِ نُورِ الدِّينِ الشَّهيد ، أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ بَنَى داراً لِكَشْفِ الظُّلامَاتِ ، وَسَمَّاها دارَ العَدْلِ ، وسَبَبُهُ أَنَّهُ لمَّا أَقامَ بِدمشق بأُمرائِهِ وفيهم أَسَدُ الدِّينِ شِيْركوه ، تَعدَّى كُلٌّ منهم على مَنْ جاوَرَهُ ، فكثُرَتِ الشَّكاوى إلى القاضِي كمال الدِّينِ الشَّهرزوريّ ، فأَنْصَفَ بعضَهم من بعضٍ ، ولَمْ يَقْدِرْ على الإنصافِ من شِيْركوه ، لأَنَّهُ كَانَ أَكبرَ الأُمراءِ ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ نُورَ الدِّينِ الشَّهيد ، فَأَمَرَ بِبناءِ دارِ العَدْلِ ، فلمَّا سَمِعَ شِيركوه قَالَ لِنُوَّابِهِ : مَا بَنَى نُورُ الدِّينِ هَذِهِ الدَّارَ إلاَّ بِسَبَبِي ، وإِلاَّ فَمَنْ يمتنعُ على القاضي كمال الدِّين ؟ واللهِ لئن أُحضرتُ إلى دارِ العدلِ بسببِ أَحدٍ منكم لأَصْلُبَنَّهُ ، فامْضُوا إلى كُلِّ مَن كَانَ بينكم وبَينَهُ شيءٌ ، فافْصِلُوا الحَالَ معهَ ، وأَرضُوهُ ولو أَتى على جَميعِ ما بيدي .

قَالَ : فظُلِمَ رَجلٌ بعدَ موتِ نُورِ الدِّينِ الشَّهيد ، فَشَقَّ ثَوْبَهُ واسْتَغاثَ : يا نُورَ الدِّين ؛ فاتَّصَلَ خبرُهُ بالسُّلطانِ صلاحِ الدِّين يُوسف بن أَيُّوب ، فأَزالَ ظُلامَتَهُ ، فَبَكَى الرَّجلُ أَشَدَّ من الأَوَّلِ ، فَسُئِلَ عن ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَبْكِي على سُلْطَانٍ عَدَلَ فِينا بَعْدَ مَوْتِهِ .

وتوفِّيَ نُورُ الدِّينِ الشَّهيد في شَوَّال ، سنةَ تسعٍ وستِّينَ وخَمسمئة بقلعةِ دمشقَ ، بِعِلَّةِ الخوانيقِ ؛ وَكَانَ الأَطِبَّاءُ قَدْ أَشَارُوا عَلَيْه بالفَصْدِ فامْتَنَعَ ، وكَانَ مَهِيباً فما رُوجِعَ ، ودُفِنَ بالقلعةِ ، ثمَّ نُقِلَ إلى تربته بمدرسَتِه التي أَنْشَأَها عندَ بابِ سُوقِ الخوَّاصين ، والدُّعاء عند قبرِهِ مُستجابٌ ، وَقَدْ جُرِّبَ .

وَكَانَ رحمهُ اللهُ مَلِكاً عادِلاً ، عابداً ، وَرِعاً ، مُتَمَسِّكاً بالشَّرِيعَةِ ، مائِلاً إِلى أَهلِ الخيرِ ، مُجاهِداً ، كَثِيرَ الصَّدَقاتِ ؛ بَنى المدارِسَ بجَميعِ بِلادِ الشَّام ، والمارِستانَ بِدِمَشْقَ ، ودَارَ الحديثِ بِها ، وَبَنَى بِمَدِيْنَةِ المَوْصِلِ الجامِعَ

---

(١) الباهر في الدولة الأتابكية ١٦٨ ، والروضتين ١/ ٤١ ـ ٤٢ .

النُّوريّ ، وبحماةَ الجامعَ الذي على نَهرِ العاصي ، وَبَنى الرِّباطاتِ للصُّوفِية ، والفنادِقَ في المنازِلِ ؛ وَأثَّرَ في الإسلامِ آثاراً حسنةً لَمْ يُسبقْ إلَيْها ، وانْتَزَعَ من أَيْدِي الكُفَّارِ نَيِّفاً وخَمسينَ مدينةً ؛ وَمَحاسِنُهُ كثيرةٌ رحمهُ اللهُ تَعالَى .

● وتُوفِّيَ السُّلطانُ الملكُ النَّاصِرُ صلاحُ الدِّين يوسف بن أَيُّوب ، في صَفر ، سنةَ تسعٍ وثَمانين وخمسمئةٍ بها .

● قَالَ ابنُ خلكان[1] : وَلَمَّا مَاتَ ، كتبَ القاضِي الفاضِلُ ساعَةَ مَوْتِهِ بطاقَةً إلى وَلَدِهِ الملكِ الظَّاهر صاحِبِ حَلَبَ ، مَضمونَها : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجّ : ١] كتبتُ إلى مَوْلانا السُّلطانِ الملِكِ الظَّاهِرِ ، أَحسنَ اللهُ عَزاءَهُ ، وَجَبَرَ مُصابَهُ ، وجعلَ فِيهِ الخلفَ ، في السَّاعَةِ المذكورةِ ، وقَدْ زُلْزِلَ المسلِمُونَ زِلْزالاً شَديداً ، وقَدْ حَفَرتِ الدُّمُوعُ المَحاجِرَ ، وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ ، وَقَدْ وَدَّعْتُ أَبَاكَ مَخدومي وَداعاً لا تلاقِيَ بعدَهُ ، وَقَبَّلْتُ عنِّي وعَنْكَ خَدَّهُ ؛ وأَسلمتُه إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَغلُوبَ الحِيلةِ ، ضَعِيفَ القُوَّةِ ، راضِياً عَنِ اللهِ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ؛ وبالبابِ من الأَجْنَادِ المُجَنَّدَةِ ، والأَسْلِحَةِ والأَعْمِدَةِ ، ما لا يَرُدُّ البَلاءَ ، ولاَ يَمْلِكُ دَفْعَ القَضاءِ ؛ وتَدْمَعُ العَينُ ، ويَحزنُ القلبُ ، ولا نَقُولُ إلاَّ ما يُرْضِي الرَّبَّ ، وإنَّا عَلَيْكَ لَمَحْزُونُونَ يا يُوسف .

وَأَمَّا الوَصايا فَلا تَحْتاجُ إلَيْها ، والآراءُ فَقَدْ شَغَلَتْنِي المَصائِبُ عنها ؛ وأَمَّا لائِحُ الأمر : فإنَّهُ إنْ وَقَعَ الاتِّفاقُ فَما عَدِمْتُمْ إلاَّ شَخْصَهُ الكَرِيمَ ، وإنْ كانَ غيرُهُ فَالمَصائِبُ المُستقبلةُ أَهْوَنُها مَوْتُهُ ، وهو البَلاءُ العَظِيمُ ، والسَّلامُ .

● وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ مع سَعَةِ مُلكِه كَثِيرَ التَّواضع ، قَرِيباً مِنَ النَّاسِ ، رَحِيمَ القَلْبِ ، كثيرَ الاحتِمالِ والمُداراةِ ، يَميلُ لأَهْلِ الفَضْلِ ، ويَسْتَحْسِنُ الأَشعارَ

---

(١) وفيات الأعيان ٧/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

الجيِّدَةَ ، ويُرَدِّدُها في مَجلِسِهِ ؛ وَكَانَ كَثيراً ما يُنْشِدُ قَوْلَ محمَّد بن الحسين الحِمْيَرِيّ[1] : [من البسيط]

وَزَارَنِي طَيْفُ مَنْ أَهْوَى على حَذَرٍ ... مِنَ الوُشَاةِ وَدَاعِي الصُّبْحِ قَدْ هَتَفَا

فَكِدْتُ أُوْقِظُ مَنْ حَوْلِي بِهِ فَرَحاً ... وَكَادَ يَهْتِكُ سِتْرَ الحُبِّ بِي شَغَفَا

ثُمَّ انْتَبَهْتُ وآمَالِي تُخَيِّلُ لِي ... نَيْلَ المُنَى فاسْتَحَالَتْ غِبْطَتِي أَسَفَا[2]

وَكَانَ رحمهُ اللهُ كثيراً ما يَتَمَثَّلُ بِهَذَيْنِ البَيْتَيْنِ ، وهُما[3] : [من الطَّويل]

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلالَةِ بِالهُدَى ... وَلَلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالدِّيْنِ أَعْجَبُ

وَأَعْجَبُ مِن هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِيْنَهُ ... بِدُنْيا سِواهُ فَهوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْيَبُ

وعُمِّرَ رحمهُ اللهُ سِتّاً وخَمسينَ سنةً وشُهُوراً .

٧٣ **البطس** : أَنْواعٌ مِنَ السَّمَكِ ، لَها مَراراتٌ يُكتبُ بها الكُتُبُ ، فإذا جَفَّتْ قُرِئَتْ في الظَّلامِ ، كما تُقْرَأُ بِالنَّهارِ في ضَوءِ الشَّمْسِ ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ صاحِبُ « المِعْطَارِ »[4] .

٧٤ **البَعُوضُ** : دُوَيْبَّةٌ . قَالَ الجَوهريُّ[5] : إِنَّهُ البَقُّ ، الواحِدَةُ بَعُوضَةٌ .

وهو وَهْمٌ ، والحَقُّ أَنَّهُ صِنْفانِ ، وهو يُشْبِهُ القُرادَ ، لكنَّ أَرْجُلَهُ خَفيفةٌ ، ورُطُوبَتُهُ ظاهِرَةٌ ؛ ويُسَمَّى بِالعِراقِ والشَّامِ : الجِرْجِسُ .

---

(١) الأَبيات في وفيات الأَعيان ٧/ ٢٠٧ بنسبتهما إِلى المذكور ، ثمَّ قال ابن خلكان : وقيل : إِنَّها لأَبي محمد أَحمد بن علي بن خيران العامري ، كانَ أَميراً بالمريّة من بلاد الأَندلس ، وكان جدُّهُ خيران من سبي المنصور بن أَبي عامر ، فنُسب إِليه ، والله أَعلم .

(٢) في أ : . . . وآمالي تحدّثني × .

(٣) هما بلا نسبة في وفيات الأَعيان ٦/ ١٧٠ وزهر الأَكم ١/ ٢٨٨ وإِحياء علوم الدين ١/ ٥٣ .

(٤) وذكر القزويني في عجائب المخلوقات ٨٤ أَسماكاً بهذه الصِّفة ، دون ذكر اسمها .
ـ وفي أ : البطين .

(٥) الصحاح ٣/ ١٠٦٦ (بعض) .

قَالَ الجوهريُّ[1] : هو لغةٌ في القِرْقِسِ ، وهو البَعُوضُ الصِّغارُ .

والبَعُوضُ[2] على خِلْقَةِ الفِيلِ ، إلاَّ أَنَّهُ أَكثرُ أَعضاءً مِنَ الفِيلِ ؛ فإِنَّ للفيلِ أَربعَ أَرجُلٍ وخُرْطُوماً وَذَنَباً ، وَلَهُ مَع هَذِهِ الأَعْضَاءِ رِجلانِ زائِدَتانِ وأَربعةُ أَجنحَةٍ ؛ وخُرطوم الفيلِ مُصْمَتٌ[3] ، وخرطُومه مُجَوَّفٌ نافِذٌ للجوفِ ، فإذا طَعنَ به جَسَدَ الإنسانِ اسْتَقَى الدَّمَ ، وَقَذَفَ بِهِ إِلى جَوْفِهِ ، فهو لَهُ كالبُلْعُومِ والحُلقومِ ؛ وَلِذَلِكَ اشتدَّ عَضُّها ، وَقَويتْ على خَرْقِ الجُلُودِ الغِلاظِ ؛ قَالَ الرَّاجِزُ[4] : [من الرَّجز]

مثلَ السَّفَاةِ دائِماً طَنينُها ... رُكِّبَ في خُرْطُومِها سِكِّينُها

وَمِمَّا أَلهمه اللهُ تَعالَى ، أَنَّهُ إذا جَلَسَ على عُضْوٍ من أَعْضَاءِ الإِنْسَانِ ، لا يَزالُ يَتَوَخَّى بِخُرْطُومِهِ المسامَّ التي يَخرجُ مِنْها العَرَقُ ، لأَنَّها أَرَقُّ بَشَرَةٍ من جلدِ الإِنسانِ ، فإِذا وَجَدَها وَضَعَ خُرْطُومَهُ فيها .

وَفيهِ من الشَّرَهِ أَنْ يمصَّ الدَّمَ إِلى أَنْ ينشقَّ وَيَموتَ ، أَو إِلى أَنْ يعجزَ عَنِ الطَّيَرانِ ، فَيكونُ ذَلِكَ سببَ هلاكِهِ .

ومن[5] عَجِيبِ أَمره أَنَّهُ رُبَّما قَتَلَ البَعيرَ وغيرَهُ من ذَواتِ الأَربعِ ، فَيَبْقَى طَرِيحاً في الصَّحْرَاءِ ، فَتجتمعُ السِّباعُ حَوْلَهُ ، والطَّيْرُ التي تأْكُلُ الجِيفَ ، فَمَنْ أَكَلَ مِنْها شَيْئاً مَاتَ لِوَقْتِهِ .

---

(1) الصحاح ٣/ ٩١٣ (جرجس) .

(2) المستطرف ٢/ ٤٥٢ .

(3) هذا غير صحيح .

(4) الشطران في الحيوان ٣/ ٣١٦ و ٥/ ٤٠٢ وأَمالي القالي ٣/ ١٢٩ والمعاني الكبير ٢/ ٦٠٨ والمزهر ١/ ١٥٩ ومحاضرات الرَّاغب ٢/ ٦٨٧ .
ـ والسَّفاة : الشَّوك .

(5) ربيع الأَبرار ٥/ ٤٦٣ .

● وَكَانَ[1] بَعْضُ الجبابرَةِ مِنَ المُلُوكِ بالعِراقِ يُعَذِّبُ بالبَعُوضِ ، فيأخذُ من يرِيدُ قَتْلَهُ ، فَيُخْرِجُهُ مُجَرَّداً إِلى بَعْضِ الآجامِ التي بالبَطائِحِ[2] ، ويتركُه فِيها مَكتوفاً ، فيُقتَلُ في أَسرَعِ وَقْتٍ وأَقربِ زَمانٍ .

● وَمَا أَحسن قولَ أَبِي الفَتْحِ البُسْتِيّ في هذا المعنى[3] : [من الكامل]

لا تَسْتَخِفَّنَّ الفَتَى بِعَداوَةٍ ... أَبَداً وإِن كَانَ العَدُوُّ ضَئِيلا

إِنَّ القَذَى يُؤْذِي العُيُونَ قَلِيلُهُ ... وَلَرُبَّما جَرَحَ البَعوضُ الفِيْلا

وَمَا أَلْطَفَ مَا قَالَ بعضُهم[4] : [من البسيط]

لا تَحْقِرَنَّ صَغيراً في عَداوَتِهِ ... إِنَّ البَعوضَةَ تُدْمِي مُقْلَةَ الأَسَدِ

وَنَحوه قولُ أَبي نَصْرِ السَّعْديّ[5] : [من المتقارب]

وَلا تَحْقِرَنَّ عَدُوّاً رَماكَ ... وإِنْ كَانَ في ساعِدَيْهِ قِصَرْ

فَإِنَّ الحُسَامَ يَحُزُّ الرِّقَابَ ... وَيَعْجَزُ عَمَّا تَنالُ الإِبَرْ

وَلَهُ أَيْضاً ؛ وقيلَ : إِنَّه لجمالِ الدِّين بن مَطروح[6] : [من الكامل]

يا مَنْ لَبِسْتُ عَلَيْهِ أَثْوَابَ الضَّنى ... صُفْراً مُوَشَّحَةً بِحُمْرِ الأَدْمُعِ

أَدْرِكْ بَقِيَّةَ مُهْجَةٍ لَو لَمْ تَذُبْ ... أَسَفاً عَلَيْكَ رَمَيْتُها عن أَضْلُعِي

---

(١) ربيع الأَبرار ٥/ ٤٦٢ .

(٢) البطائح : أَراضٍ واسعة بين واسط والبصرة . (معجم البلدان ١/ ٤٥٠) .

(٣) ديوانه ٢٧٩ .

(٤) بلا نسبة في زهر الأَكم ١/ ١١١ .

(٥) هو ابن نباتة السَّعديّ . وهما في ديوانه ٢/ ٧٣ واليتيمة ٢/ ٣٩٥ والإِعجاز والإِيجاز ٢٧٨ والتذكرة الحمدونية ٥/ ٢٣٣ و ٧/ ١٤٩ .

(٦) هما لابن مطروح في وفيات الأعيان ٦/ ٢٦٢ . ورواية الثاني في أ : × . . . نأَيتُها عن أَضلعي .

ومن مَحاسِنِ شِعْرِهِ أَيضاً ، قولُهُ[1] : [من الكامل]

لَمَّا وَقَفْنا لِلْوَدَاعِ وصارَما كُنَّا نَظُنُّ مِنَ النَّوى تَحْقِيقَا
نَثَرُوا على وَرَقِ الشَّقائِقِ لُؤْلُؤاً وَنَثَرْتُ مِنْ وَرَقِ البَهارِ عَقِيقا

● ونحوه قولُ إِبراهيم بن عليّ القَيراونيّ ، صاحِبُ « زَهْرِ الآداب » وغيره ، وكان كَلِفاً بالمُعَذَّرِين[2] : [من الكامل]

وَمُعَذَّرِينَ كَأَنَّ نَبْتَ خُدُودِهِمْ أَقْلامُ مِسْكٍ تَسْتَمِدُّ خَلُوقا
نَظَمُوا البَنَفْسَجَ بِالشَّقِيقِ ونَضَّدوا تَحْتَ الزَّبَرْجَدِ لُؤْلُؤاً وَعَقِيقا

● وَرَوَى « التّرمذيّ » ، وَقَالَ[3] : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، عن سَهل بن سَعد رَضِيَ الله تعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لَوْ كانَتِ الدُّنْيا تعدلُ عندَ اللهِ جَناحَ بَعوضَةٍ ، ما سَقَى مِنْها كافِراً شربةَ ماءٍ » ، وكَذَلِكَ رَواهُ « الحاكمُ » وصحَّحَهُ .

● وَقَالَ الشَّاعرُ في ذَلِكَ : [من الطَّويل]

إِذَا كَانَ شيْءٌ لا يُساوِي جَميعُهُ جَناحَ بَعُوضٍ عِنْدَ مَنْ كُنْتَ عَبْدَهُ

---

(١) هما بلا نسبة في وفيات الأعيان ٧/ ٥١ .

(٢) كذا نسب المؤلف هذين البيتين إلى الحصري القيرواني ، نقلاً عن نسخة من وفيات الأَعيان [١/ ٣٩٤] وفي عبارته نقصٌ وخللٌ ؛ ومصدره ابن بسَّام في الذَّخيرة ٤/ ٣٧٨ ، ونصُّ عبارته : وحكى أَبو صفوان العتكي بصقليّة ، قال : كان أَبو إسحاق القيرواني يختلف إلى بعض مشيخة القيروان ، وكان ذلك الشَّيخ كلفاً بالمعذَّرين من الغلمان ، وهو القائل فيهم : [البيتان وبعدهما ثالثٌ] .
ـ وكذا قال الشريشي في شرح المقامات ٣/ ١١٧ . فهما ـ إذن ـ عندهما لشيخٍ قيروانيٍّ مجهولٍ .
ـ والبيتان في الحماسة الشجرية ٢/ ٩١٩ لابن الحجَّاج .

(٣) الترمذيّ (٢٣٢٠) وابن ماجه (٤١١٠) والمستدرك ٤/ ٣٠٦ .

وَأَشْغَلَ جُزْءٌ مِنْهُ كُلَّكَ ما الَّذي يَكُونُ على ذا الحَالِ قَدْرُكَ عِنْدَهُ

ومعنى هَوانِ الدُّنيا على اللهِ تَعالَى : أَنَّهُ سُبحانه لم يَجعلْها مَقصودةً لنفسِها ، بل جَعَلَها طَريقاً مُوصِلَةً إلى مَا هُوَ المقصودُ بنفسِه ، وأَنَّهُ لَمْ يجعلْها دَارَ إِقامَةٍ ولا جَزاءٍ ، وإِنَّما جَعَلَها دارَ مِحْنَةٍ وَبَلاءٍ ، وأَنَّهُ مَلَّكَها في الغالِبِ الجَهلَةَ والكَفَرَةَ ، وَحَماها الأَنبياءَ والأَولياءَ والأَبْدالَ .

وَحَسْبُكَ بِها هَواناً على الله ، أَنَّهُ سُبحانَهُ وتَعالَى صَغَّرَها وحَقَّرَها ، وأَبْغَضَ أَهْلَها ومُحِبِّيها ، وَلَمْ يرضَ لعاقِلٍ فِيها إِلاَّ بالتَّزَوُّدِ مِنها ، والتَّأَهُّبِ للارْتِحَالِ عنها .

وَيكفِي في ذَلِكَ ما رَواهُ « التّرمذيّ » عن أَبي هريرةَ رَضِيَ الله تعالى عنه ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ[1] : « الدُّنيا مَلعونَةٌ ، مَلعونٌ ما فِيها ، إِلاَّ ذِكْرُ اللهِ تَعالَى وما والاهُ ، أَو عَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ » . وهو حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

ولا يُفهمُ من هَذا إِباحَةُ لَعْنِ الدُّنْيَا وسَبُّها مُطلقاً ، لما رَوى أَبُو مُوسَى الأَشعريُّ رَضِيَ الله تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لا تَسُبُّوا الدُّنيا ، فَنِعْمَتْ مِطِيَّةُ المؤمنِ ، عليها يبلُغُ الخَيْرَ ، وَبِها يَنجو مِنَ الشَّرِّ ؛ إِنَّ العبدَ إِذا قَالَ : لعنَ اللهُ الدُّنيا ، قَالت الدُّنيا : لَعَنَ اللهُ أَعْصانا لِرَبِّهِ » .

خَرَّجَهُ الشَّريفُ أَبُو القاسِمِ زَيد بن عبد الله بن مَسعود الهاشمي .

وَهَذا يَقْتَضِي المنعَ من سَبِّ الدُّنْيا ولَعْنِها .

وَوَجْهُ الجَمْعِ بَيْنَهُما ، أَنَّ المُباحَ لَعنُه من الدُّنْيَا ، مَا كَان منها مُبْعِداً عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وشاغِلاً عنهُ ؛ كَمَا قال بعض السَّلف : كلُّ ما يَشغلُك عن ذكر الله من مالٍ وولدٍ ، فهو مَشؤوم عليك ؛ وهو الذي نَبَّهَ عليهِ الله تَعالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟

---

(١) الترمذيّ (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١١٢) .

أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾[الحديد: ٢٠].

وَأَمَّا ما كان من الدُّنْيا يُقَرِّبُ من اللهِ ، ويُعِينُ على عِبادَتِهِ ، فهوَ المَحمُودُ بِكُلِّ لِسانٍ ، المحبوبُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ؛ فَمِثْلُ هذا لا يُسَبُّ ، بَلْ يُرغبُ فِيهِ وَيُحبُّ ؛ وإِلَيْهِ الإِشارَةُ بالاسْتِثْنَاءِ حَيْثُ قَالَ : « إلاَّ ذِكْرُ اللهِ وما والاهُ ، أَو عالِمٌ أَو مُتعلِّمٌ » . وهو المُصَرَّحُ بِهِ في قوله : « نِعمت مَطِيَّةُ المؤْمِنِ ، عَلَيْها يبلُغُ الخَيْرَ ، وَبِها يَنجو من الشَّرِّ » وَبِهَذا يَرْتَفِعُ التَّعارُضُ بين الحديثين .

● وفي « الإحياء » للغزاليّ ، في البابِ السَّادسِ من أَبْوابِ العلم ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ[1] : « إِنَّ العَبْدَ لَيُنْشَرُ لَهُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا بين المشرِقِ والمغرِبِ ، ولا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ » .

وَفِي الحَدِيثِ عن أَبي هُريرةَ رضِي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ[2] : « لَيَأْتِي الرَّجُلُ السَّمينُ العَظيمُ يومَ القِيامَةِ ، لا يَزِنُ عندَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ ؛ اقرؤُوا إِنْ شِئْتُم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف : ١٠٥] » . رَواهُ البُخارِيُّ في التَّفْسِيرِ ، ومثله في التَّوبَةِ .

قَالَ العُلماءُ : مَعنى هَذَا الحَدِيثِ : أَنَّهُمْ لا ثَوابَ لهم ، وَأعمالُهم مُقابَلَةٌ بالعذابِ ، فَلا حسنةَ لَهُمْ تُوزَنُ في مَوازِينِ القِيامَةِ ؛ ومَنْ لا حَسَنَةَ لَهُ فهوَ في النَّارِ .

وَقَالَ أَبُو سعيد الخُدْريّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : يُؤْتى بأَعمالٍ كجبال تِهامَةَ ، فَلا تَزِنُ عندَ اللهِ شَيْئاً .

وَقِيلَ : المُرادُ المجازُ والاستعارَةُ ؛ كَأَنَّه قال : لا قَدْرَ لَهم عِندنا يوم القِيامَةِ ؛ وَفيهِ مِنَ الفِقْهِ ذَمُّ السِّمَنِ لِمَنْ تكَلَّفَهُ ، لِما في ذَلِكَ من تكَلُّفِ المطاعِمِ

---

(١) لم يعزُه الغزالي إلى النَّبيِّ ﷺ ، وإنَّما قالَ : وفي خبرٍ آخر . (الإحياء ١/ ٥٥) .

(٢) البخاري ٥/ ٢٣٦ (تفسير سورة الكهف) ومسلم (٢٧٨٥) .

الزَّائِدَةِ على قَدْرِ الكِفايَةِ ؛ وَقد قال ﷺ : « إِنَّ أَبغضَ الرِّجَالِ إِلى اللهِ الحَبْرُ السَّمِينُ » .

● قَالَ وَهب بن مُنَبِّه[1] : لَمَّا أَرسل الله تعالى البعوضَ على النّمروذِ ، اجتمعَ منه في عَسكره ما لا يحصى عدداً ؛ فلمَّا عايَنَ النّمروذُ ذلك ، انفردَ عَنْ جَيشِهِ ، ودخلَ بيته ، وأغلق الأَبوابَ ، وَأَرْخَى السُّتُورَ ؛ وَنامَ على قَفاهُ مُفَكِّراً ؛ فدخلَت بَعُوضَةٌ في أَنفه ، وصعدَتْ إِلى دِماغِه ، فَعُذِّبَ بِها أَرْبَعِينَ يوماً ، حتَّى إِنَّه كان يضربُ بِرَأْسِهِ الأَرضَ ؛ وَكَانَ أَعَزَّ النَّاسِ عندَه مَن يَضرِبُ رأسَهُ ؛ ثمَّ سَقَطَتْ منه كالفَرْخِ وهي تَقُولُ : كَذَلِكَ يُسَلِّطُ اللهُ رُسُلَهُ على مَن يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، ثمَّ هلكَ حينئِذٍ .

● وَقَالَ محمَّد بن عبَّاس الخوارَزميّ الطَّبَرْخَزيّ في الوزيرِ أَبي القاسِمِ المُزَنِيِّ ، لمَّا قُبِضَ عَلَيْهِ[2] : [من الكامل]

لا تَعْجَبُوا مِنْ صَيْدِ صَعْوٍ بازِياً ... إِنَّ الأُسُودَ تُصادُ بِالخِرْفانِ

قَدْ غَرَّقَتْ أَمْلاكَ حِمْيَرَ فَأْرَةٌ ... وَبَعُوضَةٌ قَتَلَتْ بَنِي كَنْعانِ

● وَرَوَى جَعفر الصادق بن محمَّد الباقِرِ ، عن أَبيه ، قال[3] : « نَظَرَ رسولُ اللهِ ﷺ إِلى مَلَكِ المَوْتِ عليهِ السَّلام عنْد رأْسِ رَجُلٍ من الأَنْصَارِ ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : ارفُقْ بصاحِبِي ، فإِنَّهُ مؤمِنٌ . قَالَ : إِنِّي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ رَفِيقٌ ، وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ إِلاَّ أَتَصَفَّحُهُمْ في كُلِّ يَوْمٍ خَمسَ مَرَّاتٍ ؛ وَلَوْ أَنِّي أَرَدْتُ قَبْضَ

---

(١) تاريخ الطَّبري ١/ ٢٨٨ والمنتظم ١/ ٢٨١ .

(٢) الطبرخزي : هو أَبو بكر الخوارزمي ؛ سمّى نفسه بذلك لأَنَّ أَباه من طبرستان ، وأُمُّهُ من خوارزم . والبيتان في : ثمار القلوب ١/ ٦١٠ ويتيمة الدهر ٤/ ٢٣٦ ونسمة السحر ٣/ ١٣٣ ، وديوانه ٤١٦ . وأَرى قوله : بني كنعان ، خطأ . صوابه : فتى كنعان .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٢٦١ وكنز العمال (٤٢٨١٠) والإِصابة ٢/ ٢٣٨ (ترجمة خزرج الأَنصاري ، رقم ٢٢٥٤) والطرثوث ٢٤٥ .

رُوحٍ بَعُوضَةٍ ، ما قدرتُ ، حتَّى يَكُونَ مِنَ اللهِ تَعالىَ الأَمْرُ بِقَبْضِها » .

قَالَ جعفرُ بن محمَّد : بَلَغَنِي أَنَّهُ يَتَصَفَّحُهُم عِنْدَ مَواقِيتِ الصَّلاةِ . انتهى .

● ومن هذا وما تَقَدَّمَ عن مالِكٍ في البَراغِيثِ ، يُعْلَمُ أَنَّ مَلَكَ المَوْتِ هو المُوَكَّلُ بِقَبْضِ كُلِّ ذِي رُوحٍ .

والبعوضةُ[1] على صِغَرِ جِرْمِها ، قد أَودع الله تعالى في مُقَدَّمِ دِماغِها قُوَّةَ الحِفْظِ ، وفي وَسَطِه قوَّةَ الفِكْرِ ، وفي مُؤَخَّرِهِ قُوةَ الذِّكْرِ ؛ وخلقَ لَها حاسَّةَ البَصَرِ ، وحاسَّةَ اللَّمْسِ ، وحاسَّةَ الشَّمِّ ؛ وَخَلَقَ لَهَا مَنْفَذاً للغِذَاءِ ، ومَخْرَجاً لِلفُضْلَةِ ، وَخَلَقَ لَها جَوْفاً وأَمعاءً وعِظاماً ؛ فَسُبْحانَ مَنْ قَدَّرَ فَهَدَى ، وَلَمْ يخلُقْ شَيْئاً مِنَ المَخْلُوقاتِ سُدىً .

●وَأَنْشَدَ الزَّمخشريُّ في تَفْسِيرِ سُورَةِ البَقَرَةِ[2] : [من الكامل]

يا مَنْ يَرَى مَدَّ البَعُوضِ جَناحَها ... فـي ظُلْمَـةِ اللَّيْـلِ البَهِيـمِ الأَلْيَـلِ
وَيَـرى مَنـاطَ عُـرُوقِهـا فِـي نَحْـرِهـا ... والمُـخَّ فـي تِلْـكَ العِظَـامِ النُّحَّـلِ
امْنُــنْ عَلَــيَّ بِتَــوْبَــةٍ أَمْحُــو بِهــا ... مَـا كَـانَ مِنِّـي فـي الـزَّمـانِ الأَوَّلِ

وَنَقَلَ ابنُ خلِّكان عن بعضِ الفضلاءِ ، أَنَّ الزَّمخشريَّ أَوْصَى أَنْ تُكتبَ هَذِهِ الأَبياتُ على قَبْرِهِ .

وَيُروى عوض : امْنُنْ عليَّ بِتَوْبَةٍ ؛ كَمَا قَال بعضُهم[3] :

اغْفِـرْ لِعَبْـدٍ تَـابَ مِـنْ فَـرَطـاتِـهِ ... مَـا كَـانَ مِنْـهُ فـي الـزَّمـانِ الأَوَّلِ

● وفي « تاريخِ ابن خلِّكان » وغيره[4] : أَنَّ الزَّمخشريَّ كَانَ يعتقدُ

---

(١) المستطرف ٢/ ٤٥٣ .
(٢) الكشاف ١/ ٢٦٥ ووفيات الأَعيان ٥/ ١٧٣ والمستطرف ٢/ ٤٥٢ .
(٣) بهذه الرِّواية عند ابن خلكان ٥/ ١٧٣ .
(٤) وفيات الأَعيان ٥/ ١٧٠ .

الاعتزالَ ويتظاهر بِهِ ، وَكَانَ إذا اسْتأذنَ على صاحِبٍ لَهُ بالدُّخُولِ ، يقول : أَبُو القاسِمِ المُعتزليُّ بالبابِ ؛ وأَوَّلُ ما صَنَّفَ من الكُتب « الكَشَّاف » فَكَتَبَ في أَوَّلِ خُطبته : الحمدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ القُرْآنَ . فَقِيلَ لَهُ : إِنْ تركتَه على هَذِهِ الهيئَة ، هَجَرَهُ الناسُ . فغَيَّرَهُ ، وَقَالَ : الحمدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ القُرْآنَ ؛ وَجَعَلَ عندَهُم بِمَعْنَى خَلَقَ ؛ ويُوجَدُ في كثيرٍ من النُّسَخِ : الحمدُ لله الَّذِي أَنْزَلَ القُرآنَ ، وهو من إِصْلاحِ الناسِ ، لا مِنْ إِصْلاحِ المُصَنِّفِ ، فافْهَمْ .

● تُوفِّيَ الزَّمخشريُّ لَيْلَةَ عَرَفَة ، سنةَ ثَمانٍ وثلاثِينَ وخَمسمئة[١] .

وَقد تكلَّمَ في « الإِحْيَاءِ » في بابِ المَحَبَّةِ[٢] ، على خَلْقِ البَعُوضَةِ ، وصِفَتِها ، وَمَا أَودعه اللهُ تَعالى فِيها من الأَسرارِ .

● **فائِدَةٌ** : رَأيتُ في كتاب « الدُّعاءِ » للشَّيْخِ الإمام العلاَّمَة أَبي بَكرٍ محمَّد بن الوليد الفِهْرِيّ الطُّرطوشي ـ وَيُعرفُ بابْنِ أَبي رَنْدَقَة ، بالرَّاءِ المُهملة المَفتوحة وتسكين النُّونِ ـ وهو إمامٌ وَرِعٌ ، أَديبٌ مُتَقَلِّلٌ ؛ وفاتُه بالإِسْكندريَّة سنةَ عشرين وخَمسمئة[٣] : عن مُطَرِّف بن عبد الله بن [مطرِّف][٤] ـ أَبي مُصعب المَدَنيّ ـ أَنَّهُ قال : دَخلْتُ على المنصورِ ، فوجدتُه مَغموماً حَزيناً ، قَدِ امتنعَ عَنِ الكَلامِ لِفَقْدِ بعضِ أَحِبَّتِهِ ، فقَالَ لي : يا مُطَرِّف ، طَرَقَنِي من الهَمِّ ما لا يَكشفُهُ إلاَّ اللهُ الَّذِي بَلانِي بِهِ ، فهل من دُعاءٍ أَدْعُو به ، عَسَى أَنْ يَكْشِفَهُ اللهُ

---

(١) ترجمته في : وفيات الأعيان ٥/١٦٨ وسير أعلام النبلاء ٢٠/١٥١ وتاج التراجم ٢٥١ . . . .

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٧٣ .

(٣) في أ ، ط : سنة اثنتين وخمسمئة ! . وانظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٢ وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٩٠ . . . .

(٤) الزِّيادة لازمةٌ . وترجمته في الوافي بالوفيات ٢٥/ ٦٢٤ وتاريخ الإسلام ٤٦ [وفيات ٢١١ ـ ٢٢٠] .

عَنِّي ؟ فقلتُ : يا أَميرَ المُؤمنين ، حَدَّثَنِي محمَّد بن ثابت ، عن عمر بن ثابت البَصريّ ، قَالَ : دَخَلَتْ في أُذُن رجلٍ من أهلِ البصرة بعوضَةٌ ، حتىٰ وصلَت إلى صِماخِهِ ، فأَنْصَبَتْهُ وأَسْهَرَتْهُ ليلَهُ ونَهارَهُ ، فقال له رجلٌ من أصحَابِ الحسنِ البَصريّ : يا هذا ، ادْعُ بِدُعاءِ العلاءِ بن الحَضْرَمِيّ صاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، الَّذِي دَعا بِهِ في المَفازَةِ وفي البحرِ ، فَخَلَّصَهُ اللهُ تعالى ؛ فَقَالَ له الرَّجلُ : وما هو رَحِمَكَ الله ؟ فَقَالَ[1] : قَالَ أَبو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : بُعِثَ العلاءُ ابن الحَضرميُّ في جيشٍ كنتُ فيهم إِلى البَحرين ، فَسَلكنا مَفازةً ، فعطِشْنَا عَطَشاً شَديداً حتَّى خِفْنا الهلاكَ ، فَنَزَلَ العلاءُ وصلَّى ركعتين ، ثمَّ قَالَ : يا حَلِيمُ يا عَلِيمُ ، يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ ، اسْقِنا ؛ فجاءَتْ سَحابَةٌ كَأَنَّها جَناحُ طائِرٍ ، فقَعْقَعَتْ عَلَيْنا ، وأَمْطَرَتْنا حتَّى ملأْنا الآنِيَةَ وَسَقَيْنا الرِّكابَ ؛ ثمَّ انطلقنا حتَّى أَتينا على خَليجٍ من البحرِ ، ما خِيْضَ قبلَ ذَلِكَ اليومِ ولا خِيضَ بعدهُ ، فَلَمْ نَجِدْ سُفُناً ، فصلَّى العلاءُ رَكعتين ، ثمَّ قَالَ : يا حَليمُ يا عَليمُ ، يا عليُّ يا عَظِيمُ ، أَجِزْنا ؛ ثمَّ أَخَذَ بِعِنانِ فَرسِهِ ، ثمَّ قَالَ : بسم الله ، جُوزوا .

قَالَ أَبُو هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : فَمَشَيْنا على الماءِ ، فواللهِ ما ابْتَلَّ لَنا قَدَمٌ ولا خُفٌّ ولا حافِرٌ ، وكَانَ الجَيْشُ أَربعةَ آلافٍ .

قَالَ : فَدَعا الرَّجلُ بها ، فواللهِ ما بَرِحْنا حتَّى خرجَتْ من أُذُنِهِ لَها طَنينٌ ، حتَّى صَكَّت الحائِطَ ، وَبَرَأَ الرَّجلَ .

قَالَ : فاسْتَقْبَلَ المنصورُ القِبْلَةَ ، وَدَعا بهذا الدُّعاءِ ساعَةً ، ثمَّ أَقبلَ بِوَجْهِهِ إِلَيَّ وَقَالَ : يا مُطَرِّفُ ، قَدْ كَشَفَ اللهُ عَنِّي ما كنتُ أَجِدُهُ من الهَمِّ ؛ وَدَعا بِالطَّعامِ فأَجلسنِي فأَكلتُ معه .

● وَيقرُبُ مِن هَذَا ، ما حَكَاهُ ابنُ خلِّكان في ترجمة موسى الكاظم بن

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٠ ودلائل النبوة لأَبي نعيم (٥٢١) ص ٥٧٤ .

جعفر الصَّادق[1] ، أَنَّ هارُونَ الرَّشيد حَبَسَهُ في بغداد ، ثمَّ دَعا صاحِبَ شَرِطَتِهِ ذات يومٍ ، فَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُ في مَنامِي حَبَشِيّاً ، أَتانِي ومعه حَرْبَةٌ ، وَقَالَ : إِنْ لَمْ تُخْلِ عن مُوسى بن جعفر وإِلاَّ نَحَرْتُكَ بِهَذِهِ الحَرْبَةِ ؛ فاذْهَبْ فَخَلِّ عنه ، وأَعطِهِ ثَلاثِينَ أَلفَ درهمٍ ، وقُلْ لَهُ : إِنْ أَحبَبْتَ المَقامَ عندَنا فَلَكَ عندي ما تُحِبُّ ، وإِنْ أَحببتَ المُضِيَّ إِلى المَدِيْنَةِ فامْضِ .

قَالَ صاحِبُ الشَّرِطَةِ : ففعلتُ ذَلِكَ ، وقلت له : لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَمْرِكَ عَجَباً ؛ فقَالَ : أَنا أُخبركُ ، بَيْنَما أَنا نائِمٌ إِذ أَتانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فقَالَ : « يا مُوسى ، حُبِسْتَ مَظلوماً ، فقلْ هَذِهِ الكَلِمَاتِ فإِنَّكَ لا تَبيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ في السِّجْنِ ، قُلْ : يا سامِعَ كُلِّ صَوْتٍ ، ويا سابق كُلِّ فَوْتٍ ، ويا كاسِيَ العِظامَ لَحْماً ومُنْشِرَها بعدَ المَوْتِ ؛ أَسْأَلُكَ بِأَسْمائِكَ العِظامِ ، وباسْمِكَ الأَعظمِ الأَكبرِ المخزونِ المَكْنُونِ ، الذِي لَم يَطَّلِعْ عليْهِ أَحَدٌ من المخلُوقِينَ ، يا حَلِيماً ذا أَناةٍ لا يُقْدَرُ على أَناتِهِ ، يا ذَا المَعْرُوفِ الذي لا يَنْقَطِعُ مَعروفُهُ أَبَداً ، ولا نُحصِي له عدداً ؛ فَرِّجْ عَنِّي » . فَكَانَ مَا تَرَى .

وتوفِّيَ موسى الكاظِمُ في رَجَب سنةَ ثلاثٍ ، وَقِيلَ : سنةَ سبعٍ وثَمانين ومئة ببغدادَ مَسْمُوماً ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ تُوفِّيَ في الحبسِ .

وَكَان الشَّافعيُّ يَقُولُ : قبرُ موسى الكاظِم ، التِّرْيَاقُ المُجَرَّبُ .

● وَقَدْ أَذْكَرتني هَذِهِ الحِكايَةُ مَا حَكَاهُ الخَطِيبُ أَبو بَكرٍ في « تاريخِهِ » وابن خلِّكان أَيضاً في ترجمةِ يَعقوب بن داود[2] :

أَنَّ المهديَّ حَبَسَهُ في بئرٍ ، وبنى عَلَيْها قُبَّةً ، فَمَكَثَ فِيها خَمسَ عشرةَ

---

(١) الخبر في مروج الذهب ٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ وعنه ابن خلكان ٥/ ٣٠٩ وابن طولون في الأَئمَّة الاثنا عشر ٩١ .

(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٨٥ ووفيات الأَعيان ٧/ ٢٥ والفرج بعد الشِّدة ٢/ ٢٣٤ .

سنةً ، وكَانَ يُدْلَى لَهُ فِيها كُلَّ يَوْمٍ رَغيفُ خُبْزٍ وكُوزُ ماءٍ ، ويُؤْذَنُ بأَوْقَاتِ الصَّلاةِ . قَالَ : فلمَّا كَانَ في رَأْسِ ثلاثَ عشرةَ سنةً أَتاني آتٍ في مَنامِي ، فَقَالَ : [من البسيط]

حَنا على يُوسُفٍ رَبٌّ فَأَخْرَجَهُ مِنْ قَعْرِ جُبٍّ وَبَيْتٍ حَوْلَهُ عَمَمُ

قَالَ : فحمدتُ اللهَ تَعالى ، وقُلْتُ : أَتاني الفَرَجُ ، فمكثتُ حَوْلاً لا أَرَى شَيْئاً ؛ فَفِي رَأْسِ الحولِ أَتاني ذَلِكَ الآتِي ، فأَنْشَدَنِي[1] : [من الطَّويل]

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خليقَتِهِ أَمْرُ

قَالَ : ثمَّ أَقمتُ حَوْلاً آخرَ لا أرى شَيْئاً ، ثمَّ أَتانِي ذَلِكَ الآتِي في رأس الحولِ ، فأَنْشَدَنِي[2] : [من الوافر]

عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ يَكُونُ وَراءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ
فَيَأْمَنَ خائِفٌ وَيُفَكَّ عانٍ وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الغَرِيبُ

قَالَ : فلمَّا أَصبحْتُ نُودِيتُ ، فظنَنْتُ أَنِّي أُوذَنُ بالصَّلاةِ ، فأُدليَ لِي حَبلٌ ، فربطتُ نفسِي به ، وَنُشِلْتُ من البِئْرِ ، فانطُلِق بِي ، فأُدْخِلْتُ على الرَّشيدِ ، فقيلَ لِي : سَلِّمْ على أَميرِ المُؤمنين ؛ فقلت : السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَميرَ المؤمنين المهديّ ، فَقَالَ لِي : لَسْتُ بِهِ ؛ فقلت : السَّلامُ عليكَ يا أَميرَ المؤمنين الهادِي ، فقَالَ لِي : لَسْتُ بِهِ ؛ فقلت : السَّلامُ عليك يا أَميرَ المؤمنين ، فَقَالَ : الرَّشيد ؛ فقلت : الرَّشيد . فَقَالَ : يا يَعقوبُ ، ما شفعَ فِيكَ إِليَّ أَحدٌ ، غَيْرَ أَنِّي حَمَلْتُ اللَّيْلَةَ صَبِيَّةً لِي على عُنقِي ، فَذكرتُ حَمْلَكَ إِيَّايَ على عُنقِكَ ، فرثَيتُ لَكَ وأَخرجتُكَ ـ وَكَانَ يَعقوب يَحملُ الرَّشيدَ على عُنقِه وهو صَغيرٌ يُلاعِبُهُ ـ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بجائِزَةٍ ، وَصَرَفَهُ .

---

(١) البيت في مصادر الخبر والتذكرة الحمدونيَّة ٨/ ٥٤ ، والمستطرف ٢/ ٣٦١ بلا نسبة .
(٢) هما لهدبة بن الخشرم العذري ، في ديوانه ٥٤ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُها لاسْتِقْذارِها .

● **فائدةٌ** : رَوَى البُخارِيُّ في « الأَدَب » والتّرمذيّ في « مناقِبِ الحسن والحُسين رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما » من حديث عبدِ الرَّحمنِ بن أَبي نُعْم ، قَالَ[1] : « كنتُ عند ابن عمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، فسَأَلَه رجلٌ عَنْ دَمِ البَعُوضِ ، فقَالَ : مِمَّنْ أَنتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ العِراقِ ؛ فَقَالَ ابْنُ عمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : انظُروا إِلى هذا ، يَسْأَلُنِي عن دَمِ البَعُوضِ ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ وسمعتُه ﷺ يَقُولُ : « هُما رَيْحانتايَ من الدُّنْيا » .

قَالَ[2] : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ من الحسنِ والحُسينِ رَضِيَ الله عنهما .

وَرَوَى « ابنُ حِبَّان » و« التّرمذيّ » ، عن عليّ رَضِيَ الله تعالى عنه ، قَالَ[3] : كَانَ الحَسَنُ أَشبهَ برسولِ اللهِ ﷺ ما بَيْنَ الصَّدْرِ والرَّأْسِ ، والحسينُ أَشْبَهَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا كَانَ أَسفلَ مِن ذَلِكَ .

●**فائِدةٌ أُخْرى** : رَوى في « الرَّوضِ الزَّاهِرِ » عن الشَّعبيّ ، قَالَ[4] : لَمَّا بَلَغَ الحَجَّاجَ أَنَّ يَحيى بن يَعْمَر يَقُولُ : إِنَّ الحَسَنَ والحُسينَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما من ذُرِّيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ ـ وَكَانَ يحيى بن يَعْمَر بِخُراسان ـ فكتبَ الحَجَّاجُ إِلى قُتيبة بن مُسلم والي خُراسان : أَنِ ابْعَثْ إِليَّ يَحْيَى بن يَعْمَر ؛ فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ .

---

(١) الأدب المفرد (٨٥) وصحيح البخاري ٤/ ٢١٧ (مناقب الحسن والحسين) والترمذي (٣٧٧٠) .

(٢) الترمذي (٣٧٧٦) .

(٣) الترمذي (٣٧٧٩) وابن حبّان (٦٩٧٤) .

(٤) وفيات الأعيان ٦/ ١٧٤ ، وإنباه الرواة ٤/ ١٩ ـ ٢٠ .

قَالَ الشَّعبيُّ : وكنتُ عندَ الحَجَّاجِ حِينَ أُتِيَ بِهِ إِلَيْهِ ، فقال له الحَجَّاجُ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تزعمُ أَنَّ الحسن والحسين من ذُرِّيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ . قَالَ : أَجل يا حَجَّاج . قَالَ الشَّعبيُّ : فعجبتُ من جَراءَتِهِ بِقَوْلِهِ : يا حَجَّاجُ ؛ فَقَالَ لَهُ الحَجَّاجُ : واللهِ إِنْ لَمْ تخرجْ منها ، وتأْتِنِي بها مُبَيَّنَةً واضِحَةً من كتابِ اللهِ تَعالى ، لأُلْقِيَنَّ الأَكْثَرَ منكَ شَعْراً ؛ ولا تأْتِني بِهَذِهِ الآيَة ﴿ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦١] قَالَ : فإِنْ خرجتُ من ذَلِكَ وأتيتُكَ بها واضِحَةً مُبَيَّنَةً من كتابِ اللهِ تَعالى فهوَ أَماني ؟ قَالَ : نعم ؛ فَقَالَ : قَالَ اللهُ تعالَى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ ﴾ [الأنعام : ٨٤ ـ ٨٥] ثمَّ قَالَ يحيى بن يَعْمُر : فمنْ كَانَ أَبا عيسى ، وَقَدْ ألحقَه اللهُ بِذُرِّيَّةِ إِبراهيم ؟ وما بينَ عيسى وإِبراهيم أكثرُ مِمَّا بينَ الحَسَنِ والحُسينِ ومحمَّد صلواتُ اللهِ عَلَيْه وسَلامه ؛ فقال له الحَجَّاجُ : ما أَراكَ إِلاَّ قد خرجتَ ، وأَتَيْتَ بها مُبَيَّنَةً واضِحَةً ؛ واللهِ لَقَدْ قرأْتُها وما عَلِمْتُ بها قَطُّ ؛ وهذا من الاسْتِنْباطَاتِ البديعةِ ؛ ثمَّ قَالَ لَهُ الحَجَّاجُ[1] : أَخبرني عنِّي هل أَلْحنُ ؟ فسكتُّ ؛ فَقَالَ : أَقسمتُ عليك ، فقال : أَمَّا إِذْ أَقسمْتَ عَليَّ أَيُّها الأَميرُ ، فإِنَّكَ تَرفعُ ما يُخْفضُ ، وتَخفضُ ما يُرفع ؛ فقَالَ : ذاكَ واللهِ اللَّحْنُ السَّيِّءُ .

ثمَّ كَتَبَ إِلى قُتيبة بن مُسلم : إِذا جاءَكَ كِتابي هَذَا ، فاجعلْ يحيى بن يَعْمَر على قَضائِكَ ، والسَّلامُ .

وَقِيلَ[2] : إِنَّ الحجَّاجَ قال لِيحيى : أَسَمِعْتَنِي أَلحنُ ؟ قَالَ : في حرفٍ واحدٍ ، قَالَ : في أَيٍّ ؟ قَالَ : في القُرآن . قَالَ : ذَلِكَ أَشنعُ ؛ ما هُو ؟ قَالَ :

---

(١) ومن هنا زيادة على ما تقدَّمَ : نزهة الأَلباء ١٦ ـ ١٧ ومعجم الأدباء ٦/ ٢٨٣٦ .

(٢) وفيات الأَعيان ٦/ ١٧٤ .

تَقُول : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم ﴾ [التَّوبة : ٢٤] فتقرؤُها بالرَّفعِ ؛ فقَالَ لَهُ الحَجَّاجُ : لا جَرَمَ ، لا تسمعُ لي لَحْناً ؛ وأَلْحَقَهُ بِخُراسان .

قَالَ الشَّعبيُّ : كَأَنَّ الحجَّاجَ لمَّا طَالَ عَلَيْهِ الكلامُ ، نَسِيَ ما ابتدأ به .

وَذَكَرَهُ ابنُ خلِّكان في ترجمة يَحْيَى بن يَعْمَر ، وفيه بَعْضُ مخالفَةٍ .

قلتُ : في كَلامِ يَحيى تَصريحٌ بأَنَّ الضَّميرَ في ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ [الأنعام : ٨٤] يَعود على إِبراهيم ؛ والَّذِي في الكَواشِي والبَغَويّ وغيرهما ، أَنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى نوحٍ ، لأَنَّ اللهَ تَعالى ذَكَرَ من جُملتهمْ يونس ولُوطاً ، فقَالَ : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٥ ـ ٨٦] ويونس ولوط من ذُرِّيَّةِ نوحٍ لا مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبراهيم ؛ لكنَّ استدلالَهُ صَحيحٌ على القَوْلِ الثَّاني أَيْضاً .

● قَالَ ابنُ خلِّكان : كَانَ يَحْيَى بن يَعْمَر تابعيّاً ، عالِماً بالقُرآنِ والنَّحوِ ، وكَان شيعيّاً من الشِّيعَةِ الأُولى ، يَتَشَيَّعُ تَشَيُّعاً حَسَناً ، يَقُولُ بِتَفْضِيلِ أَهلِ البيتِ من غَيرِ تَنْقِيصٍ لأَحدٍ من الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم .

● قَالَ ابن خلِّكان[1] : خَطَبَ أَميرٌ بالبَصرَةِ ، فقَالَ : اتَّقُوا اللهَ ، فإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ الله فَلا هَوارَةَ عَلَيْهِ[2] ؛ فَلَمْ يَدْروا مَا قَالَ الأَميرُ ، فَسأَلُوا أَبا سعيدٍ يَحيى بن يَعْمَر العَدْوانيّ ، فقَالَ : الهوارَةُ : الضَّياعُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : من اتَّقى اللهَ فلا ضَياعَ عليه . والهوارات : المَهالِكُ ، واحِدُها هَوْرَةٌ ؛ وحُدِّثَ الأَصمعيُّ بِهذا الحَديثِ ، فقَالَ : إِنَّ الغَرِيبَ لواسعٌ ، لَمْ أَسْمَعْ بِهذا قطُّ .

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٧٥ . وفي النهاية لابن الأثير ٥/ ٢٨١ أَنَّ الخطيب هو أَنس رَضِيَ اللهُ عنه .

(٢) في الحديث : « مَنْ أَطاعَ ربَّهُ فلا هوارة عليه » . النِّهاية .

وتوفِّي يَحْيَى بن يَعْمَر سنةَ تسعٍ وعشرينَ ومئة .

وَيَعْمَر : بِفَتْح اليَاء والميم ، بينَهما عَيْنٌ مُهملةٌ ساكنةٌ ، وقيل : بِضمٍّ الميم ، والأَوَّل أَصحُّ . انتهى .

● **تَتِمَّةٌ** : قَالَ نصرُ اللهِ بن مجلى ـ وَكَانَ من الثّقاتِ وأَهلِ السُّنَّةِ[١] ـ : رَأَيْتُ عليَّ بن أَبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه في المَنامِ ، فقلت لَهُ : يا أَميرَ المؤمنين ، تفتحونَ مكَّةَ ، فتقولُون : مَن دَخَلَ دارَ أَبي سُفيان فهو آمِنٌ ، ثمَّ يَتِمُّ على وَلَدِكَ الحُسين ما تَمَّ ؟ فَقَالَ لِي : أَما سَمِعْتَ أَبْياتَ ابنِ الصَّيْفِيّ في هذا ؟ فقُلْتُ : لا ، فَقَالَ : اسمعها منهُ ؛ ثمَّ انتبهتُ ، فبادرتُ إِلى حَيْصَ بَيْصَ فذكَرْتُ لَهُ الرُّؤْيَا ، فَشهقَ وَبَكى ، وحلفَ باللهِ لَمْ تخرجْ مِنْ فَمِهِ ولا خَطِّهِ إِلى أَحدٍ ، وما نَظَمَها إِلاَّ في لَيلَتِهِ ؛ ثمَّ أَنْشدني قَوْلَهُ[٢] : [من الطَّويل]

مَلَكْنا فَكَانَ العَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً ... فَلَما مَلَكْتُمْ سَالَ بِالدَّمِ أَبْطَحُ
وَحَلَّلْتُمُ قَتْلَ الأَسَارَى وَطَالَما ... عَدَوْنا على الأَسْرَى فَنَعْفُو ونَصْفَحُ
وَحَسْبُكُمُ هذا التَّفاوُتُ بَيْنَنَا ... وَكُلُّ إِناءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

واسمُ الحَيْصَ بَيْصَ[٣] : سعدُ بن محمَّد ، أَبو الفوارِسِ ، التَّميميّ ، شاعرٌ مشهورٌ ، ويُعرفُ بابْنِ الصَّيْفيِّ ؛ وَلُقِّبَ بالحَيْصِ بَيْصِ ، لأَنَّهُ رَأَى النَّاسَ يَوْماً في حركةٍ مُزعجةٍ وأمرٍ شَديدٍ ، فَقَالَ : ما لِلنَّاسِ في حَيْصَ بَيْصَ ؟ فبَقِيَ عليه هذا اللَّقَبُ ؛ ومَعْنى هاتَيْن الكلمتين : الشِّدَّةُ والاخْتِلاطُ .

---

(١) وفيات الأَعيان ٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ومعجم الأُدباء ٣/ ١٣٥٥ وبغية الطلب ٦/ ٢٦٥٦ والوافي بالوفيات ١٥/ ١٦٧ .

(٢) ديوانه ٣/ ٤٠٤ .

(٣) ترجمته في : وفيات الأَعيان ٢/ ٣٦٢ ومعجم الأُدباء ٣/ ١٣٥٢ وطبقات الشافعية للسّبكيّ ٧/ ٩١ وسير أَعلام النبلاء ٢١/ ٦١ .

وَتَفَقَّهَ على مَذْهَبِ الإمام الشَّافعيِّ ، وغلَبَ عَليهِ الأَدَبُ ، وَنَظَمَ الشِّعْرَ وَكَانَ مُجيداً فِيهِ ؛ وَكَانَ إذا سُئِلَ عن عُمره يقولُ : أَنا أَعيشُ في الدُّنيا مُجازَفَةً ؛ لأَنَّهُ كَانَ لا يحفظُ مولده .

وتوفِّيَ سنةَ أَربعٍ وسَبعين وخَمسمئةٍ .

● ومن مَحاسِنِ شِعْرِهِ(١) : [من البسيط]

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ في الآفاقِ مُجْتَهِداً ... أَقْصِرْ عَنَاكَ فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومُ
الرِّزْقُ يَسْعَى إِلى مَنْ لَيْسَ يَطْلُبُهُ ... وَطالِبُ الرِّزْقِ يَسْعَى وَهْوَ مَحْرُومُ

وَلَهُ أَيْضاً(٢) : [من البسيط]

يا طَالِبَ الطِّبِّ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ ... إِنَّ الطَّبيبَ الذي أَبْلاكَ بِالدَّاءِ
هُوَ الطَّبيبُ الَّذي يُرْجَى لِعافِيَةٍ ... لا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التِّرياقَ في الماءِ

وَلَهُ أَيْضاً(٣) : [من الرَّمل]

أَلْهُ عما اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ ... أَيُّها القَلْبُ وَدَعْ عَنْكَ الحُرَقْ
فَقَضاءُ اللهِ لا يَدْفَعُهُ ... حَوْلُ مُحْتالٍ إذا الأَمْرُ سَبَقْ

وله أيضاً(٤) : [من البسيط]

أَنْفِقْ وَلا تَخْشَ إِقْلالاً فَقَدْ قُسِمَتْ ... على العِبادِ مِنَ الرَّحْمَنِ أَرْزَاقُ
لا يَنْفَعُ البُخْلُ مَعْ دُنْيا مُوَلِّيَةٍ ... ولا يَضُرُّ مَعَ الإِقْبالِ إِنْفَاقُ

---

(١) ليسا في ديوانه .

(٢) ليسا له ، وهما للفرزدق في منتخب من كتاب الشعراء لأبي نعيم ٣٣ وتاريخ دمشق ٤٤/ ٤٤٦ ومختصره ١٦/ ١٠ والمجالسة ٧/ ١٤٩ وربيع الأبرار ٥/ ١١٠ والمستطرف ٣/ ٣٠٥ . وليسا في ديوانه .

(٣) ليسا في ديوانه .

(٤) هما له في إعلام الناس، وينسبان إلى الإمام عليّ في ديوانه ٣٠٠ . ولجحظة البرمكي، ديوانه ١٩٥ .

● **الأَمثالُ** : قالوا : « أَعَزُّ مِنْ مُخِّ البَعُوضِ »[1] . وَقَالُوا : « كَلَّفْتني مُخَّ البَعُوضِ »[2] ؛ يُضْرَبُ لِمَنْ يُكَلَّفُ الأُمورَ الشَّاقَّةَ ؛ و« أَضعفُ من بَعُوضَةٍ »[3] .

● **فائدةٌ** : قَوله تعالى[4] : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة : ٢٦] قَالَ الحَسَنُ وغيرُهُ : سببُ نُزُولِها : أَنَّ الكُفَّارَ أَنْكَرُوا ضربَ الأَمْثَالِ في غَيْرِ هَذِهِ السُّورَةِ بالذُّبابِ والعَنكبوتِ ؛ وقيلَ : لَمَّا ضَرَبَ اللهُ تَعالى المَثَلَين في أَوَّلِ السُورَةِ للمُنافقين : يَعْنِي قوله تَعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] وقولَه تَعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ١٩] قالوا : اللهُ أَجَلُّ وَأَعلى من أَنْ يضربَ الأَمثالَ ؛ فأَنزل اللهُ تَعالى هذه الآيَةَ .

قَال الكسائيُّ وأَبُو عُبيدة وغيرُهما : المعنى : فَما فَوْقَها في الصِّغَرِ .

وَقال قَتادةُ وابنُ جُريجٍ وغيرُهما : المعنى : في الكِبَرِ .

قَالَ ابنُ عَطِيَّة : والكُلُّ مُحتملٌ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٧٥ **البَعِيرُ** : سُمِّيَ بَعيراً ، لأَنَّهُ يَبْعَرُ ؛ يُقَالُ : بَعَرَ البَعِيرُ يَبْعَرُ ـ بِفَتحِ العَيْنِ فيهما ـ بَعْراً ـ بِإِسْكانِ العَيْن ـ كَذَبَحَ يَذْبَحُ ذَبْحاً ؛ قَالَهُ ابنُ السِّكِّيت .

وهو اسمٌ يَقَعُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى ، وهو[5] من الإِبلِ بمنزلةِ الإِنسانِ من النَّاسِ .

فَالجَمَلُ بمنزِلَةِ الرَّجلِ ؛ والنَّاقَةُ بمنزلةِ المرأَةِ ؛ والقَعودُ بمنزلَةِ الفَتَى ؛

---

(١) الميداني ٢/ ٥٤ والزمخشري ١/ ٢٤٧ والدرة الفاخرة ١/ ٢٩٧ .

(٢) الميداني ٢/ ١٤٧ والزمخشري ٢/ ٢٢٣ .

(٣) الميداني ١/ ٤٢٧ والزمخشري ١/ ٢١٦ والدرة الفاخرة ١/ ٢١٦ .

(٤) أَسباب النزول للواحدي ٥٩ .

(٥) عن الصحاح ٢/ ٥٩٣ (بعر) .

والقَلُوصُ بمنزِلَةِ الجارِيَةِ .

وحُكِيَ عن بعضِ العربِ : صَرَعَتْنِي بَعِيري : أَي ناقَتِي ؛ وشَربتُ من لبنِ بَعِيرِي ؛ وإِنَّما يُقالُ لَها : بَعيرٌ ، إِذا أَجْذَعَ ؛ والجمعُ أَبْعِرَةٌ وأَباعِرُ وبُعْرانٌ .

قَالَ مُجاهد في قَوْله تَعالَى : ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف : ٧٢] : أَرادَ بِالبعيرِ : الحمارَ ؛ لأَنَّ بعضَ العربِ قَالَ : يُقالُ للحِمارِ : بَعِيْرٌ[1] ؛ وَهَذا شاذٌّ .

ولو أُوصيَ ببعيرٍ ، تَناوَلَ النَّاقَةَ على الأَصَحِّ ؛ وهو كالخِلافِ في تناوُلِ الشَّاةِ الذَّكرِ وإِن كان عكسه في الصَّورةِ ؛ والوجهُ الثَّانِي : عدمُ التَّناولِ ، وهو المَحْكِيُّ عن النَّصِّ ، والمعروفُ في كَلامِ الناسِ خِلافُ كَلامِ العربِ ، تَنْزيلاً للبَعيرِ مَنزلةَ الجَمَلِ .

قَالَ الرَّافعيُّ : وَرُبَّما أَفهمَكَ كلامُهم تَوَسُّطاً في تَنْزِيلِ النَّصِّ على ما إِذا عَمَّ العُرْفُ باسْتِعْمَالِ البَعِيرِ بمعْنَى الجَمَلِ ، والعَمَل بِما تقتضيه اللُّغةُ إِذا لَمْ يَعُمَّ .

لا جَرَمَ ؛ قَالَ الشَّيْخُ الإمامُ السُّبْكِيّ : إِنَّ تَصحيحَ خِلافِ النَّصِّ في مثلِ هَذِهِ المسائِلِ بَعيدٌ ، لأَنَّ الشَّافعيَّ رَضِيَ اللهُ عنه أَعرفُ باللُّغَةِ ، فَلا يَخرجُ عنها إِلاَّ لِعُرْفٍ مُطَّرِدٍ ؛ فإِنْ صَحَّ عُرْفٌ بِخلافِ قَوْلِه اتُّبِعَ ، وإِلاَّ فالأَوْلَى اتِّباعُ قَوْلِهِ .

● فرعٌ : لَوْ وَقَعَ بَعيرانِ في بئْرٍ ، أَحدُهما فوقَ الآخَر ، فَطُعِنَ الأَعْلَى ، ومَاتَ الأَسْفَلُ بثِقْلِهِ : حُرِّمَ الأَسْفَلُ ، لأَنَّ الطَّعْنَةَ لَمْ تُصِبْهُ ؛ فإِنْ أَصابَتْهُما حَلاَّ جَميعاً ، فإِذا شَكَّ هل مَاتَ بالثِّقْلِ أَمْ بالطَّعْنَةِ النَّافِذَةِ ، وقَدْ عُلِمَ أَنَّها أَصابَتْهُ قَبْلَ مُفارَقَةِ الرُّوحِ ؛ حَلَّ . وإِنْ شَكَّ هل أَصابَتْهُ قبلَ مُفارَقَةِ الرُّوحِ أَمْ بعدَها ؟ قَالَ البَغويُّ في « الفتاوى » : يَحتملُ وَجهين ، بناءً على أَنَّ العبدَ الغائِبَ المُنقطِعَ خَبَرُهُ ، هُلْ يُجزِىء إِعتاقُه عن الكَفَّارَةِ أَمْ لا . ومن ذَلِكَ : ما لو رَمَى غيرَ

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٨٤ .

مَقدورٍ عليهِ ، فَصَارَ مَقدوراً عليهِ ، ثمَّ أَصابَ غيرَ مَذْبَحِه : لَم يحلَّ ؛ وَلَوْ رَمَى مَقدوراً عليهِ ، فَصَارَ غيرَ مَقدورٍ عليهِ ، فأَصابَ غَيْرَ مَذْبَحِهِ : لَمْ يَحلَّ ؛ فإِنْ أَصابَ مَذْبَحَهُ : حَلَّ .

● وفي « سننِ أَبي داود » و« النَّسائي » و« ابن ماجه »[1] ، عن عبد الله بن عَمرو رَضِيَ الله تَعالى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِذا تَزَوَّجَ أَحدُكم امرأَةً ، أَوِ اشْتَرَى جارِيَةً أَوْ غُلاماً أَوْ دابَّةً ، فلْيَأْخُذْ بناصِيَتِها ، وَليقلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وخَيْرَ ما جُبِلَ عَلَيْهِ ، وأَعُوذُ بكَ من شَرِّهِ وشَرِّ ما جُبِلَ عَلَيْهِ ؛ وإِذا اشْتَرى بَعيراً ، فلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنامِهِ ، وَلْيَدْعُ بالبَرَكَةِ ، وليقلْ مِثْلَ ذَلِكَ » .

● **فائدةٌ** : قال ابنُ الأَثيرِ[2] : خَرَجَ خلاَّدُ بن رافعٍ وأَخُوهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما إِلى بدرٍ على بعيرٍ أَعجفَ ، فلمَّا انتهينا إِلى قُربِ الرَّوحاءِ بَرَكَ البعيرُ . قَالَ : فَقُلْنا : اللَّهُمَّ لَكَ علينا إِنِ انتهينا إِلى بدرٍ أَنْ ننحرَهُ ؛ فرآنا النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ : « ما بالُكما ؟ » فأَخبرْناهُ ، فَنَزَلَ النَّبيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ ، ثمَّ بَزَقَ في وُضُوئِه ، ثمَّ أَمَرَنا ففتحْنا فَمَ البَعيرِ ، فَصَبَّ في جَوْفِهِ ، ثمَّ على رَأْسِهِ ، ثمَّ على عُنقِهِ ، ثمَّ على غارِبِهِ ، ثمَّ على سَنامِهِ ، ثمَّ على عَجزِهِ ، ثمَّ على ذَنَبِهِ ، ثمَّ قَالَ ﷺ : « اللَّهُمَّ احمل رافِعاً وخلاَّداً » فَقُمْنا نَرتحلُ ، فأَدركْنا أَوَّلَ الرَّكْبِ ، فلمَّا انتهينا إِلى بَدْرٍ بَرَكَ ، فَنحرناهُ ، وتَصَدَّقْنا بِلَحْمِهِ .

● **فائدةٌ أُخرى** : روى أَبُو القاسِمِ الطَّبرانيّ في كتاب « الدَّعوات » عن زيد ابن ثابت رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قَالَ[3] : غَزَوْنا غَزْوةً مع رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى إِذا كُنَّا في مَجمعِ طُرقِ المَدينةِ ، فبصرنا بأَعرابيٍّ ، أَخذَ بخِطامِ بَعيرِهِ ، حتَّى وَقَفَ

---

(١) أَبو داود (٢١٦٠) وابن ماجه (١٩١٨) والموطأ ٢/ ٥٤٧ (كتاب النِّكاح) .

(٢) أُسد الغابة ٢/ ١٤١ رقم ١٤٦٨ . ومختصراً في الإِصابة ٢/ ٢٨٤ رقم ٢٢٨١ .

(٣) الدعاء للطبرانيّ ٢/ ١٢٩١ (١٠٥٤) .

على رَسُولِ اللهِ ﷺ ونَحنُ حولَهُ ، فقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبيُّ ورحمةُ اللهِ وبَرَكاتِهِ ، فردَّ عليه النَّبيُّ ﷺ السَّلامَ ، وَقَالَ : « وَكَيْفَ أَصبحتَ ؟ » فَجَاءَ رَجُلٌ كَأَنَّهُ حَرَسيٌّ ، فَقَالَ : يا رَسولَ اللهِ ، هذا الأَعرابيُّ سرقَ بَعيري هذا ؛ فَرغا البعيرُ وحَنَّ ساعةً ، فأَنصتَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ يسمعُ رُغاءَهُ وحَنينه ؛ فلمَّا هَدَأَ البعيرُ أَقبلَ النَّبيُّ ﷺ على الحَرَسيِّ ، وَقَال : « انْصَرِفْ عنه ، فإِنَّ البَعيرَ يشهدُ أَنَّكَ كاذِبٌ » . فانْصَرَفَ الحَرَسيُّ ، وَأَقبلَ النَّبيُّ ﷺ على الأَعرابيِّ وَقَالَ : « أَيَّ شَيْءٍ قُلْتَ حِينَ جِئْتَنِي ؟ » فَقَالَ : بِأَبي أَنتَ وأُمي يا رَسُولَ اللهِ ، قلتُ : اللَّهُمَّ صَلِّ على محمَّدٍ حتَّى لا تَبْقى صَلاةٌ ، اللَّهُمَّ وبارِكْ على محمَّد حتَّى لا تَبْقى بَرَكَةٌ ، اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ على محمَّدٍ حتَّى لا يَبقى سَلامٌ ، اللَّهُمَّ وارحمْ محمَّداً حَتى لا تَبقى رحمةٌ ؛ فَقَالَ ﷺ : « إِنَّ اللهَ تبارَكَ وتَعالى أَبداها لِي ، والبعيرُ ينطقُ بعُذرِهِ ، وإِنَّ الملائِكَةَ قَدْ سَدُّوا أُفُقَ السَّماءِ » .

● وَفيهِ أَيضاً عن نافعٍ عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ تَعالى عنهما، قَالَ[1] : « جاؤُوا برجُلٍ إِلى النَّبيِّ ﷺ فَشَهِدُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ سرقَ ناقةً لَهُم ، فأَمَرَ [بِهِ] النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُقطعَ ، فَوَلَّى الرَّجُلُ وهو يقولُ : اللَّهُمَّ صَلِّ على محمَّدٍ حَتَّى لا يَبقى من صَلَواتِكَ شَيْءٌ ، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ حتَّى لا يَبقى من بَرَكاتِكَ شَيءٌ ، وسَلِّمْ على محمَّد حتى لا يَبقى من سَلامكَ شيءٌ ؛ فتكَلَّمَ البَعيرُ وَقَالَ : يا مُحَمَّد إِنَّهُ بَرِيءٌ من سَرقتي ؛ فقال النَّبيُّ ﷺ : « مَنْ يأتِيني بالرَّجُلِ ؟ » فابْتَدَرَ إِلَيْهِ سَبعونَ من أَهلِ بدرٍ ، فجاؤُوا بِهِ إِلى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ : « يا هَذَا ، ما قُلْتَ آنِفاً ؟ » فأَخبرهُ بما قال ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « لأَجلِ ذَلِكَ رَأَيْتُ الملائِكَةَ يَخترِقُونَ سِكَكَ المدينةِ ، حتَّى كادُوا يَحُولُونَ بيني وبينَكَ » . ثمَّ قَالَ ﷺ : « لَتَرِدَنَّ على الصِّراطِ ، وَوَجْهُكَ أَضْوأُ مِنَ القَمرِ لَيْلَةَ البَدْرِ » . اهـ .

---

(١) الدعاء للطبراني ٢/ ١٢٩١ (١٠٥٥) .

وسيأْتِي إن شاء الله تعالى في « النَّاقة » حديثٌ رواه الحاكم في هذا المعنى .

● وَرَوَى « ابنُ ماجَه » ، عَن تَميمِ الدَّاريّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ[1] : « كُنَّا جُلُوساً مع رسولِ الله ﷺ إذْ أَقبلَ علَيْنا بَعيرٌ يَعْدُو ، حتَّى وَقَفَ على هامَةِ رسولِ الله ﷺ وَرَغا ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : أَيُّها البَعيرُ ، اسكُنْ ؛ فإنْ تَكُ صادِقاً فَلَكَ صِدْقُكَ ، وَإِنْ تَكُ كاذِباً فَعليكَ كَذِبُكَ ؛ مع أَنَّ اللهَ قَدْ أَمَّنَ عائِذنا ، وليس بخائبٍ لائِذُنا ؛ فَقُلنا : يا رَسُولَ اللهِ ، ما يَقُولُ هَذا البَعيرُ ؟ فَقَالَ ﷺ : هَذَا بَعيرٌ قَدْ هَمَّ أَهْلُهُ بنَحْرِهِ وأَكْلِ لَحمِهِ ، فهربَ منهم ، واستغاثَ بِنَبِيِّكم ؛ فبينَما نحن كذلك إِذْ أَقبلَ أَصحابهُ يَتعادَون ، فلمَّا نَظَرَ إِليهم البعيرُ عَادَ إِلى هامَةِ رَسولِ الله ﷺ فَلاذَ بها ؛ فَقَالُوا : يا رسولَ اللهِ ، هذا بعيرُنا هربَ منذُ ثلاثَةِ أَيَّامٍ ، فَلَمْ نَلْقَهُ إِلاَّ بَيْنَ يَديكَ ؛ فَقَالَ ﷺ : أَما إِنَّهُ يَشْكُو إِليَّ ، وبئستِ الشِّكايةُ ؛ فقالُوا : يا رَسُولَ اللهِ ، ما يَقُولُ ؟ قال : يقولُ : إِنَّهُ رُبِّيَ في أَمْنِكُم أَحوالاً ، وكُنتُمْ تَحمِلُونَ عليهِ في الصَّيْفِ إِلى مَوْضِعِ الكَلأِ ، فإذا كَانَ الشِّتَاءُ حَملتُم عليهِ إِلى موضعِ الدِّفْءِ ، فلمَّا كبرَ اسْتفحلتُمُوهُ ، فرَزَقَكم اللهُ تَعالى منهُ إِبلاً سائِمَةً ، فلمَّا أَدْرَكَتْهُ هذه السَّنةُ الخِصْبَةُ همَمْتُم بِنَحْرِهِ وأَكلِ لَحْمه ؛ فقَالُوا : يا رسولَ الله ، قَد واللهِ كَانَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : مَا هَذَا جَزاءُ المملوكِ الصَّالحِ من مَوالِيهِ ؛ فقَالُوا : يا رَسولَ اللهِ ، فإِنَّا لا نَبيعُه ولا نَنحرهُ ؛ فقَالَ النَّبيُّ ﷺ : كَذَبْتُم ، فَقَدِ استغَاثَ بكُمْ فَلَمْ تُغيثوهُ ، وَأَنا أَوْلى بالرَّحْمَةِ منكم ؛ فإِنَّ اللهَ تَعالى قَدْ نَزَعَ الرَّحمةَ من قُلُوبِ المُنافقينَ ، وَأَسكنَها في قلوبِ المؤمنين . فاشتَراه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ منهم بمئة درهمٍ ؛ وَقَالَ : أَيُّها البَعيرُ انطلقْ ، فأَنتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ .

---

(١) لم يرْوِهِ ابن ماجه .

قَالَ : فَرَغا البَعيرُ على هامَةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : آمين ؛ ثمَّ رَغا الثَّانيةَ ، فقَالَ : آمين ، ثمَّ رَغَا الثَّالثَةَ ، فقَالَ : آمين ، ثمَّ رَغا الرَّابعةَ ، فبَكَى عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فقُلْنا : يا رَسُولَ اللهِ ، ما يَقُولُ هذا البَعيرُ ؟ قالَ ﷺ : قَالَ : جَزاكَ اللهُ أيُّها النَّبيُّ عن الإسلامِ والقُرآنِ خَيْراً . فقلتُ : آمين ؛ ثمَّ قَالَ : سَكَّنَ اللهُ رُعْبَ أُمَّتِكَ يَومَ القيامَةِ ، كَما سَكَّنْتَ رُعْبِي ؛ فقُلتُ : آمينَ ؛ ثمَّ قَالَ : حَقَنَ اللهُ دِماءَ أُمَّتِكَ من أعدائِها كما حقنتَ دَمِي ؛ فقُلتُ : آمين ؛ ثمَّ قَالَ : لا جَعَلَ اللهُ بأْسَها بينَها ؛ فَبكيتُ ، فإنَّ هَذِهِ الخِصالَ سألْتُها رَبِّي فأَعطانِيها ، ومَنَعَنِي هَذِهِ ؛ وأَخبرنِي جبريلُ عليْهِ السَّلامُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ فَناءَ أُمَّتِي بِالسَّيْفِ ، جَرَى القلمُ بِما هو كائِنٌ » .

● **تَتمَّةٌ** : قَالَ الطُّرطوشيّ في « سِراجِ الملوكِ » وابنَ بَلبان ، والمَقدسي في « شَرحِ الأَسْمَاءِ الحُسنَى » وغيرهم ، عن الفَضلِ بن الرَّبيعِ ، قَالَ[1] :

حَجَّ الرَّشيدُ ، فبينَما أَنا نائِمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، إِذْ سَمعتُ قَرْعَ البابِ ، فقلتُ : مَن هَذَا ؟ قِيلَ : أَجِبْ أَميرَ المؤمنين ؛ فخرجتُ مُسرِعاً ، فَوجدتُ الرَّشيدَ ، فقلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، لَو أَرسلتَ إِليَّ أَتيْتُكَ . فَقَالَ : وَيْحَك ! قَدْ حَاكَ في نَفْسِي أَمْرٌ لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ عالِمٌ ، فانْظُرْ لِي رَجُلاً أَسْأَله عنه ؛ فَقُلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، ها هُنا سُفيان بن عُيينة . قَالَ : فامْضِ بنا إِلَيْهِ ؛ فأَتيناهُ فقرَعْنا عَلَيْهِ البابَ ، فقَالَ : مَن هَذا ؟ فقُلتُ : أَجِبْ أَميرَ المؤمنين ؛ فَخرجَ مُسرِعاً ، وَقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، لَو أَرسلْتَ إِليَّ أَتَيْتُكَ . قَالَ : جِدَّ لِما جِئْنا لَهُ . فحادَثَهُ ساعةً ، ثمَّ قَالَ لَهُ : أَعَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نعم . قَالَ : يا عبّاسيُّ[2] ،

---

(١) سراج الملوك ١/ ١٢١ ـ ١٢٦ وحلية الأَولياء ٨/ ١٠٥ ومختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢٣ وسير أَعلام النبلاء ٨/ ٤٢٨ والمستطرف ١/ ٢٦٣ . ومختصراً في وفيات الأَعيان ٤/ ٤٧ ـ ٤٨ .

(٢) في الأصول وسراج الملوك : يا عبّاس ! .

اقْضِ دَيْنَهُ ؛ ثمَّ انْصَرَفنا ، فقال : ما أَغنى عَنِّي صاحِبُكَ هذا شَيْئاً ، فانظرْ لِي رَجُلاً أَسْأَلُه . قلت : هَا هُنا عبد الرَّزَّاقِ بن هَمَّامٍ[1] ، فَقَالَ : امْضِ بنا إِلَيْهِ نَسْأَله ؛ فَأَتَيْناهُ فقَرعْنا عليهِ البابَ ، فَقَالَ : من هَذَا ؟ فَقُلتُ : أَجِبْ أَميرَ المؤمنين ؛ فخرجَ مُسْرِعاً ، وَقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، لو أرسلتَ إِليَّ أَتيتُكَ . قَالَ : جِدَّ لِما جِئْنا لَهُ . فحادَثَهُ ساعةً ، ثمَّ قَالَ : أَعَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نعم . قَالَ : يا عبّاسيُّ ، اقْضِ دَيْنَهُ ؛ ثمَّ انصرفنا ، فَقَالَ : ما أَغْنى عَنِّي صاحِبُكَ شَيْئاً ، فانْظُرْ لِي رَجُلاً أَسْأَلُهُ . قَالَ : فَقُلْتُ : هَا هُنا الفُضَيْلُ بن عِياضٍ ؛ قَالَ : امْضِ بنا إِلَيْهِ ؛ فأَتَيْناهُ ، فإِذا هو قائِمٌ يُصَلِّي ، يَتْلُو آيَةً من كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُرَدِّدُها ؛ فقرعتُ البابَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فقلتُ : أَجِبْ أَميرَ المؤمنين . فقالَ : ما لِي ولأَميرِ المؤمنين ؟ فقُلتُ : سُبحانَ اللهِ ، أما تُجِبُ عليكَ طاعتُه ؟ فَقَالَ : أَوَ لَيْسَ قد رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ[2] : « لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ أن يُذِلَّ نَفْسَهُ ؟ » . وَفَتحَ البابَ ، ثمَّ ارْتَقى إِلى أَعلى الغُرفَةِ مُسْرِعاً ، فأَطفأَ السِّراجَ ، والْتَجأَ إِلى زاويةٍ من زَوايا الغُرفةِ ؛ فَجَعَلْنا نَجُولُ عَلَيْهِ بأَيدينا ، فسبقتْ كَفُّ الرَّشِيدِ إِليه ، فَقَالَ : أَوَّاهُ ، ما أَلْيَنَها من يَدٍ إِنْ نَجَتْ غداً من عذابِ اللهِ !

[قَالَ] : فقُلتُ في نَفْسِي : لَيُكَلِّمَنَّهُ اللَّيْلَةَ بكلامٍ نَقيٍّ من قلبٍ تَقيٍّ ؛ فَقَالَ : جِدَّ لِما جِئْنا له . قَالَ : وفِيمَ جِئْتَ ؟ حَملتَ[3] على نَفْسِكَ ، وجَميعُ مَن مَعَكَ حَملُوا[3] عَلَيْكَ ، حتَّى لَوْ سألتَهم عند انْكِشَافِ الغِطاءِ عنكَ وعنهم أَنْ يَحمِلُوا عنكَ شِقْصاً[4] من ذَنْبٍ ما فَعَلُوا ، وَلَكانَ أَشَدُّ حُبّاً لَكَ أَشَدَّهم هَرَباً

---

(١) في الأُصول : عبد الرَّزَّاق بن همام واعظ العراق ! . والمعروف أَنَّ عبد الرزاق واعظ اليمن ؛ ولم تردِ العبارةُ في مصادر الخبر .

(٢) التّرمذيّ (٢٢٥٤) وابن ماجه (٤٠١٦) ومسند أَحمد ٥/ ٤٠٥ .

(٣) في أ : خطئت . . . خطئوا عليك . وهي روايةٌ جيِّدةٌ .

(٤) الشِّقص : الشَّيء القليل .

منكَ . ثمَّ قَالَ : إنَّ عُمر بن عبد العزيز لَمَّا وَلِيَ الخِلافَةَ ، دَعا سالِمَ بن عبد اللهِ ابن عمر ومحمَّد بن كعب القُرَظيّ ورجاء بن حَيْوَةَ ، وَقَالَ لَهُمْ : إنِّي قَدْ ابتُليْتُ بِهَذَا البَلاءِ ، فَأَشِيرُوا عليَّ ؛ فَعَدَّ الخِلافَةَ بَلاءً ، وعَدَدْتَها أَنْتَ وَأَصْحابُكَ نِعمةً .

فَقَالَ لَهُ سالم بن عبد الله : إنْ أَردتَ النَّجاةَ غَداً من عذابِ اللهِ ، فَصُمْ عَنِ الدُّنيا ؛ ولْيَكُنْ إفْطارُكَ فيها على الموتِ .

وَقَالَ لَهُ محمَّد بن كَعبٍ : إنْ أَرَدْتَ النَّجاةَ غداً من عَذَابِ اللهِ ، فليكنْ كَبيرُ المُسْلِمين لَكَ أَبَاً ، وأَوْسَطُهم لَكَ أَخاً ، وأَصغرُهم لَكَ وَلَداً ؛ فَبِرَّ أَباكَ ، وارحمْ أَخاكَ ، وتَحَنَّنْ على وَلَدِكَ .

وَقَالَ لَهُ رَجاء بن حَيْوَةَ . إنْ أَرَدْتَ النَّجاةَ غداً من عَذَابِ اللهِ ، فأَحبَّ للمُسْلِمينَ ما تُحِبُّ لِنفسِكَ ، واكْرَهْ لهم ما تكرهُ لِنَفْسِكَ ، ثمَّ متى شِئْتَ مُتَّ .

وإنِّي لأَقُولُ لَكَ هَذَا ، وإنِّي لأَخافُ عليْكَ أَشَدَّ الخَوْفِ ، يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ ؛ فهل معكَ ـ يرحمكَ اللهُ ـ مثلَ هؤلاءِ القَوْمِ ، مِمَّنْ يَأْمُركَ بِمِثْلِ هَذَا ؟ .

قَالَ : فَبَكى هارون الرَّشيدُ بُكاءً شديداً ، حتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : ارفق بأَميرِ المؤمِنِينَ ؛ فقَالَ : يا ابْنَ الرَّبيع ، قَتَلْتَهُ أَنْتَ وَأَصْحابُكَ ، وأَرفقْ أَنا بِهِ ؟ ثمَّ أَفاقَ فقَالَ : زِدْنِي ؛ فقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، بَلَغَنِي أَنَّ عامِلاً لعمر بن عبد العَزيز شَكَا إِلَيْه السَّهَرَ ، فكَتَبَ إليه عُمر يَقُولُ : يا أَخي ، اذْكُرْ سَهَرَ أَهْلِ النَّارِ في النَّارِ ، وخُلُودَ الآبادِ فِيها ؛ فإِنَّ ذَلِكَ يَطرُدُ بكَ إِلى رَبِّكَ نائِماً ويَقْظان ؛ وإِيَّاكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمُكَ عن هذا السَّبيلِ ، فَيكون آخرَ العهدِ بِكَ ، ومُنقطعَ الرَّجاءِ منكَ ، والسَّلامُ .

فلمَّا قَرَأَ كِتابَهُ ، طَوَى البِلادَ حتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ عُمرُ : ما أَقْدَمَكَ ؟

قَالَ : خَلعْتَ قلبي بِكتابِكَ ، لا وَلِيْتُ لَكَ وِلايَةً أَبداً حَتى أَلْقَى الله سُبحانَهُ وتَعالى .

فَبَكى هارُونُ بُكاءً شَدِيداً ، ثمَّ قَالَ : زِدْنِي يَرحمُكَ الله ، فقَالَ : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ جَدَّكَ العبَّاس رَضِيَ اللهُ عنه عَمَّ النَّبيِّ ﷺ جاءَهُ فقَالَ : يا رَسُولَ الله ، أَمِّرْنِي على إمارَةٍ ؛ فقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « يا عبَّاسُ ، يا عَمَّ النَّبيِّ ، نَفْسٌ تُحيِيها خَيرٌ من إِمارَةٍ لا تُحْصِيها ؛ إِنَّ الإمارَةَ حَسْرَةٌ ونَدامَةٌ يَوْمَ القِيامَةِ ، فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تكُونَ أَميراً فافعلْ » .

فَبَكَى هارون بُكاءً شَديداً ، ثمَّ قَالَ : زِدْنِي يَرْحَمُكَ اللهُ ؛ فقَالَ : يا حَسَنَ الوَجْهِ ، أَنْتَ الذي يَسْأَلُكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ عن هذا الخَلْقِ ، فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَقِيَ هذا الوَجهَ مِنَ النَّارِ فَافعلْ ؛ وإِيَّاكَ أَنْ تُصبحَ أَوْ تُمسِيَ وفي قلبِكَ غِشٌّ لِرَعِيَّتِكَ ؛ فقد قال النَّبيُّ ﷺ : « مَنْ أَصْبَحَ لَهُم غاشّاً لَمْ يَرَحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ » .

فَبَكَى هارونُ بُكاءً شَديداً ، ثمَّ قَالَ : أَعَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نعم ، دَيْنٌ لِرَبِّي يُحاسِبُنِي عليهِ ، فَالويلُ لِي إِنْ سَأَلَنِي ، والوَيْلُ لِي إِنْ لَمْ يُلهِمنِي حُجَّتِي ؛ فَقَالَ هارونُ : إِنَّما أَعْنِي دَيْنَ العِبادِ ؛ فَقَالَ : إِنَّ رَبِّي لَمْ يَأْمرنِي بِهذا ، وإِنَّما أَمَرَنِي أَن أُصَدِّقَ وَعْدَهُ ، وأُطيعَ أَمْرَهُ ؛ فَقَالَ تعالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذَّاريات : ٥٦ ـ ٥٨] فقَالَ لَهُ الرَّشيدُ : هَذِهِ أَلفُ دِينارٍ ، خُذْهَا فأَنْفِقْها على عِيالِكَ . وتَقَوَّ بها على عِبادَةِ رَبِّكَ ؛ فقَالَ فُضيل : سُبْحانَ اللهِ ! أَنا أَدُلُّكَ على النَّجاةِ ، وَتُكافِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا ؟ سَلَّمَكَ اللهُ ؛ ثمَّ صمتَ فَلَمْ يُكَلِّمْنا .

فَخَرَجْنا مِنْ عِنْدِهِ ، فقَالَ لِي الرَّشيدُ : إِذا دَلَلْتَني على رَجُلٍ ، فَدُلَّنِي على مِثْلِ هَذَا ، فإِنَّ هَذا سَيِّدُ المُؤمنينَ اليومَ .

وَيُرْوَى أَنَّ امرأَةً من نِسائِه دخَلَتْ عَلَيْه ، فقالت : يا هذا ، قد تَرَى ما نحنُ فِيه من ضِيقِ الحالِ ، فَلَوْ قَبِلْتَ هَذا المَالَ لانْفَرَجْنا بِهِ ؟ فَقَالَ : إن مَثَلِي ومَثَلَكُم كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانَ لَهم بَعيرٌ يأْكُلُونَ من كَسْبِهِ ، فلما كبرَ نَحَرُوهُ وأَكَلُوا لحْمَهُ ؛ مُوتُوا يا أَهْلِي جُوعاً ، ولا تَنْحَرُوا فُضَيْلاً .

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدُ ذَلِكَ . قَالَ : ادخُلْ بنا ، فَعَسَى أَنْ يَقْبلَ المَالَ . قَالَ : فَدَخَلْنا ، فلمَّا عَلِمَ بنَا الفُضيلُ ، خَرَجَ فَجَلَسَ على السَّطْحِ فَوْقَ التُّرابِ ؛ فَجاءَ هارُونُ الرَّشِيدُ فجَلَسَ إِلى جَنْبِهِ ، فَكَلَّمَهُ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْه ؛ فَبَيْنَما نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ جاريةٌ سَوداءُ ، فقالت : يا هذا ، قَدْ آذَيْتَ الشَّيْخَ منذ اللَّيْلَةِ ، فانْصَرِفْ يَرْحَمُكَ اللهُ راشِداً . فانْصَرَفْنا .

وَقَالَ القاضِي ابنُ خلّكان في تَرْجَمَةِ الفُضَيْلِ رحمهُ اللهُ[1] : فبلَغَ ذَلِكَ سُفيانَ الثَّوريّ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : يا أَبا عليّ ، قَدْ أَخْطَأْتَ في رَدِّكَ البَدْرَةَ ؛ أَلا أَخَذْتَها وَصَرَفْتَها في وُجُوهِ البِرِّ ؟ فَأَخَذَ بِلِحْيَتِه ، وَقَالَ : يا أَبا مُحمَّدٍ ، أَنْتَ فَقيهُ البلدِ ، والمنظورُ إِليْهِ ، وتَغلطُ مثلَ هذا الغلطِ ؛ لَوْ طابَتْ لأُولَئِكَ لَطَابَتْ لِي . اهـ .

وَلعلَّ المذكورَ إِنَّما كانَ سُفيان بن عُيينة ، لا سُفيان الثَّوريّ ، واللهُ أَعلمُ .

● وَقَالَ الرَّشيدُ لفُضيل بن عِياض[1] : يَرحمُكَ اللهُ ما أَزْهدَكَ ؟ فَقَالَ : أنتَ أزهدُ مِنِّي ، لأَنِّي أزهدُ في الدُّنْيا ، وأَنتَ تزهدُ في الآخِرَةِ ، والدُّنْيا فانيةٌ ، والآخرةُ باقِيَةٌ .

● وَقيلَ[2] : إِنَّ الفُضَيْلَ كانَتْ لَهُ ابنةٌ صغيرةٌ ، فَوجعَ كَفُّها ، فَسَأَلَها يوماً وَقَالَ : يا بُنَيَّةُ ، مَا حَالُ كَفِّكِ ؟ فقالَتْ : يا أَبتِ ، بخيرٍ ، واللهِ لئن كَانَ اللهُ

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٤٨ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٠/٣٠٩ .

تَعالَى ابْتَلى مِنِّي قَليلاً ، فلَقَدْ عافَى مِنِّي كَثِيراً ؛ ابْتَلَى كَفِّي ، وعافَى سائِرَ بَدَنِي ؛ فلَهُ الحمدُ على ذَلِكَ ؛ فَقَالَ : يا بُنَيَّةُ ، أَرِيني كَفَّكِ ؛ فَأَرَتْهُ ، فَقَبَّلَهُ ، فَقَالَتْ : يا أَبَتِ ، أُناشِدُكَ اللهَ ، هل تُحِبُّنِي ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ نعم ؛ فقالت : سَوْأَةً لَكَ مِنَ اللهِ ، واللهِ ما ظننتُ أَنَّكَ تُحبُّ معَ اللهِ سِواهُ ؛ فَصَاحَ الفُضَيْلُ وَقَالَ : يا سَيِّدِي ، صَبِيَّةٌ صغيرةٌ تُعاتِبُنِي في حُبِّي لِغيرِكَ ! وعِزَّتِكَ وجَلالِكَ لا أَحببتُ معكَ سِواكَ .

● وَشَكا[1] رَجُلٌ إِلى الفُضَيْل بن عِياضٍ حالَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يا أَخِي ، هَلْ من مُدَبِّرٍ غيرُ اللهِ تَعالى ؟ فقَالَ : لا ؛ قَال : فارْضَ بِهِ مُدَبِّراً .

● وَقَالَ[2] : إِنِّي لأَعْصي اللهَ تَعالَى ، فأعرفُ ذَلِكَ في خُلُقِ حِمارِي وخادِمِي .

● وَقَالَ[3] : إِذا أَحَبَّ اللهُ تَعالى عَبْداً أَكْثَرَ غَمَّهُ ، وإِذا أَبْغَضَه وَسَّعَ عَلَيْهِ دُنياه .

● وَقَالَ النَّوويُّ في « أَذْكارِهِ »[4] : قَالَ السَّيِّد الجليل فُضيل بن عِياض رضيَ الله تعالى عنه : تَرْكُ العَمَلِ لأَجلِ النَّاسِ رِياءٌ ، والعَمَلُ لأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ ، والإِخلاصُ أَنْ يُعافيَكَ اللهُ منهما .

وسُئِلَ الفُضيل بن عِياض رَضِيَ الله تعالى عنه عن المحبَّةِ ؟ فَقَالَ : هي أَنْ تُؤْثِرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ على ما سِواهُ .

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[5] : لَوْ كَانَ لِي دَعوةٌ مُستجابَةٌ ، لَمْ أَجعلْها إِلاَّ

---

(١) حلية الأَولياء ٨/ ٩٣ .

(٢) وفيات الأَعيان ٤/ ٤٨ .

(٣) حلية الأَولياء ٨/ ٨٨ ووفيات الأَعيان ٤/ ٤٨ .

(٤) الأذكار ٢٦ ومختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٣١٠ ووفيات الأَعيان ٤/ ٤٨ .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢٩ وسير أَعلام النبلاء ٨/ ٤٣٤ .

للإمامِ ؛ لأَنَّ اللهَ تَعالَى إذا أَصْلَحَ الإمامَ ، أَمَّنَ البِلادَ والعِبادَ .

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : لأَنْ يُلاطِفَ الرَّجلُ أَهلَ مَجْلسهِ ، ويُحَسِّنَ خُلُقَهُ مَعهم ، خَيرٌ لَهُ من قيامِ لَيلِهِ وصِيامِ نَهارِهِ .

وقَالَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : رُبَّما قَالَ الرَّجلُ : لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، أَوْ سُبْحانَ اللهِ ، فأَخْشَى عَلَيْهِ النَّارَ . فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : يُغتابُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٌ ، فيُعجبُه ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : لا إِلهَ إِلاَّ الله ، أَو سُبحانَ الله ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعهما ؛ وإِنَّما هوَ مَوضِعُ أَنْ يَنصحَ لَهُ فِي نَفْسهِ ، وَيَقُولَ : اتَّقِ اللهَ .

● وَبلغه رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَنَّ ابْنَهُ عَلِيّاً قَالَ : وَددتُ أَنْ أَكُونَ بِمكانٍ أَرى فَيهِ النَّاسَ ولا يَرَوْنِي . فَقَالَ : وَيْحَ عليٍّ ، لَوْ أَتَمَّها ، فَقَالَ : بِمكانٍ لا أَرَى فِيهِ النَّاسَ ولا يَرونِي .

وَكَانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قَدْ جاوَرَ بِمَكَّة ، وَأَقامَ بِها .

وتوفِّيَ في المحرَّمِ ، سنةَ سبعٍ وثمانين ومئة .

● وفي « تاريخ ابن خلِّكان »[1] : أَنَّ سُفْيانَ الثَّوريَّ بَلَغَهُ مَقدمُ الأَوزاعيِّ ، فَخَرَجَ إِلى مُلتقاهُ ، فَلَقِيَهُ بِذِي طُوى ، فَحَلَّ سُفيانُ خِطامَ بَعيرِهِ مِنَ القِطَارِ ، وَوَضَعه على رَقبَتِهِ ، فَكَانَ إِذا مَرَّ بِجَماعَةٍ قَالَ : الطَّريقَ للشَّيْخِ .

● **والأَوزاعيُّ**[2] : اسْمُهُ عبدُ الرَّحمن بن عَمرو بن يُحْمِد ، أَبو عمرو الأَوزاعيّ إِمامُ أَهلِ الشَّامِ .

قِيلَ : إِنَّهُ أَجابَ في سَبعينَ أَلف مَسأَلَةٍ ، وَكَانَ يَسْكنُ بَيروتَ .

---

(١) وفيات الأَعيان ٣/ ١٢٧ .

(٢) **ترجمته في** : حلية الأَولياء ٦/ ١٣٥ ووفيات الأَعيان ٣/ ١٢٧ وتاريخ دمشق ٤١/ ١٤٢ وسير أَعلام النبلاء ٧/ ١٠٧ .

ويُحْمِد[1] : بَضَمِّ الياءِ المثنَّاةِ وسُكُونِ الحاءِ المُهملة .

وَقَالَ النَّوويُّ في « تهذيب الأسماء واللُّغات »[2] : بِضَمِّ الياءِ المُثَنَّاةِ تحت ، وكسرِ الميم .

والأَوزاعيُّ من تابعي التَّابعين .

قَال الأَوزاعيُّ رحمهُ اللهُ تَعالَى : رَأَيْتُ رَبَّ العِزَّةِ في المَنامِ ، فقَالَ لِي : يا عبدَ الرَّحمنِ ، أَنتَ الذي تَأْمُرُ بالمعرُوفِ وتَنْهى عن المُنكر ؟ قُلْتُ : بفَضْلِكَ يا رَبُّ ؛ ثمَّ قُلْتُ : يا رَبُّ ، أَمِتْنِي على الإِسلامِ . فقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : وعلى السُّنَّةِ أَيضاً .

وتوفِّيَ رحمه الله في شهر ربيعِ الأَوَّل ، سنةَ سبعٍ وخَمسينَ ومئة .

● وَكَانَ سببُ مَوتهِ[3] : أَنَّهُ دَخَلَ حمَّامَ بيروتَ ، وَكَانَ لِصاحِبِ الحَمَّامِ شُغْلٌ ، فأَغلقَ البابَ عليهِ وذهبَ ، ثمَّ جَاءَ وفَتَحَ البابَ ، فَوَجَدَهُ مَيِّتاً ، قد وضع يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ، وهوَ مُستقبلٌ القِبْلَةَ .

وَقِيلَ : إِنَّ امرأَته فَعلت ذَلِك بِهِ ، ولَمْ تكن عامِدَةً لذلِك .

● والأَوْزاعُ : قَريةٌ بدمشقَ ، ولَمْ يكن أَبو عمرٍو منهم ، وإِنَّما نزلَ فِيهم فَنُسبَ إِليهم ؛ وهو من سَبي اليَمن .

وَقَالَ النَّوويُّ[4] : إِنَّهُ وُلِدَ بَبَعْلَبَكَّ ، سَنَةَ ثَمانٍ وثَمانِين .

وهو[5] مَدفونٌ في قِبلَةِ مَسْجِدِ حَنْتُوس ، وهي على بابِ بَيروت ، وأَهلُ

---

(١) في ط : وبحمد : بضمّ الباء الموحّدة . . . ! ! .
(٢) تهذيب الأَسماء واللُّغات ١/ ٢٩٨ .
(٣) وفيات الأَعيان ٣/ ١٢٨ .
(٤) تهذيب الأَسماء واللغات ١/ ٢٩٨ .
(٥) وفيات الأَعيان ٣/ ١٢٨ .

القريةِ لا يَعرفُونَهُ ؛ بل يَقُولُون : ها هُنا قَبْرُ رَجلٍ صالحٍ ينزلُ عَلَيْهِ النُّورُ ، ولا يَعرِفُهُ إلاّ الخَواصُّ من النَّاسِ . رحمةُ اللهِ عليهِ .

الحُكْمُ : البَعيرُ : تَقَدَّمَ حُكمه في الإبلِ ، ويُستحبُّ عندَ رُكُوبِ الإبلِ أَنْ يُذكر اسمُ الله تَعالى عليها ، لِما رَوى « أَحمد » و« الطَّبرانيّ » ، عن أَبي لاسٍ الخُزاعيّ ، قَالَ[1] : حَمَلَنا رسُولُ اللهِ ﷺ على إبلٍ من الصَّدَقَةِ ضِعافٍ للحَجِّ ، فَقُلْنا : يا رَسُولَ اللهِ ، ما نَرَى أَنْ تَحمِلَنا هَذه ؛ فَقَالَ : « مَا مِنْ بعيرٍ إلاّ وفي ذِرْوَتِهِ شَيطانٌ ، فإذا رَكبتُموها فاذْكُرُوا اسمَ اللهِ عَلَيْها كمَا أَمَرَكُم الله ، ثمَّ امتَهنوها لأَنْفسِكم ، يَحملُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

وَقَدْ أَشارَ البُخاريُّ في « صحيحه » في أَبوابِ الزَّكاةِ إلى بعضِ هذا الحديث ولم يذكرْه بتَمامه .

الأَمثالُ : قَالُوا : « أَخَفُّ حِلْماً من بَعيرٍ »[2] .

(وهو من قَولِ الشَّاعِرِ[3] : [من مجزوء الرَّمل]

ذاهِبٌ طُولاً وعَرْضاً ... وهْوَ في عَقْلِ البعيرِ

[ومن قول الآخر[4] :] [من الوافر]

يُصَرِّفُهُ الصَّبيُّ بكُلِّ وَجْهٍ ... وَيَحْبِسُهُ على الخَسْفِ الجَريرُ
وَتَضْرِبُهُ الوَليدَةُ بالهَراوَى ... فلا غِيَرٌ عَلَيْهِ ولا نَكيرُ)[5]

---

(١) مسند أَحمد ٤/ ٢٢١ .

(٢) الميداني ١/ ٢٥٤ والعسكري ١/ ٤٢٩ والزمخشري ١/ ١٠٢ والدرة الفاخرة ١/ ١٦٩ و١٧١ .

(٣) بلا نسبة في مصادر المثل .

(٤) بلا نسبة في مصادر المثل ؛ وهما للعبَّاس بن مرداس السُّلميّ في ديوانه ١٧٣ ، وقيل : لكثيِّر عزَّة ، وهما في ديوانه ٥٣٠ . وقيل : لمعاوية بن مالك (معوّد الحكماء) وهما في ديوانه ٥٧ (ضمن أَشعار العامريين) .

(٥) الزِّيادة من ب .

وَقَالُوا : « هُما كَرُكْبَتَي البَعيرِ »[1] ، إشارَةً إلى الاسْتِوَاءِ ـ كَمَا قَالُوا : « هُمَا كَفَرَسَي رِهانٍ » ـ والمَثَلُ لِهرم بن قُطْبَة الفَزاريّ ، وَقَدْ أَطَالَ فِيهِ المَيْدانيُّ وغيره .

وَقَالُوا : « كالحادِي وَليسَ له بَعيرٌ »[2] ؛ يُضْرَبُ للمُتَشَبِّعِ بما لَمْ يُعْطَ .

● وَأَحْسَنُ من هذا وأَوجزُ قوله ﷺ[3] : « المُتَشَبِّعُ بِما لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ » .

● وَقَالَ بعضُ المُعَمرين[4] : [من المنسرح]

أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلُ السِّلاحَ وَلا ... أَمْلِكُ رَأسَ البَعيرِ إنْ نَفَرا
والذِّئْبَ أَخْشَاهُ إنْ مَرَرْتُ بِهِ ... وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ والمَطَرَا
مِنْ بَعْدِ ما قُوَّةٍ أُصِبْتُ بِها ... أَصْبَحْتُ شَيْخاً أُعالِجُ الكِبَرا

● تذنيبٌ : قَال الإمامُ أَبُو الفَرَج بن الجوزيّ ، في « الأَذكِياءِ » وغيره[5] : رُويَ أَنَّ الحَسَنَ بن هانىء ، الشَّهيرَ بأَبي نُواسٍ ، قَالَ : استقبلَتني امرأَةٌ في هَوْدَجٍ على بَعيرٍ ، وَلَمْ تكُنْ تَعرِفُني ، فَأَسْفَرتْ عَنْ وَجْهِهَا ، فإذا هو في غايَةِ الحُسْنِ والجَمالِ ، فَقالت : ما اسْمُكَ ؟ فقُلْتُ : وَجهكِ ، فقالَت : الحَسَنُ إِذَن .

---

(١) الميداني ٢/ ٣٩١ و ١٥٨ والعسكري ٢/ ٣٥٨ و ٣٣٦ والزمخشري ٢/ ١١٨ وأَمثال أَبي عبيد ١٣٣ .

(٢) الميداني ٢/ ١٤٢ والعسكري ٢/ ١٤٧ والزمخشري ٢/ ٢٠٥ وفصل المقال ٣٠٣ وأَمثال أَبي عبيد ٢٠٨ و ٢٨٥ .

(٣) البخاري ٦/ ١٥٦ (كتاب النكاح ـ باب المتشبع بما لم ينل) ومسلم (٢١٢٩ و ٢١٣٠) والترمذيّ (٢٠٣٤) .

(٤) الأَبيات لرُبيع بن ضُبيع الفزاري ، في المعمّرين ٩ .

(٥) أَخبار الأَذكياء ٢٣٠ .

● ومِمَّا يُشْبِهُ هذا الذَّكاءَ ، ما نُقِلَ[1] أَنَّ المَأْمُونَ غَضِبَ على عبدِ اللهِ بن طاهر ، وشاوَرَ أَصحابَهُ في الإيقاعِ بِهِ ، وَكَانَ قد حضرَ ذَلِكَ المجلِسَ صَدِيقٌ لَهُ ، فكتبَ له كِتاباً فِيهِ : بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴾ فلَمَّا فَضَّهُ ووجدَ ذلك ، تَعَجَّبَ ؛ وبقيَ يُطِيلُ النَّظَرَ إليْه ، ولا يَفهمُ مَعناه ، وكانَتْ له جارِيَةٌ واقِفةٌ على رأسِهِ ، فقالت لَهُ : يا سَيِّدِي ، إنِّي أَفهمُ مَعنى هذا . فقال : وما هو ؟ فقَالت : إنه أَرادَ قولهُ تَعالى : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص : ٢٠] وكان قد عزمَ على الحُضُورِ إِلى المأمونِ ، فَثَنى العَزْمَ عن ذلك ، واعتذَرَ للمأمونِ في عدمِ الحضورِ ، فَكَانَ ذَلِكَ سببَ سَلامَتِهِ .

● وأَحسنُ من هذا ما ذكره ابنُ خلّكان ، فَقَالَ[2] : إنَّ بعض المُلوكِ غَضِبَ على بعضِ عُمَّالِهِ ، فَأَمَرَ وزيرَهُ أَنْ يَكتُبَ إِلَيْهِ كِتاباً يُشْخِصُهُ بِهِ ، وَكَانَ للوَزِيرِ بالعامِلِ عنايةٌ ، فَكَتَبَ إِليهِ كِتاباً ، وكتبَ في آخرِهِ : إنَّ شاءَ اللهُ تَعالى . وَجَعَلَ في صَدْرِ النُّونِ شَدَّةً ؛ فعجبَ العامِلُ ، كيْفَ وقعَتْ هذه الحركةُ من الوزيرِ ، إذ مِن عادَةِ الكُتَّابِ أَنْ لا يُشكِلُوا كُتبَهم ؟ ففكَّرَ في ذَلِكَ ، فَظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ أَرادَ ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص : ٢٠] فَكَشَطَ الشَّدَّةَ ، وجعلَ مَكانَها أَلِفاً ، وختَم الكِتابَ ، وأَعادَهُ للوَزِيرِ ؛ فلمَّا وقفَ عليهِ الوَزِيرُ سُرَّ بِذَلِكَ ، وفَهِمَ أَنَّهُ أَرادَ ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ﴾ [المائدة : ٢٤] . والله تعالى أَعلمُ .

---

(١) أَخبار الأَذكياء ٢٣٦ وأَخبار الظراف والمتماجنين ١٠٠ ومحاضرات الأدباء ١/ ١٤٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤١٠ وثمرات الأَوراق ٩٩ ـ ١٠٠ . والملك المذكور هو محمود بن صالح بن مرداس صاحب حلب ، والكتاب موجَّه إِلى سديد الملك علي بن مقلد الكناني صاحب قلعة شيزر ، والكاتب هو أَبو نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي . والخبر ذاته يروى في صبح الأَعشى ٩/ ٢٤٨ دون تحديد الأَشخاص . والملك في المستطرف ١/ ١٦١ وإِعلام الناس ٤٠٩ هو السلطان صلاح الدين ، والكاتب هو القاضي الفاضل ، والرِّسالة موجهة إِلى صديقٍ للقاضي فرَّ إِلى بلاد التَّتَر ! .

٧٦ البَغَاثُ : بفتح الباءِ المُوَحَّدَةِ ، وَكَسْرِها ، وَضَمِّها ، ثلاثُ لُغاتٍ ؛ وبالغَيْنِ المُعْجَمَة : طائرٌ أغبرُ ، دُوَين الرَّخَمَةِ ، بَطيءُ الطَّيرانِ ، وهو من شِرارِ الطَّيرِ ، وممَّا لا يَصِيدُ مِنها . وقال يُونُس : مَنْ جَعَلَ البَغاثَ واحداً ، فَجَمْعُهُ بِغْثَان مثل : غَزال وغِزْلان ؛ وَمن قَالَ للذَّكَرِ والأُنثى : بَغاثَةٌ ، فَالجمعُ بَغاثٌ ، مثل : نَعامةٌ ونَعامٌ ؛ وبُغاثُ الطَّيْرِ شِرارُها وما لا يَصيدُ منها[١] .

قالَ الشَّيْخُ أَبو إِسحاق في « المُهَذَّب » في بابِ الحَجْرِ : لا يُسافِرُ الوالِي بمالِ المحجورِ عليه ، لِمَا رُوِيَ أَنَّ المُسَافِرَ وَمَالَهُ لَعَلى قَلْتٍ : أَي هَلاكٍ .

ومنه قول العبَّاس بن مِرداس السُّلَميّ[٢] : [من الوافر]

بُغاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُها فِراخاً ... وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ

وَقَوْلُهُ : مِقْلاتٌ : بِكَسْرِ الميم ؛ والمِقْلات من النِّساءِ : التي لا يَعيشُ لَها وَلَدٌ ؛ ومن النُّوقِ من تَلِدُ وَلَداً واحداً ولا تلدُ بعدهُ ؛ وَقِيلَ : المِقلاتُ : التي تَعملُ وَكْرَها في المهالِكِ .

والنَّزُورُ ، بِفَتْحِ النونِ : القليلةُ الأَولادِ ؛ والنَّزْرُ : القَليلُ .

الحُكْمُ : تَحْرِيمُ الأَكْلِ لِخُبْثِهِ .

الأَمْثَالُ : قالتِ العَرَبُ[٣] : « إِنَّ البُغاثَ بِأَرْضِنا يَسْتَنْسِرُ » : أَي مَنْ جَاوَرَنا عَزَّ بنا . وقِيل : مَعناهُ : إِنَّ الضعيفَ يَستضعفُنا ، ويُظْهِرُ قُوَّتَهُ عَلينا .

٧٧ البَغْلُ : معروفٌ ، وكُنيته[٤] أَبُو الأَشْحَجِ ، وَأَبُو الحَرُونِ ، وَأَبُو

---

(١) عن الصِّحاح ١/ ٢٧٤ (بغث) .

(٢) ديوان العبَّاس بن مرداس ١٧٣ . وهو في ديوان كثيِّر عزَّة ٥٣٠ .

(٣) الميداني ١/ ١٠ والعسكري ١/ ١٩٧ وفصل المقال ١٢٩ والزمخشري ١/ ٤٠٢ وأَمثال أَبي عبيد ٩٣ .

(٤) المرصع ٣٥٥ .

الصَّقْرِ ، وأَبُو قُضاعَةَ ، وَأَبو قَموصٍ ، وَأَبُو كَعب ، وأَبُو مُختارٍ ، وأَبو مَلعونٍ .

وَيُقال له : ابنُ ناهِقٍ .

وهو مُرَكَّبٌ من الفَرَسِ والحِمارِ ، وَلِذَلِكَ صارَ لَهُ صَلابَةُ الحِمارِ ، وعِظَمُ آلاتِ الخَيلِ .

وَكَذَلِكَ شَحِيْجُهُ ـ أَي صَوْتُهُ ـ مُوَلَّدٌ من صَهيلِ الفَرَسِ ، ونَهيقِ الحِمارِ .

وهو عَقيمٌ لا يُولَدُ له ؛ لكن في « تاريخ ابن البطريق » في حوادِثِ سنةِ أَربعٍ وأَربعين وأَربعمئة : أَنَّ بغلةً بنابُلُسَ ، وَلَدَتْ في بَطنٍ واحدٍ حَجْرَةً سَوْدَاءَ وَبَغْلاً أَبيضَ . قَالَ : وهَذا أَعْجَبُ ما سُمِعَ . اهـ .

وَشَرُّ الطِّباعِ ما تَجاذَبَتْهُ الأَعْراقُ المُتَضادَّةُ ، والأَخلاقُ المتبايِنَةُ ، والعناصِرُ المُتباعدةُ .

وإِذا[1] كَانَ الذَّكَرُ حِماراً ، يَكُونُ شَدِيدَ الشَّبَهِ بِالفَرَسِ ؛ وإِذا كَانَ الذَّكَرُ فَرَساً ، يَكُونُ شَديدَ الشَّبَهِ بالحِمارِ .

ومن العَجَبِ أَنَّ كُلَّ عُضوٍ فُرْضَتُهُ منهُ ، يَكُونُ بينْ الفَرَسِ والحِمارِ ؛ وكذلك أَخْلاَقُهُ ، ليسَ له ذكاءُ الفرسِ ولا بلادَةُ الحِمار .

ويقال : إنَّ أَوَّلَ من أَنْتَجَهَا قارونُ .

وله صبر الحمار ، وقُوَّةُ الفَرَسِ ؛ ويُوصَفُ بِرداءَةِ الأَخلاقِ والتَّلَوُّنِ لأَجلِ التَّرْكِيبِ ؛ ويُنْشَدُ في ذَلِكَ قَوْلُهُ[2] : [من مجزوء الكامل]

خُلُقٌ جَدِيدٌ كُلَّ يَوْ مٍ مِثْلُ أَخْلاقِ البِغالِ

---

(١) عن عجائب المخلوقات ٢٤٣ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٢٠ .

(٢) البيت لمحمد بن حازم الباهلي في كتاب البغال ٢٥٦ وثمار القلوب ١/ ٥٤٦ وديوانه ٧٨ .

لكنَّهُ مع ذَلِكَ يُوصَفُ بالهِدايَةِ في كلِّ طَريقٍ يَسلكهُ مَرَّةً واحدةً ، وهو مع ذَلِكَ مَركَبُ المُلُوكِ في أَسْفارِها ، وقَعيدةُ الصَّعاليكِ فِي قَضاءِ أَوْطارِها ، مع احتمالِهِ للأَثْقَالِ ، وَصَبْرِهِ على طُولِ الإِيْغَالِ ؛ وفي ذَلِكَ يُقالُ[1] : [من الرَّجز]

مَــرْكَــبُ قَــاضٍ وإِمــامٍ عَــدْلِ وعــالِــمٍ وسَيِّــدٍ وَكَهْــلِ
يَصْلُحُ لِلرَّحْلِ وغَيْرِ الرَّحْلِ

● وفي « الكامل » لأَبي العبَّاس المُبَرِّد[2] : قَالَ العبَّاسُ بن الفَرَج : نُظِرَ إِلى عمرو بنِ العاص رَضِيَ الله تَعالَى عنه وهو على بَغلَةٍ قَدْ شَمِطَ وَجْهُها هَرَماً ، فَقِيلَ لَهُ : أتركَبُ هَذِهِ وَأنتَ على أَكْرَمِ ناخِرَةٍ بِمِصْرَ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ لا مَلَلَ عِنْدِي لِدابَّتي ما حَمَلَتْ رِجْلَيَّ ، ولا لامرأَتِي ما أَحْسَنَتْ عِشْرَتِي ، ولا لِصديقي ما حفظَ سِرِّي ؛ إِنَّ المَلَلَ من كواذِبِ الأَخْلاقِ .

● وفيه أَيضاً[3] : أَنَّ رجلاً من أَهلِ الشَّامِ ، قَالَ : دخلت المدينةَ ، فرأَيْتُ رجلاً راكِباً على بغلةٍ ، لَمْ أَرَ أَحسن وجهاً ولا سَمْتاً ولا ثَوْباً ولا دابَّةً منهُ ، فمال قلبِي إليه ، فسألتُ عنه ، فَقِيلَ لِي : هَذَا عليُّ بن الحُسين بن عليِّ بن أَبي طالبٍ[4] رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ؛ فأَتيتهُ وقَدِ امْتَلأَ قَلْبِي لَهُ بُغضاً ، فقلتُ لَهُ : أَنتَ ابنُ أَبي طالبٍ ؟ فَقَالَ لِي : بل أَنا ابن ابنِ ابْنِهِ ؟ فقلتُ : بِكَ وبأَبيكَ ؛ أَسُبُّ عليّاً ؛ فلمَّا انقضى كلامي قال : أَحسبكَ غَرِيباً ؟ قلت : أجل . قَالَ : فَمِلْ بنا إِلى الدَّارِ ، فإِنِ احتجتَ إِلى منزلٍ أَنْزَلْناكَ ، أَو إِلى مَالٍ واسَيْنَاكَ ، أَو إِلى حاجَةٍ عاوَنَّاكَ على قَضائِها ؛ فانصرفتُ من عندِهِ ، وما على وَجْهِ الأَرضِ أَحبُّ إِليَّ مِنه . اهـ .

---

(١) من أُرجوزة لأَخي أَبي حزام العكلي ، في البغال ٣٥٠ .

(٢) كامل المبرد ١/ ٣٤٤ .

(٣) كامل المبرد ٢/ ٥١٥ و ٩٨٣ (الهامش) .

(٤) في الكامل : هذا الحسن بن عليّ بن أَبي طالب رَضِيَ الله عنهما .

● **قلت** : وَكَانَ عليٌّ بن الحسين رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما يُلَقَّبُ بزَين العابدين ، وأُمُّهُ سَلامة[1] ، وَكَانَ لَهُ أَخٌ أَكبرُ منهُ يُسَمَّى عليّاً أَيضاً قُتِلَ مع أَبيهِ بِكَربَلاء .

رَوى الحَدِيثَ عن أَبيهِ وعن عمِّه الحسن ، وجابرٍ ، وابنِ عبَّاسٍ ، والمِسْوَر ابن مَخْرَمَة ، وَأَبي هُريرةَ ، وصَفِيَّةَ ، وعائِشَةَ ، وَأُمِّ سَلَمَةَ ، أُمَّهاتِ المؤمنين رَضِيَ اللهُ عنهم .

قَالَ ابن خلِّكان[1] : كانَتْ أُمُّهُ سَلامة بنت يَزدجرد آخرِ مُلوكِ الفرس .

● وَذَكَرَ الزَّمخشريُّ في « ربيع الأَبرار »[2] : أَنَّ يزدجرد كَانَ لَهُ ثلاثُ بناتٍ سُبينَ في زمنِ عُمر بن الخطابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فحصَلت واحِدَةٌ منهنَّ لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما فأَوْلَدَها سالِماً ، والأُخرى لمحمَّد ابن أَبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما فأولدها قاسِماً ، والأُخرى للحُسين بن عليّ رضي الله تعالى عنهما ، فأولدها عليّاً زينَ العابِدين رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، فَكُلُّهم بَنو خالةٍ .

وَكَانَ زين العابِدين مع أَبيهِ بكَرْبَلاءَ ، فاسْتُبْقِيَ لِصِغَرِ سِنِّه ، لأَنَّهُم قَتَلُوا كلَّ مَنْ أَنْبَتَ كما يُفْعَلُ بالكُفَّارِ ، قاتَلَ اللهُ فاعِلَ ذَلِكَ وَأَخزاهُ ولَعَنَهُ ؛ وَكَانَ قَدْ هَمَّ عُبيدَ اللهِ بن زيادَ بقَتْلِه ، ثمَّ صَرَفَه الله تَعالى عنه ، وأَشارَ بَعضُ الفَجَرَةِ على يَزيد بن مُعاوية بقَتله أَيضاً ، فَحَماهُ اللهُ منهُ ؛ ثمَّ إِنَّ يَزيدَ بن مُعاوية صارَ يُكْرِمُهُ ويُعَظِّمُهُ ويُجْلِسُهُ معهُ ، ولا يَأكلُ إلاَّ وهوَ معهُ ، ثمَّ بعثَهُ إِلى المدينةِ ، فَكَانَ بها مُحترماً مُعَظَّماً .

---

(١) اسمها في أ وابن خلِّكان : سلافة . وما هنا مطابق لما في تاريخ دمشق .
وترجمة زين العابدين رضي الله عنه في : تاريخ دمشق ٤٩/ ٨٧ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٦٦ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٦ وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٢ وطبقات ابن سعد ٧/ ٢٠٩ .

(٢) ربيع الأبرار ٣/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥ وابن خلِّكان ٣/ ٢٦٧ .

قَالَ ابنُ عساكر : ومَسجِدُهُ بِدِمشقَ مَعروفٌ ، وهو الَّذِي يُقالُ لَهُ : مشهدُ عليٍّ بِجامِعِ دِمشقَ .

قال الزُّهريُّ : مَا رَأَيْتُ قَرشيَّاً أَفضلَ منهُ .

وقال محمَّد بن سَعد : كَانَ زينُ العابِدِينَ ثقةً مأموناً كَثيرَ الحَدِيثِ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ عالِماً ، ولَمْ يَكُنْ في أَهْلِ البيتِ مثلُه .

وَقَالَ الأَصمعيُّ : لَمْ يكنْ للحُسينِ رَضِيَ اللهُ عنه عقبٌ إلاَّ من ابنه زين العابِدِين ، ولم يكن لزين العابِدِين نَسْلٌ إلاَّ من ابْنَةِ عَمِّهِ الحَسَن رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فَجَميعُ الحُسَينيِّين من نَسْلِهِ .

وَكَانَ إذا تَوَضَّأَ يَصْفَرُّ لَوْنُه ، فإذا قَامَ إلى الصَّلاةِ أُرْعِدَ من الفَرَقِ ـ أي الخوف ـ فَقيل له في ذلك ، فقال : أَتَدرونَ بينَ يَدَيْ مَنْ أَقومُ ؟ ولِمَنْ أُناجِي ؟ .

ويُرْوَى[1] أَنَّهُ احترَقَ البيتُ الذي هو فِيهِ ، وهو قائِمٌ يُصَلِّي ؛ فلمَّا انصرفَ قِيل له : ما بَالُك لم تَنصَرِفْ حِينَ وقعَتِ النَّارُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي اشتغلتُ عن هَذه النَّارِ بالنَّارِ الأُخْرَى .

ويُرْوَى[2] أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ وأَرادَ أَنْ يُلَبِّيَ ، أُرْعِدَ واصْفَرَّ ، وخَرَّ مَغْشِيَّاً عليه ؛ فلمَّا أَفاقَ سُئل عن ذلك ، فقال : إِنِّي لأَخشى أَنْ أقول : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، فيقولُ لِي : لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْكَ ؛ فَشَجَّعُوهُ وقالُوا : لا بُدَّ من التَّلْبِيَةِ ، فلمَّا لَبَّى غُشِيَ عليه حَتى سَقطَ عن راحِلَتِه .

وَكَانَ[3] يُصَلِّي في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلفَ ركعةٍ .

---

(١) تاريخ دمشق ٤٩/ ١٠٤ ومختصره ١٧/ ٢٦٣ .

(٢) تاريخ دمشق ٤٩/ ١٠٥ ومختصره ١٧/ ٢٦٣ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٩/ ١٠٥ ومختصره ١٧/ ٢٣٧ .

وَكَانَ كَثيرَ الصَّدَقَاتِ ، وَكَانَ أَكثر صَدَقَتِه باللَّيْلِ ، وكان يقُول : صَدَقَةُ اللَّيْلِ تُطْفىءُ غَضَبَ الرَّبِّ .

وَكَان[1] كَثيرَ البُكاءِ ، فقيل له في ذَلك ، فقال : إِنَّ يَعقوبَ عليْه السَّلامُ ، بَكَى حَتَّى ابْيَّضتْ عَيْناهُ على يُوسفَ ولَمْ يَتَحقَّقْ مَوْتَهُ ، فكَيْفَ لا أَبْكِي وَقَدْ رَأَيْتُ بِضعةَ عشرَ رَجُلاً يُذْبَحُونَ من أَهْلِي فِي غَدَاةٍ واحِدَةٍ ؟ .

وَكَانَ[2] إِذا خَرَجَ من مَنزِلِه ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَصَدَّقُ اليومَ ، أَوْ أَهَبُ عِرْضِي اليومَ ، لِمَنْ يَغتابُنِي .

وَماتَ[3] لِرَجُلٍ وَلَدٌ مُسرفٌ على نَفْسِه ، فجزعَ عليْهِ ، فَقَالَ لَهُ عليٌّ بن الحُسين : إِنَّ مِنْ وَراءِ وَلَدِكَ خِلالاً ثلاثةً ؛ شهادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وشفاعَةَ رسولِ اللهِ ﷺ ، ورَحمَةَ الله .

واخْتَلَفَ أَهْلُ التَّارِيخ في السَّنَةِ الَّتِي تُوفِّيَ فِيها زَيْنُ العابِدِين ؛ والمشهورُ عندَ الجُمْهُورِ أَنَّهُ توفِّيَ سنـةَ أَربعٍ وتِسعين في أَوَّلِها .

وَقَالَ ابنُ الفَلاَّسِ : وفيها مَاتَ سعيدُ بن المسيّب ، وسعيدُ بن جُبير ، وعُروةُ بن الزُّبير ، وأَبو بَكر بن عبد الرَّحمن .

وَقَالَ بعضُهم : توفِّيَ في سنة اثنتين أو ثلاثٍ وتسعين .

وأَغرَب المدائنيُّ في قوله : إنَّه توفي في سنة مئة ؛ وقيل : توفِّيَ في سنةِ تسعٍ وتِسعين .

وَكَانَ عُمره ثمانِياً وخَمسينَ سنةً ؛ ودُفِنَ في قَبْرِ عَمِّهِ الحسن رَضِيَ اللهُ عنهما وعن آبائِهم الكِرامِ وعن أَصحابِ رسولِ اللهِ أَجمعين .

---

(١) تاريخ دمشق ٤٩/ ١١١ و ١١٢ ومختصره ١٧/ ٢٣٩ .

(٢) تاريخ دمشق ٤٩/ ١٢١ ومختصره ١٧/ ٢٤٤ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٩/ ١٢٢ ومختصره ١٧/ ٢٤٥ .

● وَفِي « وَفيات الأَعيانِ » في ترجَمَةِ جَلالِ الدَّولة ملك شاه[1] : أَنَّ المُقتدي بأَمرِ اللهِ ، جهَّزَ الشَّيْخَ أَبا إِسحاق الشِّيرازِيّ الفَيْرُوزأَباديّ ، صاحِبُ « التَّنبيه » و« المُهَذَّبِ » وغيرهما ؛ إِلى نَيْسَابُور ، سَفيراً لَهُ فِي خطبَةِ ابنةِ المَلِكِ جلالِ الدَّولَةِ ، فنجزَ الشُّغْلَ ، وناظَرَ إِمامَ الحَرَمَيْن هُناك ؛ فلمَّا أَرادَ الانْصِراف من نَيسابور خرجَ إِمامُ الحَرَمَيْنِ إِلى وَدَاعِهِ ، وأَخَذَ بِركابه حتَّى رَكِبَ أَبو إِسحاق بَغلَته ، وظَهَرَ له في خُراسان مَنزلةٌ عَظيمةٌ ، وكانُوا يأْخذُونَ التُّرابَ الذي وَطِئَتْهُ بَغلته فَيَتَبَرَّكُونَ بِهِ .

وَكَانَ رحمهُ اللهُ إِماماً ، عالِماً عامِلاً ، وَرِعاً ، زاهِداً ، عابِداً .

توفِّيَ في سنةِ سِتٍّ وسبعين وأَربعمئة[2] .

وتوفِّي إِمامُ الحَرَمين[3] ، في سَنَةِ ثمانٍ وسَبْعِينَ وَأَرْبعمئة ، وغُلِّقَتِ الأَسْواقُ يَوْمَ مَوْتِهِ ، وكُسِرَ مِنْبَرُه بالجامِعِ ، وَكانتْ تلامذتُهُ قَريباً من أَربعمئة نَفَرٍ ، فَكَسروا مَحابِرَهم وأَقلامَهم ، وأَقَامُوا على ذَلِكَ عاماً كامِلاً .

● وفي « تاريخِ بغداد » و« وفيات الأَعيان »[4] : أَنَّ أَبا حَنيفة رحمهُ اللهُ ، كان لَهُ جارٌ إِسكافٌ يعملُ نَهارَهُ ، فإِذا رَجَعَ إِلى مَنْزِلِهِ لَيْلاً ، تعشَّى ثمَّ شَرِبَ ، فإِذا دَبَّ الشَّرابُ فِيهِ أَنْشَدَ يُغنِّي ويَقُولُ[5] : [من الوافر]

---

(١) وفيات الأَعيان ٥/ ٢٨٧ وسير أَعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٠ .

(٢) **ترجمة أَبي إِسحاق الشيرازي في** : وفيات الأَعيان ١/ ٢٩ وطبقات السبكي ٤/ ٢١٥ وسير أَعلام النبلاء ١٨/ ٤٥٢ .

(٣) اسمه عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، **وترجمته في** : وفيات الأَعيان ٣/ ١٦٧ وطبقات السبكي ٥/ ٣٣٠ وسير أَعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨ .

(٤) الخبر في : الأَغاني ١/ ٤١٤ وتاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٦ وابن خلكان ٥/ ٤١٠ والعقد الفريد ٦/ ١٥ والمستطرف ٢/ ٥٩١ .

(٥) البيت للعرجي في ديوانه ٣٤ .

أَضَاعُونِي وأَيَّ فَتىً أَضاعُوا لِيَوْمِ كَريهَةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

ولا يَزالُ يَشربُ ويُرَدِّدُ هذا البيتَ حتَّى يأَخذَهُ النَّومُ ، وأَبو حَنيفةَ يَسمعُ جَلَبَتَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ؛ وَكَانَ أَبو حَنيفةَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ ، ففقدَ أَبو حَنيفةَ صَوْتَهُ ، فَسَأَلَ عنه ، فَقِيلَ لَهُ : أَخَذَهُ العَسَسُ منذُ لَيالٍ ، فصلَّى أَبو حَنيفة الفجرَ من غَدِهِ ، ثمَّ رَكِبَ بَغلته وأَتى دارَ الأَميرِ ، فاسْتَأذن عليه ، فَقَالَ : ائذَنُوا لَهُ ، وأَقبِلُوا بِهِ راكِباً ، ولا تَدَعُوهُ ينزلُ حتَّى يَطَأَ البساطَ ، ففُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَوَسَّعَ لَهُ الأَميرُ من مَجلسِهِ ، وَقَالَ لَهُ : ما حَاجَتُكَ ؟ فشفعَ في جارِهِ . فقَالَ الأَمِيرُ : أَطلِقُوهُ ، وَكُلُّ مَنْ أُخِذَ في تلك اللَّيْلَةِ إلى يومِنا هذا ، فأطلقوهم أَيضاً ، فذهبوا ، فَرَكِبَ أَبو حَنيفةَ بَغلتَه ، وخرجَ والإِسكافُ معه يَمشي وراءَهُ ، فقَالَ أَبُو حَنيفة : يا فتى ، هل أَضَعْنَاكَ ؟ فقَالَ : بل حَفظْتَ وَرَعَيْتَ ، فَجَزاكَ اللهُ خَيْراً عن حُرْمَةِ الجِوارِ ؛ ثمَّ تابَ الرَّجلُ ، وَلَمْ يَعُدْ إلى ما كَانَ يَفعَلُ .

● واسمُ أَبي حَنيفة : النُّعمانُ بن ثابت بن زوطى بن ماه[1] ، وَكَانَ عالِماً عامِلاً .

قَالَ الشَّافعيُّ[2] : قِيلَ لِمالِكٍ : هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال : نَعم ، رأيت رجلاً لو كَلَّمَكَ في هذِهِ السَّارِيَةِ أَنْ يَجْعَلَها ذَهَباً ، لَقَامَ بِحُجَّتِهِ .

وَكَانَ الشَّافعيُّ يَقُولُ[3] : النَّاسُ عِيالٌ على أَبي حَنيفة في الفِقْهِ ، وَعَلَى زُهير بن أَبي سُلْمى في الشِّعرِ ، وعلى محمَّد بن إِسحاق في المغازِي ، وعلى الكِسائيّ في النَّحو ، وعلى مُقَاتل بن سُلَيْمانَ في التَّفْسِير .

---

(١) ترجمة الإمام الأعظم في : تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٤ ووفيات الأعيان ٥/ ٤٠٥ والجواهر المضية ١/ ٢٦ والطبقات السنية ١/ ٧٣ وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٠ والوافي بالوفيات ٢٧/ ١٤٤ . . . .

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٥٥ وابن خلكان ٥/ ٤٠٩ .

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٧٤ وابن خلكان ٥/ ٤٠٩ .

وَكَانَ[1] أَبُو حَنيفةَ إماماً في القِياسِ ؛ وداوَمَ على صَلاةِ الفَجْرِ بِوُضُوءِ العِشاءِ أَربعينَ سنةً .

وَكَانَ عامَّة لَيْلِهِ يَقْرَأُ القُرآنَ في ركعةٍ واحدةٍ ، وكَانَ يَبْكِي في اللَّيْلِ حتَّى يَرْحَمَهُ جيرانُهُ .

وَخَتَمَ القُرآنُ في الموضِعِ الذي تُوفِّيَ فِيهِ سبعةَ آلافِ مرَّة ؛ ولَمْ يُفْطِرْ منذُ ثَلاثِينَ سنةً ، ولَمْ يَكُنْ يُعابُ بشَيْءٍ سِوى قِلَّةِ العَرَبيَّةِ .

● حُكِيَ[2] أَنَّ أَبا عَمرو بن العلاء ، سَأَلَهُ عَنِ القَتْلِ بالمِثْلِ ، هل يُوجبُ القَوَدَ ؟ قَالَ : لا ؛ على قاعِدَةِ مَذْهَبِهِ خِلافاً للشَّافعيِّ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمرو : وَلَوْ قَتَلَهُ بحَجَرِ المِنْجَنِيقِ؟ فقَالَ: وَلَوْ قَتَلَهُ بأَبا قُبَيْسٍ؛ يعني الجبلَ المُطِلَّ على مَكَّةَ .

وقَدِ اعْتُذِرَ عن أَبي حَنيفة بأَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ على لُغَةِ مَنْ يُعرِبُ الأَسماءَ السِّتَّةَ بالأَلفِ في الأَحْوالِ الثَّلاثَةِ ؛ وأَنْشَدُوا على ذَلِكَ[3] : [من الرجز]

إِنَّ أَبــاهــا وَأَبــا أَبــاهــا ... قَــدْ بَلَغَــا فــي المَجْــدِ غــايَتــاهــا

وهي لغةُ الكوفيِّينَ ؛ وأَبو حَنيفة من أَهلِ الكُوفَةِ .

وتُوفِّيَ أَبو حَنيفة في السِّجنِ ببغداد ، سنةَ خَمسينَ ومئة ، وَقِيلَ غيرُ ذَلِكَ ، وَقِيلَ : لَمْ يَمُتْ في السِّجْنِ . وَقِيلَ : مَاتَ في اليَوْمِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ الشَّافعيُّ ، وَقِيلَ : في العامِ لا فِي اليَوْمِ ، كما تَقَدَّمَ .

وَقَالَ النَّوويُّ في « تَهْذِيبِ الأَسماء واللغُّاتِ »[4] : تُوفِّيَ في سنةِ إِحدى ،

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٤ وابن خلكان ٥/ ٤١٣ .

(٢) وفيات الأَعيان ٥/ ٤١٣ ومعجم البلدان ١/ ٨١ والتذكرة الحمدونية ٧/ ٢٦٦ .

(٣) من أُرجوزة لأَبي النَّجم العجلي في ديوانه ٢٢٧ . وفي نسبته إِليه خلاف ، يراجع الخزانة ٧/ ٤٥٥ .

(٤) تهذيب الأَسماء واللغات ١/ ٢١٦ ـ ٢٢٣ .

وَقِيلَ : ثلاثٍ وَخَمسينَ ومئة . واللهُ أَعلم .

قلت : البيتُ المذكورُ في حِكايَةِ الإسكافِ المُتقدِّمةِ : للعَرْجيّ ، وهو عبدُ اللهِ بن عَمرو بن عُثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، وقد استشهدَ بِهِ النَّضْرُ بن شُمَيْل على المَأْمُونِ .

● قَالَ ابنُ خلِّكان(١) : دَخَلَ النَّضْرُ بن شُمَيْل على المَأْمونِ لَيْلَةً ، فتفاوَضَا الحديثَ ، فرَوَى المأمُونُ عن هُشَيْمٍ ، بِسَنَدِهِ إِلى ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إِذا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ المَرْأَةَ لِدِيْنِها وجَمالها ، كَانَ فِيهِ سَدادٌ من عَوَزٍ » بفَتْحِ السِّينِ . فقَالَ النَّضْرُ : يا أَميرَ المُؤْمِنينَ ، صَدَقَ هُشَيْمٌ ؛ حدَّثَنا فلانٌ عن فُلانٍ إلى عليٍّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إِذا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ المرأَةَ لِدِيْنِها وجَمالِها ، فهو سِدادٌ من عَوَزٍ » بكسرِ السِّين .

قَالَ : وَكَانَ المَأْمُونُ مُتَّكِئاً ، فاسْتَوَى جالِساً ، وَقَالَ : كَيفَ قُلْتَ : سِدادٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لأَنَّ السَّدادَ ها هُنا لَحنٌ ، فَقَالَ المَأْمُونُ : أَتُلَحِّنُني ؟ قُلْتُ : إِنَّما لَحنَ هُشَيْمٌ ، فتبعَ أَميرُ المؤمنين لَفْظَهُ . فَقَالَ : ما الفَرْقُ بينَهما ؟ قلتُ : السَّدادُ بالفَتحِ : القَصْدُ في الدِّينِ والسَّبيلِ ؛ والسِّدادُ بالكَسْرِ : البُلْغَةُ ؛ وَكُلُّ مَا سَدَدْتَ بِهِ شَيْئاً فهوَ سِدادٌ . فَقَالَ المَأْمُونُ : أَوَ تَعْرِفُ العربُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : قلتُ : نَعم ؛ هذا العَرْجيُّ يَقُولُ : [من الوافر]

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتىً أَضاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فَأَخَذَ المَأمونُ القِرْطَاسَ وَكَتَبَ فِيهِ ، ثمَّ قَالَ لخادِمِهِ : ابلغْ معهُ إِلى الفَضْلِ بن سَهل ؛ فلمَّا قَرَأَ الفضلُ الرُّقعةَ ، قَالَ : يا نَضْرُ ، قَدْ أَمَرَ لَكَ أَميرُ

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٣٩٨ ، وطبقات الزبيديّ ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ وإنباه الرُّواة ٣/٣٤٩ ونزهة الألباء ٨٦ .

المؤمنين بِخَمسينَ أَلف درهمٍ ، فَمَا كَانَ السَّببُ ؟ فأَخبرته ، فأَمَرَ لِي بِثَلاثِينَ أَلف درهمٍ أُخرى ، فأَخذتُ ثمانينَ أَلفَ درهمٍ بحرفٍ واحدٍ استُفِيدَ منِّي .

وَتُوفِّيَ النَّضْرُ بن شُمَيْل في سَنَةِ أَربعٍ ومئتينِ بمروَ ، رحمهُ اللهُ تَعالَى[1] .

● وَفِي « تاريخ بغداد » عن أَبي يوسف صاحِبِ أَبي حَنيفة ، واسْمُهُ يَعقُوب ، أَنَّهُ قالَ[2] : أَوَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلى فِراشِي ، وإِذا بالبابِ يُدَقُّ دَقّاً عَنيفاً ، فخرجْتُ فإِذا هَرْثَمَة بن أَعْيَن ، فَقَالَ : أَجِبْ أَميرَ المؤمنين ؛ فرَكِبْتُ بَغْلَتِي ، ومَضَيْتُ خائِفاً ، إِلى أَنْ وَصلتُ دارَ أَمير المؤمنين ، فإِذا أَنا بمسرُورٍ ، فَسَأَلتُه : مَن عندَ أَميرِ المُؤْمِنين ؟ فَقَالَ : عيسى بن جَعفر ؛ فدخلْتُ فإِذا هو جالِسٌ ، وَعَنْ يَمِينِه عيسى بن جَعْفَر ، فسلَّمْتُ عَلَيْه وَجَلستُ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَظُنُّ أَنَّنا رَوَّعْناكَ ؛ فَقُلْتُ : إِي واللهِ ، وَمَنْ خَلْفِي كَذَلِكَ ؛ فسكتَ ساعةً ، ثمَّ قَالَ : أَتَدْرِي يا يَعْقُوبُ لِمَ دَعَوْتُكَ ؟ قُلْتُ : لا ؛ قَالَ : دَعَوْتُكَ لأُشهِدَكَ على هذا ، أَنَّ عندَهُ جارِيةً ، وَقَدْ سَأَلْتُهُ أَنْ يَهَبَها لِي فَأَبى ، وَوَاللهِ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ لأَقتلنَّهُ . قَالَ : فالتَفتُّ إِلى عيسى وَقلتُ لَهُ : ما بلغُ من قدرِ هَذِهِ الجاريةِ حتَّى أَنَّكَ تَمْنَعُها من أَميرِ المُؤمنين ، وتُنْزِلَ نَفْسَكَ هَذِهِ المَنزِلَةَ من أَجْلِها ؟ ثمَّ هِيَ ذاهِبةٌ مِنْ يَدِكَ على كُلِّ حَالٍ . فَقَالَ : عَجِلْتَ عليَّ بالتَّوبيخِ مِن قبلِ أَنْ تعرفَ ما عندي . قُلْتُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : إِنَّ عليَّ يميناً بالطَّلاقِ والعتاقِ وصَدَقَةِ ما أَملكُهُ ، لا أَبيعُ هَذِهِ الجارِيَةَ وَلا أَهَبُها ؛ فالتَفَتَ إِليَّ الرَّشيدُ وَقَالَ : هل لَكَ في هَذِهِ من مَخرجٍ ؟ قُلتُ : نعم . قَالَ : وَما هُوَ ؟ قُلْتُ : يَهَبُكَ نِصْفَها ، ويَبيعكَ نِصْفَها ، فَيَكُونُ لَمْ يَهَبْها ولَمْ يَبِعْها ؛ قَالَ عيسى : أَوَ يَجُوزُ ذَلِكَ ؟ قلتُ : نعم ؛ قَال : فاشْهَدْ أَنِّي وَهَبْتُهُ نِصْفَها ، وبِعْتُهُ نِصْفَها الباقِي بمئَةِ أَلفِ

---

(1) ترجمته في مصادر الخبر .

(2) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٦٨ وابن خلكان ٦/ ٣٨٤ والجليسُ والأَنيس ١/ ٤١٦ .

دِينارٍ ؛ فَقَالَ الرَّشيدُ : قَدْ قَبِلْتُ الهِبَةَ ، واشْتَرَيْتُ النِّصْفَ بمئةِ أَلف دِينارٍ ؛ ثمَّ قَالَ : عليَّ بالجارِيَةِ والمالِ ؛ فأُتِيَ بالجارِيَةِ وَالمَالِ ، فَقَالَ : خُذْها يا أَميرَ المؤمنين ، بارَكَ اللهُ لَكَ فِيها ؛ فَقَالَ الرَّشيدُ : يا يَعْقُوب ، بَقِيَتْ واحِدَةٌ ، فَقُلْتُ : وما هِيَ ؟ قَالَ : إِنَّها مَمْلُوكَةٌ ، ولا بُدَّ أَنْ تُسْتَبْرَأَ ، وواللهِ لئِن لَمْ أَبِتْ مَعَها لَيْلَتِي هَذِهِ ، أَظُنُّ أَنَّ نَفْسِي تَخْرُجُ ؛ فقُلْتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، تُعْتِقُها وتَتَزَوَّجُها ، فإِنَّ الحُرَّةَ لا تُسْتَبْرَأُ . قَالَ : فإِنِّي قَدْ أَعْتَقْتُها ، فَمَنْ يُزَوِّجنيها ؟ قلتُ لَهُ : أَنا .

فَدَعا بِمسرورٍ وحُسينٍ ، فخطبْتُ وحَمدتُ اللهَ تَعالى ، وَزَوَّجْتُهُ بها على عِشرينَ أَلف دِينارٍ ، ثمَّ قَالَ : عليَّ بِالمالِ ، فَجيءَ بِهِ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْها ، ثمَّ قَالَ لِي : يا يعقوبُ انصرِفْ ، وَقَال لِمَسْرُورٍ : احْمِلْ إِلى يَعْقُوب مئتي أَلف درهمٍ وعشرينَ تَخْتاً من الثِّيَابِ ؛ فَحُمِلَ ذلك إِليَّ . اهـ .

● وَكَانَ[1] أَبُو يُوسف يحفظُ التَّفْسيرَ والمَغازِي وأَيَّامَ العربِ ؛ فَمَضى يوماً لِيَسْمَعَ المغازِي ، وأَخَلَّ بمجلِسِ أَبي حَنيفة أَيَّاماً ، فلمَّا أَتاهُ قَالَ لَهُ : يا أَبا يُوسف ، مَنْ كَانَ صاحبَ رايَةِ جالوْت ؟ فقَالَ لَهُ أَبُو يُوسف : إِنَّكَ إِمامٌ ، وإِنْ لَمْ تُمسِكْ عن هَذَا ، سَأَلْتُكَ عن رُؤُوسِ النَّاسِ : أَيَّما كَانَ أَوَّل ، وقعةُ بَدرٍ أَوْ أُحُدٍ ؟ فإِنَّكَ لا تَدرِي ذَلِكَ[2] ، وهيَ أَهْوَنُ مسائِلِ التَّاريخِ ؛ فأَمْسَكَ عنه .

● قِيلَ[3] : كانَ يَجلِسُ إِلى أَبي يُوسف رجلٌ ، فيُطِيلُ الصَّمْتَ ولا يَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوسف يَوْماً : أَلا تَتَكَلَّمُ ؟ فَقَالَ : بَلى ، متى يُفْطِرُ الصَّائِمُ ؟ قَالَ : إِذا غابَتِ الشَّمس . قَالَ : فإِنْ لَمْ تَغِبْ إِلى نصفِ اللَّيْلَ ؛

---

(١) الجليس والأنيس ٢/ ٤٣٥ وابن خلكان ٦/ ٣٨٢ .

(٢) ويُعقل هذا ؟ ! .

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٦٦ وابن خلكان ٦/ ٣٨٣ .

كَيْفَ يَصنعُ ؟ فَضَحِكَ أَبُو يوسف ، وَقَالَ لَهُ : أَصَبْتَ في صَمْتِكَ ، وَأَخَطَأْتُ أَنا في اسْتِدْعَائِي نُطْقِك ؛ وأَنْشد[1] : [من الطَّويل]

عَجِبْتُ لإِزْراءِ العَيِيّ بِنَفْسِهِ — وَصَمْتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالقَوْلِ أَعْلَما
وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلعَيِيِّ وإِنَّما — صَحِيفَةُ لُبِّ المَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّما

● ورُوِيَ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَجْلِسُ إِلى بَعْضِ العُلماءِ ولا يَتَكَلَّمُ ، فَقِيلَ لَهُ يَوْماً : أَلا تَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : نَعم ، أَخْبِرْنِي لأَيِّ شَيْءٍ يُسْتَحَبُّ صِيامُ الأَيَّامِ البِيضِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ؟ فقَالَ : لا أَدْرِي ؛ فقَالَ : الرَّجلُ : لكِنِّي أَدْرِي . قَالَ : وما هُو ؟ قَالَ : لأَنَّ القَمَرَ لا يَنْكَسِفُ إِلاَّ فيهنَّ ، فأَحَبَّ اللهُ تَعالَى أَنْ لا يُحْدِثَ في السَّمَاءِ آيَةً إِلاَّ حَدَثَ في الأَرْضِ مِثْلُها ؛ وَهَذَا أَحْسنُ مَا قِيلَ فِيهِ .

● وَذَكَرَ ابنُ خلِّكان[2] : أَنَّ رَجُلاً كَانَ يُجالِسُ الشَّعبيَّ ، ويُطِيلُ الصَّمْتَ ، فَقَالَ لَهُ الشَّعبيُّ يَوْماً : أَلا تتكلَّم ؟ فَقَالَ : أَصمتُ فأَسلَمُ ، وأَسمعُ فأَعلمُ ؛ إِنَّ حَظَّ المَرْءِ في أُذنِهِ لَهُ ، وفي لِسانِهِ لِغَيْرِهِ .

● وتكلَّمَ[3] شابٌ يَوْماً عندَ الشَّعبيِّ بكَلامٍ ، فَقَالَ الشَّعبيُّ : ما سَمِعنا بِهذا . فقالَ الشَّابُّ : أَكُلَّ العِلْمِ سَمِعْتَ ؟ قَالَ : لا ؛ قال : فشَطرَه ؟ قال : نعم . قال : فاجعل هَذَا في الشَّطْرِ الَّذِي لَمْ تسمعهُ ؛ فأُفحمَ الشَّعبيُّ .

● وَأَبُو يوسف : هو أَوَّلُ مَنْ دُعِيَ بقاضِي القُضاةِ ، وأَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ لِباسَ العُلماءِ إِلى هَذِهِ الهَيْئَةِ التي هم عليْها إِلى هَذَا الزَّمانِ ؛ وكَانَ مَلْبُوسُ النَّاسِ قبْلَ

---

(١) هما في بيان الجاحظ ١/ ٢٢٠ ومجموعة المعاني ١٨١ والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٦٥ و ٣/ ٣٤٩ ومعجم الأدباء ١/ ٢٩ للخطفى جدّ جرير .
وفي العقد الفريد ٢/ ٢٦٦ للحسن بن جعفر .
وفي مصادر الخبر وعيون الأخبار ١/ ١٧٥ وبهجة المجالس ١/ ٦٢ بلا نسبة .
(٢) ابن خلكان ٣/ ١٤ والأجوبة المسكتة ١٠١ .
(٣) أخبار الأذكياء ١٣٨ .

ذَلِكَ شَيْئاً واحِداً ، لا يَتَمَيَّزُ أَحَدٌ عن أَحدٍ بلِباسِه .

● وحُكِيَ[1] أَنَّ عبدَ الرَّحمنِ بن مُسهر ، كَانَ قاضِياً على بُلَيْدَةٍ بينَ بَغدادَ وواسِطَ ، يُقالَ لَها : المُبارَك ؛ فَبَلَغَهُ خُروجُ الرَّشيدِ إلى البَصْرَةِ ومعهُ أَبُو يُوسف القاضِي في الحرَّاقةِ ، فَقَالَ عبدُ الرَّحمنِ لأَهلِ المُبارَكِ : أَثْنُوا عليَّ عندَهما ؛ فأَبوا عَلَيْهِ ؛ فَلَبِسَ ثِيابَهُ وتلقَّاهُما ، وَقَالَ : نِعْمَ القاضِي قاضِينا ؛ ثمَّ مَضى إلى موضعٍ آخرَ وأعاد عليهما هذا القول ؛ فالتفتَ الرشيدُ إلى أبي يوسف وقال: يا يعقوب، قاضٍ في موضع لا يُثْنِي عَلَيْهِ إلاَّ رَجُلٌ واحِدٌ، بئسَ القَاضِي؛ فَقَالَ أَبُو يُوسف : وَالعَجَبُ ـ يا أَميرَ المؤمنين ـ أَنَّهُ هو القاضِي ، وهو يُثْنِي على نَفْسِهِ ! فَضَحِكَ الرَّشيدُ وَقَالَ : هذا أَظْرَفُ النَّاسِ ، هذا لا يُعْزَلُ أَبَداً .

تُوفِّيَ أَبُو يوسف في شهرِ ربيعِ الأَوَّل ، سنةَ اثنتينِ وثَمانِينَ ومئة ، وَقِيلَ غير ذَلِكَ[2] .

● وأَنْشَدَ أَبُو السَّعاداتِ المُبَارك بن الأثيرِ لِصاحِبِ المَوصل ، وَقَدْ زَلَّتْ بِهِ ، بَغْلَتُهُ[3] : [من السَّريع]

إِنْ زَلَّتِ البَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِها عُذْرا
حَمَّلَها مِنْ عِلْمِهِ شاهِقاً وَمِنْ نَدَى راحَتِهِ بَحْرَا

● وَرَوَى الحافِظُ أَبُو القاسِمِ بن عساكِر في « تاريخ دمشق »[4] عن عليّ بن

---

(١) ابن خلكان ٦/ ٣٨٧ . ونظيره ما يقال عن قاضي جبل ، في نشر الدرّ ٤/ ٢٩١ ، وأَخبار القضاة ٣/ ٣١٧ ، ومعجم البلدان ٢/ ١٠٣ .

(٢) ترجمة أَبي يوسف في : تاريخ بغداد ١٦/ ٣٥٩ ووفيات الأَعيان ٦/ ٣٧٨ وسير أَعلام النبلاء ٨/ ٥٣٥ والجواهر المضية ٣/ ٦١١ وتاج التراجم ٢٨٢ . . .

(٣) صدَّرهما ابن الشَّعّار في عقود الجُمان ٦/ ٣٤ـ ٣٥ بقوله : وقال في أَتابك نور الدِّين ، وقد كبت البغلة به .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٥٤ والمستطرف ٢/ ٤٥٤ .

أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ البِغَالَ كانَتْ تَتَناسَلُ ، وكانَت من أَسرعِ الدَّوابِّ في نَقْلِ الحَطَبِ لِنارِ إبراهيم خَليل الرَّحمنِ عليهِ السَّلامُ ، فَدَعا عَلَيْها ، فَقطَعَ اللهُ نَسْلَها .

● **فائِدَةٌ غَريبَةٌ** : رُوِيَ[1] عن إسماعيل بن حمَّاد بن أبي حَنيفة ، قَالَ : كَانَ عِندنَا طَحَّانٌ رافِضِيٌّ ، لَهُ بَغلانِ ، سَمَّى أَحَدَهما أَبا بَكْرٍ والآخرَ عُمر ، فَرَمَحَهُ أَحَدُهما فقتَله ، فأُخْبِرَ جَدِّي أَبو حَنيفة بذَلِكَ ، فَقَالَ : انْظُرُوا الَّذِي رَمَحَهُ ، فإِنَّهُ الَّذِي سَمَّاهُ عُمر ؛ فَنَظَرُوا فَوَجَدُوهُ كَذَلِكَ .

● وفي « كامل » ابن عَديّ[2] ، في ترجمةِ خالد بن يَزيد العُمريّ المَكِّيّ ، عن سُفْيان عن أَبان ، عن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَكِبَ بَغْلَةً ، فحادت بِهِ ، فَحَبَسَها ، وأَمَرَ رَجُلاً أَنْ يَقْرَأَ عليها ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلَق : ١] فَسَكَنَتْ » .

وسيَأْتِي إِن شَاء اللهُ تَعالَى هذَا في « الدَّابَّةِ » .

● وَفِيهِ[2] عنه أَيْضاً ، أَنَّهُ رَوَى عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ وُلِدَ لَهُ ثلاثةٌ ولَمْ يُسَمِّ أَحَدَهُم محمَّداً ، فهُوَ من الجَفاءِ ، وإِذا سَمَّيْتُمُوهُ محمَّداً فلا تَسُبُّوهُ ، ولا تَعيبُوهُ ، ولا تَضربوهُ ، وشَرِّفُوهُ وكَرِّمُوهُ وعَظِّمُوهُ وبرُّوا قَسَمَهُ » .

● **فائِدَةٌ** : رَوَى « أَبُو داود » و« النَّسائيّ »[3] ، عن عبد اللهِ بن زُرير الغافقيّ المِصريّ ، عن عليّ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ : « أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٩ .

(٢) الكامل لابن عدي ٣/ ٤٣٦ وميزان الاعتدال ١/ ٦٤٦ ولسان الميزان ٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .
وحادَتْ بِهِ : نَفَرَتْ وتركت الجادَّة . (النِّهاية ١/ ٤٦٦) .

(٣) أَبو داود (٢٥٦٥) والنَّسائي (٣٥٨٠) وأَحمد في المسند ١/ ٩٨ و ٤/ ٣١١ وكتاب البغال ٣٥٥ .

بغلةٌ ، فرَكِبَها فقَالَ عليٌّ : لو حملنا الحَميرَ على الخيلِ لَكَانَت لَنا مثلُ هَذِهِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّما يَفعلُ ذَلِكَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ » .

قال ابنُ حِبَّان : مَعناهُ : الَّذِينَ لا يَعلمُونَ النَّهيَ عنه .

وَقَالَ الخَطَّابيُّ : يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ المَعْنَى في ذَلِكَ ـ واللهُ أَعلَمُ ـ أَنَّ الحميرَ إِذا حُمِلَتْ على الخَيْلِ ، تَعَطَّلَتْ مَنافِعُ الخَيْلِ ، وقَلَّ عَددُها ، وانْقَطَعَ نَماؤُها ؛ وَالخَيْلُ يُحتاجُ إِليها للرُّكُوبِ والعَدْوِ والرَّكْضِ والطَّلَبِ ؛ وَعَلَيْها يُجاهَدُ العدوُّ ، وبِها تحرزُ الغنائم ، وَلَحْمُها مَأْكُولٌ ، ويُسهَمُ للفَرسِ كَما يُسْهِمُ للفارِسِ ، وَلَيْسَ للبغلِ شَيْءٌ من هَذِهِ الفضائِلِ ؛ فَأَحَبَّ النبيُّ ﷺ أَنْ ينموَ عددُ الخيلِ ، ويَكثُرَ نَسْلُها ، لِما فِيها من النَّفْعِ والصَّلاحِ .

فإِذا كانَتِ الفُحُولُ خَيْلاً ، والأُمَّهاتُ حَميراً ، فيُحتملُ أَن لا يَكُونَ داخِلاً في النَّهْيِ ، إِلاَّ أَنْ يَتَأَوَّلَ مَتَأَوِّلٌ أَنَّ المُرادَ بالحدِيثِ صِيانَةُ الخَيْلِ عن مُزاوَجَةِ الحَميرِ ، وكَراهَةُ اختِلاطِ مائِها بمائِها ، لِئَلاَّ يَكُونَ مِنها الحَيْوانُ المُرَكَّبُ من نَوْعين مُخْتَلِفين ؛ فإِنَّ أَكْثَرَ الحيواناتِ المُرَكَّبَةِ من نَوْعَيْنِ من الحيوانِ ، أَخبثُ طَبْعاً من أُصُولِها التي تَتَوَلَّدُ منها ، وأَشَدُّ شَراسَةً ؛ كالسِّمْعِ والعِسْبَارِ[1] ونَحوِهما .

ثمَّ إِنَّ البَغْلَ حيوانٌ عقيمٌ ، لَيْسَ لَهُ نَسْلٌ ولا نَماءٌ ، ولا يُذَكَّى ولا يُزَكَّىٰ .

ثمَّ قَالَ : وَلا أَرَى لِهَذَا الرَّأْيِ طائِلاً ، فإِنَّ اللهَ تَعالَى قَالَ : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النَّحل : ٨] فَذَكَرَ البغالَ وامتنَّ علينا بِها كامتِنانِهِ بالخيلِ والحميرِ ، وأَفْرَدَ ذِكْرَها بالاسمِ الخاصِّ الموضوعِ لَها ، ونَبَّهَ على ما فِيها من الأَرَبِ والمَنفَعَةِ ؛ والمكرُوهُ منَ الأَشْياءِ مَذْمُومٌ ، لا يَسْتَحِقُّ المَدْحَ ولا يَقَعُ الامْتِنانُ بِهِ ، وَقَدِ استعملَ ﷺ البغل واقْتَناهُ وَرَكِبَهُ حَضراً وسَفَراً ، وَلَوْ

(١) السِّمع : ولد الذِّئب من الضَّبع . والعِسبار : ولد الضَّبع من الذِّئب . (قاموس) .

كَانَ مَكْرُوهاً لَمْ يَقْتَنِهِ وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ . انتهى .

● وَرَوَى « مُسلمٌ »[1] ، عن زَيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، قَالَ : « بينَما النَّبيُّ ﷺ في حائطٍ لبني النَّجَّار ، على بَغلةٍ له ، ونحنُ معه ، إذ حادَت به ، فَكادَت أن تلقِيَهُ ، وإذا أَقْبرٌ سِتَّةٌ أَو خمسةٌ أَو أَربعةٌ ، فَقَالَ ﷺ : مَن يعرفُ أَصحابَ هذه الأَقبرِ ؟ فقال رَجلٌ : أنا ؛ فقال : متى ماتَ هؤلاءِ ؟ قَالَ : ماتُوا في الإِشْرَاكِ ، فَقَالَ ﷺ : إنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلى في قُبُورِها ، فلَوْلا أَن لا تَدافَنوا ، لَدَعَوْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُسمعكم من عذابِ القبرِ الذي أَسمعُ منهُ ؛ ثمَّ أَقبلَ النَّبيُّ ﷺ علينا بوَجهِه الكَريمِ ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ؛ فقَالُوا : نَعوذُ بالله من عَذَابِ القبرِ ؛ فَقَالَ : تَعَوَّذُوا باللهِ من عَذَابِ النَّارِ ؛ فقالُوا : نَعُوذُ باللهِ من عَذَابِ النَّارِ ؛ فَقَالَ : تَعَوَّذُوا باللهِ من الفِتَنِ ، ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ ؛ فقَالُوا : نَعُوذُ باللهِ من الفِتَنِ ، ما ظَهَرَ مِنْها ومَا بَطَنَ ؛ فَقَالَ : تَعَوَّذُوا باللهِ من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ؛ فقالُوا : نَعُوذُ باللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ » .

● **فائِدةٌ أُخرى** : كانت بغلةُ رسولِ اللهِ ﷺ الدُّلْدُلُ التي يَركبُها في الأسفارِ : أُنْثَى ، كَمَا أَجابَ به ابْنُ الصَّلاحِ وغيرُهُ ، وعاشَت بَعْدَه حتَّى كبرَت وزالَت أَضراسُها ، فَكَانَ يُجَشُّ لَها الشَّعِيرُ إِلى أَن ماتَت بالبَقِيعِ في زَمَنِ مُعاوية رَضِيَ الله تَعالَى عنه ، وكانَتْ شَهْبَاءَ .

● وَنَقَلَ الحافِظُ قُطبُ الدِّينِ في « شَرْحِ السِّيرَةِ » عن « شَرح الجامع الكَبيرِ » : أَنَّهُ لو حَلفَ لا يَركبُ بَغْلاً ، فركبَ ذَكراً أَو أُنْثَى : يَحْنَثُ ، لأَنَّهُ اسمُ جِنْسٍ ، وكَذَلِكَ البَغْلَةُ ، والهاءُ فِيها للإِفرادِ ، وهاءُ الإِفرادِ يَقعُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى ، كالجَرادَةِ والتَّمْرَةِ ؛ وكَذَا لَوْ حَلَفَ لا يَركبُ بغلةً ، فركِبَ ذَكراً أَوْ أُنْثَى يَحنثُ أَيضاً .

---

(١) مسلم (٢٨٦٧) وأحمد في المسند ١/ ٤٥٣ و ٥/ ١٩٠ .

ثمَّ قَالَ : وأَجمعَ أَهلُ الحَديثِ على أَنَّ بَغْلَةَ رسولِ اللهِ ﷺ كانَتْ ذَكَراً لا أُنْثَى ؛ ثمَّ عَدَّ للنَّبيِّ ﷺ خَمسَ بغالٍ .

● وَقَالَ السُّهيليُّ[1] : وَمِمَّا ذُكِرَ في غَزوة حُنين ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَخَذَ وهو على بَغلته حَفْنَةً من البَطْحَاءِ ، فَرَمى بها في وُجُوهِ الكُفَّارِ ، وَقَالَ : « شاهَتِ الوُجُوهُ » فانهَزَمُوا ؛ وكانتِ البَغْلَةُ ضَرَبَتْ بِبَطْنِها الأَرضَ حتَّى أَخَذَ الحَفْنَةَ ، ثمَّ قَامَت . قال : وَتِلْكَ البَغْلَةُ هي التي تُسَمَّى البَيْضَاءَ ، وهي التي أَهْداها لَهُ فَرْوَةُ ابن نُفَاثة .

● وفي « معجم الطَّبرانيّ الأَوسط »[2] من حَديثِ أَنَسٍ رضي الله تعالى عنه ، قَالَ : لمَّا انْهزمَ المُسلمونَ يوم حُنينٍ ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ على بَغلته الشَّهباء التي يُقالُ لَها : الدُّلْدُلُ ؛ فَقَالَ لَها رَسولُ اللهِ ﷺ : « دُلْدُلُ أَسندي ؛ فأَلْصَقَتْ بَطْنَها بالأَرْضِ ، حتَّى أَخَذَ النَّبيُّ ﷺ حَفْنَةً من تُرابٍ ، فَرَمى بها وُجوهَهم ، وَقَالَ : « حم لا يُنْصَرُون » . قَالَ : فانهزمَ القومُ وما رَميناهُم بِسَهمٍ ، وَلا طَعَنَّاهم بِرُمحٍ ، ولا ضَربناهم بِسَيْفٍ .

● وفيهِ[3] من حَدِيثِ شَيْبَةَ بن عُثمان ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال يوم حُنينٍ لعمِّه العبَّاس : « ناوِلْنِي من البَطْحَاءِ ؛ فَأَفْقَهَ اللهُ تَعالى البغلة كلامَهُ ، فانْخَفَضَتْ بهِ ، حَتَّى كَادَ بَطْنُها يَمَسُّ الأَرْضَ ، فتَنَاوَلَ رسولُ اللهِ ﷺ من الحصباءِ ، فنَفَخَ في وُجُوههمْ ، وقال : شاهَتِ الوُجُوهُ ، حم لا يُنْصَرون » .

● تَتِمَّةٌ : رَوى « الطَّبَرانيُّ » و« أَبو نُعيم » ، من طُرقٍ صَحيحةٍ ، عن خُرَيم بن أَوس ، قَالَ[4] : هاجرتُ إِلى النَّبيِّ ﷺ ، فَقدمتُ عليه مُنصرفَهُ من

---

(١) الروض الأنف ٧/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .
(٢) المعجم الأَوسط ٤/ ٣٧٩ (٣٩٧٨) .
(٣) المعجم الكبير (٧١٩٢) .
(٤) المعجم الكبير (٤١٦٨) ودلائل النبوة لأَبي نعيم (٤٦٩) ص ٥٤٠ وكنز العمال =

تَبوك ، فأَسلمتُ ، فسمعتُهُ يَقُولُ : « هَذِهِ الحِيْرَةُ قَدْ رُفِعَتْ إِلَيَّ ، وإِنَّكم ستفتحونَها ، وهَذِهِ الشَّيماءُ بنتُ نُفَيْلَةَ الأَزْدِيَّةُ على بَغلةٍ شَهباءَ ، مُعْتَجِرةً بخِمارٍ أَسودَ ، فَقُلتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ نحنُ دَخلنا الحيرةَ ، فوجَدناها على هذه الصِّفَةِ ، فهيَ لي ؟ قَالَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : هي لَكَ » .

[قَالَ : ثمَّ كانتِ الرِّدَّةُ ، فما ارْتَدَّ أَحَدٌ من طيّءٍ ،] فأَقبلنا مع خالد بن الوليد نُريد الحيرةَ ، فلمَّا دَخلناها كانَ أَوَّلُ مَن تَلَقَّانا الشَّيماءُ بنتُ نفيلة ، كَما قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ على بغلةٍ شَهباءَ مُعْتَجِرَةً بخِمارٍ أَسودَ ، فَتَعَلَّقْتُ بها ، وقلتُ : هذه وَهَبَها لِي رسولُ اللهِ ﷺ . فَطَلَبَ مِنِّي خالِدٌ عليْها البَيِّنَة ، فَأَتيتُه بِها ، فَسَلَّمها لي .

وَنَزَلَ إِلَيْنا أَخُوها عبدُ المسيحِ ، فَقَالَ لِي : أَتبيعُنيها ؟ فقلتُ : نَعم ؛ فقال : احتَكِمْ ما شِئْتَ ؛ فقلتُ : واللهِ لا أَنقُصُها عن أَلفِ درهمٍ ؛ فَدَفَعَ لِي أَلفَ درهمٍ ؛ فَقِيلَ لِي : لَوْ قلتَ مئةَ أَلفِ درهمٍ لدفَعها إِليكَ ؛ فقلتُ : لا أَحسبُ مالاً أَكثَرَ من أَلفِ درهمٍ .

قَالَ الطَّبرانيُّ : وبَلَغَنِي أَنَّ الشَّاهِدِينَ كانا محمَّد بن مَسْلَمَة ، وعبد اللهِ بن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم[1] .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ المُتَوَلِّدِ مِنها بين الحِمارِ الأَهْليّ والفرسِ ، لِما رَوَى جابرٌ ، قَالَ[2] : « ذَبَحْنا يَوْمَ خَيْبر البِغالَ والحَمِيرَ والخَيْلَ ، فنهانا

= (٣٠٣٧٩) . وبعضه في الإصابة ٢/ ٢٣٦ ترجمة خريم بن أَوس الطَّائيّ (رقم ٢٢٥٠) . والزِّيادة عن أَبي نُعيم .

(١) الشَّاهدان في الإِصابة ٦/ ٦ (رقم ٧٧٧٦) والدَّلائل ، هما محمَّد بن مسلمة ومحمَّد بن بشير الأَنصاريّ .

(٢) أَبو داود (٣٨٠٦) والترمذي (١٤٧٨) والنَّسائي (٤٣٣١ ـ ٤٣٤٢) وابن ماجه (٣١٩٨) .

رسولُ اللهِ ﷺ عن الحَمِيرِ والبِغالِ ، ولَمْ يَنْهَنا عن الخيلِ » .

وَلأَنَّهُ مُتَوَلِّدٌ بينَ ما يَحلُّ وما يَحرمُ ، فغلبَ جانبُ التَّحريمِ ، فإنْ تَوَلَّدَ بين حِمارٍ وَحْشِيٍّ وفَرَسٍ : حَلَّ .

وَأمَّا الحَدِيثُ الَّذي رَواهُ « البزَّارُ » بإسنادٍ صَحيحٍ ، عن أَبي واقِدٍ : « أَنَّ قوماً مَاتَ لَهُم بَغلٌ ، ولم يَكُنْ لهم شيءٌ غيرُه ، فَجاؤُوا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَرَخَّصَ لَهم فِيهِ » . فَهَذَا مَحْمُولٌ على أَنَّهُم كانُوا مُضْطَرِّينَ ، يَحلُّ لَهمْ أَكْلُ المَيْتَةِ .

● **فَرعٌ** : وإذا أَوْصَى لزيدٍ ببغلةٍ ، لا تَتَناوَلُ الذَّكَرَ على الأَصَحِّ ، كَما لا تَتَناوَلُ البقرةُ الثَّورَ ؛ والثَّانِي تَتَناوَلُه ؛ والهاءُ للوحدَةِ ، كتَمرةٍ وَزَبيبةٍ .

الأَمثالُ : « قِيلَ[١] للبغلِ : مَنْ أَبُوكَ ؟ قَالَ : الفَرَسُ خالي » . يُضربُ للمُخَلِّطِ في أَمْرِهِ .

وقالوا : « أَعْقَرُ[٢] من بَغْلَةٍ » ، و« أَعْقَمُ[٣] مِنْ بَغْلَةٍ » .

وَقَالُوا[٤] : « أَعْيَبُ من بَغْلَةِ أَبي دُلامة » ؛ واسمُهُ زَنْدُ بن الجَوْنِ ، كوفيٌّ أَسودُ ، كانَ مولىً لِبَني أَسَد ، وكَانَ صاحِبَ نَوادر .

● فَمِنْها[٥] : أَنَّهُ مَرِضَ لَهُ وَلَدٌ ، فاستدعى طَبيباً لِيُداوِيَه ، وَشَرَطَ لَهُ جُعْلاً مَعْلُوماً ، فلمَّا بَرِىءَ وَلدُه ، قَالَ : واللهِ ما عندَنا شَيْءٌ نُعْطِيكَ إِيَّاهُ ؛ ولكنِ ادَّعِ

---

(١) الميداني ٢/ ١١٠ والعسكري ٢/ ١٠٠ .

(٢) الميداني ٢/ ٤٤ والزمخشري ١/ ٢٥٠ والدرة الفاخرة ١/ ٢٩٨ .

(٣) الميداني ٢/ ٤٤ والزمخشري ٢/ ٣٤ والدرة الفاخرة ١/ ٢٩٨ .

(٤) البغال ٣٣١ وثمار القلوب ١/ ٥٤٢ . وانظر قصيدته في بغلته ، في كتاب البغال ٣٣٢ وثمار القلوب ١/ ٥٤٢ والوافي بالوفيات ١٤/ ٢١٩ وديوانه ٦٩ .

(٥) كامل المبرد ٢/ ٥٦٠ ووفيات الأعيان ٢/ ٣٢٥ ، والتذكرة الحمدونية ٨/ ٢٥٩ .

على فُلانٍ اليَهوديِّ بمقدارِ الجُعلِ ـ وَكَانَ ذَا مالٍ كَثيرٍ ـ وأَنَا وَوَلَدِي نَشهدُ لَكَ بِذَلِكَ .

فمضى الطَّبيب إلى محمَّد بن عبدِ الرَّحمن بن أَبي ليلى ، وحَملَ إليه اليَهوديَّ ، وادَّعى عليه بذَلِكَ المبلغِ ، فأَنكرَ ؛ فقِيلَ : أَلَكَ بيِّنَةٌ ؟ قَالَ : نَعم . قَالَ : أَحْضرها ؛ فَدَخَلَ أَبُو دُلامة وهو يُنشد والقاضِي يَسْمَعُ شِعْرَهُ[1] : [من الطَّويل]

إِنِ النَّـاسُ غَطَّـونِـي تَغَطَّيْـتُ عَنْهُـمُ وإِنْ بَحَثُـوا عَنِّـي فَفيهـم مَبـاحِـثُ
وإِنْ نَبَثُـوا بِئْـرِي نَبَثْـتُ بِئـارَهُـمْ لِيَعْلَـمَ قَـوْمٌ كَيْـفَ تِلْـكَ النَّبـائِـثُ

فلمَّا شَهدا عند القاضِي ، قَالَ لَهُما : شهادَتُكما مَقبولَةٌ ، وكلامُكما مَسموعٌ ؛ ثمَّ غرمَ المبلغَ من عِندِهِ ، وجَمعَ بينَ المصلحتين .

● ومنها [2] : أَنَّهُ خاصَمَ رَجُلاً إِلى عافية بن يزيد القاضِي ، فَقَالَ[3] : [من المتقارب]

لَقَـدْ خـاصَمَتْنِـي غُـواةُ الـرِّجـالِ وخـاصَمْتُهُـمْ سَنَـةً وافِيَـهْ
فمـا أَدْحَـضَ اللهُ لِـي حُجَّـةً ومـا خَيَّـبَ اللهُ لـي قـافِيَـهْ
فَمَـنْ كُنْـتُ مِـنْ جَـوْرِهِ خـائِفـاً فَلَسْـتُ أَخـافُـكَ يـا عـافِيَـهْ

فَقَالَ لَه عافية : لأَشكُوَنَّكَ لأَميرِ المؤمنينَ . قال : ولم ؟ قال : لأَنَّكَ هَجوتِنِي . قَالَ أَبُو دُلامة : إِنْ شَكوتنِي لَيَعْزِلَنَّكَ . قَالَ : ولِمَ ؟ قَالَ : لأَنَّكَ لا تعرفُ الهجاءَ من المدحِ .

---

(١) ديوانه ٣٧ ومصادر الخبر . وهما في الأَغاني ١٠/ ٢٣٩ وأَخبار القضاة ٣/ ١٣٩ بخبرٍ مختلفٍ .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتزّ ٥٧ ـ ٥٨ والأَغاني ١٠/ ٢٥٧ وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٧ وأَخبار القضاة ٣/ ٢٥٣ وتهذيب الكمال ١٤/ ١٠ والطَّبقات السّنيّة ٤/ ١١٧ .

(٣) ديوانه ٨٦ ومصادر الخبر .

● **ومنها** : ما قاله الإمام أَبو الفَرَجِ بن الجوزيّ[1] : رُوي أَنَّ أَبا دُلامةَ دَخَلَ على المهديِّ ، فأَنْشدهُ قَصيدةً ، فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي حاجَتَك ؟ فَقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، هَبْ لِي كَلْباً ، فغَضِبَ المهديُّ وقَالَ : أَقولُ لَكُ : سَلْنِي حاجتَك ؟ فتقولُ : هَبْ لِي كَلْباً ! فَقَالَ : يا أَمير المؤمنين ، الحاجةُ لِي أَم لَكَ ؟ قَالَ : بل لَكَ . قَالَ : فإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تهبَ لِي كَلْبَ صَيْدٍ ؛ فأَمَرَ لَهُ بكَلْبٍ ؛ فَقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، هَبْنِي خرجتُ إِلى الصَّيْدِ ، أَفَأَعدو على رِجْلَيَّ ؟ فَأَمَرَ لَهُ بدابَّةٍ ؛ فقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، فَمَنْ يَقُومُ علَيها ؟ فأَمَرَ لَهُ بغُلامٍ ؛ فَقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، هَبْنِي صِدْتُ صَيْداً ، فأَتَيْتُ بِهِ المَنْزِلَ ، فَمَنْ يَطبخُهُ لِي ؟ فَأَمَر له بجارِيَةٍ ؛ فقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، هؤلاءِ أَيْنَ يَبِيتُونَ ؟ فَأَمَرَ لَهُ بدارٍ ؛ فقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، قَدْ صَار في عُنقي جَماعَةٌ من العِيالِ ، فَمِنْ أَيْنَ لِي مَا يَقوتُ هؤلاءِ ؟ قَالَ : فإِنَّ أَميرَ المؤمنين قد أَقْطَعَكَ أَلْفَ جَريبٍ عامِراً وأَلف جَريبٍ غامِراً ؛ فقَالَ : أَمَّا العامِرُ فَقَدْ عرفتُه ، فما الغامرُ ؟ قَالَ : الخرابُ الذي لا شيءَ فِيه ؛ فَقَالَ : أَنا أُقْطِعُ أَميرَ المؤمنين مئة أَلف جَريبٍ غامرةً بالدَّوِّ ، ولكنِّي أَسْأَلُ أَميرَ المؤمنين من أَلفِ جريبٍ جَريباً واحِداً عامِراً ؟ قَالَ : من أَين ؟ قَالَ : من بيتِ المالِ ؛ فَقَالَ المهديُّ : حَوِّلُوا المَالَ ، وأَعطوه جَريباً ؛ فقال : يا أَميرَ المؤمنين ؛ إِذا حَوَّلُوا منهُ المالَ صَارَ غامِراً ؛ فَضَحِكَ المهديُّ منهُ وأَرْضاهُ .

● **قلت** : وقد أَذكرتني هَذِهِ الحِكايَةُ ما ذكره أَبُو الفَرَجِ بن الجوزيِّ أَيْضاً في « الأَذكِياء »[2] بسنده عن محمَّد بن إِسحاق السَّرَّاجِ ، قَالَ : أَنْبَأَنا داودُ بن

---

(١) الأَغاني ١٠/ ٢٣٦ وطبقات ابن المعتز ٥٨ وعيون الأَخبار ٣/ ١٢٨ والعقد الفريد ١/ ٢٦٣ وأَخبار الأَذكياء ١٠٩ ـ ١١٠ وأَخبار الظِّراف والمتماجنين ٧٤ وجمع الجواهر ١١١ ومحاضرات الرَّاغب ١/ ٥٤٧ ـ ٥٤٨ .

(٢) الجليس والأَنيس ١/ ٤٨٦ وأَخبار الأَذكياء ١٠٢ .

رُشيد ، قَالَ : قلتُ للهيثم بن عَدِيّ : بِأَيِّ شَيءٍ استحقَّ سعيد بن عبدِ الرَّحمن[1] أَنْ وَلاَّهُ المهديُّ القَضاءَ ، وأنزله منهُ تِلْكَ المنزلَةَ الرَّفيعَةَ ؟ قَالَ : إنَّ خبَرَهُ لَطَرِيفٌ ؛ فإِن أَحببت شَرحتُهُ لَكَ . قُلْتُ : قد واللهِ أَحببتُ ذَلِكَ . قَالَ : اعلمْ أَنَّهُ وافى الرَّبيعَ الحاجبَ حِينَ أَفْضَتِ الخِلافَةُ إِلى المهديِّ ، فقَالَ : استأذنْ لي على أَميرِ المؤمنين ؛ فَقَالَ لَهُ الربيعُ : مَن أَنتَ ؟ وما حاجَتُكَ ؟ قَالَ : أَنا رجلٌ قَدْ رَأَيْتُ لأَميرِ المؤمنين رُؤْيا صالِحةً ، وَقَدْ أَحببتُ أَنْ تَذكرني له ؛ فقَالَ لَهُ الرَّبيعُ : يا هَذَا ، إِنَّ القومَ لا يُصَدِّقُونَ ما يَرَوْنَهُ لأَنفسِهِم ، فكيفَ ما يَراهُ لَهم غيرُهم ؟ فاحْتَلْ بحيلَةٍ غيرِ هَذِهِ تكُونُ أَدَرَّ عليكَ من هَذه ؛ فقَالَ : إِنْ لَمْ تُخبرْهُ بِمَكانِي ، وإِلاَّ سَأَلْتُ مَنْ يُوصِلُني إِلَيْهِ ؛ وأَخبرُهُ أَنِّي سأَلتكَ الإِذْنَ عليْهِ فلم تفعلْ .

فَدَخَلَ الرَّبيعُ على المهديِّ ، وَقَالَ لَهُ : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّكم قد أَطمعتُم النَّاسَ في أَنفسكُم ، وقَدِ احتالوا لكم بِكُلِّ ضَرْبٍ ؛ فقَالَ لَهُ المَهديُّ : هكذا صُنْعُ المُلُوكِ ، فماذَا ؟ قَالَ : رَجُلٌ بالبابِ يَزعمُ أَنَّهُ رَأَى لأَميرِ المؤمنين رُؤْيا صَالِحَةً ، وقَدْ أَحَبَّ أَنْ يَقُصَّها على أَميرِ المؤمنين ؛ فَقَالَ لَهُ المَهديُّ : وَيْحَكَ يا رَبيعُ ! إِنِّي واللهِ قَدْ أَرَى الرُّؤْيا لِنَفْسِي ، فلا تَصِحُّ لِي ، فَكَيْفَ إِذا ادَّعاها لي مَنْ لعلهُ قَدِ افْتَعَلَها ؟ قَالَ : قَد قلتُ لَهُ واللهِ مثلَ هذا ، فلم يقبلْ . قَالَ : فَهاتِ الرَّجلَ .

فأُدْخِلَ عَلَيْهِ سعيدُ بن عبدِ الرَّحمن ، وَكَانَ لَهُ رُواءٌ وجَمالٌ ، وثَروةٌ ظاهِرَةٌ ، وَلِحْيَةٌ عَظيمَةٌ ، ولِسَانٌ طَلْقٌ ؛ فَقَالَ لَهُ المهديُّ : هاتِ باركَ اللهُ عليك ما رأَيتَ ؟ قَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، رَأَيْتُ كَأَنَّ آتِياً أَتانِي في مَنامِي ، فَقَالَ لِي : أَخْبِرْ أَميرَ المؤمنين أَنَّهُ يَعِيشُ ثَلاثِينَ سنةً في الخِلافَةِ ؛ وآيَةُ ذلك أَن يرى في

---

(١) عند ابن الجوزي : سعيد بن عثمان ! .

ليلته هذه في مَنامِهِ ، كَأَنَّهُ يُقَلِّبُ ياقُوتاً ، فيعدُّهُ فيجدُهُ ثَلاثِينَ ياقوتةً ، كَأَنَّها قَدْ وُهِبَتْ لَهُ ؛ فقال له المهديُّ : ما أَحْسَنَ ما رَأَيْتَ ؛ وَنَحْنُ نَمْتَحِنُ رُؤْيَاكَ في لَيْلَتِنا المقبلَةِ على ما أَخبرتَنا به ، فإِنْ كَانَ الأَمْرُ كما ذَكرتَه أَعطيناكَ ما تريدُ ، وإِن كَانَ الأَمرُ بخِلافِ ذَلِكَ لَمْ نُعاقِبْكَ ، لَعِلْمِنا أَنَّ الرُّؤْيا رُبَّما صَدَقَتْ ورُبَّما اختلفَتْ ؛ فَقَالَ لَهُ سَعيدٌ : يا أَميرَ المؤمنين ، فماذا أَصْنَعُ أَنا السَّاعَةَ إِذا صِرْتُ إِلى مَنْزِلِي وعِيالِي ، وأَخبرتُهم أَنِّي كنتُ عندَ أَميرِ المؤمنين ، ثمَّ رَجعتُ صِفْرَ اليَدَين ؟ فَقَالَ لَهُ المهديُّ : فَكَيْفَ نَصنعُ ؟ فَقَالَ : يُعَجِّلُ لِي أَميرُ المؤمنين ما أَحَبَّ ، وأَحلفُ لَكَ بالطَّلاقِ أَنِّي صادِقٌ في رُؤْيايَ ، فَأَمَرَ لَهُ بعشرةِ آلافِ دِرهمٍ ، وأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ منهُ كَفيلٌ ؛ فَمَدَّ عينيهِ ، فَرَأَى خادِماً واقِفاً على رَأْسِ المهديِّ ، حَسَنَ الوَجْهِ وَالزِّيِّ ، فَقَالَ : هَذَا يَكْفَلُنِي ؛ فقال لَهُ المهديُّ : أَتتكَفَّلُ بِهِ ؟ فاحمرَّ وجهُه وخَجِلَ ، وَقَالَ : نَعم أَتَكَفَّلُ ؛ وانصرفَ سعيدٌ بالمالِ .

فَلَمَّا كَانَ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى المهديُّ ما ذَكَرَهُ لَهُ سعيدٌ حرفاً بحرفٍ ، وأَصبحَ سَعيدُ فوافَى البابَ قائِماً ، واسْتَأْذن فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا وَقعت عينُ المهديِّ عليهِ ، قَالَ لَهُ : أَيْنَ مِصْدَاقُ ما قلتَ ؟ فَقَالَ لَهُ سعيدٌ : أَوَ مَا رَأَى أَميرُ المؤمنين شَيْئاً . فتلجلجَ في جَوابه ، فقال له سعيدٌ : امرأَته طالِقٌ ، إِن لم تكنْ رأَيتَ شيئاً ؛ فقال له المَهديُّ : وَيْحَكَ ! ما أَجْرَأَكَ على الحلفِ بالطَّلاقِ ! قَالَ : لأَنِّي أَحلفُ على صِدْقٍ ؛ فَقَالَ لَهُ المهديُّ : قد واللهِ رَأَيْتُ ذَلِكَ بَيِّناً ؛ فَقَالَ سعيدٌ : اللهُ أَكبرُ ، أَنْجزْ لي يا أَميرَ المؤمنين ما وَعَدتَني ؛ فَقَالَ لَهُ : حُبّاً وكَرامةً ؛ ثمَّ أَمَرَ لَهُ بثلاثَةِ آلافِ دِينارٍ ، وعشرةِ تُخُوتِ ثِيابٍ ، وثلاثَةِ مَراكِبَ من أَنْفَسِ دَوابِّه ـ وقال غيرُه : ثلاثَ بغالٍ شُهْبٍ ـ فَأَخَذَ ذَلِكَ وانْصَرَفَ .

فلحقَه الخادمُ الذِي كَانَ تكَفَّلَ بهِ ، وقال له : سَأَلتكَ باللهِ الَّذِي لا إِلهَ إِلاَّ هو ، هل كَانَ لِتِلْكَ الرُّؤْيا التي ذَكَرْتَ حَقيقةٌ ؟ فَقَالَ لَهُ سَعيدٌ : لا واللهِ ؛ فَقَالَ

لَهُ : وَكيفَ ذَلِكَ ، وَقَدْ رَأَى أَميرُ المؤمنين ما ذَكَرْتَه له ؟ فقال : هَذِهِ من المخارِيقِ الكِبارِ التي لا يَأْبَهُ لَها أَمثالُكم ، وَذَلِكَ أَنِّي لمَّا أَلقيتُ إِلَيهِ هَذَا الكَلامَ ، خَطَرَ بباله ، وَحَدَّثَ به نفسَه ، وَأَشْرَبَهُ قلبَهُ واشْتَغَلَ بِهِ فِكْرُهُ ، فساعَةَ ما نامَ خُيِّلَ له مَا كَانَ في قَلْبِهِ مِمَّا شَغَلَ به فِكْرَهُ ، فرآهُ في مَنامه ؛ فَقَالَ لَهُ الخادِمُ : فَقَدْ حلفتَ بِالطَّلاقِ ! قَالَ : طَلَّقْتُ واحِدَةً ، وَأَبْقَيْتُ مَعِي على اثنتينِ ، فأُزيدُ في المهرِ عشرةَ دراهمَ ، وأَحصلُ على عَشرةِ آلافِ درهمٍ ، وثلاثة آلافِ دِينارٍ ، وَعَشْرَةِ تُخُوتٍ من أَصْنَافِ الثِّيابِ ، وثلاثةِ مَراكِبَ .

فَبُهِتَ الخادِمُ في وَجْهِه ، وتَعَجَّبَ من أَمْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ سَعيدٌ : قَد واللهِ صَدَقْتُكَ ، وجَعَلْتُ صِدْقِي لَكَ مُكافَأَتَكَ على كَفالَتِكَ لِي ، فَاسْتُرْ ذَلِكَ عليَّ ؛ فَفَعَلَ .

ثمَّ إِنَّ المهديَّ طَلَبَهُ لمُنادَمَتِهِ ، فَجَعَلَ يُنادِمه ، وحَظِيَ عِنده ، وَقَلَّدَهُ القَضاءَ على عَسْكَرِهِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حتَّى ماتَ المهديُّ .

ثمَّ قَالَ ابنُ الجوزيِّ : هَكَذَا رُوِيَتْ لنا هَذِهِ الحِكايَةُ[١] .

وإِنِّي لَمرتابٌ من صِحَّتِها ، وما أَبْعد هَذَا أَنْ يُحكى عن قاضٍ من القُضاةِ .

● قُلتُ : وَقَدْ سُئِلَ الإمام أَحمد عن سعيد بن عبدِ الرَّحمنِ هذا ، فَقَالَ[٢] : لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ . وَقَالَ يَحيى بن مُعين : هو ثِقَةٌ .

وإِنَّما اتُّهِمَ بِهَذَا الهَيثمُ بن عَديٍّ[٣] ؛ فَقَدْ قال يَحيى بن مُعين : الهيثمُ ليس

---

(١) هنا ينتهي قول ابن الجوزي ، وما بعده من كلام المؤلِّف .
قلت : وللقاضي المعافى تعليق نفيس على هذا الخبر ، فانظره في الجليس والأنيس ١/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩ .

(٢) بحر الدم ١٧٤ .

(٣) ميزان الاعتدال ٤/ ٣٢٤ .

بِثِقَةٍ ، كَانَ يَكْذِبُ . وَقَالَ عليُّ بن المَديني : لا أَرْضاهُ في شيْءٍ . وَقَالَ أَبُو داود العِجليّ : الهَيْثَمُ كَذَّابٌ ؛ وَقَالَ إبراهيمُ بن يعقوب الجوزجانيّ : الهيثمُ ساقِطٌ ، قَدْ كَشَفَ قناعه . وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ : لَيْسَ بِشَيْءٍ .

● وفي كِتابِ « الفَرَج بعْدَ الشِّدَّةِ » : عن رجلٍ من الجُنْدِ ، قَالَ[1] :

خَرجتُ من بعض بُلْدانِ الشَّامِ أُرِيدُ قَرْيَةً من قُراها ، فلمَّا صِرْتُ في بعضِ الطَّريقِ ، وَقَدْ سِرْتُ عِدَّةَ فَراسِخَ ، لَحِقَنِي التَّعَبُ ، وَكَانَ مَعِي بَغلَةٌ عَلَيْها خُرْجِي وقِماشِي ، وكَانَ قد قربَ المَساءُ ، فإذا بِدَيرٍ عَظِيمٍ وَفِيهِ راهِبٌ في صَوْمَعَةٍ ، فَنَزَلَ إِليَّ واستقبلَنِي ، وَسَأَلَنِي المبيتَ عِندَهُ ، وأَنْ يُضَيِّفَنِي ، ففعَلْتُ ، فلمَّا دخلتُ الدَّيْرَ لَمْ أَجِدْ فِيهِ غيرَهُ ، فأَخَذَ بَغْلَتِي وَطَرَحَ لَها شَعيراً ، وَعَزَلَ رَحْلِي في بيتٍ ، وجاءَنِي بماءٍ حارٍّ ، وكانَ الزَّمانُ شَديدَ البَرْدِ ، والثَّلْجُ يَسقطُ ، وأَوْقَدَ بَيْنَ يَدَيَّ ناراً عَظيمةً ، وجَاءَ بِطَعامٍ طَيِّبٍ فأَكَلْتُ .

وَمَضَتْ قِطعةٌ مِنَ اللَّيْلِ ، فأَرَدْتُ النَّوْمَ ، فَسَأَلْتُهُ عن طَرِيقِ المُسْتَراحِ[2] ، فَدَلَّنِي عَلَيْهِ ، وَكُنَّا في غُرفةٍ ، فنزلتُ ومَشيتُ ، فلمَّا صِرْتُ على باب المُسْتَراحِ ، إذا بارِيَّةٌ عَظيمَةٌ ، فلمَّا صارَتْ رِجْلايَ عَلَيْها سَقَطْتُ ، فإذا أَنا بالصَّحْراءِ ، وإِذا البارِيَّةُ كانَتْ مَطْرُوحَةً على غَيْرِ سَقْفٍ .

وَكَانَ الثَّلْجُ يسقطُ سُقُوطاً عَظِيماً ، فَصِحْتُ بالرَّاهِبِ ، فَلَمْ يُكَلِّمْنِي ، فقمتُ وَقَدْ تَجرَّحَ بَدَنِي إلاَّ أَنِّي سالِمٌ ، فَجِئْتُ فاسْتَظللتُ بطاقِ بَابِ الدَّيْرِ مِنَ الثَّلْجِ ، فإذا حِجارَةٌ قَدْ أَتَتْنِي ، لَوْ تَمَكَّنَتْ من دِماغِي لَطَحَنَتْهُ ، فخرَجْتُ أَعْدُو وأَصيحُ ، فَشَتَمَنِي ، فعلمْتُ أَنِّي أُتيتُ من جانِبِهِ ؛ وَأَنَّهُ طَمِعَ في رَحْلِي .

فلمَّا خَرَجْتُ من ظِلِّ الدَّيْرِ ، وَقَعَ الثَّلْجُ عليَّ وَبَلَّ ثِيابِي ، فنظرتُ فإذا أَنا

---

(١) الفرج بعد الشِّدَّة للتّنوخيّ ٣/ ٣٨٩ .

(٢) المستراح : الكنيف .

تالِفٌ من البردِ والثَّلْجِ ، فَوَلَّدَ لِيَ الفِكْرُ أن أَخَذْتُ حَجَراً قَريباً من ثَلاثِينَ رِطْلاً ، فَوَضعتهُ على عاتِقِي ؛ وَجعلتُ أَعْدُو بِهِ في الصَّحْراءِ شَوْطاً طَوِيلاً ، حتَّى يأْخُذَنِي التَّعبُ ، فإذا تعبتُ وحَميتُ وعَرِقْتُ طَرَحْتُ الحَجَرَ وَجَلَسْتُ أَسْتَرِيحُ ، فإذا سَكنتُ وأَخَذَنِي البَرْدُ ، تَناوَلْتُ الحَجَرَ وَعَدَوْتُ ، فَلَمْ أَزَلْ على تِلْكَ الحالَةِ إلى الصُّبْحِ .

فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَأَنا خَلْفَ الدَّيْرِ ، إذ سمعتُ حِسَّ باب الدَّيْر وَقَدْ فُتِحَ ، وإِذَا بالرَّاهِبِ قَد خَرَجَ ، وَجاءَ إلى المَوْضِعِ الَّذِي سَقطتُ مِنه ، فَلَمَّا لَمْ يَرَنِي قَالَ : يا قَومُ ، ما فَعلَ ؟ وأَنا أَسمعُهُ ، ثمَّ مَشَى ، فخالَفْتُهُ إلى بابِ الدَّيْرِ ، وَدَخَلْتُ الدَّيرَ ، وهو دائِرٌ يَطْلِبُنِي حَوْلَ الدَّيْرِ ، ووقفْتُ خَلْفَ البابِ ، وَكَانَ في وَسَطِي خِنْجَرٌ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ الرَّاهِبُ ، فَطَافَ حَوْلَ الدَّيْرِ ، فلمَّا لَمْ يَقِفْ لِي على عِلْمٍ ولا خَبَرٍ ، ولا عرفَ لِي أَثَراً ، عادَ وَدَخَلَ الدَّيْرَ ، وأَغْلَقَ البابَ عَلَيْهِ ، فَجِئْتُ عَلَيْهِ وَوَجَأْتُهُ بالخنْجَرِ فَصَرَعْتُهُ وَذَبَحْتُهُ ، وأَغْلَقْتُ بابَ الدَّيْرِ ، وصَعَدْتُ إلى الغُرفةِ ، واصطلَيْتُ بنارٍ كانَتْ مَوقُودَةً هُناكَ ، وَطَرَحْتُ عليَّ من رَحْلِي ثِياباً كَثيرةً ، وأَخَذْتُ كِسَاءَ الرَّاهِبِ فَنِمْتُ فِيهِ ، فَمَا أَفَقْتُ إلاَّ قُرْبَ العَصْرِ ، فلمَّا انتبهتُ طُفْتُ الدَّيْرَ حتَّى وَقَفْتُ على طَعامٍ فأَكَلْتُ مِنْهُ ، وسَكَنَتْ نَفْسِي .

وَوَقَعْتُ بِمفاتِيحِ بُيُوتِ الدَّيْرِ ، فأَقبلْتُ أَفْتَحُ بَيْتاً بَيْتاً ، فإذا أَموالٌ عَظيمَةٌ ، مِنْ عَيْنٍ وَوَرِقٍ ، وأَمْتِعَةٍ ، وَثِيابٍ ، وآلاتٍ ، ورِحالِ قَوْمٍ ، وأَخراجِهم وحُمُولاتِهِم ؛ وإذا الرَّاهِبُ كَانَ من عاداتِهِ ذَلِكَ مع كُلِّ مَنْ يَجْتازُ بِهِ وَحيداً وَيَتَمَكَّنُ منهُ .

قَالَ : فَتَحَيَّرْتُ في نَفْسِي ، وَلَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَعملُ في نَقْلِ المالِ ، فلبِسْتُ من ثِيابِ الرَّاهِبِ شَيْئاً ، وأَقمتُ في صَوْمَعَتِه أَيَّاماً ، أَتراءَى لِمَنْ يَجْتازُ بِي من بَعيدٍ ، لئلاَّ يَشُكُّوا أَنِّي أَنا هو ، فإذا قَرُبُوا مِنِّي لَمْ أُبرزُ إليهم وَجْهِي ، إلى أَنْ

خَفيَ أَثَرِي ، فنزعتُ ثِيابَ الرَّاهِبِ ، وأَخَذْتُ جُوالِقَيْنِ كانا في الدَّيْرِ مِنْ تِلْكَ الأَمْتِعَةِ ، وجعلتُهما على ظَهرِ البَغلَةِ ، وَذَهَبْتُ إِلى قَرْيَةٍ قريبةٍ مِنَ الدَّيْرِ ، فاكْتَرَيْتُ بها مَنْزِلاً ، وَلَمْ أَزَلْ أَنقلُ إِليْه على البَغْلَةِ حتَّى أَخَذْتُ الصَّامِتَ كُلَّهُ ، مِمَّا خَفَّ حَمْلُهُ وكثُرتْ قِيمتُهُ ، وَلَمْ أَدَعْ فِيهِ إِلاَّ الأَمْتِعَةَ الثَّقِيلَةَ ؛ فاكْتَرَيْتُ عِدَّةَ دوابَّ ورِجالٍ ، وَجِئْتُ بِهِم دُفعةً واحِدةً ، وحَملتُ كُلَّ ما قَدرتُ عليْه ، وسِرْتُ في قافِلَةٍ عَظِيمةٍ بِغَنيمَةٍ هائِلَةٍ ، حتَّى قَدِمْتُ على بَلَدِي ، وَقَدْ حَصَلْتُ على مالٍ عَظيمٍ .

وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الحِكايَةَ الحافِظُ بن عساكرٍ في « تاريخِهِ »[1] عن أَبي محمَّد البَطَّال ، وفيها بعضُ مُخالَفةٍ .

● **الخَواصُّ**[2] : إِذا جُفِّفَ قَلْبُ البغلِ ، ونُحِتَ وسُقِيَ من نُحاتَتِهِ امرأَةٌ ، لَمْ تَحْبَلْ أَبَداً .

وَكذلِك وَسَخُ أُذنِهِ إِذا تَحَمَّلَتْ بِهِ المرأَةُ لَمْ تَحْبَلْ أَبَداً ؛ وإِنْ عُلِّقَتْهُ في جِلْدِ بَغلٍ عَلَيْها ، لَمْ تَحْبَلْ أَبَداً ما دَامَ عليْها .

ورمادُ حافِرِهِ إِذا سُحِقَ وعُجِنَ بِدُهنِ الآسِ ، وجُعلَ على رَأْسِ الأَقرعِ ، أَوِ المَوْضِعِ الذِي لا ينبتُ فِيهِ شَعرٌ ، نبتَ الشَّعْرُ .

وإِذا دُفِنَ حافِرُ البغلَةِ السَّوْداءِ ، أَو دَمُها ، تَحْتَ عَتَبَةِ بابٍ ، لَمْ يَقْرَبْهُ فَأْرٌ .

وإِذا بُخِّرَ البيتُ بحافِرِ بَغلٍ ذَكَرٍ ، هربَ منهُ الفَأْرُ وسائِرُ الهوامِّ .

ونقلَ ابنُ زُهْرٍ عن سُقراطيس : أَنَّ مَنْ كَانَ عاشِقاً ، وَأَحَبَّ أَنْ يَزُولَ عِشْقُهُ ، فلْيَتَمَرَّغْ في مَراغَةِ بَغْلٍ ذَكَرٍ ، إِنْ كَانَ عِشْقُهُ من ذَكَرٍ ، وإِنْ كَانَ عِشْقُهُ من أُنْثى ، ففي مَراغَةِ بَغلَةٍ أُنْثى .

---

(١) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٥٨ ومختصره ١٤/ ١٣٨ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٤٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٢٠ ـ ٢١ وتذكرة الأنطاكي ١/ ٧٩ .

وَزِبلُهُ إذا شَمَّهُ المَزْكُومُ ، وَتَفَلَ عَلَيْهِ ، ورَماهُ على الطَّريقِ ؛ فَمَنْ تَخَطَّاهُ انتقَلَ الزُّكامُ إِلَيْهِ ، وبَرِيءَ التَّافِلُ عَلَيْه .

وَقَالَ هِرْمِس : إذا أُخِذَ وَسَخُ أُذنِ البَغْلِ في بُندقَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ، وعُلِّقَ على الحَبَالى ، مَنعهنَّ الولادَةَ مَا دَامَ عليهنَّ .

وإذا سُقِيَ منهُ إنسانٌ في نَبيذٍ ، سَكرَ من وَقْتِه .

وَإِنْ شَربتَ امرأَةٌ من بوْلِ بَغلٍ مِقدارَ ثلاثِينَ دِرهَماً ، لَمْ تَحبلْ أَبَداً .

وإِنْ سُقيَتِ المرأَةُ الحامِلُ من دِماغِ بغلٍ شَيْئاً ، جَاءَ وَلَدُها مَجْنوناً .

وَقَالَ ابنُ بختيشوع : عَرَقُ البَغْلَةِ إذا تَحَمَّلَتْ بِهِ امرأَةٌ في قُطْنَةٍ ، لَمْ تَحْبَلْ أَبَدَاً .

● **التَّعبيرُ**[1] : البغلُ في المَنامِ يَدُلُّ على السَّفَرِ بِراكِبِهِ ، وعلى طُولِ العُمرِ ؛ ويُعَبَّرُ أَيْضاً بِوَلَدِ زِنا لا أَصْلَ لَهُ .

فَمَنْ رَكِبَ بَغْلاً ، وَلَمْ يَكُنْ من المُسافِرِينَ ، فَإِنَّهُ يقهرُ رَجُلاً شَديداً .

والبغلةُ مَرْتَبَةٌ ؛ وَقِيلَ : امرأَةٌ عاقِرٌ ؛ فالسَّوداء ذاتُ مالٍ ، والبيضاءُ ذاتُ حَسَب .

وقيل : البغلةُ أيضاً سَفرٌ ؛ فمن نزلَ عن بَغلته نُزُولَ مُفارَقَةٍ ، نزلَ عن مَرتبَتِهِ ، أَو فَارَقَ زَوجَتَه التي هِيَ مركبُه ، أَوْ بَطلَ سَفَرُهُ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٧٨ **البُغَيْبغُ** : تَيْسُ الظِّباءِ السَّمينُ[2] .

وسيأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ما فِيهِ في « الظَّبي » في « حرف الظَّاءِ » .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧٣ ـ ١٧٤ وتفسير الواعظ ٢٩٨ .

(٢) اللسان ١/ ٣٢٠ (بغغ) .

٧٩ **البقر الأَهلي** : اسمُ[١] جنسٍ يقعُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى ، وإِنَّما دخَلَتْهُ الهاءُ للوحدَةِ ؛ والجمعُ بَقَرات ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ [يوسف : ٤٣] .

قَالَ المُبَرّدُ في « الكامل »[٢] : إِذا أَرَدْتَ التَّمييزَ ، قلتَ : هَذَا بَقَرَةٌ للذَّكَرِ ، وهَذِهِ بقرةٌ للأُنْثَى ؛ كَما تَقُولُ : هَذَا بَطَّةٌ للذَّكَرِ ، وهَذِهِ بَطَّةٌ للأُنْثَى .

والبَقيرُ والبُقْرانُ والباقِرُ : جماعةُ البَقَرِ مع رُعاتِها ؛ والبَيْقُورُ : الجَماعَةُ . قَالَ الشَّاعِرُ[٣] : [من البسيط]

أَجَاعِلٌ أَنْتَ بَيْقُوراً مُسَلَّعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللهِ وَالمَطَرِ

وَأَهلُ اليَمَنِ يُسَمُّونَ البقرةَ : باقُورَةً .

كَتَبَ النَّبيُّ ﷺ إِليهم كِتابَ الصَّدَقَةِ[٤] : « في كُلِّ ثَلاثِينَ باقُورَةً بَقَرَةٌ » . واشْتُقَّ هَذَا الاسْمُ من بَقَرَ ، إِذا شَقَّ ؛ لأَنَّها تَشُقُّ الأَرْضَ بِالحِراثَةِ .

ومنهُ قِيلَ لمحمَّد بن عليّ زين العابِدين بن الحُسين : الباقِرُ ، لأَنَّهُ بَقَرَ العِلْمَ : أَيْ شَقَّهُ ، وَدَخَلَ فِيهِ مدخلاً بَليغاً .

وفي الحَديثِ : « أَنَّهُ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ذَكَرَ فِتْنَةً كَوُجُوهِ البَقَرِ[٥] » أَيْ يُشْبِهُ بعضُها بعضاً ؛ ذَهَبُوا إِلى قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : ٧٠] .

وَفيهِ أَيضاً[٦] : « رِجالٌ بأَيديهم سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ ، يَضربونَ بِها النَّاسَ » .

---

(١) الصِّحاح ٢/ ٥٩٤ (بقر) .
(٢) كامل المبرد ١/ ١٣٨ و ٢/ ١٠٢٩ و ٣/ ١٤٧٧ ـ ١٤٧٨ .
(٣) البيت للورل ـ أَو الودك ـ الطائي ، في الحيوان ٤/ ٤٦٨ والأَوائل للعسكري ١/ ٣٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطي ٣٠٦ ونوادر المخطوطات ٢/ ١٩ وثمار القلوب ٢/ ٨٣٠ .
(٤) مسند أَحمد ١/ ٤١١ وابن ماجه (١٨٠٣ ـ ١٨٠٤) .
(٥) مسند أَحمد ٥/ ٣٩١ .
(٦) مسلم (٢١٢٨) ومسند أَحمد ٢/ ٣٠٨ و ٣٢٣ و ٣٥٦ و ٤٤٠ و ٥/ ٢٥٠ .

● وروى « الحاكم » عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ[1] : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ : « إِنْ طالَتْ بكَ مُدَّةٌ ، يُوشكُ أَنْ تَرى قَوْماً يَغْدُونَ في سَخَطِ اللهِ ، ويَرُوحُونَ في لَعْنَتِهِ ؛ فِي أَيديهم مثلُ أَذنابِ البَقَرِ » .

● وَفِيهِ أَيضاً[2] : « بَيْنَما رَجُلٌ يَسُوقُ بقرةً ، إِذْ تَكَلَّمَتْ ؛ فقَالُوا : سُبحانَ اللهِ ، بقرةٌ تَتَكَلَّمُ ! قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : آمنتُ بِذَلِكَ أَنا وأَبُو بَكرٍ وعُمر » .

● وفي « سُنَنِ أَبي داود » و« التِّرمذيّ »[3] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ يُبغضُ البَليغَ من الرِّجَالِ ، الذي يَتَخَلَّلُ بِلِسانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ » .

قَالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسَنٌ .

وهو الَّذِي يَتَشَدَّقُ في الكَلامِ ، وَيُفَخِّمُ بِهِ لِسانَه ، وَيَلُفُّهُ كما تَلُفُّ البقرةُ الكَلأَ بِلِسانِها لَفّاً .

● وفي « سنن أَبي داود »[4] من حديث عطاء الخُراسانيّ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « إِذا تَبَايَعْتُمْ بالعِيْنَةِ ، وَأَخَذْتُم أَذْنابَ البَقَرِ ، ورَضيتُم بالزَّرْعِ ، وتَركتُمُ الجِهادَ ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لا يَنْزِعُهُ عنكُمْ حتَّى تَرْجِعُوا إِلى دِيْنِكُمْ » .

● وفي « نهايَةِ الغريب »[5] في « بابِ السِّينِ المهملة » : في الحديثِ : « ما دَخَلَتِ السِّكَّةُ دارَ قَوْمٍ إِلاَّ ذَلُّوا » والسِّكَّةُ هِيَ التي يُحْرَثُ بِها الأَرْضُ ؛ أَي

---

(١) مسلم (٢٨٥٧) .
(٢) البخاري ٤/ ١٤٩ (كتاب الأَنبياء) .
(٣) أَبو داود (٥٠٠٥) والتّرمذيّ (٢٨٥٣) ومسند أَحمد ٢/ ١٦٥ و ١٨٧ .
(٤) أَبو داود (٣٤٦٢) ومسند أَحمد ٢/ ٤٢ .
(٥) النهاية لابن الأَثير ٢/ ٣٨٤ .

إِنَّ المُسلمينَ إِذا أَقبَلُوا على الزِّراعَةِ ، شُغِلُوا عنِ الغَزْوِ ، فيأخذُهم السُّلْطانُ بالمُطالَباتِ والجِباياتِ ؛ وقريبٌ من هذا الحَديثِ قولُهُ ﷺ : « العِزُّ في نَواصِي الخيلِ ، والذُّلُّ في أَذْنابِ البَقَرِ » .

● والبقرُ[١] : حَيوانٌ شَديدُ القُوَّةِ ، كَثيرُ المنَفعَةِ ، خَلَقَهُ اللهُ ذَلُولاً ، ولَمْ يَخْلُقْ لَهُ سِلاحاً شَديداً كما للسِّباعِ ، لأَنَّهُ في رِعايَةِ الإِنْسَانِ ، فالإِنْسانُ يدفعُ عنهُ عَدُوَّهُ ، فَلَوْ كَانَ لَهُ سِلاحٌ لَصَعُبَ على الإِنْسانِ ضَبْطُهُ ؛ والبَقَرُ الأَجَمُّ يَعلمُ أَنَّ سِلاحَهُ في رَأْسِهِ ، فيستعمِلُه في مَحَلِّ القَرْنِ ، كما يُرَى في العَجاجيلِ قبلَ نَباتِ قُرُونِها ، تَنطحُ بِرُؤُوسِها ، تفعلُ ذَلِكَ طَبْعاً .

وهي أَجناسٌ ، فمنها : **الجَواميسُ** : وَهي أكثرها أَلباناً ، وأعظمها أجساماً .

● قال الجاحظ[٢] : الجواميس ضأن البقر .

وَهَذا يَقْتَضِي أَنَّها أَطْيَبُ وأَفْضَلُ من العِرابِ ، حتَّى إِنَّها تَكُونُ مُقَدَّمَةً عليها في الأُضحيَة ، كما يُقَدَّمُ الضَّأنُ فِيها على المعزِ .

● وَقَالَ الزَّمخشريُّ في « ربيعِ الأَبرارِ »[٣] : أَشرافُ السِّباعِ ثلاثةٌ : الأَسَدُ والنَّمرُ والبَبرُ . وأَشرافُ البَهائِمِ ثَلاثَةٌ : الفِيلُ والكَرْكَدَنُّ والجامُوسُ .

ومنها **العِرابُ** : وهي جُرْدٌ مُلْسُ الأَلْوَانِ .

وَمنها نَوعٌ آخرُ يُقالُ لَهُ : الدَّرْبانة ـ بِدالٍ مُهملَةٍ ثمَّ راءٍ ثمَّ باءٍ موحَّدةٍ ثمَّ نونٍ ـ وهي التي تُنقلُ علَيْها الأَحمالُ ؛ وَرُبَّما كانت لها أَسْنِمَةٌ .

والبقرُ ينزو ذُكورها على إناثِها إذا تَمَّ لها سنةٌ من عُمرها في الغالبِ ، وهي

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٤٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٢٧ .

(٢) الحيوان ١/ ١٥٢ و ٢/ ١٨٢ و٥/ ٤٥٩ .

(٣) ربيع الأبرار ٥/ ٤١٦ .

كثيرةُ المَنِيِّ ، وكُلُّ الحيوانِ إناثُهُ أَرَقُّ صَوْتاً مِنْ ذُكُورِهِ ، إلاَّ البَقَرُ ؛ فإِنَّ الأُنْثَى أَفخمُ وأَجهرُ .

وهي تقلقُ إذا ضَرَبَها الذَّكَرُ ، وتَلتوِي تحتَه لا سِيَّما إذا أَخْطَأَ المجرى ، لِصَلابَةِ ذَكَرِهِ ؛ وهِيَ إذا اشْتاقَتْ للذَّكَرِ نَفَرَتْ وأَتْعَبَتِ الرُّعاةَ .

وبأَرْضِ مِصرَ بَقَرٌ يُقالُ لَها : بقرُ الخِيْسِ ، طِوالُ الرِّقابِ ، قُرُونُها كالأَهِلَّةِ ، وهي كَثِيرَةُ اللَّبَنِ .

● وَقَالَ المسعوديُّ[1] : رأَيْتُ بِالرَّيِّ بقراً تَبْرُكُ كما تَبْرُكُ الإِبلُ ، وَتَثُورُ بِحِملِها كما تَثُورُ .

وَلَيْسَ لجنسِ البقرِ ثَنايا عُلْيا ، فهي تَقْطَعُ الحَشيشَ بالسُّفلى .

● **فائدةٌ** : في كِتابِ « المجالسة » لأَحمد بن مَروان المالِكيِّ الدِّيْنَورِيِّ[2] بإِسْنادِهِ إلى عِكْرِمَةَ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما قَالَ : مَرَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ببقرةٍ قَدِ اعْتَرَضَ وَلَدُها في بَطْنها ، فقالت : يا كلمَةَ اللهِ ، ادعُ اللهَ أَن يُخَلِّصَنِي ؛ فَقَالَ : يا خالِقَ النَّفْسِ من النَّفْسِ ، ويا مُخْرِجَ النَّفْسِ من النَّفْسِ ، خَلِّصْها . فأَلْقَتْ ما فِي بَطْنِها .

قَالَ : فإِذا عسرَ على المرأَةِ وَلَدُها فَلْيُكْتَبْ لَها هَذَا .

● وَأَسْنَدَ[3] عن سَعيدِ بن جُبير ، عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، قَالَ : إذا عسرَ على المرأَةِ وَلَدُها ، فلْيُكْتَبْ لها (بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ، لا إِلهَ إلاَّ اللهُ الحليم الكريم ، سُبحانَ اللهِ ربِّ العرشِ العَظيمِ ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

---

(١) مروج الذهب ٢/ ١٢٣ والمستطرف ٢/ ٤٥٥ .

(٢) المجالسة ٥/ ١٧٠ وعيون الأَخبار ٤/ ١٢٣ .

(٣) المجالسة ٥/ ١٧١ وعيون الأَخبار ٤/ ١٢٣ وعمل اليوم واللَّيلة لابن السُّنِّيّ (٦١٩) .

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

●**قُلْتُ** : وهذا بعضُ حَديثٍ رَواهُ الطَّبرانيُّ[1] ، عن أَنسٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِذا طلبتَ حاجَةً ، وَأَحْبَبْتَ أَنْ تَنْجحَ ، فَقُلْ : لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، العليُّ العَظيمُ ؛ لا إِلهَ إِلاَّ الله ، وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، الحَلِيمُ الكَريمُ ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وحدَهُ لا شَريكَ لَه ، رَبُّ السَّماواتِ والأَرضِ وَرَبُّ العرشِ العَظِيمِ ، الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النّازعات : ٤٦] اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجباتِ رَحمَتِكَ ، وعَزائمَ مَغْفِرَتِكَ ، والسَّلامَةَ من كُلِّ إِثْمٍ ، والغَنيمةَ من كُلِّ برٍّ ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ والنَّجاةَ من النَّارِ ؛ اللَّهُمَّ لا تَدعْ لَنا ذَنْباً إِلاَّ غَفَرْتَهُ ، ولا هَمّاً إِلاَّ فَرَّجْتَهُ ، ولا حاجَةً هِيَ لَكَ رِضا إِلاَّ قضيتَها برحمتكَ يا أَرحمَ الرَّاحِمين » .

● وَمِمَّا جُرِّبَ لِعُسْرِ الوِلادَةِ ، أَنْ يُكتبَ ويُسْقَى للمُطْلِقَةِ ، وهو (بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢] إلى آخِرِها ؛ بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] إلى آخِرِها ؛ بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق : ١] إلى آخِرِها ؛ بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس : ١] إلى آخرها ؛ بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق : ١ ـ ٤] اللَّهُمَّ يا مُخَلِّصَ النَّفْسِ من النَّفْسِ ، ويا مُخْرِجَ النَّفْسِ مِنَ النَّفْسِ يا عليمُ ، يا قَديرُ ، خَلِّصْ فُلانَةَ مِمَّا في بَطْنِها من وَلَدِها خَلاصاً في عافيةٍ ، إِنَّكَ أَرحمُ الرَّاحِمين) .

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : روى صاحِبُ « التَّرغيب والتَّرهيب » والبيهقيّ في

---

(١) المعجم الأَوسط ٤/ ٦١ رقم (٣٣٩٨) .

« الشُّعب » عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما[1] :

أَنَّ مَلِكاً من المُلُوكِ خرجَ من بَلَدِهِ ، يَسيرُ في مملكته وهو مُسْتَخْفٍ مِنَ النَّاسِ ، فَنزَلَ على رَجُلٍ لَهُ بقَرَةٌ ، فراحَت عَلَيْه تِلْكَ اللَّيْلَةَ البقرةُ ، فحَلَبتْ مقدارَ ثلاثِينَ بقرةً ؛ فعجبَ الملكُ من ذَلِكَ ، وَحَدَّثَ نفسَهُ بأَخْذِها ؛ فلمَّا كانَ من الغَدِ ، غَدَتْ البقرةُ إِلى مَرْعاها ، ثمَّ راحَتْ ، فَحَلَبت نَصفَ ذَلِكَ ؛ فدَعا المَلِكُ صاحِبَها وقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عن بَقَرتك هَذِهِ ، لِمَ نقصَ حِلابُها ؟ أَلَم يكنْ مَرْعاها اليَوْمَ مرعاها بالأَمْسِ ؟ قَالَ : بَلى ، وَلَكِن أَرَى المَلِكَ أَضْمَرَ لِبَعْضِ رَعِيَّتِهِ سُوءاً فَنقَصَ لَبَنُها ، فإِنَّ المَلِكَ إِذا ظَلَمَ ، أَوْ هَمَّ بِظُلْمٍ ، ذَهَبَتْ البَركَةُ . قَالَ : فعاهدَ المَلِكُ رَبَّهُ أَنْ لا يأْخُذَها ولا يَظلمَ أَحَداً . قَالَ : فغَدَتْ ، فَرَعَتْ ، ثمَّ راحت ، فحَلبت حِلابَها في اليوم الأَوَّلِ ؛ فاعْتبَرَ المَلِكُ بذَلِكَ وعَدَلَ ، وَقَالَ : إِنَّ المَلِكَ إِذا ظَلَمَ ، أَوْ هَمَّ بِظُلْمٍ ، ذَهبت البَرَكَةُ ! لا جَرَمَ ، لأَعْدِلَنَّ ، ولأَكُونَنَّ على أَفْضَلِ الحالاتِ .

● وَذَكَرَها ابنُ الجوزيّ في كِتاب « مَواعظ الملُوك والسَّلاطِينِ » على غيرِ هَذَا الوجهِ ، فَقَالَ[2] :

خَرَجَ كِسرى في بعضِ الأَيَّامِ للصَّيدِ ، فانْقَطَعَ عن أَصحابه ، وأَظَلَّتْهُ سَحابةٌ ، فأَمطرتْ مَطَراً شَديداً حَالَ بينهُ وبينَ جُنده ، فَمَضَى لا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ ، فانْتَهَى إِلى كُوخٍ فِيهِ عَجُوزٌ ، فنزَلَ عندَها : وأَدخلتِ العَجُوزُ فرسَهُ ، فأَقْبَلَتْ ابنتُها ببقرةٍ قَدْ رَعَتْها ، فاحتَلَبتها ، فرأَى كِسْرَى لَبَنَها كَثيراً ، فَقَالَ : يَنبغِي أن نَجعلَ على كلِّ بقرةٍ خَراجاً ، فَهَذَا حِلابٌ كَثيرٌ ؛ ثمَّ قامتِ البنتُ في

---

(١) شعب الإيمان ٦/ ٥٣ رقم (٧٤٧٥) وسراج الملوك ١/ ١٨٩ والمستطرف ١/ ٣٢٩ . ولم يرد في التَّرغيب والتَّرهيب للمنذري .

(٢) التذكرة الحمدونية ٣/ ٢١٥ .

آخِرِ اللَّيْلِ لِتَحْلِبَها ، فوجدَتها لا لَبَنَ فِيها ، فنادَتْ : يا أُمَّاهُ ، قَدْ أَضْمَرَ المَلِكُ لِرَعِيَّتِه سُوءاً . قالت أُمُّها : وكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قالت : إِنَّ البقَرَةَ ما تَبِضُّ بقَطرَةٍ من لَبَنٍ . فَقالتْ لَها أُمُّها : اسكُتي ، فإِنَّ عليك ليلاً ؛ فأَضْمَرَ كِسرى في نَفْسِهِ العَدْلَ ، والرُّجُوعَ عن ذَلِكَ العَزْمِ .

فَلَمَّا كَانَ آخرُ اللَّيْلِ قالتْ لَهَا أُمُّها : قُومِي احلِبِي ، فقامَتْ فَوَجَدتِ البقرةَ حافِلاً . فقالتْ : يا أُمَّاهُ ، قد واللهِ ذَهَبَ مَا فِي نفسِ المَلِكِ من السُّوءِ ، فلمَّا ارْتفَعَ النَّهارُ ، جَاءَ أَصْحَابُ كسرى ، فركبَ وأَمر بِحَمْلِ العجوزِ وابنتِها إِليه ، فأَحسنَ إِليهما ، وَقَالَ : كيفَ علمتُما ذلك ؟ فقالتِ العَجوزُ : أَنا بِهَذَا المَكانِ منذُ كَذا وَكَذَا ، مَا عُمِلَ فِينا بِعَدْلٍ إِلاَّ أَخْصبَت أَرْضُنا واتَّسع عَيْشُنَا ، ومَا عُمِلَ فِينا بِجَوْرٍ إِلاَّ ضَاقَ عيشُنا وانقطَعت موادُّ النَّفْعِ عَنَّا .

● وَذَكَرَ الإِمامُ الطُّرطوشيُّ في « سِراجِ المُلُوكِ »[1] : أَنَّهُ كَانَ بصَعِيدِ مِصْر نَخْلَةٌ ، تَحملُ عشرةَ أَرادبَ تَمْراً ، وَلم يكن فِي ذَلِكَ الزَّمانِ نَخلةٌ تَحْمِلُ نِصْفَ ذَلِكَ ؛ فغَصَبها السُّلْطانُ ، فَلَمْ تَحْمِلْ في ذَلِكَ العامِ ولا تَمرةً واحِدةً .

● قَالَ الطُّرطوشيُّ[2] : وَقَالَ لِي شَيْخٌ من أَشْياخِ الصَّعِيدِ : أَعرِفُ هَذِهِ النَّخْلَةَ في الغَربيَّةِ ، تَجْنِي عشْرَةَ أَرادِبَ ـ ستِّينَ وَيْبَةً ـ وَكَانَ صاحِبُها يَبيعُ في سِنِيِّ الغلاءِ كُلَّ وَيْبَةٍ بدِينارٍ .

● وَذَكَرَ ابنُ خلِّكان في ترجمة جَلال الدَّولة مَلِك شاه السَّلْجُوقيّ[3] :

أَنَّ واعِظاً دخلَ عليهِ ، فَكَانَ من جُملة ما وَعَظه به : أَنَّ بعضَ الأَكاسِرَةِ اجْتازَ مُنفرِداً عَنْ عَسكره ، على بابِ بُسْتانٍ ، فَتَقَدَّمَ إِلى البابِ وطلبَ ماءً

---

(١) سراج الملوك ١/ ١٩٠ والمستطرف ١/ ٣٣٠ والطالع السَّعيد ٢٦ .

(٢) سراج الملوك ١/ ١٩٠ والمستطرف ١/ ٣٣٠ والطالع السَّعيد ٢٦ .

(٣) وفيات الأعيان ٥/ ٢٨٠ وسراج الملوك ١/ ١٩٠ والمستطرف ١/ ٣٣٠ .

يَشربُه ، فَخَرَجَتْ لَهُ صَبيَّةٌ بإناءٍ فِيه ماءُ قصبِ السُّكَّرِ والثَّلْجِ ، فَشَرِبَهُ فاسْتَطَابَهُ ، فَقَالَ لَها : هَذَا كَيْفَ يُعملُ ؟ فقَالَت : إِنَّ القَصَبَ يَزْكُو عِنْدَنا حتى نَعصرهُ بأَيْدِينا ، فيخرجُ منهُ هَذا الماءُ ؛ فَقَالَ : ارجِعِي واعصِرِي شَيْئاً آخَرَ ـ وكانَتِ الصَّبِيَّةُ غيرَ عارِفَةٍ بِهِ ـ فَلَمَّا وَلَّتْ قَالَ في نَفْسِهِ : الصَّوابُ أَنْ أُعَوِّضَهُم غيرَ هَذَا المَكانِ ، وَأَصْطَفِيهِ لِنَفْسِي ؛ فما كَانَ بأَسْرَعَ من خُرُوجِها باكيَةً ، وقَالتْ : إِنَّ نِيَّةَ سُلْطانِنا قَدْ تَغَيَّرَتْ . قَالَ : وَمِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ قَالتْ : كُنْتُ آخُذُ ، مِنْ هَذَا ما أُريدُ بغيرِ تَعَبٍ ، والآن قَدِ اجتهدتُ في عَصْره فَلَمْ أَسْتَطِعْ .

فَرَجَعَ عن تِلْكَ النِّيَّةِ ، ثُمَّ قَالَ لها : ارجِعِي الآنَ ، فإِنَّكِ تَبلغينَ الغَرَضَ ـ وَعقدَ في نَفْسِهِ أَن لا يَفْعَلَ ما نَواهُ ـ فذهبتْ ثمَّ جاءَت ومعها مَا شَاءَت من مَاءِ القَصَبِ ، وهي مُستبشرةٌ .

قَالَ : وَكَانَ مَلِكُ شاه مِنْ أَحْسَنِ المُلُوكِ سِيرَةً ، حتَّى لُقِّبَ بالمَلِكِ العادِلِ ؛ وَكَانَ قَدْ أَبْطَلَ المُكُوسَ والخَفاراتِ في جميعِ البِلادِ ، فكثُرَ الأَمْنُ في زَمانِهِ ؛ وَكَانَ قَدْ مَلَكَ مَا لَمْ يملِكْهُ أَحَدٌ من مُلُوكِ الإِسْلامِ ، وَكانَ لَهِجاً بالصَّيْدِ .

قِيلَ : إِنَّهُ ضُبط ما اصطادَه بيَدِهِ ، فَكَانَ عَشرةَ آلاف ، فَتَصَدَّقَ بعشرةِ آلافِ دِينارٍ ، وقَالَ : إِنِّي خائِفٌ من اللهِ تَعالى من إِزْهاقِ الأَرْواحِ لِغَيْرِ مَأْكَلَةٍ .

وَكان كلَّما اصْطَادَ صَيْداً يَتَصَدَّقُ بِدِينارٍ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ خَرَجَ مَرَّةً من الكُوفَةِ ، فاصطادَ في طَرِيقِهِ وَحْشاً كثيراً ، فَبَنى هناك مَنارَةً من حَوافِرِ حُمْرِ الوَحْشِ وقُرُونِ الظِّباءِ التي صادَها في تِلْكَ الطَّرِيقِ . قَالَ ـ يَعني ابن خلِّكان ـ : والمنارَةُ باقِيَةٌ إِلى الآنَ ، تُعرفُ بِمنارَةِ القُرُونِ .

وَكانَتْ وَفاتُه ببغداد ، سادِسَ عَشَر شَوَّال ، سنةَ خَمسٍ وثَمانين وأَربعمئة .

● ومن[1] عَجِيبِ الاتِّفاقِ ، أَنَّ المقتديَ بأَمرِ اللهِ كَانَ قد بايَع لِولدِهِ المُسْتظهر بوِلايةِ العهدِ من بعده ، فلمَّا دخلَ مَلِك شَاه بغدادَ المرَّةَ الثَّالِثَةَ ، أَلزمَ المُقتدي أَنْ يَعْزِلَ وَلَدهُ المُستظهر ، ويجعلَ وَلَدَهُ جعفراً الَّذِي رُزِقَهُ من ابْنَتِهِ وَليَّ العَهْدِ ، وَيُخرجَ المُقتدي إلى البَصرة ؛ فَشَقَّ ذَلِكَ على المُقتدي ، وبالَغَ في اسْتِنْزَالِ مَلك شَاه عن هذا الرَّأْيِ ، فَلَمْ يفعلْ ؛ فسأَلَه المُهلةَ عشرةَ أَيَّامٍ لِيَتَجَهَّزَ ، فأَمهلَه ؛ فَجَعَلَ المُقتدي يَصُومُ ويَطْوِي ، وإِذَا أَفْطَرَ جَلَسَ على الرَّمادِ للإفطارِ ، وهو يَدعو على السُّلْطانِ مَلك شَاه ، فَمَرِضَ مَلك شاه ، وَماتَ في تِلْكَ الأَيَّامِ ، ولَمْ تُشهدْ لَهُ جنازةٌ ، وَلا صَلَّى عليهِ أَحَدٌ في الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ ، وحُمِلَ في تابُوتِهِ إِلى أَصْبَهان ، وَدُفِنَ بِها .

● وَأَمَّا البقرةُ التي أَمَرَ اللهُ تَعالَى بَني إِسرائِيلَ بِذَبْحِها ، فَقِصَّتُها مَشهورةٌ ، وستأتِي الإِشارَةُ إِلى شَيءٍ منها في بابِ العين ، في لفظِ « العجل » إِنْ شَاءَ الله تَعالى ؛ فَسُبْحانَ مَنْ فاوَتَ بَيْنَ الخَلْقِ .

● قِيلَ لإِبراهيم عليه الصَّلاَةُ والسَّلامُ : اذبَحْ ولَدَكَ ، فَتَلَّهُ للجَبينِ . وَقِيلَ لِبَني إِسرائيل : اذْبَحُوا بَقَرَةً ، فذَبَحُوها وَمَا كادُوا يَفعلون .

● وَخرج أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عنه من جَمِيعِ مالِهِ ، وبَخِلَ ثَعْلَبَةُ بن حاطِبٍ بالزَّكاةِ .

وَجَادَ حاتمٌ بِنَفْسِهِ في حَضَرِهِ وأَسْفارِهِ ، وَبَخِلَ الحُباحِبُ بِضَوْءِ نارِهِ .

وَكذلك فاوَتَ بينَ الفُهومِ ؛ فَسَحْبانُ مِنْ أَنْطَقِ مُتكَلِّمٍ ، وباقِلٌ أَعْجَزُ مِنْ أَخْرَس ، وفاوَتَ بين الأَماكن فزرود تشكو العَطَشَ ، والبطائح تشكو الغَرَقَ .

● غَريبةٌ : كانَتِ العَرَبُ إِذا أَرادَتْ الاسْتِسْقَاءَ في السَّنَةِ الأَزِمَةِ ، جعلَتِ

---

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٢٨٨ وتاريخ الخلفاء ٥٠١ .

النِّيرانَ في أَذْنابِ البقرِ ، وأَطلَقُوها ، فَتُمْطِرُ السَّماء ؛ لأَنَّ اللهَ تَعالَى يَرْحَمُها بِسَبَبِ ذَلِكَ ؛ قَالَ الشَّاعر في ذَلِكَ : [من البسيط]

أَجاعِلٌ أَنْتَ بَيْقُوراً مُسَلَّعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللهِ والمَطَرِ

وَقَالَ أُمَيَّةُ بن أَبي الصَّلْتِ الثَّقَفيّ يَذْكُرُ ذَلِكَ[1] : [من الخفيف]

سَنَةٌ أَزْمَةٌ تَخَيَّلُ لِلنَّا سِ تَرَى لِلعِضاهِ فِيها صَرِيرا
لا على كَوْكَبٍ يَنُوءُ ولا رِيْـ ـحِ جَنُوبٍ ولا تَرَى طُخْرورا[2]
وَيَسُوقُونَ باقِرَ السَّهْلِ لِلطَّوْ دِ مَهازِيلَ خَشْيَةً أَنْ تَبُورا[3]
عاقِدِينَ النِّيرانَ في هُلُبِ الأَذْ نابِ مِنْها لِكَيْ تَهِيجَ البُحُورا
سَلَعٌ ما وَمِثْلُهُ عُشَرٌ مَا عائِلٌ ما وَعالَتِ البَيْقُورا

● وَحَكى في « الإِحْياءِ »[4] : أَنَّ شَخْصاً كانَتْ لَهُ بَقرةٌ ، يَحلِبُها ويَخلطُ في لَبَنِها المَاءَ ويَبيعه ، فَجَاءَ سَيْلٌ فَغَرَّقَ البَقرةَ ، فَقَالَ لَهُ بعضُ أَولادِهِ : إِنَّ تِلْكَ المِياهَ المُتَفَرِّقَةَ التي صَبَبْناها في اللَّبَنِ ، اجتمعَتْ دُفعةً واحِدَةً ، وَأَخَذَتِ البَقرةَ .

● وَرَوَى الخَلاَّلُ في « المجلس التَّاسِعِ من مَجالسه » عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّ بَقَرَةً انفلتتْ على خَمْرٍ فَشَربتْ منهُ ، فَذَبحوها ، ثمَّ أَتَوا إِلى النَّبيِّ ﷺ فأَخبروهُ ، فَقَالَ : « كُلُوها ولا بَأْسَ بها » .

الحُكم : يَحِلُّ أَكْلُها ، وشُرْبِ أَلْبانِها إِجماعاً .

● وفي « الصَّحيح »[5] عن عائِشة رَضِيَ الله تعالى عنها ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ

---

(١) ديوانه ٣٩٦ ـ ٣٩٩ .
(٢) الطُّخرور : السحاب الرَّقيق .
(٣) في أ ، ب : . . في نكن . . ×[الصَّواب : تكن] .
(٤) إحياء علوم الدِّين ٢/ ٦٩ والمستطرف ٢/ ٤٥٥ .
(٥) لم أقف عليه في الصَّحيحين ، وهو في ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٣ بلفظه ، من رواية محمَّد بن زياد اليشكريّ الميموني الطحان ، وهو كذَّاب ، يضع الحديث .

قَالَ : « سَمْنُ البَقَرِ وأَلْبانُها شِفاءٌ ، ولَحْمُها دَاءٌ » .

وَرَواهُ ابنُ عَدِيّ في ترجمة محمَّد بن زيَّاد الطَّحَّان ، عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ الله تَعالَى عنهما ، بِمعناه .

وَفِي « الصَّحيح »[1] عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها : « أَن النَّبيَّ ﷺ ضَحَّى عن نِسائِه بالبَقَرِ » .

وَرَوَى الطَّبرانيُّ[2] ، عن زُهيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَتني امرأَةٌ من أَهْلِي ، عن مُليكة بنت عَمرو الزَّيديَّة ـ من وَلَدِ زَيْد الله بن سعدٍ ـ قَالتْ : اشتكيتُ وَجَعاً في حَلْقِي ، فَأَتَيْتُها ـ تَعني مُليكة بنت عَمرو ـ فَوَصَفَتْ لِي سَمْنَ بَقَرٍ ، وَقَالت : إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ : « أَلْبانُها شِفاءٌ ، وسَمْنُها دَواءٌ ، وَلَحْمُها داءٌ » .

والمرأَةُ التَّابِعِيَّةُ لَمْ تُسَمَّ ، وبقيَّةُ رِجالِهِ ثِقاتٌ .

وفي « المستدرك »[3] من حَدِيثِ ابن مَسعود رَضِيَ الله تعالى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بأَلْبَانِ البَقَرِ وأَسْمانِها ، وإِيَّاكُم ولُحُومَها ؛ فإِنَّ أَلْبانَها وأَسْمانَها دَواءٌ ، ولَحُومَها داءٌ » ثمَّ قَالَ : صَحيحُ الإِسنادِ .

وَرَوَى الحاكم أَيضاً[4] ، وابْنُ حِبَّان ، عن ابن مَسعود أَيضاً ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « ما أَنزلَ الله داءً ، إِلاَّ وَأَنزلَ له دَواءً ، جَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ ، وعَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ؛ وفي أَلْبانِ البقرِ شِفاءٌ من كُلِّ دَاءٍ ؛ فعلَيْكُمْ بأَلبانِ البقَرِ ، فإِنَّها تَرِمُّ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ » أَي : تَأكلُ ، وفي روايَةٍ : « تَرْتَمُّ » وهي بِمعناها .

---

(١) البخاري ٦/ ٢٣٥ و ٢٣٧ (كتاب الأضاحي) و ١/ ٧٧ (كتاب الحيض) ومسلم ٢/ ٨٧٣ (١٢١١) .

(٢) المعجم الكبير ٢٥/ ٤٢ رقم (٧٩) وتهذيب الكمال ٣٥/ ٣١٠ .

(٣) المستدرك ٤/ ٤٠٤ .

(٤) المستدرك ٤/ ١٩٦ .

ورواه « ابن ماجه »[1] عن أبي موسى ، خلا ذِكْرِ أَلبانِ البَقَرِ .

وَرَواهُ بتَمامِهِ البَزَّارُ ، وَفِيهِ محمَّد بن جابر بن سيَّار ، وهو صَدُوقٌ عند الأَكثرِينَ ، وَضَعيفٌ عندَ غيرِهم ؛ وبقيَّةُ رِجالِهِ ثقاتٌ .

وَرَواهُ الحاكِمُ أَيضاً في « تاريخِ نَيْسابُور » من حديث عبد الله ِبن المُبارَك ، عن أَبي حَنيفة ، عن قيس بن مُسْلِمٍ ، عن طارق بن شِهاب ، عن عبد الله ِبن مَسْعودَ .

وفي « كِتابِ ابنِ السِّنِّيِّ » عن عليّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَسْتَشْفِ النَّاسُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ من السَّمْنِ .

● وإِذا أَوْصَى ببقرةٍ ، لَمْ يَتَناوَلِ الثَّوْرَ على الأَصَحِّ ، لأَنَّ لَفْظَها مَوْضُوعٌ لِلأُنْثَى ، والثَّانِي يَتَناوَلُهُ ، والهَاءُ للوحْدَةِ .

● قَالَ الرَّافعيُّ ، وقياسُ تكْميلِ البَقَرِ بالجَوامِيسِ في الزَّكاةِ ، دَخُولُها هُنا .

وفي « العمدة » و« الكِفايَةِ » : لا تَدخلُ إِلاَّ إِذا قَالَ : مِن بَقَرِي ، وَلَيْسَ له إِلاَّ الجَواميس ؛ ولو لم يكن إِلاَّ بَقَراتُ وَحْشٍ ، فوَجهانِ كما ذَكَرنا في الظِّباءِ والأَيِّلِ .

وَأَمَّا زَكاتُها : فَفِي كُلِّ ثَلاثِينَ منها سائِمَةً تَبيعٌ ـ ابنُ سَنَةٍ ـ : وفي كُلِّ أَربعينَ : مُسِنَّةٌ ـ لَها سنتانِ ـ لِما رَوَى مَالِكٌ ، عن طاوس ؛ أَنَّ مُعاذَ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ أَخذَها كَذَلِكَ ؛ وأُتِيَ بِما دُونَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَأْخذْ منها شيئاً .

وسُمِّيَ تَبيعاً ، لأَنَّهُ يَتبعُ أُمَّهُ في المَسْرَحِ ؛ وَقِيلَ : لأَنَّ قَرْنَهُ يَتْبَعُ أُذُنَهُ .

وَلَوْ أَخْرَجَ تَبيعةً أَجزَأَتْهُ ، بَلْ هِيَ أَوْلَى لِلأُنُوثَةِ .

---

(١) ابن ماجه (٣٤٣٨ ـ ٣٤٣٩) .

وسُمِّيَتْ مُسِنَّةً ، لِتكامُلِ سِنِّها ؛ فلَوْ أَخْرَجَها عن أَربعينَ تَبيعين ، أَجْزأَهُ على الصَّحيحِ ؛ وَقَالَ البَغَوِيُّ : لا ، لأَنَّ العَدَدَ لا يَقُومُ مَقامَ السِّنِّ .

● **فائِدَةٌ** : في « الحلية » في ترجَمَةِ عِكْرِمة ، قَالَ[1] : كانت القُضاةُ في بَني إسرائِيلَ ثلاثةً ، فَمَاتَ أَحَدُهم فوليَ غيرُهُ مَكانه ، ثمَّ قَضوا ما شَاء الله أن يَقضوا ، ثمَّ بَعَثَ اللهُ لَهُمْ مَلَكاً يمتحِنهُم ؛ فَوَجَدَ رَجلاً يَسْقِي بَقَرَةً على مَاءٍ وخَلْفَها عِجْلَةٌ ، فَدَعاها المَلَكُ ، وهو راكِبٌ فَرَساً ، فَتَبِعَتْها العِجْلَةُ ، فَتَخاصَما ، (فقالا : بيننا القاضِي)[2] ، فجاءَا إلى القَاضِي الأَوَّل ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ المَلَكُ دُرَّةً كانَت معهُ ، وقال له : احكمْ بأَنَّ العجلَةَ لِي . قَالَ : بِماذا أَحكمُ ؟ قال : أَرْسِلِ الفَرَسَ والبقرةَ والعِجْلَةَ ، فإن تَبِعَتِ الفَرَسَ فَهِيَ لِي ؛ فأَرسلَها ، فَتَبِعَتِ الفرسَ ، فَحَكم لهُ بها ؛ وَأَتَيا القاضِي الثَّانِي ، فَحَكَمَ كَذلِكَ ، وأَخَذَ دُرَّةً ؛ وأَمَّا القَاضِي الثَّالِثُ ، فَدَفَعَ لَهُ المَلَكُ دُرَّةً وَقَالَ : احْكُمْ بينَنا . قَالَ : إِنِّي حائِضٌ . قَالَ المَلَكُ : سُبحانَ اللهِ ، أَيَحِيضُ الذَّكَرُ ؟ قَالَ : سُبحانَ اللهِ ، أَتَلِدُ الفَرَسُ بَقَرَةً ؟ وحَكَمَ بِها لِصاحِبِها .

قلت : هؤلاءِ كَما قَالَ نَبِيُّنا ﷺ[3] : « قاضِيَانِ في النَّارِ ، وقاضٍ في الجنَّةِ » .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[4] : « تَرَكْتُ زَيْداً بِمَلاحِسِ البَقَرِ أَوْلادَها » : أَيْ بحيثُ تَلْحَسُ البَقَرُ أَولادَها ؛ يَعْنُونَ المَكَانَ القَفْرَ .

وَقَالُوا[5] : « الكلابَ على البَقَرِ » ؛ وسَيَأْتِي مَعناهُ في « بابِ الكَافِ » إن

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

(٢) من ب .

(٣) أبو داود (٣٥٧٣) وابن ماجه (٢٣١٥) .

(٤) الميداني ١/ ١٣٥ والزمخشري ٢/ ٢٥ .

(٥) الميدانيّ ٢/ ١٤٢ والزمخشري ١/ ٣٤١ وأبو عبيد ٢٨٤ وفصل المقال ٤٠٠ والعسكري =

شاء الله تعالى .

الخَواصُّ[1] : شَحْمُ البَقَرِ إذا بُخِّرَ بِهِ البَيْتُ مع زَرنيخٍ أَحمر ، طَرَدَ منهُ العَقارِبَ والحَيَّاتِ وسائِرَ الهوامِّ ؛ وإذا طُلِيَ بِهِ إناءٌ ، اجتمعَتْ إليهِ البَراغِيثُ .

وَقَرْنُهُ إذا سُحِقَ وجُعِلَ في طَعامِ صاحِبِ حُمَّى الرِّبْع ، زالت عنه ؛ وإذا شُرِبَ ، زَادَ في الإِنْعاظِ .

وَدَمُها يحبِسُ الدَّمَ السَّائِلَ .

وإذا طُلِيَ بَمرارَتِها مع ماءِ الكُرَّاثِ البَواسِيرُ ، نَفَعَها وَسَكَّنها وأَزَالَ وَجَعَها ؛ وإذا طُلِيَ بِهِ الآثارُ السُّودُ من البَدَنِ ، قَلَعَها وَأَزَالَها ؛ وإذا خُلِطَتْ مَعَ العَسَلِ واكْتُحِلَ بها ، أَزَالَتِ الظُّلْمَةَ ؛ وإذا طُلِيَ بِها مع النَّطرونِ والعَسَلِ وشَحْمِ الحَنْظَلِ ، المُقْعَدُ نَفَعَهُ .

وَقَالَ أَرسطو : مَرارَةُ البقرةِ السَّوْدَاءِ ، إذا اكْتُحِلَ بِها أَحَدَّتِ البَصَرَ . (وإذا أَردتَ أَن ترى عَجَباً ، فاذْفنْ جَرَّةً في الأَرْضِ إِلى حَلْقِها ، وقَدْ طَلَيْتَ باطِنَها بِشَحْمِ البَقَرِ ، فإنَّ البَراغِيثَ كلّها تَجْتَمِعُ فِيها .

وَخِصْيَةُ الفَحْلِ ، تُجَفَّفُ وتُشْرَبُ مَسْحُوقَةً ، تُهَيِّجُ الباهَ ، وتُنعظ ، وتُعِين على كثرةِ الجِماعِ .

وَقَضِيبُهُ إذا جُفِّفَ وسُحِقَ ، وأَلْقِيَ على البَيْضِ النِّيمبرِشْت وأُكِلَ ، فإِنَّهُ يَزِيدُ في الباهِ[2]) .

وَقَالَ كيماسُ : إذا فُقِئَت عَيْنُ البَقَرَةِ ، أَوْ قُلِعَتْ ، وَكُتِبَ بِمائِها على

= ٢/١٦٩ .

(١) عجائب المخلوقات ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ومسالك الأبصار ٢٠/٢٧ ـ ٣٠ وتذكرة الأنطاكي ١/٨١ ومفردات ابن البيطار ١/١٠٥ .

(٢) من ب .

كاغِدٍ ، لَمْ تَبِنْ بِالنَّهارِ وتُقْرَأُ بِاللَّيْلِ .

وَشُعورها إِذا أُحرقتْ وشُربت ، نفعت مِنْ وَجَعِ الأَسْنانِ ؛ وإِذا شُربت بِالسَّكَنْجَبين ، أَزالتِ الطِّحالَ ؛ وإِنْ شُرِبَتْ بِالعَسَلِ ، أَخْرَجَتْ حَبَّ القَرْحِ من البَطْنِ .

وَقالَ يونس : إِذا طُلِيَتِ الثَّواليلُ بِخِثْيِ البقرِ ، تَناثَرَتْ وَبَرِئَتْ من وَقْتِها ؛ وإِذا طُلِيَتْ بِهِ الأَوْرَامُ الصُّلْبَةُ لَيَّنَها ؛ وإِن بُخِّرَ بِهِ قَريةُ النَّملِ قبلَ ظُهُورِها ، لَمْ تَظْهَرْ ؛ وإِنْ وُضِعَ على النِّقْرِسِ ، نَفَعَ صاحِبَهُ ؛ وإِنْ بُخِّرَ بِهِ الحامِلُ ، سَهَّلَ الوِلادَةَ ، وَأَخْرَجَ الجَنِينَ حَيَّاً وَمَيْتاً والمَشِيْمَةَ ؛ وإِنْ أُحْرِقَ في بيتٍ ، طَرَدَ هوامَّهُ ؛ وإِنْ سُحِقَ المُحْرَقُ مِنه ، ونُفِخَ في الأَنْفِ ، حَبَسَ الرُّعافَ ؛ وإِنْ طُلِيَ بِهِ على البَدَنِ مِراراً ، وَتُرِكَ حتَّى يَجِفَّ ، أَخْرَجَ السَّهْمَ والشَّوْكَةَ منه ؛ وإِنْ طُلِيَ بِهِ مع الكِبْرِيتِ على خِرْقَةِ كتَّانٍ ، وَبُسِطَتْ على جَمِيعِ البَطْنِ ، نَشَّفَ المَاءَ الأَصْفَرَ .

وَقالَ هِرمس : إِذا طليتَ منخَرَ البَقَرَةِ بِدُهْنِ وَرْدٍ ، دَهِشَتْ وَشَرَدَتْ .

التَّعبيرُ[1] : البَقَرُ في المَنامِ ، يُعَبَّرُ بالسِّنين ، كَمَا عَبَّرَها يُوسف الصِّدِّيق رسولُ الله ﷺ ؛ فَالسِّمانُ خِصْبٌ ، وَالضِّعافُ جَدْبٌ ؛ هَذَا إِذا كَانَتْ بِيْضاً أَوْ سُوداً .

وإِذا كَانَتْ صُفْراً أَوْ حُمْراً ، وهي تَنْطَحُ الشَّجَرَ بِقُرونها فَتَقْلَعُها ، أَوِ الأَبْنِيَةَ فَتُسْقِطُها ، فإِنَّها فِتَنٌ تَحُلُّ بذَلِكَ المكانِ الذي دَخَلَتْهُ ، لِقَوْلِه عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ[2] : « إِنَّ الفِتَنَ تَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ كَصَياصِي البَقَرِ ، وَكَعُيُونِ البَقَرِ » .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧٨ وتفسير الواعظ ٢٧٢ ـ ٢٧٥ .

(٢) مسند أحمد ٤/ ١٠٩ و ٥/ ٣٣ و ٣٥ .

والبَقَرَةُ الصَّفْراءُ : سَنَةٌ فِيها سُرورٌ .

وَالغُبْرَةُ في البَقَرِ : شِدَّةٌ في أَوَّلِ السَّنَةِ ؛ والبُلْقَةُ في أَعْجازِها : شِدَّةٌ في آخِرِ السَّنَةِ .

والنِّصْفُ من البَقَرَةُ : مُصِيبَةٌ في أُخْتٍ أَو بِنْتٍ ، وَكَذَلِكَ كلُّ سَهْمٍ يُنْسَبُ إِلى مَن يَرِثُهُ كالرُّبْعِ والثُّمْنِ .

ومن حَلَبَ بَقَرَةَ غَيْرِهِ : فإِنَّهُ يَخُونُ رَجُلاً في امرأَتِهِ ؛ وَمَهْما رَأَى الإِنسانُ ببَقَرَتِهِ ، فَذَلِكَ عائِدٌ إِلى زَوْجَتِهِ أَوْ بِنْتِهِ .

وَحَلِيبُ البقَرَةِ : مالٌ حَلالٌ جَزيلٌ .

وَأَصْواتُها : تَدُلُّ على ناسٍ مَعرُوفين بالأَدَبِ .

وَخَدْشُها : مَرَضٌ .

وَمَنْ وَثَبَ عَلَيْهِ بَقَرَةٌ أَوْ ثَوْرٌ ولَمْ يُفلِته : فإِنَّهُ يَمُوتُ في تلك السَّنة .

والبَقَرُ في المنامِ للفلاَّحِينَ : خيرٌ . وانسبِ البَقرَ في أَلْوانِها إِلى مَا تنسبُ إِليه الخيلُ .

وَيأتِي بَيانُ ذَلِكَ إِن شاء الله تعالى في « بابِ الخَاءِ المُعجمةِ » .

ومن رأَى بَقرةً دخلَتْ داره ونَطَحَتْهُ : فإِنَّهُ يَرَى خُسْراناً في مالِهِ .

وَقَالتِ النَّصارى : مَنْ أَكَلَ لَحْمَ بَقرةٍ في نومه ؛ تَقَدَّمَ إِلى حاكِمٍ .

والشَّحْمُ مَالٌ لِمَنْ حَواهُ خالِصٌ ، لا يُغادرهُ منهُ شيءٌ ، وهو بِلا تَعَبٍ .

وَأَمَّا شِواءُ البَقَرِ : فهو أَمْنٌ للخائِفِ ؛ وَمَن كانت له زَوْجةٌ وهي حامِلٌ : بُشِّرَ بِوَلَدٍ ذَكَرٍ ؛ والشِّواءُ بِشارَةٌ في مَعيشَتِهِ ؛ فإِنْ كَانَ غيرَ ناضِجٍ : فهو هَمٌّ مِنْ قِبَلِ امرأَةٍ .

وَقِيلَ : لحمُ البَقَرِ : رِزْقٌ وخِصْبٌ لِمَنْ أَكَلَهُ مَطْبُوخاً أَوْ مَشْوِيّاً .

● وَمِنَ الرُّؤْيا المعبّرةِ قَولُ عائِشَةَ رَضِيَ الله تعالى عنها : رَأَيْتُ كَأَنِّي على تَلٍّ ، وَحَوْلي بَقَرٌ يُنْحَرُ ، فقَصَصْتُها على مَسروقٍ ، فَقَالَ : إِنْ صَدَقَتْ رُؤْياكِ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ حَوْلَك مَلْحَمَةُ قِتالٍ ؛ فَكَانَ كَذَلِكَ يوم الجَمَلِ .

وَمَنْ رَأَى بَقَرَةً تَمُصُّ لَبَنَ عِجْلِها : فإِنَّ امرأَته تَقُودُ على ابْنَتِها .

وَمَن رَأَى عَبداً يَحلِبُ بَقَرَةَ مَولاهُ : فإِنَّهُ يَتَزَوَّجُ امرأَةَ المَوْلى . والله تعالى أَعلم .

٨٠ **البَقَرُ الوَحْشِيُّ** : هَذَا النَّوْعُ أَربعةُ أَصْنافٍ : المَهَا ، والأَيِّلُ ، واليحمورُ ، والثَّيْتَلُ ؛ وَكلُّها تشربُ المَاءَ في الصَّيْفِ إِذا وَجَدَتْهُ ، وإِذا عَدِمَتْهُ صَبَرَتْ عنه ، وقَنِعَتْ باسْتِنْشَاقِ الرِّيحِ ؛ وَفِي هَذَا الوَصْفِ يُشارِكُها الذِّئْبُ والثَّعلبُ وابْنُ آوى والحُمُرُ الوَحشيَّةُ والغِزْلانُ والأَرانِبُ .

فأَمَّا الأَيِّلُ فتَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، واليَحمورُ سيأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ آخرِ الحُرُوفِ » ؛ والكَلامُ الآنَ في **المَهَا** .

فَمِنْ طَبْعِهِ : الشَّبَقُ والشَّهْوَةُ ؛ فَلِذَلِكَ إِذا حَملتِ الأُنْثَى هَربت من الذَّكَرِ خَوْفاً من عَبَثِهِ بها وهِيَ حامِلٌ ؛ وَلِفَرْطِ شَهْوَتِهِ يَرْكَبُ الذَّكَرُ ذَكَراً آخرَ ، وإِذا ركبَ واحِدٌ منها شَمَّ الباقِي منهُ رائِحَةَ المَاءِ ، فَيَثِبْنَ عَلَيْه .

وَقُرُونُ البَقَرِ الوَحْشِيِّ مُصْمَتَةٌ بِخِلافِ قُرُونِ سائِرِ الحيواناتِ ، فإِنَّها مُجَوَّفَةٌ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

والبَقَرُ الوَحْشِيُّ أَشْبَهُ شيءٍ بالمعزِ الأَهليَّةِ ، وقُرُونُها صِلابٌ جِدّاً ، تمنعُ بِها عن نَفْسِها وأَوْلادِها كِلابَ الصَّيْدِ والسِّباعَ التي تُطِيفُ بها .

● **فائِدَةٌ** : لَمَّا[1] أَرْسَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ خَالدَ بنَ الوليد إِلى أُكَيْدر دومة

---

(١) دلائل النُبوَّة لأَبي نعيم ٥٢٦ (٤٥٥) والسيرة النبوية ٢/٥٢٦ وأُسد الغابة ١/١٩٦ (رقم =

الجَندل ، وهوَ أُكَيدر بن عبدِ الملكِ ، رَجلٌ من كِنْدَةَ ، كَانَ مَلِكاً عَلَيْها ، وَكَانَ نَصرانِيّاً .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِخالِدٍ : « إِنَّكَ تَجِدُهُ يَصِيدُ بَقَرَ الوَحْشِ » . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيهِ كَانَ في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ ، فأَذِنَ اللهُ تَعالَى للبَقَرِ الوَحْشِيَّةِ أَنْ تَأْتِيَهُ من كُلِّ جانِبٍ ، تَحُكُّ قَصْرَهُ بِقُرُونِها ، فأَشْرَفَ عَلَيْها وَقَالَ : ما رَأَيْتُ أَكْثَرَ منها اللَّيْلَةَ ، وَلَقَدْ كنتُ أَكمنُ لها اليَومين والثَّلاثةِ ولا أَجِدُها ، ولَكِنْ قَدَّرَ اللهُ وما شَاءَ فَعَلَهُ ؛ ثمَّ أَمَرَ بفَرَسِهِ فأُسْرِجَ ، وَرَكِبَ هو وَأَخُوهُ حَسَّان ، وعَلَيْهِ قِباءٌ من الدِّيباجِ المُخَوَّصُ بالذَّهَبِ .

فَلَمَّا نَزَلَ وافَتْهُ خَيلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذَتْهُ أَسيراً ، وأَرْسَلُوهُ بِقبائِهِ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فتَعَجَّبَ منهُ بعضُ أَصْحابِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَمَنادِيلُ سَعْدٍ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا » .

ثمَّ إِنَّ النَّبيَّ ﷺ عَرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلامَ ، فَأَبَى ، فَأَقَرَّهُ بِالجِزْيَةِ في أَرْضِهِ في شهرِ رَجب ، سنةَ تسعٍ من الهِجْرَةِ .

● وَأَشَارَ إِلى هَذِهِ البَقَراتِ الوَحْشِيَّةِ بُجَيْرُ بن بَجْرَةَ الطَّائِيّ بِقَوْلِه[1] : [من الوافر]

تَبارَكَ سَائِقُ البَقَراتِ إِنِّي ... رَأَيْتُ اللهَ يَهْدِي كُلَّ هادِي
فَمَنْ يَكُ حائِداً عن ذِي تَبُوكٍ ... فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنا بِالجِهادِ

وَسَيَأْتِي مَزِيدُ كَلامٍ في « المَهَا » ، في « بابِ المِيمِ » ، إِن شاء الله تعالى .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُها بِجَمِيعِ أَنْواعِها بالإِجْماعِ ، لأَنَّها من الطَّيِّباتِ .

= ٣٦٣) والإصابة ١/ ٤٠١ ـ ٤٠٢ (رقم ٥٨٩) .

(١) البيتان في مصادر الخبر .

الأَمْثَالُ : قَالت العَربُ[1] : « تَتابَعِي بَقَرُ » ؛ زَعَمُوا أَنَّ بِشْر بن أَبي خازم الأَسَدِيّ ، خَرَجَ في سَنَةٍ جهدَ فِيها قَوْمُهُ ، فَمُرُّوا ببقرٍ ، فنَفَرت منهم ؛ فقَامَ على رَأْسِ جَبَلٍ فَرَماها بِقَوْسِهِ ، فَجَعَلَتْ تُلْقِي نَفْسَها وهو يَقُولُ : تَتابَعِي بَقَرُ ؛ حتَّى تكَسَّرَتْ ، ثمَّ رَجعَ إِلى قَوْمه ، فَدَعاهُم لأَكْلِها .

يُضْرَبُ عندَ تتابُعِ الأَمْرِ وَسُرْعَتِهِ .

الخَواصُّ[2] : مُخُّهُ يُطْعَمُ لِصاحِبِ الفالِجِ ، ينفعُه نَفْعاً شَديداً .

وَمَنِ اسْتَصْحَبَ معهُ شُعْبَةً من قُرُونِهِ ، نَفَرَتْ مِنْهُ السِّباعُ ؛ وإِذا دُخِّنَ بِقَرْنِهِ ، أَوْ جِلْدِهِ ، أَوْ ظِلْفِهِ ، في بيتٍ ؛ نَفَرَتْ منهُ الحَيَّاتُ .

ورَمادُهُ يُذَرُّ على السِّنِّ المُتأَكِّلَةِ المُتأَلِّمَةِ ، يَسْكُنُ وَجَعُها ؛ وشَعرُهُ يُبَخَّرُ بِهِ البَيْتُ ، يَهربُ منهُ الفَأْرُ والخنافِسُ .

وَقَرْنُهُ يُحْرَقُ وَيُجْعَلُ في طَعامِ صاحِبِ حُمَّى الرِّبْعِ ، تَزُولُ عنه ؛ وَيشرب في شيْءٍ مِنَ الأَشْرِبَةِ ، يَزِيدُ في الباهِ ، وَيُقَوِّي العَصَبَ ، وَيَزِيدُ في الإِنْعاظِ ؛ ويُنْفَخُ فِي أَنْفِ الرَّاعِفِ ، يَقْطَعُ دَمَهُ ؛ ويُحْرَقُ قَرْناهُ حتَّى يَصِيرا رَماداً ، ويُدافُ في الخَلِّ ، ويُطْلَى بِهِ مَوْضِعُ البَرَصِ مُسْتَقْبِلاً بِهِ الشَّمْسَ ، فَإِنَّهُ يَزُولُ ؛ ويُسَفُّ منهُ مِقدارُ مِثقالٍ ، فإِنَّهُ لا يُخاصِمُ أَحَداً إِلاَّ غَلَبَهُ .

٨١ بَقَرُ المَاءِ : قَالَ القَزوينيُّ[3] : زعموا أَنَّ بقراً تَطلعُ من الماءِ ترعى الزَّرْعَ ، ورَوْثُها العَنْبَرُ ؛ والله أعلم بصحَّةِ ذلك ؛ فإِنَّ الناسَ ذَكروا أَنَّ العَنْبَرَ يَنْبُتُ بِقَعْرِ البَحرِ ؛ فإِنْ صَحَّ ما قَالُوا فَرَوْثُ هَذَا الحَيوانِ يَنْفَعُ الدِّماغَ والحواسَّ والقَلْبَ ؛ واللهُ أَعلمُ .

---

(١) الميداني ١/ ١٢٧ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٤٨ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣١ .

(٣) عجائب المخلوقات ٩٨ .

٨٢ بَقَرَةُ بَني إسرائيل : هي التي يُقال لَها : أُمُّ قَيْسٍ ، وأُمُّ عُوَيْفٍ .

وهي دابَّةٌ صغيرةٌ ، لَها قَرْنانِ ، تكُونُ في الرَّملِ ؛ فإذا أردْتَ أَنْ تُخْرِجَها ، فاطْرَحْ في مَوْضِعِها قَملةً ، فتخرجُ فتأخذُها ، فإذا صارَتْ في يَدِكَ ، فَشُقَّ ظَهْرَها ، وأَدْخِلْ فِيهِ مِيْلاً ، واكْحَلْ بِهِ مَنْ بَعَيْنَيْهِ بَياضٌ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّهُ يذهبُ ؛ وإذا دُلِكَ بِهَذِهِ الدَّابَّةِ مَوضعُ القَرَعِ ، نَبَتَ فِيهِ الشَّعْرُ .

٨٣ البَقُّ : قَالَ الجَوهريُّ[١] : البَقَّةُ : البَعُوضَةُ ، والجمعُ البَقُّ .

وَأَنشد في « بابِ العينِ والياءِ واللَّامِ » لزُفَر بن الحارِثِ الكِلابيّ[٢] : [من الطَّويل]

أَلا إِنَّمـا قَيْـسُ بـنُ عَيْـلانَ بَقَّـةٌ ... إذا وَجَـدَتْ رِيْـحَ العَصِيـرِ تَغَنَّـتِ

والبَقُّ المَعْرُوفُ : هو الفسافِسُ ، الآتي في « بابِ الفاءِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

يُقَالُ : إِنَّهُ يَتَوَلَّدُ من النَّفَسِ الحارِّ ؛ وَلِشِدَّةِ رَغْبَته في الإنسان ، لا يَتمالَكُ إذا شَمَّ رائِحَتَهُ إِلاَّ رَمَى نفسَه عليه ؛ وهو كثيرٌ بمصرَ وما شاكَلَها من البِلادِ .

وَحُكْمه : تَحريمُ الأَكلِ ، لاسْتِقْذَارِهِ كالبَعُوضِ ؛ وهو من الحَيوانِ الذِي لا نَفْسَ لَهُ سائِلَةً أَصلاً ، كَما قَالَهُ الرَّافعيُّ رحمَهُ الله في الدَّمِ ؛ والدَّم الذِي فِيهِ يَمْتَصُّه من بَني آدم ، كما يَمْتَصُّهُ القَمْل والبرغوثُ ؛ وَوَقَعَ في كَلامِ الرَّافعيِّ والنَّوويّ وغيرهما تَمثيلُ ما لا نَفْسَ لَهُ سائِلَةً بالبَعُوضِ والبَقِّ .

قَالَ الشَّيْخُ : وفي ذِكْرِ البَقِّ المَعْرُوفِ في بِلادِنا فِيما لا نَفْسَ لَهُ سائِلَةً نَظَرٌ ؛

---

(١) الصحاح ٤/ ١٤٥١ (بقق) .

(٢) الصحاح ٥/ ١٧٧٩ (عيل) . وفي اللسان والتاج (بقق) و (عيل) .

وهو رابع أَربعة في مجالس ثعلب ٣٤٧ ـ ٣٤٨ وتاريخ دمشق ٤٠/ ٢٧٥ لعبد الرحمن بن الحكم بن أَبي العاص ، برواية : . . . قملةٌ × .

وَقد رَأَيْتُ بعضَ النَّاسِ يَذكرُ أَنَّهُ في كَثيرٍ من البِلادِ اسمٌ للبَعُوضِ ، فلعلَّ مَن أَطلَقه أَرادَ به البَعُوضَ .

الخَـواصُّ : قَـالَ القَـزوينـيُّ فـي « عَجـائِـبِ المَخْلُـوقـاتِ وغـرائِـبِ المَوْجُوداتِ »[1] : إذا بُخِّرَ البَيْتُ بالقَلْقَنْدِ والشُّونيزِ لَمْ يدخلْهُ البَقُّ بالكُلِّيَّةِ ، وَكَذَلِكَ إذا بُخِّرَ بنشارَةِ الصَّنَوْبَرِ طَرَدَهُ أَيْضاً .

وَقَالَ حُنين بن إسحاق : إذا بُخِّرَ البَيْتُ بحَبِّ المَحْلَبِ ، هَرَبَ منهُ البَقُّ أَجْمَعُ ؛ وَكَذَلِكَ إذا بُخِّرَ بالعلقِ ، أَوِ العاجِ ، أَو بجلدِ جامُوسٍ ، أَوْ بأَغْصَانِ شَجَرِ السَّرْوِ[2] .

وَقَالَ غَيْرُهُ : إذا نُقِعَ وَرَقُ الحَرْمَلِ في خَلٍّ ، ونُضِحَ بِهِ البَيْتُ ، هَرَبَ مِنه ؛ وإذا وُضِعَ الحَرْمَلُ عِنْدَ رَأْسِ الإنْسَانِ ، أَوْ رِجْلَيْه ، لَمْ يَقْرَبْ منهُ البَقُّ ؛ وإذا نُقِعَ السُّدابُ في خَلٍّ ، ونُضِحَ بِهِ البَيْتُ ، هَرَبَ مِنه ؛ وإذا أُخِذَ كُندرٌ وكِبْرِيتٌ ، ودُقَّا ودِيفا بما يُطْلَى بِذَلِكَ قَضِيبُ قِنَّبٍ ، وَوَضَعَهُ إِنْسَانٌ عندَ رَأْسِهِ حَيْثُ يَنامُ ، لَم يقربْهُ بَقٌّ أَلبَتَّةَ .

وَقَـالَ ابـنُ جُميـع فـي « الإرْشَـادِ » : دُخـانُ الكَمُّـونِ والآسِ اليـابِـسِ والتُّرمسِ ، يَطْرُدُ البَقَّ والبَعوضَ .

وَمِمَّا جُرِّبَ فَوُجِدَ نافِعاً لِطَرْدِ البَقِّ : أَنْ يُكْتَبَ على أَرْبَعِ وَرَقَاتٍ ، وَيُلْصَقَ في الحِيْطَانِ الأَرْبَعِ ما صُورَته ١١١٢١٢[3] .

---

(١) لم أَقف عليه في عجائب المخلوقات .

(٢) زاد في ب : (وأَفادني الشَّيخ أَحمد المغربي ـ وهو من أَهل الدِّين ـ أَن يكتبَ للبقِّ في ثلاثة أَركان البيتِ ، سوى الجهة التي فيها البابُ : ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص : ١٥] عطسيس عطسيس عطسين ، مُتْ أَيُّها البقُّ ، وإلاَّ يغضبُ اللهُ عليكَ ، كما غضبَ على راجل القاضي وكيله (؟) .

(٣) في أ : ١١١٢١٢١٢ .

● تَذْنِيبٌ : قَدْ ذَكَرَ النَّبيُّ ﷺ البَقَّ في حَديثٍ رَواهُ الطَّبرانيُّ[١] بإِسنادٍ جَيِّدٍ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ : سَمِعَتْ أُذناىَ هاتان ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ هاتان ، رَسُولَ اللهِ ﷺ وهو آخِذٌ بكَفَّيْهِ جَميعاً حَسَناً أَوْ حُسَيْناً ، وقَدَماهُ على قَدَمَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وهو يَقُولُ : « حُزُقَةٌ حُزُقَّهْ * تَرَقَّ عَيْنُ بَقَّه » فَيَرْقَى الغُلامُ ، فَيَضَعُ قَدَمَيْه على صَدْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثمَّ قَالَ ﷺ : « افْتَحْ فَاكَ » ثمَّ قَبَّلَهُ ، ثمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ مَنْ أَحَبَّهُ فَأَحِبَّهُ ، فإِنِّي أُحِبُّهُ » . وَرَواهُ البَزَّارُ ببعْضِ هَذَا اللَّفْظِ .

والحُزُقَّةُ : الضَّعِيفُ ، المُتقارِبُ الخَطْوِ ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ على سَبيلِ المُداعَبَةِ والتَّأْنِيسِ . وَتَرَقَّ : معناه : اصعدْ . وعَيْنُ بَقَّة : كنايَةٌ عن صِغَرِ العَيْنِ ، مَرفُوعٌ على أَنَّهُ خبرُ مُبْتَدأٍ مَحْذُوفٍ .

● وَفِي « كامل ابن عديّ » و« تاريخ ابنِ النَّجّارِ » في ترجمَةِ محمَّد بن عليّ بن الحسين بن محمَّد ، عن الأَصْبَغ بن نُباتة الحَنْظَلِيّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عليّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، يَقُولُ في خُطْبَتِهِ[٢] : ابْنُ آدَمَ ، وما ابْنُ آدمَ ؟ تُؤلِمُهُ بَقَّةٌ ، وتُنْتِنُهُ عَرْقَةٌ ، وَتَقتلُهُ شَرْقَةٌ .

والأَصبغُ بن نُباتة الحَنْظَلِيُّ المَذْكُورُ : يَروى عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه أشياءَ لم يُتابعه عَلَيْها أَحَدٌ ، فاسْتَحَقَّ من أَجْلِها التَّرْكَ[٣] .

رَوَى لَهُ ابنُ ماجَه حَدِيثاً واحِداً[٤] : « نَزَلَ جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ على النَّبيِّ ﷺ بِحِجامَةِ الأَخْدَعَيْنِ والكاهِلِ » .

---

(١) المعجم الكبير ٣/ ٤٩ برقم (٢٦٥٣) وبعضه في النهاية ١/ ٣٧٨ واللسان والتاج (حزق) .

(٢) شرح النهج ٢٠/ ٦٢ .

(٣) وكذا في ميزان الاعتدال ١/ ٢٧١ .

(٤) ابن ماجه (٣٤٨٢) .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ البَقِّ لاسْتِقْذارِهِ ، كالبَعُوضِ .

الأَمثالُ : قالوا[1] : « أَضْعَفُ مِنْ بَقَّةٍ » .

التَّعْبيرُ[2] : البَقُّ في المَنامِ : أَعداءٌ ضِعافٌ طَعَّانونُ ؛ وَهُمْ جُنْدٌ لا وَفاءَ لَهُمْ ولا جَلَدَ .

وَيَدُلُّ أَيْضاً على الهَمِّ وَالحُزْنِ ؛ لأَنَّ البَقَّ يَمْنَعُ النَّوْمَ ، والهَمُّ والحُزْنُ يَمْنَعانِ النوْمِ ، واللهُ أَعلم .

٨٤ **البَكْرُ** : الفَتيُّ[3] مِنَ الإِبلِ ، والأُنْثى : بَكْرَةٌ ، والجَمْعُ : بِكارٌ ؛ مثل فَرْخٍ وفِراخٍ ؛ وَقَدْ يُجْمعُ في القِلَّةِ على أَبْكُرٍ .

قَالَ أَبُو عُبيدة : البَكْرُ من الإِبلِ ، بمنزلةِ الفتيِّ من النَّاسِ ، وَالبَكْرَةُ بمنزلةِ الفَتاةِ ، والقَلُوصُ بمَنْزِلَةِ الجارِيَةِ ؛ والبَعِيرُ بِمَنْزِلَةِ الإِنْسَان ؛ والجَمَلُ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ ؛ والنَّاقَةُ بِمَنْزِلَةِ المَرْأَةِ .

● رَوى « مُسلم »[4] ، عن أَبي رافعٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ اسْتَلَفَ من رَجُلٍ بَكْراً ، فلمَّا جاءَت إِبلُ الصَّدَقَةِ ، أَمَرَني أَنْ أَقْضِيَ الرَّجلَ بَكْراً ، فَقُلْتُ : لَمْ أَجِدْ في الإِبلِ إِلاَّ جَمَلاً خِياراً رُباعيّاً ؛ فَقَالَ ﷺ : « أَعْطِهِ فَإِنَّ خِيارَكُمْ أَحْسَنُكُم قَضاءً » . وفي رِوايَةٍ : بازِلاً ، بَدلَ رَباعيَّاً .

● وَرَوَى الحاكم[5] ، عن العِرْباضِ بن سارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ : بِعْتُ من رسولِ اللهِ ﷺ بَكْراً ، فَجِئْتُ أَتقاضَاهُ ، فقلتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، اقضِنِي ثمنَ

---

(١) الميداني ١/ ٤٢٧ والعسكري ٢/ ٣ والزمخشري ١/ ٢١٦ والدرة الفاخرة ١/ ٢٧٧ .

(٢) تعبير الرُّؤيا ١٩٤ .

(٣) عن الصحاح ٢/ ٥٩٥ (بكر) .

(٤) مسلم (١٦٠٠) وأبو داود (٣٣٤٦) والنسائي (٤٦١٧) .

(٥) المستدرك ٢/ ٣٠ والنسائي (٤٦١٩) .

بَكْرِي . قال : « نعم » ثم قَضاني فأحسن قَضائي ، ثم جاءَه أعرابيٌّ ، فقال : يا رسول الله ، اقضني بَكري ، فَقَضاهُ بَعِيراً مُسِنّاً ، فقَالَ : يا رسولَ اللهِ ، هَذَا أَفْضَلُ من بَكْري ! فقَالَ ﷺ : « هُوَ لَكَ ؛ إِنَّ خَيْرَ القَوْمِ خَيْرُهم قَضاءً » . ثمَّ قَالَ : صَحيحُ الإِسْنادِ .

● ورَوَى الحافِظُ أَبُو يَعْلَى[1] ، بإِسْنادِهِ إلى ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، قَالَ : حَجَّ رَسولُ اللهِ ﷺ ، فلمَّا أَتى وادِي عُسْفَانَ ، قَالَ : « يا أَبا بَكْرٍ ، أَيُّ وادٍ هَذَا ؟ » قَالَ : وادِي عُسْفَان . قَالَ ﷺ : « لَقَدْ مَرَّ بهَذَا الوادِي نُوحٌ وهُودٌ وإِبراهيمُ ، على بَكَراتٍ لَهُمْ حُمْرٍ ، خُطُمُهُمُ اللِّيفُ ، وأُزُرُهُمُ العَباءُ ، وَأَرْدِيَتُهُمُ النِّمارُ ، يَحُجُّونَ البَيْتَ العَتِيقَ » .

● ورَوَى « مُسْلِم »[2] ، عن سَبْرَة بن مَعْبَد الجُهَنِيّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنهُ غزَا مع رَسُولِ اللهِ ﷺ فتحَ مَكَّةَ ، قَالَ : فأَذِنَ لَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ في المُتْعَةِ ، فانْطَلَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ إِلى امرأَةٍ مِنْ بَنِي عامِرٍ ، كَأَنَّها بَكْرَةٌ عَيْطاء ـ أَي شابَّةٌ طَويلَةُ العُنُقِ في اعتِدَالٍ ـ فَعَرَضْنا عَلَيْها أَنْفُسَنا ؛ فقالَتْ : ما تُعْطِيني ؟ فَقُلْتُ : رِدائِي . وَقَالَ صاحِبي : رِدائِي ؛ وَكَانَ رِدَاءُ صاحِبي أَجْوَدَ من رِدائِي ، وَكُنْتُ أَشَبَّ منهُ ؛ فَكانَتْ إِذا نَظَرَتْ إِلى رِداءِ صاحِبي أَعْجَبَها ، وإِذا نَظَرَتْ إِليَّ أَعْجَبْتُها ؛ ثمَّ قَالتْ : أَنْتَ وَرِداؤُكَ يَكفِيني ؛ فَمَكثتُ مَعَها ثَلاثاً ؛ ثمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ عندَهُ شيءٌ من هَذِهِ النِّساءِ التي يَتَمَتَّعُ بِهنَّ ، فَلْيُخَلِّ سَبيلَها » .

وَفِي رِوايَةٍ : فَلَمْ أَخرجْ عنها حتَّى حَرَّمَها رَسُولُ اللهِ ﷺ .

● ورَوَى « أَبُو داود » و« النَّسائي » و« التِّرمذي » و« الحاكِم » ، عن أَبي

---

(١) ومسند أَحمد (١/ ٢٣٢) .

(٢) مسلم (١٤٠٦) .

هُريرة رَضِيَ الله تعالَى عنه[1] : أَنَّ أعرابيّاً أَهْدَى لرسولِ الله ﷺ ناقَةً ، فَعَوَّضَهُ منها سِتَّ بَكراتٍ ، فَتَسَخَّطَها ؛ فبَلَغَ ذلكَ النَّبيَّ ﷺ ، فحمدَ اللهَ وَأَثْنَى عليه ، ثمَّ قَالَ : « إنَّ فُلاناً أَهْدى إِليَّ ناقَةً ، فعَوَّضْتُهُ منها سِتَّ بَكراتٍ ، فَظَلَّ ساخِطاً ؛ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إلاَّ من قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصارِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ أَوْ دَوْسِيٍّ » .

● وَفِي حَديثِ عليٍّ رَضِيَ الله تَعالَى عنه : « صَدَقَني سِنَّ بَكْرِهِ » ؛ وهو مَثَلٌ تَضربُه العَرَبُ للصَّادِقِ في خَبَرِهِ ، ويَقُولُهُ الإِنسانُ على نَفسِهِ ، وإِنْ كَانَ ضارّاً لَهُ .

وَأَصْلُهُ أَنَّ رَجُلاً ساوَمَ رَجُلاً في بَكْرٍ يَشتريهِ ، فَسَأَلَ صاحِبُهُ عن سِنِّه ، فأَخْبَرَهُ بالحَقِّ ، فَقَالَ المُشْتَري : صَدَقَني سِنَّ بَكْرِهِ[2] .

● وفي « مُسندِ الشَّافعيِّ »[3] عَنْ مَوْلىً لعُثمان قَالَ : بَيْنَما أَنا مع عُثمان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه في يَوْمٍ صائِفٍ ، إِذْ رَأَى رَجُلاً يَسُوقُ بَكرَيْنِ ، وعلى الأَرْضِ مثلُ الفَراشِ من الحَرِّ ؛ فَقَالَ : مَا عَلَى هَذَا لَوْ أَقَامَ بالمَدِينَةِ حتَّى يَبْرُدَ ثمَّ يَروحَ ؟ فَدَنا الرَّجُلُ ، فَقَالَ : انْظُرْ ؛ فَنَظَرْتُ فإِذا هوَ عُمرُ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ فَقُلْتُ : هَذَا أَميرُ المؤمنين ؛ فَقَامَ عُثمانُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فأَخْرَجَ رَأْسَهُ من البابِ ، فآذاهُ نَفْحُ السَّمُومِ ، فأَعادَ رَأْسَهُ حتى إذا حاذاهُ ،

---

(١) أَبو داود (٣٥٣٧) والترمذي (٣٩٤٥) والنَّسائيّ (٣٧٥٩) وأَحمد ٢/ ٢٩٢ .

(٢) هذا ما قَالهُ أَبو عبيد في أَمثاله ٤٩ وفصل المقال ٤٠ . وفي تفسير المثل قول آخر ، مفاده أَنَّ رجلاً ساوم رجلاً ببكرٍ على أن يشتريَه مُسِنّاً ، فقال البائع : هذا جمل . وقال المشتري : هذا بَكرٌ . فنفر البكر ، فقال صاحبه يُسَكِّنُهُ : هِدَعْ هِدَعْ ـ وهي لفظةٌ يُسَكَّنُ بها الصِّغارُ من الإِبل ـ فقال المشتري : صدقني سنَّ بَكرهِ . (الميداني ١/ ٣٩٢ والعسكري ١/ ٥٧٥ وفصل المقال ٤١ والزَّمخشري ٢/ ١٤٠) .

(٣) تاريخ دمشق (جزء عمر) ٢٣٣ ومختصره ١٨/ ٣١٨ .

قَالَ : ما أَخْرَجَكَ في هَذِهِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : بَكْرانِ من إِبلِ الصَّدَقَةِ تَخلَّفا ، وَقَدْ مُضِيَ بإِبلِ الصَّدَقَةِ ، فأَرَدْتُ أَنْ أُلْحِقَهُما بالحِمى ، خَشْيَةَ أَن يَضيعا ، فَيسأَلني اللهُ عنهما ؛ فَقَالَ عُثمان : هَلُمَّ إِلى الماءِ والظِّلِّ ؛ فقَالَ : عُدْ إِلى ظِلِّكَ ، فَقَالَ : عِنْدَنا مَنْ يَكْفِيكَ ؛ فَقَالَ : عُدْ إِلى ظِلِّك ؛ ثمَّ مَضَى ؛ فَقَالَ عُثمان : مَنْ أَحَبَّ أَن يَنظرَ إِلى القَويِّ الأَمينِ ، فلْيَنْظُرْ إِلى هَذَا .

الأَمثَالُ : في الحَدِيثِ[1] : « جاءَتْ هَوازِنُ على بَكْرَةِ أَبيها » .

وَقَالُوا[2] : « جاؤُوا على بَكْرَةِ أَبيهم » ؛ يَصِفُونَهُم بالقِلَّةِ ؛ أَي جاؤُوا بِحَيْثُ تَحملُهم بَكْرَةُ أَبيهم .

قُلْتُ : وأَصْلُهُ أَنَّ قَوْماً قُتِلُوا وحُمِلُوا على بَكْرَةِ أَبيهم ، فَقِيلَ فيهم ذَلِكَ ؛ ثمَّ صارَ مَثَلاً لِقَوْمٍ جاؤُوا مُجتمعين .

وَقَالَ أَبُو عُبيد : مَعناهُ جاؤُوا جَمِيعاً لَمْ يَتَخَلَّفْ منهم أَحَدٌ ؛ وَلَيْسَ هُناكَ بَكْرَةٌ في الحَقيقَةِ .

وَقَالَ بعضُهم : البَكْرَةُ ها هُنا هِيَ التي يُسْتَقىٰ عَلَيْها : أَي جاؤُوا بعضُهم في إِثْرِ بَعْضٍ ، كَدَورانِ البَكْرَةِ على نَسَقٍ واحِدٍ .

وَقَالَ قَوْمٌ : أَرادَ بِالبَكْرَةِ : الطَّريقَة ؛ أَرادَ أَنَّهُم جاؤُوا على طَرِيقَةِ أَبيهم ؛ أَي يَقْتَفُونَ أَثَرَهُ .

وَقِيلَ : هو ذَمٌّ ، وَوَصفٌ بالقِلَّةِ والذِّلَّةِ ؛ أَي يَكفيهم للرُّكوبِ بَكْرَةٌ واحِدَةٌ ؛ وَذِكْرُ الأَبِ احتِقارٌ وَتَصْغِيرٌ لَهم .

وَحُكْمُهُ وَخَواصُّهُ وتَعبيرُهُ : كالإِبِلِ .

---

(١) أَبو داود (٢٥٠١) .

(٢) الميداني ١/ ١٧٦ والعسكري ١/ ٣١٦ و٤٤٦ و٢/ ٩١ والزمخشري ٢/ ٤٦ وأَبو عبيد ١٣٣ والدُّرة الفاخرة ١/ ٢٤٧ .

٨٥ **البُلْبُلُ** : من أَنواعِ العَصافِيرِ ؛ ويُقَالُ لَهُ : الكُعَيْتُ ، والجُمَيْلُ ، مُصَغَّران ؛ وهو النُّغَرُ ؛ وسيأْتِي في بابِهِ .

● وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ أَلْغَزَ فِيهِ بِقَوْلِهِ : [من المتقارب]

وما طائِرٌ نِصْفُهُ كُلُّهُ ... لَهُ في ذُرا الدَّوْحِ سَيْرٌ وَلُبْثُ
رَأَيْنا ثَلاثَةَ أَرْباعِهِ ... إذا صَحَّفُوها غَدَتْ وَهْيَ ثُلْثُ

● وَقَدْ أَجادَ عليُّ بن المُظَفَّرِ ، أَبُو الفَضْلِ الآمِدِيّ ، قاضِي واسِط ، حَيْثُ قَالَ[1] : [من الكامل]

واهاً لَهُ ذَكَرَ الحِمَى فَتَأَوَّها ... وَدَعَا بِهِ دَاعِي الصِّبا فَتَولَّها
هاجَتْ بَلابِلَهُ البَلابِلُ فانْثَنَتْ ... أَشْجانُهُ تَثْني عن الحِلْمِ النُّهى
فَشَكَا جَوىً وَبَكى أَسىً وتَنَبَّهَ الْـ ... ـوَجْدُ القَدِيمُ وَلَمْ يَزَلْ مُتَنَبِّها
لا تُكْرِهُوهُ على السُّلُوِّ فطالَما ... حَمَلَ الغَرامَ فَكَيْفَ يَسْلُو مُكْرَها
لا عُتْبَ يا سُعْدَى عَلَيْكِ فَسامِحِي ... وَصْلِي فَقَدْ بَلَغَ السَّقامُ المُنْتَهى[2]

● وَمَا أَحْسَنَ قَولَ يُوسف بن لُؤلؤٍ حيثُ يَقُولُ[3] : [من السَّريع]

باكِرْ إِلى الرَّوْضَةِ تَسْتَجْلِها ... فَثَغْرُها في الصُّبْحِ بَسَّامُ
وَالنَّرْجِسُ الغَضُّ اعْتَراهُ الحَيَا ... فَغَضَّ طَرْفاً فِيهِ أَسْقَامُ
وَبُلْبُلُ الدَّوْحِ فَصِيحٌ على الْـ ... أَيْكَةِ والشُّحْرُورُ تَمْتامُ
وَنَسْمَةُ الصُّبْحِ على ضَعْفِها ... لَهَا بنا مَرٌّ وإِلْمامُ[4]
فَعاطِني الصَّهْباءَ مَشْمُولَةً ... عَذْراءَ فَالواشُونَ نُوَّامُ

---

(١) له من قصيدة في وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٧ .
(٢) في أ : يا عُتْبُ لا عتبٌ عليك فعاتبي × .
(٣) له في الوافي بالوفيات ٢٩/ ٢٨٣ وفوات الوفيات ٤/ ٣٧٨ .
(٤) في أ : ونسمة الشيح . . . × .

واكْتُـمْ أَحَـادِيـثَ الهَـوَى بَيْنَنـا ... فَفِـي خِـلالِ الـرَّوْضِ نَمَّـامُ

وَمِنْ مَحاسِنِ شِعْرِهِ أَيضاً قَوْلُهُ : [من الطَّويل]

سَقَى اللهُ أَرْضاً نُورُ وَجْهِكَ شَمْسُها ... وَحَيَّا بِلاداً أَنْتَ فِي أُفْقِها بَدْرُ

وَرَوَّى بِقاعاً جُودُ كَفِّكَ غَيْثُها ... فَفِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْ نَداكَ بِها قَطْرُ

وَلَهُ أَيْضاً : [من الطَّويل]

تَسَلْسَلَ دَمْعِي وَهْوَ لا شَكَّ مُطْلَقٌ ... وَصَحَّ حَقيقاً حِينَ قَالُوا : تَكَسَّرا

وَفِي قَلْبِ مائِي لِلقُلُوبِ مَسَرَّةٌ ... وَقَالُوا سَيَجْرِي بِالهَنا وَكَذَا جَرَى[1]

وَلَهُ أَيْضاً[2] : [من الطَّويل]

بِعَيْنِي رَأَيْتُ المَاءَ أَلْقَى بِنَفْسِهِ ... على رَأْسِهِ مِنْ شاهِقٍ فَتَكَسَّرا

وَقامَ على إِثْرِ التَّكَسُّرِ جارِياً ... أَلا فاعْجَبُوا مِمَّنْ تَكَسَّرَ قَد جرَى

وَلَهُ أَيْضاً[3] : [من الكامل]

أَنْفَقْتُ كَنْزَ مَدائِحِي فِي ثَغْرِهِ ... وَجَمَعْتُ فِيهِ كُلَّ مَعْنىً شارِدِ

وَطَلَبْتُ مِنْهُ جَزاءَ ذَلِكَ قُبْلَةً ... فَأَبَى وَراحَ تَغَزُّلِي فِي البارِدِ

● والعَربُ تَقُولُ : « البُلْبُلُ يُعَنْدِلُ » ؛ أَي يُصَوِّتُ .

● وَرَوَىٰ الحافِظُ أَبو نُعيم ، وصاحب « التَّرغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ » من حَدِيثِ مالك بن دِينار[4] : أَنَّ سُلَيْمانَ بن داود صلَّى اللهُ عليهما وَسَلَّمَ ، مَرَّ على بُلْبُلٍ فَوْقَ شَجَرَةٍ ، يُصَفِّرُ ويُحَرِّكُ رَأْسَهُ ، ويُمِيلُ ذَنَبَهُ ؛ فَقَالَ لأَصْحابِهِ : أَتَدْرُونَ

---

(١) في أ : وفي القلب ما بي . . . × .

(٢) الأوَّل ثاني اثنين لمجير الدِّين بن تميم في ديوانه ٣٠ .

(٣) هما للصَّلاح الصَّفدي في تعريف ذوي العلا ١٤١ . وبلا نسبة في المستطرف ٢/ ١٨٠ .

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٣٧٨ ولم يرد في التَّرغيب والتَّرهيب للمنذري .

ما يَقُولُ ؟ قَالُوا : لا ؛ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ : أَكَلْتُ نِصْفَ تَمْرَةٍ ، فَعَلَى الدُّنيا العَفاءُ . وهو بالمَدِّ ، أَي : على الدُّنْيا الدُّرُوسُ وذَهابُ الأَثَرِ ؛ وَقِيلَ : العَفاءُ : التُّرابُ .

وسيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في بابِ العينِ ، في لفظِ « العقعق » عن الزَّمخشريِّ ، أَنَّهُ ذَكَرَ في تَفسِيرِ قولِهِ تَعالَى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ [العنكبوت : ٦٠] عن بعضِهم[١] : أَنَّ البُلبلَ يَحْتَكِرُ القُوتَ .

● حَكَى البُوَيْطِيّ ، عن الشَّافعيِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[٢] : أَنَّه كَانَ في مَجْلِسِ مالِك بن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وهو غُلامٌ ، فَجاءَ رَجُلٌ إِلى مالك ، فاسْتفتاهُ ، فَقَالَ : إِنِّي حَلفْتُ بالطَّلاقِ الثَّلاث ، أَنَّ هَذَا البُلْبُلَ لا يَهْدَأُ من الصِّياح ؛ فقَالَ له مالكٌ : قَدْ حَنَثْتَ . فَمَضَى الرَّجُلُ ، فالتفتَ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه إِلى بَعضِ أَصْحابِ مالك ، فقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الفُتْيا خَطَأٌ ؛ فأُخْبِرَ مالكُ بذَلِكَ ، وَكَانَ مالكٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه مَهيبَ المَجلِسِ ، لا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ ، وَرُبَّما جاءَ صاحِبُ الشَّرطةِ فَوَقَفَ على رَأْسِهِ إِذا جَلَسَ في مَجلسه ؛ فقَالُوا لمالك : إِنَّ هَذَا الغُلامَ يَزْعمُ أَنَّ هَذِهِ الفُتْيا إِغفالٌ أَوْ خَطَأٌ ؛ فَقَالَ لَهُ مالكُ : من أَيْنَ قلتَ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّافعيُّ : أَلَيسَ أَنْتَ الَّذِي رَوَيْتَ لَنا عَنِ النَّبيِّ ﷺ في قِصَّةِ فاطِمَة بنت قيس رَضِيَ الله تَعالَى عنها ، أَنَّها قَالَتْ للنَّبيِّ ﷺ : إِنَّ أَبا جَهْمٍ وَمُعاوِيَةَ خَطَبَانِي ؛ فَقَالَ ﷺ[٣] : « أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فلا يَضَعُ العَصَا عن عاتِقِهِ ، وَأَمَّا مُعاويةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ لَهُ » فَهَلْ كانَتْ عَصا أَبي

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١١ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ و ٣٧٠ ـ ٣٧١ وطبقات السّبكيّ ٥/ ١٤٧ ـ ١٤٨ وشرح سنن النسائي ٦/ ٧٦ . وسيكرر في « القمري » .

(٣) مسلم (١٤٨٠) وأبو داود (٢٢٨٤ ـ ٢٢٩١) والترمذيّ (١١٣٥) و (١١٨٠) والنسائي (٣٢٤٥) .

جَهْمٍ دائِماً على عاتِقِهِ ؟ أَو إِنَّما أَرادَ مِنْ ذَلِكَ الأَغلب ؟ فعرفَ مالكٌ مَحَلَّ الشَّافعيِّ ومِقْدارَهُ .

قَالَ الشَّافعيُّ : فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أخرجَ من المدينة ، جِئْتُ إِلى مالك فَوَدَّعْتُه ؛ فَقَالَ لِي مالكٌ حينَ فارَقْتُهُ : يا غُلامُ ، اتَّقِ اللهَ تَعالَى ولا تُطْفِىءْ هذا النُّورَ الذي أَعطاكَهُ اللهُ بالمعاصِي ؛ يَعْنِي بالنُّورِ : العِلم ؛ وهو قولهُ تَعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النُّور : ٤٠] هَكَذَا جَاءَ في هَذِهِ الرِّوايَةِ : البُلبل ؛ وَجَاءَ في رِوايَةٍ أُخْرَى : القُمريّ ؛ وسَيَأْتي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالى .

التَّعبيرُ[١] : هو في الرُّؤْيا رَجُلٌ مُوسِرٌ ؛ وَقِيلَ : امرأَةٌ مُوسرةٌ .

وَقِيلَ : وَلَدٌ قارىءٌ لِكِتابِ اللهِ لا يُلْحَقُ .

٨٦ **البُلَحُ** : بِضَمِّ الباءِ وَفَتْحِ اللاَّمِ . قَالَ ابْن سِيْدَه[٢] : إِنَّهُ طائِرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ[٣] ، أَعْظَمُ من النَّسْرِ ، مُحترقُ الرِّيشِ ، لاتَقَعُ رِيشَةٌ من رِيشِهِ وسطَ ريشِ طائِرٍ آخرَ إِلاَّ أَحْرَقَتْهُ .

وَقِيلَ : هو النَّسْرُ القَدِيمُ الهَرِمُ ؛ والجمعُ بُلْحان .

٨٧ **البلشون** : هو مالِكٌ الحَزين ، وَسيأتي إِن شاء الله تعالى في « بابِ الميمِ » .

٨٨ **البُلَّصُوصُ** : بِضَمِّ الباءِ واللاَّمِ المُشَدَّدَةِ[٤] : طائِرٌ ؛ وَجَمْعُهُ

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٤ وتفسير الواعظ ٢٩٧ .

(٢) المخصَّص ٨/ ١٤٤ والعين ٣/ ٢٣٩ .

(٣) في ب والمخصص : أَبغثُ اللَّونِ .

(٤) هذا ضبطٌ غريبٌ ؛ وقد ضبطه صاحب القاموس بقوله : البَلَصوص ، كَحَلَزون : طائِر . (القاموس والتاج « بلص ») .
وقال في اللِّسان (بلص) ١/ ٣٤٤ : البِلِّصُ والبَلَصوصُ : طائرٌ ؛ وقيل : طائرٌ صغيرٌ .
وقال ابن سيده في المخصَّص ٨/ ١٦٥ : البَلَنْصَى : طائرٌ أَغبرُ ، طويلُ الذَّنَب ، قصيرُ =

البَلَنْصىٰ ، على غير قِياسٍ .

وَقَالَ سيبويه[1] : النُّونُ زائِدَةٌ ، لأَنَّكَ تَقُولُ للواحِد : البَلَصُوصُ .

والعامَّةُ تُسَمِّيه : أَبُو لُصَيْص .

قَالَ البَطْلَيَوْسِيّ في « الشَّرحِ »[2] : وَقَدِ اخْتَلَفَ اللُّغويُّونَ في هَذَيْنِ الاسمين ، أَيُّهُما الواحِدُ ، وأَيُّهُما الجَمْعُ ؟ فقَالَ قَومٌ : البَلَصُوصُ : هو الواحِدُ ؛ والبَلَنْصَى : هو الجَمْعُ ؛ وعَكَسَ ذَلِكَ آخَرُون .

وَقَالَ قَومٌ : البَلَصُوصُ : الذَّكَرُ . والبَلَنْصَى : الأُنْثَى ؛ ذَكَرَهُ ابْنُ وَلاَّدٍ ؛ وَأَنْشَدَ[3] : [من الرَّجز]

والبَلَصُوصُ يَتْبَعُ البَلَنْصَى

قَالَ : وَقِياسُ جَمْعِ البَلَصُوصُ : بَلاصِيصُ .

وَلَمْ أَدْرِ ما حُكْمُ هذا الطَّائِرِ ؟ .

٨٩ بَناتُ المَاءِ : قَالَ ابنُ أَبِي الأَشْعَث : هي سمكٌ ببحرِ الرُّومِ ، شَبيهةٌ بِالنِّساءِ ، ذَواتُ شعرٍ سَبْطٍ ، أَلوانُهنَّ إِلى السُّمْرَةِ ، ذَوَاتُ فُرُوجٍ عِظامٍ ،

= المنقار والرِّجلين ، كثيرُ الصِّياح ، طيِّبُ الصَّوت ؛ وجماعةُ البَلَصوص على غير قياسٍ .
وقال ابن قتيبة بعكس هذا في الواحِد والجمع ؛ وكلا القولين ليس بحقيقةٍ ، إِنَّما البَلَصُوصُ اسمٌ لجمعِ البَلَنْصَى على قولِ أَبي حاتم ، والبَلَنْصَى اسم جمع البَلَصُوص على قول ابن قتيبة ؛ لأَنَّ **فَعَلولاً وفَعَنْلَى** ليسا من أَبنية الجموع .
وقال : يجتمع منه العشرة ، والخمسة عشر يَصِحْنَ في أَوكار الواحدة ، كَأَنَّهُ يقع بينهنَّ واحدٌ غريبٌ .

(١) كتاب سيبويه ٤/ ٣٢٠ .

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٢/ ٦٦ ـ ٦٧ .

(٣) الشطر في اللسان والتاج (بلص) وجمهرة اللغة ٣/ ٤١٧ للخليل أَو لغيره ؛ وليس في ديوانه .

وثُديٍّ ، وَكلامٍ لا يَكادُ يُفْهَمُ ، ويَضْحَكْنَ ويُقَهْقِهْنَ ؛ وَرُبَّما وَقَعْنَ في أَيْدِي بَعْضِ أَهْلِ المَراكِبِ ، فَيَنْكِحُونَهُنَّ ، ثمَّ يُعيدُونهنَّ إلى البَحْرِ .

وَحَكى عن الرُّويانيّ صاحب « البحر » : أَنَّهُ كَانَ إذا أَتاهُ صَيَّادٌ بِسَمَكَةٍ على هَيْئَةِ المَرأَةِ ، حَلَّفَهُ أَنَّهُ لَمْ يَطأْها .

وَذَكَرَ القَزوينيّ[1] : أَنَّهُ صِيدَ لبَعْضِ المُلُوكِ رَجلٌ إذا تكَلَّمَ لا يُفهمُ ما يَقُولُ ؛ فَزَوَّجَهُ بامرأَةٍ ، فَرُزِقَ منها وَلَداً ، فَصَارَ يَتَكَلَّمُ بلُغَةِ أَبيهِ ولُغَةِ أُمِّهِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا في « بابِ الهَمْزَةِ » في « إِنْسَانِ الماءِ » .

٩٠ بَناتُ وَرْدَان : يَأْتِي ذِكْرُها في آخِرِ بابِ الواو ، إن شاء الله تعالى .

٩١ البُهارُ : بِضَمِّ الباءِ : حوتٌ أَبيضُ طَيِّبٌ ، من حِيتانِ البحرِ .

قَالَ الجوهريُّ[2] : والبُهارُ : بِالضَّمِّ ، شَيْءٌ يُوزَنُ بِهِ ، وهو ثلاثمئة رِطْلٍ .

وَقَالَ عمرو بن العاص : إنَّ ابنَ الصَّعْبَة ـ يَعْنِي طَلْحَةَ بن عُبيد الله ـ تَرَكَ مئة بُهارٍ ، في كُلِّ بُهارٍ ثلاثة قَناطِير ذهب ؛ فَجَعَلَهُ وِعاءً .

قَالَ أَبُو عُبيدٍ القاسِمُ بن سَلاَّم : والبُهارُ في كلامِهِم : ثلاثمئة رِطْلٍ ؛ وأَحْسَبُها غير عربيَّةٍ ، وَأَراها قِبْطِيَّةً .

٩٢ البُهْثَةُ : بِالضَّمِّ : البَقَرَةُ الوَحْشِيَّةُ ؛ وَقدْ تقدَّمَ ذِكْرُها .

٩٣ البَهْرَمانُ : ضربٌ من العُصْفُورِ ؛ قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[3] .

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٨ .

(٢) الصحاح ٢/٥٩٩ (بهر) . واللسان والتاج (بهر) .

(٣) هذا وهمٌ من المؤلِّف رحمه الله . فالبهرمان : ضربٌ من العُصْفُر ، وهو نبتٌ يُصبغُ به . (المخصَّص ١١/٢٠٩ ، واللِّسان والتَّاج « بهرم ») .

٩٤ البَهْمَةُ : بفَتْحِ الباءِ : الصَّغيرُ من أَولادِ الغَنَمِ والبَقَرِ والوَحْشِ وغَيرِها ؛ الذَّكَرُ والأُنْثَى فِيهِ سَواءٌ ؛ والجَمْعُ : بَهَمٌ وبِهامٌ وبهاماتٌ .

● قَالَ الأَزهريُّ في « شَرْحِ أَلْفاظِ المُختصر » : أَمَّا أَسنانُ الغَنَمِ : فَسَاعَةَ تَضَعُها أُمُّها من الضَّأْنِ والمَعْزِ ، ذَكَراً كَانَ أَوْ أُنْثَى : سَخْلَةٌ ، وَجَمْعُها : سِخالٌ ؛ ثمَّ هِيَ بَهْمَةٌ ؛ فإذا بَلَغَتْ أَربعةَ أَشْهُرٍ ، وفُصِلَتْ عن أُمِّها ، فَمَا كَانَ من أَولادِ المَعزِ فهو جِفارٌ ، واحِدُها جَفْرٌ ؛ فإذا رَعَى وَقَوِيَ ، فَهو عَرِيضٌ وعَتُودٌ ؛ وجمعُهما عِرْضَانٌ وعِتْدانٌ ؛ وهو في كُلِّ ذَلِكَ جَدْيٌ ؛ والأُنْثَى عَناقٌ ، مَا لَمْ يَأْتِ عَلَيْها الحَوْلُ ، وَجَمْعُها عُنُقٌ ؛ والذَّكَرُ تَيْسٌ إذا أَتَى عَلَيْهِ الحَوْلُ ، والأُنْثَى عَنْزٌ ؛ ثمَّ تُجْذِعُ في السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، فَالذَّكَرُ جَذَعٌ ، والأُنْثَى جَذَعَةٌ ؛ فَعُلِمَ منهُ أَنَّ ما نَقَلَهُ النَّوويُّ رحمهُ اللهُ عنه في « عَناق »[١] فِيهِ نَوْعُ خَلَلٍ ؛ واللهُ أَعلمُ .

● وَرَوَى « الشَّافعيُّ » و« ابْنُ خُزَيْمَةَ » و« ابن حِبَّان » و« الحاكم » و« أَصْحابُ السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ » ، من حَدِيثِ لَقيط بن صَبِرَة ـ واللَّفْظُ لأَبي داود ـ قَالَ[٢] : « كُنْتُ وافِدَ بَنِي المُنْتَفِقِ ، أَوْ فِي وَفْدِ بَنِي المُنْتَفِقِ ، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فلما قَدِمْنا عَلَيْهِ لَمْ نَجِدْهُ في مَنْزِلِهِ ، فَصَادَفْنا عائشةَ أُمَّ المؤمنينَ رَضِيَ اللهُ عَنها ، فأَمَرَتْ لِنا بخَزيرَةٍ[٣] ـ أَو قَالَ : بعَصِيْدَةٍ ـ فَصُنِعَتْ لَنَا ، وأُتِينا بِقِناعٍ ـ والقِناعُ : طَبَقٌ فِيهِ تَمْرٌ ـ ثمَّ جاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئاً ؟ أَوْ أُمِرَ لَكُمْ بِشَيْءٍ ؟ قُلْنا : نَعم ، يا رَسُولَ اللهِ .

قَالَ : فَبَيْنَما نَحْنُ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ [جُلُوسٌ] إِذْ دَفَعَ الرَّاعِي غَنَمَهُ إِلى

---

(١) تهذيب الأَسماء واللُّغات ٢/ ٢/ ٤٦ .

(٢) أَبو داود (١٤٢) وأَحمد ٤/ ٣٣ و ٢١١ .

(٣) الخزيرة : لحمٌ يقطَّع ، ويُصَبُّ عليه ماءٌ كثيرٌ ، ثمَّ يُذَرُّ عليهِ الدَّقيقُ .

المَرَاحِ ، ومعهُ سَخْلَةٌ تَيْعَرُ ، فَقَالَ ﷺ : ما وَلَّدْتَ يا غُلامُ ؟ قَالَ : بَهْمَةً . قَالَ : فاذْبَحْ لَنا مَكانَها شَاةً ، ثمَّ قَالَ ﷺ : لا تَحْسِبَنَّ أَنَّا مِنْ أَجْلِكَ ذَبَحْناها ، لَنا غَنَمٌ مئةٌ ، ما نُرِيدُ أَنْ تَزِيدَ ، فإذا وُلِدَتْ لنا بَهْمَةٌ ، ذَبَحْنا مَكانَها شاةً .

قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي امرأَةً ، وإِنَّ في لِسانِها شَيْئاً - يَعْنِي البَذَاءَةَ - قَالَ : فَطَلِّقْها إِذن . قُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ ، إِنَّ لَها صُحْبَةً ، وإِنَّ لِي مِنْهَا وَلَداً . قَالَ : فَعِظْها ، فَإِنْ يَكُ فِيها خَيْرٌ فَسَتَفْعَلُ ، ولا تَضْرِبْ ظَعينتَكَ ضَرْبَكَ لأَمَتِكَ .

قَالَ : قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الوُضُوءِ ؟ قَالَ : أَسْبِغِ الوُضُوءَ ، وَخَلِّلِ الأَصابِعَ ، وبالِغْ في الاسْتِنْشَاقِ ، إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صائِماً » .

● وفي « سُنَنِ أَبي داود » من حَدِيثِ عَمرو بن شَعيب ، عن أَبيه ، عن جَدِّهِ ، قَالَ[1] : « إِنَّ النَّبيَّ ﷺ صَلَّى إِلى جِدارٍ اتَّخَذَهُ قِبْلَةً ونَحْنُ خَلْفَهُ ، فجاءَتْ بَهْمَةٌ تَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَمَا زَالَ ﷺ يَدْرَؤُها حتَّى لَصِقَ بَطْنُهُ بِالجِدارِ ، فمرَّتْ مِنْ ورائِهِ » .

وَسَيأْتِي في « الجدي » نحو ذَلِكَ .

● وَفِي « صَحيح مُسلم » و« سنن أَبي داود » و« النَّسائيّ » و« ابن ماجه » من حَدِيثِ يَزِيد بن الأَصَمِّ ، عن مَيمونَةَ[2] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذا سَجَدَ جافَى بين يَدَيْهِ ، حتَّى لَوْ أَنَّ بَهْمَةً أَرادَتْ أَنْ تَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ مَرَّتْ » .

٩٥ البَهِيْمَةُ : كُلُّ ذاتِ أَربعِ [قوائِمَ] من دَوابِّ البَرِّ والبَحرِ . قَالَه ابن سِيْدَه ؛ والجَمْعُ : بَهائم[3] .

---

(١) أَبو داود (٧٠٨) .

(٢) مسلم (٤٩٦) وأَبو داود (٨٩٨) والنَّسائيّ (١١٠٩) وابن ماجه (٨٨٠) ومسند أَحمد ٦/ ٣٣١ .

(٣) المخصص ٦/ ١٣٣ والزيادة منه .

● قَالَ ﷺ[1] : « إِنَّ لِهَذِهِ البهائِمِ أَوابدَ كأَوابدِ الوَحْشِ » .

سُمِّيَتْ بَهِيمَةً لإِبْهامِها من جهةِ نَقْصِ نُطْقِها وفَهمِها ، وعَدَمِ تَمْييزِها وَعَقْلِها ، ومنه : بابٌ مُبْهَمٌ ؛ أَي مُغْلَقٌ ، وَلَيْلٌ بَهِيمٌ .

قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [المائدة : ١] فأَضافَ الجنسَ إِلى ما هُوَ أَخصُّ منهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الأنعامَ هِيَ الثَّمانِيَةُ الأَزواجُ ؛ وما أُضِيفَ إِليها من سائِرِ الحيوانِ ، يُقَالُ لَها : أَنعامٌ ، مَجموعةً معها ؛ وَكَأَنَّ المُفترسَ ـ كالأَسَدِ وكُلِّ ذِي نَابٍ ـ خارجٌ عن حَدِّ الأَنْعامِ .

فَبَهِيْمَةُ الأَنْعامِ : هِيَ الرَّاعِي من ذَوَاتِ الأَربعِ .

وَرُوِيَ عن عبدِ اللهِ بن عُمر رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّهُ قَالَ : بَهِيمَةُ الأَنعام : الأَجِنَّةُ التي تَخْرُجُ عِنْدَ الذَّبْحِ من بُطُونِ الأُمَّهاتِ ، فهي تُؤْكَلُ من غيرِ ذَكاةٍ .

ونُقِلَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما أَيْضاً ؛ وَفِيهِ بُعْدٌ ؛ لأَنَّ اللهَ تَعالَى قَالَ : ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ١] وَلَيْسَ في الأَجِنَّةِ ما يُسْتَثْنَى .

● وَحلُّ بَهيمَةِ الأَنعامِ : من حِكَمِ اللهِ تَعالَى ؛ إِذْ لَوْلا اللَّيْلُ ما عُرِفَ قَدْرُ النَّهارِ ، وَلَوْلا المَرَضُ لَمْ يَتَنَعَّمِ الأَصِحَّاءُ بالصحَّةِ ، وَلَوْلا النَّارُ مَا عَرفَ أَهْلُ الجَنَّةِ قَدْرَ النِّعْمَةِ ؛ وَكَما أَنَّ فِداءَ أَرواحِ الإِنْسِ بأَرْواحِ البَهائِمِ ، وتَسليطَهم على ذَبْحِها ، لَيْسَ بِظُلْمٍ بَلْ تقدِيمُ الكاملِ على النَّاقِصِ ، عيْنُ العَدْلِ .

وَكَذَلِكَ تفخيمُ النَّعيمِ على سُكَّانِ الجِنانِ ، بِتَعْظيمِ العُقُوبَةِ على أَهْلِ النِّيرانِ ، فِداءً لأَهْلِ الإِيمانِ بِأَهْلِ الكُفْرِ ، هو عَيْنُ العَدْلِ .

وَما لَمْ يُخْلَقِ النَّاقِصُ ، لَمْ يُعْرَفِ الكامِلُ ؛ فَلَوْلا خَلْقُ البَهائِمِ ، لَمَا ظَهَرَ

---

(١) البخاري ٤/ ٣٧ (كتاب الجهاد) و ٦/ ٢٢٤ و ٢٣٣ (كتاب الذبائح) ومسلم (١٩٦٨) وأَبو داود (٢٨٢١) والتِّرمذيّ (١٤٩٢) والنَّسائيّ (٤٢٩٧) وابن ماجه (٣١٨٣) .

شَرَفُ الإِنْسَانِ .

● رَوَى « البُخاريُّ » و« مُسلمٌ » و« أَبو داود » و« النَّسائيُّ » و« ابْنُ ماجَه » عن أَنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[1] : أَنَّهُ دَخلَ دَارَ الحكَمِ بن أَيُّوب ، فإذا قَوْمٌ قد نَصَبُوا دَجاجَةً يرمونَها ، فَقَالَ أَنَس : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ البَهائِمُ » وهو أَنْ يُمْسَكَ من ذَواتِ الرُّوحِ شيْءٌ حيٌّ ، ثمَّ يُرمىٰ بِشَيْءٍ حتى يَمُوتَ .

● وفي « الصَّحيحين » وغيرهما[2] : « أَنَّ النَّبي ﷺ لَعَنَ فاعِلَ ذَلِكَ » .

ولأَنَّهُ تعذيبٌ للحَيوانِ ، وَإِتْلافٌ لِنَفْسِهِ ، وَتَضْييعٌ لِماليَّتِهِ ، وتَفْويتٌ لِذَكاتِهِ ـ إِنْ كَانَ يُذَكَّى ـ .

● وَفِي الحَدِيثِ[3] : « أَنَّهُ ﷺ نَهَى عن المُجَثَّمَةِ » . وهي كُلُّ حَيْوانٍ يُنْصَبُ وَيُرْمَى لِيُقْتَلَ ، إِلاَّ أَنَّها تَكثرُ في الطَّيْرِ والأَرانِبِ ونَحو ذَلِكَ مِمَّا يَجْثُمُ في الأَرْضِ ؛ أَي يَلْزَمُها ويَلْتَصِقُ بِها . وَجَثَمَ الطَّائِرُ جُثُوماً . وهو بِمَنْزِلَةِ البُرُوكِ للإِبلِ .

● وَرَوَى « أَبُو داود » و« التِّرمذيّ » ، عن مُجاهِدٍ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما[4] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ التَّحْرِيشِ بَيْنَ البَهائِمِ » .

●وفي « شِفاء الصُّدورِ » لابن سَبُعٍ : عن أَنَس بن مالك رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « أَجَلُ البَهائِمِ ، وَخَشاشِ الأَرْضِ ، والقَمْلِ ،

---

(١) البخاري ٦/ ٢٢٨ (كتاب الذبائح) ومسلم (١٩٥٦) وأَبو داود (٢٨١٦) والنَّسائي (٤٤٣٩) .

(٢) البخاري ٦/ ٢٢٨ ومسلم (١٩٥٨) والنَّسائي (٤٤٤١ ـ ٤٤٤٢) .

(٣) عن النهاية ١/ ٢٣٩ .

(٤) أَبو داود (٢٥٦٢) والترمذيّ (١٧٠٨) والنهاية ١/ ٣٦٨ .

والبَراغيثِ ، والجَرادِ ، وَالخَيْلِ ، والبِغالِ ، والدَّوابِّ ، والبَقَرِ ، وما سِوَى ذَلِكَ ، في التَّسْبِيحِ ؛ فَإِذا انْقَضَى تَسْبِيحُها ، قَبَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْواحَها » .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ في « كِتابِ الآيَاتِ البَيِّناتِ » : اخْتَلَفَ النَّاسُ في حَشْرِ البهائِمِ ، وفي جَرَيانِ القِصاصِ بينَها ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ : لا يَجْرِي القِصاصُ بَيْنَ البَهائِمِ ، لأَنَّها غيرُ مُكَلَّفَةٍ ؛ وَمَا وَرَدَ في ذَلِكَ من الأَخبَارِ نحو قولِه ﷺ[1] : « يُقْتَصُّ للجَمَّاءِ من القَرْناءِ ، وَيُسْأَلُ العُوْدُ لم خَدَشَ العُودَ » فعلى سَبيلِ المَثَلِ والإِخْبَارِ عن شِدَّةِ التَّقَصِّي في الحِسَابِ ، وَأَنَّهُ لا بُدَّ من أَنْ يُقْتَصَّ للمَظْلُومِ من الظَّالِمِ .

وَقَالَ الأُسْتاذُ أَبُو إِسْحاق الإِسْفِرايِيني : يَجْرِي القِصاصُ بَيْنَها ؛ ويُحْتَمَلُ أَنَّها كانَتْ تَعْقِلُ هَذَا القَدْرَ في دَارِ الدُّنْيَا .

قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ : وَهَذَا جَارٍ على مُقْتَضَى العَقْلِ والنَّقْلِ ، لأَنَّ البَهِيمَةَ تَعرِفُ النَّفْعَ والضُّرَّ ؛ فَتَنفرُ من العصا وتُقبلُ للعَلَفِ ، وَيَنزجرُ الكَلبُ إِذا انْزَجَرَ ، وإِذا أُشْلِيَ استُشْلِيَ ؛ والطَّيْرُ والوَحْشُ تَفِرُّ من الجَوارِحِ اسْتِدْفاعاً لِشَرِّها .

فإِنْ قِيلَ : القِصاصُ انْتِقامٌ ، والبَهائِمُ لَيْسَت بمُكَلَّفَةٍ ؛ فَالجَوابُ : إِنَّها غَيْرُ مُكلَّفَةٍ ، إِلاَّ أَنَّ اللهَ يَفْعَلُ في مُلْكِهِ ما أَرادَ ، كَمَا سَلَّطَ عَلَيْها فِي الدُّنْيا التَّسخيرَ لِبَني آدَمَ ، والذَّبحَ لِما يُؤْكَلُ مِنْها ، فلا اعْتِراضَ عَلَيْهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى .

وَأَيْضاً فإِنَّ البَهائِمَ إِنَّما يُقْتَصُّ مِنْها لِبَعْضِها من بعضٍ ، لأَنَّها لا تُطالَبُ بارتِكابِ نَهْيٍ ، ولا بِمُخالَفَةِ أَمْرٍ ؛ لأَنَّ هَذَا مِمَّا خَصَّ اللهُ بِهِ العُقَلاءَ .

● وَلَمَّا كَثُرَ التَّنازُعُ ، رَجَعْنا لِما أَمَرَنا بِهِ رَبُّنا بِقَوْلِهِ : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النِّساء : ٥٩] ووجَدنا القُرآنَ العَظِيمَ يَدُلُّ على الإِعادَةِ في الجُمْلَةِ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ

---

(١) مسند أحمد ١/ ٧٢ و ٢/ ٢٣٥ و ٣٢٣ و ٣٦٣ .

﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ إلى قولِهِ : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام : ٣٨] . وَقَالَ تعالَى : ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير : ٥] والحَشْرُ في اللُّغَةِ : الجَمْعُ .

● وَفِي « الصَّحيحين »[1] عن رَسُولِ اللهِ ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ على ثلاثِ طَرائِقَ ؛ راغِبين وراهِبينَ : اثْنانِ على بَعيرٍ ، وثلاثةٌ على بَعيرٍ ، [وأَرْبَعَةٌ على بَعيرٍ ،] وعَشْرَةٌ على بَعيرٍ ؛ وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ ، تَقِيلُ مَعهم حَيْثُ قَالَوا ، وَتَبيتُ مَعهم حَيْثُ باتُوا ، وَتُصْبِحُ مَعهم حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وتُمْسِي مَعهم حيثُ أَمْسَوا » . فَهَذَا يَدُلُّ على حَشْرِ الإِبلِ مَعَ النَّاسِ .

● وَرَوَى « الإمامُ أَحمد »[2] ، بِسَنَدٍ صَحيحٍ إِلى أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « يُقْتَصُّ لِلْخَلْقِ بعضِهم من بعضٍ ، حتَّى للجَمَّاءِ من القَرْناءِ ، حَتى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ » .

فإذا كانَتِ البَهائِمُ والذَّرُّ يُقْتَصُّ مِنْها ، فَكَيْفَ يُغْفَلُ مَنْ هُوَ مَكَلَّفٌ مَأْمُورٌ ؟ نَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمالِنا .

● وفي « صَحيح مُسلمٍ »[3] عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَيْضاً : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَتُؤَدُّنَّ الحقُوقَ إلى أَهْلِها يَوْمَ القِيامَةِ ، حتَّى يُقادَ للشَّاةِ الجَلْحاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ » .

● وَفيهِ أَيْضاً ، وفي غَيْرِهِ[4] : « مَا مِنْ صاحِبِ إبلٍ لا يُؤَدِّي مِنْها حَقَّها ، إلاَّ إذا كَانَ يَوْمَ القِيامَةِ بُطِحَ لها بِقاعٍ قَرْقَرٍ ، ثمَّ يُؤتَى بِها أَوْفَرَ مَا كانَتْ ، لا يفقدُ مِنْها فَصيلاً واحِداً ، تَطَؤُهُ بِأَخْفافِها ، وَتَعَضُّهُ بِأَفْواهِها » . الحديثُ بِطُولِهِ .

---

(١) البخاري ٧/ ١٩٤ (كتاب الرقاق) ومسلم (٢٨٦١) والنسائي (٢٠٨٥) .
(٢) مسند أحمد ٢/ ٣٦٣ .
(٣) مسلم (٢٥٨٢) والترمذيّ (٢٤٢٠) .
(٤) مسلم (٩٨٧) وأبو داود (١٦٥٨) والنسائي (٢٤٤٢) .

● وَفِي « صَحِيحِ البُخاريّ »[1] : « لَيَأْتِيَنَّ أَحدُكم يومَ القِيامَةِ بشاةٍ يَحْمِلُها على رَقَبَتِهِ ، لَها ثُغاءٌ ، فَيَقُول : يا محمَّد ، فأَقُولُ : لا أَملكُ لَكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً ؛ قَدْ بَلَّغْتُ » .

وَصَحَّ عنه ﷺ أَيْضاً ، أَنَّهُ قالَ[2] : « مَا مِنْ دابَّةٍ إلاَّ وهي مُصِيْخَةٌ يَوْمَ الجُمعةِ ، فَرَقاً من قِيامِ السَّاعَةِ ، إلاَّ الجِنُّ والإِنْسُ » .

وإِصاخَتُها بِإِلْهامِ اللهِ إِيَّاها في ذَلِكَ اليَوْمِ ، مَحْمُولٌ على ما جَبَلَها اللهُ تعالَى عليهِ من تَوَقِّيها لِما يَضُرُّها ، وانْقِيادِها إلى ما يَنْفَعُها جِبلَّةً لا عَقْلاً ، وإِحساساً حَيوانيّاً لا إِدْراكاً فَهْمِيّاً ؛ وإِذا جَبلَ اللهُ النَّمْلَةَ على حَمْلِ قُوتِها ، وادِّخارِها لِزَمَنِ الشِّتاءِ ؛ فَجِبِلَّةُ البَهيمَةِ على الإِصاخَةِ مُحاذَرَةً يَوْمَ القِيامَةَ أَوْلَى .

وَمَنِ اسْتَقْرَأَ أَحْوَالَ الحَيْواناتِ ، رَأَى حِكْمَةَ اللهِ فِيها ؛ لَمَّا سَلَبَها العَقْلَ ، جَعَلَ لَها حِسَّاً تُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الضَّارِّ لَها وَالنَّافِعِ ، وَجَبَلَها على أَشْياءَ وأَلْهَمَها إِيَّاها ، لا تُوجَدُ في الإِنْسَانِ إلاَّ بَعْدَ التَّعلُّمِ وتَدْقِيقِ النَّظَرِ ؛ فمِنها : النَّحْلَةُ المُحْكِمَةُ لَتَسْدِيسِ مَخزنِ قُوتِها ، حتَّى يَتَعَجَّبَ مِنْهُ أَهْلُ الهندَسَةِ ؛ والعَنْكَبُوتُ المُتقنةُ لِخُيُوطِ بُيُوتِها ، وتَناسُبِ دَوائِرِها ؛ وَكَذَلِكَ السُّرْفَةُ في إِحْكامِ بَيْتِها مُرَبَّعاً من عِيدانٍ .

وَقد ظَهَرَتْ من البهائِمِ الصَّنائِعُ العَجِيبَةُ ، والأَفاعِيلُ الغَرِيبَةُ ؛ وَلَمْ يَسْلِبْها ربُّ العالَمِينَ سِوَى العبارَةِ عن ذَلِكَ ، والنُّطْقِ بِهِ ؛ وَلَوْ شَاءَ أَنْطَقَها كَمَا أَنْطَقَ النَّمْلَةَ في عَهْدِ سُلَيْمان عليهِ وَعَلى نَبِيِّنا أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ .

● والبُهْمُ من الخَيْلِ : الذي لا شِيَةَ فِيهِ ؛ الذَّكَرُ والأُنْثَى فِيهِ سَواءٌ .

وَالبُهْمُ من النِّعاجِ : السُّودُ التي لا بَيَاضَ فِيها .

---

(١) البخاري ٤/ ٣٧ (كتاب الجهاد ـ باب الغلول) ومسلم (١٨٣١) .

(٢) النَّسائي (١٤٣٠) وموطأ مالك ١/ ١٠٨ .

● وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ في الحَدِيثِ[1] : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ بُهْما » .

فَمَعْناهُ : أَنَّهُ لَيسَ بهم شَيْءٌ مِمَّا كَانَ في الدُّنْيَا ، نَحْوَ : البَرَصِ والعَرَجِ والعَمَى والعَوَرِ وغيرِ ذَلِكَ ؛ وَإِنَّما هِيَ أَجْسَادٌ مُصَحَّحَةٌ لِخُلُودِ الأَبَدِ في الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ .

وَقِيلَ : بَلْ عُراةٌ لَيسَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَتاعِ الدُّنْيَا شَيْءٌ ؛ وَهَذَا يُخالِفُ الأَوَّلَ من حَيْثُ المَعْنَى .

● وَمِنْ شِعْرِ مِسْعَر بنِ كِدام ، أَحَدِ الأَعلامِ[2] : [من الطَّويل]

نَهـارُكَ يَـا مَغْـرُورُ سَهْـوٌ وَغَفْلَـةٌ ... وَلَيْلُـكَ نَـوْمٌ وَالـرَّدَى لَـكَ لازِمُ

وَتَتْعَـبُ فِيمَـا سَـوْفَ تَكْـرَهُ غِبَّـهُ ... كَـذَلِكَ فـي الـدُّنْيَـا تَعيشُ البَهـائِـمُ

● فَرْعٌ : اختْلَفَ أَصْحابُنا في نَقْضِ الوُضُوءِ بِمَسِّ فَرْجِ البَهِيمَةِ ، على وَجهينِ : أَحَدُهُما يَنقض لِعُمُومِ النَّقْضِ بِمَسِّ الفَرْجِ ؛ والأَصَحُّ أَنَّهُ لا ينقضُ ، إِذْ لا حُرْمَةَ لَها ، ولا تَعَبُّدَ عَلَيْها . وَأَمَّا دُبُرُها : فلا ينقضُ قَطْعاً .

قَالَ الدَّارِميُّ : وَلا فَرْقَ في الخِلافِ بينَ البَهائِمِ والطَّيْرِ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[3] : « ما الإِنْسَانُ لَوْلا اللِّسَانُ ، إِلاَّ صُورَةٌ مُمَثَّلَةٌ ، أَو

---

(١) عن النهاية ١/ ١٦٧ .

(٢) البيتان لعمر بن عبد العزيز في تاريخ دمشق ٥٤/ ١٩٧ و ١٩٨ ومختصره ١٩/ ١٢٣ والمعرفة والتاريخ ١/ ٥٨٨ وسير أعلام النُّبلاء ٥/ ١٣٨ والبداية والنهاية ١٢/ ٧٠٧ والمجالسة ٢/ ٤٢٥ وعيون الأَخبار ٢/ ٣٠٩ والبصائر والذَّخائر ٥/ ٦٦ .
وفي حلية الأَولياء ٥/ ٣١٩ و ٣٢٠ والطيوريات ٧٠٠ : كان عمر بن عبد العزيز يتمثَّل بهذين البيتين .
فإذا كانت وفاة عمر سنة ١٠١ هـ وكان البيتان له أَو كان يتمثلُ بهما ، فلا يمكن أَن يكونا لمسعر بن كدام المتوفَّى سنة ١٥٥ هـ .

(٣) الميداني ٢/ ٢٩١ .

بَهِيمَةٌ مُهْمَلَةٌ » ؛ يُضْرَبُ في مَدْحِ القُدْرَةِ على الكَلامِ .

٩٦ البُومُ والبُومَةُ : بِضَمِّ البَاءِ : طائِرٌ ، يَقَعُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى ، حتَّى تَقُولَ : صدىً أَو فَيَّادٌ ، فَيَخْتَصُّ بِالذَّكَرِ[١] .

وَكُنْيَةُ الأُنْثَى[٢] : أُمُّ الخَرابِ ، وأُمُّ الصِّبْيَانِ ؛ وَيُقالُ لَها أَيْضاً : غُراب اللَّيْلِ .

● قَالَ الجاحِظُ[٣] : وَأَنْواعُها : الهامَةُ ، والصَّدَى ، والضُّوَعُ ، والخُفَّاشُ ، وغُرابُ اللَّيْلِ ، والبُومة ؛ وَهَذِهِ الأَسْماءُ كُلُّها مُشتركةٌ ؛ أَي تَقَعُ على كُلِّ طائِرٍ من طَيْرِ اللَّيْلِ ، يخرُجُ من بَيْتِه لَيلاً .

قَالَ : وبعضُ هَذِهِ الطُّيُورِ يَصِيدُ الفأْرَ وسَامَّ أَبْرَصَ والعَصافِيرَ وصِغارَ الحَشَراتِ ، وبعضُها يَصِيدُ البَعُوضَ .

ومن[٤] طَبْعِها أَنْ تَدْخُلَ على كُلِّ طائِرٍ في وَكْرِهِ ، وَتُخْرِجَهُ منهُ ، وتأْكُلَ فِراخَهُ وَبَيْضَهُ .

وهي[٤] قَوِيَّةُ السُّلْطانِ بِاللَّيلِ ، لا يَحْتَمِلُها شيْءٌ منَ الطَّيْرِ ، ولا تَنامُ بِاللَّيْلِ ؛ فإِذا رآها الطَّيْرُ بِالنَّهارِ قَتَلْنَها ، وَنَتَفْنَ رِيْشَها ، للعَداوَةِ التي بَيْنَهُنَّ وبَيْنَها ؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ صارَ الصَّيَّادُونَ يَجْعَلُونَها تَحْتَ شِباكِهِم ، لِيَقَعَ لَهُمُ الطَّيْرُ .

● وَنَقَلَ المَسعوديُّ عن الجاحِظِ[٥] : أَنَّ البُومَةَ لا تَظْهَرُ بِالنَّهارِ خَوْفاً من

---

(١) عن الصحاح ٥/ ١٨٧٥ (بوم) .

(٢) المرصع ٣٥٥ .

(٣) الحيوان ٢/ ٢٩٨ و ٥/ ٤٠٢ .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٧١ والمستطرف ٢/ ٤٥٦ .

(٥) المستطرف ٢/ ٤٥٦ .

أن تُصابَ بالعَيْنِ لِحُسْنِها وَجمالِها ؛ وَلما تَصَوَّرَ في نَفْسِها أَنَّها أَحْسَنُ الحَيوانِ ، لَمْ تَظْهَرْ إلاّ باللَّيْلِ .

وتزعمُ العربُ في أَكاذِيبِها : أَنَّ الإِنْسَانَ إذا مَاتَ أَوْ قُتِلَ ، تَتَصَوَّرُ نَفْسُهُ في صُورَةِ طائِرٍ ، تَصْرُخُ على قَبْرِهِ ، مُسْتَوْحِشَةً لِجَسَدِها ؛ وَالطَّائِرُ ذَكَرُ البُومِ ، وهو الصَّدَى ؛ وفي ذَلِكَ يَقُولُ تَوْبَةُ بن الحُمَيِّر ، أَحَدُ عُشَّاقِ العرب[1] : [من الطَّويل]

وَلَـوْ أَنَّ لَيْلَـى الأَخْيَلِيَّـةَ سَلَّمَـتْ عَلَـيَّ وَدُونـي جَنْـدَلٌ وَصَفـائِـحُ
لَسَلَّمْـتُ تَسْلِيـمَ البَشـاشَـةِ أَوْ زَقـا إِلَيْها صَدىً من جانِبِ القَبْرِ صائِحُ

فَيُقَالُ[2] : إِنَّها مرَّتْ بِقَبْرِهِ ، فَأَنْشَدت ذَلِكَ ، فارْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ القَبْرِ كالطَّائِرِ نَفَرَتْ منه ناقتها ، فَسَقَطَتْ مَيِّتَةً ، ودُفِنَتْ إِلى جانِبِه .

● والبُوْمُ أَصْنافٌ ، وَكُلُّها تُحِبُّ الخَلْوَةَ بأَنْفُسِها والتَّفَرُّدَ ؛ وفي أَصْلِ طَبْعِها عَداوَةُ الغِرْبَانِ .

● وفي « تَارِيخِ ابنِ النَّجّارِ » : أَنَّ كِسْرَى قال لعاملٍ لَهُ : صِدْ لِي شَرَّ الطَّيْرِ ، واشْوِهِ بِشَرِّ الوَقُودِ ، وأَطْعِمْهُ شَرَّ النَّاسِ ؛ فَصَادَ بُومَةً ، وشَواها بِحَطَبِ الدِّفْلى ، وأَطْعَمَها سَاعِياً .

● وفي « سِراجِ المُلُوكِ » للإمامِ أَبي بَكر الطُّرطوشيّ ، في البابِ السَّابعِ والأَرْبَعِين[3] : أَنَّ عبدَ المَلِكِ بن مَروان أَرِقَ لَيْلَةً ، فَاسْتَدْعَى سَمِيراً لَهُ يُحَدِّثُهُ ،

---

(١) ديوانه ٤٧ ـ ٤٨ .
(٢) الأغاني ١١/ ٢٤٤ وسمط اللآلي ١/ ١٢٠ ومروج الذهب ٣/ ٣٤٩ وتاريخ دمشق (تراجم النّساء) ٣٤١ .
(٣) سراج الملوك ٢/ ٤٩٧ والمستطرف ١/ ٣٤٦ (بين المأمون وسميره) وفي مروج الذهب ١/ ٢٩٣ (بين بهرام بن بهرام والموبذان) .

فَكَانَ فِيما حَدَّثَهُ بِهِ أَنْ قَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، كَانَ بالمَوْصِلِ بُومَةٌ وَبالبَصْرَةِ بُومَةٌ ، فَخَطبتْ بُومةُ المَوْصِلِ إِلى بُومَةِ البَصرةِ بِنْتَها لابْنِها ، فَقَالَتْ بُومَةُ البَصرَةِ : لا أَفعلُ ، إِلاَّ أَنْ تجعلِي لِي صَدَاقَها مئةَ ضَيْعَةٍ خَرابٍ ، فقالَتْ بُومَةُ المَوْصِلِ : لا أَقدرُ على ذَلِكَ الآنَ ، ولكن إِنْ دَامَ والينا ـ سَلَّمَهُ اللهُ ـ سنةً واحِدَةً ، فعلتُ لَكِ ذَلِكَ . قَالَ : فاستيقظَ لَها عبدُ المَلِكِ ، وجَلَسَ للمَظَالِمِ ، وأَنْصَفَ النَّاسَ بعضَهم من بعضٍ ، وتَفَقَّدَ أُمورَ الوُلاةِ .

● وَرَأَيْتُ في بَعْضِ المَجامِيعِ ، بِخَطِّ بعضِ العُلماءِ الأَكابِرِ : أَنَّ المأْمُونَ أَشرفَ يَوْماً من قَصْرِهِ ، فَرَأَى رَجُلاً قائِماً ، وَبِيَدِهِ فَحْمَةٌ ، وهو يَكْتُبُ بها على حائِطِ قَصْرِهِ . فَقَالَ المَأْمُونُ لِبَعْضِ خَدَمِهِ : اذهبْ إِلى ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وانْظُرْ ما يَكتبُ ، وائْتِني بِهِ ؛ فبادَرَ الخادِمُ إِلى الرَّجلِ مُسرعاً ، وقبضَ عَلَيْهِ ، وَتَأَمَّلَ ما كَتَبَهُ ، فإِذا هُوَ : [من البسيط]

يا قَصْرُ جُمِّعَ فِيكَ الشُّومُ واللُّومُ	مَتَى يُعَشِّشُ في أَرْكانِكَ البُومُ
يَوْمٌ يُعَشِّشُ فِيكَ البُومُ مِنْ فَرَحِي	أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنْعِيكَ مَرْغُومُ

ثمَّ إِنَّ الخادِمَ قَالَ لَهُ : أَجِبْ أَميرَ المؤمنين ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : سَأَلْتُكَ باللهِ ، لا تَذْهَبْ بي إِلَيْهِ . فَقَالَ الخادِمُ : لا بُدَّ من ذَلِكَ ؛ ثمَّ ذَهَبَ بِهِ ؛ فلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَي المأْمُونِ ، أَعْلَمَهُ الخادِمُ بِما كَتَبَ ، فَقَالَ لَهُ المأْمُونُ : وَيْلَكَ ، ما حَمَلَكَ على هَذَا ؟ فقَالَ : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّهُ لَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ ما حَواهُ قَصْرُكَ هَذَا من خَزائِنِ الأَمْوالِ ، والحُلِيِّ والحُلَلِ ، والطَّعامِ والشَّرابِ ، وَالفُرُشِ والأَوانِي والأَمتعةِ ، والجوارِي والخَدَمِ ، وغيرِ ذَلِكَ مِمَّا يَقْصُرُ عنه وَصْفِي ، ويَعْجَزُ عنهُ فَهْمِي ؛ وإِنِّي ـ يا أَميرَ المؤمنين ـ قَدْ مَرَرْتُ الآنَ عليهِ ، وَأَنا في غايَةٍ من الجُوعِ والفاقَةِ ، فوقفتُ مُفكِّراً في أَمْرِي ، وَقُلْتُ في نَفْسِي : هَذَا القَصْرُ عامِرٌ عَالٍ ، وَأَنا جائِعٌ ، ولا فائِدَةَ لِي فِيهِ ! فَلَوْ كَانَ خَراباً ، وَمَرَرْتُ بِهِ ، لَمْ أَعْدمْ منهُ رُخامَةً ، أَوْ خَشَبَةً ، أَوْ مِسْماراً ، أَبيعُهُ وأَتَقَوَّتُ بِثَمَنِهِ ؛ أَوَ

ما عَلِمَ أَميرُ المؤمنين مَا قَالَ الشَّاعرُ ؟ قَالَ : وما قَالَ الشَّاعرُ ؟ قَالَ : [قال :]
[من الطَّويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ في دَوْلَةِ امْرِئٍ نَصِيبٌ وَلا حَظٌّ تَمَنَّى زَوالَهَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهَا غَيْرَ أَنَّهُ يُرَجِّي سِواها فَهْوَ يَهْوَى انْتِقالَها

فَقَالَ المَأْمُونُ : أَعْطِهِ يا غُلامُ أَلْفَ دِينارٍ ؛ ثمَّ قَالَ لَهُ : هِيَ لَكَ في كُلِّ سَنَةٍ مَا دَامَ قَصْرُنا عامِراً بِأَهْلِهِ .

● وَأَنْشَدُوا في مَعْنَى ذَلِكَ : [من الطَّويل]

إذا كُنْتَ في أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحْسِنا فَعَمَّا قَليلٍ أَنْتَ ماضٍ وتارِكُهْ
فَكَمْ دَحَتِ الأَيَّامُ أَرْبابَ دَوْلَةٍ وَقَدْ مَلَكُوا أَضْعافَ مَا أَنْتَ مالِكُهْ

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ جَمِيعِ أَنْواعِها .

قَالَ الرَّافعيُّ : ذَكَرَ أَبُو عاصِم العِباديّ ، أَنَّ البُومَ حَرامٌ كالرَّخَمِ ، وَكَذَلِكَ الضُّوَعُ .

وَعَنِ الشَّافعيِّ رحمهُ اللهُ قَولٌ : إِنَّهُ حَلالٌ ؛ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الضُّوعَ غيرُ البُومِ ، لَكن في « الصِّحاح »[1] : أَنَّ الضُّوعَ طائِرٌ من طائِرِ اللَّيْلِ ، من جِنْسِ الهامِ ؛ وَقَالَ المُفَضَّلُ : إِنَّهُ ذَكَرُ البُومِ .

فَعَلَى هَذا إِذا كَانَ في الضُّوعِ قَولٌ ، لَزِمَ إِجراؤهُ في البُومِ ، لأَنَّ الأُنْثَى والذَّكَرَ من الجِنْسِ الواحِدِ لا يَخْتَلِفانِ في الحِلِّ والحُرْمَةِ . اهـ .

وَقَالَ في «الرَّوْضَةِ» : الأَشهرُ أَنَّ الضُّوَعَ من جِنْسِ الهامِ ، فَنَحْكُمُ بِتَحْرِيمِه .

● **فائِدَةٌ** : رَوَى ابْنُ السُّنِّيِّ[2] ، عَنِ الحَسَنِ بن عليّ بن أَبي طالِبٍ

---

(١) الصحاح ٣/ ١٢٥٢ (ضوع) .
(٢) عمل اليوم والليلة (٦٢٣) .

رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ اليُمْنَى ، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ اليُسْرَى ، لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ » .

وَكَانَ عُمر بن عبدِ العَزيزِ رحمهُ اللهُ يَفعلُه .

واختُلِفَ فِي أُمِّ الصِّبْيَانِ ، فَقِيلَ : البُومَةُ ، كَمَا تَقَدَّمَ ؛ وَقِيلَ : التَّابِعَةُ من الجِنِّ .

الخواصُّ[1] : إِذا ذُبِحَ البُومُ ، بَقِيَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مَفْتُوحَةً ، والأخرى مَضمومَةً ، فَالمَفتوحَةُ إِذا جُعِلَتْ تَحْتَ فَصِّ خاتمٍ ، مَنْ لَبِسَهُ سَهِرَ ما دَامَ عَلَيْهِ ، والأُخْرَى بالعَكْسِ .

قَالَ الطَّبرِيُّ : فإِذا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ المُنَوِّمَةُ من المُسْهِرَةِ ، فَاجْعَلْهُما فِي المَاءِ ، فَالتي ترتَفِعُ على المَاءِ هِيَ المُسهرةُ ، وَالَّتِي تَرسبُ هِيَ المُنَوِّمَةُ .

وَقَالَ هِرمسُ : إِذا أُخِذَ قَلْبُ بُومَةٍ ، وجُعِلَ على اليَدِ اليُسْرَى من المرأَةِ في حَالِ نَوْمِها ، تكَلَّمَتْ بِكُلِّ مَا فَعَلَتْهُ فِي يَوْمِها .

وَالاكْتِحالُ بِمَرارَتِها ، يَنْفَعُ من ظُلْمَةِ البَصَرِ .

وَقَلْبُ البُومَةِ الكَبيرَةِ ، إِذا قُلِعَ وَشُدَّ فِي جِلْدِ ذِئْبٍ ، وَعُلِّقَ على العَضُدِ ، أَمِنَ حامِلُ ذَلِكَ مِنَ اللُّصُوصِ وسائِرِ الهوامِّ ، وَلَمْ يَخَفْ أَحداً مِنَ النَّاسِ .

وإِنِ اكْتُحِلَ بِمُذَابِ شَحْمِها ، فَأَيُّ مَكَانٍ دَخَلَهُ بِاللَّيْلِ ، رَآهُ مُضيئاً .

وَهِيَ تَبيضُ بَيْضَتَيْنِ ، إِحْداهُمَا تَحْلُقُ والأُخْرَى لا تَحْلُقُ ؛ فإِنْ أَرَدْتَ مَعْرِفَةِ التي تَحلقُ مِنَ التي لا تَحلقُ ، فَأَدْخِلْ فِيها رِيشَةً ؛ فَالَّتي تَحلق يَتَبَيَّنُ لَكَ بِحَلْقِها الرِّيشةَ[2] .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٧١ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٦٦ والمستطرف ٢/ ٤٥٦ .

(٢) عبارة القزويني : قالُوا : إِنَّها تبيض بيضتين ؛ إِحداهما مُنبتةٌ للشَّعر ، والأُخرَى مُزيلةٌ ؛ ومن=

التَّعْبيرُ[1] : البُومُ في المَنامِ : لِصٌّ مَكَّارٌ ؛ وَقِيلَ : مَلِكٌ مُهِيبٌ ، تَشُقُّ مَرائِرَ الرَّعِيَّةِ هَيْبَتُهُ ؛ وَيَدُلُّ على البَطالَةِ وَذَهابِ الخَوْفِ ، لأَنَّهُ من طُيُورِ اللَّيْلِ ؛ واللهُ أَعْلَمُ .

٩٧ البُوهُ : بضَمِّ الباءِ ، وتَشْدِيدِ الواوِ[2] : طائِرٌ يُشْبِهُ البُومَ ، إلاَّ أَنَّهُ أَصْغَرُ مِنْهُ ؛ والأُنْثَى بُوهَةٌ ، وَيُشَبَّهُ بِها الرَّجُلُ الأَحْمَقُ .

قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ[3] : [من المتقارب]

أَيا هِنْدُ لا تَنْكِحِي بُوهَةً ... عَلَيْهِ عَقيقَتُهُ أَحْسَبَا

الأَحْسَبُ مِنَ النَّاسِ : الَّذِي في شَعْرِهِ شُقْرَةٌ ؛ وَصَفَهُ باللُّؤْمِ والشُّحِّ . يَقُولُ : كَأَنَّهُ لَمْ تُحْلَقْ عَقِيقَتُهُ في صِغَرِهِ حَتَّى شَاخَ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ الرَّجُلُ الضَّعيفُ الطائِشُ .

والبُوهَةُ : ما أَطارَتْهُ الرِّيْحُ ؛ والبُوهُ : ذَكَرُ البُومِ ؛ وَقِيلَ : البُوهُ : الكَبيرُ من البُومِ .

قَالَ رُؤْبَةُ يَذْكُرُ كِبَرَهُ[4] : [من الرَّجز]

كَالبُوهِ تَحْتَ الظُّلَّةِ المَرْشُوشِ

وَقِيلَ : البُوهُ : طائِرٌ يُشْبِهُ البُومَ ؛ وَقِيلَ : الأَحْسَبُ الَّذِي ابيَضَّ جِلْدُهُ من دَاءٍ ، فَفَسدت شَعْرَتُهُ ، فَصَارَ أَحْمَرَ وأَبْيَضَ ؛ وَيَكُونُ ذَلِكَ في النَّاسِ والإِبلِ ؛

= أَرادَ أن يَعْرِفَ ذلك فليغسِلْها بالماء ويعصِرها فالمنبتة تميلُ إلى السَّوادِ ،والمُزيلةُ إلى الصُّفرةِ .

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٠ وتفسير الواعظ ٢٩٦ .

(٢) قوله : وتشديد الواو : خطأٌ ، لا لزوم له . والتعريف عن الصِّحاح ٦/ ٢٢٢٨ (بوه) .

(٣) ديوانه ١٢٨ .

(٤) ديوانه ٧٩ .

وَقِيلَ : الأَحْسَبُ : الأَبْرَصُ[1] .

وَحُكْمُهُ وخَواصُّهُ وَتَعْبِيرُهُ : كَالبُومِ في جَميعِ مَا تَقَدَّمَ .

٩٨ بُوقير : قَالَ القَزوينيُّ[2] : إِنَّهُ طائِرٌ أَبْيَضُ ، تَجيءُ منهُ طائِفَةٌ كُلَّ سَنَةٍ في وقتٍ مَعْلُومٍ ، إِلى جبلٍ يُقَالُ لَهُ : جبلُ الطَّيْرِ ، بِصَعِيدِ مصرَ ، بِقُرْبِ أَنْصِنَا بلدةِ مارِيَّةَ أُمِّ إِبراهيم بن النَّبيِّ ﷺ فتتَعَلَّقُ على هَذَا الجَبَلِ ، وَفِيهِ كُوَّةٌ ، يَأْتِي كُلَّ واحِدٍ منها ، ويُدْخِلُ رَأْسَهُ فِيها ، ثمَّ يُخْرِجُهُ وَيُلْقِي نفسَه في النِّيلِ ، ثمَّ يَخرجُ وَيَذهبُ من حَيْثُ جاءَ ، وَلَمْ تَزَلْ هَكَذَا حتَّى يُدْخِلَ واحِدٌ مِنْها رَأْسَهُ فِيها ، فَيَقْبِضَ عَلَيْهِ شَيْءٌ من تِلْكَ الكُوَّةِ ، فيَضطربُ ويَبْقَى مُعَلَّقاً حتَّى يتلفَ ، ثمَّ يَسْقُطُ بَعْدَ مُدَّةٍ .

فإِذا تَعَلَّقَ ذَلِكَ الطَّائِرُ انْصَرَفَ البَاقُونَ في الحالِ ، فلا يُرى شيْءٌ من ذَلِكَ الطَّيْرِ في ذَلِكَ الجَبَلِ إِلى مِثْلِ ذَلِكَ الزَّمانِ من العامِ المُقْبِلِ .

قَالَ أَبُو بَكر الموصليُّ[3] : سَمِعْتُ من أَعْيَانِ تِلْكَ البِلادِ ، أَنَّهُ إِذا كَانَ العامُ مُخصباً ، قَبَضَتْ تِلْكَ الكُوَّةُ على طائِرَيْنِ ؛ وإِنْ كَانَ مُتَوَسِّطاً ، قَبَضَتْ على طائِرٍ واحِدٍ ؛ وإِنْ كَانَ مُجدباً لَمْ تَقْبِضْ على شيْءٍ .

٩٩ البينِيبُ : على وَزْنِ فيْعيل : سَمَكٌ بَحْرِيٌّ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ البَحْرِ .

١٠٠ البِيَاحُ : بِكَسْرِ البَاءِ مُخَفَّفاً : ضَرْبٌ من السَّمَكِ ، وَرُبَّما فُتِحَ وَشُدِّدَ . قالَهُ الجَوْهَرِيُّ[4] .

١٠١ أَبُو بَراقِش : طائِرٌ كالعُصْفُورِ ، يَتَلَوَّنُ أَلْواناً .

---

(١) اللسان (حسب) .

(٢) عجائب المخلوقات ١١٨ ومعجم البلدان ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣ والمستطرف ٢/ ٤٥٧ .

(٣) وزاد ياقوت : المعروف بالهروي الخياط . وفي ب ، ط : أَبو بكر الصُّولي !! .

(٤) الصِّحاح ١/ ٣٥٧ (بوح) .

قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [من مجزوء الكامل]

كَأَبي بَراقِشَ كُلَّ يَوْ مٍ لَوْنُهُ يَتَخَيَّلُ

ضُرِبَ بِهِ المَثَلُ في التَنَقُّلِ والتَحَوُّلِ .

● وَقَالَ القَزوينيُّ[2] : إِنَّهُ طائِرٌ ، حَسَنُ الصَّوْتِ ، طَويلُ الرَّقَبَةِ والرِّجْلَيْنِ ، أَحْمَرُ المِنْقَارِ ، في حَجْمِ اللَّقْلَقِ ، يَتَلَوَّنُ في كُلِّ ساعَةٍ ، يَكُونُ أَحمرَ وأَزرقَ وأَخضرَ وأَصفرَ .

قَالَ : وَلَمْ يَحضرنِي شَيْءٌ من خَواصِّهِ .

١٠٢ أَبُو بَراء[3] : طائِرٌ يُسَمَّى السَّمَوْأَلُ .

وَسَيَأْتِي في « بَابِ السِّينِ المُهْمَلَةِ » إِن شَاءَ الله تَعالَى .

١٠٣ أَبُو بَريص : بِفَتْحِ الباءِ : هُوَ الوَزَغُ الَّذِي يُسَمَّى سامُّ أَبرصُ .

وَسَيَأْتِي الكَلامُ عَلَيْهِ في « بابِ السِّيْنِ » و« الواو » ، في لفظ « الوزغ » و« سامّ أَبرص » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

* * *

---

(١) بلا نسبة في الحيوان ٣/ ٤٧٧ وعيون الأخبار ٢/ ٢٩ وثمار القلوب ١/ ٣٩٤ وعجائب المخلوقات ٢٦٩ والمرصَّع ٨٨ ، ونسب في ذيل الأَمالي ٨٣ إلى رجل من قدماء الشُّعراء في الجاهليَّة . وفي اللِّسان والتَّاج « برقش » : للأَسدي . ولنا في حاشية الثِّمار مزيد تخريج .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٦٩ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٦٤ .

قلت : نقل الثَّعالبي في الثِّمار ، عن الخليل قوله : هو طائرٌ من طير البرِّ يشبهُ القُنفذَ ، أَعلى ريشه أَغبر ، وأَوسطه أَسود وأَحمر ؛ فإِذا أُهيجَ انتفشَ وتغيَّر لونُهُ .

(٣) في الأُصول : أَبو برا . وفي المرصع ٨٧ : أَبو براد . والمثبت من القاموس والتاج « سمل » . وانظر ما مضى برقم ٦٧ .

باب التَّاءِ المُثَنَّاةِ

١٠٤ **التَّأْلَبُ** : الوَعِلُ ؛ والأُنْثَى : تَأْلَبَةٌ ؛ حَكَاهُ ابْنُ سِيْدَه[١] .

وَسَيَأْتِي الكَلامُ عليه في « باب الواو » ، في لفظ « الوَعْلِ » إن شاء الله تعالى .

١٠٥ **التَّبِيعُ** : وَلَدُ البَقَرَةِ أَوَّل سنةٍ ؛ وَبَقَرَةٌ تبيعٌ : معَها وَلَدُها ؛ والأُنْثَى تَبيعَةٌ ، والجَمْعُ : تَبَاعٌ وتَبَائِعُ ، مثلُ أَفيلٍ وأَفالٍ وأَفائِلٍ[٢] ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمْزَةِ » .

● رَوَى الإمامُ مالِكٌ في « المُوَطَّأ » و« أَبُو داود » ، و« التِّرمذيُّ » ، و« النَّسائيُّ » ، وآخَرُونَ ، عن مُعاذ بن جَبَلٍ رَضِيَ الله تعالى عنه ، قَالَ[٣] : « بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى اليَمَنِ ، وَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ مِنْ كُلِّ أَربعينَ بَقرةً بَقرةً ، ومن كُلِّ ثَلاثِينَ مُسِنَّةً تبيعاً أَو تَبيعةً » . قَالَ التِّرمذيُّ : حَديثٌ حَسَنٌ .

وَرُوِيَ مُرْسَلاً ، وهُوَ أَصَحُّ .

وَالمُسِنَّةُ : مَا اسْتَكْمَلَتْ سنتين ، وَدَخَلَتْ في الثَّالِثَةِ ؛ والتَّبِيعُ : هو الَّذِي يَتْبَعُ أُمَّهُ ، وإِنْ كَانَ لَهُ دُونَ سَنَةٍ .

قَالَ الرَّافعيُّ : وَحَكَى جَماعةٌ : أَنَّ التَّبِيعَ الذي لهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ ، والمُسِنَّةُ التي لَها سَنَةٌ ؛ وَهَذا غَلَطٌ ، لَيْسَ مَعْدُوداً من المَذْهَبِ .

---

(١) المخصص ٨/ ٣١ .

(٢) قال في اللِّسان « تبع » : والجمعُ : أَتْبِعَةٌ ، وأَتابِعُ ، وأَتابيعُ ؛ كلاهُما جمع الجمع .

(٣) الموطأ ١/ ٢٥٩ وأبو داود (١٥٧٧) والترمذيّ (٦٢٢ و ٦٢٣) والنَّسائيّ (٢٤٥٠ ـ ٢٤٥٣) .

١٠٦ **التُّبَشِّرُ** : في « أَدبِ الكاتِبِ » لابْنِ قُتيبة[١] : أَنَّهُ بفَتْحِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقٍ ، وَبِالبَاءِ المُوَحَّدَةِ ، ثمَّ بِالشِّيْنِ المُعْجَمَةِ ؛ وَقِيلَ : بِضَمِّ التَّاءِ ، وفَتْحِ الباءِ المُوَحَّدَةِ ، وتَشْدِيدِ الشِّينِ المُعْجَمَةِ[٢] : طائِرٌ يُقَالُ لَهُ : الصُّفارِيَّةُ ، وَالتَّاءُ زائِدَةٌ .

وَسَيَأْتِي الكَلامُ عَلَيْهِ في « بَابِ الصَّادِ المُهْمَلَةِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

١٠٧ **التُّتْفُلُ** : بِضَمِّ التَّاءِ المُثَنَّاةِ أَوَّلِهِ ، وَسُكُونِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ[٣] ؛ كَقُنْفُذٍ : وَلَدُ الثَّعْلَبِ ؛ والتَّاءُ فِيهِ زائِدَةٌ .

١٠٨ **التُّدْرُجُ** : كَحُبْرُجٍ : طائِرٌ كَالدُّرَّاجِ[٤] ، يُغَرِّدُ في البَساتِينِ بِأَصْواتٍ طَيِّبَةٍ ؛ يَسْمَنُ عِنْدَ صَفاءِ الهَواءِ وهُبُوبِ الشَّمالِ ، وَيَهْزَلُ عند كُدورَتِهِ وَهُبُوبِ الجنُوبِ ؛ يَتَّخِذُ دارَهُ في التُّرابِ اللَّيِّنِ ، وَيَضَعُ البَيْضَ فِيها لِئَلاَّ يَتَعَرَّضُ لِلآفَاتِ .

وَقَالَ ابْنُ زُهْرٍ[٥] : هو طائِرٌ مَليحٌ يَكُونُ بِأَرْضِ خُراسَانَ ، وغيرِها من بِلادِ فارِس .

---

(١) أَدب الكاتب ٢١٢ . وضبط فيه ضبطَ قلمٍ : بضمِّ التَّاء ، وفتح الباء ، وكسر الشين المشدَّدة .

(٢) وضبطه صاحب القاموس « بشر » : بضمِّ التَّاء والباء وكسر الشِّين المشدّدة . ثم قال : الواحدة بهاءٍ .
وفي المخصص ٨/ ١٦٢ : التُّبُشِّرُ .

(٣) هذا من أَوهام الدَّميريّ ! فليسَ في الاسم ثاءٌ مثلَّثةٌ ، وإنَّما هو بتاءَين . قال في القاموس « تفل » : والتَّتْفُلُ : كَتَنْضُبٍ ، وَقُنْفُذٍ ، ودِرْهَمٍ ، وَجَعْفَرٍ ، وزِبْرِجٍ ، وجُنْدَبٍ ، وسُكَّرٍ : الثَّعلب أَوْ جَرْوُهُ . وقال الزَّبيديُّ في التَّاج « تفل » : وزاد بعضهم : بفتح الأَوَّل مع كسر الثَّالث ، وبضمِّ الأَوَّل مع كسر الثَّالث ؛ فهذه تسع لغاتٍ .

(٤) مسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٥ . وقال داود في تذكرته ١/ ٩٠ : هو السُّمَّان ، وهو طائرٌ فوق العصفور وتحت الحمام ، يبيض بالعراق ويهوى البلاد الباردة .

(٥) مفردات ابن البيطار ١/ ١٣٤ .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ ، لِعَدَمِ اسْتِخْبَاثِهِ ، وإِنْ كَانَ نَوْعاً من الدُّرَّاجِ .
وَسَيَأْتِي في بابِهِ إن شاء الله تعالى .
الخَواصُّ[1] : لَحْمُهُ من أَفْضَلِ لُحُومِ الطَّيْرِ ، يَزِيدُ في الفَهْمِ والبَاهِ .
وَإِذا أُخِذَتْ مَرارَتُهُ وَسُعِطَ بِها مَنْ بِهِ خَبَلٌ أَوْ وَسْوَاسٌ ، نَفَعَهُ .
وإِنْ شُوِيَ لَحْمُهُ ، وأُطْعِمَ منهُ وهو حارٌّ ثلاثةَ أَيَّامٍ ، أَبْرَأَهُ .

١٠٩ **التُّخَسُ** : كَصُرَدٍ : الدُّلْفِينُ . وَسَيَأْتِي في « بَابِ الدَّالِ المُهْمَلَةِ » إن شاء الله تعالى .

١١٠ **التِّفْلِقُ** : كَزِبْرِجٍ : طائِرٌ من طَيْرِ المَاءِ ؛ قَالَهُ في « العُبابِ » .

١١١ **التُّفَّةُ** : وَيُسَمَّى عَنَاقَ الأَرضِ ، والغُنْجُلَ : نَوْعٌ من السِّباعِ ، نحو الكَلْبِ الصَّغِيرِ ، على شَكْلِ الفَهْدِ ، وَصَيْدُهُ في غايَةِ الجُودَةِ والمَلاحَةِ ؛ وَرُبَّما واثَبَ الإِنْسَانَ فَيَعْقِرُهُ ؛ وَلا يَطعمُ غيرَ اللُّحُومِ[2] ، ورُبَّما صَادَ الكُرْكِيَّ وَما قارَبَهُ مِنَ الطَّيْرِ ، فَيفعلُ بِهِ فِعْلاً حَسَناً .

● وَقَدْ وَصَفَهُ النَّاشِىءُ في أَبياتٍ مِنْها[3] : [من البسيط]

حُلْوُ الشَّمائِلِ في أَجْفانِهِ وَطَفٌ ... صافِي الأَدِيمِ هَضِيمُ الكَشْحِ مَمْسُودُ
فِيهِ مِنَ البَدْرِ أَشْباهٌ تُوافِقُهُ ... مِنْها لَهُ سَفَعٌ في وَجْهِهِ سُودُ
كَوَجْهِ ذَا وَجْهُ هَذَا في تَدَوُّرِهِ ... كَأَنَّهُ مِنْهُ في الأَجْفَانِ مَقْدُودُ
لَهُ مِنَ اللَّيْثِ نابَاهُ وَمِخْلَبُهُ ... وَمِنْ غَرِيرِ الظِّبَاءِ النَّحْرُ والجِيْدُ
إذا رَأَى الصَّيْدَ أَخْفَى شَخْصَهُ أَدَباً ... وَقَلْبُهُ باقْتِنَاصِ الطَّيْرِ مَزْؤُودُ[4]

---

(١) مفردات ابن البيطار ١/ ١٣٤ .
(٢) حيوان الجاحظ ٦/ ٣٥٢ .
(٣) ديوانه ٥١ ـ ٥٢ [ضمن مجلة المورد العراقيّة مج ١١ ع ٣] والأنوار للشمشاطي ٢/ ٢٥٨ .
(٤) في ب : × . . . . الصَّيد مزؤود .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ لِعُمُومِ النَّهْيِ عن أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ ومَخِلَبٍ من السِّباعِ .

وَقَالَ بعضُ أَصْحابنا : إِنَّهُ السِّنَّوْرُ البَرِّيُّ ، وإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الثَّعْلَبِ ، وَإِنَّهُ على شَكْلِ السِّنَّوْرِ الأَهْلِيِّ ، وَفِي حُكْمِهِ وَجْهان : أَصَحُّهُما التَّحريمُ ، لأَنَّهُ يَأْكُلُ الفَأْرَ .

الأَمْثَالُ : قَالتِ العربُ : « أَغْنَى مِنَ التُّفَّةِ عَنِ الرُّفَّةِ »[1] ؛ وَالرُّفَّةُ : التِّبْنُ ، والأَصْلُ فيهما رُفْهَةٌ وَتُفْهَةٌ . قَالَ حمزةُ : وَجَمْعُهما تُفاتٌ ورُفاتٌ . قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الوافر]

غَنِيْنا عَنْ حَدِيثِكُمُ قَدِيماً كَمَا غَنِيَ التُّفاتُ عَنِ الرُّفَاتِ

وَيُقالُ أَيْضاً : « اسْتَغْنَتِ التُّفَّةُ عن الرُّفَّةِ »[3] . وَذَلِكَ أَنَّ التُّفَّةَ سَبُعٌ لا يَقْتاتُ الرُّفَّةَ أَصْلاً ، وإِنَّما يَغْتَذى باللَّحْمِ ، فَهوَ يَسْتَغْني عَنِ التِّبْنِ ، والمعروفُ في التُّفَةِ والرُّفَةِ تَخفيفَ الفاءِ[4] .

وَقَالَ الأُسْتاذُ أَبُو بَكْرٍ : هُما مُشَدَّدتانِ .

وَقَدْ أَوْرَدَهُما الجَوْهريُّ في « بابِ الهاءِ » ، فَقَالَ[5] : التُّفَةُ والرُّفَةُ . وفي « الجامِعِ » مِثْلُهُ ، إِلاَّ أَنَّهُ قَالَ : وَيُخَفَّفَانِ .

وَأَمَّا الأَزْهريُّ ، فإِنَّهُ أَوْرَدَ الرَّفَةَ في بابِ الرَّفَتِ ، بِمَعْنَى الكَسْرِ .

وَقَالَ ثَعْلَبُ عن ابْنِ الأَعرابيِّ : الرَّفَتُ : التِّبْنُ ؛ وفي المَثَلِ : « أَغْنَى من

---

(١) الميداني ٢/ ٦٣ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٣٢١ و ٣٢٢ والعسكري ٢/ ٨٤ والزمخشري ١/ ٢٦٤ .

(٢) البيت بلا نسبة في الميداني والدُّرَّة واللسان « تفه » ١/ ٤٣٧ .

(٣) الميداني ٢/ ٦٣ والدُّرَّةُ الفاخرة ١/ ٣٢٢ والعسكري ١/ ١٩٠ .

(٤) هذا قول ابن برّي ، كما في اللِّسان « تفه » .

(٥) الصحاح « رفه » ٦/ ٢٢٣٣ . وقال : بالتَّاء التي يوقَف عليها بالهاء .

التَّفَةِ عن الرَّفَتِ » .

قَالَ الأزهريُّ : والتَّفَهُ تُكْتَبُ بالهاءِ ، والرَّفَتُ بالتَّاءِ . قَالَ المَيدانيُّ : وَهَذَا من أَصَحِّ الأَقْوالِ ، لأَنَّ التِّبْنَ مَرْفُوتٌ : أَيْ مَكْسُورٌ .

١١٢ التَّمُّ : طائِرٌ نحو الإِوَزِّ ، في مِنْقارِهِ طُولٌ ، عُنُقُهُ أَطْوَلُ من عُنُقِ الإِوَزِّ .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ ، لأَنَّهُ مِنَ الطَّيِّباتِ .

١١٣ التِّمْسَاحُ : اسمٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الحَيْوانِ المعْرُوفِ ، والرَّجُلُ الكَذَّابُ .

● قَالَ القَزوينيُّ[1] : وَهَذَا الحَيْوَانُ على صُورَةِ الضَّبِّ ، وهو من أَعْجَبِ حَيْوانِ المَاءِ ، لَهُ فَمٌ واسِعٌ ، وسِتُّونَ ناباً في فَكِّهِ الأَعْلَى ، وَأَربعونَ في فَكِّهِ الأَسْفَلِ ، وَبينَ كُلِّ نابَيْنِ سِنٌّ صَغيرَةٌ مُرَبَّعَةٌ ، ويَدْخُلُ بعضُها في بَعْضٍ عندَ الانْطِبَاقِ ، وَلَهُ لِسانٌ طَويلٌ ، وَظَهْرٌ كَظَهْرِ السُّلَحْفاةِ لا يَعْمَلُ الحديدُ فِيهِ ، وَلَهُ أَربعةُ أَرْجُلٍ ، وَذَنَبٌ طَويلٌ ؛ وَهَذَا الحَيْوانُ لا يَكُونُ إِلاَّ في نِيْلِ مِصْرَ خاصَّةً ؛ وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ في بَحْرِ السِّنْدِ أَيْضاً .

وَهُوَ شَدِيدُ البَطْشِ في الماءِ ، ولا يُقْتَلُ إِلاَّ من إِبْطَيْهِ ، ويَعْظُمُ حتَّى يَكُونَ طُولُه عَشْرَةَ أَذْرُعٍ فِي عَرْضِ ذِراعَيْنِ وَأَكثر ؛ ويَفْتَرِسُ الفَرَسَ .

وَإِذَا أَرادَ السِّفادَ ، خَرَجَ هو والأُنْثَى إِلى البَرِّ ، فَيُلْقِي الأُنْثَى على ظَهْرِها ويَسْتَبْطِنُها ، فإِذا فَرَغَ قَلَبَها ، لأَنَّها لا تَتَمَكَّنُ من الانْقِلابِ ، لِقِصَرِ يَدَيْها وَرِجْلَيْها ، ويُبْسِ ظَهْرِها ، وَهُوَ إِذا تَرَكَها على تِلْكَ الحالِ لَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حتَّى تُقْلَبَ ؛ وَتَبِيضُ في البَرِّ ، فَما وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ في الماءِ صَارَ تِمْساحاً ، وَمَا بَقِيَ صَارَ سَقَنْقُوراً .

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٨ والمستطرف ٢/ ٤٥٧ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٣٣ ومعجم البلدان ٥/ ٣٣٧ « النّيل » .

● وَمِنْ عَجَائِبِ أَمْرِهِ : أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَخْرَجٌ ؛ فإذا امْتَلأَ جَوْفُهُ بالطَّعامِ ، خَرَجَ إلى البَرِّ ، وَفتَحَ فاهُ[1] ، فَيَجيءُ طائِرٌ يُقَالُ لَهُ القطقاطُ[2] ، فيلقطُ ذَلِكَ مِنْ فِيهِ ؛ وهو طائِرٌ أَرْقَطَ صَغيرٌ يَأْتِي لِطَلَبِ المَطْعَمِ ، فَيَكُونُ في ذَلِكَ غِذَاءً له ، وَراحَةً للتِّمْسَاحِ .

وَلَهَذا الطَّائِرِ في رَأْسِهِ شَوْكَةٌ ، فإذا أَغْلَقَ التِّمْسَاحُ فَمَهُ عَلَيْهِ ، نَخَسَهُ بها فَيَفْتَحُه ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُ هَذَا الطَّائِرِ إن شَاءَ اللهُ تَعالَى .

وَزَعَمَ بعضُ الباحِثِينَ عن طَبائِعِ الحيوَانِ : أَنَّ للتِّمْسَاحِ سِتِّيْنَ سِنّاً ، وَسِتِّينَ عِرْقاً ، ويسفدُ سِتِّينَ مَرَّةً ، وَتَبيضُ الأُنْثَى سِتِّينَ بَيْضَةً ، ويَعِيشُ سِتِّينَ سنةً .

● وَقَالَ أَبُو حامد الأَنْدَلسيّ : إنَّ لَهُ ثَمانِينَ ناباً ؛ أَرْبَعُونَ ناباً في الفَكِّ الأَعْلَى ، وأَرْبَعُونَ في الفَكِّ الأَسْفَلِ ؛ وَهَو أَبَداً يُحَرِّكُ فَكَّهُ الأَعْلَى ، وَفَكُّهُ الأَسْفَلُ عَظْمُهُ مُتَّصِلٌ بِصَدْرِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ دُبُرٌ ، وَلَهُ فَرْجٌ ينسِلُ مِنهُ ؛ وَهُوَ شَرٌّ مِنْ كُلِّ سَبُعٍ في الماءِ .

وَمِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ يَغِيبُ في باطِنِ الماءِ أَربعةَ أَشْهُرٍ ، مُدَّةَ الشِّتاءِ كُلِّهِ ، ولا يَظْهَرُ .

والكَلْبُ البَحريُّ عَدُوُّهُ ، فإذا نامَ فَتَحَ فاهُ ، فَيَطْرَحُ كَلْبُ المَاءِ نَفْسَهُ في الطِّيْنِ وَيَتَجَفَّفُ ، ثمَّ يَأْتِيهِ مُفاجَأَةً ، فَيَدْخُلُ فاهُ ، وَيَأْكُلُ أَمْعاءَهُ ، ويَخْرُجُ من مَرَاقِ بَطْنِهِ بَعْدَ أَنْ يقتلَهُ ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ معهُ ابْنُ عِرْسٍ أَيْضاً .

وَحُكْمُهُ : تَحْرِيمُ الأَكْلِ لِلعَدْوِ بنابِهِ ، كَذَا عَلَّلَهُ جَماعةٌ مِنَ الأَصْحابِ .

---

(١) في العبارة خللٌ ، ونصُّ القزوينيّ والعمريّ : وزبلُهُ يخرج من فِيهِ إذ لا منفذَ لهُ ، وإذا أَكَلَ يبقى في خلل أَسنانِهِ شيْءٌ يتولَّدُ منه الدُّودُ ، فيخرجُ من الماءِ ، ويفتحُ فاهُ ، فيأتيهِ طائرٌ . . . وانظر المستطرف ٢/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨ .

(٢) في ط : القطقط . ولم يذكر القزويني اسم الطَّائر . وسيأتي ذكرهُ في مادَّة « التّورم » .

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحِبُّ الدِّينِ الطَّبريُّ في « شَرْحِ التَّنْبيه » : القِرْشُ حَلالٌ ؛ ثُمَّ قَالَ : فإنْ قُلْتَ : أَلَيْسَ هو مِمَّا يَتَقَوَّى بنابِهِ ، فَهُوَ كالتِّمْسَاحِ ، والصَّحيحُ تَحريمُ التِّمْسَاحِ ؟ قُلْتُ : لا نُسَلِّمُ أَنَّ مَا يَتَقَوَّى بنابِهِ من حَيوانِ البَحْرِ حَرامٌ ، وإنَّما حُرِّمَ التِّمْسَاحُ ، كَمَا قَالَ الرَّافعيُّ في« الشَّرْحِ » لِلْخُبْثِ والضَّرَرِ ، نعم كلامُ « التَّنبيهِ » يَقْتَضِي أَنَّ تَحْرِيمَهُ لِكَوْنِهِ مِمَّا يَتَقَوَّى بنابِهِ ، ولا يَنبغِي تَعليلُ تَحريمِهِ بذَلِكَ ، فَإِنَّ في البَحْرِ حَيواناً كثيراً يَفترِسُ بِنابِهِ ، كالقِرْشِ وغَيْرِهِ ، وهو حَلالٌ ؛ ولا رَيْبَ فِي أَنَّ البَحريَّ مُخالِفٌ للبَرِّيِّ . اهـ . قُلْتُ : وهو الظَّاهِرُ ، واللهُ أَعلمُ .

الأَمْثالُ : قَالُوا : « أَظْلَمُ مِنْ تِمْساحٍ »[1] ، و« كَافَأَهُ مُكافَأَةَ التِّمْسَاحِ »[2] .

الخَواصُّ[3] : عَيْنُهُ تُشَدُّ على صاحِبِ الرَّمَدِ ، يَسْكُنُ وَجَعُهُ في الحَالِ ؛ اليُمْنَى لليُمْنَى ، واليُسْرَى لليُسْرَى .

وإذا عُجِنَ شَحْمُهُ بِشَمْعٍ ، وَجُعِلَ فَتيلةً ، وَأُسْرِجَ في نَهْرٍ ، لَمْ تَصِحْ ضَفادِعُهُ .

وَإِذَا قُطِّرَ شَحْمُهُ في الأُذُنِ الوَجِعَةِ ، شَفاها ؛ وإذا أُدْمِنَ تَقْطِيرُهُ في الأُذُنِ ، نَفَعَ الصَّمَمَ .

وَمَرارَتُهُ يُكْتَحَلُ بها لِلبَيَاضِ الذي في العَيْنِ ، فَيَذْهَبُ .

وإذا عُلِّقَ شَيْءٌ مِنْ أَسْنانِهِ التي في الجانِبِ الأَيْمَنِ عَلَى الرَّجُلِ ، زادَ جِماعُهُ .

---

(١) الميداني ١/ ٤٤٦ والعسكري ٢/ ٣٠ والدُّرَّةُ الفاخرة ١/ ٢٩٣ و ٢٩٥ والزمخشري ١/ ٢٣٢ .

(٢) الميداني ١/ ٤٤٦ .

(٣) مفردات ابن البيطار ١/ ١٤١ وتذكرة داود ١/ ٩٧ والمستطرف ٢/ ٤٥٨ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٣٤ .

وَقَالَ القَزوينيُّ في « عَجائِبِ المَخْلُوقاتِ »[1] : أَوَّلُ سِنٍّ مِنَ الجانِبِ الأَيْسَرِ ، يُشَدُّ على صاحِبِ القُشَعْرِيرَةِ يُذْهِبُها .

وَكَبِدُهُ يُبَخَّرُ بِهِ صاحِبُ الصَّرَعِ ، يَزُولُ صَرَعُهُ .

وَقِطْعَةٌ من جِلْدِهِ تُشَدُّ على جَبْهَةِ الكبشِ ، يَغلبُ الكِباشَ [في النِّطاحِ] .

وَزِبْلُهُ الَّذي يُوجَدُ في بَطْنِهِ ، يُزِيلُ البَياضَ الحادِثَ والقَديمَ اكْتِحالاً .

وَرائِحَتُهُ كَرائِحَةِ المِسْكِ[2] ؛ وَتَقُولُ القِبْطُ : إِنَّهُ المِسْكُ إِلاَّ أَنَّ فِيهِ سُهوكَةً .

التَّعبيرُ[3] : التِّمساحُ في المَنامِ : عَدُوٌّ مُسَلَّطٌ ، وهُوَ نَظِيرُ الأَسَدِ ؛ وَقِيلَ : التِّمْسَاحُ لِصٌّ مُكابِرٌ ، ذُو مَكْرٍ وغَدْرٍ وخَديعَةٍ .

١١٤ التُّمَيْلَةُ : دُوَيْبَّةٌ بِالحِجازِ على قَدْرِ الهِرَّةِ ، والجَمْعُ تِمْلانٌ[4] ، قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[5] .

١١٥ التُّنَوِّطُ : في « الكِفايَةِ » لابْنِ الرِّفْعَةِ : إِنَّهُ بِضَمِّ التَّاءِ ، وَكسرِ الواوِ ، وَيَجُوزُ فتحُ التَّاءِ المُشَدَّدَةِ وَفَتْحُ النُّونِ وَضَمُّ الواوِ المُشَدَّدَةِ ؛ وَقَالَ غَيره : وهو طائِرٌ يَجُوزُ في واوِهِ الضَّمُّ والفَتْحُ[6] .

قَالَ الأَصْمَعيُّ[7] : إِنَّما سُمِّيَ بِذَلِكَ ، لأَنَّهُ يُدْلِي خَيْطاً من شَجَرَةٍ يُفَرِّخُ

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٩ .

(٢) كذا . وعبارة القزويني ٩٨ : ويُشَمُّ من بيضه رائحةُ المِسْكِ . وليس فيه قول القبط .

(٣) تعبير الرُّؤيا ١٩٧ وتفسير الواعظ ٣٠٧ .

(٤) في أ : تُمَيْلات . وهو صحيح أيضاً .

(٥) قال في القامُوسِ : كَجُهَيْنَة : دابَّةٌ حِجازِيَّةٌ كالهِرَّةِ ، أَو عناق الأَرض ، ج تِمْلان وتُمَيْلات .

(٦) المخصَّص ٨/ ١٥٣ ـ ١٥٤ والصِّحاح « نوط » ٣/ ١١٦٦ واللِّسان « نوط » ٦/ ٤٥٧٨ .

(٧) الصِّحاح واللِّسان وأَدب الكاتب ٢١٢ وعجائب المخلوقات ٢٧٢ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٥ .

فِيها ، الواحِدَةُ تَنَوُّطَةٌ .

وَمِن شَأنِ هَذَا الطَّائِرِ أَنَّهُ إذا أَقْبَلَ عَليهِ اللَّيْلُ يَتَنَقَّلُ في زَوايا بَيْتِه وَيَدُورُ فِيها ، ولا يَأْخُذُهُ قَرارٌ إِلى الصُّبْحِ ، خَوْفاً على نَفْسِهِ ؛ وَهَذَا الطَّائِرُ هو الصَّفّارُ ؛ وَسَيأْتِي في بابِهِ إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى .

وَحُكمه : الحِلُّ ، لأَنَّهُ مِنْ نَوعِ العصافِيرِ .

الخَواصُّ : قَالَ القَزوينيُّ في « عَجائِبِ المخلُوقاتِ »[1] : يُذْبَحُ التُّنَوِّطُ بِسِكِّيْنِ ، وَيُسْقَى دَمُهُ لِمَنْ يُعَرْبِدُ في سُكْرِهِ ، فَلا يَعُودُ إِلى ذَلِكَ أَبَداً .

وَمَرارَتُهُ تُطْبَخُ بِالسُّكَّرِ ، وَتُسْقَى لِصَبيٍّ ، فَيحسنُ خُلُقُهُ .

وَعَظْمُهُ يُعَلَّقُ على الصَّبيِّ وَقْتَ زِيادَةِ [نُورِ] القَمَرِ ، فَيَبْقَى مَحْبُوباً إِلى النَّاسِ وَلَوْ كَانَ كَرِيهَ اللِّقاءِ .

١١٦ التِّنِّيْنُ : ضَرْبٌ من الحَيَّاتِ ، كَأَكْبَرِ مَا يَكُونُ مِنْها ؛ وَكُنْيَتُهُ أَبُو مِرْداسٍ[2] ؛ وَهُوَ أَيْضاً نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ .

● وَقَالَ القَزوينيُّ في « عَجائِبِ المخلوقاتِ »[3] : إِنَّهُ شَرٌّ مِنَ الكَوْسَجِ ، في فَمِهِ أَنْيَابٌ مِثْلُ أَسِنَّةِ الرِّماحِ ، وَهُوَ طَوِيلٌ كالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ ، أَحْمَرُ العَيْنَيْنِ مثلُ الدَّمِ ، واسِعُ الفَمِ والجَوْفِ ، بَرَّاقُ العَيْنَيْنِ ، يَبْتَلِعُ كَثِيراً من الحيوانِ ، يَخافُهُ حَيْوانُ البَرِّ والبَحْرِ ؛ إذا تَحَرَّكَ يَمُوجُ البَحْرُ لِشِدَّةِ قُوَّتِهِ .

وَأَوَّلُ أَمْرِهِ يَكُونُ حَيَّةً مُتَمَرِّدَةً تَأْكلُ من دَوابِّ البَرِّ مَا تَرى ، فإذا كَثُرَ فَسادُها ، احْتَمَلَها مَلَكٌ ، وَأَلْقاها في البَحْرِ ، فَتَفعلُ بِدَوابِّ البَحرِ مَا كَانَتْ تفعلُهُ بِدَوابِّ البَرِّ ، فَيَعْظُمُ بَدَنُها ، فَيَبعثُ اللهُ إِلَيْها مَلَكاً يَحْمِلُها وَيُلْقِيها إِلى

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٧٢ ، ومسالك الأبصار ٢٠/ ٩٥ .

(٢) المرصع ٣٠٢ .

(٣) عجائب المخلوقات ٩٩ ، ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٣٤ والمستطرف ٢/ ٤٥٨ .

يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ .

● رُوِيَ عن بَعْضِهِم[1] : أَنَّهُ رَأَى تِنِّيناً طُولُهُ نَحْوٌ من فَرْسَخَيْنِ ، وَلَوْنُهُ مِثْلُ لَوْنِ النَّمِرِ ، مُفَلَّساً مِثْلَ فُلُوسِ السَّمَكِ ، بِجَناحَيْنِ عَظيمينِ على هَيْئَةِ جَناحَي السَّمَكِ ، وَرَأْسُهُ كَرَأْسِ الإِنْسَانِ ، لَكِنَّهُ كالتَّلِّ العَظِيمِ ، وَأُذُناهُ طَويلتانِ ، وَعَيْناهُ مُدَوَّرَتانِ كَبيرتانِ جِدّاً .

● رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ[2] ، عن أَبِي سَعيد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يُسَلِّطُ اللهُ على الكافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسعةً وتِسْعِينَ تِنِّيناً ، تَنْهَشُهُ وَتَلْدَغُهُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعةُ ؛ لَوْ أَنَّ تِنِّيناً منها نَفَخَ على الأَرْضِ ما نَبَتَتْ خَضْراءُ » .

● وَرَواهُ التِّرمذيُّ عنهُ مُطَوَّلاً ؛ قالَ[3] : دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً مُصَلاَّهُ ، فَرَأَى ناساً كَأَنَّهُم يَكْتَشِرُونَ[4] ، فَقَالَ : « أَما إِنَّكُم لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هاذِمِ اللَّذَّاتِ ، لَشَغَلَكُم عَمَّا أَرى ؛ أَكْثِرُوا ذِكْرَ هاذِمِ اللَّذَّاتِ ، فإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ على القَبْرِ يَوْمٌ إِلاَّ تَكَلَّمَ فِيهِ ، فَيَقُولُ : أَنا بَيْتُ الغُرْبَةِ ، أَنَا بَيْتُ الوَحْدَةِ ، أَنا بَيْتُ التُّراب ، أَنا بَيْتُ الدُّودِ والهَوامِّ ؛ فإِذا دُفِنَ العَبْدُ المُؤْمِنُ ، قَالَ لَهُ القَبْرُ : مَرْحباً وأَهلاً ، أَما إِنْ كُنْتَ لمنْ أَحَبِّ مَنْ يَمْشِي على ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَمُذْ وُلِّيْتُكَ اليَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرى صَنيعي بِكَ .

قَالَ : فَيَتَّسِعُ لَهُ قَبْرُهُ مَدَّ بَصَرِهِ ، ويُفْتَحُ لَهُ بابٌ إِلى الجَنَّةِ .

وإِذا دُفِنَ العَبْدُ الكافِرُ أَوِ الفاجِرُ ، يَقُولُ لَهُ القَبْرُ : لا مَرْحباً ولا أَهْلاً ، أَما

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٩ . ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٣٤ والمستطرف ٢/ ٤٥٨ .

(٢) والإمام أَحمد في مسنده ٣/ ٣٨ والمستطرف ٢/ ٤٥٩ .

(٣) الترمذي (٢٤٦٠) .

(٤) أَي تبدو أَسنانهم من الضَّحك .

إنْ كُنْتَ لمنْ أَبْغَضِ مَنْ يَمْشِي على ظَهْرِي إليَّ ، فَمُنْذُ وُلِّيْتُكَ اليَوْمَ وَصِرْتَ إليَّ فَسَتَرى صَنيعي بكَ ؛ فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْتَقِيَ وتَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ .

قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بأَصابعِ يَدَيْهِ هَكَذَا ، وَشَبَّكَها ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ تِسْعُونَ تِنِّيناً[١] ـ أَوْ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّيناً ـ لَوْ أَنَّ واحِداً منها نَفَخَ في الأَرْضِ ما أَنْبَتَتْ شَيْئاً مَا بَقِيَتِ الدُّنْيا ، فَتَنْهَشُهُ وَتَخْدِشُهُ حتَّى يُبْعَثَ إلى الحِسابِ » .

قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّما القَبْرُ رَوْضَةٌ من رِياضِ الجَنَّةِ ، أو حُفْرَةٌ من حُفَرِ النَّارِ »[٢] .

● وَرَوَى الأَئِمَّةُ : أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، لمَّا قالَ لِشُعَيْبٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القَصَص : ٢٨] الآيَة ؛ أَمَرَهُ لَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتاً عَيَّنَهُ لَهُ ، وَيَأْخُذَ منهُ عَصاً من العُصِيِّ التي فَيهِ ، فَدَخَلَ مُوسى البَيْتَ ، وأَخَذَ العَصَا التي أَخْرَجَها آدَمُ معهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وكانَتْ من آسِ الجَنَّةِ فَتَوارَثَها الأَنْبياءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ حتَّى صارَت إلى شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يُلْقِيَها في البَيْتِ ، وَيَدْخُلَ وَيَأْخُذَ عَصاً أُخْرَى ؛ فَدَخَلَ وأَخْرَجَها كَذلِكَ ، سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَعَلِمَ شُعَيْبٌ أَنَّ لِمُوسَى شَأْناً .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ : سُقِ الأَغْنامَ إلى مَفرَقِ الطَّريقِ ، ثمَّ خُذْ عن يَمينِكَ وَلَيْسَ بها عُشْبٌ كَثيرٌ ؛ ولا تَأْخُذْ عن يَسارِكَ ، فإِنَّها وإِنْ كَانَ بها عُشْبٌ كَثيرٌ ، فَفِيها تِنِّينٌ كَبيرٌ يَقْتُلُ المَواشِي ، فَسَاقَ مُوسَى الأَغْنامَ إلى مَفرقِ الطَّريقِ ، فأَخَذَت نَحْوَ اليَسَارِ ، ولم يقدرْ على رَدِّها ، فَسَرَّحَها في الكَلأِ ثُمَّ نامَ ، فَخَرَجَ التِّنِّيْنُ ، فحارَبَتْهُ العَصَا حَتَّى قَتَلَتْهُ ، فَلَمَّا انْتَبَهَ مُوسَى ، رَأَى العَصَا مَخْضُوبَةً

---

(١) عند التّرمذيّ : ويقيِّضُ الله له سبعين تِنِّيناً .

(٢) قال التّرمذيّ : هذا حديثٌ غريبٌ ، لا نعرفُهُ إلاَّ من هذا الوجه .

بِالدَّمِ ، والتِّنِّينَ مَقْتُولاً ، فَعَادَ إِلى شُعَيْبٍ فأَخْبَرَهُ الخَبَرَ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ وَقَالَ : كُلُّ مَا وَلَدَتْ هَذِهِ المَواشِي ذَا لَوْنَيْنِ في هَذِهِ السَّنَةِ فَهُوَ لَكَ ؛ فَقَدَّرَ اللهُ تعالى أَنْ وَلَدَتْ كُلُّها في تِلْكَ السَّنَةِ ذَا لَوْنَيْنِ ، فَعَلِمَ شُعَيْبٌ أَنَّ لِمُوسَى عِنْدَ اللهِ مَكانَةً ، فأَقَامَ عِنْدَهُ ثَمانياً وَعِشرِينَ سَنَةً إِلى أَنْ تَمَّتْ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، ثمَّ خَرَجَ عنه بِأَهْلِهِ .

وَأَمَّا حُكْمُهُ : فَعَلَى مَا قَالَ القَزوينيُّ : أَكْلُهُ حَرامٌ ، لِكَونه مِنْ جِنْسِ الحَيَّاتِ ، وعلى أَنَّهُ سَمَكٌ يُؤْذي بنابِهِ ، فَالظَّاهِرُ التَّحريمُ أَيْضاً كَالتِّمْسَاحِ .

الخَواصُّ[1] : زَعَمُوا أَنَّ أَكْلَ لَحْمِهِ يُورِثُ الشَّجاعَةَ ، وَدَمُهُ إِذا طُلِيَ بهِ على الذَّكَرِ وَجامَعَ امْرَأَتَهُ ، حَصَلَ لَها لَذَّةٌ عَظِيمَةٌ .

التَّعْبيرُ[2] : التِّنِّينُ في المَنامِ مَلِكٌ ؛ فإِنْ كَانَ لَهُ رَأْسَانِ أَو ثلاثٌ فَهُوَ أَشَدُّ لِشَرِّهِ ، والمَريضُ إِذا رأَى تِنِّيْناً ، دَلَّ على مَوْتِهِ .

وَمِنَ الرُّؤْيَا المُعَبَّرَةِ ، أَنَّ امْرَأَةً رَأَتْ في مَنَامِها كَأَنَّها وَضَعَتْ تِنِّيناً ، فوَلَدَتْ وَلَداً زَمِناً ؛ وذَلِكَ لأَنَّ التِّنِّينَ يَجُرُّ نَفْسَهُ إِذا مَشَى ، وكَذَلِكَ الزَّمِنُ يَجُرُّ نَفْسَهُ .

١١٧ التَّوْرَمُ : القَطْقَاطُ .

قَالَ ابنُ بُخْتيشُوع : هو على شَكْلِ الحَمامَةِ ، ويُقَالُ لَهُ : طَيْرُ التِّمْسَاحِ .

قَالَ : وفي جَناحِهِ شَوْكَتانِ ، هُما سِلاحُهُ ، إِذا أَطْبَقَ عَلَيْهِ التِّمْسَاحُ فَمَهُ ، نَخَسَهُ ، فَيَفْتَحُ فَاهُ ، فَيَخرجُ كما تَقَدَّمَ[3] .

قَالَ : **وَمن خواصِّهِ** : إِذا أُخِذَتا ـ يَعْنِي الشَّوكتين ـ أَو إِحْداهُما ، وَصُيِّرَتا في مَوضعٍ قد بَالَ فِيهِ إِنْسَانٌ ، مرضَ ذلك الإِنسانُ ، وَلَمْ يَزَلْ مَرِيضاً حَتَّى تُنْزَعَ

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٩ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٣٥ .

(٢) تفسير الواعظ ٣١١ .

(٣) تقدَّم في مادَّة « التِّمساح » : أَنَّ الشَّوكة في رأسهِ ، لا في جناحيه .

الشَّوْكَةُ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ الَّذِي بَالَ فِيهِ .

وإذا عُلِّقَ قَلْبُهُ عَلَى مَنْ بِهِ وَجَعُ المَعِدَةِ ، أَبْرَأَهُ اللهُ تَعالَى .

١١٨ التَّوْلَبُ : الجَحْشُ .

قَالُوا[١] : « أَتْبَعُ من تَوْلَبٍ » .

قَالَ سيبويه[٢] : هو مَصْرُوفٌ ، لأَنَّهُ فَوْعَلٌ .

وَيُقالُ للأَتَانِ : أُمُّ تَوْلَبٍ .

وسيأتِي حُكْمُهُ في « بابِ الحَاءِ المُهملةِ » ، إن شاء الله تعالى .

١١٩ التَّيْسُ : الذَّكَرُ من المَعْزِ وَالوُعُولِ ، والجَمْعُ تُيُوسٌ وَأَتْيَاسٌ[٣] .

قَالَ الهُذَلِيُّ[٤] : [من البسيط]

مِـنْ فَـوْقِـهِ أَنْسُـرٌ سُـودٌ وَأَغْـرِبَـةٌ وَتَحْتَـــهُ أَعْنُـــزٌ كُلْـــفٌ وَأَتْيَـــاسُ

وَالتَّيَّاسُ : الَّذِي يُمْسِكُهُ ؛ وَيُقالُ : في فُلانٍ تَيْسِيَّةٌ ، وَنَاسٌ يقولونَ : تَيْسُوسِيَّةٌ[٥] . قَالَ الجوهريُّ : ولا أَعرفُ صِحَّتَها .

وَيُقَالُ للذَّكَرِ مِنَ الظِّبَاءِ أَيْضاً : تَيْسٌ ؛ وَيُقَالُ : نَبَّ التَّيْسُ يَنِبُّ نَبِيباً : إذا صَاحَ وَهَاجَ .

---

(١) في أ ، ط : أَطوع من تولب . وهو بالرِّواية أَعلاه ، في : الميداني ١/ ١٥٠ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٩٧ و ٩٨ و ٢/ ٤٤٦ والعسكري ١/ ٢٨٢ والزمخشري ١/ ٣٣ .

(٢) الكتاب ٤/ ٣٣٣ .

(٣) زاد في القاموس « تيس » : وتِيَسَةٌ ومَتْيُوساءُ .

(٤) البيت لمالك بن خالد الخُناعي الهذلي ، في ديوان الهذليِّين ٣/ ٢ وشرح أَشعار الهذليِّين ١/ ٤٤٠ .

(٥) في الأُصول : تيوسيَّة ! والمثبت من الصِّحاح والقاموس « تيس » . وقال الجوهريّ ٣/ ٩١١ : وناسٌ يقولون : تَيْسوسيَّةٌ وكيفوفيَّةٌ ، ولا أَدْري ما صحَّتُهما .

● وَقَدْ مَثَّلَ النَّبيُّ ﷺ بذَلِكَ ، فِيما رَوَى « مُسلمٌ »[1] ، عن جابرِ بن سَمرة رَضِيَ الله تعالى عنه ، قَالَ : أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ برَجُلٍ قَصِيرٍ أَشْعَثَ ذِي عَضَلاتٍ ، عليه إِزارٌ ، قَدْ زَنَى ؛ فَرَدَّهُ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كُلَّما نَفَرْنا غازِينَ في سَبيلِ اللهِ تَخَلَّفَ أَحَدُكُمْ يَنِبُّ نَبيبَ التَّيْسِ ، يَمْنَحُ إِحْداهُنَّ الكُثْبَةَ ، إِنَّ اللهَ لا يُمَكِّنُنِي مِنْ أَحَدٍ منهم إِلاَّ جَعَلْتُهُ نَكالاً ، أَو نَكَّلْتُهُ » .

● وَفِي « كامِلِ ابنِ عديّ » في تَرْجَمَةِ إِبراهيم بنِ إِسماعيل بن أَبي حَبيبة ، من حَدِيثِ عائِشَةَ رَضِيَ الله تَعالَى عنها[2] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بَعَثَ إِلى سَعْدِ بن أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بِقَطِيعٍ من غَنَمٍ ، يَقْسِمُها بَيْنَ أَصْحابِهِ ، فَبَقِيَ مِنْها تَيْسٌ ، فَضَحَّى بِهِ » .

● وَفِيهِ في ترجمةِ أَبي صالح كاتِبِ اللَّيْثِ بن سَعْدٍ ، واسْمُهُ عبدُ اللهِ بن صالِحٍ ، عن عُقْبَةَ بن عامِرٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قالَ[3] : « أَلا أُخْبِرُكُم بِالتَّيْسِ المُسْتَعارِ ؟ هُوَ المُحَلِّلُ » . ثُمَّ قَالَ : « لَعَنَ اللهُ المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ لَهُ » .

وَالحَدِيثُ المَذْكُورُ رَواهُ الدَّارقُطنيّ وابْنُ ماجَه ، عن كاتِبِ اللَّيْثِ بن سَعْدٍ ، عَنِ اللَّيْثِ بن سَعْدٍ ، عَنْ مِشْرَحِ بن هاعان المِصْريّ ، عَنْ عُقْبَةَ بن عامِرٍ ، بِإِسْنادٍ حَسَنٍ ؛ وَكَذَلِكَ رَواهُ الحاكِمُ ، وَقَالَ : صَحِيحُ الإِسْنادِ .

قِيلَ : إِنَّما لَعَنَهُ النَّبيُّ ﷺ مَع حُصُولِ التَّحْلِيلِ ، لأَنَّ الْتِمَاسَ ذَلِكَ هَتْكٌ لِلْمُرُوءَةِ ، وَالمُلْتَمِسُ ذَلِكَ هو المُحَلَّلُ لَهُ ، وإِعارَةُ التَّيْسِ لِلْوَطْءِ لِغَرَضِ الغَيْرِ

---

(١) مسلم (١٦٩٢) وأَبو داود (٤٤٢٣) وأَحمد في المسند ٥/ ٨٦ و ٨٧ و ١٠٢ و ١٠٣ . والزَّاني : هو ماعز . والكثبة : القليل من اللَّبن .

(٢) الكامل في الضعفاء ١/ ٣٨٢ .

(٣) الكامل وابن ماجه (١٩٣٦) وميزان الاعتدال ٢/ ٤٤٤ وسنن الدارقطني ٣/ ١٥١ .

أَيْضاً رَذيلَةٌ ؛ وَلِذَلِكَ شَبَهَّهُ بالتَّيْسِ المُسْتَعارِ ، وإِنَّما يَكُونُ كَالتَّيْسِ المُسْتَعارِ ، إِذا سَبَقَ الْتِماسٌ من المُطَلِّقِ ؛ والعَرَبُ تُعَيِّرُ بإِعارَةِ التَّيْسِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[1] :

[من الوافر]

وَشَــرُّ مَنِيْحَــةٍ تَيْــسٌ مُعــارُ

● وَفِي آخر « شِفاء الصُّدُورِ » لابْنِ سبع السَّبْتِيّ ، عن عليّ بن عبدِ اللهِ بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم ، قَالَ : كُنْتُ مع أَبي بعدَما كُفَّ بَصَرُهُ ، وَهوَ بِمَكَّةَ ، فَمَرَرْنا على قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ في صُفَّةِ زَمْزَم ، فَسَبُّوا عليَّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، فَقَالَ لِسَعيد بن جُبيرٍ وهو يَقُودُهُ : رُدَّنِي إِلَيْهم ؛ فَرَدَّهُ ، فَقَالَ : أَيُّكُمُ السَّابُّ للهِ وَلِرَسُولِهِ ؟ فقالُوا : سُبْحانَ اللهِ ، ما فِينا أَحَدٌ سَبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ؛ فَقَالَ : أَيُّكُمْ السَّابُّ لِعَلِيٍّ ؟ قَالُوا : أَمَّا هَذَا فَقَدْ كَانَ ؛ فَقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ : إِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ سَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ سَبَّنِي ، وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللهَ ، وَمَنْ سَبَّ اللهُ كَبَّهُ اللهُ تَعالَى على مِنْخَرَيْهِ في النَّارِ » . ثُمَّ وَلَّى عنهم ، فَقَالَ : يا بُنَيَّ مَا رَأَيْتَهم صَنَعُوا ؟ فَقُلْتُ : يا أَبَتِ[2] :

[من الكامل]

نَظَــرُوا إِلَيْــكَ بِــأَعْيُــنٍ مُحْمَــرَّةٍ نَظَــرَ التُّيُــوسِ إِلــى شِفــارِ الجــازِرِ

فَقَالَ : زِدْنِي يا بُنَيَّ ، فَقُلْتُ :

شُــزْرَ العُيُــونِ مُنَكِّســي أَذْقــانِهِــمْ نَظَرَ الذَّلِيلِ إِلى العَزيزِ القاهِرِ اهـ

● وَفِي « تَهْذِيبِ الكَمَالِ » في تَرْجَمَةِ عبدِ العَزيزِ بن مُنيب القُرَشيّ ، وَكَانَ

---

(١) عجز بيت لزهير بن أَبي سلمى في ديوانه ٣٠١ ، وتَمامُهُ :

ولــولا عَسْبُــهُ لَــرَدَدْتُمــوهُ شَــرُّ مَنِيْحَــةٍ أَيْــرٌ مُعــارُ

(٢) البيتان ـ كما هنا ـ لولد عبد الله بن العبَّاس ، في الزّهرة ٢/ ٧٧٥ . وهما من قصيدة لعبد الرَّحمن بن حسَّان في الأَغاني ١٥/ ١١٧ والموفقيَّات ٢٦٤ والحماسة البصريَّة ٣/ ١٣٦٠ .

طَويلَ اللِّحْيَةِ[١] : أَنَّ عليَّ بن حُجْر السَّعْديّ نَظَرَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : [من المُجتث]

لَيْـــسَ بِطُـــولِ اللِّحـــى تَسْتَـــوْجِبُـــونَ القَضَـــا
إِنْ كَـــانَ هَـــذَا كَـــذَا فَـــالتَّيْـــسُ عَـــدْلٌ رِضَـــا

● قَالَ[٢] : وَمَكتوبٌ في التَّوراةِ : لا يَغُرَّنَّكَ طُولُ اللِّحَى ، فإِنَّ التَّيْسَ لَهُ لِحْيَةٌ .

وَسَيَأْتِي في « المَعْزِ » بَيانُ حُكْمِهِ .

● وفي « تارِيخِ الإِسْلامِ » للعلاَّمَةِ الذَّهبيّ[٣] : أَنَّ في سَنَةِ تِسعٍ وتسعين ومئتين ، وَرَدَتْ هَدَايا مِصر على المُقتدرِ ، فيها خمسمئة أَلف دينارٍ ، وَتَيْسٌ لَهُ ضَرْعٌ يَحلبُ لَبَناً ، وَضِلَعُ إِنْسَانٍ عَرْضُ شِبْرٍ في طُولِ أَربعةَ عَشَرَ شِبْراً .

● وفي كتاب « التَّرغيبِ والتَّرهيب » في بابِ « ذَمِّ الحاسِدِ »[٤] : من حديث نافعٍ ، عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قَالَ : « يَأْتِي على أُمَّتِي زَمانٌ يَحْسُدُ فِيهِ الفُقَهاءُ بعضَهم بَعضاً ، وَيَغارُ بَعْضُهُم على بَعْضٍ كَتَغايُرِ التُّيُوسِ بعضِها على بَعْضٍ » .

● وَفِي « الحِلْيَة »[٥] عن مالك بن دِينارٍ ، أَنَّهُ قَالَ : تَجُوزُ شَهادَةُ القُرَّاءِ في

---

(١) كذا نقل المؤلِّفُ هذا الخبر ، وفيه وهمٌ ، وصواب روايته كما ورد في : الجليس والأَنيس للمعافى ١/ ٤٨٩ وتاريخ بغداد ١٢/ ٢١٥ وتهذيب الكمال ١٨/ ١٢ وتهذيب التَّهذيب ٦/ ٣٦٠ ، نظرَ عليُّ بن حُجر إِلى لحيَةِ أَبي الدَّرداء ، قال : وهو طويل اللِّحية ، فأَنشأَ يقولُ : ـ وترجمة علي بن حجر السّعديّ ، في تاريخ بغداد ١٣/ ٢٦٢ .

(٢) مصادر الخبر السَّابق .

(٣) تاريخ الإِسلام ٣٦ [وفيات ٢٩١ ـ ٣٠٠] والمنتظم ١٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤ والبداية والنهاية ١٤/ ٧٧٤ .

(٤) لم يرد الحديث في الترغيب والتَّرهيب للمنذري ! .

(٥) حلية الأَولياء ٢/ ٣٧٨ وربيع الأَبرار ٣/ ٥٧٨ والمستطرف ٢/ ٥١ .

كُلِّ شَيْءٍ ، إلاَّ شَهادة بعضهم على بعضٍ ؛ فإِنَّهُم أَشَدُّ تَحاسُداً مِنَ التُّيُوسِ في الزُّرَبِ . اهـ .

قَالَ الجوهريُّ[1] : الزَّرْبُ والزَّرِيبَةُ : حَظيرَةُ الغَنَمِ من خَشَبٍ .

● وَفِي « مُرُوجِ الذَّهَبِ » للمَسعوديّ ، و« شَرحِ السِّيْرَةِ » للحافِظِ قُطب الدِّين وغيرِهما[2] : أَنَّ أُمَّ الحَجَّاجِ بن يوسف ـ وَهِيَ الفارِعَةُ بنت هَمَّام ـ كانَتْ تَحْتَ الحارِثِ بن كَلَدَةَ الثَّقفيّ حَكِيمِ العَرَبِ ، فَدَخَلَ عَلَيْها لَيْلَةً في السَّحَرِ ، فَوَجَدَها تَتَخَلَّلُ ، فطَلَّقَها ، فَسَأَلَتْهُ عن سببِ ذلكَ ، فقال : دخلتُ عليكِ في السَّحَرِ ، فَوَجَدْتُكِ تَتَخَلَّلِينَ ، فإِنْ كُنْتِ بادَرْتِ الغَدَاءَ فأَنْتِ شَرِهَةٌ ، وإِنْ كُنْتِ بتِّ والطَّعامُ بَيْنَ أَسنانِكِ فأَنْتِ قَذِرَةٌ ؛ فقالت : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يكنْ ، لَكِنِّي تَخَلَّلْتُ من شَظَايا السِّواكِ ؛ فَتَزَوَّجها بَعْدَهُ يُوسفُ بن الحَكَمِ بن أَبي عَقيل الثَّقَفي ، فأَوْلَدَها الحَجَّاجَ .

وَكَانَ الحَجَّاجُ قَدْ وُلِدَ مُشَوَّهاً لا دُبُرَ لَهُ ، فَثُقِبَ دُبُرُهُ ، وَأَبى أَنْ يقبلَ ثَدْيَ أُمِّهِ وَغيرِها ؛ فأَعْيَاهُم أَمْرُهُ ، فَيُقالُ : إِنَّ الشَّيْطانَ تَصَوَّرَ لَهُمْ في صُورَةِ الحارِثِ بن كَلَدَةَ ، فَقالَ : ما خَبَرُكُم ؟ فَقَالُوا : بُنَيٌّ وُلِدَ لِيُوسفَ من الفارِعَةِ ، وَقد أَبى أَنْ يقبلَ ثَدْيَ أُمِّهِ ؛ فَقالَ : اذْبَحُوا [جَدْياً أَسْوَدَ وَأَوْلِغُوهُ دَمَهُ ، فإِذا كانَ في اليَوْمِ الثَّانِي فافعَلُوا بِهِ كَذَلِكَ ، فإِذا كَانَ في اليوم الثَّالثِ فاذْبَحُوا[3]] لَهُ تَيْساً أَسْوَدَ ، وَأَلْعِقُوهُ دَمَهُ ، ثمَّ اذْبَحُوا لَهُ أَسْوَدَ سالِخاً وَأَوْلِغُوهُ دَمَهُ ، واطْلُوا بِهِ وَجْهَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِنَّهُ يَقْبَلُ الثَّدْيَ في اليَوْمِ الرَّابِعِ .

فَفَعَلُوا بِهِ كَذَلِكَ ، فَقَبِلَ الثَّدْيَ ؛ وَكَانَ لا يَصْبِرُ عن سَفْكِ الدِّماءِ ، وَكَانَ

---

(١) الصحاح « زرب » ١/ ١٤٢ .

(٢) مروج الذهب ٣/ ٣٢٩ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩ ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٠١ والمستطرف ١/ ١٨٣ والعقد الفريد ٥/ ١٣ وبغية الطَّلب ٥/ ٢٠٣٨ ـ ٢٠٣٩ .

(٣) الزيادة من مصادر الخبر .

يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّ أَكْبَرَ لَذَّاتِهِ سَفْكُ الدِّماءِ ، وارْتِكابُ أُمورٍ لا يَقْدِرُ عَلَيْها غَيْرُهُ .

● وفي « تارِيخِ ابن خلِّكان » : أَنَّ عبدَ المَلِكِ بن مَروان ، كتبَ إلى الحَجَّاجِ كِتاباً يَتَهَدَّدُهُ في آخِرِهِ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ[1] : [من الطَّويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أُموراً كَرِهْتُها ... وَتَطْلُبْ رِضايَ بِالَّذِي أَنا طالِبُهْ
وَتَخْشَ الذي يَخْشَاهُ مِثْلُكَ هارِباً ... إِلَيَّ فَها قَدْ ضَيَّعَ الدَّرَّ حالِبُهْ
فَإِنْ تَرَ مِنِّي غَفْلَةً قُرَشِيَّةً ... فَيَا رُبَّما قَدْ غَصَّ بِالماءِ شَارِبُهْ
وَإِنْ تَرَ مِنِّي وَثْبَةً أُمَوِيَّةً ... فَهَذا وَهَذا كُلُّهُ أَنا صَاحِبُهْ
فَلا تَأْمَنَنِّي والحَوادِثُ جَمَّةٌ ... فَإِنَّكَ تُجْزىٰ بِالَّذِي أَنْتَ كاسِبُهْ

فأَجابَهُ الحَجَّاجُ ، وَقَالَ في آخِرِ جَوابِهِ : وَأَمَّا ما أَتانِي من أَمْرَيْكَ ، فَأَلْيَنُهُما غِرَّةٌ ، وأَصْعَبُهُما مِحْنَةٌ ؛ وَقَدْ عَبَّأْتُ لِلْغِرَّةِ الجَلَدَ ، وَلِلْمِحْنَةِ الصَّبْرَ .

فَلَمَّا قَرأَ عَبْدُ المَلِكِ كِتابَهُ ، قَالَ : خَافَ أَبُو مُحَمَّدٍ صَوْلَتِي ، وَلَنْ أَعودَ إِلى مَا يَكْرَهُ .

وَكَانَ[2] الحَجَّاجُ كَثِيراً ما يَسْأَلُ القُرَّاءَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْماً رَجُلٌ ، فَقَالَ له الحَجَّاجُ : ما قَبْلَ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ [الزُّمر : ٩]؟ فَقَالَ لَهُ الآخَرُ : قَوْلُهُ تعالى : ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزُّمر : ٨] فَمَا سَأَلَ أَحَداً بعدَها .

● وَقَال الحَجَّاجُ لِرَجُلٍ من أَصْحابِ عبدِ الرَّحمنِ بن الأَشْعَثِ : واللهِ إِنِّي لأُبْغِضُكَ ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : أَدْخَلَ اللهُ أَشَدَّنا بُغْضاً لِصاحِبِهِ الجَنَّةَ .

---

(١) الخبر والأبيات في وفيات الأعيان ٢/ ٣٥ ومروج الذهب ٣/ ٣٤٢ وبغية الطلب ٥/ ٢٠٨٤ والمستطرف ١/ ١٨٢ .
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠ .

● وَكَانَ[1] أَوَّلُ مَا ظَهَرَ من كَفاءَةِ الحجَّاجِ ؛ أَنَّهُ كَانَ في شَرطَةِ رَوْح بن زِنْباعٍ وَزير عبد المَلِكِ بن مَروان ، وَكَانَ عَسْكَرُ عبدِ المَلِكِ لا يَرْحَلُ بِرَحِيلِه ولا يَنْزِلُ بِنُزُولِه ، فَشَكا عبدُ الملكِ ذَلِكَ لِرَوْح بنِ زِنْباع ، فَقَالَ له : يا أَميرَ المُؤمنينَ ، في شرطتي رجلٌ يُقَالُ لَهُ : الحَجَّاجُ بن يُوسف ، لو وَلاَّهُ أَميرُ المؤمنين أَمْرَ عَسْكَرِهِ لأَرْحَلَ النَّاسَ بِرَحِيلِ أَميرِ المؤمنين ، وَأَنْزَلَهُمْ بِنُزُولِه ؛ فَوَلاَّهُ عبدُ المَلِكِ أَمْرَ العَسْكَرِ ، فَأَرْحَلَ النَّاسَ بِرَحِيلِ عبدِ المَلِكِ وَأَنْزَلَهُمْ بِنُزُولِه .

فَرَحَلَ يَوْماً عبدُ المَلِكِ ، وَرَحَلَ النَّاسُ ، وَتَأَخَّرَ أَصْحابُ رَوْحِ بن زِنْباعَ عَنِ الرَّحِيلِ ، فَمَرَّ عليهم الحَجَّاجُ وَهُمْ يَأْكُلُونَ ، فَقَالَ لَهُم : مَا بَالُكُم لَمْ تَرْحَلُوا مَعَ العَسْكَرِ ؟ فَقَالُوا لَهُ : انْزِلْ وَتَغَدَّ ، وَدَعْ عنكَ هَذَا الكَلامَ يا ابْنَ اللَّخْناءِ ؛ فَقَالَ : هَيْهاتَ ، ذَهَبَ ما هُنالِكَ ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَضُرِبَتْ أَعْناقُهُم[2] ، وَأَمَرَ بِخَيْلِ رَوْحٍ فَعُرْقِبَتْ ، وبالفَساطِيطِ فَأُحْرِقَتْ ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَوْحاً ، فَدَخَلَ على عبدِ المَلِكِ وَقَالَ : يا أَميرَ المُؤمنين ، انْظُرْ مَا جَرَى عليَّ اليَوْمَ مِنَ الحَجَّاجِ ؛ فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : قَتَلَ غِلْمانِي ، وَعَرْقَبَ خَيْلِي ، وَأَحْرَقَ فَساطِيطي ؛ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الحَجَّاجِ ، فلمَّا حَضَرَ قال لَهُ عبدُ المَلِكِ : وَيْلَكَ ، مَاذَا فَعَلْتَ اليَوْمَ مع سَيِّدِكَ رَوْحِ بن زِنْباعٍ ؟ فَقَالَ له : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّما يَدِي يَدُكَ ، وَسَوْطِي سَوْطُكَ ، وَمَا عَلَى أَميرِ المؤمنين أَنْ يُخْلِفَ لِرَوْحٍ عِوَضَ الغُلامِ غُلامين ، والفَرَسِ فَرَسَيْن ، والفُسْطاطِ فُسْطاطَين ، ولا يَكسِرَنِي في العَسْكَرِ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَفْعَلُ ؛ فتَمَّ للحَجَّاجِ مَا يُرِيدُ ، وَقَوِيَ من ذَلِكَ اليَوْمِ أَمْرُهُ ، وعَظُمَ شَرُّهُ ، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا عُرِفُ من كَفاءَتِهِ .

---

(١) العقد الفريد ٥/ ١٤ ووفيات الأعيان ٢/ ٣٠ .

(٢) كذا . وفي العقد والوفيات : فجُلدوا بالسِّياط ، وطوَّفهم في العسكر .-

● وللحَجَّاجِ أخبارٌ كثيرةٌ ، وخُطَبٌ بَلِيغَةٌ .

قَالَ المُبَرِّدُ في « الكامل »[1] : حَدَّثَنِي التَّوَّزِيُّ بِإِسنادِهِ ، عن عبدِ المَلِكِ بن عُمير اللَّيْثِيّ ، قَالَ :

بَيْنَما أَنا في المسجِدِ الجامِعِ بالكُوفَةِ ، وأَهْلُ الكُوفَةِ يَوْمَئِذٍ ذَوو حالَةٍ حَسَنَةٍ ، يَخْرُجُ الرَّجُلُ منهم في العَشَرةِ والعشرين من مَوالِيهِ ، إذْ قِيلَ : قَدِمَ الحَجَّاجُ أميراً على العِراقِ ، فَنَظَرْتُ فإذا به قد دَخَلَ المسجِدَ مُعْتَمّاً بعِمامَةٍ قَدْ غَطَّى بها أَكْثَرَ وَجْهِهِ ، مُتَقَلِّداً سَيْفاً ، مُتَنَكِّباً قَوْساً ، يَؤُمُّ المِنْبَرَ ، فَمَالَ النَّاسُ نَحْوَهُ ، فصعد المنبر ، فَمَكَثَ سَاعَةً لا يَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ النَّاسُ بعضُهم لِبَعْضٍ : قَبَّحَ اللهُ بَنِي أُمَيَّةَ ، حَيْثُ تَسْتعمِلُ مِثْلَ هَذَا على العِراقِ ، فَقَالَ عُمير بن ضابىء البُرْجُميُّ : أَلا أَحْصِبُهُ لَكم ! فَقِيلَ : أَمْهِلْ حتَّى نَنْظُرَ ؛ فَلَمَّا رَأى الحَجَّاجُ أَعْيُنَ النَّاسَ تَرْمُقُهُ ، حَسَرَ اللِّثَامَ عن وجهِهِ ، وَنَهَضَ قائِماً ، ثُمَّ حَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى على النَّبيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ[2] : [من الوافر]

أَنَا ابْنُ جَلا وَطَلاَّعُ الثَّنايا ... مَتَى أَضَعِ العِمامَةَ تَعْرِفُونِي

ثُمَّ قَالَ : يا أَهْلَ الكُوفَةِ ، إِنِّي لأَرَى رُؤُوساً قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطافُها ، وإِنِّي لَصاحِبُها ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى الدِّماءِ بَيْنَ العَمائِمِ واللِّحَى[3] : [من الرَّجز]

---

(١) الخبر في : تاريخ الطبري ٦/٢٠٢ ومروج الذهب ٣/ ٣٣٠ وكامل المبرّد ٢/ ٤٩٣ وبيان الجاحظ ٢/ ٣٠٧ والعقد الفريد ٤/ ١١٩ و ٥/ ١٧ ووفيات الأعيان ٢/ ٣٣ وتاريخ دنيسر ٥٩ وبغية الطَّلب ٥/ ٢٠٧٧ ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٦ وصبح الأَعشى ١/ ٢١٩ والمستطرف ١/ ١٧٨ .

(٢) صدر قصيدةٍ لسُحَيم بن وثيل الرّياحي ، في الأَصمعيّات ١٧ .

(٣) الأَشطار لرويشد ـ وقيل : رُشَيْد ـ بن رُميض العنزي ، يقولها في الحُطَم وهو شريح بن ضُبيعة . (الأغاني ١٥/ ٢٥٥ وشرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٥٥ والحماسة البصريّة ١/ ١٠٣) . وفي الكامل ٢/ ٤٩٩ ، وفرحة الأديب ١٤٥ للحُطَم القيسي . وتنسب إلى =

هَـذَا أَوانُ الشَّـرِّ فـاشْتَـدِّي زِيَـمْ   قَـدْ لَفَّهـا اللَّيْـلُ بِسَـوَّاقٍ حُطَـمْ
لَيْـسَ بِـراعِـي إِبـلٍ ولا غَنَـمْ   ولا بِجَـزَّارٍ علـى ظَهْـرِ وَضَـمْ

ثُمَّ قَالَ[1] : [من الرَّجز]

قَـدْ لَفَّهـا اللَّيْـلُ بِعَصْلَبِـيِّ   أَرْوَعَ خَـرَّاجٍ مِـنَ الـدَّوِيِّ
مُهـاجِـرٍ لَيْـسَ بِـأَعْـرابِـيِّ   مُعـاوِدٍ لِلطَّعْـنِ بِـالخَطِّـيِّ

ثُمَّ قَالَ أَيْضاً[2] : [من الرَّجز]

قَـدْ شَمَّـرَتْ عـن سـاقِهـا فَشُـدُّوا   وَجَـدَّتِ الحَـرْبُ بِكُـمْ فَجِـدُّوا
والقَـوْسُ فِيهـا وَتَـرٌ عُـرُدُّ   مِثْـلُ ذِراعِ البَكْـرِ أَوْ أَشَـدُّ

إِنِّي ـ واللهِ يا أَهْلَ العِراقِ ـ مَا يُقَعْقَعُ لِي بالشِّنانِ ، ولا يُغْمَزُ جانِبِي كَتَغْمازِ التِّيْنِ ، وَلَقَدْ فُرِرْتُ عَنْ ذَكاءٍ ، وَفُتِّشْتُ عَنْ تجْرِبَةٍ ؛ وإِنَّ أَميرَ المؤمنين نَثَلَ كِنانَتَهُ ، فَعَجَمَ عِيْدانَها عُوداً عُوداً ، فَوَجَدَنِي أَمَرَّها عُوداً ، وأَصْلَبَها مَكْسَراً ، وَأَبْعَدَها مَرْمىً ، فَرَماكُمْ بِي ، لأَنَّكُمْ طالَما أَوْضَعْتُم في الفِتْنَةِ واضْطَّجَعْتُم في مَراقِدِ الضَّلالِ .

واللهِ لأَحْزِمَنَّكُمْ حَزْمَ السَّلَمَةِ ، وَلأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرائِبِ الإِبلِ ؛ فَإِنَّكُمْ لَكَأَهْلِ قَرْيَةٍ ﴿ كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النَّحل : ١١٢] وإِنِّي ـ واللهِ ـ مَا أَقُولُ إِلاَّ وَفَيْتُ ، ولا أَهُمُّ إِلاَّ أَمْضَيْتُ ، ولا أَخْلُقُ إِلاَّ فَرَيْتُ .

وَإِنَّ أَميرَ المؤمنين أَمَرَنِي بِإِعْطَاءِ أُعْطِيَاتِكُمْ ، وأَنْ أُوَجِّهَكُمْ لِمُحارَبَةِ عَدُوِّكُم مع المُهَلَّبِ بن أَبي صُفْرَة ، وإِنِّي أُقْسِمُ باللهِ ، لا أَجِدُ رَجُلاً تَخَلَّفَ بَعْدَ

= غيرهما ، انظر حواشي الكامل وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢/ ٢٨٦) .

(١) الأَشطار في مصادر الخبر ، واللِّسان « عصلب » بلا نسبة .

(٢) الأَشطار لحنظلة بن ثعلبة بن سيَّار العجليّ . (تاريخ الطَّبريّ ٢/ ٢٠٩) .

أَخْذِ عَطائِهِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إلاَّ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ؛ يا غُلامُ ، اقْرَأْ كِتابَ أَميرِ المؤمنين ؛ فقَرَأَ :

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ، من عبدِ المَلِكِ بن مَروان أَميرِ المُؤمنين ، إلى مَن بالكُوفَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ ، سلامٌ عَلَيْكُمْ ؛ فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ شَيْئاً ، فَقَالَ الحَجَّاجُ : اكْفُفْ يا غُلامُ .

ثُمَّ أَقْبَلَ على النَّاسِ ، فَقَالَ : أَيُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَميرُ المؤمنين ، فلا تَرُدُّونَ سَلامَهُ ؟ هَذَا أَدَبُ ابْنِ نِهْيَةَ[1] ، أَما واللهِ لأُؤَدِّبَنَّكُم غَيْرَ هَذَا الأَدَبِ أَو لَتَسْتَقِيمُنَّ ؛ اقْرَأْ يا غُلامُ كِتابَ أَمير المؤمنين ؛ فلمَّا بَلَغَ إِلى قَوْلِهِ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ ؛ لَمْ يَبْقَ في المَسْجِدِ أَحَدٌ إلاَّ قَالَ : وعلى أَميرِ المؤمنين السَّلامُ .

ثُمَّ نَزَلَ فَوَضَعَ لِلنَّاسِ أُعْطِيَاتِهِم ، فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ ، حَتَّى أَتاهُ شَيْخٌ يَرْعَشُ كِبَراً ، فَقَالَ : أَيُّها الأَميرُ ، إِنِّي من الضَّعْفِ على مَا تَرَى ، وَلِي ابْنٌ هُوَ أَقْوَى مِنِّي على الأَسْفَارِ ، أَفَتَقْبَلُهُ مِنِّي بَدَلاً ؟ فَقَالَ لَهُ الحَجَّاجُ : نَفْعَلُ أَيُّها الشَّيْخُ ؛ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ قائِلٌ[2] : أَتَدْرِي مَنْ هَذَا أَيُّها الأَميرُ ؟ قَالَ : لا . قَالَ : هَذَا عُمَيْرُ بن ضابىء البُرْجُميّ ، الَّذِي يَقُولُ أَبُوهُ[3] : [من الطَّويل]

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ... تَرَكْتُ على عُثْمانَ تَبْكِي حَلائِلُهْ

وَدَخَلَ هَذَا الشَّيْخُ على عُثمانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه يَوْمَ الدَّارِ ، وهو مَقتولٌ ، فَوَطِىءَ بَطْنَهُ ، وَكَسَرَ ضِلْعَيْنِ من أَضْلاعِهِ ؛ فَقَالَ : رُدُّوهُ ؛ فَلَمَّا رُدَّ قَالَ لهُ الحَجَّاجُ : أَيُّها الشَّيْخُ : هَلاَّ بَعَثْتَ إِلى أَميرِ المؤمنين عُثمان بن عَفَّان

---

(١) في الأُصول : ابن سميَّة ! . وابنُ نِهْيَة : رجلٌ كانَ على الشُّرطة بالبصرة قبل الحجَّاج .

(٢) القائل هو عنبسة بن سعيد ، كما في مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٧ والعقد الفريد ٥/ ١٩ والشِّعر والشُّعراء ١/ ٣٥٢ .

(٣) البيت في جمهرة ابن حزم ٢٢٣ والشِّعر والشُّعراء ١/ ٣٥١ وطبقات ابن سلام ١/ ١٧٤ وتاريخ دمشق ٣٣/ ٥١٢ .

بَديلاً يَوْمَ الدَّارِ ؟ إِنَّ في قَتْلِكَ لَصَلاحاً لِلمُسْلِمِينَ ؛ يا حَرَسِيُّ اضْرِبا عُنُقَهُ .

● **تَفْسِيرُ ما فِي خُطْبَةِ الحَجَّاجِ مِنَ الكَلامِ :**

قَوْلُهُ : « أَنا ابْنُ جَلا » إِنَّما أَرادَ المُنْكَشِفَ الأَمْرِ ، وَلَمْ يَصْرِفْ « جَلا » لأَنَّهُ أَرادَ الفِعْلَ فَحَكَى ؛ والفِعْلُ إِذا كانَ فِيهِ فاعِلُهُ مُضْمَراً أَوْ مُظْهَراً ، لَمْ يَكُنْ إِلاَّ حِكايَةً ، كَقَوْلِكَ : قَرَأْتُ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] لأَنَّكَ حَكَيْتَ ، وَكَذَلِكَ الابْتِداءُ والخَبَرُ ، تَقُولُ : قَرَأْتُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] . قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [من الرَّجز]

واللهِ مَا زَيْدٌ بِنَامِ صاحِبُهْ

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ لِسُحَيْمِ بنِ وَثِيْلٍ الرِّياحيّ ، وإِنَّما قَالَها الحَجَّاجُ مُتَمَثِّلاً .

وَقَوْلُهُ : طَلاَّعُ الثَّنايا : هِيَ جَمْعُ ثَنِيَّةٍ ، والثَّنِيَّةُ : الطَّرِيقُ في الجَبَلِ ؛ والطَّرِيقُ في الرَّمْلِ يُقالُ لَها : الخَلُّ ، وإِنَّما أَرادَ أَنَّهُ جَلْدٌ يَطْلُعُ الثَّنايا في ارْتِفاعِها وَصُعُوبَتِها ؛ كَمَا قَالَ دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة يَرْثِي أَخاهُ عبدَ اللهِ[2] : [من الطَّويل]

كَمِيشُ الإِزارِ خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ ... بَعِيدٌ مِن السَّوْآتِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ

والنَّجْدُ : ما ارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ .

وَقَولُهُ : إِنِّي لأَرَى رُؤُوساً قَدْ أَيْنَعَتْ : يُرِيدُ : أَدْرَكَتْ ؛ يُقَالُ : أَيْنَعَتِ الثَّمَرَةُ إِيْناعاً ، ويَنَعَتْ يَنْعاً ويُنْعاً ؛ ويُقْرأُ : ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ ﴿وَيُنْعِهِ﴾ [الأنعام : ٩٩] وَكِلاهُما جَائِزٌ .

قَالَ أَبُو عُبيدةُ : وهَذَا الشِّعْرُ مُختلفٌ فِيهِ ، فبعضُهم يَنْسِبُهُ إِلى الأَحْوَصِ ،

---

(١) في ط : ما ليلي بنام صاحبه . والمثبت من أ . والشَّطر في الخزانة ٩/٣٨٨ والخصائص ٢/٣٦٦ بلا نسبة . وبعده : ولا مُخالِطُ اللِّيانِ جانِبُهْ .

(٢) ديوان دريد ٦٦ (ط . دار المعارف) و ٤٩ (ط . دمشق) .

وَبَعْضُهم إِلى يَزِيد بن مُعاوية ، وهو[1] : [من مجزوء الرَّمل]

وَلَهَـــا بِـــالمـــاطِـــرُونَ إِذا ... أَكَـــلَ النَّمْـــلُ الـــذِي جَمَعَـــا
خُـــرْفَـــةٌ حتَّـــى إِذا رَبَعَـــتْ ... سَكَنَـــتْ مِـــنْ جِلَّـــقٍ بِيَعَـــا
فِـــي قِبَـــابٍ عِنْـــدَ دَسْكَـــرَةٍ ... حَـــوْلَهَـــا الـــزَّيْتُـــونُ قَـــدْ يَنَعَـــا

وَقُولُهُ : هَذَا أَوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زِيَمْ : يَعْنِي فَرَساً أَو ناقَةً ، والشِّعْرُ للحُطَم القَيْسيّ .

وَقَوْلُهُ : قَدْ لَفَّها اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ ؛ الحُطَمُ : الذي لا يُبْقِي من السَّيْرِ[2] شَيْئاً . يُقالُ : رَجُلٌ حُطَمٌ ، إِذا كَانَ يَأْتِي على الزَّادِ لِشِدَّةِ أَكْلِهِ ؛ وَيُقَالُ للنَّارِ التي لا تُبْقِي على شَيْءٍ : حُطَمَةٌ .

وَقَوْلُهُ : على ظَهْرِ وَضَمْ ؛ الوَضَمُ : كُلُّ مَا قُطِعَ عَلَيْهِ اللَّحْمُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[3] : [من المتقارب]

وَفِتْيَـــانِ صِـــدْقٍ حِســـانِ الـــوُجُـــو ... هِ لا يَجِـــدُونَ لِشَـــيْءٍ أَلَـــمْ
مِـــنَ الِ المُغِيـــرَةِ لا يَشْهَـــدُو ... نَ عِنْـــدَ المَجـــازِرِ لَحْـــمَ الـــوَضَـــمْ

وَقَوْلُهُ : قَدْ لَفَّها اللَّيْلُ بِعَصْلَبِيٍّ : أَي شَدِيدٍ . أَرْوَعَ : أَي ذَكِيّ .

وَقَوْلُهُ : خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ : يَقُولُ : خَرَّاجٍ عن كُلِّ غَمَّاءَ وشِدَّةٍ ، وَيُقَالُ لِلصَّحْرَاءِ : دَوِّيَّةٌ ، وَهِيَ التي تُنْسَبُ لِلدَّوِّ ؛ وَالدَّوُّ : صَحْراءُ مَلْساءُ ، لا عَلَمَ بِها وَلا أَمارَةَ ؛ قَالَ الحُطَيْئَةُ[4] : [من الطَّويل]

---

(١) الأَبيات في ديوان الأحوص ٢٢١ ـ ٢٢٢ وديوان يزيد بن معاوية ٢٢ وديوان أَبي دهبل الجمحي ٨٤ ـ ٨٥ .

(٢) في ط : من الخبز . والمثبت من أ والكامل .

(٣) البيتان لعمر بن أَبي ربيعة في ذيل ديوانه ٤٩٩ .

(٤) ديوانه ١٤٨ .

وَأَنَّى اهْتَدَتْ والدَّوُّ بَيْنِي وَبَيْنَها وَمَا خِلْتُ سارِي الدَّوِّ بِاللَّيْلِ يَهْتَدِي

وَالدَّاوِيَّةُ : الفَلاةُ المُتَّسِعَةُ التي يُسْمَعُ لَها دَوِيٌّ بِاللَّيْلِ ، وإِنَّما ذَلِكَ الدَّوِيُّ من أَخْفافِ الإِبلِ تَنْفَسِحُ أَصْواتُها فِيها ؛ وَجَهَلَةُ الأَعْرابِ تَقُولُ : إِنَّ ذَلِكَ عَزيفُ الجِنِّ .

وَقَوْلُهُ : والقَوْسُ فِيها وَتَرٌ عُرُدٌّ : أَي شَديدٌ ؛ وَيُقالُ : عُرُنْدٌ .

وَقَوْلُهُ : إِنِّي واللهِ ما يُقَعْقَعُ لِي بِالشِّنانِ ؛ واحِدُها شَنٌّ ، وهِيَ الجِلْدُ اليابِسُ ، فإِذا قُعْقِعَ بِهِ نَفَرَتِ الإِبلُ منهُ ، فَضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلاً لِنَفْسِهِ ؛ قَالَ النَّابِغَةُ الذُّبْيانِيُّ[(١)] : [من الوافر]

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

وَقَوْلُهُ : وَلَقَدْ فُرِرْتُ عن ذَكاءٍ : يَعْنِي تَمامَ سِنٍّ ؛ والذَّكاءُ على ضَرْبَيْنِ ؛ أَحَدُهُما : تَمامُ السِّنِّ ، والآخَرُ : حِدَّةُ القَلْبِ ؛ فَمِمَّا جاءَ في تَمامِ السِّنِّ ، قَوْلُ قَيْس بن زُهَيْر العَبْسيِّ[(٢)] : « جَرْيُ المُذَكِّيَاتِ غِلابٌ » . وَقَوْلُ زُهَيْرٍ[(٣)] : [من الوافر]

يُفَضِّلُهُ إِذا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمامُ السِّنِّ مِنْهُ والذَّكاءُ

وَقَوْلُهُ : فَعَجَمَ عِيْدانَها عُوداً عُوداً . أَي مَضَغَها ، لِيَنْظُرَ أَيُّها أَصْلَبُ ؛ يُقالُ : عَجَمْتُ العُودَ : إِذا مَضَغْتُهُ وَعَضَضْتُهُ ؛ والمَصْدَرُ : العَجْمُ ؛ يُقالُ : عَجَمَهُ عَجْماً ، وَيُقالُ لِنَوى كُلِّ شَيْءٍ : عَجَمٌ بِفَتْحِ الجِيمِ ، وَمَنْ سَكَّنَ فقد

---

(١) ديوانه ١٩٨ .

(٢) المثل في : الميداني ١/١٥٨ والعسكري ١/٢٩٩ وفصل المقال ١٢٧ وأَمثال أَبي عبيد ٩١ و ١٠٧ .

(٣) ديوانه ٦٩ .

أَخْطَأَ ؛ قَالَ الأَعْشَى[1] : [من المتقارب]

وَجُـدْعـانُهـا كَلَقِيْـطِ العَجَـمْ

وَقَوْلُهُ : وَطَالَما أَوْضَعْتُم في الفِتْنَةِ ؛ الإِيْضاعُ : ضَرْبٌ من السَّيْرِ .

وَلَهُ أَخبارٌ كَثيرَةٌ تَرَكْناها كَراهِيَةَ التَّطْوِيلِ .

● قَالَ ابنُ خلِّكان[2] : وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفاةُ ، أَحْضَرَ مُنَجِّماً ، وَقَالَ : هل تَرَى فِي عِلْمِكَ أَنَّ مَلِكاً يَمُوتُ ؟ قَالَ : نَعم ، ولَستَ هُوَ . قَالَ : وَكيف ذَلِكَ ؟ قَالَ : لأَنَّ المَلِكَ الَّذِي يَمُوتُ اسْمُهُ كُلَيْبٌ ؛ فَقَالَ الحَجَّاجُ : أَنا هو واللهِ ، بِذَلِكَ الاسْمِ سَمَّتْنِي أُمِّي ، فأَوْصَى عِنْدَ ذَلِكَ .

وَكَانَ يُنْشِدُ في مَرَضِهِ[3] : [من البسيط]

يَا رَبِّ قد حَلَفَ الأَعْدَاءُ واجْتَهَدُوا أَيْمـانَهُـمْ أَنَّنِـي مـن سـاكِنـي النَّـارِ
أَيَحْلِفُـونَ علـى عَمْيـاءَ وَيْحَهُـمُ مـا ظَنُّهُـمْ بِعَظِيـمِ العَفْـوِ غَفَّـارِ

● تُوُفِّي الحَجَّاجُ سنةَ خَمسٍ وتِسعين ، في خِلافَةِ الوليد ، بواسِط ، وَدُفِنَ بِها ، وعُفِّيَ قَبْرُهُ ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ المَاءُ .

وَلَمَّا مَاتَ لَمْ يُعْلَمْ بِمَوْتِهِ ، حتَّى خَرَجَتْ جارِيَةٌ من قَصْرِهِ وَهيَ تَقُولُ[4] :

[من البسيط]

---

(1) ديوانه ٨٧ ، وصدرُهُ : مَقادَكَ بالخَيْلِ أَرْضَ العَدُوّ × .
وفي الدِّيوان : . . . كلفيظ العجم .

(2) وفيات الأعيان ٢/ ٥٠ ـ ٥١ .

(3) نسبهما ابن خلِّكان ٢/ ٥٣ إلى عبيد بن سفيان العكلي . وبلا نسبة في مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٣١ .

(4) الخبر والبيت في مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٣١ وبغية الطلب ٥/ ٢٠٩٢ بلا نسبة وروايته فيهما :
. . . × واليوم يأْمَنُنا مَنْ كَانَ يَخْشانا

اليَـوْمَ يَـرْحَمُنـا مَـنْ كَـانَ يَغْبِطُنـا والـيَـوْمَ نَتْبَـعُ مَـنْ كَـانُـوا لَنـا تَبَعـا

فَعُلِمَ بِمَوْتِهِ .

● وَقَالَ الحافِظُ الذَّهبيُّ وابنُ خلِّكان وغيرُهما[1] : أُحْصِيَ مَنْ قَتَلَهُ الحَجَّاجُ صَبْراً ، سِوَى مَنْ قُتِلَ في حُرُوبِهِ ، فَبَلَغَ مِئَةَ أَلْفٍ وَعشرينَ أَلفاً ، وَكَذَا رَوَاهُ التِّرمذيُّ في « جامعهِ »[2] .

وَمَاتَ[1] في حَبْسِهِ خَمسُونَ أَلف رَجُلٍ ، وثَلاثُونَ أَلفَ امرأَةٍ ، منهنَّ ستَّةَ عَشَرَ أَلفاً مُجَرَّداتٍ .

وَكَانَ يَحْبِسُ الرِّجالَ والنِّسَاءَ في مَوْضِعٍ واحِدٍ .

وَعُرِضَتْ سُجونُهُ بَعْدَهُ ، فَوُجِدَ فِيها ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ أَلفاً لَمْ يجبْ على أَحَدٍ منهم لا قَطْعٌ ولا صَلْبٌ .

● وَقَالَ الحافِظُ ابنُ عَساكر : إِنَّ سُلَيْمانَ بن عبدِ المَلِكِ ، أَخْرَجَ مَنْ كَانَ في سِجْنِ الحَجَّاج من المَظْلُومِينَ ؛ ويُقَالُ : إِنَّهُ أَخْرَجَ في يَومٍ واحِدٍ ثَمانينَ أَلفاً ، ويُقالُ : إِنَّهُ أُخْرِجَ من سُجُونِهِ ثلاثمئة أَلْفٍ .

● وَقَالَ ابنُ خلِّكان : ولَمْ يَكُنْ لِحَبْسِهِ سَقْفٌ يَسْتُرُ النَّاسَ مِنَ الشَّمْسِ في الصَّيْفِ ، ولا مِنَ المَطَرِ في الشِّتَاءِ ، بَلْ كَانَ حَوْشاً مَبْنِيَّاً بِالرُّخامِ ؛ وَكَانَ لَهُ غيرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْواعِ العَذَابِ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ سَأَلَ كاتِبَهُ يَوْماً ، فَقَالَ : كَمْ عِدَّةُ مَنْ قَتَلْنا في التُّهْمَةِ ؟ فَقَالَ : ثَمانُون أَلْفاً .

---

(1) مختصر تاريخ دمشق ٦/٢٢٦ وتاريخ الإسلام ٣٢٣ [وفيات ٨١ ـ ١٠٠] ، وبغية الطلب ٥/ ٢٠٤٤ ـ ٢٠٤٥ ، ولم يرد الخبر في ابن خلِّكان .

(2) كذا وردت هذه العبارة هنا في أ ، ط ! ! .

وَكَانَتْ مُدَّةُ ولايَتِهِ على العِراقِ عشرينَ سَنةً ، وَماتَ ولَهُ ثلاثٌ وخَمْسُونَ سنةً .

● رُوِيَ[1] أَنَّهُ رَكِبَ يَوْمَ جُمْعَةٍ ، فَسَمِعَ ضَجَّةً ، فقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ : المَحبوسُونَ يَضجُّونَ وَيَشْكُونَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الجُوعِ والعَذَابِ ، فالْتَفَتَ إلى ناحِيَتِهم ، وَقَالَ : ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] فَمَا صَلَّى جُمْعَةً بَعْدَها .

وَرَأَيْتُ على حاشِيَةِ « تاريخ ابن خلّكان » بِخَطٍّ بعضِ المَشايخِ : أَنَّ بعضَ العُلماءِ كَفَّرَهُ بِهَذَا الكَلامِ وغَيْرِهِ ، مِمَّا وَقَعَ مِنهُ .

● وَفِي « الكامل » للمُبَرِّدِ[2] : وَمِمَّا كَفَّرَ بِهِ الفُقَهاءُ الحَجَّاجَ ، أَنَّهُ رَأَى النَّاسَ يَطُوفُونَ حَوْلَ حُجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فقَالَ : إنَّما تَطُوفُونَ بأَعْوادٍ وَرِمَّةٍ .

قُلْتُ : وإنَّما كَفَّرُوهُ بهَذَا ، لأَنَّ في هَذَا الكَلامِ تَكْذِيباً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، نَعُوذُ باللهِ مِن اعْتِقَادِ ذَلِكَ ، فإنَّهُ صَحَّ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ[3] : « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ على الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ » . خَرَّجَهُ أَبو داود .

وَذَكَرَ أَبُو جَعْفَر الدَّاوديّ هَذَا الحَدِيثَ ، بِزيادَةِ ذِكْرِ الشُّهَدَاءِ والعُلَماءِ والمُؤذّنين ؛ وَهِيَ زِيادَةٌ غَرِيبَةٌ .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ ، الدَّاوديُّ من أَهْلِ الفِقْهِ والعِلْمِ .

لكن رُوِيَ عن أَميرِ المؤمنين عُمر بن عبد العزيز رحمهُ اللهُ ، أَنَّهُ رَأَى الحَجَّاجَ في المَنامِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَهُوَ جِيْفَةٌ مُنْتِنَةٌ ، فَقَالَ لَهُ : ما فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ وبغية الطَّلب ٥/ ٢٠٦٠ وتاريخ الإسلام ٣٢٥ .

(٢) الكامل ١/ ٢٨٨ .

(٣) أبو داود (١٠٤٧) والنسائيّ (١٣٧٤) وابن ماجه (١٠٨٥) و (١٦٣٦) و (١٦٣٧) ، ومسند أحمد ٤/ ٨ .

قَالَ : قَتَلَنِي بكُلِّ قَتِيلٍ قَتَلْتُهُ قَتْلَةً واحِدَةً ، إلاَّ سَعيدَ بن جُبَيْر فإِنَّهُ قَتَلَنِي بِهِ سَبْعِينَ قتلةً ، فَقَالَ لَهُ : ما أَنْتَ مُنتظرٌ ؟ فقَالَ : ما يَنْتَظِرُهُ المُوَحِّدون .

فَهَذَا مِمَّا يَنْفِي عنهُ الكُفْرَ ، وَيُثْبِتُ أَنَّهُ مَاتَ على التَّوحِيدِ ؛ وعندَ اللهِ عِلْمُ حَالِهِ ، وهو أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ .

● تَنبيهٌ : فإِنْ قِيلَ : ما الحِكْمَةُ في أَنَّ اللهَ تَعالى قَتَلَ الحجَّاجَ بِكُلِّ قَتيلٍ قَتَلَه قَتْلَةً واحِدَةً ، إِلاَّ سعيدَ بن جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى ، وهو قَدْ قَتَلَ عبدَ اللهِ بن الزُّبيرِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، وهوَ صحابيٌّ ، وسَعيدُ بن جُبَيْرٍ تابعيٌّ ، والصَّحابيُّ أَفْضَلُ مِنَ التَّابعيِّ ؟

فَالجَوابُ : أَنَّ الحِكْمَةَ فِي ذَلِكَ ، أَنَّ الحجَّاجَ لَمَّا قَتَلَ عبدَ اللهِ بن الزُّبير رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، كَانَ لَهُ نُظَراءُ في العِلْمِ كَثِيرُونَ ، كابْنِ عُمر وأَنَس بن مالكٍ وغيرهما من الصَّحابَةِ ؛ وَلَمَّا قَتَلَ سَعيد بن جُبَيْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظيرٌ في العِلْمِ في وَقْتِهِ .

وَذَكَرَ غيرُ واحدٍ من المُصَنِّفِين : أَنَّ الحَسَنَ البَصْرِيَّ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ سَعيدِ بن جُبَيْرٍ ، قَالَ : واللهِ لَقَدْ مَاتَ سَعيدُ بن جُبَيْرٍ يَوْمَ مات ، وأَهْلُ الأَرْضِ مِنْ مَشْرِقِها إِلى مَغْرِبِها مُحْتاجُونَ لِعِلْمِهِ ؛ فَمِنْ هَذَا المَعْنَى ضُوعِفَ العَذَابُ على الحجَّاجِ بِقَتْلِهِ ؛ واللهُ أَعلمُ .

وَسَيَأْتِي حَدِيثُ قَتْلِ سَعيد بنُ جُبَيْرٍ في « بابِ اللاَّمِ » في « اللَّبْوَةِ » وَقَتْلُ عبدِ الله بن الزُّبير تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمْزَةِ » في « الإِوَزِّ » .

الأَمْثَال : قَالُوا[1] : « أَغْلَمُ مِنْ تَيْسِ بَنِي حِمَّانَ » ، بِكَسْرِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي حِمَّانَ ، تَزْعُمُ أَنَّ تَيْسَهُمْ سَفَدَ سَبْعِينَ عَنْزاً بَعْدَما فُرِيَتْ أَوْداجُهُ ،

---

(١) حيوان الجاحظ ٥/ ٢١٩ و ٤٧١ و ٥٠٢ وثمار القلوب ١/ ٥٦٤ والميداني ٢/ ٦٦ والعسكري ٢/ ٨٨ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٣٢٥ والمستقصى ١/ ٢٦٢ .

فَفَخَرُوا بِذَلِكَ ، واللهُ أَعلَمُ .

وَيُقالُ للتَّيْسِ : قَفَطَ وَسَفَدَ .

● وَفِي « الأَذكياء » لابنِ الجَوزيّ[1] : أَنَّ مُزَيْنَةَ أَسَرَتْ أَبا حَسَّانَ الأَنْصاريَّ ، وَقَالُوا : لا نَأْخُذُ فِداءَهُ إلاَّ تَيْساً ؛ فَغَضِبَ قَوْمُهُ وَقَالُوا : لا نَفْعَلُ هَذَا ؛ فأَرسلَ إِليهم : أَعْطُوهُمْ ما طَلَبُوا . فلمَّا جاؤوا بالتَّيْسِ ، قَالَ : أَعْطُوهُم أَخاهُم ، وخُذُوا أَخاكُمْ ؛ فَسُمُّوا مُزَيْنَةَ التَّيْسِ ، وَصَارَ لَهُمْ لَقَباً وَعَيْباً .

الخَواصُّ[2] : جَمِيعُ بَدَنِهِ مُنْتِنٌ كالإِبِطِ ؛ وَلِحْيَتُهُ : تُشَدُّ على صاحِبِ حُمَّى الرِّبْعِ وعلى من بِهِ صُداعٌ ، فَيَزُولانِ .

وَطُحالُهُ : يَقْطَعُهُ صاحِبُ الطُّحَالِ بِيَدِهِ وَيُعَلِّقُهُ في بَيْتٍ هُوَ فِيهِ ، فإِذا جَفَّ الطُّحَالُ زَالَ أَلَمُ المَطْحُولِ .

وَرُطُوبَةُ كَبِدِهِ حَالَ شَقِّها ، تُقْطَرُ في الأُذُنِ الوَجِعَةِ ، يَزُولُ وَجَعُها .

وَكَعْبُهُ : إِذَا سُحِقَ وشُرِبَ ، هَيَّجَ البَاهَ .

وبَوْلُهُ : يُغْلَى حتَّى يَغْلُظَ ، وَيُخْلَطَ بِمِثْلِهِ سُكَّراً ، ويُطْلَى بِهِ الجَرَبُ في الحَمَّامِ ، فإِنَّهُ يَذْهَبُ .

وَبَعْرُهُ : إذا وُضِعَ تَحْتَ رَأْسِ صَبِيٍّ يَبْكِي كَثيراً ، يَزُولُ عَنْهُ .

وسيأْتِي لَهُ مَنافِعُ أُخْرَى في خَواصِّ « المَعْزِ » ، واللهُ أَعلمُ .

---

(١) الأَذكياء ١١٨ ومقالات الأُدباء لابن هذيل ٥٨ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٥٠ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٣٤ ـ ٣٥ .

بابُ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ

١٢٠ **الثَّاغِيَةُ** : النَّعْجَةُ ؛ قالُوا[١] : « مَا لَهُ ثَاغِيَةٌ ولا راغِيَةٌ » : أَي لا نَعْجَةٌ ولا ناقَةٌ : أَي مَا لَهُ شَيْءٌ .

وَمِثْلُهُ[٢] : « مَا لَهُ دَقيقَةٌ ولا جَلِيلَةٌ » ؛ فَالدَّقيقَةُ : الشَّاةُ ، والجَلِيلَةُ : النَّاقَةُ .

١٢١ **الثُّرْمُلَةُ** : بالضَّمِّ : أُنْثَى الثَّعالِبِ[٣] ؛ وسيأتِي إِن شَاءَ اللهُ تعالَى ما فِي « الثَّعلبِ » في هَذَا البابِ .

١٢٢ **الثُّعْبَانُ** : الكَبيرُ مِنَ الحَيَّاتِ ، ذَكَراً كَانَ أَوْ أُنْثَى ؛ والجَمْعُ : الثَّعابِينُ .

والثُّعْبَةُ : ضَرْبٌ مِنَ الوَزَغِ[٤] ؛ وسيأتِي إِن شاء الله تعالى في « باب الواو » .

● وَقالَ الجاحِظُ في كِتابِ « الأَمْصَارِ وَتَفاضُلِ البُلْدَانِ »[٥] : والثَّعابِينُ بِمِصْرَ ، وَلَيْسَتْ هِيَ في بَلَدٍ غيرِها ، وإِلَيْها حَوَّلَ اللهُ عَصَا مُوسَى ﷺ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٠٧ ، والشُّعراء : ٣٢] يَعنِي أَنَّهُ حَوَّلَها ثُعْباناً عَظِيماً .

---

(١) المثل في الميداني ٢/ ٢٨٤ والعسكري ٢/ ٢٦٧ والزمخشري ٢/ ٣٣٠ والفاخر ٢١ .

(٢) الميداني والعسكري والفاخر .

(٣) وكذا الثُّرْغُلُ . قال في القاموس ٣/ ٣٥٢ : الثُّرْغُلُ : كَقُنْفُذٍ : أُنثى الثَّعالب .

(٤) في القاموس « ثعب » : الثُّعْبَةُ ـ بالضَّمِّ ، أَوْ كَهُمَزَة ـ وَزَغَةٌ خَبيثَةٌ ، خضراء الرَّأس .

(٥) حيوان الجاحظ ٤/ ١٢٠ ـ ١٢١ وثمار القلوب ٢/ ٦٢٧ .

● وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِخَبَرِ الثُّعْبَانِ[1] : أَنَّ عبدَ اللهِ بن جُدْعان كانَ في ابْتِداءِ أَمْرِهِ صُعْلُوكاً تَرِبَ اليَدَيْنِ ، وَكَانَ مَع ذَلِكَ شِرِّيراً فاتِكاً ، لا يَزَالُ يَجْنِي الجِناياتِ ، فَيَعقلُ عنهُ أَبُوهُ وقَوْمُهُ ، حتَّى أَبْغَضَتْهُ عَشِيرَتُهُ ، وَنَفاهُ أَبُوهُ ، وَحَلَفَ لا يُؤْوِيهِ أَبَداً ، فَخَرَجَ في شِعابِ مَكَّةَ حائِراً بائِراً ، يَتَمَنَّى المَوْتَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، فَرَأَى شِقّاً في جَبَلٍ ، فَظَنَّ أَنَّ فِيهِ حَيَّةً ، فَتعَرَّضَ للشِّقِّ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ما يَقْتُلُهُ فَيَسْتَرِيحَ ، فَلَمْ يَرَ شَيْئاً ، فَدَخَلَ فِيهِ فإِذا فِيهِ ثُعبانٌ عَظِيمٌ ، لَهُ عَيْنانِ يَتَّقِدانِ كالسِّراجَيْنِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الثُّعْبَانُ ، فأَفْرَجَ لَهُ ، فانْسَابَ عنهُ مُسْتَدِيراً بِدارَةٍ عِنْدَ بَيْتٍ ، ثُمَّ خَطا خُطْوَةً أُخْرَى ، فَصَفَرَ بِهِ الثُّعْبَانُ ، فأَقْبَلَ إِلَيْهِ كالسَّهْمِ ، فأَفْرَجَ لَهُ فانْسَابَ عنهُ ، فَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ يُفَكِّرُ في أَمْرِهِ ، فَوَقَعَ في نَفْسِهِ أَنَّهُ مَصنوعٌ ، فأَمْسَكَهُ بِيَدَيْهِ ، فإِذا هُوَ مَصْنُوعٌ من ذَهَبٍ ، وَعَيْناهُ ياقُوتتانِ ؛ فَكَسَرَهُ وَأَخذَ عَيْنَيْهِ ، وَدَخَلَ البَيْتَ ، فإِذا جُثَثٌ طِوالٌ على سُرُرٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُم طُولاً وعِظَماً ، وَعِنْدَ رُؤُوسِهِم لَوْحٌ من فِضَّةٍ فِيهِ تارِيخُهُم ، وإِذا هُمْ رِجالٌ من مُلُوكِ جُرْهُم ، وآخِرُهُم مَوْتاً الحارِثُ بن مُضاضٍ صاحِبُ العَذَبَةِ الطَّويلَةِ ، وإِذا عَلَيْهِم ثِيابٌ من وَشْيٍ ، لا يُمَسُّ مِنْها شَيْءٌ إِلاَّ انْتَثَرَ كالهَباءِ مِنْ طُولِ الزَّمانِ ، مَكْتُوبٌ في اللَّوْحِ عِظَاتٌ .

قَالَ ابنُ هِشامٍ : كَانَ اللَّوْحُ من رُخامٍ ، وَكَانَ فِيهِ : أَنا نُفَيْلَةُ بن عبدِ المَدان ابن خَشْرَمَ بن عبدِ يالَيْل بن جُرْهُم بن قَحْطَان ابن نَبِيِّ اللهِ هُود عَلَيْهِ السَّلامُ ، عِشْتُ من العُمْرِ خَمسمئة عامٍ ، وَقَطَعْتُ غَوْرَ الأَرْضِ ظاهِرَها وباطِنَها في طَلَبِ الثَّرْوَةِ والمَجْدِ والمُلْكِ ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يُنَجِّينِي مِنَ المَوْتِ ؛ وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ[2] : [من الخفيف]

---

(1) البداية والنهاية ٣/ ٢٦٥ والمنمّق ١٤٩ والتيجان ٢٠٩ ـ ٢٠٠ والمستطرف ٢/ ٤٦١ ونشوة الطرب ١/ ٣٥٤ والروض الأنف ٢/ ٥٠ ـ ٥٣ مصدر المؤلف .

(2) الأَبيات في التِّيجان ٢١٠ بخبرٍ مختلفٍ .

قَدْ قَطَعْتُ البِلادَ في طَلَبِ الثَّرْ وَةِ والمَجْدِ قالِصَ الأَثْوابِ[1]
وَسَرَيْتُ البِلادَ قَفْراً لِقَفْرٍ بِقَناةٍ وَقُوَّةٍ وَاكْتِسَابِ
فَأَصابَ الرَّدَى ثَباتَ فُؤادِي بِسِهامٍ مِنَ المَنايا صِيابِ[2]
فانْقَضَتْ مُدَّتِي وأَقْصَرَ جَهْلِي وَاسْتَرَاحَتْ عَواذِلِي من عِتابي[3]
وَدَفَعْتُ السَّفاهَ بالحِلْمِ لَمَّا نَزَلَ الشَّيْبُ في مَحَلِّ الشَّبابِ
صاحِ هَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِراعٍ رَدَّ في الضَّرْعِ مَا قَرَى في الحِلابِ

وإذا في وَسَطِ البَيْتِ كومٌ عظيمٌ مِنَ الياقُوتِ واللُّؤْلُؤِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ والزَّبَرْجَدِ ، فأَخَذَ منهُ مَا أَخَذَ ، ثمَّ عَلَّمَ على الشِّقِّ بعَلامَةٍ ، وَأَغْلَقَ بابَهُ بالحِجَارَةِ ، وَأَرْسَلَ إلى أَبيهِ بالمالِ الذي خَرَجَ بهِ مِنْهُ يَسْتَرْضِيه وَيَسْتَعْطِفُهُ ، وَوَصَلَ عَشيرَتَهُ كُلَّهُمْ فَسادَهُم ، وَجَعَلَ يُنْفِقُ من ذَلِكَ الكَنْزِ ، وَيُطْعِمُ النَّاسَ ، وَيَفْعَلُ المَعْرُوفَ ؛ وكانَتْ جَفْنَتُهُ يَأْكُلُ مِنْها الرَّاكِبُ على البَعيرِ ؛ وَسَقَطَ فِيها صَبِيٌّ ، فَغَرِقَ وَمَاتَ .

● وفي « غَريبِ الحديثِ » لابْنِ قُتَيْبَةَ[4] : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : « كُنْتُ أَسْتَظِلُّ بِظِلِّ جَفْنَةِ عبدِ اللهِ بن جُدْعان صَكَّةَ عُمَيٍّ » يَعْنِي في الهاجِرَةِ .

وَسُمِّيَتِ الهاجِرَةُ صَكَّةَ عُمَيٍّ لخبرٍ ذَكَرَهُ أَبُو حَنيفةَ في « الأَنْواءِ »[5] : وهو أَنَّ عُمَيّاً رَجلٌ من عَدْوان ، وَقيلَ : من إيادٍ ، وَكَانَ فَقيهَ العَرَبِ في الجاهِلِيَّةِ ، فَقَدِمَ في قَوْمِهِ مُعْتَمِراً أَو حاجّاً ، فلمَّا كَانَ على مَرْحَلَتَين مِن مَكَّةَ ، قَالَ لِقَوْمِهِ

---

(١) في ب : . . . في طلب المجد والثَّروة . .
(٢) في ط : . . . بنات فؤادي × .
(٣) في أ : . . . وأَقصر حبلي × .
(٤) غريب الحديث ١/ ٤٥٥ والنهاية ٣/ ٤٣ .
(٥) وهو كذلك في الميداني ٢/ ١٨٢ والعسكري ١/ ٣١٨ والزمخشري ٢/ ٢٨٧ وأَمثال أَبي عبيد ٣٧٨ وفصل المقال ٥٠٨ والنهاية ٣/ ٤٣ والروض الأُنف ٢/ ٤٩ .

وَهُمْ في وَسَطِ الظَّهيرَةِ : مَنْ أَتَى مَكَّةَ غداً في مِثْلِ هَذَا الوَقْتِ ، كَانَ لَهُ أَجْرُ عُمْرَتَيْنِ ؛ فَصَكُّوا الإبِلَ صَكَّةً شَديدَةً ، حتَّى أَتَوْا مَكَّةَ مِنَ الغَدَاة .

وَعُمَيٌّ : تَصغيرُ أَعْمى ، على التَّرخيمِ ؛ فَسُمِّيَتِ الظَّهيرَةُ : صَكَّةَ عُمَيٍّ .

وعبدُ اللهِ بن جُدْعانَ تَيْميٌّ ، يُكْنَى أَبَا زُهيرٍ ، وهو ابْنُ عَمِّ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها(١) ؛ وَلِذَلِكَ قَالَت(٢) : يا رَسُولَ اللهِ ؛ إِنَّ ابْنَ جُدْعانَ كَانَ يُطْعِمُ الطَّعامَ ، ويَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيَفْعَلُ المَعْرُوفَ ؛ فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ يَوْمَ القِيامَةِ ؟ قَالَ ﷺ : « لا ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً : رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ » . كَذَا قَالَهُ السُّهَيْلِيُّ في « الرَّوْضِ الأُنُفِ » .

● وَفِي كِتابِ « رِيِّ العاطِشِ وأُنْسِ الواحِشِ » لأَحمد بن عمَّار : أَنَّ ابْنَ جُدْعان مِمَّنْ حَرَّمَ الخَمْرَ في الجاهِلِيَّةِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ بها مُغْرىً ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ سَكِرَ لَيْلَةً ، فَصَارَ يَمُدُّ يَدَيْهِ وَيَقْبِضُ على ضَوْءِ القَمَرِ لِيَأْخُذَهُ ، فَضَحِكَ منهُ جُلساؤُهُ ؛ فأُخْبِرَ بذَلِكَ حِينَ صَحا ، فَحَلَفَ أَنْ لا يَشْرَبَها أَبَداً ، فلمَّا كَبِرَ وَهَرِمَ أَرادَ بَنُو تَيْمٍ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنْ تَبْذِيرِ مالِهِ ، ولامُوهُ في العَطاءِ ، فَكَانَ يَدْعُو الرَّجُلَ فإذا دَنا منهُ لَطَمَهُ لَطْمَةً خَفيفةً ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : قُمْ فانْشُدْ لَطْمَتَكَ ، واطْلُبْ دِيَتَها ؛ فإذا فَعَلَ ذَلِكَ ، أَعْطَتْهُ بَنُو تَيْمٍ من مالِ ابْنِ جُدْعان .

● وَلَقَدْ أَجادَ أَبُو الفَتْحِ عليّ بن محمَّد البُسْتِيّ ، صاحِبُ النَّظْمِ والنَّثْرِ في هَذِهِ القَصيدَةِ ، وَهِيَ قَصيدَةٌ طَويلَةٌ طَنَّانَةٌ ، تَشْتَمِلُ على مَواعِظَ وحِكَمٍ ، فَلْنَأْتِ بِها بِتَمامِها ، وَبِما ذَيَّلَ عَلَيْها أَهْلُ الفَضْلِ .

---

(١) قال الإمام ابن كثير ٣/ ٢٦٥ : هو ابن عمِّ والد أَبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عنه .

(٢) أَخرجه مسلم (٢١٤) وابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٥٤ و ٢٦٧ وهو في المنمَّق ١٧٤ ونشوة الطَّرب ١/ ٣٥٤ والروض الأُنف ٢/ ٤٩ .

وَيُقالُ[1] : إِنَّها لأَمِيرِ المؤمنين الرَّاضي باللهِ ؛ وهي هَذِهِ[2] : [من البسيط]

زِيـادَةُ المَـرْءِ فـي دُنْيـاهُ نُقْصَـانُ ... وَرِبْحُـهُ غَيْـرَ مَحْضِ الخَيْـرِ خُسْـرانُ

وَكُـلُّ وِجْـدَانِ حَـظٍّ لا ثَبـاتَ لَـهُ ... فـإِنَّ مَعْنـاهُ فـي التَّحْقِيـقِ فِقْـدَانُ

يـا عـامِراً لِخَـرابِ الـدَّهْـرِ مُجْتَهِـداً ... بـاللهِ هَـلْ لِخَـرَابِ العُمْـرِ عِمْـرَانُ[3]

وَيَا حَرِيصاً على الأَمْوالِ يَجْمَعُها ... أُنْسِيْـتَ أَنَّ سُـرُورَ المَـالِ أَحْـزانُ

دَعِ الفُـؤَادَ عَـنِ الـدُّنْيـا وَزُخْـرُفِهـا ... فَصَفْوُها كَدَرٌ وَالوَصْلُ هِجْرَانُ[4]

وَأَوْعِ سَمْعَـكَ أَمْثـالاً أُفَصِّلُهـا ... كَمَـا يُفَصَّـلُ يـاقُـوتٌ وَمَـرْجَـانُ

أَحْسِنْ إِلى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ... فَطـالَمـا اسْتَعْبَـدَ الإِنْسـانَ إِحْسَـانُ

وَكُنْ على الدَّهْرِ مِعْواناً لِذِي أَمَلٍ ... يَـرْجُـو نَـداكَ فَـإِنَّ الحُـرَّ مِعْـوانُ

مَنْ جَادَ بالمَالِ مَالَ النَّاسُ قاطِبَةً ... إِلَيْـهِ وَالمَـالُ لـلإِنْسَـانِ فَتَّـانُ

مَـن كَـانَ لِلْخَيْـرِ مَنَّـاعـاً فَلَيْـسَ لَـهُ ... عِنْـدَ الحَقِيْقَـةِ إِخْـوانٌ وأَخْـدَانُ[5]

لا تَخْـدِشَـن بِمَطْـلٍ وَجْـهَ عـارِفَـةٍ ... فَـالبِـرُّ يَخْـدِشُـهُ مَطْـلٌ وَلَيَّـانُ[6]

يا خادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ ... أَتَطْلُـبُ الـرِّبْـحَ مِمَّـا فِيـهِ خُسْـرانُ

أَقْبِلْ على النَّفْسِ فاسْتَكْمِلْ فَضائِلَها ... فَـأَنْـتَ بـالنَّفْـسِ لا بـالجِسْـمِ إِنْسَـانُ

مَـنْ يَتَّـقِ اللهَ يُحْمَـدْ فـي عَـواقِبِـهِ ... وَيَكْفِـهِ شَـرَّ مَـنْ عَـزُّوا وَمَـنْ هـانُـوا

حَسْـبُ الفَتـى عَقْلُـهُ خِـلاً يُعـاشِـرُهُ ... إِذا تَحـامَـاهُ إِخْـوانٌ وخِـلاَّنُ

---

(١) لم ينسب أَحد ـ فيما علمت ـ هذه القصيدة إِلى غير البستي ، ولم أَقف على هذا القول عند غير المؤلِّف ! ! .

(٢) ديوان البُسْتيّ ١٨٦ ـ ١٩٢ .

(٣) في أ : . . . لخراب الدَّار . . . × .

(٤) في الدِّيوان : زَعِ الفؤاد . . . × .

(٥) في أ : × على الحقيقة . . .

(٦) في أ : × . . . وإِمنانُ .

لا تَسْتَشِـرْ غَيْـرَ نَـدْبٍ حـازِمٍ فَطِـنٍ ... قَـدِ اسْتَـوَتْ مِنْـهُ إِسْـرارٌ وإِعْـلانُ
فَلِلتَّـدابيـرِ فُـرْسَـانٌ إذا رَكَضُـوا ... فِيهـا أَبَـرُّوا كَمَـا لِلْحَـرْبِ فُـرْسَـانُ
وَلِـلأُمُـورِ مَـواقِيـتٌ مُقَـدَّرَةٌ ... وَكُـلُّ أَمْـرٍ لَـهُ حَـدٌّ وَمِيْـزَانُ
مَن رافَقَ الرِّفْقَ في كُلِّ الأُمُورِ فَلَمْ ... يَنْـدَمْ عَلَيْـهِ وَلَـمْ يَـذْمُمْـهُ إِنْسَـانُ[1]
وَلا تَكُـنْ عَجِـلاً فـي الأَمْـرِ تَطْلُبُـهُ ... فَلَيْـسَ يُحْمَـدُ قَبْـلَ النُّضْـجِ بُحْـرانُ
وَذُو القَنـاعَـةِ راضٍ فـي مَعِيْشَتِـهِ ... وَصاحِبُ الحِرْصِ إِنْ أَثْرَى فَغَضْبَانُ
كَفَى مِنَ العَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ رَمَقٍ ... فَفِيـهِ لِلْحُـرِّ إِنْ حَقَّقْـتَ غُنْيَـانُ
هُمـا رَضِيعـا لَبـانٍ حِكْمَـةً وتُقـىً ... وسـاكِنـا وَطَـنٍ مـالٌ وَطُغْيَـانُ
مَنْ مَدَّ طَرْفاً بِفَرْطِ الجَهْلِ نَحْوَ هَوىً ... أَغْضَى عَنِ الحَقِّ يَوْماً وَهْوَ خَزْيَانُ
مَنِ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ ... عـلى حَقيقَـةِ طَبْـعِ الـدَّهْـرِ بُـرْهَـانُ
مَنْ عاشَرَ النَّاسَ لاقَى مِنْهُمُ نَصَباً ... لأَنَّ طَبْعَهُـمُ بَغْـيٌ وَعُـدْوانُ
وَمَنْ يُفَتِّشْ على الإِخْوانِ مُجْتَهِداً ... فَجُلُّ إِخْوانِ هَذَا الدَّهْرِ خَوَّانُ[2]
مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ في عَواقِبِهِ ... نَـدَامَـةً وَلِحَصْـدِ الـزَّرْعِ إِبَّـانُ
مَـنِ اسْتَنَـامَ إِلـى الأَشْـرَارِ نَـامَ وَفِـي ... قَمِيصِـهِ مِنْهُـمُ صِـلٌّ وَثُعْبَـانُ
مَن سَالَمَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوائِلِهِمْ ... وَعَـاشَ وَهْـوَ قَـرِيـرُ العَيْـنِ جَـذْلانُ
مَـنْ كَـانَ لِلْعَقْلِ سُلْطانٌ عَلَيْه غَـدَا ... وَمَـا عَلَـى نَفْسِـهِ لِلْحِـرْصِ سُلْطانُ
وَإِنْ أَسـاءَ مُسـيءٌ فَلْيَكُـنْ لَـكَ فِـي ... عُـروضِ زَلَّتِـهِ صَفْـحٌ وَغُفْـرَانُ
إِذا نَبَـا بِكَـرِيـمٍ مَـوْطِـنٌ فَلَـهُ ... وَراءَهُ فِـي بَسِيـطِ الأَرْضِ أَوْطَـانُ
لا تَحْسَبَـنَّ سُـرُوراً دائِمـاً أَبَـداً ... مَـنْ سَـرَّهُ زَمَـنٌ سـاءَتْـهُ أَزْمـانُ
يـا ظـالِمـاً فَـرِحـاً بِـالعِـزِّ سـاعَـدَهُ ... إِنْ كُنْـتَ فـي سِنَـةٍ فَـالـدَّهْـرُ يَقْظَـانُ

---

(١) روايته في أ والدِّيوان :

ورافَـقَ الـرِّفْـقَ فـي كـلِّ الأُمُـورِ فَلَـمْ ... ينـدمْ رفيـقٌ ، ولـم يـذمُمْـهُ إنسـانُ

(٢) في أ : . . . عن الإخوان . . × .

يـا أَيُّهـا العـالِـمُ المَـرْضِـيُّ سِيْـرَتُـهُ أَبْشِـرْ فـأَنْـتَ بِغَيْـرِ المَـاءِ رَيَّـانُ
وَيَا أَخَا الجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ في لُجَجٍ فَـأَنْـتَ مَـا بَيْنَهـا لا شَـكَّ ظَمْـآنُ
دَعِ التَّكـاسُـلَ فـي الخَيْـرَاتِ تَطْلُبُهـا فَلَيْـسَ يَسْعَـدُ بـالخَيْـراتِ كَسْلانُ[1]
صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ لا تَهْتِكْ غُلالَتَهُ فَكُـلُّ حُـرٍّ لِحُـرِّ الـوَجْـهِ صَـوَّانُ[2]
لا تَحْسَبِ النَّاسَ طبعاً واحِداً فَلَهُمْ غَـرائِـزُ لَسْـتَ تُحْصِيها وَأَلْـوانُ[3]
مَـا كُـلُّ مَـاءٍ كَصَـدَّاءٍ لِـوارِدِهِ نَعَـمْ ولا كُـلُّ نَبْـتٍ فَهْـوَ سَعْـدَانُ
مَـنِ اسْتَعـانَ بِغَيْـرِ اللهِ فـي طَلَـبٍ فَـإِنَّ نـاصِـرَهُ عَجْـزٌ وَخِـذْلانُ
واشْـدُدْ يَـدَيْـكَ بِحَبْـلِ اللهِ مُعْتَصِمـاً فـإِنَّـهُ الـرُّكْـنُ إِنْ خـانَتْـكَ أَرْكـانُ
لا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يُغْنِي عن تُقىً وَرِضا وإِنْ أَظَلَّتْـهُ أَوْراقٌ وَأَفْنـانُ
سَحْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ باقِلٌ حَصِرٌ وَبـاقِـلٌ فـي ثَـراءِ المـالِ سَحْبَـانُ
وَالنَّـاسُ إِخْـوانُ مَـنْ وَالَتْـهُ دَوْلَتُـهُ وَهُـمْ عَلَيْـهِ إِذا عـادَتْـهُ أَعْـوانُ
يا رافِلاً في الشَّبابِ الرَّحْبِ مُنْتَشِياً مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصابَ الرُّشْدَ نَشْوانُ
لا تَغْتَـرِرْ بِشَبـابٍ نـاعِـمٍ خضِـلٍ فَكَـمْ تَقَـدَّمَ قَبْـلَ الشَّيْـبِ شُبَّـانُ[4]
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ ناصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُـنْ لِمِثْلِـكَ فـي الإِسْرافِ إِمْعـانُ
هَـبِ الشَّبِيبَـةَ تُبْدِي عُـذْرَ صاحِبِها مَـا بَـالُ شَيْبِـكَ يَسْتَهْـوِيـهِ شَيْطـانُ
كُـلُّ الـذُّنُـوبِ فـإِنَّ اللهَ يَغْفِـرُهـا إِنْ شَيَّـعَ المَـرْءَ إِخْـلاصٌ وإِيْمـانُ
وَكُـلُّ كَسْـرٍ فـإِنَّ اللهَ يَجْبُـرُهُ وَمَـا لِكَسْـرِ قَنـاةِ الـدِّيْـنِ جُبْـرانُ
أَحْسِـنْ إِذا كَـانَ إِمْكـانٌ وَمَقْـدِرَةٌ فَـلا يَـدُومُ علـى الإِنْسَـانِ إِمْكـانُ
فَـالـرَّوْضُ يَـزْدانُ بـالأَنْـوارِ فـاغِمَـةً والحُـرُّ بِـالعَـدْلِ والإِحْسَـانِ يَـزْدَانُ

---

(١) في أ : × . . . في الخيراتِ . . .
(٢) في أ : . . . غوائله × .
(٣) في أ : × . . . لسنَ يحصيهنَّ ألوانُ .
(٤) في أ : . . . بشباب فاحمٍ . . . × .

خُـذْهـا سَـرائِـرَ أَمْثـالٍ مُهَـذَّبَـةٍ فِيهـا لِمَـنْ يَبْتَغِـي التِّبْيـانَ تِبْيـانُ
مَـا ضَـرَّ حَسَّـانَهـا والطَّبْـعُ صـائِغُهـا إنْ لَمْ يَصُغْها قَرِيعُ الشِّعْرِ حَسَّانُ[1]

وَمِنْ هُنا ذَيَّلَ مَنْ ذَيَّلَ عَلَيْها ، فَقَالَ :

وَكُـنْ لِسُنَّـةِ خَيْـرِ الخَلْـقِ مُتَّبِعـاً فَـإنَّهـا لِنَجـاةِ العَبْـدِ عُنْـوانُ
فَهـوَ الـذي شَمَلَـتْ لِلْخَلْـقِ أَنْعُمَـهُ وَعَمَّهُـمْ مِنْـهُ فـي الـدَّارَيْنِ إِحْسَـانُ
جَبِينُـهُ قَمَـرٌ قَـدْ زانَـهُ خَفَـرٌ وَثَغْـرُهُ دُرَرٌ غُـرٌّ وَمُـرْجـانُ
والبَـدْرُ يَخْجَـلُ مِـنْ أَنْـوارِ طَلْعَتِـهِ والشَّمْسُ مِنْ حُسْنِهِ الوَضَّاحِ تَزْدانُ
بِـهِ تَـوَسُّلُنـا فـي مَحْـوِ زَلَّتِنـا لِـرَبِّنـا إِنَّـهُ ذُو الجُـودِ مَنَّـانُ
وَمُذْ أَتَى أَبْصَرَتْ عُمْيُ القُلُوبِ بِهِ سُبُلَ الهُـدَى وَوَعَـتْ لِلْحَـقِّ آذَانُ
يـا رَبِّ صَـلِّ عَلَيْـهِ مَـا هَمى مَطَرٌ فَـأَيْنَعَـتْ مِنْـهُ أَوْراقٌ وَأَغْصَـانُ
وَابْعَـثْ إِليـهِ سَـلامـاً زاكِيـاً عَطِـراً والآلِ وَالصَّحْـبِ لا تُفْنِيـهِ أَزْمـانُ

● **وَمِنْ نَثْرِهِ** ـ يَعْنِي أَبا الفَتْحِ البُسْتِيّ[2] ـ : مَنْ أَصْلَحَ فاسِدَهُ أَرْغَمَ حاسِدَهُ . وَمَنْ أَطاعَ غَضَبَهُ ، أَضَاعَ أَدَبَهُ . عـاداتُ السَّاداتِ ، ساداتُ العاداتِ . مِن سَعادَةِ جَدِّكَ ، وُقُوفُكَ عِنْدَ حَدِّكَ . الرِّشْوَةُ رِشاءُ الحاجاتِ . أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كانَ للإِخْوانِ مُذِلاً ، وعلى السُّلْطَانِ مُدِلاً . الفَهْمُ شُعاعُ العَقْلِ . المَنِيَّةُ تَضْحَكُ من الأُمْنِيَّةِ . حَدُّ العَفافِ ، الرِّضا بِالكَفافِ .

تُوفِّيَ البُسْتِيُّ رحمهُ اللهُ سنةَ أَربعمئة[3] .

١٢٣ ثُعالَةُ : كَنُخالَةِ وَزِبالَةِ وَفَضالَةِ ، ثَلاثَةُ إِخْوَةٍ يُشْبِهُ بَعْضُهم بَعْضاً : اسْمٌ للثَّعْلَبِ ، وهو مَعْرِفَةٌ ؛ وأَرْضٌ مَثْعَلَةٌ بِالفَتْحِ : أَي كَثِيرَةُ الثَّعالِبِ ، كَمَا

---

(١) في أ : ما ضرَّ حاسبها . . . × .
(٢) يتيمة الدَّهر ٤/ ٣٠٥ وسحر البلاغة ١٩٩ ولطائف اللُّطف ٧١ والإِعجاز والإِيجاز ١٤٨ .
(٣) ترجمته في : يتيمة الدَّهر ٤/ ٣٠٢ ووفيات الأَعيان ٣/ ٣٧٦ والأَنساب ٢/ ٢١٠ .

قَالُوا : مَعْقَرَةٌ ، لِلأَرْضِ الكَثِيرَةِ العَقَارِبِ[١] .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[٢] : « أَرْوَغُ مِنْ ثُعالَةٍ » ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[٣] : [من مجزوء الكامل]

فَاحْتَلْتُ حِيْنَ صَرَمْتَنِي ... وَالمَرْءُ يَعْجَزُ لا مَحَالَهُ

وَالدَّهْرُ يَلْعَبُ بِالفَتَى ... وَالدَّهْرُ أَرْوَغُ مِن ثُعالَهْ

وَالمَرْءُ يَكْسِبُ مالَهُ ... والشُّحُّ يُورِثُهُ الفَسَالَهْ

وَالعَبْدُ يُقْرَعُ بِالعَصَا ... والحُرُّ تَكْفِيهِ المَقَالَهْ

وَقَالُوا[٤] : « أَعْطَشُ من ثُعالَة » . واختلَفُوا في تَفْسِيرِهِ ، فَزَعَمَ محمَّد بنِ حَبيب أَنَّهُ الثَّعْلَبُ ، وَخَالَفَهُ ابْنُ الأعرابيِّ ، فَزَعَمَ أَنَّ ثُعالَةَ رَجُلٌ من بَنِي مُجاشِعٍ ، شَرِبَ بَوْلَ رَفيقٍ[٥] لَهُ في مَفازَةٍ ، فَمَاتَ عَطَشاً .

١٢٤ الثُّعْبَةُ : ضَرْبٌ من الوَزَغ ؛ قَالَهُ الجوهريُّ[٦] .

١٢٥ الثَّعْلَبُ : مَعروفٌ ، والأُنْثَى ثَعْلَبَةٌ ، والجَمْعُ : ثَعالِبُ وأَثْعُلٌ .

● رَوَى ابْنُ قانِعٍ في « معجَمِه » عن وابِصَةَ بن مَعْبَدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ : « شَرُّ السِّباعِ هَذِهِ الأَثْعُلُ » يَعْنِي الثَّعالِبَ .

---

(١) الصِّحاح « ثعل » ٤/ ١٦٤٦ .

(٢) الميداني ١/ ٣١٧ والعسكري ١/ ٤٧٣ و ٥٠٠ والزمخشري ١/ ١٤٥ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٠٩ .

(٣) الأَبيات لأَبي دواد الإيادي في الأَغاني ١٦/ ٣٧٥ واللِّسان « حول » ٢/ ١٠٥٥ وديوانه ٣٣٢ . وهي لأَبي الأَسود الدُّؤلي في فصل المقال ٢٩٩ وديوانه ١٤٨ و ٢٨٩ . وبلا نسبة في جمهرة العسكري ٢/ ٢٧٥ .

(٤) الميداني ٢/ ٤٩ والعسكري ٢/ ٧٠ والزمخشري ١/ ٢٤٨ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٩٧ .

(٥) واسمه في مصادر المثل : نجيح بن عبد الله بن مجاشع .

(٦) الصحاح « ثعب » ١/ ٩٢ . وفي القاموس « ثعب » : الثُّعْبَةُ ـ بالضَّمِّ ، أَو كَهُمَزَة : وَزَغَةٌ خبيثةٌ ، خضراء الرَّأْس . وزاد الزَّبيدي في التَّاج ٢/ ٨٧ : والحَلْقِ ، جاحظة العينين ، لا تلقاها أَبداً إِلاَّ فاتحةً فاها ، وهي من شرِّ الدَّوابِّ ، تلدغ فلا يكاد يبرأُ سليمُها .

وَكُنْيَةُ الثَّعْلَبِ : أَبُو الحُصَيْنِ ، وَأَبُو النَّجْمِ ، وَأَبُو نَوْفَلَ ، وَأَبُو الوَثَّابِ ، وَأَبُو الحِنْبِص[1] ؛ والأُنْثَى أُمّ عَويل ؛ والذَّكَرُ ثُعْلُبانٌ ؛ وأَنْشَدَ الكِسائِيُّ عَلَيْهِ[2] : [من الطَّويل]

أَرَبٌّ يَبُــولُ الثُّعْلُبَــانُ بِــرَأْسِــهِ لَقَـدْ ذَلَّ مَـنْ بَـالَـتْ عَلَيْـهِ الثَّعـالِـبُ

هَكَذَا أَنْشَدَهُ جَماعَةٌ ، وهوَ وَهْمٌ[3] ؛ فَقَدْ رَوَاهُ أَبو حاتِمٍ الرَّازي : الثَّعْلَبانُ بِالفَتْحِ ، على أَنَّهُ تَثْنِيَةُ ثَعْلَبٍ .

● وَذَكَرَ أَنَّ بَنِي ثَعْلَبٍ[4] كَانَ لَهُمْ صَنَمٌ يَعْبدُونَهُ ، فَبَيْنَما هُمْ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَقْبَلَ ثَعْلَبانِ يَشْتَدَّانِ ، فَرَفَعَ كُلٌّ مِنْهُما رِجْلَهُ وَبَالَ على الصَّنَمِ ، وَكَانَ لِلْصَّنَمِ سادِنٌ يُقَالُ لَهُ : غاوِي بن ظالِمٍ ، فَقَالَ البَيْتَ المُتَقَدِّمَ ، ثمَّ كَسَرَ الصَّنَمَ ، وأَتَى النَّبيّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « ما اسْمُكَ ؟ قَالَ : غاوي بن ظالِم . قَال : لا ، بَلْ أَنتَ راشِدُ بن عَبْدِ رَبِّهِ »[5] .

● وَفِي « نِهايَةِ الغَرِيبِ »[6] : أَنَّهُ كَانَ لِرَجُلٍ صَنَمٌ ، وَكَانَ يَأْتِي بِالخُبْزِ والزُّبْدِ فَيَضَعه عِنْدَ رَأْسِه ، وَيَقُولُ لَهُ : اطْعَمْ ؛ فَجَاءَ ثُعْلُبانٌ فأَكَلَ الخُبْزَ والزُّبْدَ ، ثُمَّ عَصَلَ على رَأْسِ الصَّنَمِ : أَي بَالَ . والثُّعْلُبانُ : ذَكَرُ الثَّعالِبِ .

وَفِـي كِتـابِ الهَـرَوِيِّ[4] : فَجَـاءَ ثَعْلَبَـانِ فَـأَكَـلا الخُبْـزَ والـزُّبْـدَ ، أَرادَ

---

(١) في ط : أَبو الخبصَ . صوابه المثبت أَعلاه عن المرصّع . وفي أ : أَبو الحفص . صوابه : أَبو حفص . (المرصَّع) .

(٢) البيت لغاوي بن ظالم السُّلمي ، وقيل : لأَبي ذرٍّ الغفاريّ ، وقيل : للعبَّاسِ بن مرداس السُّلمي . (اللِّسان والتَّاج « ثعلب ») . وانظر ديوان العبَّاس ١٦٧ .

(٣) ليس وَهْماً ، بل هو الصَّوابُ إِن شاء الله ؛ وانظر قول صاحب التَّاج « ثعلب » .

(٤) كذا في الأُصول ، وصوابه : أَنَّ بني سُليم .

(٥) ترجمته في الإِصابة ٢/ ٣٦١ (رقم ٢٥٢٣) .

(٦) النِّهاية لابن الأَثير ٣/ ٢٤٨ .

تَثْنِيَةَ ثَعْلَبٍ .

● قَالَ الحافِظُ ابنُ ناصِرٍ : أَخْطَأَ الهَرَوِيُّ في تَفْسِيرِهِ ، وَصَحَّفَ في رِوايَتِهِ ؛ وإِنَّما الحَدِيثُ : فَجَاءَ ثُعْلُبانٌ ، وهوَ الذَّكَرُ مِنَ الثَّعالِبِ ، اسْمٌ لَهُ مَعْرُوفٌ لا مُثَنَّى ، فأَكَلَ الخُبْزَ والزُّبْدَ ، ثمَّ عَصَلَ ـ بالعَيْنِ والصَّادِ ـ على رَأْسِ الصَّنَمِ ، فقَامَ الرَّجُلُ ، فَضَرَبَ الصَّنَمَ فكَسَرَهُ ، ثُمَّ جَاءَ إِلى النَّبيِّ ﷺ ، فأَخْبَرَهُ بذَلِكَ ، وَقَالَ فِيهِ شِعْراً ، وهو : [من الطَّويل]

لَقَــدْ خَــابَ قَــوْمٌ أَمَّلُــوكَ لِشِــدَّةٍ ... أَرادُوا نِــزالاً أَنْ تَكُــونَ تُحــارِبُ
فَلا أَنْتَ تُغْنِي عَنْ أُمُورٍ تَواتَرَتْ ... ولا أَنْــتَ دَفَّــاعٌ إِذا حَــلَّ نــائِــبُ
أَرَبٌّ يَبُــولُ الثُّعْلبــانُ بِــرَأْسِــهِ ... لَقَــدْ ذَلَّ مَــن بَـالَـتْ عَلَيْـهِ الثَّعـالِـبُ

وَالحديثُ مَذْكُورٌ في « معجم البَغَوِيِّ » و« ابن شاهين » وغيرِهما .

وَالرَّجُلُ المَذكورُ راشِدُ بن عبد رَبِّه ، وَحَديثُهُ مَشْرُوحٌ في كِتابِ « دَلائِلِ النُّبُوَّةِ » لأَبي نُعَيْمٍ الأَصْفَهانِيِّ[1] .

وَأَهْلُ اللُّغَةِ يَسْتَشْهِدُونَ بهَذَا البَيْتِ في أَسْمَاءِ الحَيوانِ ، والفَرْقِ في ذَلِكَ بَيْنَ الذَّكَرِ والأُنْثَى ، كَمَا قَالُوا : الأُفْعُوانُ ، ذَكَرُ الأَفاعِي ، والعُقْرُبانُ ذَكَرُ العَقَارِبِ .

● والثَّعْلَبُ[2] : سَبُعٌ جَبانٌ مُسْتَضْعَفٌ ، ذُو مَكْرٍ وَخَديعَةٍ ، لَكِنَّهُ لِفَرْطِ الخُبْثِ والخَدِيعَةِ يَجْرِي مع كِبارِ السِّباعِ .

وَمِنْ[3] حِيْلَتِهِ في طَلَبِ الرِّزْقِ : أَنَّهُ يَتَماوَتُ ، وَيَنْفُخُ بَطْنَهُ ، وَيَرْفَعُ قَوائِمَهُ ، حَتَّى يُظَنَّ أَنَّهُ مَاتَ ؛ فإِذا قَرُبَ منهُ حَيوانٌ ، وَثَبَ عَلَيْهِ وَصادَهُ ؛

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ١٢١ والتاج « ثعلب » والبداية والنهاية ٣/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦ و ٧/ ٣٦٢ .
(٢) حيوان الجاحظ ٦/ ٣٠٥ والمستطرف ٢/ ٤٥٩ .
(٣) حيوان الجاحظ ٦/ ٣٠٥ والمستطرف ٢/ ٤٥٩ .

وَحِيْلَتُهُ هَذِهِ لا تَتِمُّ على كَلْبِ الصَّيْدِ .

● قِيلَ للثَّعْلَبِ[1] : مَا لَكَ تَعْدُو أَكْثَرَ مِنَ الكَلْبِ ؟ فَقَالَ : لأَنِّي أَعْدُو لِنَفْسِي ، وَالكَلْبُ يَعْدُو لِغَيْرِهِ ؟

● قَالَ الجاحِظُ[2] : وَمِنْ أَشَدِّ سِلاحِ الثَّعْلَبِ عندَهُم ، الرَّوَغانُ والتَّماوُتُ ؛ وَسِلاحُهُ سَلْحُهُ ، فإِنَّ سُلاحَهُ أَنْتَنُ وأَلْزَجُ وأَكْثَرُ من سُلاحِ الحُبَارَى .

قَالتِ العَرَبُ[3] : « أَدْهَى وأَنْتَنُ من سُلاحِ الثَّعْلَبِ » .

● والجاحِظُ[4] : اسمُهُ عَمرو بن بَحْر الكِنانيّ اللَّيْثيّ ، وَقِيلَ لَهُ الجاحِظُ ، لأَنَّ عَيْنَيْهِ كانتَا جاحِظَتَيْن ، ويُقَالُ له : الحَدَقِيُّ أَيْضاً لِذَلِكَ ؛ أَصابَهُ الفالِجُ في آخرِ عُمْرِهِ ، فَكَانَ يَطْلِي نِصْفَهُ بالصَّنْدَلِ والكافُورِ لِشِدَّةِ حَرارَتِه ، والنِّصْفَ الآخرَ لَوْ قُرِضَ بالمَقاريضِ لَما أَحَسَّ بِهِ من خَدَرِهِ وشِدَّةِ بَرْدِهِ ؛ وَكَانَ يَقُولُ[5] : أَنا من جانِبي الأَيْمَنِ مَفْلُوجٌ ، فَلَوْ قُرِضَ بِالمَقارِيضِ ما عَلِمْتُ ، ومن جانِبي الأَيْسَرِ مُنْقَرِسٌ ، فَلَوْ مَرَّ الذُّبابُ تَأَلَّمْتُ .

وَقَالَ : اصْطَلَحَتْ عَلَى جَسَدِي الأَضْدادُ ، فإِنْ أَكَلْتُ بارِداً أَخَذَ بِرِجْلي ، وإِنْ أَكَلْتُ حارّاً أَخَذَ بِرَأْسي ؛ وَكَانَ يُنْشِدُ وَيَقُولُ[5] : [من الوافر]

أَتَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَأَنْتَ شَيْخٌ ... كَمَا قَدْ كُنْتَ أَيَّامَ الشَّبابِ
لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ ... دَرِيسٌ كالجَدِيدِ مِنَ الثِّيابِ

---

(١) أَخبار الأَذكياء ٢٥٥ .
(٢) الحيوان ٦/ ٣١٢ ـ ٣١٣ وثمار القلوب ١/ ٦٠٠ .
(٣) الحيوان ٦/ ٣١٢ ـ ٣١٣ وثمار القلوب ١/ ٦٠٠ .
(٤) ترجمته في : تاريخ بغداد ١٤/ ١٢٤ ومعجم الأُدباء ٥/ ٢١٠١ ووفيات الأَعيان ٣/ ٤٧٠ وتاريخ دمشق ٥٤/ ٣٥٠ ومختصره ١٩/ ١٨١ وسير أَعلام النُّبلاء ١١/ ٥٢٦ .
(٥) تاريخ بغداد وتاريخ دمشق ومعجم الأُدباء والمختصر .

وَلَهُ التَّصانِيفُ في كُلِّ فَنٍّ ، وهو من رُؤُوسِ المُعْتَزِلَةِ ، وإِلَيْهِ تُنْسَبُ الطَّائِفَةُ الجاحِظِيَّةُ من المُعتزلَةِ ؛ ومن أَحْسَنِ تصانيفه كتاب « الحيوان » .

توفي سنة خمس وخمسين ومئتين بالبصرةِ .

● قَالَ الجاحِظُ[1] : وَمِنَ العَجَبِ في قِسْمَةِ الأَرْزاقِ ، أَنَّ الذِّئْبَ يَصِيدُ الثَّعْلَبَ فَيأكلُهُ ، والثَّعْلَبُ يَصِيدُ القُنْفُذَ فَيَأْكلُهُ ، والقنفذ يصيد الأفعىٰ فيأكلها ، والأفعى تصيد العصفور فتأكلُه ، والعُصفورُ يصيد الجرادَ فيأكلهُ ، والجَرادُ يَلْتَمِسُ فِراخَ الزَّنابيرِ فَيَأْكلُها ، والزُّنْبُورُ يَصِيدُ النَّحْلَةَ فَيَأْكلُها ، وَالنَّحْلَةُ تَصِيدُ الذُّبابَةَ فتأْكلُها ، والذُّبابَةُ تَصِيدُ البَعُوضَةَ فتَأكلُها .

● رَوَى صاحِبُ « الغَيْلانِيَّات » في الجُزْءِ الأَوَّلِ ، عن الشَّعبيّ ، عن جابرِ بن عبد اللهِ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلى أَبي بَكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فَقَالَ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَجْرِي مَعَ الثَّعْلَبِ أَحْسَنَ جَرْيٍ ؛ فَقَالَ : أَجْرَيْتَ ما لا يَجْرِي ؛ أَنْتَ رَجُلٌ في لِسانِكَ كَذِبٌ ، فاتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ[2] .

وَمِن شَأنِ الثَّعلبِ إِذا دَخَلَ بُرْجَ حَمامٍ ، وَكَانَ شَبْعَانَ ، قَتَلَها وَرَمَى بِها ، لِعِلْمِهِ أَنَّهُ إِذا جَاعَ عَادَ إِلَيْها وأَكَلَها .

وَهُوَ مِنَ الحَيوانِ الذي سِلاحُهُ سُلاحُهُ ، وهو أَنْتَنُ من سُلاحِ الحُبَارَى كَمَا تَقَدَّمَ .

فإِذا[3] تَعَرَّضَ لِلْقُنْفُذِ ، وَلَقِيَهُ كالكُرَةِ ، وَتَحَصَّنَ بِشَوْكِهِ سَلَحَ عَلَيْهِ ،

---

(١) الحيوان ٦/ ٣١٣ وثمار القلوب ١/ ٦٠٠ والتَّوفيق للتَّلفيق ٦٤ والمستطرف ٢/ ٤٦١ .

(٢) في تفسير الواعظ ٢٩٠ : وحكي أَنَّ رجلاً أَتى أَبا بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عنه ، فقال : رأَيتُ كَأَنِّي أُراوِغُ ثعلباً . فقال له : أَنتَ رجلٌ كَذوبٌ ؛ فكانَ الرَّجل شاعراً .
وأَتى ابنَ سيرين رجلٌ ، فقالَ : رأَيتُ كَأَنِّي أَجزي الثَّعلبَ أَحسنَ جَزاءٍ . فقالَ : أَجَزيت ما لا يُجزَى ؟ اتَّقِ الله ، أَنت رجلٌ كذوبٌ .

(٣) الحيوان ٦/ ٣١٣ وثمار القلوب ١/ ٦٠٠ وعجائب المخلوقات ٢٥٦ ومسالك الأَبصار =

فَيَنْبَسِطُ ، فعندَها يقبضُ على مَراقِ بَطْنِه .

● وَمِنْ ظَرِيفِ مَا يُحْكَى عنه[1] : أَنَّ البَراغِيثَ إذا كَثُرَتْ في صُوفِهِ ، تَناوَلَ صُوفَةً منهُ بِفِيهِ ، ثُمَّ يَدْخُلُ النَّهْرَ قليلاً قَلِيلاً ، والبَراغِيثُ تَصْعَدُ فِراراً مِنَ المَاءِ ، حَتَّى تَجْتَمِعَ في الصُّوفَةِ التي فِي فِيهِ ، فَيُلْقِيها في الماءِ ثُمَّ يَهربُ .

والذِّئْبُ يَطْلُبُ أَوْلادَ الثَّعْلَبِ ، فإذا وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ ، وَضَعَ أَوْراقَ العُنْصُلِ على بابِ وِجارِهِ ، لِيَهْرُبَ الذِّئْبُ مِنْها[2] .

وَفَرْوُهُ أَفْضَلُ الفِراءِ ، ومنهُ الأَبْيَضُ والأَسْوَدُ والخَلَنْجِيُّ[3] .

● وَقَالَ القَزوينيُّ في « عجائِبِ المخلوقات »[4] : إِنَّهُ أُهْدِيَ إِلى نُوح بن مَنصور السَّامانيّ ، ثَعْلَبٌ لَهُ جَناحَان من رِيْشٍ ، إذا قَرُبَ الإِنْسَانُ مِنْهُ نَشَرَهُما ، وإذا بَعُدَ عنه أَلْصَقَهُما بجانِبَيْه .

ثُمَّ قَالَ : وَكانَت الثَّعالِبُ تَطِيرُ في الزَّمَنِ الأَوَّلِ .

● وَفي آخر كِتاب « الأذكياء » لأبي الفَرَج ابن الجَوزيّ ، عن المُعافى بن زكريّا ، قَالَ[5] : زَعَمُوا أَنَّ أَسَداً وثَعْلَباً وَذِئْباً ، اصْطَحَبُوا فَخَرَجُوا يَتَصَيَّدُونَ ، فَصَادُوا حِماراً وَظَبْياً وأَرْنَباً ، فَقَالَ الأَسَدُ للذِّئْبِ : اقْسِمْ بَيْنَنا صَيْدَنا ؛ فَقَالَ : الأَمْرُ أَبْيَنُ مِنْ ذَلِكَ ، الحِمارُ لَكَ ، والأَرْنَبُ لأَبي مُعاوية[6] ـ يَعْنِي الثَّعْلَبَ ـ ،

= ٢٠/ ٤٣ والمستطرف ٢/ ٤٥٩ .

(١) الحيوان ٦/ ٣٠٦ وعجائب المخلوقات ٢٥٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٤٣ والمستطرف ٢/ ٤٥٩ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٥٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٤٣ .

(٣) المستطرف ٢/ ٤٥٩ .

(٤) لم أقف على الخبر فيه ، وهو في المستطرف ٢/ ٤٥٩ .

(٥) أخبار الأذكياء ٢٥٤ والمستطرف ٢/ ٤٦٠ .

(٦) أبو معاوية : كنية ابن آوى ، وليس الثَّعلب . (المرصّع ٣٠٣) .

والظَّبْيُ لِي ، فَخَبَطَهُ الأَسَدُ فَأَطَاحَ رَأْسَهُ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ على الثَّعْلَبِ وَقَالَ : قاتَلَهُ اللهُ مَا أَجْهَلَهُ بالقِسْمَةِ ، هَاتِ أَنْتَ يا أَبا مُعاوية ؛ فَقَالَ الثَّعْلَبُ : يا أَبا الحارِثِ ، الأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ ذَلِكَ ، الحِمارُ لِغَدائِكَ ، وَالظَّبْيُ لِعَشائِكَ ، والأَرْنَبُ فِيما بين ذَلِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ الأَسَدُ : قَاتَلَكَ اللهُ مَا أَقْضَاكَ ! مَنْ عَلَّمَكَ هَذِهِ الأَقْضِيَةَ ؟ قَالَ : رَأْسُ الذِّئْبِ الطَّائِحُ عن جُثَّتِهِ .

وَفِي رِوايَةٍ عن الشَّعبيِّ : فَقَالَ لَهُ الأَسَدُ : قاتَلَكَ اللهُ مَا أَبْصَرَكَ بِالقَضَاءِ والقِسْمَةِ ، مِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ أَمْرِ الذِّئْبِ .

● وَمِمَّا يُرْوَى مِنْ حِيَلِ الثَّعْلَبِ ، مَا ذَكَرَهُ الشَّافعيُّ ، قَالَ :

كُنَّا في سَفَرٍ في أَرْضِ اليَمَنِ ، فَوَضَعْنا سُفْرَتَنا لِنَتَعَشَّى ، وَحَضَرَتْ صَلاةُ المَغرِبِ ، فَقُمْنا نُصَلِّي ثُمَّ نَتَعَشَّى ، فَتَرَكْنا السُّفْرَةَ كَمَا هِيَ وَقُمْنا إِلى الصَّلاةِ ، وَكَانَ فِيها دَجاجَتانِ ، فَجَاءَ الثَّعْلَبُ فأَخَذَ إِحْدَى الدَّجاجَتَيْن ، فلمَّا قَضَيْنا الصَّلاةَ أَسِفْنا عَلَيْها ، وَقُلْنا : حُرِمْنا طَعامَنا ؛ فَبَيْنَما نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الثَّعْلَبُ ، وَفِي فَمِهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ الدَّجاجَةُ ، فَوَضَعَهُ ، فَبادَرْنا إِلَيْهِ لِنَأْخُذَهُ وَنَحْنُ نَحْسَبُهُ الدَّجاجَةَ قَدْ رَدَّها ، فلمَّا قُمْنا جاءَ إِلى الأُخْرَى وَأَخَذَها من السُّفْرَةِ ، وأَصَبْنا الَّذِي قُمْنا إِلَيْهِ لِنَأْخُذَهُ ، فإِذا هُوَ لِيفٌ قَدْ هَيَّأَهُ مِثْلَ الدَّجاجَةِ ! .

● وَمِمَّا وَقَعَ من فِطْنَةِ البَهائِمِ مِمَّا يُقارِبُ هَذَا ، ما يُحْكَى عن [أَبي] القاسِمِ بن أَبي طالب التَّنوخيّ الأَنباريّ ، قَالَ :

كُنْتُ ماضِياً إِلى الأَنْبارِ مع رُفْقَةٍ ، فِيها بازْدارِيَّةُ[1] السُّلْطانِ قد خَرَجُوا يَروضُونَها ، فأَطْلَقُوا بازِياً على دُرَّاجٍ ، فَطَارَ الدُّرَّاجُ إِلى غَيْضَةٍ ، فَدَخَلَ فِيها وأَلْقَى نَفْسَهُ بَيْنَ شَوْكٍ كَانَ فِيها ، فَأَخَذَ مِنْ ذَلِكَ الشَّوْكِ أصلين كَبيرَيْنِ في

---

(١) البازدار : هو الذي يحمل الطُّيور الجوارح المعدَّة للصَّيد على يده . (التَّعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٦٠) .

رِجْلَيْهِ ، وَنَامَ على قَفاهُ ، وَرَفَعَ رِجْلَيْهِ ، فاسْتَتَرَ بذَلِكَ من البازِ ، فلمَّا قَرُبَ منهُ البازْداريُّ طَارَ ، فَصَادَهُ البازي ، فَقَالُوا : مَا رَأَيْنا قَطُّ دُرَّاجاً أَحْذَقَ مِنْ هَذَا .

● وَقَدْ أَوْرَدَ هَذِهِ الحِكايَةَ القاضِي أَبو عليّ المُحَسِّنُ بن عليّ التَّنوخيّ أَيضاً ، في كِتابِهِ « أَخبار المُذاكرة ونَشوار المُحاضَرة »[١] بأَلْفاظٍ مُخالِفَةٍ لِما سَبَقَ هُنا ، فَقَالَ[٢] : وَحَدَّثَنِي أَبُو القاسِمِ بن أَبي طالب التَّنوخيّ الأنباريّ ، قَالَ : كُنْتُ ماضِياً إِلى الأَنْبارِ مع رُفْقَةٍ [فيها] بازْدارِيَّةٌ لِلْسُلْطَانِ ، فأَطْلَقُوا بازِياً على دُرَّاجٍ لاحَ لَهُم ، فَطاحَ الدُّرَّاجُ ، وَلَحِقَهُ البازُ ، فأَخَذُوا يُهَلِّلُونَ وَيُكَبِّرون ويَعْجَبُونَ ، فَلَحِقْتُهُم وسَأَلْتُهُم ، فإِذا بالدُّرَّاجِ قَدْ دَخَلَ غَيْضَةً ، فأَلْقَى نَفْسَهُ بَيْنَ شَوْكٍ كَانَ فيها ، وَأَخَذَ مِنْ ذَلِكَ الشَّوْكِ أَصْلَيْنِ كَبيرينِ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَنَامَ على قَفاهُ ، وَشَالَ رِجْلَيْهِ وفيهما الشَّوْكُ لِيَخْتَفِيَ بِهِ عن البازِ ، والبازُ قَدْ طَلَبَهُ طَويلاً فَلَمْ يَرَهُ ، وَقَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ بذَلِكَ الشَّوْكِ الذي شالَهُ في رِجْلَيْهِ ، حَتَّى سَتَرَ بِهِ نَفْسَهُ ، إِلى أَنْ جَاءَهُ البازْدارِيَّةُ ، فَرَأَوْا الدُّرَّاجَ ، فَقَصَدُوهُ وَقَرُبوا منهُ ، فَطَارَ ، وأَحَسَّ بِهِ البازُ فاصْطَادَهُ ؛ فسَمعتُهم يَقُولُون : مَا رَأَيْنا قَطُّ دُرَّاجاً أَمْكَرَ مِنْ هَذَا ، ولا أَحْذَقَ منهُ بِالتَّوَقِّي ، ولا سَمِعْنا بِمِثْلِ هَذَا ؛ وَأَسْرَفُوا في التَّعَجُّبِ منهُ .

وَهَذِهِ أَخبارٌ تُقارِبُ مَا تَقَدَّمَ في فِطْنَةِ الطَّيْرِ وَذَكائِهِ .

● وَقَالَ القاضِي أَبو عليّ التَّنوخيّ[٢] : حَدَّثَني أَبُو الفَتْحِ البُصْرَويّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي بعضُ أَهْلِ المَوْصِلِ ، مِمَّنَ كَانَ مُغْرىً بِالصَّيْدِ وَطَلَبِ الجَوارِحِ : أَنَّ صَيَّاداً مِن أَهْلِ أَرْمِينِيَّةَ وَتِلْكَ النَّواحِي حَدَّثَهُ ، قَالَ :

خَرَجْتُ إِلى الصَّحْراءِ يَوْماً ، فَنَصَبْتُ شَبَكَتِي ، وَجعَلتُ فيها طائِراً

---

(١) اسم الكتاب : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة .

(٢) لم يرد الخبر في مطبوعة الكتاب المذكور .

مُسْتَأْنِساً ، ودَخَلْتُ في كوخٍ تَحْتَ الأَرْضِ يَسْتُرُني ، وجعلْتُ أَنْظُرُ إِلى الشَّبَكَةِ ، حتَّى إِذا وَقَعَ فِيها شَيْءٌ من البُزاةِ أَو الصُّقورَةِ أَو الشَّواهِينِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ من الجَوَارِحِ أَخَذْتُهُ ؛ فَلَمَّا كَانَ قَريباً من الظُّهْرِ ، وإِذا بِزُمَّجَةٍ لَطِيفَةٍ قَدْ طَارَتْ على الشَّبَكَةِ ، فَلَمَّا رَأَتْها نفَرَتْ ، وَتَرَجَّلَتْ قَرِيباً منها ، فجَلَسَتْ على الأَرْضِ ساعَةً ، فإِذَا بعُقابٍ جائِزٍ ، فَلَمَّا رَآها تَرَجَّلَ معها وَجَلَسا جَميعاً ، وإِذا بطائِرٍ يَطِيرُ في الجَوِّ ، فَنَهَضَتِ الزُّمَّجَةُ قبلَ العُقَابِ ، وطارَتْ خلفَ الطَّائِرِ ، فَلَمْ تُزايِلْهُ إِلى أَنْ صادَتْهُ ، وجاءَتْ بِهِ ، فَنَسَرَتْهُ وصَارَ لَحْماً ، وأَقبلَتْ تَأْكُلُ ، فَجَاءَ العُقابُ وأَكَلَ مَعَهَا ، فلمَّا فَنِيَ اللَّحْمُ زَافَ العُقابُ عَلَيْها ، فَضَرَبَتْ وَجْهَهُ بجَناحِها ؛ فَزَافَ ثانيةً ، فَضَرَبَتْهُ أَشَدَّ من الأُولَى ؛ فزَافَ الثَّالِثَةَ فَضَرَبَتْهُ أَشَدَّ من ذَلِكَ ، وَلَمْ تَزَلْ تَضْرِبُهُ بِمِنْسَرِها إِلى أَنْ قَتَلَتْهُ وَطَارَتْ .

فَتَعَجَّبْتُ من نُفورِها مِنَ الشَّبَكَةِ ، وَقلتُ : هي كُرَّزَةٌ[1] وَيَجُوزُ أَنْ تَعرفَ الشَّبَكَةَ بالعادَةِ ، ومِمَّا سوى ذَلِكَ من مُناهَضَتِها للطَّائِرِ قبلَ العُقابِ حتَّى صادَتْهُ ؛ ثُمَّ إِنَّها مَنَعَتِ العُقَابَ من سِفادِها ، وأَنَّها أَطْعَمَتْهُ مِنْ صَيْدِها ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ بذلكَ حتَّى قَتَلَتْهُ لَمَّا أَلَحَّ عليها .

وَطَمِعْتُ في أَنْ أَصِيدَها ، لأَصِيدَ بها ما لا قِيمَةَ لَهُ ؛ فَبِتُّ لَيْلَتِي في ذَلِكَ الكُوخِ ؛ فلَمَّا كَانَ مِنَ الغدِ ، فإِذا هِيَ قَدْ تَرَجَّلَتْ قَرِيباً مِنَ الشَّبَكَةِ في مِثْلِ ذَلِكَ الوَقْتِ ، فنَزَلَ إِلَيْها عُقابٌ ، فَجَلَسَ مَعَها وعَنَّ لَهُمَا صَيْدٌ ، فَجَرَتْ صُورَتُها مع العُقابِ الثَّانِي كَمَا جَرَتْ مع العُقابِ الأَوَّلِ سَواءً بلا اخْتِلافٍ أَلْبَتَّةَ ، وطارَتْ .

فَزَادَ تَعَجُّبي وحِرْصِي عَلَيْها ، وَبِتُّ لَيْلَتِي الثَّانيةَ في الكُوخِ ، فلمَّا كَانَ في اليومِ الثَّالِثِ فإِذا بها قد تَرَجَّلَتْ على الصُّورَةِ والرَّسْمِ ، وإِذا بعدَ ساعَةٍ بعُقابٍ لَطيفِ الجُثَّةِ ، وَحْشِيِّ الرِّيْشِ قَدْ تَرَجَّلَ ، فَمَا مَضَتْ ساعَةٌ حتَّى عَنَّ لَهُما صَيْدٌ ،

---

(١) أَي أَتى عليها حَوْلٌ ؛ وهي هنا بمعنى « مُجَرَّبَةٌ » .

فَهَمَّتِ الزُّمَّجَةُ بالنُّهُوضِ ، فَضَرَبَها العُقابُ بِجَناحِهِ ضَرْبَةً كادَ يَقْتُلُها ، وَنَهَضَ مُسْرِعاً إِلى الطَّيَرانِ ، حتَّى اصْطَادَ الطَّائِرَ ، وَجاءَ بِهِ ، فَنَسَرَهُ وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْها ، وَلَمْ يَذُقْ منهُ شَيْئاً حَتَّى أَكَلَتِ الزُّمَّجَةُ واسْتَوْفَتْ ، ثُمَّ أَكَلَ هُوَ بَعْدَها لَحْمَ الطَّائِرِ الباقِي وَفَنِيَ ؛ فَزَافَ عليها فَزافَتْ لَهُ وَلَمْ تَمْنَعْهُ ، فَزافَ الثَّانِيَةَ فَرَكِبَها ، فَمَكَّنَتْهُ حتَّى سَفَدَها ، ثُمَّ طارا معاً .

● وَحَكَى القاضِي أبو عليّ التَّنوخيّ أَيْضاً ، قَالَ[1] : حَدَّثَنِي فارس بن مشغف ، أَحَدُ الجُنْدِ القُدَماءِ المُوَلَّدِينَ ، وَقد صَار بَوَّاباً لأَبي محمَّد يحيَى بن محمَّد بن سُلَيْمان بن فهدِ ، قَالَ :

كُنْتُ أَصْحَبُ قائِداً من قُوَّادِ السُّلْطَانِ يُعْرَفُ بأَبي إِسحاقَ بن أَبي مَسعود الأَزْديّ ، وَكانَتْ إِلَيْهِ إِمارَةُ المدائِنِ ـ أَسْبانَبْرُ[2] والمدينةُ العَتيقَةُ ـ وَكَانَتْ إِذْ ذَاكَ عامِرَةً آهِلَةً ، والسَّلاطِينُ يَنْزِلُونَ بِها ، وَكنتُ مُقِيماً فِيها معهُ ، وَكَانَ لَهِجاً بالصَّيْدِ ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وأَنا معهُ إِلى المدينَةِ المعروفَةِ بالرُّومِيَّةِ ، المُقابلَةِ للمَدينَةِ العَتيقَةِ ، وَهيَ إِذْ ذاكَ خرابٌ ، ومعهُ صَقَّارَتُهُ وَآلَةُ صَيْدِهِ وجُنْدُهُ ، حتَّى مَلَّ وَسَلَكَ الطَّرِيقَ رَاجِعاً ، وَكَانَ معهُ صَقْرٌ لَهُ فارِهٌ ، وَقَدْ شَبِعَ مِمّا أَطْعَمَهُ مِنْ صَيْدِهِ ، فَمَسَحَ الصَّقَّارُ صَدْرَهُ ، وَحَمَلَهُ على يَدِهِ وَهوَ يَسِيرُ ، إِذِ اضطربَ الصَّقْرُ اضطراباً شَديداً ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبي مَسعودٍ : قَدْ شاهَدَ الصقْرُ طَرِيدَةً ؛ وَهَذا الاضطرابُ لأَجْلِها ، فأَرْسِلْهُ ؛ فَقَالَ : يا سَيِّدِي ، هُوَ صَقْرٌ شَرِهٌ ، واضْطرابُهُ لَيْسَ لِهَذَا ، وَقَدْ شَبِعَ ولا آمَنُ أَنْ أُرْسِلَهُ على طَرِيدَةٍ وهو شَبْعانُ فَيَتيهُ ؛ فَزَادَ اضْطرابُ الصَّقْرِ ، فَقَالَ : أَرْسِلْهُ وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ ؛ فأَرْسَلَهُ ، فَطَارَ وتَراكَضْنا خَلْفَهُ ، حتَّى جاءَ إِلى أَجَمَةٍ صَغيرَةٍ تَسْتُرُهُ ونَحْنُ نَراهُ ، فَرَفْرَفَ

---

(١) لم يرد الخبر في مطبوعة النَّشوار .

(٢) في ط : إسبانين ! . وأَسْبا نَبْر : هو اسمٌ أَجَلّ مدائن كسرى وأَعظمها ، وهي التي فيها إيوان كسرى . (معجم البلدان ١/ ١٧١) .

عليها ، وإذا بشَيْءٍ قد صَعَدَ مِنها مِثْلِ النَّشَّابِ في مِقْدَارِ زُجِّ النَّشَّابَةِ فقط ، فَحَاصَ عنهُ الصَّقْرُ ، ثُمَّ انْحَطَّ في الأَجَمَةِ ، فَدَخَلْنا خلفَهُ ، فإذا هُوَ قد تَرَجَّلَ على حُبارَى واصْطَادَها ، وإذا هُوَ طَلَعَ على يَدِ الصَّقَّارِ .

وَمِنْ عادَةِ الحُبَارَى أن تذرقَ على الجارحِ الَّذِي يَصيدُها لِتَجْرَحَ جَناحَهُ ، وتَعْقِرَهُ بذَرَقِها لِحُمَّاهُ وَحِدَّتِهِ ، ويَنْسَلِخَ جِلْدُهُ ؛ والصَّقْرُ عارِفٌ بذَلِكَ ، فاحْتَالَ عَلَيْها الصَّقْرُ ، فَرَفْرَفَ عَلَيْها كَأَنَّهُ يُرِيدُ صَيْدَها ، فَذَرَقَتِ الحُبارَى إلى فوقٍ حتَّى صَعِدَتْ ذَرَقَتُها ؛ فلَمَّا أَخْطَأَتِ الصَّقْرَ ، انْحَطَّ عَلَيْها في الحَالِ فاصْطَادَها ، وَكَانَ الصَّقَّارُونَ وَمَن حَضرَ مِنَ الجُنْدِ والمُتَصَيِّدينَ المَدَنِيِّينَ يَعْجَبُونَ من ذَلِكَ ، ويَعُدُّونَهُ من غَرائِبِ مَا شَاهَدُوهُ مِنْ أَفْعالِ الجَوارِحِ .

● وَذَكَرَ القاضِي التَّنوخي ، عن فارِسٍ هَذَا ، قَال[1] :

كُنتُ مع هارُونَ بن غَرِيب الخَالِ[2] ، مُنْ جُمْلَةِ عَسْكَرِهِ وَرِجَالِهِ ، وَنَحْنُ قِيامٌ بَيْنَ يَدَيْ حُلوان[3] ، والجُنْدُ سَائِرُونَ ، وهوَ يَتَصَيَّدُ في طَرِيقِهِ ، إِذْ عَنَّ لَهُ غَزالٌ ، فأَرْسَلَ عَلَيْهِ صَقْراً كَانَ بحَضْرَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنِ الكَلاَّبُونَ بالقُرْبِ منهُ فَيُرْسِلُونَ معهُ كَلْباً ، لأَنَّ العادَةَ أَنَّ الصَّقْرَ لا يَصِيدُ غَزالاً إلاَّ إذا كَانَ معهُ كَلْبٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّقْرَ يَطِيرُ ، فَيَقَعُ على رَأْسِهِ ، فَيَعْقِرُهُ ، ويَضرِبُ بجَناحَيْهِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَيَمْنَعُهُ من شِدَّةِ العَدْوِ ، فَيَلْحَقُهُ الكَلْبُ فَيَصِيدُهُ ؛ هَكَذَا جَرَتِ العادَةُ في صَيْدِ الغِزْلانِ بالصُّقُورِ .

---

(١) لم يرد الخبر في مطبوعة النَّشوار .

(٢) هارون بن غريب ـ ابن خال المقتدر ـ طمع بالخلافة بعد خلع القاهر وولاية الرَّاضي ، فاتَّبعه خلق من الجند الأُمراء ؛ فخرج يوماً على فرسه ، فتقنطر به فسقط في نهر ، فضربه غلام له حتَّى قتله ، سنة ٣٢٢هـ . (البداية والنِّهاية ١٥/ ٨١) .

(٣) حُلوان : مدينة بالعراق ، وهي في آخر حدود السّواد ممَّا يلي الجبال من بغداد . (معجم البلدان ٢/ ٢٩٠) .

إلاَّ أَنَّ ابنَ الخالِ لَمَّا لاحَ لَهُ الغزالُ أَطْلَقَ الصَّقْرَ لَئِلاَّ يَفُوتَهُ الغَزالُ ، وغَرَّرَ بِهِ لُحُوقُ الكِلابِ في الحَالِ ، وَقَدْ رَأَى أَنْ يشغلَه الصَّقْرُ عن العَدْوِ فتَلْحَقُهُ خَيْلُنا وَرِماحُنا ، فَطَارَ الصَّقْرُ وَتَراكَضْنا خَلْفَهُ ، وأَنَا مِمَّنْ رَكَضَ ، وَجَرَى الغَزالُ فَوافَى إلى مُنْحَدَرٍ في الصَّحْراءِ ، فانْحَدَرَ فِيهِ ، فلمَّا حَصَلَ مُنْحَدِراً ، سَقَطَ الصَّقْرُ على خَدِّهِ وَعُنُقِهِ ، فأَنْشَبَ مِخْلَبَيْهِ فِيهِما ، وحَمَلَهُ الغَزالُ .

فَرَأَيْنا الصَّقْرَ قَدْ سَدَلَ أَحَدَ مِخْلَبَيْهِ حتَّى أَنَّهُ يَخُطُّ في الأَرْضِ ، حَتَّى إذا وَصَلَ إلى مَوْضِعٍ من الصَّحْراءِ فِيهِ شَوْكٌ ، فَعَلِقَ بِأَصْلِ شَوْكٍ عَظِيمٍ ، ثُمَّ جَذَبَ عُنُقَ الغَزالِ بالمِخلَبِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ أَمْسَكَهُ بِهِ في خَدِّهِ وأَصْلِ عُنُقِهِ ، وإذا بِهِ قَدْ دَقَّ عُنُقَهُ وَصَرَعَهُ ، فَلَحِقْناهُ وَذَكَّيْناهُ ، وَوَقَعَتِ البِشارَةُ ؛ فَقَالَ ابْنُ الخالِ ومَن مَعَهُ : ما رَأَيْنا قَطُّ صَقْراً أَفْرَهَ من هَذَا ؛ وَخَلَعَ على الصَّقَّارِ خِلْعَةً حَسَنَةً .

● وَحَكَى القاضِي أبو علي التَّنوخيّ ، قَالَ[1] : أَخْبَرَنِي أَبُو القاسِم البَصْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي بَعْضُ الجَمْدَارِيَّةِ مِنَ الجُنْدِ ، أَنَّهُ كَانَ مع قائِدٍ من قُوَّادِهِم في الصَّيْدِ ؛ ومعهُ عُقابٌ يَتَصَيَّدُ بِهِ ، وَقَدِ اصْطَادَ واسْتَكْفَى ، إذِ اضْطَرَبَ العُقابُ على يَدِ العَقَّابِ اضطراباً شديداً ، فَخَافَ على نَفْسِهِ ، لأَنَّ العُقابَ رُبَّما أَتْلَفَ عَقَّابَهُ إذا مَنَعَهُ مِنْ إرادَتِهِ ، وَلَيْسَ يَجْرِي مَجْرَى غَيْرِهِ مِنَ الجَوارِحِ ؛ فَأَرْسَلَهُ العَقَّابُ ، فطَارَ وَطَرَدَ وَراءَهُ ، فإذا بِهِ قَدْ سَقَطَ على شَيْخٍ ضَعِيفٍ كَانَ يَجُرُّ شَوْكاً ، وهوَ يَمْشِي على أَرْبَعَةٍ ، فَنَسَرَهُ وَدَقَّ عُنُقَهُ ، وأَتْلَفَهُ ، وَوَلَغَ في دَمِهِ ، وَأَكَلَ مِنْ لَحْمِهِ ، وإِذَا بالعَقَّابِ قَدْ جَاءَ إلى القائِدِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا الخَبَرُ ؟ فَقَالَ : يا سَيِّدِي ، اصْطَادَ العُقابُ شَيْخاً وَحْشِيّاً بَرِّيّاً ؛ وَكَانَ يَسْمَعُنا نَقُولُ : اصْطَدْ لَنَا غَزالاً وَحْشِيّاً ، وسِنَّوْراً بَرِّياً ؛ فَقَدْ رَأَى شَيْخاً بَرِّيّاً وَوَحْشِيّاً مِثْلَهُ ، وَلَمْ يُفَكِّرْ أَنَّ العُقابَ أَتْلَفَ رَجُلاً مُسْلِماً ؛ فَقَالَ القائِدُ : وَيْحَكَ

---

(١) لم يرد الخبر في مطبوعة النَّشوار .

مَا تَقُولُ ؟ وَحَرَّكَ فَحَرَّكْنا وراءَهُ ، فَوَجَدْنا الشَّيْخَ ، فاغْتَمَّ لِذَلِكَ غَمّاً شَدِيداً ، وَعَجِبْنا مِنْ أَمْرِ العُقابِ .

● وَحَكَى القاضي التَّنوخيّ في كِتابِهِ أَيْضاً ، قالَ[١] : حَدَّثَنِي أَبُو محمَّد يحيَى بن محمَّد بن سُليمان بن فَهْد ، قَالَ : حَدَّثَنِي بعضُ المُتَصَيِّدينَ وَقَدْ تَجارَيْنا عَجائِبَ ما يَجْرِي فيهِ ، فَقَالَ :

من أَحْسَنِ وَأَظْرَفِ مَا رَأَيْنا منهُ ، أَنَّ بازِياً كَانَ لِفُلانٍ ـ وَسَمَّاهُ ـ أَرْسَلَهُ فاصْطَادَ دُرَّاجاً ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ بِإِحْدَى يَدَيْهِ ، وَتَرَجَّلَ كَمَا جَرَتْ بِهِ العادَةُ ، وأَمْسَكَهُ يَنْتَظِرُ البازْدارِيَّ فَيَذْبَحُهُ وَيُطْعِمُهُ مِنْهُ كَمَا جَرَتِ العادَةُ في مثلِ ذَلِكَ ، وهو على جانِبِهِ إِذْ أَبْصَرَ دُرَّاجاً آخر يَطِيرُ ، فَطَارَ والدُّرَّاجُ الأَوَّلُ في إِحْدَى يَدَيه حتَّى قَبَضَ على الدُّرَّاجِ الآخَرَ ، فاصْطَادَهُ وَتَرَجَّلَ ، وَقَدْ أَمْسَكَهُما بيَدَيْه جَميعاً ، فاجْتَمَعْنا وَشَاهَدْناهُ على هَذِهِ الحالَةِ ، فاسْتَظْرَفْناهُ ، ثُمَّ أَخَذْناهما من يَدَيْهِ .

● وَذَكَرَ ابْنُ الجَوزي في آخرِ كِتابِ « الأذكياء » ، والحافظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي « حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ » عن الشَّعبيِّ أَنَّهُ قَالَ[٢] : مَرِضَ الأَسَدُ ، فعادَهُ جَمِيعُ السِّباع مَا خَلا الثَّعْلَبَ ، فنَمَّ عليه الذِّئْبُ ، فَقَالَ الأَسَدُ : إِذا حَضَرَ فأَعْلِمْني ؛ فَلَمَّا حَضَرَ أَعْلَمَهُ ، فعاتَبَهُ في ذَلِكَ ، فَقَالَ : كنت في طَلَبِ الدَّواءِ لَكَ . قَالَ : فَأَيَّ شَيْءٍ أَصَبْتَ ؟ قَالَ : خَرَزَةٌ في ساقِ الذِّئْبِ يَنْبَغِي أَنْ تُخْرَجَ ؛ فَضَرَبَ الأَسَدُ بِمَخالِبِهِ في ساقِ الذِّئْبِ ، وانْسَلَّ الثَّعْلَبُ ، فَمَرَّ بِهِ الذِّئْبُ بعدَ ذَلِكَ وَدَمُهُ يَسِيلُ ، فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ : يا صاحِبَ الخُفِّ الأَحْمَرِ ، إِذا قَعَدْتَ عِنْدَ المُلُوكِ ، فانْظُرْ مَاذَا يَخرجُ مِنْ رَأْسِكَ .

---

(١) لم يرد الخبر في مطبوعة النَّشوار .

(٢) أَخبار الأَذكياء ٢٥٣ وحلية الأَولياء ٤/ ٣١٧ والمستطرف ٢/ ٤٦٠ .

قَالَ الحافِظُ أَبُو نُعيمٍ : لَمْ يَقْصِدِ الشَّعبيُّ من هَذَا سِوَى ضَرْبِ المَثَلِ ، وتَعليمِ العُقَلاءِ ، وتَنْبيهِ النَّاسِ ، وَتأْكِيدِ الوَصِيَّةِ في حِفْظِ اللِّسَانِ ، وتَهْذِيبِ الأَخْلاقِ ، والتَّأْدِيبِ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ قِيلَ[١] : [من الكامل]

احْفَـظْ لِسـانَـكَ لا تَقُـولُ فَتُبْتَلَـى   إِنَّ البَـلاءَ مُـوَكَّـلٌ بِـالمَنْطِـقِ[٢]

● وَرَوَى الإمامُ أَحمد[٣] ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ الله تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قَالَ : نَهانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ في الصَّلاةِ عن ثَلاثَةٍ : « نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيْكِ ، وإِقْعاءٍ كَإِقْعاءِ الكَلْبِ ، والْتِفاتٍ كالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ » .

● وَقِيلَ للشَّعبيِّ[٤] : يُقَالُ في المَثَلِ : إِنَّ شُرَيْحاً أَدْهَى مِنَ الثَّعْلَبِ وأَحْيَلُ ، فَمَا هَذَا ؟ فَقَالَ : خَرَجَ شُرَيْحٌ أَيَّامَ الطَّاعُونِ إِلى النَّجَفِ ، فَكَانَ إِذا قَامَ يُصَلِّي ، يَجِيءُ ثَعْلَبٌ فَيَقِفُ تجاهَهُ وَيُحاكِيهِ ، وَيُخَيِّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَشْغَلُهُ عن صَلاتِهِ ؛ فلمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ نَزَعَ قَمِيصَهُ ، فَجَعَلَهُ عَلَى قَصَبَةٍ ، وأَخْرَجَ كُمَّيْهِ وَجَعَلَ قَلَنْسُوَتَهُ عَلَيْها ؛ فأَقْبَلَ الثَّعْلَبُ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ على عادَتِهِ ، فأَتاهُ شُرَيْحٌ مِنْ خَلْفِهِ وأَخَذَهُ بَغْتَةً ؛ فَلِذَلِكَ يُقالُ : شُرَيْحٌ أَدْهَى مِنَ الثَّعْلَبِ وَأَحْيَلُ .

وَيُقالُ : ضَغا الثَّعْلَبُ والسِّنَّوْرُ ، يَضْغُو ضَغْواً وضُغاءً : أَي صَاحَ ، وَكَذلِكَ صَوْتُ كُلِّ ذَلِيلٍ مَقْهُورٍ .

● وَيُقالُ للإِمامِ العلاَّمَةِ أَبي منصور عبد الملك بن محمَّد النَّيسابوريّ ، رَأْسِ المُؤَلِّفين ، وإِمامِ المُصَنِّفين ، صاحِبِ التَّصانِيفِ الفائِقَةِ ، والآدابِ

---

(١) البيت في جمهرة الأمثال للعسكري ١/ ٢٠٧ ، والمستطرف ١/ ٢٧١ بلا نسبة .

(٢) في هامش ب : تمامه :

كَـم مَـن رأيناهُ تلفَّـظَ لفظـةً   أَرْمَتْـهُ فـي قيـدٍ ثقيـلٍ ضَيِّـقِ

(٣) المسند ٢/ ٣١١ .

(٤) أَخبار الأَذكياء ٦٧ ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

الرَّائِقَةِ ، كثِمارِ القُلُوبِ ، وَفِقْهِ اللُّغَةِ ، ويَتِيمَةِ الدَّهر في مَحاسِنِ أَهْلِ العَصْرِ ، وغيرِ ذَلِكَ مِنَ التَّصانِيف : الثَّعالبيّ ، مَنْسوبٌ إِلى خِياطَةِ جُلُودِ الثَّعالِبِ ، لأَنَّهُ كَانَ فَرَّاءً[1] .

و« يَتِيمَةُ الدَّهْرِ » أَكبرُ كُتُبِهِ وأَحْسَنُها ، وفِيها يَقُولُ أَبُو الفَتْحِ نَصْر الله بن قَلاقِس الإِسْكَنْدَراني[2] : [من مجزوء الكامل]

أَبْيَـــاتُ أَشْعـــارِ اليَتِيمَـــهْ ... أَبْكـــارُ أَفْكـــارٍ قَـــدِيمَـــهْ
مـــاتُـــوا وَعـــاشَـــتْ بَعْـــدَهُـــمْ ... فَلِـــذَاكَ سُمِّيَـــتِ اليَتِيْمَـــهْ

● وَمِنْ شعر أَبي منصور الثَّعالبيّ[3] : [من السَّريع]

يَـــا سَيِّـــداً بِـــالمَكْـــرُمـــاتِ ارْتَـــدَى ... وانْتَعَـــلَ العَيُّـــوقَ وَالفَـــرْقَـــدا
مَـــا لَـــكَ لا تَجْـــري علـــى مُقْتَضَـــى ... مَـــوَدَّةٍ طَـــالَ عَلَيْهـــا المَـــدَى
إِنْ غِبْـــتُ لَـــمْ أُطْلَـــبْ وَهَـــذَا سُلَيْـ ... ـمـــانُ بـــنُ داودِ نَبِـــيُّ الهُـــدَى[4]
تَفَقَّـــدَ الطَّيْـــرَ علـــى شُغْلِـــهِ ... فَقَـــالَ : مـــا لـــي لا أَرَى الهُـــدْهُـــدَا

وَلَهُ في غُلامٍ مُسافرٍ[5] : [من الوافر]

فَـــدَيْـــتُ مُســـافِـــراً رَكِـــبَ الفَيـــافـــي ... فَـــأَثَّـــرَ فـــي مَحـــاسِنِـــهِ السِّفَـــارُ
فَمَسَّـــكَ وَرْدَ خَـــدَّيْـــهِ السَّـــوافـــي ... وَعَنْبَـــرَ مِسْـــكَ صُـــدْغَيْـــهِ الغُبَـــارُ

---

(١) هذا ما ذكره بعض المؤلِّفين كابن خلِّكان وغيره ، وقد ثبت أَنَّ أباه ـ أَو جدّه ـ هو الَّذي كانَ فرَّاءً يخيطُ جلود الثَّعالب ؛ فقد وَصف الثَّعالبيّ نفسه بابن الثَّعلبيّ ، في نثر النَّظم ٢٤ . وقال في آداب الملوك ٤٧ : وسمعتُ جدِّي أَبا عليّ الثَّعلبيّ .

(٢) ديوان ابن قلاقس ٥٢٥ .

(٣) ديوان الثّعالبي ٤٩ .

(٤) روايته في أ :

غبـــتُ ولـــم أُطلـــب [و] هـــذا كمـــا ... كـــان سُليمـــان نبـــيُّ الهـــدى

(٥) ديوانه ٥٥ ، والتَّوفيق ١٣٨ .

تُوفِّيَ سنةَ تسعٍ وعشرين ، وَقِيلَ : سنةَ ثلاثين وأربعمئة[1] .

الحُكْمُ : نَصَّ إمامُنا الشَّافعيُّ رحمهُ اللهُ على حِلِّ أَكْلِهِ .

وَقَالَ ابْنُ الصَّلاحِ : لَيْسَ في حِلِّهِ حَديثٌ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ وَفِي تَحْرِيمِهِ حَديثانِ ، في إسنادِهما ضَعْفٌ .

واعتمدَ الشَّافعيُّ في ذَلِكَ على عادَةِ العَرَبِ في أَكْلِهِ ، فَيَنْدَرِجُ في عُمُومِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة : ٤] .

وَبِحِلِّهِ قَالَ طاوسُ وعَطاءُ وَقَتادَةُ وغيرُهم .

وَنُقِلَ في فَوائِدِ رِحْلَتِهِ ، عَنْ أَبي سَعيد عُثمان بنِ سَعيد الدَّارميّ الإمام في الحديثِ والفِقْهِ ، تِلْميذِ البُوَيْطيّ رحمهُ اللهُ : أَنَّ الثَّعْلَبَ حَرامٌ .

وَكَرِهَ أَبُو حَنيفَةَ وَمَالِكٌ أَكْلَهُ ؛ وَأَكْثَرُ الرِّواياتِ عن أَحمد تَحْرِيمُهُ ، لأَنَّهُ سَبُعٌ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[2] : « أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ » . قَالَ الشَّاعِرُ[3] : [من السَّريع]

كُلُّ خليلٍ كُنْتُ خَالَلْتُهُ ... لا تَرَكَ اللهُ لَهُ واضِحَهْ

كُلُّهُمُ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ ... ما أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَهْ

● وَفِي « المُجالسة » للدِّيْنَوَرِيِّ[4] : أَنَّ عُمرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ وهو على المِنْبَرِ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف : ١٣]

---

(١) ترجمته في : وفيات الأعيان ٣/ ١٧٨ وسير أعلام النُّبلاء ١٧/ ٤٣٧ والوافي بالوفيات ١٩/ ١٤٩ .

(٢) أمثال السدوسي ٥٠ والدّرّة الفاخرة ١/ ٢٠٩ و ٢/ ٤٤١ والميداني ١/ ٣١٧ والعسكري ١/ ٤٧٣ و ٥٠٠ والزمخشري ١/ ١٤٥ .

(٣) هو طرفة بن العبد ، والبيتان في ديوانه ١١٨ وثمار القلوب ١/ ٥٥٩ .

(٤) المجالسة ٣/ ٤١٣ ـ ٤١٤ .

ولَمْ يَروغُوا رَوَغانَ الثَّعالِبِ ؛ وفي رِوايَةٍ : الثَّعْلَبِ .

● وَفِي « شُعَبِ البَيْهَقِيِّ » و« أَمْثالِ العَسْكَرِيِّ »[1] عَنِ الحَسَنِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَثَلُ الَّذِي يَفِرُّ مِنَ الموتِ ، كَالثَّعْلَبِ تَطْلُبُهُ الأَرْضُ بِدَيْنٍ ، فَجَعَلَ يَسْعَى ، حتَّى إِذا أَعْيا وانْبَهَرَ ، دَخَلَ جُحْرَهُ ، فقالَتْ لَهُ الأَرْضُ : يا ثَعْلَبُ دَيْنِي دَيْنِي ، فَخَرَجَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حتَّى انْقَطَعَتْ عُنُقُهُ فَمَاتَ » .

وَقَالُوا[2] : « أَذَلُّ مِمَّن بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعالِبُ » يُضْرَبُ لِمَنْ يُسْتَذَلُّ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

و« أَدْهَى مِنْ ثَعْلَبٍ » و« أَعْطَشُ من ثُعالة »[3] ؟ قَالَ حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ[4] :

[من الطَّويل]

أَلَمْ تَرَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ عامِرٍ ... مِنَ الوُدِّ قَدْ بالَتْ عَلَيْهِ الثَّعالِبُ

وَأَصْبَحَ صافِي الوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ ، وَالدَّهْرُ فِيهِ عَجائِبُ

الخَواصُّ[5] : رَأْسُهُ إِذا تُرِكَ في بُرْجِ حَمامٍ ، هَرَبَتْ كُلُّها .

ونابُهُ يُشَدُّ على الصَّبيِّ الَّذِي بِهِ رِيحُ الصِّبْيَانِ ، يَذْهَبُ عنهُ ، ولا يَفْزَعُ فِي

---

(١) شعب الإيمان ٧/ ٣٨٨ رقم (١٠٦٩٥) . وليس للحديث ذكر في جمهرة الأمثال للعسكري .

(٢) الدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٠٣ و ٢٠٦ والميداني ١/ ٢٨٤ والزمخشري ١/ ١٣٦ وزهر الأَكم ١/ ٢٠٧ .

(٣) الدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٩٧ و ٣٠٩ والميداني ٢/ ٤٩ والعسكري ٢/ ٧٠ والزَّمخشري ١/ ٢٤٨ .

(٤) ليسا في ديوانه (ميمني) ، وهما له في الميداني ١/ ٢٨٤ وزهر الأكم ١/ ٢٠٧ وديوانه ٣٦ (بيطار) . وهما لعمرو بن الأَهتم في ديوانه ٧٩ .

(٥) عجائب المخلوقات ٢٥٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٤٣ ـ ٤٤ وتذكرة داود ١/ ١٠٠ ومفردات ابن البيطار ١/ ١٥٠ والمستطرف ٢/ ٤٦١ .

نَوْمِه ، وَتَحْسُنُ أَخْلاقُهُ .

وَمَرارَتُهُ إذا نُفِخَتْ في أَنْفِ المَصْرُوعِ ، لا يُصْرَعُ أَبَداً .

وَلَحْمُهُ يَنْفَعُ مِنَ اللُّوقَةِ والجُذَامِ .

وَشَحْمُهُ يُذَابُ وَيُطْلَى على مَنْ بِهِ النِّقْرِسُ ، يَزُولُ وَجَعُهُ في الحالِ .

وَخُصْيَتُهُ تُشَدُّ على الصَّبيِّ ، فَتَنْبُتُ أَسْنانُهُ بِغَيْرِ أَلَمٍ .

وَفَرْوُهُ أَنْفَعُ شَيْءٍ للمَرطوبينَ بَخوراً وَلُبْساً .

وَدَمُهُ إذا طُلِيَ بِهِ رَأسُ صَبِيٍّ ، نَبَتَ شَعْرُهُ ، وإِنْ كَانَ أَقْرَعَ .

وإِذا اسْتَصْحَبَ دَمَهُ إِنْسَانٌ ، لا تُؤَثِّرُ فِيهِ حِيْلَةُ مُحْتَالٍ .

وَرِئَتُهُ إذا سُحِقَتْ وَشُرِبَتْ ، نَفَعَتْ مِنَ الرِّيحِ والرَّبْوِ .

وَأَنْيَابُهُ إذا عُلِّقَتْ على المَصْرُوعِ ، بَرِىءَ .

وَطُحالُهُ إذا شُدَّ على ذِي الطُّحَالِ الوَجِعِ ، أَبْرَأَهُ .

وَقَالَ هِرْمِسُ : مَنْ أَمْسَكَ كُلْيَتَي الثَّعْلَبِ بِيَدِهِ ، لَمْ يَخَفِ الكِلابَ ، وَلَمْ تَنْبَحْ عَلَيْهِ .

وَأُذُنُهُ إذا عُلِّقَتْ على الخَنازِيرِ التي في العُنُقِ ، أَبْرَأَتْها .

وَشَحْمُهُ إذا أُذِيبَ وَقُطِّرَ في الأُذُنِ الوَجِعَةِ ، سَكَّنَ وَجَعَها .

وَذَكَرُهُ يَنْفَعُ مِنَ الصُّدَاعِ ، إذا عُلِّقَ علىٰ الرَّأْسِ .

وَمَرارَتُهُ إذا طُلِيَ بِها الذَّهَبُ ، يَصِيرُ لَوْنُهُ لَوْنَ النُّحَاسِ .

وَخُصْيَتُهُ تَنْفَعُ مِنَ الوَرَمِ الكائِنِ عندَ الأذنينِ ، إذا دُلِكَ بها .

وَكَبِدُهُ إذا سُقِيَ منهُ وَزْنُ مِثْقَالٍ بِشَرابٍ مَنْ بِهِ وَجَعُ الطُّحالِ ، أَبْرَأَهُ من سَاعَتِه .

وَشَحْمُهُ إذا طُلِيَ بِهِ أَطْرافُ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ ، أَمِنَتْ مَضَرَّةَ البَرْدِ .

وَدِماغُهُ إِذا خُلِطَ بِوَرْسٍ ، وَطُلِيَ بِهِ الرَّأْسُ ، أَذْهَبَ القَرَعَ والحَزازَ والبُثُورَ وسُقُوطَ الشَّعْرِ .

وَقَضِيبُهُ إِذا عُلِّقَ على الصَّبيِّ الَّذِي يَبْكِي بِاللَّيْلِ وَيفْزَعُ ، يَذْهَبُ عنهُ ذَلِكَ ؛ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ النَّابُ .

وَشَحْمُهُ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ البَرَاغِيثُ حَيْثُ كَانَ .

وَخُصْيَتُهُ إذا جُفِّفَتْ ، وَسُقِيَ مِنْها رَجُلٌ وَزْنَ دِرْهَمٍ ، زَادَ في الجِماعِ والإِنْعاظِ .

وَزِبْلُهُ يُسْحَقُ بِدُهْنِ وَرْدٍ ، وَيُطْلَى بِهِ الإِحْلِيلُ وَقْتَ الجِماعِ ، يَزِيدُ فِيهِ مَا شَاءَ .

وَفِي كِتابِ « الإِبْدال » : إِنْ طَلَبْتَ شَحْمَ الثَّعْلَبِ فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَبَدِّلْهُ شَحْمَ الذِّئْبِ .

التَّعبيرُ[١] : الثَّعْلَبُ في المَنامِ : امرأَةٌ ؛ فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يُلاعِبُ ثَعْلَباً ، فإِنَّ لَهُ امرأَةً يُحِبُّها وَتُحِبُّهُ .

وَقِيلَ : الثَّعْلَبُ رجلٌ ذو مَكْرٍ وخَديعَةٍ ، فَمَنْ نازَعَهُ فإِنَّهُ يُنازِعُ غَريماً كَذَلِكَ .

وَأَكْلُ لَحْمِهِ يَدُلُّ على وَجَعٍ يُصِيبُ الآكِلَ مِنَ الرِّيَاحِ وَيَبْرَأُ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ عَدُوٌّ من قِبَلِ سُلْطانٍ .

وَقَالَتِ اليَهُودُ : إِنَّهُ يَدُلُّ على الطَّبيبِ أَوِ المُنَجِّمِ .

وَقَالَتِ النَّصارَى : مَنْ قَتَلَ ثَعْلَباً ، فإِنَّهُ يُصِيبُ امرأَةً عَزيزةً .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٨ وتفسير الواعظ ٢٩٠ .

وَقِيلَ : مَنْ قتَلَ ثَعْلَباً ، قتَلَ وَلَدَ رَجُلٍ شَريفٍ ، وَمَنْ شَرِبَ لَبَنَ ثَعْلَبٍ ، شُفِيَ من مَرَضٍ .

وَقِيلَ : مَنْ نازَعَ ثَعْلَباً في نَوْمِهِ ، خاصَمَ بَعْضَ أَهْلِهِ أَوْ أَصْدِقائِهِ ؛ وَاللهُ تَعالى أَعْلَمُ .

١٢٦ الثُّفاءُ : بالثَّاءِ المُثَلَّثَةِ ، وَبالفاءِ ، والأَلِفِ في آخِرِهِ : السِّنَّوْرُ البَرِّيّ ؛ وَهُوَ قَريبٌ مِنَ الثَّعْلَبِ ، على شَكْلِ السِّنَّوْرِ الأَهْليّ ؛ وَسَيَأْتي في بابِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

١٢٧ الثَّقَلانُ : الإِنْسُ وَالجِنُّ ؛ سُمِّيَا بِذَلِكَ لأَنَّهُما ثَقَلا الأَرْضِ . وَقِيلَ : لِشَرَفِهِما ، وَكُلُّ شَريفٍ يُقالُ لَهُ : ثَقَلٌ . وَقِيلَ : لأَنَّهُما مُثْقَلانِ بالذُّنُوبِ .

١٢٨ الثَّلْجُ : فَرْخُ العُقابِ ؛ قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

١٢٩ الثَّنِيُّ : الَّذي يُلْقِي ثَنِيَّتَهُ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ في ذَوَاتِ الظِّلفِ والحافِرِ في السَّنَةِ الثَّالِثَةِ ، وَفِي ذِي الخُفِّ في السَّنَةِ السادسَةِ ، والجَمْعُ ثِنْيان وَثَنايا ، والأُنْثَى ثَنِيَّةٌ ، والجَمْعُ ثَنِيَّاتٌ .

١٣٠ الثَّوْرُ : الذَّكَرُ مِنَ البَقَرِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عِجْلٍ ؛ والأُنْثَى ثَوْرَةٌ ، والجَمْعُ ثِوَرَةٌ وَثِيْرانٌ وَثِيَرَةٌ .

قَالَ سِيبَوَيه : قَلَبُوا الواوَ ياءً حَيْثُ كانَتْ بعدَ كَسْرَةٍ . قَالَ : وَلَيْسَ هَذَا بِمُطَّرِدٍ .

وَقَالَ المُبرِّدُ : إِنَّما قَلَبُوا ثِيَرَةً ، لِيُفَرِّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ثِوَرَةِ الأَقِطِ ، وَبَنَوْهُ على فِعَلَةٍ ثُمَّ حَرَّكُوهُ[١] .

---

(١) عن الصِّحاح « ثور » ٢/٦٠٦ .

وَسُمِّيَ الثَّوْرُ ثَوْراً ، لأَنَّهُ يُثِيرُ الأَرْضَ ؛ كَما سُمِّيَتِ البَقَرَةُ بَقَرَةً ، لأَنَّها تَبْقَرُها .

● قَالَ في « الإِحياءِ »[1] : نَظَرَ أَبُو الدَّرداءِ إِلى ثَوْرين يَحْرُثَانِ في قَرَنٍ ، فَوَقَفَ أَحَدُهُما يَحُكُّ جِسْمَهُ ، فَوَقَفَ لهُ الآخَرُ ؛ فَبَكَى أَبُو الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنه ، وَقَالَ : هَكَذَا الإِخْوانُ في اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، يَعْمَلانِ للهِ تَعالَى ، فإذا وَقَفَ أَحَدُهما وَافقَهُ الآخَرُ ، وَبالمُوافقَةِ يَتِمُّ الإِخْلاصُ ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُخْلصاً في إِخائِهِ فهوَ مُنافِقٌ ، والإِخْلاصُ اسْتِواءُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، والقَلْبِ واللِّسَانِ .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ وَهْبُ بن مُنَبِّه : كَانَتِ الأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ تَذْهَبُ وَتَجِيءُ ، فَخَلَقَ اللهُ تَعالَى مَلَكاً في غايَةِ العِظَمِ والقُوَّةِ ، وأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ تَحْتها ويَجْعَلَها على مِنْكَبَيْه ، فَفَعَلَ ، وَأَخْرَجَ يَداً مِنَ المَشْرِقِ ويَداً مِنَ المَغْرِبِ ، وَقَبَضَ على أَطْرافِ الأَرْضِ فأَمْسَكَها ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لِقَدَمَيْهِ قَرارٌ ، فَخَلَقَ اللهُ تَعالَى صَخْرَةً من ياقُوتَةٍ حَمراءَ ، في وَسَطِها سبعةُ آلافِ ثُقْبَةٍ ، يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ ثُقْبَةٍ بَحْرٌ لا يَعْلَمُ عِظَمَهُ إِلاَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ أَمَرَ الصَّخْرَةَ فَدَخَلَتْ تَحْتَ قَدَمَيْ المَلَكِ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ للصَّخْرَةِ قَرارٌ ، فَخَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَوْراً عَظِيماً ، لَهُ أَربعةُ آلافِ عَيْنٍ ، وَمثلها آذانٌ ، ومثلُها أُنوفٌ وأَفْواهٌ وأَلْسِنَةٌ وقَوائِمُ ، ما بَيْنَ كُلِّ اثنتينِ منها مَسيرَةُ خَمسمئةِ عامٍ ، وَأَمَرَ اللهُ تَعالَى هَذَا الثَّوْرَ ، فَدَخَلَ تَحْتَ الصَّخْرَةِ ، فَحَمَلَها على ظَهْرِهِ وَقَرْنِهِ ـ واسْمُ هَذَا الثَّوْرِ كيوثا ـ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لِلثَّوْرِ قَرارٌ ، فَخَلَقَ اللهُ تَعالَى حُوتاً عَظِيماً ، لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ ينظرَ إِلَيْهِ لِعِظَمِهِ وَبَرِيقِ عَيْنَيْهِ وَكِبَرِهما ، حتَّى قِيلَ : إِنهُ لَوْ وُضِعَتِ البِحارُ كُلُّها في إِحْدَى مَناخِرِهِ لَكانَتْ كَخَرْدَلَةٍ في فَلاةٍ ؛ فأَمَرَ اللهُ تَعالىٰ ذَلِكَ الحوتَ أَنْ يَكُونَ قَراراً لِقَوائِمِ هَذَا الثَّوْرِ ـ واسْمُ هَذَا الحُوتِ بَهموت ـ ثُم جَعَلَ قَرارَهُ المَاءَ ، وَتَحْتَ الماءِ هَواءٌ ، وَتَحْتَ الهَواءِ مَاءٌ ،

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٦٠ .

وَتَحْتَ الماءِ ظُلُماتٌ ، ثُمَّ انْقَطَعَ عِلْمُ الخَلائِقِ عَمَّا تَحتَ الظُّلماتِ[1] .

هَكَذَا نَقَلَهُ القاضِي شِهابُ الدِّينِ بن فَضْلِ اللهِ ، في كِتابِ « مَسالِكِ الأَبْصارِ في مَمالِكِ الأَمْصارِ » في الجُزْءِ الثَّالثِ والعشرين منهُ .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : روى « مُسلم » في « كِتابِ الطَّهارِ »[2] و« النَّسائيّ » في : « عِشْرَةِ النِّسَاءِ » عن ثَوبان : « إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ حِينَ يَدْخُلُونَها ، يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الجَنَّةِ ، الَّذي كان يَأْكُلُ مِنْ أَطْرافِها ، وَيَأْكُلُونَ مِنْ زِيادَةِ كَبدِ الحُوتِ »

وَرَوَى هَنَّادُ بن السَّرِيّ ، وابْنُ إسحاق بإِسْنادٍ حَسَنٍ : « أَنَّ الشُّهداءَ حِينَ يَدخلونَ الجَنَّةَ ، يَخْرُجُ عَلَيْهم حُوتٌ وَثَوْرٌ مِنَ الجَنَّةِ لِغَدائِهِم ، فَيَلْعَبَانِ حتى إِذا كَثُرَ عَجَبُهُمْ مِنْهُما ، طَعَنَ الثَّوْرُ الحُوتَ بِقَرْنِهِ ، فَبَقَرَهُ لَهُمْ كَمَا يَذْبَحُونَ ؛ ثُمَّ يَروحانِ عليهم أَيضاً لِعَشائِهِم ، فَيَلْعَبَانِ ، فَيَضْرِبُ الحُوتُ الثَّوْرَ بِذَنَبِه ، فَيَبْقَرُهُ كَما يَذْبحون » .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ : وَفِي هَذَا الحديثِ مِنْ بابِ التَّفَكُّرِ والاعْتِبَارِ ، أَنَّ الحُوتَ لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ قَرارُ هَذِهِ الأَرْضِ ، وهو حَيوانٌ سابحٌ ، اسْتَشْعَرَ أَهْلُ هَذِهِ الدَّارِ أَنَّهُمْ في مَنْزِلِ قُلْعَةٍ وبَوارٍ ، وَلَيْسَتْ بدارِ قَرارٍ ، فإذا نُحِرَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ ، فأَكَلُوا مِنْ كَبدِهِ ، كَانَ في ذَلِكَ إِشْعارٌ لَهُمْ بالرَّاحَةِ مِنْ دَارِ الزَّوالِ ، وَأَنَّهُم قَدْ صَارُوا إِلى دَارِ القَرارِ ؛ كَمَا يُذْبَحُ لَهُمُ الكَبْشُ الأَمْلَحُ على الصِّراطِ ، لِيَعلَمُوا أَنَّهُ لا مَوْتَ ولا فَناءَ .

وَأَمَّا الثَّوْرُ فهو آلَةُ الحَرْثِ ، وَأَهْلُ الدُّنْيا لا يَخْلُونَ من أَحَدِ هذينِ الحَرْثَيْنِ ، حَرْثٍ لَدُنْياهم ، وحَرْثٍ لأُخْراهُم ؛ فَفِي نَحْرِ الثَّوْرِ هُنالِكَ إِشْعارٌ بِراحَتِهم من الكَدَّيْنِ ، وَترفيههم من نَصَبِ الحَرْثَيْنِ .

---

(١) حديث خُرافةٍ يا أُمَّ عمرو ! .

(٢) مسلم (٣١٥) .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى**[١] : رَوَى البُخاريُّ في « بَدْءِ الخَلْقِ »[٢] عن أبي هُريرة رضِي الله تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « الشَّمْسُ والقَمَرُ مُكَوَّرانِ يَوْمَ القِيامَةِ » . انْفَرَدَ بِهِ البُخاريُّ .

وَقد رَواهُ الحافِظُ أَبُو بَكْرٍ البَزَّارُ بأَبْسَطَ مِنْ هَذَا السِّياقِ ، فَقَالَ : حَدَّثَنا إبراهيم بن زِياد البَغداديّ ، حَدَّثنا يُونُس بن محمَّد ، حَدَّثنا عبدُ العَزيزِ بن المُختارِ ، عن عبدِ اللهِ الدَّاناج ، قَالَ : سمعتُ أَبَا سَلَمَةَ بن عبد الرَّحمن زَمَنَ خالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْريِّ في هَذَا المَسْجِدِ مَسْجِدِ الكُوفَةِ ، وَجَاءَ الحَسَنُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ ، فَحَدَّثَ عن أَبي هُريرة رَضِيَ الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ ثَوْرَانِ في النَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ » فقَالَ الحَسَنُ : وما ذَنْبُهُما ؟ فقَالَ : أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ : وما ذَنْبُهُما ؟ .

ثُمَّ قَالَ البزَّارُ : ولا يُرْوَى عن أَبي هُريرةَ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ ، وَلَمْ يَرْوِ عبدُ اللهِ الدَّاناج عن أَبي سَلَمَةَ سِوى هَذَا الحَديثِ .

وَرَوَى الحافِظُ أَبُو يَعْلَى المَوْصِلي[٣] ، من طَرِيقِ دُرُست بن زِياد ، عن يَزيدِ الرّقاشيّ ـ وَهُما ضَعِيفانِ ـ عن أَنَس بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « الشَّمْسُ والقَمَرُ ثَوْرانِ عَقِيْرانِ في النَّارِ » .

وَقَالَ كَعْبُ الأَحْبارِ : يُجاءُ بالشَّمْسِ والقَمَرِ يَوْمَ القِيامَةِ ، كَأَنَّهُما ثَوْرَانِ عَقِيْرانِ ، فَيُقْذَفانِ في جَهَنَّمَ ، لِيَراهُما مَن عَبَدَهُما ، كَمَا قَالَ تَعالَى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] الآية .

وَخَرَّجَ أَبُو داود الطَّيالسيّ ، عن أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الشَّمْسَ

---

(١) بنصِّه في البداية والنِّهاية ١/ ٧٩ ـ ٨١ .

(٢) البخاري ٤/ ٧٥ .

(٣) في مسنده (٤١١٦) .

والقَمَرَ ثَوْرَانِ عَقِيرانِ في النَّارِ » .

وفي « نِهايَةِ الغريب »[1] : قِيلَ : لَمَّا وَصَفَهُما اللهُ تَعالَى بالسِّباحَةِ في قوله تَعالَى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى بِجَعْلِهِما في النَّارِ ، يُعَذِّبُ بِهِما أَهْلَها بحَيْثُ لا يَبْرَحانِ بها ، صارا كَأَنَّهُما ثَوْرَانِ عَقِيرانِ لا يَبْرَحانِ ، كَذَلِكَ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو مُوسى ، وهو كَما تَراهُ .

وَقِيلَ : إِنَّما يُجْمَعانِ في جَهَنَّمَ ، لأَنَّهُما عُبِدا من دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ولا يَكُونُ لَهُما عَذَابٌ ، لأَنَّهُما جَمادٌ ؛ وإِنَّما يُفْعَلُ ذَلِكَ بِهِما زِيادَةً على تَبْكِيتِ الكافِرِينِ وخِزْيِهِم .

وَرَدَّ ابنُ عَبَّاسٍ قَوْلَ كَعْبِ الأَحْبَارِ ، وَقَالَ : اللهُ أَجَلُّ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، وإِنَّما يَخْلُقُهُما يَوْمَ القِيامَةِ أَسْوَدَيْنِ مُكَوَّرَيْنِ ، فإِذا كانا حِيالَ العَرْشِ خَرَّا ساجِدَيْنِ للهِ تَعَالَى ، ويَقُولانِ : إِلَهنا ، قَدْ عَلِمْتَ طاعَتَنا لَكَ ، وَسُرْعَتَنا في المُضِيِّ فِي أَمْرِكَ أَيَّامَ الدُّنْيا ، فلا تُعَذِّبْنا بِعِبادَةِ الكافِرِينَ إِيَّانا ؛ فَيَقُولُ الرَّبُّ تعالَى : صَدَقْتُما ، إِنِّي قَضَيْتُ على نَفْسِي أَنِّي أُبْدِىءُ وأُعِيدُ ، وإِنِّي أُعِيدُكما إِلى مَا بَدَأْتُكما منهُ ، وإِنِّي خَلَقْتُكُما مِنْ نُورِ عَرْشِي ، فارْجِعا إِلَيْه ؛ فَيَخْتَلِطَانِ بنُورِ العَرْشِ ؛ فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلُهُ تعالَى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [البُرُوج : ١٣] .

● وَرَوى أَبُو نُعَيْم فِي تَرجَمَةِ سَعيد بن جُبَيْر ، أَنَّهُ قَالَ[2] : أَهْبَطَ اللهُ تَعالَى إِلى آدَمَ ثَوْراً أَحْمَرَ ، فَكَانَ يَحْرُثُ عَلَيْهِ وَيَمْسَحُ العَرَقَ عن جبينِهِ ؛ وَهُوَ الذي قَالَ اللهُ تَعالَى فِيهِ : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١١٧] فَكَانَ ذَلِكَ شَقاءَهُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ لِحَوَّاءَ : أَنْتِ عَمِلْتِ بي هَذَا ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ من

---

(١) النِّهاية لابن الأثير ٣/ ٢٧٥ .

(٢) حلية الأَولياء ٤/ ٢٨٢ .

وَلَدِ آدمَ يَعْمَلُ على ثَوْرٍ إلاَّ قَالَ : حَوْ . دَخَلَتْ عَلَيْهِ من قِبَلِ آدَمَ .

● وَكانَتِ العَرَبُ إذا أَوْرَدُوا البَقَرَةَ فَلَمْ تَشْرَبْ ، إِمَّا لِكَدَرِ المَاءِ ، أَوْ لِقِلَّةِ العَطَشِ ، ضَرَبُوا الثَّوْرَ ، فَيَقْتَحِمُ المَاءَ ، لأَنَّ البَقَرَ تَتْبَعُهُ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَنَسُ بنُ مُدْرِك في قَتْلِهِ سُلَيْكَ بن سُلَكَةَ[1] : [من البسيط]

إِنِّـي وَقَتْلَـي سُلَيْكـاً ثُـمَّ أَعْقِلَـهُ ... كَـالثَّوْرِ يُضْـرَبُ لَمَّـا عـافَـتِ البَقَـرُ

الأَمْثَالُ : قَالُوا[2] : « الثَّوْرُ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ » والرَّوْقُ : القَرْنُ ؛ يُضْرَبُ في الحَثِّ على حِفْظِ الحَرِيمِ .

● وَفِي « سُنَنِ النَّسائيّ » و« سيرَةِ ابنِ هشام »[3] : أَنَّ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه ، لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخَذَتْهُ الحُمَّى وعامِرَ بن فُهَيْرَة وَبِلالاً .

قَالتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها : فدخلتُ عليهم وهم في بيتٍ واحِدٍ ، فقُلْتُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يا أَبَتِ ؟ فقَالَ[4] : [من الرَّجز]

كُـلُّ امْـرِىءٍ مُصَبَّـحٌ فـي أَهْلِـهِ ... وَالمَـوْتُ أَدْنَـى مـن شِـراكِ نَعْلِـهِ

فَقُلْتُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] إِنَّ أَبي لَيَهْذِي ؛ ثُمَّ قُلْتُ

---

(١) الخبر والبيت في : الأغاني ٢٠/٣٨٧ والشعر والشعراء ١/٣٦٨ والميداني ٢/١٤٢ والزمخشري ٢/٢٠٥ وفصل المقال ٣٨٧ وأمثال أبي عبيد ٢٧٤ .

(٢) الميداني ١/١٥٣ .

(٣) الخبر والأبيات في : سيرة ابن هشام ١/٥٨٨ ـ ٥٨٩ ومسند أحمد ٦/٦٥ وصحيح البخاري ٢/٢٢٤ و ٤/٢٦٤ و ٧/٥و ١١ وتعازي المبرّد ٢٦٦ ـ ٢٦٨ وتاريخ دمشق ١٠/٣١٩ و٣٢٠ ومختصره ٥/٢٥٨ وتعازي المدائني ١٣١ ـ ١٣٢ والعقد الفريد ٥/٢٨٢ وسمط اللآلي ١/٥٥٧ والبداية والنهاية ٤/٥٤٧ و ٥٤٩ و ٥٥٠ وسير أعلام النبلاء ١/٣٥٤ والأزمنة والأمكنة ٢/١٣٢ .

(٤) الشَّطران لحُكَيْم النَّهْشلي ، كما في العقد الفريد ٥/١٨٥ و ٢٨٢ .

لِعامر : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ فقَالَ[1] : [من الرَّجز]

لَقَدْ وَجَدْتُ المَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ وَالمَرْءُ يَأْتِي حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ
كُلُّ امْرِئٍ مُجاهِدٌ بِطَوْقِهِ كَالثَّوْرِ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ

فَقُلْتُ : والله هَذَا مَا يَدْرِي مَا يَقُولُ ؛ ثُمَّ قُلْتُ لِبلالٍ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ فَقَالَ[2] : [من الطَّويل]

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَليلُ
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مِياهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شامَةٌ وَطَفيلُ

قَالَت : ثُمَّ إِنِّي دَخلتُ على رَسُولِ الله ﷺ فَأخبرتُه ، فقَالَ[3] : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنا المَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنا مَكَّةَ ؛ اللَّهُمَّ بارِكْ لَنَا في صاعِنا وَمُدِّنا ؛ اللَّهُمَّ انْقُلْ حُمَّاها إِلى مَهْيَعَة » .

قَوْلُ عامِرٍ : بِطَوْقِهِ ؛ الطَّوْقُ : الطَّاقَةُ . وَقَوْلُ بلالٍ : بِفَخٍّ : هُوَ وادٍ بِمَكَّةَ ، وَمَجَنَّةُ : سوقٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ ؛ وَشامَةٌ وَطَفِيلُ : جَبلانِ مُشْرِفَانِ على مَجَنَّةَ ؛ وقَوْلُهُ ﷺ : « مَهْيَعَة » : الجُحْفَةُ .

وقالَتِ العَرَبُ[4] : « أَزْهَى من ثَوْرٍ » .

وقَالُوا[5] : « إِنَّما أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبْيَضُ » .

● رُوِيَ[5] عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه أَنَّهُ قَالَ : إِنَّما مَثَلِي وَمَثَلُ عُثْمانَ ،

---

(١) الأَشطار لعمرو بن أُسامة ، في الميداني ١/ ١٠ ، وفصل المقال ٤٤٠ .

(٢) البيتان لبلال في مصادر التَّخريج وأَمالي القالي ١/ ٢٤٦ وبهجة المجالس ١/ ٨٠٢ والعقد الفريد ٥/ ٢٨٢ والمستطرف ٢/ ٢٦٣ .

(٣) البخاري ٢/ ٢٢٥ و ٤/ ٢٦٤ و ٧/ ٥ و ١١ ومسلم (١٣٧٦) .

(٤) الدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢١٣ والميداني ١/ ٣٢٧ والزمخشري ١/ ١٥٠ .

(٥) الميداني ١/ ٢٥ والزمخشري ١/ ٤١٧ والعسكري ١/ ٧٠ وأَبو عبيد ١٨٤ .

كَمَثَلِ ثلاثةِ أَثْوارٍ كانَتْ في أَجَمَةٍ ، أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ وأَحْمَرَ ، وَمَعَها فِيها أَسَدٌ ، فَكَانَ لا يَقْدِرُ منها على شَيْءٍ لاجْتِماعِها عليه ؛ فَقَالَ الأَسَدُ للثَّوْرِ الأَسْوَدِ ولِلثَّوْرِ الأَحْمَرِ : إِنَّهُ لا يَدُلُّ عَلَيْنا في أَجَمَتِنا إِلاَّ الثَّوْرُ الأَبْيَضُ ، فإِنَّ لَوْنَهُ مَشْهُورٌ ، وَلَوْنِي على لَوْنِكُما ؛ فَلَوْ تَرَكْتُمانِي آكُلُهُ ، خَلَتْ لَكُما الأَجَمَةُ وَصَفَتْ ؛ فَقالا : دُونَكَ وإِيَّاهُ فَكُلْهُ ؛ فأَكَلَهُ ، وَمَضَتْ مُدَّةٌ على ذَلِكَ .

ثُمَّ إِنَّ الأَسَدَ قَالَ لِلثَّوْرِ الأَحْمَرِ : لَوْنِي على لَوْنِكَ ، فَدَعْنِي آكُلُ الثَّوْرَ الأَسْوَدَ . فقَالَ لَهُ : شَأْنُكَ بِهِ ، فأَكَلَهُ ؛ ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ قَالَ للثَّوْرِ الأَحْمَرِ : إِنِّي آكِلُكَ لا مَحالَةَ ، فقَالَ : دَعْنِي أُنادِي ثلاثَةَ أَصْواتٍ ، فقَالَ : افْعَلْ ؛ فَنادَى : إِنَّما أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبْيَضُ ؛ قَالَها ثَلاثاً ؛ ثُمَّ قَالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : إِنَّما هِنْتُ يَوْمَ قُتِلَ عُثْمانُ رَضِيَ الله عنه ؛ يَرْفَعُ بِها صَوْتَهُ .

وَمِنْ خَواصِهِ : أَنَّهُ إِذا نَزَى الثَّوْرُ على البَقَرَةِ ، ثُمَّ بَالَ بَعْدَ نُزُولِهِ ، فَمَنْ أَخَذَ مِن ذَلِكَ الطِّيْنِ ، وَطَلى بِهِ إِحْلِيلَهُ ، هَيَّجَ الباهَ وأَنْعَظَ .

وَمَثانَتُهُ : إِذا أُخِذَتْ وَجُفِّفَتْ وسُحِقَتْ ، وسُقِيَتْ لِمَنْ يَبُولُ فِي فِراشِهِ بِخَلٍّ وَماءٍ بارِدٍ ، نَفَعَهُ وَأَبْرَأَهُ .

وإِذا وَقَفَ الثَّوْرُ عَنِ السَّيْرِ ، فارْبِطْ خُصْيَتَيْهِ ، فإِنَّهُ يَسِيرُ بِنَشاطٍ ، وَيَنْسَاقُ سَرِيعاً .

وإِذا طُرِحَ في أُذُنِ الثَّوْرِ زِئْبَقٌ ، ماتَ مَكانَهُ .

وإِنْ طُلِيَ مِنْخَرُهُ بِدُهْنِ وَرْدٍ ، صُرِعَ .

وَإِنْ كُتِبَ بِبَوْلِهِ على الحديدِ ، أَثَّرَ فِيهِ حتَّى يُقْرَأَ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ لَهُ خَواصٌّ في « بابِ الباءِ المُوَحَّدة » ، في « البَقَرِ » .

وأَمّا تَعْبِيرُهُ[١] : فإِنَّهُ يَدُلُّ على سَيِّدٍ شَديدِ البَأْسِ ، كَثيرِ النَّفْعِ والعَوْنِ ، مُوافقٍ مِطْواعٍ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على الشَّابِّ الجَميلِ ، لأَنَّهُ من أَسْمائِه .

وَتَدُلُّ رُؤْيَتُهُ أَيْضاً على ثَورانِ الفِتْنَةِ ، أَوِ العَوْنِ على مَا يُذَلِّلُ الأُمُورَ الصِّعابَ ، خُصُوصاً لأَرْبابِ الحَرْثِ والزِّراعَةِ والإِنْشَاءِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ على البَلادَةِ والذُّهُولِ .

وَرُؤْيَةُ الثَّوْرِ الأَبْلَقِ ، فَرَحٌ وَسُرُورٌ ؛ والأَسْوَدِ سُؤْدَدٌ ، أَو شِفاءٌ للمَرِيضِ .

وَرُبَّما دَلَّ الثَّوْرُ على الجُنُونِ ، لأَنَّهُ من أَسْمائِه .

١٣١ الثَّوْلُ : بفَتْحِ الثَّاءِ ، وسُكُونِ الواو : ذَكَرُ النَّحْلِ ، وَقِيلَ : جَماعَةُ النحْلِ ؛ وَعَلَى هَذَا قَالَ الأَصمعيُّ : لا واحِدَ لَهُ من لَفْظِه .

والثَّوَلُ ـ بالتَّحْرِيكِ ـ : جُنُونٌ يُصِيبُ الشَّاةَ ، فلا تَتْبَعُ الغَنَمَ ، وَتَسْتَدِبرُ مَرْتَعَها ؛ وَشَاةٌ ثَوْلاءُ ، وَتَيْسٌ أَثْوَلُ[٢] .

١٣٢ الثَّيْتَلُ : الذَّكَرُ المُسِنُّ مِنَ الأَوْعَالِ[٣] .

وَفِي حديثِ النَّخَعِيِّ[٤] : « في الثَّيْتَلِ بَقَرَةٌ » : يَعْنِي إِذا صادَهُ المُحْرِمُ ، أَو في الحَرَمِ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧٨ وتفسير الواعظ ٢٧٤ .

(٢) الصِّحاح « ثول » ٤/ ١٦٤٩ .

(٣) الصِّحاح « ثتل » ٤/ ١٦٤٥ واللِّسان ١/ ٤٧١ .

(٤) اللِّسان « ثتل » ١/ ٤٧١ .

بابُ الجيم

١٣٣ الجَأْبُ : الأَسَدُ ، والحِمارُ الوَحْشِيُّ الغَليظُ ؛ وَالجَمْعُ : جُؤُوبٌ .

١٣٤ الجارِنُ : وَلَدُ الحَيَّةِ(١) .

١٣٥ الجارِحَةُ : مَا تَعَلَّمَ الاصْطِيادَ مِن كَلْبٍ أَوْ فَهْدٍ أَو بازٍ أَوْ نَحوِ ذلكَ ؛ والجَمْعُ : الجَوارِحُ .

قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة : ٤] سُمِّيَ جارِحَةً ، لأَنَّهُ يَكْسَبُ لِصاحِبِهِ ؛ والجَوارِحُ : الكَواسِبُ . قَالَ تَعالَى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام : ٦٠] أَي ما كَسَبْتُمْ .

١٣٦ الجَامُوسُ : واحِدُ الجَوامِيسِ ؛ فارِسيٌّ مُعَرَّبٌ ؛ وهو حَيوانٌ عِنْدَهُ شَجَاعَةٌ ، وشِدَّةُ بَأْسٍ ؛ وهُوَ مَع ذَلِكَ أَجْزَعُ خَلْقِ اللهِ ، يَفْرَقُ مِنْ عَضِّ بَعُوضَةٍ ، ويَهربُ مِنْها إِلى المَاءِ ؛ والأَسَدُ يَخافُهُ . وهوَ مع شِدَّتِهِ وَغِلَظِهِ ذَكِيٌّ ؛ يُنادِي راعيهِ الإِناثَ : يا فُلانَة يا فُلانَة ، فتَأْتِي إِلَيْهِ المُناداةُ .

وَمِنْ طَبْعِهِ كَثْرَةُ الحَنينِ إِلى وَطَنِهِ .

وَيُقالُ : إِنَّهُ لا يَنامُ أَصْلاً ، لِكَثْرَةِ حِراسَتِهِ لِنَفْسِهِ وَأَوْلادِهِ ، وإِذا اجْتَمَعَتْ ضَربت دائرةً ، وَتَجْعَلُ رُؤُوسَهاخَارِجَ الدَّائِرَةِ ، وَأَذْنابَها إِلى داخِلِها ، والرُّعاةَ وأَولادها من داخِلٍ ، فَتَكُونُ الدَّائِرَةُ كَأَنَّها مَدينةٌ مُسَوَّرَةٌ من صَياصِيْها .

وَالذَّكَرُ منها يُناطِحُ ذَكَراً آخَرَ ، فإِذا غُلِبَ أَحَدُهُما دَخَلَ أَجَمَةً ، فَيُقِيمُ فِيها

---

(١) في الأُصول : الجارف ! . قال ابن سيده في المخصَّص ٨/ ١١١ : الجارن : ولد الحيَّة من أَولاد الأَفاعي .

حَتَّى يَعْلَمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ قَوِيَ ، فَيَخرجُ ويَطلبُ ذَلِكَ الفَحْلَ الَّذِي غَلَبَهُ ، فَيُناطِحُهُ حتَّى يَغْلِبَهُ ويَطْرُدَهُ ؛ وَهُوَ يَنْغَمِسُ في الماءِ غَالِباً إِلى خُرْطُومِهِ .

وَحُكْمُهُ وخَواصُّهُ : كَالبَقَرِ ؛ لَكِنْ إِذا بُخِّرَ البَيْتُ بِجِلْدِ الجامُوسِ ، طَرَدَ منهُ البَقَّ .

وَأَكْلُ لَحْمِهِ يُورِثُ القَمْلَ .

وَشَحْمُهُ إِذا خُلِطَ بِمِلْحٍ أَنْدرانيٍّ ، وَطُلِيَ بِهِ الكَلَفُ والجَرَبُ والبَرَصُ ، أَزالَها وأَبْرَأَها .

وَقَالَ ابْنُ زُهْرٍ نَقْلاً عَنْ أَرَسْطاطاليس : في دِماغِ الجامُوسِ دُودٌ ، مَنْ أَخَذَ مِنهُ شَيْئاً ، وَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ أَو عَلَى غَيْرِهِ ، لَمْ يَنَمْ مَا دَامَ عَلَيْهِ[1] .

التَّعبيرُ[2] : الجامُوسِ في المَنامِ : رَجُلٌ شُجاعٌ جَلْدٌ لايَخافُ أَحَداً ، يَحتملُ أَذَى النَّاسِ فَوْقَ طاقَتِهِ .

فإِنْ رَأَتْ امرأَةٌ أَنَّ لَها قَرْنَ جامُوسٍ ، فإِنَّها تَتَزَوَّجُ مَلِكاً ، وإِلاَّ كانَ ذَلِكَ قُوَّةً وَمَنَعَةً لِقَيِّمِها ؛ واللهُ أَعلمُ .

١٣٧ الجانُّ : حَيَّةٌ بَيْضاءُ ، وَقِيلَ : الحَيَّةُ الصَّغِيرَةُ .

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ [النَّمل : ١٠] وَقَالَ تَعالى في آيَةٍ أُخْرَى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ١٧ ـ ٢٠] وَقَالَ تَعالَى : ﴿ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٠٧ ، والشُّعراء : ٣٢] .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٤٨ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣١ وتذكرة داود ١/ ١٠٣ ومفردات ابن البيطار ١/ ١٥٦ .

(٢) تعبير الرُّؤيا ١٨٤ وتفسير الواعظ ٢٧٥ .

● قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : صارَتْ حَيَّةً صَفْراءَ ، لَها عُرْفٌ كَعُرْفِ الفَرَسِ ، وَصَارَتْ تَتَوَرَّمُ حَتَّى صارَتْ ثُعْباناً ؛ وهوَ أَعْظَمُ مَا يَكُونُ مِنَ الحَيَّاتِ . قَالَ تَعالَى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾ فلمَّا أَلْقَى مُوسى العَصا ، صارَتْ جَانّاً في الابْتِداءِ ، ثُمَّ صارَتْ ثُعباناً في الانْتِهاء .

وَيُقالُ : وَصَفَ اللهُ العَصَا بثَلاثَةِ أَوْصَافٍ : بالحَيَّةِ ، والجانِّ ، والثُّعْبَانِ ؛ لأَنَّها كَانَتْ كَالحَيَّةِ لِعَدْوِها ، وكَالثُّعْبَانِ لابْتِلاعِها ، وكَالجانِّ لِتَحرُّكِها .

قَالَ فَرْقَدُ السَّبْخيّ : كانَ بَيْنَ لَحْيَيْها أَرْبَعُونَ ذِراعاً .

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ والسُّدِّيّ : إِنَّهُ لَمَّا أَلْقَى العَصا ، صارَتْ حَيَّةً عَظيمةً صَفْراءَ شَقْراءَ ، فاغِرَةً فاها ، بَيْنَ لَحْيَيْها ثَمانُونَ ذِراعاً ، وارْتَفَعَتْ مِنَ الأَرْضِ بِقَدْرِ مِيْلٍ ، وَقامَتْ على ذَنَبِها ، واضِعَةً لَحْيَها الأَسْفَلَ في الأَرْضِ ، وَالأَعْلَى على سُورِ القَصْرِ ، وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ فِرْعَوْنَ لِتَأْخُذَهُ .

وَرُوِيَ أَنَّها أَخَذَتْ قُبَّةَ فِرْعَوْنَ بَيْنَ نابَيْها ، فَوَثَبَ فِرْعَوْنُ مِنْ سَرِيرِهِ هارِباً ؛ وَقِيلَ : أَخَذَهُ البَطْنُ في ذَلِكَ اليَوْمِ أَربعمئة مرَّةً[1] ، وَحَمَلَتْ على النَّاسِ فانْهَزَمُوا وصَاحُوا ، ومَاتَ مِنْهُمْ خَمسةٌ وعشرُونَ أَلفاً ، قَتَلَ بعضُهم بَعْضاً .

وَيُقَالُ : كانَتِ العَصَا حَيَّةً لِمُوسَى ، وَثُعْباناً لِفِرْعَوْنَ ، وَجانّاً للسَّحَرَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴾ [طه : ١٨] فَكَانَ يَحْمِلُ عَلَيْها زادَهُ وسِقاءَهُ ، وَكانَتْ تُماشِيهِ وتُحادِثُهُ ؛ وَكَانَ يَضْرِبُ بها الأَرْضَ فَيخرجُ منها مَا يَأْكُلُ يَوْمَهُ ، وَيَرْكزُها فيخرجُ الماءُ ، فإِذا رَفَعَها ذَهَبَ الماءُ ، وَكَانَ يَرُدُّ بها غَنَمَهُ ، وَكانَتْ تَقِيهِ الهوامَّ بإِذْنِ اللهِ تَعالَى ؛ وإِذا ظَهَرَ لَهُ عَدُوٌّ حارَبَتْهُ وناضَلَتْ عنه ، وإِذا أَرادَ الاسْتِقَاءَ مِنَ البِئْرِ صارَتْ شُعْبَتاها كالدَّلْوِ يَسْتَقِي بهِ ، وَكَانَ يَظهرُ

---

(١) في البداية والنِّهاية ٢/ ٦٥ : أَربعين مرَّةً .

على شُعْبَتَيْها نُورٌ كالشَّمْعَتَين تُضيءُ لَهُ وَيَهْتَدِي بها ؛ وإذا اشْتَهَى ثَمرةً من الثِّمارِ ، رَكَزَها في الأَرْضِ فَتُغْصِنُ أَغْصَانُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وتُورِقُ وَرَقَها ، وَتُثْمِرُ ثَمَرَها . قَالَه ابْنُ عبَّاس ، واللهُ أَعلَمُ .

وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ » ، أَنَّ العَصَا كانَتْ من آس الجَنَّةِ ، أُهْبِطَتْ مع آدَمَ إلى الأَرْضِ .

١٣٨ الجَبْهَةُ : الخَيْلُ ؛ وَهُوَ المُرادُ بِقَوْلِهِ ﷺ في حَدِيثِ الزَّكاةِ : « لَيْسَ في الجَبْهَةِ ، ولا في النَّخَّةِ ، ولا في الكُسْعَةِ صَدَقَةٌ » .

وَقِيلَ لِلْخَيْلِ ذَلك لأَنَّها خِيارُ البَهائِمِ ، كَمَا يُقَالُ : وَجْهُ السِّلْعَةِ لِخِيارِها ، وَوَجْهُ القَوْمِ وَجَبْهَتُهُم لِسَيِّدِهم .

والنَّخَّةُ : البَقَرُ العوامِلُ ، مَأْخُوذٌ من النَّخِّ ، وهوَ السَّوْقُ الشَّديدُ .

وَالكُسْعَةُ : الحَميرُ ، مَأْخُوذٌ من الكَسْعِ ، وهو ضَرْبُ الأَدْبَارِ ؛ قَالَهُ الزَّمخشريُّ وغيرُهُ ، واللهُ تَعالَى أَعلَمُ .

١٣٩ الجَثَلَةُ : النَّمْلَةُ السَّوْدَاءُ ؛ وَسَيَأْتِي إن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ النُّونِ » ، في لَفْظِ « النَّمْلَةِ » مَا فِيهِ .

١٤٠ الجَحْلُ : بِتَقْدِيمِ الجِيمِ على الحَاءِ : الحُبَارَى[1] ؛ وَسَيَأْتِي إن شَاءَ اللهُ تَعالَى ؛ وَقِيلَ : هو الحِرْباءُ ؛ وَقِيلَ : الجُعَلُ ؛ وَقِيلَ : هو الضَّبُّ الكَبِيرُ المُسِنُّ ؛ وَقِيلَ : هُوَ اليَعْسُوبُ العَظِيمُ كالجَرادِ ، إذا سَقَطَ لا يَضُمُّ جَناحَيْهِ ؛ والجَمْعُ : جُحولٌ وجُحْلانٌ .

١٤١ الجَحْمَرِشُ : الأَرْنَبُ المُرْضِعُ ، والعَجُوزُ الكَبِيرةُ ، والمرأَةُ الثَّقِيلَةُ السَّمِجَةُ ؛ والجَمْعُ جَحامِرٌ ؛ والتَّصْغِيرُ جُحَيْمِرٌ .

---

(١) لم يذكر أَصحاب المعاجم الحبارى بين معاني الجَحْل ! .

١٤٢ **الجَحْشُ** : وَلَدُ الحِمَارِ الوَحْشِيِّ والأَهْلِيِّ ؛ قِيلَ : وإِنَّما يُسَمَّى بذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْطَمَ ؛ والجَمْعُ : جِحاشٌ وجِحْشَانٌ ، والأُنْثَى : جَحْشَةٌ ؛ وَرُبَّما سُمِّيَ المُهْرُ جَحْشاً ، تَشْبِيهاً بِوَلَدِ الحِمارِ .

والجَحْشُ : وَلَدُ الظَّبْيَةِ في لُغَةِ هُذَيْلٍ .

وَيُقَالُ للرَّجلِ إذا كَانَ مُسْتَبِدّاً بِرَأْيِهِ : جُحَيْشُ وَحْدِهِ ، كَمَا قَالُوا : عُيَيْرُ وَحْدِهِ ؛ يُشَبِّهُونَهُ في ذَلِكَ بِالجَحْشِ والعَيْرِ .

● وَقَالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها[١] : « كَانَ عُمَرُ أَحْوَذِيّاً نَسِيجَ وَحْدِهِ ، وَقَدْ أَعَدَّ لِلأُمورِ أَقْرانَها » .

● وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيّ ، أَنَّ زَيْنَبَ بنت جَحْشٍ أُمَّ المُؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنها ، كَانَ اسْمُها بَرَّةً ، واسْمُ أَبِيها بُرَّة بِالضَّمِّ . وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « لَوْ كَانَ أَبُوكِ مُؤْمِناً لَسَمَّيْتُهُ باسْمِ رَجُلٍ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ ، وَلَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُهُ جَحْشاً ، والجَحْشُ أَكْبَرُ مِنَ البُرَّةِ » .

١٤٣ **الجُخْدَبُ** : بِضَمِّ الجِيمِ ، وَبِالخاءِ المُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ المهملة[٢] ، وَجَمْعُهُ : جَخَادِبُ : ضَرْبٌ مِنَ الجَنادِبِ ، وهوَ الأَخْضَرُ الطَّويلُ الرِّجْلَيْنِ ؛ وَقِيلَ : هُوَ دُوَيْبَّةٌ نَحْوَ العَظَاءِ ، وَيُقَالُ لَهُ : أَبُو جُخادِبُ .

١٤٤ **الجُدْجُدُ** : بِالضَّمِّ : صَرَّارُ اللَّيْلِ ـ قَالَهُ الجَوهريُّ ـ وهو قَفَّازٌ ، وَفِيهِ شَبَهٌ بِالجَرادِ ، والجَمْعُ : الجَداجِدُ[٣] .

وَقَالَ المَيْدانيُّ[٤] : الجُدْجُدُ : ضَرْبٌ من الخَنَافِسِ ، يُصَوِّتُ في

---

(١) النِّهاية لابن الأَثير ٥/ ٤٦ .

(٢) وضمِّها أيضاً .

(٣) الصِّحاح « جدد » ٢/ ٤٥٣ .

(٤) الميداني ٢/ ١٧١ .

الصَّحارَى مِن أَوَّلِ اللَّيْلِ[1] إلى الصُّبْحِ ، فإذا طَلَبَهُ طَالِبٌ لَمْ يَرَهُ ، وَلِذَلِكَ قَالُوا : « أَكْمَنُ من جُدْجُدٍ » .

وَفِي حَدِيثِ عَطاءَ[2] : في الجُدْجُدِ يَمُوتُ في الوَضُوءِ . قَالَ : لا بَأْسَ بِهِ ، وَالوَضُوءُ ـ بِفَتْحِ الواوِ ـ اسْمٌ للماءِ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ ، وبِالضَّمِّ : اسْمٌ لِلْفِعْلِ .

وَسَيَأْتِي ذِكْرُ الجُدْجُدِ في « بابِ الصَّادِ المُهملَةِ » ، في الكَلامِ على « الصَّرَّارِ » .

١٤٥ الجَدَايَةُ : بِكَسْرِ الجِيمِ وَفَتْحِها : الذَّكَرُ والأُنْثَى مِنْ أَولادِ الظِّباءِ ، إذا بَلَغَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَوْ سَبْعَةً ؛ وَخَصَّ بعضُهم بِهِ الذَّكَرَ مِنْها .

قَالَ الأَصمعيُّ[3] : الجِدَايَةُ بِمَنْزِلَةِ العَنَاقِ من الغَنَمِ .

● وَفِي « سُنَنِ أَبِي داود » و« التِّرْمِذِيّ »[4] عَنْ كَلَدَةَ بن حَنْبَلٍ الغَسَّانِيِّ ، وَلَيْسَ لَهُ في الكُتُبِ السِّتَّةِ سِواهُ ، قَالَ : بَعَثَنِي صَفْوَانُ بن أُمَيَّةَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِلَبَنٍ وَجِدَايَةٍ وضَغابيسَ ، والنَّبيُّ ﷺ بأَعْلَى مَكَّةَ ، فَدَخَلْتُ وَلَمْ أُسَلِّمْ ، فَقَالَ : « ارْجِعْ وَقُلْ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ » وَذَلِكَ بَعْدَما أَسْلَمَ صَفْوانُ .

الضَّغابِيسُ : صِغارُ القِثَّاءِ ؛ والجِدَايَةُ : الصَّغِيرُ من الظِّبَاءِ ، ذَكَراً كَانَ أَوْ أُنْثَى .

١٤٦ الجَدْيُ : الذَّكَرُ مِنْ أَولادِ المَعزِ ، وَثَلاثَةُ أَجْدٍ ، فإذا كَثُرَتْ فهيَ

---

(١) في ب والميداني : من الطَّفَل إلى الصُّبح . وهما بمعنى .

(٢) النهاية ١/ ٢٤٤ .

(٣) الصحاح « جدي » ٦/ ٢٢٩٩ .

(٤) أَبو داود (٥١٧٦) والتِّرمذيّ (٢٧١٠) والبخاري في الأَدب المفرد (١٠٨١) والنَّسائي في عمل اليوم واللَّيلة (٣١٥) ومسند أَحمد ٣/ ٤١٤ وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢٠٩ .

الجِداء[١] .

● رَوَى « أَبُو داود »[٢] عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ الله تعالى عنهما : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي ، فَذَهَبَ جَدْيٌ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَتَّقِيهِ .

● وَرَوى « الطَّبرانيُّ » و« البَزَّارُ » ، بِإِسْنادٍ حَسَنٍ ، عن عبدِ اللهِ بن عَمرو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « كَانَ جَدْيٌ في غَنَمٍ كَثيرَةٍ ، تُرْضِعُهُ أُمُّهُ فَتَرْوِيهِ ؛ فانْفَلَتَ يَوْماً ، فَرَضَعَ الغَنَمَ كُلَّها ، ثُمَّ لَمْ يَشْبَعْ » فَقِيلَ : إِنَّ مَثَلَ هَذَا مَثَلُ قَوْمٍ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ ، يُعْطَى الرَّجُلُ مِنْهُمْ ما يَكْفِي القَبيلَةَ أَو الأُمَّة ، ثُمَّ لَمْ يَشْبَعْ .

● وَفِي « صَفْوَةِ الصَّفْوَةِ » وغيرها[٣] ، عن مُجاهِدٍ ، قَالَ : كَانَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عنه يَقُولُ : لَوْ مَاتَ جَدْيٌ بِطَفِّ الفُراتِ ، لَخَشِيْتُ أَنْ يُطالِبَ اللهُ بِهِ عُمَرَ .

الطَّفُّ : اسْمُ مَوْضِعٍ بِناحِيَةِ الكُوفَةِ ، وَأُضِيفَ إِلى الفُراتِ لِقُرْبِهِ منهُ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[٤] : « تَغَدَّ بِالجَدْيِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَشَّى بِكَ » . يُضْرَبُ لِلأَخْذِ بالحَزْمِ .

الخَواصُّ : لَحْمُ الجَدْيِ أَقَلُّ حَرارَةً وَرُطُوبَةً مِنَ الخَرُوفِ ، وأَسْرَعُ مِنَ المَعْزِ هَضْماً ، وأَجْوَدُهُ الجَدْيُ الأَحمرُ والأَزْرَقُ ، وَلَحْمُهُ سَرِيعُ الانْهِضَامِ ، لَكِنَّهُ يَضُرُّ بِأَصْحَابِ القُولَنْجِ ، والعَسَلُ يُذْهِبُ مُضَرَّتَهُ ، وهوَ جَيِّدُ الغِذَاءِ ؛

---

(١) الصحاح « جدي » ٦/ ٢٢٩٩ .

(٢) أَبو داود (٧٠٩) وابن ماجه (٩٥٣) .

(٣) حلية الأَولياء ١/ ٥٣ وصفة الصَّفوة ١/ ١٠٩ وعقلاء المجانين للضرَّاب ٣١ والمجالسة ٣/ ٣٤٨ والتَّذكرة الحمدونيَّة ١/ ١٢٨ .

(٤) الميداني ١/ ١٣٩ .

وَيُكْرَهُ السَّمينُ مِنْ ذُكُورِها وإناثِها ، لِعُسْرِ انْهِضَامِها ورَدَاءَةِ غِذائِها .

وَلُحُومُ المَعْزِ بالجُمْلَةِ نافِعَةٌ لِمَنْ بِهِ الدَّماميلُ والبُثُورُ ، ولَحُومُها في الشِّتَاءِ رَدِيئَةٌ ، وفي الصَّيْفِ جَيِّدَةٌ ، وفي باقِي الفُصُولِ مُتَوَسِّطَةٌ .

التَّعْبيرُ : الجَدْيُ في المَنامِ : وَلَدٌ ؛ فَمَنْ رَأَى جَدْياً مَذْبُوحاً ، فهو مَوْتُ وَلَدٍ .

وَأَكْلُ الجَدْيِ المَشْوِيِّ ، يَدُلُّ على مَوْتِ وَلَدٍ ذَكَرٍ ؛ فإِنْ أَكَلَ منهُ ذِراعَهُ ، نَجا مِنَ الهَلَكَةِ ؛ وإِنْ أَكَلَ منهُ الجَنْبَ اليَسارَ ، فإِنَّهُ يَدُلُّ على هَمٍّ وحُزْنٍ ؛ والنِّصْفُ مِمَّا يَلِي الرَّأْسَ إِلى السُّرَّةِ ، يُعَبَّرُ بالمرْأَةِ والبَناتِ ؛ والنِّصْفُ مِمَّا يَلِي السُّرَّةَ إِلى الرِّجْلَيْنِ ، يُعَبَّرُ بِالبَنينِ .

والذِّراعُ المَشْوِيُّ في المنامِ ـ إِذا كانَ ناضِجاً ـ فهو رِزْقٌ من امرأَةٍ يَمْكُرُ بِها ؛ وإِذَا كَانَ غيرَ ناضِجٍ ، فهو غِيْبَةٌ ونَمِيمَةٌ .

وَيأتِي القَوْلُ فِيهِ في بابِ « الخَرُوفِ » فإِنَّهُ مِثْلُهُ .

١٤٧ **الأَجْدَلُ** : الصَّقْرُ ، صِفَةٌ غالِبَةٌ عَلَيْهِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الجَدْلِ الَّذِي هُوَ الشِّدَّةُ ؛ وهِيَ الأَجادِلُ ، كَسَّرُوهُ تَكْسِيرَ الأَسْمَاءِ لِغَلَبَةِ الصِّفَةِ ؛ وَلِذَلِكَ جَعَلَهُ سِيبوَيْه مِمَّا يَكُونُ صِفَةً في بَعْضِ الكَلامِ ، واسْماً في بَعْضِ اللُّغاتِ ؛ وَقَدْ يُقَالُ لِلأَجْدَلِ : أَجْدَلِيٌّ ، ونَظِيرُهُ أَعْجَمٌ وأَعْجَمِيٌّ[1] ؛ وهوَ مَمْنُوعٌ مِن الصَّرْفِ كَأَخْيَلَ عندَ قَليلٍ ، والأَكْثَرُ أَنَّهُما مَصْرُوفانِ .

الأَمْثَالُ : قَالوا : « بَيْضُ القَطا يَحْضنه الأَجدل » ، يضرب للشَّرِيفِ يؤوي إِلَيْهِ الوَضِيعَ .

١٤٨ **الجَذَعُ** : بِفَتْحِ الجِيمِ والذَّالِ المُعْجَمَةِ ، وهو مِنَ الضَّأْنِ ما لَهُ سَنَةٌ

---

(١) إلى هنا في اللِّسان « جدل » ١/ ٥٧٠ .

تامَّةٌ ، هَذَا هُوَ الأَصَحُّ عندَ أَصْحابِنا ، وهو الأَشْهَرُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ وغَيرِهم .

وَقِيلَ : مَا لَهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ : ما لَهُ سَبْعَةٌ ، وَقِيلَ : ثَمانِيَةٌ ، وَقِيلَ : عشرةٌ ؛ حَكَاهُ القاضِي عِياضٌ ، وهو غَريبٌ .

وقِيلَ[1] : إِنَّ كَانَ مُتَوَلِّداً بَيْنَ شابَّيْنِ ، فَسِتَّةُ أَشْهُرٍ ؛ وإِنْ كَانَ بَيْنَ هَرِمَيْنِ ، فَثَمانِيَةُ أَشْهُرٍ .

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ البادِيَةِ : الإِجْذَاعُ : هُوَ أَنْ تَكُونَ الصُّوفَةُ على الظَّهْرِ قائِمَةٌ ، وإِذا أَجْذَعَ نامَتْ .

والجَذَعُ مِنَ الماعِزِ : مَا لَهُ سَنَتانِ على الأَصَحِّ ؛ وَقِيلَ : سَنَةٌ .

قَالَ الجَوهريُّ[2] : الجَذَعُ قَبْلَ الثَّنِيّ ، والجَمْعُ جُذْعانٌ وجِذاعٌ ؛ والأُنْثَى جَذَعَةٌ ، وَالجَمْعُ جَذَعاتٌ ؛ تَقُولُ لِوَلَدِ الشَّاةِ في السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، وَلِوَلَدِ البَقَرِ والحافِرِ في السَّنَةِ الثَّالِثَةِ ، وللإِبلِ في السَّنَةِ الخامِسَةِ : أَجْذَعٌ ؛ والجَذَعُ : اسْمٌ لَهُ في زَمَنٍ ، وَلَيْسَ بِسِنٍّ تَنبتُ ولا تَسقطُ .

● رَوَى زِرُّ بن حُبَيْشٍ ، عن عبد اللهِ بن مَسعود ، قَالَ[3] : « كُنْتُ غُلاماً يافِعاً ، أَرْعَى غَنَماً لِعُقْبَةَ بْنِ أَبي مُعَيْطٍ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ ، وَقد نَفَرا من المُشْرِكينَ ، فَقَالا : يا غُلامُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينا ؟ فَقُلْتُ : إِنِّي مُؤْتَمَنٌ ، وَلَسْتُ بساقِيكُمَا ؛ فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْها الفَحْلُ ؟ » قُلْتُ : نعم . قَالَ : « فائْتِنِي بِها » .

قَالَ : فَأَتَيْتُهما بها ، فاعْتَقَلَها النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرْعَ ، وَدَعا ، فَجَعَلَ الضَّرْعُ يَحْفَلُ ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ ، فاحْتَلَبَ فيها وشَرِبَ رسُولُ اللهِ

---

(١) هذا قول ابن الأعرابيّ في اللِّسان « جذع » ١/ ٥٧٦ .

(٢) الصِّحاح « جذع » ٣/ ١١٩٤ .

(٣) مسند أحمد ١/ ٤٦٢ .

ﷺ وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ شَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ للضَّرْعِ : « اقْلِصْ » فَقَلَصَ ـ أَي اجْتَمَعَ ـ قَالَ : فأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فقلتُ : عَلِّمْنِي هَذَا القَوْلَ . قَالَ : « إِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ » .

قَالَ : فأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً ، لا يُنازِعُنِي فِيها أَحَدٌ » .

● وَفِي حَدِيثِ المَبْعَثِ[1] ، أَنَّ وَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ قَالَ : يا لَيْتَنِي فِيها جَذَعاً . الضَّمير في « فِيها » للنُّبوَّةِ ؛ أَي : لَيْتَنِي كُنْتُ شابّاً عندَ ظُهورِها ، حتَّى أُبالِغَ في نُصْرَتِها ، وحِمايَتِها . و« جَذَعاً » مَنْصُوباً على الحالِ مِنَ الضَّميرِ في « فيها » تَقْدِيرُهُ : لَيْتَنِي مُسْتَقِرٌّ فِيها جَذَعاً : أَي شابّاً ؛ وَقِيلَ : هُو مَنصوبٌ بإِضمارِ كَانَ ؛ وَضُعِّفَ ذَلِكَ ، لأَنَّ كَانَ النَّاقِصَةَ لا تُضْمَرُ إِلاَّ إِذا كَانَ في الكَلامِ لَفْظٌ ظاهِرٌ يَقْتَضِيها ، كَقَوْلِهِم : إِنْ خَيْراً فَخَيْرٌ ، وإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ . أَي : إِنْ كَانَ خَيْراً فَخَيْرٌ .

● وَرَوَى الحافِظُ الدِّمْياطِيّ ، عن عليّ بن صالح ، قَالَ : كَانَ وَلَدُ عبدِ المُطَّلِبِ عَشَرةً ، ، كُلٌّ منهُم يأْكُلُ جَذَعَةً .

● وَرَوَى أَبُو عُمر بن عبدِ البَرِّ ، في « التَّمْهِيدِ » من طَرِيقٍ صَحِيحٍ[2] : أَنَّ أَعْرابيّاً سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ عن شَجَرَةِ طُوبَى ، فقال له : « هَلْ أَتَيْتَ الشَّامَ ، فإِنَّ فِيها شَجَرَةً يُقَالُ لَها : الجَوْزَةُ » ؛ ثُمَّ وَصَفَها ، ثُمَّ إِنَّ الأَعرابيَّ سَأَلَ عن عِظَمِ أَصْلِها ، فَقَالَ لَهُ : « لَوْ رَكِبْتَ جَذَعةً من إِبلِ أَهْلِكَ ، ثُمَّ طُفْتَ بِها ـ أَو قَالَ : دُرْتَ بِها ـ حتَّى تَنْدَقَّ تَرْقُوتُها هَرَماً ، ما قَطَعْتَها » .

● وَذَكَرَ السُّهيليُّ في « التَّعريفِ والإِعلامِ »[3] : أَنَّ أَصْلَها في قَصْرِ النَّبيِّ

---

(١) البخاري ١/ ٣ و ٦/ ٨٨ و ٨/ ٦٨ ومسلم (١٦٠) ومسند أَحمد ٦/ ٢٢٣ و ٢٣٣ .

(٢) التَّمهيد ٣/ ٣٢٠ و ٣٢١ وترويح أُولي الدّماثة ١/ ٢٦٠ .

(٣) ترويح أُولي الدّماثة ١/ ٢٥٩ .

ﷺ في الجَنَّةِ ، ثُمَّ تَنْقَسِمُ فُرُوعُها على مَنازِلِ أَهْلِ الجَنَّةَ ، كَمَا انْتَشَرَ منهُ العِلْمُ والإِيْمانُ على جَمِيعِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وهَذِهِ الشَّجَرَةُ مِنْ شَجَرِ الجَوْزِ .

١٤٩ الجَرادُ : مَعْرُوفٌ ، الواحِدَةُ جَرادَةٌ ، الذَّكَرُ والأُنْثَى فِيهِ سَواءٌ ؛ يُقَالُ : هَذَا جَرادَةٌ ذَكَرٌ ، وهَذِهِ جَرادَةٌ أُنْثَى ، كَنَمْلَةٍ وَحَمامَةٍ .

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : وهو مُشْتَقٌّ مِنَ الجَرْدِ . قَالُوا : والاشْتِقاقُ في أَسْمَاءِ الأَجْناسِ قَليلٌ جِدّاً ؛ وَيُقَالُ : ثَوْبٌ جَرْدٌ : أَيْ أَمْلَسُ ؛ وَثَوْبٌ جَرْدٌ : إذا ذَهَبَ زِئْبَرُهُ .

وَهُوَ بَرِّيٌّ وبَحْرِيٌّ ؛ والكَلامُ الآنَ في البَرِّيِّ ؛ قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر : ٧] أَي في كُلِّ مَكانٍ ؛ وَقِيلَ : وَجْهُ التَّشْبيهِ أَنَّهم حَيَارَى ، فَزِعُونَ ، لا يَهْتدونَ ، ولا جِهَةَ لأَحَدٍ منهم يَقْصدُها ؛ والجَرادُ لا جِهَةَ لَهُ ، فَيَكُونُ أَبداً بعضُهُ على بعضٍ ؛ وَقَدْ شَبَّهَهم في آيَةٍ أُخْرى بالفَراشِ المَبْثُوثِ ، وَفِيهِم من كُلٍّ هَذَا شَبَهٌ ، وَقِيلَ : إِنَّهم أَوَّلاً كالفَراشِ حِينَ يَمُوجُ بعضهم في بعضٍ ، ثُمَّ كَالجَرادِ إذا تَوَجَّهُوا نحو المَحْشَرِ والدَّاعِي .

وَالجَرادَةُ تُكْنَى بِأُمِّ عَوْفٍ ؛ قَالَ أَبُو عَطاءَ السِّنْديُّ[1] : [من الوافر]

وَمَا صَفْرَاءُ تُكْنَى أُمَّ عَوْفٍ ... كَأَنَّ رُجَيْلَتَيْهَا مِنْجَلانِ

والجَرادُ أَصْنافٌ مُخْتلفَةٌ : فبعضُهُ كَبيرُ الجُثَّةِ ، وبعضُهُ صَغِيرُها ، وبعضُهُ أَحْمَرُ ، وبَعْضُهُ أَصْفَرُ ، وَبَعْضُهُ أَبْيَضُ .

---

(١) ليس البيت لأَبي عطاء ؛ وإنَّما هو لحمَّاد الرّاوية ، وهو جزءٌ من محاورةٍ بينهما لإجبار أَبي عطاء على التّلفّظ بكلماتٍ مثل : زُجّ وجرادة ومسجد بني شيطان ؛ فأَجابه أَبو عطاء بِلُكْنَتِه :
أَردتَ زَرادَةً وأَزُنُّ زَنّاً ... بِأَنَّكَ ما أَردتَ سوى لِساني
(الأَغاني ١٧/ ٣٣١ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٤٧٩ والشِّعر والشعراء ٢/ ٧٦٧ وإِنباه الرُّواة ١/ ٣٣١) . وفي ثمار القلوب ١/ ٤١٠ و ٢/ ٩٩٤ : بين زياد الأَعجم وبعض الشعراء . وانظر البيت في ديوان زياد ١٩٧ .

● وَكَانَ[1] مَسْلَمَةُ بنِ عبدِ المَلِكِ بن مَروان يُلَقَّبُ بالجَرادَةِ الصَّفْراءِ ، وَكَانَ مَوْصُوفاً بالشَّجاعَةِ والإِقْدامِ والرَّأْيِ والدَّهاءِ ؛ وَلِيَ أَرْمِينيَّةَ وأَذْرَبيجان غيرَ مَرَّةٍ وإِمْرَةَ العِراقَيْنِ ؛ وَسَارَ في مئةٍ وعشرين أَلفاً وغَزا القُسْطَنْطينيَّةَ في خِلافَةِ سُلَيْمانَ أَخيهِ .

وَرَوَى عن عُمر بن عبد العزيز ؛ وهو مَذْكُورٌ في « سُنَنِ أَبي داود »[2] .

وَكانَتْ وَفاتُهُ سنةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ومئة .

● وَمِنَ الفوائِدِ عنه[3] : أَنَّهُ لَمَّا حَصَرَ عَمُّوريَّةَ ، حَصَلَ لَهُ صُداعٌ ؛ فَلَمْ يَرْكَبْ في الحَرْبِ ؛ فَقَالَ أَهْلُ عَمُّوريَّةَ للمُسْلِمينَ : ما بالَ أَميرِكم لم يركبِ اليومَ ؟ فقَالُوا : حَصَلَ لَهُ صُداعٌ ؛ فأَخْرَجُوا لَهم بُرْنُساً ، وَقالُوا : أَلْبِسُوهُ إِيَّاهُ لِيَزُولَ عنهُ مَا يَجِدُ ؛ فَلَبِسَهُ مَسْلَمَةُ فشُفِيَ ، فَفَتَقُوهُ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ شَيْئاً ، ثُمَّ فَتَقُوا أَزْرارَهُ فإِذا فيهِ بطاقَةٌ مَكتوبٌ فِيها هَذِهِ الآياتِ : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ [البقرة : ١٧٨] ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ ﴾ [الأنفال : ٦٦] ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ [النِّساء : ٢٨] ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ [الشُّورى : ١ ـ ٢] ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ﴾ [الفرقان : ٤٥] ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ

---

(١) ترجمته في : نسب قريش ١٦٥ ووفيات الأعيان ٦/ ٣٠٣ وسير أعلام النُّبلاء ٥/ ٢٤١ ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٦٣ وتهذيب الكمال ٢٧/ ٥٦٢ وتهذيب التَّهذيب ١٠/ ١٤٤ .

(٢) هو مذكورٌ في سنن أَبي داود (٢٧١٣) والتّرمذيّ (١٤٦١) ومسند أَحمد ١/ ٢٢ .

(٣) الخبر برواية أُخرى في مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٦٦ .

ٱلرَّحِيمِ ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام : ١٣] فَقَالَ المُسْلِمُون : مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا ؟ وإِنَّما أُنْزِلَ على نَبِيِّنا محمَّد ﷺ ! قَالُوا : وَجَدْنَاهُ مَنْقُوشاً في حَجَرٍ في كَنِيسَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيُّكُمْ بِسَبْعمئةِ عامٍ .

● قَالَ الحافِظُ ابْنُ عساكِرٍ[1] : وَيُكتبُ لِلصُّدَاعِ أَيْضاً ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم : ١ ـ ٤] ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾ [الفرقان : ٤٥] ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ كم للهِ مِنْ نِعْمَةٍ على كُلِّ عَبْدٍ شاكِرٍ وغيرِ شاكِرٍ ، وَكَمْ للهِ مِنْ نِعْمَةٍ في كُلِّ قَلْبٍ خاشِعٍ وغيرِ خاشِعٍ ، وَكَمْ للهِ مِنْ نِعْمَةٍ في كُلِّ عِرْقٍ ساكِنٍ وغيرِ ساكِنٍ ؛ اذْهَبْ أَيُّها الصُّدَاعُ بِعِزِّ عِزِّ اللهِ ، وبِنُورِ وَجْهِ اللهِ ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام : ١٣] ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ العَلِيِّ العَظِيم ؛ وَصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا محمَّدٍ خاتمِ النَّبِيِّين والمُرْسَلِين ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

قَالَ : يُكْتَبُ وَيُجْعَلُ على الرَّأْسِ ، فإِنَّهُ نافِعٌ .

قُلْتُ : وهو عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ .

قَالَ : وَمِمَّا جُرِّبَ أَيْضاً لِلصُّدَاعِ : أَنْ تَكْتبَ هَذِهِ الأَحْرُفُ الآتِيَةُ على دَفِّ خَشَبٍ وتَدُقَّ فِيهِ مِسْماراً على حَرْفٍ بَعْدَ حَرْفٍ إلى أَنْ يَسْكُنَ الصُّداعُ ، وَتَقرأَ وأَنْتَ تَدُقُّ ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾ [الفرقان : ٤٥] ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام : ١٣] .

وَهِيَ هَذِهِ الأَحرف ا ح ا ك ك ح ع ح ا م ح وَذَكَرَ لَها خَبَراً اتَّفَقَ لِهارُون الرَّشيد مع بعضِ مُلُوكِ الرُّومِ .

---

(١) لم يرد هذا الخبر في ترجمة مسلمة بن عبد الملك من تاريخ دمشق الكبير .

وَسَيَأْتِي إِن شاءَ الله تعالَى في « السُّوسِ » شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِهَذَا .

● وَالجَرادُ إِذا خَرَجَ مِنْ بَيْضِهِ يُقَالُ لَهُ الدَّبَى ، فإذا طَلَعَتْ أَجْنِحَتُهُ وَكَبُرَتْ فَهُوَ الغَوْغاءُ ـ الواحِدَةُ غَوغاةٌ ، وَذَلِكَ حِينَ يَمُوجُ بَعضُهُ فِي بَعْضٍ ـ فإذا بَدَتْ فِيهِ الأَلْوانُ ، واصْفَرَّتِ الذُّكُورُ واسْوَدَّتِ الإِناثُ ، سُمِّيَ جَراداً حِينئِذٍ[1] .

وهو إذا أَرادَ أَنْ يَبيضَ ، الْتَمَسَ لِبَيْضِهِ المَواضِعَ الصَّلْدَةَ والصُّخُورَ الصُّلْبَةَ التي لا تَعْمَلُ بها المَعاوِلُ ، فَيَضربُها بذَنَبِهِ ، فَتُفْرَجُ لَهُ ، فَيُلْقِي بَيْضَهُ في ذَلِكَ الصَّدْعِ ، فَيَكُونُ لَهُ كالأُفْحوصِ ، وَيَكُونُ حاضِناً لَهُ وَمُرَبِّياً .

ولِلجَرادَةِ سِتَّةُ أَرْجُلٍ ، يَدَانِ في صَدْرِها ، وقائِمَتانِ في وَسَطِها ، ورِجْلانِ في مُؤَخَّرِها ، وَطَرَفا رِجْلَيْها مِنْشَاران .

وَهُوَ من الحَيوانِ الذي يَنْقادُ لِرَئِيسِهِ ، فَيَجْتَمِعُ كَالعَسْكَرِ ، إذا ظَعَنَ أَوَّلُهُ تَتَابَعَ جَمِيعُهُ ظاعِناً ، وإذا نَزَلَ أَوَّلُهُ نَزَل جَميعُهُ ؛ ولُعابُهُ سُمٌّ ناقِعٌ لِلنَّباتِ ، لا يَقَعُ على شَيءٍ منهُ إِلاَّ أَهْلَكَهُ .

● رَوَى « البُخارِيُّ »[2] عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « بَيْنَما أَيُّوبُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يَغْتَسِلُ عُرْياناً ، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرادٍ من ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ يحْثِي في ثَوْبِهِ ؛ فَنادَاهُ اللهُ تَعالَى : يا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى ؟ قَالَ : بَلى يا رَبِّ ، ولكنْ لا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ » .

قَالَ الشَّافعيُّ في هَذَا الحَدِيثِ : نِعْمَ المالُ الصَّالِحُ مَعَ العَبْدِ الصَّالِحِ .

● وَرَوَى « الطَّبرانيُّ » و« البَيْهَقي » عن شُعبة ، عن أَبي زُهيرٍ النُّميريِّ ،

---

(١) في اللِّسان « جرد » ١/ ٥٨٩ : قال أَبو عُبيد : قيل : هو سِرْوَةٌ ، ثمَّ دَبىً ، ثمَّ غَوغاءُ ، ثمَّ خَيْفان ، ثمَّ كُتْفان ، ثمَّ جَرادٌ .

(٢) البخاري ١/ ٧٣ ـ ٧٤ و ٤/ ١٢٤ و ٨/ ١٩٧ والنَّسائي (٤٠٩) ومسند أَحمد ٢/ ٢٤٣ و ٣٠٤ و ٤٩٠ و ٥١١ .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَقْتُلُوا الجَرادَ ، فإِنَّهُ جُنْدُ اللهِ الأَعْظَمُ » .

قُلْتُ : هذا ـ وإِنْ صَحَّ ـ أراد بِهِ مَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لإِفْسَادِ الزَّرْعِ وغيره ؛ فإِنْ تَعَرَّضَ لِذَلِكَ جازَ دَفْعُهُ بالقَتْلِ وغَيْرِهِ ؛ وَالجُنْدُ : العَسْكَرُ ، والجَمْعُ أَجنادٌ وجُنودٌ ؛ وَفِي الحديث : « الأَرْواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ » أَي مَجموعةٌ ، كَمَا يُقالُ : أُلوفٌ مُؤَلَّفَةٌ ، وَقناطِيرُ مُقَنْطَرَةٌ .

● ثُمَّ أَسندَ عن ابْنِ عُمر[1] : أَنَّ جَرادَةً وَقَعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فإِذا مَكتوبٌ على جَناحَيْها بالعِبْرَانِيَّةِ : نَحْنُ جُنْدُ اللهِ الأَكْبَرُ ، وَلَنا تِسْعٌ وَتِسعُونَ بَيْضَةً ، وَلَوْ تَمَّتْ لَنا المِئَةُ لأَكَلْنا الدُّنْيَا بما فِيها ؛ فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[2] : « اللَّهُمَّ أَهْلِكِ الجَرادَ ، اقْتُلْ كِبارَها ، وأَمِتْ صِغارَها ، وأَفْسِدْ بَيْضَها ، وَسُدَّ أَفْواهَها عن مَزارِعِ المُسْلِمِينَ وَمَعايِشِهم ، إِنَّكَ سَميعُ الدُّعاءِ » فَجَاءَهُ جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلام ، وَقَالَ : إِنَّهُ قَد اسْتُجِيبَ لَكَ في بَعْضِهِ .

وَكَذَلِكَ أَسْنَدَهُ الحاكِمُ في « تاريخ نَيْسَابُور » أَيضاً .

ثُمَّ أَسْنَدَ الطَّبرانيُّ أَيْضاً عن الحَسَنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهما قَالَ[3] : كُنَّا على مائِدَةٍ نأْكُلُ ، أَنا وأَخِي محمَّد بن الحَنَفِيَّة وَبَنُو عَمِّي عبدُ اللهِ وَقُثَمُ والفَضْلُ أَوْلادُ العبَّاسِ ، فَوَقَعَتْ جَرادَةٌ على المائِدَةِ ، فأَخَذَها عبدُ اللهِ ، وَقَالَ لِي : ما مَكتوبٌ على هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ : سَأَلْتُ أَبي أَميرَ المؤمنين عن ذَلِكَ ، فَقالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عنه ، فَقَالَ لِي : « مَكْتُوبٌ عَلَيْها : أَنا اللهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنا رَبُّ الجَرادِ ورازِقُها ، إِنْ شِئْتُ بَعَثْتُها رِزْقاً لِقَوْمٍ ، وإِنْ شِئْتُ بَعَثْتُها بَلاءً على قَوْمٍ » . فَقَالَ عبدُ اللهِ : هَذَا مِنَ العِلْمِ المَكْنُونِ .

---

(١) المستطرف ٢/ ٤٦٢ .

(٢) سيأتي الدُّعاء ، من رواية ابن ماجه ، بعد قليلٍ .

(٣) الجليس والأنيس ٢/ ٣٦٦ . وقارن بما ورد في الدِّيباج ٤٧ و ٤٨ ومختصر تاريخ دمشق ٥١/٢٩ .

● ثُمَّ أَسْنَدَ أَيْضاً هُوَ وَأَبُو يَعْلى المَوْصِلِيّ ، عن جابر بن عبد الله[1] ، أَنَّ عُمرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه في سنةٍ من سِنِيِّ خِلافَتِه ، فَقَدَ الجَرادَ ، فاهْتَمَّ لِذَلِكَ هَمَّاً شَديداً ، فبَعَثَ إلى اليَمَنِ راكِباً ، وإِلى الشَّامِ راكِباً ، وإِلى العِراقِ راكِباً ؛ كُلٌّ يَسْأَلُ : هَلْ رَأَوا الجَرادَ ؟ فأَتاهُ الرَّاكِبُ الَّذِي سَارَ إِلى اليَمَنِ بِقَبْضَةٍ منهُ ، فنَثَرَها بَيْنَ يَدَيْه ، فلَمَّا رَأَى عُمرُ الجَرادَ كَبَّرَ ، وقَالَ سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ[2] : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ أَلْفَ أُمَّةٍ ، سِتَّمئةٍ مِنْهَا في البَحْرِ ، وأَربعمئةٍ في البَرِّ ؛ وإِنَّ أَوَّلَ هَلاكِ هَذِهِ الأُمَمِ الجَرادُ ، فإِذا هَلَكَ الجَرادُ تَتَابَعَتِ الأُمَمُ مثلَ النِّظَامِ إِذا قُطِعَ سِلْكُهُ » .

ورَواهُ ابنُ عَدِيّ في تَرجمةِ محمَّد بن عِيسى العَبْدِيّ ؛ وَذَكَرَهُ الحَكِيمُ التِّرمذيُّ في « نَوادِرِهِ » وَقَالَ : إِنَّما صَارَ الجَرادُ أَوَّلَ هَذِهِ الأُمَمِ هَلاكاً ، لأَنَّهُ خُلِقَ من الطِّيْنَةِ الَّتِي فَضَلَتْ مِنْ خَلْقِ آدَمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وإِنَّما تَهلكُ الأُمم بِهلاكِ الآدَمِيِّين ، لأَنَّها سُخِّرَتْ لَهُم .

وَهُوَ في « الكامِلِ » و « المِيزانِ » في ترجمةِ محمَّد بن عِيسى بن كِيسَان .

● وفي « الحِليَةِ » في تَرجمَةِ حَسَّان بن عَطِيَّة[3] : قَالَ الأَوزاعِيّ : حَدَّثَنِي حَسَّانُ ، قَالَ : إِنَّما مَثَلُ الشَّياطِينِ في كَثْرَتِهم ، كَمَثَلِ رَجُلٍ دَخَلَ زَرْعاً فِيهِ جَرادٌ كَثيرٌ ، فَكُلَّما وَضَعَ رِجْلَهُ تَطايَرَ الجَرادُ يَمِيناً وشِمالاً ؛ وَلَوْلا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ غَضَّ البَصَرَ عنهم ، ما رُؤِيَ شيءٌ إِلاَّ وَعَلَيْه شَيْطَانٌ .

● وَفِيْها في تَرْجَمَةِ يَزيد بن مَيْسَرَة ، قَالَ[4] : كَانَ طَعامُ يَحْيَى بن زَكريَّا

---

(١) ميزانُ الاعتدال ٣/ ٦٧٧ ولسان الميزان ٥/ ٣٣٢ .
(٢) المستطرف ٢/ ٣٦٣ .
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٧٥ .
(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٣٨ والمستطرف ٢/ ٤٦٣ .

عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ الجَرادَ وَقُلُوبَ الشَّجَرِ ؛ وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ أَنْعَمُ منكَ يا يَحْيَى ، وطَعامُكَ الجَرادُ وقُلُوبُ الشَّجَرِ ؟ ! .

● وفي[1] الجَرَادِ خِلْقَةُ عَشَرَةٍ من جَبابِرَةِ الحَيوانِ مع ضَعْفِهِ : وَجْهُ فَرَسٍ ، وعَيْنا فِيْلٍ ، وعُنُقُ ثَوْرٍ ، وَقَرْنا إِيَّلٍ ، وصَدْرُ أَسَدٍ ، وبَطْنُ عَقْرَبٍ ، وَجَناحا نَسْرٍ ؛ وَفَخِذَا جَمَلٍ ، ورِجْلا نَعامَةٍ ، وَذَنَبُ حَيَّةٍ .

● وَقَدْ أَحْسَنَ القاضِي مُحيي الدِّين الشَّهرزُوريّ في وَصْفِ الجَرَادِ بِذَلِكَ في قَوْلِهِ[2] : [من الطَّويل]

لَهـا فَخِـذَا بَكْـرٍ وسَـاقَـا نَعـامَـةٍ   وَقـادِمَتـا نَسْـرٍ وجُـؤْجُـؤُ ضَيْغَـمِ
حَبَتْها أَفاعِي الأَرْضِ بَطْناً وأَنْعَمَتْ   عَلَيْها جِيادُ الخَيْلِ بالرَّأْسِ والفَمِ[3]

● وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ ويُسْتَجادُ مِنْ شِعْرِهِ ، قَوْلُهُ يَصِفُ نُزُولَ الثَّلْجِ من الغَيْمِ[4] : [من الوافر]

وَلَمَّـا شـابَ رَأْسُ الـدَّهْـرِ غَيْظـاً   لِمـا قـاسَـاهُ مِـنْ فَقْـدِ الكِـرامِ
أَقَـامَ يُمِيـطُ عَنْـهُ الشَّيْـبَ غَيْظـاً   وَيَنْثُـرُ مـا أَمـاطَ علـى الأَنـامِ

توفِّيَ الشَّهرزوريّ في سَنَةِ سِتٍّ وثَمانين وَخَمسمئة[5] .

● وَلَيْسَ في الحَيوانِ أَكْثَرُ إِفْساداً لِما يَقْتاتُهُ الإِنْسَانُ مِنَ الجَرادِ .

---

(١) المستطرف ٢/ ٤٦٣ والجليسُ والأَنيسُ ٣/ ٢٧٣ ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٣٠٠ وهو من قول شريح القاضي .

(٢) البيتان له في وفيات الأَعيان ٤/ ٢٤٧ وطبقات السّبكيّ ٥/ ١٨٦ وسير أَعلام النُّبلاء ٢١/ ٦١ .

(٣) في ب : . . . أَفاعي الرمل . . . × . .

(٤) البيتان في وفيات الأَعيان ٤/ ٢٤٧ والوافي بالوفيات ١/ ٢١٠ .

(٥) **ترجمته في** : وفيات الأَعيان ٤/ ٢٤٦ وطبقات السُّبكيّ ٦/ ١٨٥ وسير أَعلام النُّبلاء ٢١/ ٦٠ والوافي بالوفيات ١/ ٢١٠ .

● قَالَ الأَصْمَعِيُّ : أَتَيْتُ البادِيَةَ ، فإذا أَعرابيٌّ زَرَعَ بُرّاً لَهُ ، فلمَّا قَامَ على سُوقِهِ ، وَجَادَ سُنْبُلُهُ ، أَتاهُ رِجْلُ جَرادٍ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلا يَدْرِي كَيْفَ الحِيْلَةُ فِيهِ ، فأَنْشَأَ يَقُولُ[1] : [من البسيط]

مَرَّ الجَرادُ على زَرْعِي فَقُلْتُ لَهُ : لا تَأْكُلَنَّ ولا تَشْغَلْ بِإِفْسَادِ
فَقَالَ منهمُ خَطيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ : إِنَّا على سَفَرٍ لا بُدَّ مِنْ زَادِ

● وَقِيلَ لأَعرابيٍّ : أَلَكَ زَرْعٌ ؟ فقَالَ : نَعم ، ولكن أَتانا رِجْلٌ مِنْ جَرادٍ ، بِمِثْلِ مَناجِلِ الحُصَّادِ ، فَسُبْحَان مَنْ يُهْلِكُ القَوِيَّ الأَكُولَ بالضَّعِيفِ المَأْكُولِ .

● فائِدَةٌ : تُكْتَبُ هَذِهِ الكَلماتُ ، وتُجْعَلُ في أُنبوبَةِ قَصَبٍ ، وتُدْفَنُ في الزَّرْعِ أَو في الكَرْمِ ، فَإِنَّهُ لا يُؤْذِيهِ الجَرادُ بإذنِ اللهِ تَعالى ، وهي :

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ، اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آلِ سَيِّدِنا مُحمَّد وسَلِّم ، اللَّهُمَّ أَهْلِكْ صغارَهُمْ ، واقْتُلْ كِبارَهُم ، وأَفْسِدْ بَيْضَهم ، وَخُذْ بَأَفْواهِهِم عَنْ مَعايِشِنا وأَرْزاقِنا ، إِنَّكَ سَميعُ الدُّعاءِ ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٦] اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سَيِّدِنا محمَّدٍ وسَلِّم ، واسْتَجِبْ مِنَّا يا أَرْحَمَ الرَّاحِمين . وهو عَجيبٌ مُجَرَّبٌ .

● وَمِمَّا يُفْعَلُ لِطَرْدِ الجَرَادِ أَيْضاً ، وَقَدْ جُرِّبَ وفُعِلَ فَصَرَفَهُ اللهُ به ؛ وأَخبَرَنِي بِهِ الشَّيْخُ يَحْيَى بن عبدِ اللهِ القُرَشِيِّ ، وَأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ غيرَ مَرَّةٍ ، فَصَرَفَهُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى عَنِ البِلادِ التي هو فِيها وَكَفاهُم شَرَّهُ ، وَأَنَّ بَعْضَ العُلَماءِ أَفادَهُ ذَلِكَ ، وَقَدْ سَمَّاهُ لِي وَذَهَبَ عَنِّي اسمُهُ الآنَ :

أَنَّهُ إِذا وَقَعَ الجَرادُ بِأَرْضٍ ، وأَرَدْت أَنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتَعالَى يَصْرِفُهُ ، فَخُذْ

---

(١) البيتان لأَعرابيٍّ من بني حنيفة ، في بيان الجاحظ ٢/ ١٨٣ وبهجة المجالس ٢/ ١٠٣ . وبلا نسبة في التَّمثيل والمحاضرة ٣٧٤ .

منهُ أَرْبَعَ جَراداتٍ ، واكْتُبْ على أَجْنِحَتِها أَربعَ آياتٍ من كِتابِ اللهِ تَعالَى ، في جَناحِ كُلِّ جَرادَةٍ آيَةً ، ثمَّ تَوَجَّهَ بِها إِلى أَيِّ بَلَدٍ تُسَمِّيها ، وَتَقُولُ لَهُم : انْصَرِفُوا إِلَيْها ؛ على الأُولَى ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] وعلى الثَّانِيَةِ ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ : ٥٤] وعلى الثَّالثَةِ ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [التوبة : ١٢٧] وعلى الرَّابعَةِ ﴿ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

● **الحُكْمُ** : أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ على إِباحَةِ أَكْلِهِ ، وَقد قَالَ عبدُ اللهِ بن أَبي أَوْفَى[1] : غَزَوْنا مع رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَواتٍ نَأْكُلُ الجَرادَ . رَوَاهُ « أَبُو داود » و« البُخاريُّ » وَ« الحافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ » ، وَفِيهِ : وَيَأْكُلُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَنا .

وروى « ابْنُ ماجه » عن أَنسٍ ، قَالَ[2] : كُنَّ أَزواجُ النَّبيِّ ﷺ يَتَهادَيْنَ الجَرادَ في الأَطْبَاقِ .

وفي « المُوَطَّأ » من حَدِيثِ ابْنِ عُمر[3] : أَنَّ عُمرَ سُئِلَ عَنِ الجَرادِ ، فَقَالَ : « وَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي قَفْعَةً آكُلُ مِنْها » .

وَرَوى « البَيْهَقِيّ » عن أَبي أُمامَةَ الباهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ مَريَمَ بنتَ عِمْرانَ عَلَيْها السَّلامُ ، سَأَلَتْ رَبَّها أَنْ يُطْعِمَها لَحْماً لا دَمَ لَهُ ، فأَطْعَمَها الجَرادَ ؛ فَقَالَتْ[4] : اللَّهُمَّ أَعِشْهُ بِغَيْرِ رَضاعٍ ، وتابِعْ بَيْنَهُ بِغَيْرِ

---

(١) البخاري ٦/ ٢٢٣ ومسلم (١٩٥٢) والتِّرمذيّ (١٨٢١ ـ ١٨٢٢) وأَبو داود (٣٨١٢) والنَّسائي (٤٣٥٦ ـ ٤٣٥٧) وحلية الأَولياء ٧/ ٢٤٢ .

(٢) ابن ماجه (٣٢٢٠) .

(٣) الموطأ ٢/ ٩٣٣ (كتاب صفة النَّبيّ ﷺ) والنِّهاية ٤/ ٩١ ، والقَفْعَةُ : شيْءٌ كالزَّبيل من الخوص ، ليس له عُرى ، وقيل : هو شيءٌ كالقُفَّة .

(٤) النِّهاية ٢/ ٥٢٠ . وقال : أَي تابعْ بينَه من غير أَن يُصاحَ بِهِ .

شِياعٍ » . قُلْتُ : يا أَبا الفَضْلِ ، ما الشِّياعُ ؟ قالَ : الصَّوْتُ .

وَتَقَدَّمَ أَنَّ يَحْيَى بن زَكَرِيَّا كَانَ يَأْكُلُ الجَرادَ وقُلُوبَ الشَّجَرِ ؛ يَعْنِي : الَّذِي يَنْبُتُ في وَسَطِها غَضّاً طَرِيّاً ، قبلَ أَنْ يَقْوَى وَيَصْلُبَ ، واحِدُها قُلْبٌ بِالضَّمِّ ، للفَرْقِ ، وَكَذَلِكَ قُلْبُ النَّخْلَةِ .

وَقَالتِ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ : يَحلُّ أَكْلُهُ ، سَواءٌ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ ، أَوْ بِذَكاةٍ أَو باصْطِيادِ مَجُوسيٍّ ، أَوْ مُسْلِمٍ ، قُطِعَ منهُ شَيْءٌ أَمْ لا ؟

وَعَنْ أَحمد رَحمهُ اللهُ : أَنَّهُ إِذا قَتَلَهُ البَرْدُ لَمْ يُؤْكَلْ .

وَمُلَخَّصُ مَذْهَبِ مَالِكٍ : أَنَّهُ إِنْ قُطِعَ رَأْسُهُ حَلَّ ، وإِلاَّ فَلا .

والدَّليلُ على عُمومِ حِلِّهِ قَوْلُهُ ﷺ[1] : « أُحِلَّتْ لَنا مَيْتَتانِ وَدمانِ ، الكَبِدُ والطِّحَالُ ، والسَّمَكُ والجَرادُ » . رَواهُ الإِمامُ الشَّافعيُّ والإِمامُ أَحمدُ والدَّارقُطنيّ والبَيْهَقِيُّ ، من حَديثِ عبدِ الرَّحمنِ بن زَيْدِ بن أَسْلَم ، عَنْ أَبيهِ ، عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما مَرْفُوعاً .

قَالَ البَيْهَقِيُّ : ورُوِيَ عن ابْنِ عُمر مَوقُوفاً ، وهو الأَصَحُّ .

واخْتَلَفَ أَصْحابُنا وغيرُهم في الجَرادِ ، هل هُوَ صَيْدٌ بَرِّيٌّ أَوْ بَحْرِيٌّ ؟ فَقِيلَ : بَحْرِيٌّ ، لِما رَوَى « ابنُ ماجه »[2] ، عن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعا عَلَى الجَرادِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَهْلِكْ كِبارَهُ ، وأَفْسِدْ صِغارَهُ ، واقْطَعْ دابِرَهُ ، وَخُذْ بِأَفْواهِهِ عَنْ مَعايِشِنا وَأَرْزاقِنا ؛ إِنَّكَ سَميعُ الدُّعاءِ » فقالَ رَجُلٌ : يا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ تَدْعُو عل جُنْدٍ من أَجْنادِ اللهِ تَعالَى بِقَطْعِ دابِرِهِ ؟ فَقَالَ ﷺ : « إِنَّ الجَرادَ نَثْرَةُ الحُوتِ من البَحْرِ » أَي عَطْسَتُهُ .

---

(١) ابن ماجه (٣٣١٤) و (٣٢١٨) ومسند أَحمد ٢/ ٩٧ والدارقطني ٤/ ٢٧٢ .

(٢) ابن ماجه (٣٢٢١) والتّرمذيّ (١٨٢٣) .

والمُرادُ أَنَّ الجَرادَ من صَيْدِ البَحْرِ ، يَحِلُّ للمُحْرِمِ أَنْ يَصِيْدَهُ .

وَفِيهِ عن أَبي هُريرةَ ، قَالَ[1] : « خَرَجْنا مع رَسُولِ اللهِ ﷺ في حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ ، فاسْتَقْبَلَنا رِجْلُ جَرادٍ ، فَجَعَلْنا نَضْرِبُهُنَّ بِنِعالِنا وأَسْواطِنا ، فَقَالَ ﷺ : « كُلُوهُ ، فَإِنَّهُ مِنْ صَيْدِ البَحْرِ » .

والصَّحيحُ أَنَّهُ بَرِّيٌّ ، لأَنَّ المُحْرِمَ يجبُ عَلَيْه فِيهِ الجَزاءُ إِذا أَتْلَفَهُ عِنْدَنا ؛ وَبِهِ قَالَ عُمر وعُثمان وابْنُ عُمر وابْنُ عبَّاسٍ وعَطاء .

قَالَ العَبْدَرِيُّ : وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ العِلْمِ كافَّةً ، إِلاَّ أَبا سَعيدٍ الخُدْرِيّ ، فإِنَّهُ قَالَ : لا جَزَاءَ فِيهِ .

وَحَكاهُ ابنُ المنذر عن كَعْبِ الأَحْبَارِ وعُرْوَة بن الزُّبيرِ ، فإِنَّهُم قَالُوا : هو من صَيْدِ البَحْرِ ، لا جَزاءَ فِيهِ ؛ واحْتجَّ لهم بحَديث أَبي المُهَزِّم عن أَبي هُريرة رضي الله تعالى عنه ، قال[1] : أصبنا رِجْلاً من جَرادٍ . فَكَانَ الرَّجُلُ مِنَّا يَضْرِبُهُ بسَوْطِهِ وهو مُحْرِمٌ ؛ فَقِيلَ : إِنَّ هَذَا لا يَصْلُحُ ؛ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « إِنَّما هُوَ من صَيْدِ البَحْرِ » . رَواهُ « أَبُو دَاود » و« التِّرمِذيّ » وغيرُهما ؛ واتَّفَقُوا على ضَعْفِهِ لِضَعْفِ أَبي المُهَزِّم ـ وهو بضَمِّ الميم ، وكَسْرِ الزَّاي ، وَفَتْحِ الهاءِ بَيْنَهما ؛ واسْمُهُ يَزيدُ بن سُفْيان[2] ؛ وسيأْتِي ذِكْرُهُ في حُكْم « النَّعَامَةِ » .

● واحْتَجَّ الجُمْهُورُ بما رَوَاهُ الإِمامُ الشَّافعيُّ ، بإِسْنادِهِ الصَّحيح أَوِ الحَسَنِ ، عن عبدِ اللهِ بن أَبي عَمَّارٍ ، أَنَّهُ قَالَ : أَقبلتُ مع مُعاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه وَكعْبِ الأَحْبَارِ في أُناسٍ ، مُحْرمينَ من بَيْتِ المَقْدِسِ بعُمْرَةٍ ، حتَّى إِذا كُنَّا ببعْضِ الطَّرِيقِ ، وكَعْبٌ على نَارٍ يَصْطَلِي ، فَمَرَّتْ بِهِ رِجْلٌ

---

(١) ابن ماجه (٣٢٢٢) .

(٢) **ترجمته ومصادرها في** : تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٢٧ .

مِنْ جَرادٍ ، فأَخَذَ جَرادَتَين فقَتَلَهُما ، وَكَانَ قَدْ نَسِيَ إِحْرامَهُ ، ثمَّ ذَكَرَ إِحْرامَهُ فَأَلْقاهُما ؛ فلَمَّا قَدِمْنا المَدِينَةَ ، دَخَلَ القَوْمُ على عُمر رَضِيَ اللهُ عنه ، وَدَخَلْتُ معهم ، فقَصَّ كَعْبٌ قِصَّةَ الجَرادَتَيْن على عُمر ؛ فقَالَ : ما جَعَلْتَ على نَفْسِك يا كَعْبُ ؟ فقَالَ : دِرْهَمَيْن . فقَالَ : بَخٍ بَخٍ ، دِرْهَمانِ خَيْرٌ من مِئَةِ جَرادَةٍ ، اجْعَلْ مَا جَعَلْتَ على نَفْسِكَ .

وَبِإِسْنَادِ الشَّافعيِّ وَالبَيْهَقيِّ الصَّحيح ، عَن القاسِم بن محمَّد ، قَالَ : كُنْتُ جالِساً عندَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عن جَرادَةٍ قَتَلَها وهو مُحْرِمٌ ، فقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : فيها قَبْضَةٌ من طَعامٍ ، وَلتَأْخُذَنَّ بِقَبْضَةٍ جَراداتٍ .

قَالَ الإمامُ الشَّافعيُّ رحمهُ اللهُ : أَشارَ بِذَلِكَ إلى أَنَّ فِيها القِيْمَةَ ؛ فالجرادُ وَبَيْضُهُ مَضْمُونانِ بالقِيْمَةِ على المُحْرِمِ ، وفي الحَرَمِ ؛ فَلَوْ وَطِئَهُ عامِداً أَوْ جاهِلاً ضَمِنَ ؛ وَلَوْ عَمَّ الجَرادُ المَسَالِكَ ، وَلَمْ يَجِدْ بُدّاً من وَطْئِه ، فالأَظْهَرُ أَنَّهُ لا ضَمانَ ؛ وقِيلَ : لا ضَمانَ قَطْعاً .

وَيَجُوزُ السَّلَمُ[1] في الجَرادِ والسَّمَكِ حَيّاً ومَيْتاً عندَ عُمُومِ وُجُودِهِما ، وَيُوصَفُ كُلُّ جِنْسٍ بِمَا يَلِيقُ بِهِ .

وَحَكَى الرَّافعيُّ في « بابِ الرِّبا » ثَلاثَة أَوْجُهٍ : أَحَدُها : أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ اللُّحُومِ ؛ قَالَ في « الرَّوْضَةِ » : وهو الأَصَحُّ ؛ وَالثَّانِي : أَنَّهُ من اللُّحُومِ البَرِّيَّاتِ ؛ وَالثالثُ : أَنَّهُ من اللُّحُومِ البَحْرِيَّاتِ .

وَيَظْهَرُ أَثَرُ الخِلافِ في جَوازِ بَيْعِهِ بِلَحْمٍ بَحْرِيٍّ أَو بَرِّيٍّ ؛ وَفِيما لَوْ حَلَفَ لا يَأْكُلُ لَحْماً .

وَحَكَى المُوفَّق بن طاهِر قَوْلاً غَريباً : أَنَّهُ من صَيْدِ البَحْرِ ، لأَنَّهُ يَتَوَلَّدُ من

---

(١) السَّلَم : السَّلَفُ ؛ وهو أَنْ تعطي ذهباً أَو فضَّةً في سلعةٍ معلومةٍ إلى أَمدٍ معلومٍ . (النِّهاية ٢/٣٩٦) .

رَوْثِ السَّمَكِ ؛ وهو شاذٌّ .

الأَمْثَالُ : قَالتِ العَرَبُ : « تَمْرَةٌ خَيْرٌ من جَرادَةٍ »(١) . و« أَطْيَرُ مِنْ جَرادَةٍ »(٢) . وَ« جَاءَ القَوْمُ كَالجرادِ المُنْتَشِرِ »(٣) ، أَيِ مُتَفَرِّقِين . وَ« أَجْرَدُ من الجَرادِ »(٤) . « وَأَغْوَى من غَوْغَاءِ الجَرادِ »(٥) . وَقَالُوا : « كَالجَرادِ لا يُبْقِي ولا يَذَرُ »(٦) . يُضْرَبُ في اشْتِدَادِ الأَمْرِ ، واسْتِئْصَالِ القَوْمِ ، وَقَالُوا : « أَحْمَى من مُجيرِ الجَرادِ »(٧) . وهو مُدْلِجُ بن سُوَيْدٍ الطَّائِيُّ ؛ وَكَانَ مِنْ حَديثِهِ فِيما ذَكَرَ ابْنُ الأَعرابيِّ عن الكَلْبيِّ : أَنَّهُ خَلا ذَاتَ يَوْمٍ في خَيْمَتِهِ فإذا هُوَ بِقَوْمٍ من طَيِّءٍ ومعهم أَوْعِيَتُهُم ، فَقَالَ : ما خَطْبُكُم ؟ قَالُوا : جَرادٌ وَقَعَ بفِنائِكَ ، فَجِئْنا لِنَأْخُذَهُ ؛ فَرَكِبَ فَرَسَهُ ، وَأَخَذَ رُمْحَهُ ، وَقَالَ : واللهِ لا يَتَعَرَّضُ أَحَدٌ منكُمْ إلاَّ قَتَلْتُهُ ، أَيَكُونُ في جوارِي ثمَّ تُرِيدونَ أَخْذَهُ ؟ وَلَمْ يَزَلْ يَحْرُسُهُ حتَّى حَمِيَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَطَارَ ؛ فَقَالَ : شَأْنُكُمُ الآنَ بِهِ ، فَقَدْ تَحَوَّلَ عَنْ جِوارِي .

الخَواصُّ(٨) : إذا تَبَخَّرَ الإِنْسَانُ بِالجَرادِ البَرِّيِّ ، نَفَعَهُ من عُسْرِ البَوْلِ .

---

(١) لم أَقف عليه في كتب الأَمثال .

(٢) الميداني ١/ ٤٤١ والعسكري ٢/ ١٣ والزَّمخشري ١/ ٢٣٠ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٨٤ .

(٣) برواية : جاء القوم كالجراد المُشْعِلِ . في الميداني ١/ ١٦٥ والزَّمخشري ٢/ ٤٨ .

(٤) الميداني ١/ ١٨٩ والعسكري ١/ ٣٣٥ والزَّمخشري ١/ ٢٤٨ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ١٠٧ و ١٢٢ .

(٥) الميداني ٢/ ٦٥ والعسكري ٢/ ٧٩ و ٨٥ والزَّمخشري ١/ ٢٦٤ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٣٢١ و ٣٢٣ .

(٦) الميداني ٢/ ١٦٢ .

(٧) الميداني ١/ ٢٢١ والعسكري ١/ ٣٤٣ و ٤٠٨ والزَّمخشري ١/ ٨٧ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ١٣٥ و ١٦٦ وثمار القلوب ٢/ ٦٥٨ وحيوان الجاحظ ١/ ٢٦٩ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ١٥٦ والمستطرف ١/ ٤٢٦ . ويقال : مجير الجراد : أَبو حنبل جارية بن مرّ .

(٨) مسالك الأَبصار ٢٠/ ١٠٣ وعجائب المخلوقات ٢٩١ وتذكرة داود ١/ ١٠٥ ومفردات ابن البيطار ١/ ١٦١ .

وَقَالَ ابْنُ سِينا : إِذا أُخِذَ منهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ جَرادَةً ، وَنُزِعَتْ رُؤُوسُها وَأَطْرافُها ، وَجُعِلَ معها قَليلٌ من الآسِ اليابِسِ ، وَشَرِبَهُ صاحِبُ الاسْتِسْقَاءِ ، نَفَعَهُ .

وَالجَرادُ الطَّويلُ العُنُقِ إذا عُلِّقَ على مَنْ بِهِ حُمَّى الرِّبْعِ ، نَفَعَهُ . وإِذَا طُلِيَ بِبَيْضِه وَجَوْفِهِ الكَلَفُ ، أَبْرَأَهُ .

التَّعْبيرُ[1] : الجَرادُ في الرُّؤْيا : جُنْدُ اللهِ ، لأَنَّه من آياتِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وهوَ عَذابٌ .

وَالدَّبى منهُ : ناسٌ سَيِّئَةٌ أَخْلاقُهُم ، قَبِيحَةٌ سِيْرَتُهم .

وإِذا وَقَعَ في مَوْضِعٍ يُؤْخَذُ وَيُؤْكَلُ ، فإِنَّهُ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ .

وَإِذا رَأَى أَنَّهُ جَعَلَهُ في جَرَّةٍ ، أَو قِدْرٍ ، فإِنَّهُ يَنالُ دَراهِمَ ودَنانير .

● ورُوِيَ[2] أَنَّ رَجُلاً جاءَ إِلى ابْنِ سِيْرِين رحمهُ اللهُ ، فَقَالَ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَخَذْتُ جَراداً ، فَجَعَلْتُهُ في جَرَّةٍ ؛ فَقَالَ ابْنُ سِيْرِينَ . دراهِمُ تُوصِلُها إِلى امرأَةٍ ؛ فَكَانَ كَذَلِكَ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يُمْطَرُ عَلَيْهِ جَرادٌ من ذَهَبٍ : عَوَّضَهُ اللهُ مَا ذَهَبَ مِنهُ ، لِقِصَّةِ أَيُّوب عَلَيْهِ السَّلامُ .

١٥٠ الجَرادُ البَحْرِيُّ[3] : قَالَ الشَّرِيفُ : هو حَيوانٌ لَهُ رَأْسٌ مُرَبَّعٌ ، وَلَهُ مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ صَدَفٌ خَزَفيٌّ ، وَنِصْفُهُ الثَّاني لا خَزَفَ عَلَيْه ، وَلَهُ في كِلا الجانِبَيْنِ عَشْرَةُ أَيْدٍ طِوالٌ شَبيهَةٌ بِأَيْدِي العَناكِبِ ، إِلاّ أَنَّها كِبارٌ جِدّاً ، مِنْها مَا هُوَ

---

(١) تعبير الرُّؤيا ٤٢ و ٤٤ و ١٩٥ وتفسير الواعظ ٣٠٥ .

(٢) تفسير الواعظ ٣٠٥ .

(٣) عن مفردات ابن البيطار ١/ ١٦١ وعنه مسالك الأبصار ٢٠/ ١٣٦ .

قَدْرَ الرَّغِيفِ ، وَمِنْها مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ ، وهو كَثيرٌ بِساحِلِ البَحْرِ بِبِلادِ المَغْرِبِ ، وَيَأْكُلُونَهُ كَثِيراً مَشْوِيّاً ومَطْبُوخاً ، وَلَهُ قَرنانِ دَقيقانِ أَحْمَرانِ ، وَعَيْناهُ بارِزَتانِ مُتَدَلِّيَتَانِ مِنْ رَأْسِهِ .

وَهَذَا الجَرادُ حَارٌّ يابسٌ ، وَأَجْوَدُ مَا يُؤْكَلُ مِنْهُ مَشْوِيّاً في الفُرْنِ ، وَهُوَ داخِلٌ في عُمُومِ أَنْواعِ الصَّدَفِ ، **وخاصِّيَّةُ** لَحْمِهِ النَّفْعُ من الجُذَامِ .

١٥١ الجَرَّارَةُ : نَوْعٌ من العَقارِبِ إذا مَشَى على الأَرْضِ جَرَّ ذَنَبَهُ ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ العَيْنِ » .

وَهِيَ عَقارِبُ صغارٌ صُفْرٌ ، على مِقْدَارِ وَرَقِ الأَنْجُذانِ[١] ، وَتَكُونُ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ ؛ وَأَكْثَرُ مَا تُوجَدُ في كَهاراتِ السُّكَّرِ ، وفي الطِّين الذي هو قوالب السُّكَّرِ ؛ قَالَهُ في « كامِلِ الصِّناعَةِ »[٢] .

وَقَالَ مُوسَى بن عبدِ اللهِ الإسرائيليّ القُرْطُبيّ : الجَرَّارَةُ : نَوْعٌ مِنَ العَقَارِبِ ، صَغيرُ الجِسْمِ ، لا يَقُومُ ذَنَبُهُ على جِسْمِهِ كَمَا تَفْعَلُ العَقارِبُ ، بَلْ يَجُرُّهُ على الأَرْضِ ، وَكذَلِكَ تُوجَدُ بِبِلادِ المَشْرِقِ .

قَالَ الجاحِظُ[٣] : وهي تَكُونُ بعَسْكَرِ مُكْرَمٍ وَجُنْدَيسَابُور ، إذا لَسَعَتْ أَحَداً قَتَلَتْهُ ، وَرُبَّما تَنَاثَرَ لَحْمُهُ ، وَرُبَّما تَعَفَّنَ وَيُنْتِنُ ، حتَّى لا يَدْنُو منهُ أَحَدٌ إلاَّ وهو مُخَمَّرُ الوَجْهِ ، مَخَافَةَ إعْدائِه . وَهَذَا النَّوْعُ يَأْلَفُ الحُشُوشَ والمَواضِعَ النَّارِيَّةُ[٤] ، وَسُمُّها حارٌّ مُحْرِقٌ[٥] .

---

(١) الأنْجُذان : نباتٌ يقاوم السُّموم ، جَيِّدٌ لوجعِ المفاصل . . . (القاموس « نجذ ») .

(٢) كامل الصّناعة في الطِّبِّ ، المعروف بالملكيّ ؛ صنَّفه عليّ بن عبّاس المجوسيّ لعضد الدَّولة البويهيّ . (كشف الظنون ٢/ ١٣٨٠) .

(٣) الحيوان ٤/ ٢١٩ . وانظر ٤/ ١٤٢ و٥/ ٣٥٨ و٣٦٠ .

(٤) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة . والمواضع النّاريّة : مواقد النّار .

(٥) في أ : وسمُّها نارٌ محرقةٌ . وفي الحيوان : وسمُّها نارٌ .

وَقَالَ ابْنُ جُمَيْعٍ في كِتابِهِ « الإِرْشَاد » : وَالجَرَّارَةُ : نَوْعٌ مِنَ العَقَارِبِ ، وَسَمُّها حارٌّ يابِسٌ ، يَعْرِضُ للبَدَنِ منهُ الْتِهابٌ وَكَرْبٌ ، وَلَيْسَ يَجِدُ لِمَوْضِعِ لَسْعِها أَلَماً .

قَالَ : وَمِنَ الأَشْرِبَةِ النَّافِعَةِ لِها : ماءُ الشَّعيرِ ، وَمَاءُ الجُبْنِ ، وسَويقُ التُّفَّاحِ بِالماءِ البارِدِ . ا هـ .

وَقَالَ القَزْوِينيُّ والجاحِظُ : وَهَذَا النَّوْعُ يَقْتُلُ غالِباً . ا هـ .

١٥٢ الجُرَذُ : بِضَمِّ الجِيمِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ ، وبِالذَّالِ المُعجمةِ : ذَكَرُ الفِئْرَانِ ؛ وَقِيلَ : هو ضَرْبٌ من الفَأْرِ ، أَعْظَمُ من اليَرْبُوعِ ، أَكْدَرُ ، في ذَنَبِهِ سَوادٌ . حَكَاهُ ابْنُ سِيْدَه[1] .

● قَالَ الجاحِظُ[2] : والفَرْقُ بَيْنَ الجُرَذِ وَالفَأرِ ، كَالفَرْقِ بَيْنَ الجَوامِيسِ والبَقَرِ ، والبَخاتيّ والعِرابِ .

قَالَ[3] : وجِرْذَانُ أَنْطاكِيَّةَ لا تَقْوَى عَلَيْها السَّنانِيرُ لِعِظَمِها ، إلاَّ للواحِدِ بعدَ الواحِدِ .

قَالَ[3] : وَهِيَ بِبِلادِ خُراسانَ قَوِيَّةٌ جِدّاً ، وَرُبَّما عَضَّتِ النَّائِمَ فَقَطَعَتْ أُذُنَهُ ؛ وَأَنا رَأَيْتُ جُرَذاً قاتَلَ سِنَّوْراً ، فَفَقَأَ عَيْنَ السِّنَّوْرِ وَهَرَبَ منهُ .

● وَقَالَ الزَّمخشريُّ في « رَبيعِ الأَبْرارِ »[4] : الجُرَذُ إذا خَصيَ أَكَلَ جَميعَ الفَأْرِ ، والجرذُ لا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ منها .

قَالَ : وَزَعَمُوا أَنَّ الخَصِيَّ من كُلِّ جِنْسٍ ، أَضْعَفُ من الفَحْلِ ، إلاَّ

---

(١) المخصص ٨/ ٩٨ .

(٢) الحيوان ٧/ ١٧٦ .

(٣) الحيوان ٥/ ٢٤٥ و٤/ ٢٩٩ .

(٤) ربيع الأبرار ٥/ ٤٧١ عن الحيوان ٧/ ٦٥ و١٤٢ ـ ١٤٣ و٥/ ٣١٩ .

الجرذانَ ، فإِنَّ الخِصَاءَ يُحْدِثُ فِيهِ شَجاعَةً وجَراءَةً .

والجَمْعُ جِرْذَانٌ ، كَصُرَدٍ وصِرْدان ؛ وأَرْضٌ جَرَذَةٌ : أَي ذاتُ جِرْذان .

وَكُنْيَتُهُ : أَبُو جَوَّال ، وأَبُو راشِد ، وأَبُو العَدَرَّجُ[1] .

وَسَيَأْتِي في « بابِ الفاءِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

● وَرَوَى « أَبُو داود » و« ابْنُ ماجَه » وغيرهما[2] ، عن ضُباعَةَ بنتِ الزُّبير ، زَوْجِ المِقْداد بن الأَسْوَدِ ، قَالَتْ : ذَهَبَ المِقْدادُ بنُ الأَسْوَدِ لِحاجَةٍ بِبَقيعِ الخَبْخَبَةِ ـ وَهُوَ بفَتْحِ الخَاءَينِ المُعجمتين ، وَسُكونِ الباءِ الأُولَى ، مَوْضِعٌ بنواحِي المَدِينةَ ـ فَدَخَلَ خَرِبَةً ، فإِذا الجُرَذُ يُخْرِجُ من جُحْرٍ دِيْناراً دِيْناراً حتَّى أَخْرَجَ سَبْعَةَ عَشَرَ دِيْناراً ، ثُمَّ أَخْرَجَ طَرَفَ خِرْقَةٍ خَضْرَاءَ .

قَالَ المِقْدادُ : فَقُمْتُ فَمَدَدْتُ طَرَفَ الخِرْقَةِ ، فَوَجَدْتُ فِيها دِيْناراً ، فكانَتْ ثَمانِيَةَ عَشَرَ دِيْناراً .

قَالت : فَذَهَبَ بها المِقْدادُ ، فاسْتَأْذَنَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْه أَخْبَرَهُ بذَلِكَ ، وَقَالَ : خُذْ صَدَقَتَها يا رَسُولَ الله ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَلْ أَهْوَيْتَ بِيَدِكَ إِلى الجُحْرِ ؟ » قَالَ المْقْدادُ : لا والَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ نَبِيّاً ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بعدَ ذَلِكَ للمِقْدَادِ : « خُذْها ، بارَكَ اللهُ لَكَ فِيها » . وفي رِوايَةٍ : « هَذَا رِزْقٌ ساقَهُ اللهُ إِلَيْك » .

● وَفِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ »[3] من حديثِ سَعيد بن أَبي عَروبة ، عن أَبي سعيد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، قَالَ : إِنَّ أُناساً من عبدِ القَيْسِ ، قَدِمُوا على رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا حَيٌّ من رَبيعة ـ فَذَكَرَ

---

(١) المرصّع ١٢١ و١٨٢ و٢٤٠ .

(٢) أبو داود (٣٠٨٧) وابن ماجه (٢٥٠٨) . وفيهما : خرقة حمراء .

(٣) مسلم (١٨) ومسند أحمد ٣/ ٢٣ .

الحَدِيثَ ـ إلى أَن قَالُوا : يا رَسُولَ اللهِ فِيمَ نَشْرَبُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « في أَسْقِيَةِ الأَدَمِ » . فَقَالُوا : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَرْضَنا كَثيرَةُ الجِرْذَانِ ، ولا تَبْقَى فِيها أَسْقِيَةُ الأَدمِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ « وإِنْ أَكَلَتْها الجِرْذَانُ ، وإِنْ أَكَلَتْها الجِرْذَانُ » .

● وَحُكِيَ[1] أَنَّ امرأَةً جاءَتْ إلى قَيْس بن سَعْد بن عُبادَة بن دُلَيم ، وَكَانَ حَلِيماً جَواداً ، فقالَتْ لَهُ : مَشَتْ جِرْذَانُ بَيْتِي على العَصَا . قَالَ : لأَدَعُهُنَّ يَثِبْنَ وَثْبَ الأُسُودِ ؛ ثُمَّ مَلأَ بَيْتَها طَعاماً وَوَدَكاً وإداماً .

● وَرُوِيَ[2] أَنَّهُ كَانَ لَهُ دُيونٌ كَثيرةٌ ، فَمَرِضَ ، فاسْتَبْطَأَ عُوَّادَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ من أَجْلِ دَيْنِكَ عَلَيْهِم ؛ فأَمَرَ مُنادِياً يُنادِي : مَنْ كَانَ لِقَيْس بن سَعْدٍ عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَهُوَ بَرِيْءٌ منهُ ؛ فَأَتاهُ النَّاسُ حتَّى هَدَمُوا دَرَجَةً كَانَ يَصْعَدُ عَلَيْها إِلَيْهِ .

● قَالَ عُرْوَةُ[3] : وَكَانَ قَيْسُ بنَ سَعْدٍ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مالاً ، فإِنَّهُ لا تَصْلُحُ الفِعَالُ إِلاَّ بِالمَالِ .

● قَالَ[4] : وَكَانَ أَبُوهُ سَعْدُ بنُ عُبادَةَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَبْ لِي حَمْداً ، وَهَبْ مَجْداً ، فَإِنَّهُ لا مَجْدَ إِلاَّ بِفَعالٍ ، ولا فَعَالَ إِلاَّ بِمالٍ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّ القَلِيلَ لا يُصْلِحُنِي ولا أَصْلُحُ عَلَيْهِ .

● وَقَالَ يَحيى بن أَبي كَثير[5] : كَانَ قَيْسُ بن سَعْدٍ إِذا انْصَرَفَ من صَلاةٍ

---

(١) عيون الأخبار ٣/ ١٢٩ والحيوان ٥/ ٢٥٦ والعقد الفريد ١/ ٢٥٦ ومختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٠٧ وسير أَعلام النُّبلاء ٣/ ١٠٦ .

(٢) سراج الملوك ١/ ٣٧١ والمستجاد ١٧٦ والبصائر والذَّخائر ٤/ ٢٤١ ونثر الدُّرّ ٧/ ١٧٢ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٢٧١ ولباب الآداب لأُسامة ١٠٩ والمستطرف ١/ ٤٨٧ .

(٣) سير أَعلام النُّبلاء ٣/ ١٠٧ وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٣ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٤٤ . ونسب إلى ابنه قيس في المختصر ٢١/ ١٠٧ .

(٥) القول لسعد في المختصر ٩/ ٢٤١ .

مَكْتُوبَةٍ قَالَ : اللَّهُمَّ ارزُقْنِي مالاً أَسْتَعِينُ بِهِ على الفَعَالِ ، فَإِنَّهُ لا تَصْلُحُ الفعالُ إلاَّ بِالمَالِ .

● قَالَ الجَوْهَرِيُّ[1] : الفَعْلُ : بِالفَتْحِ ، مَصْدَرُ فَعَلَ يَفْعَلُ . وَقَرَأَ بَعْضُهُم ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فَعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [الأنبياء : ٧٣] والفِعْلُ بِالكَسْرِ : الاسْمُ ؛ والجَمْعُ : الفِعالُ ، مِثْلُ قِدْحٍ وقِداحٍ ، وَبِئْرٍ وَبِئارٍ ؛ والفَعالُ : بِالفَتْحِ ؛ الكَرَمُ . قَالَ هُدْبَةُ[2] : [من الطَّويل]

ضَرُوباً بِلَحْيَيْهِ على عَظْمِ زَوْرِهِ إذا القَوْمُ هَشُّوا لِلْفَعَالِ تَقَنَّعَا

انتهى .

● وَقَالَ ابْنُ سِيْدَه : الفَعْلُ ـ بِالفَتْحِ ـ اسْمٌ لِلْفِعْلِ الحَسَنِ . انْتهى .

● تُوفِّي قَيْسُ بن سَعْدٍ سنةَ سِتِّينَ ؛ وَقِيلَ : سَنَةَ تِسعٍ وخَمسينَ للهِجْرَةِ النَّبويَّةِ[3] .

حُكْمُهُ وخَواصُّهُ : كَالفَأْرِ ؛ وَسَيَأْتي في « باب الفَاءِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تعالَى .

التَّعْبِيرُ[4] : الجُرَذُ في المَنام : تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ على الفِسْقِ والأَذى والاجْتِماعِ ؛ وَرُبَّما دُلَّتْ رُؤْيَتُهُ على الذُّلِّ والمَقْتِ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ على نِساءٍ جُفاةٍ .

وَمَنْ أَكَلَ لَحْمَهُ في المَنامِ : نَالَ رِزْقاً من حَرامٍ .

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّعبيرِ : يَدُلُّ على النُّقْلَةِ لِمَنْ أَخذَهُ ، أَوْ دَخَلَ إلى مَنْزِلِه ،

---

(١) الصِّحاح « فعل » ٥/ ١٧٩٢ واللِّسان ٥/ ٣٤٣٨ .

(٢) ديوانه ١٠٦ .

(٣) **ترجمته في** : مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٠٢ وسير أَعلام النُّبلاء ٣/ ١٠٢ وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠ .

(٤) تعبير الرُّؤيا ٣٨ و ٤٥ و ١٨٥ وتفسير الواعظ ٣١٢ ـ ٣١٣ .

لِقَوْلِه تعالَى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ [سبأ : ١٦] وَكَانَ سَبَبُهُ الجُرَذُ ، فَوَقَعَتِ النُّقْلَةُ من تِلْكَ الأَرْضِ .

وَأَكْلُ لَحْمِهِ : يَدُلُّ على غِيْبَةِ رَجُلٍ فاسِقٍ ، واللهُ أَعْلَمُ .

١٥٣ الجِرْجِسُ : لُغَةٌ في القِرْقِسِ ، وَهُوَ البَعُوضُ الصِّغارُ[1] .

وَسَيأْتي في « بابِ القافِ » إنْ شَاءَ اللهُ تَعالى .

١٥٤ الجَوارِسُ : النَّحْلُ ؛ وَجَرَسَتِ النَّحْلُ العُرْفُطَ ، تَجْرِسُ جَرْساً : إذا أَكَلَتْهُ ؛ والجَرْسُ في الأَصْلِ : الصَّوْتُ الخَفِيُّ ؛ والعُرْفُطُ بالضَّمِّ : شَجَرَةُ الطَّلْحِ ، وَلَهُ صَمْغٌ كَرِيهُ الرَّائِحَةِ ، فإذا أَكَلَتْهُ النَّحْلَةُ حَصَلَ في عَسَلِها شَيْءٌ من رِيْحِهِ .

١٥٥ الجِرْوُ : بكَسْرِ الجِيْمِ ، وَفَتْحِها وَضَمِّها ، ثلاثُ لُغاتٍ مَشْهُوراتٍ : الصَّغيرُ من أَوْلادِ الكَلْبِ وسائِرِ السِّباعِ .

● وَفِي المَثَلِ[2] : « لا تَقْتَنِ مِنْ كَلْبِ سُوْءٍ جَرْواً » ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[3] : [من الوافر]

وَلَوْ وَلَدَتْ قُفَيْرَةُ جَرْوَ كَلْبٍ   لَسُبَّ بِذَلِكَ الجَرْوِ الكِلابَا

---

(١) عن الصِّحاح « جرجس » ٣/٩١٣ . وقال ابن سيده في المخصَّص ٨/١٨٦ عن ابن السِّكِّيت : وقول العامَّة : قرقس ، خطأٌ .

(٢) الميداني ٢/٢٦٦ والعسكري ٢/٣٨٢ والزَّمخشري ٢/٢٥٨ وأَمثال أَبي عبيد ١٢٧ .

(٣) البيت لجرير في الخزانة ١/٣٣٧ . وقال البغدادي : وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق ، مطلعُها :

أَقِلِّي اللَّومَ عاذِل والعِتابا   وقولي إنْ أَصبتُ : لقد أَصابا

قلت : وليس البيت في ديوان جرير ، ولا في النَّقائض . وهو بلا نسبة في أَمالي ابن الشّجريّ ٢/٥١٨ والخصائص ١/٣٩٧ والحجة لابن خالويه ٢٢٦ .

وقُفَيْرة ـ كجُهينة ـ : هي أم الفرزدق . كما في القاموس والتَّاج « قفر » والخزانة . وقيل : هي جدَّةُ الفرزدق لأَبيه . (ينظر فهارس ديوان جرير والنَّقائض) .

وَقَالَ ابْنُ سِيْدَه : الجَرْوُ : الصَّغِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، حتَّى من الحَنْظَلِ والبِطِّيخِ والقِثَّاءِ والرُّمَّانِ .

● رَوَى مُسلمٌ في « صَحيحه »[1] عن مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَصْبَحَ يَوْماً واجِماً ، فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي قَدِ اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ جبريلَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقانِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَلْقَنِي ، أَما واللهِ مَا أَخْلَفَنِي قَطُّ » .

قَالتْ : فَظَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَهُ ذَلِكَ على ذَلِكَ الحالِ ، ثمَّ وَقَعَ في نَفْسِهِ أَنَّ جَرْوَ كَلْبٍ تَحتَ فُسطاطٍ لَنا ، فأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، ثمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بيَدِهِ مَاءً ، فَنَضَحَ مَكانَهُ ؛ فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جِبْرِيلُ ، فقَالَ لَهُ ﷺ : « قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقانِي البارِحَةَ » . فقَالَ : أَجَل ، وَلَكِنَّا مَعْشَرَ الملائِكَةِ لا نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ ولا صُورَةٌ ؛ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الكِلابِ ، حَتَّى إِنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِ كَلْبِ الحائِطِ الصَّغيرِ ، وَبِتَرْكِ كَلْبَ الحائِطِ الكَبيرِ .

● وَرَواهُ « الطَّبرانيُّ »[2] عن خَوْلَةَ خادِمِ النَّبيِّ ﷺ بزِيادَةٍ على ذَلِكَ ، وَلَفْظُها : أَنَّ جَرْواً دَخَلَ البَيْتَ ، وَدَخَلَ تَحْتَ السَّرِيرِ ، وَمَاتَ ؛ فَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيَّاماً لا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ ، فقَالَ : « يا خَوْلَةُ ، مَا حَدَثَ في بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ؟ فإِنَّ جِبْرِيْلَ لا يَأْتِينِي ، فَهَلْ حَدَثَ في بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حَدَثٌ ؟ » ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ .

قَالتَ : فَقُمْتُ فَكَنَسْتُ البَيْتَ ، فَأَهْوَيْتُ بِالمِكْنَسَةِ تَحْتَ السَّرِيرِ ، فإذا

---

(١) مسلم (٢١٠٥) وأَبو داود (٤١٥٧) والنَّسائي (٤٢٨٣) ومسند أَحمد ٦/ ٣٣٠ والمستطرف ٢/ ٤٦٣ .

(٢) وابن عبد البرّ في الاستيعاب ٤/ ١٨٣٤ وابن الأَثير في أُسد الغابة ٧/ ٩٤ ـ ٩٥ وابن حجر في الإِصابة ٨/ ١٢٢ رقم ١١١٣٩ والمستطرف ٢/ ٤٦٣ .

شَيْءٌ تَحتَ المِكْنَسَةِ ثَقِيلٌ ، فَلَمْ أَزَلْ حتَّى أَخْرَجْتُهُ ، فإذا هُوَ جَرْوُ كَلْبٍ مَيِّتٍ ، فَأَخَذْتُهُ بيَدِي ، وَأَلْقَيْتُهُ خَلْفَ الدَّارِ ؛ فَجاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْعُدُ لِحْيَتُهُ ، وَكَانَ إذا أَتاهُ الوَحْيُ أَخَذَتْهُ الرِّعْدَةُ ، فَقَالَ : « يا خَوْلَةَ دَثِّرِينِي » . فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى : ١ ـ ٣] قَالَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ : وَلَيْسَ إِسْنادُ حَدِيثِها هَذَا مِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ ؛ والصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ في أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ القُرآنِ ، لَمَّا انْقَطَعَ عَنْهُ الوَحْيُ ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ : إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ وَدَّعَهُ رَبُّهُ ، أَيْ هَجَرَهُ ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ السُّورَةَ .

● وَرَوَى البَيْهَقِيُّ في أَواخِرِ البابِ السَّابِعِ والأَربعين من « الشُّعَبِ » عن مُعاذ بن جَبَل ، قَالَ[1] :

كَانَ في بَنِي إِسْرائِيلَ رَجُلٌ عَقِيمٌ لا يُولَدُ لَهُ ، وَكَانَ يَخْرُجُ فإذا رَأَى غُلاماً مِنْ غِلْمَانِ بَنِي إسرائيلَ عَلَيْهِ حَلْيٌ ، يَخْدَعُهُ حتَّى يُدْخِلَهُ بَيْتَهُ ، فَيَقْتُلُهُ ويُلْقِيهِ في مَطْمُورَةٍ لَهُ ؛ فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ لَقِيَ غُلامَيْنِ أَخَوَيْن ، عَلَيْهِما حَلْيٌ ، فَأَدْخَلَهُما بَيْتَهُ ، وَقَتَلَهُما وَطَرَحَهُما في مَطْمُورَتِهِ ؛ وَكَانَتْ لَهُ امرأَةٌ مُسْلِمَةٌ تَنْهاهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَتَقُولُ لَهُ : إِنِّي أُحَذِّرُكَ النِّقْمَةَ من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَيَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللهَ يَأْخُذُنِي على شَيْءٍ لأَخَذَنِي يَوْمَ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ؛ فَتَقُولُ لَهُ المرأَةُ : إِنْ صاعَكَ لَمْ يَمْتَلِىءْ ، وَلَو امْتَلأَ صاعُكَ لأُخِذْتَ ؛ فَلَمَّا قَتَلَ الغُلامَيْنِ خَرَجَ أَبُوهُما في طَلَبِهِما ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَداً يُخْبِرُهُ عَنْهُما ، فَأَتَى نَبِيّاً مِنْ أَنْبِياءِ بَنِي إِسْرائِيلَ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ : هَلْ كَانَ مَعَهُما لُعْبَةٌ يَلْعَبانِ بها ؟ فَقَالَ أَبُوهُما : نَعَمْ كَانَ لَهُما جَرْوٌ . قَالَ : فائْتِنِي بِهِ ، فَأَتاهُ بِهِ ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ خاتَمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَوَّلُ دَارٍ يَدْخُلُها مِنْ دُورِ بَنِي إِسرائِيل ، فِيها وَلَداك ؛ فَأَقْبَلَ الجَرْوُ يَتَخَلَّلُ الدُّورَ ، حَتَّى دَخَلَ داراً من دُورِ بَنِي إِسرائيل ، فَدَخَلُوا

---

(١) شعب الإيمان ٥/ ٤٦١ رقم (٧٢٩٤) والمستطرف ٢/ ٤٦٣ .

خَلْفَهُ ، فَوَجَدُوا الغُلامَيْن مَقْتُولَيْنِ مع غِلْمَانٍ كَثِيرَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ وَطَرَحَهُم في المَطْمُورَةِ ، فانْطَلَقُوا بِهِ إلى ذَلِكَ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُصْلَبَ ؛ فَلَمَّا رُفِعَ إلى الخَشَبَةِ أَتَتْهُ امرأَتُهُ وَقَالَتْ : قَدْ كُنْتُ أُحَذِّرُكَ هَذَا اليَوْمَ ، وَأُخْبِرُكَ أَنَّ اللهَ غَيْرُ تارِكِكَ ، وَأَنْتَ تَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللهَ يَأْخُذُنِي على شَيْءٍ ، لأَخَذَنِي يَوْمَ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَأُخْبِرُكَ أَنَّ صاعَكَ لَمْ يَمْتَلِىءْ بَعْدُ ، أَلا وإِنَّ صَاعَكَ قَدِ امْتَلأَ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بَابِ الكافِ » ، في لَفْظِ « الكَلْبِ » الحَدِيثُ الَّذِي في « مُسْنَدِ الإمام أَحمد » و« الطَّبراني » و« البَزَّار » في الكَلْبَةِ التي عَوَى جِراؤُها في بَطْنِها[1] .

● وَرَوَى الحاكِمُ في « المَنَاقِبِ »[2] من حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إذا اقْتَرَبَ الزَّمانُ ، كَثُرَ لُبْسُ الطَّيالِسَةِ ، وَكَثُرَتِ التِّجارَةِ ، وَكَثُرَ المَالُ ، وَعُظِّمَ رَبُّ المَالِ بمالِهِ ، وَكَثُرَتِ الفاحِشَةُ ، وَكَثُرَ النِّساءُ ، وَكانَتْ إِمارَةُ الصِّبْيَانِ ، وَجَارَ السُّلْطانِ ، وَطُفِّفَ في المِكْيَالِ والمِيْزَانِ ؛ وَيُرَبِّي الرَّجُلُ جَرْوَ كَلْبٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُرَبِّيَ وَلَداً ؛ ولا يُوَقَّرُ كَبيرٌ ، ولا يُرْحَمُ صَغِيرٌ ؛ وَيَكْثُرُ الزِّنا حتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْشَى المَرْأَةَ على قارِعَةِ الطَّرِيقِ ، فَيَقُولُ أَمْثَلُهُمْ في ذَلِكَ الزَّمانِ : لَوِ اعْتَزَلْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَيَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّأْنِ على قُلُوبِ الذِّئابِ ، أَمْثَلُهُمْ في ذَلِكَ الزَّمانِ المُدَاهِنُ » .

وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الطَّبرانيُّ في « مُعْجَمِهِ الأَوْسَط » ، وَفِيهِ سَيْفُ بْنُ مِسْكِين ، وَهوَ ضَعِيفٌ .

١٥٦ الجِرِّيْثُ : بِكَسْرِ الجِيْمِ ، وَبالرَّاءِ المُهْمَلَةِ ، وَالثَّاءِ المُثَلَّثَةِ ؛ وَهُوَ هَذَا السَّمَكُ الَّذِي يُشْبِهُ الثُّعْبان ؛ وَجَمْعُهُ جَراثِيّ ؛ وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً : الجِرِّيّ

---

(١) مسند أحمد ٢/ ١٧٠ .

(٢) المستدرك ٣/ ٣٤٣ .

بالكَسْرِ والتَّشْدِيدِ ؛ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ يُشْبِهُ الحَيَّةَ ، وَيُسَمَّى بِالفارِسِيَّةِ مَارْماهي[1] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي « باب الهَمْزَةِ » ، أَنَّهُ الأَنْكَلِيسُ .

قَالَ الجاحِظُ[2] : إِنَّهُ يَأْكُلُ الجِرْذَانَ ، وهو حَيَّةُ المَاءِ .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ . قالَ البَغَوِيُّ عندَ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُ** ﴾ [المائدة : ٩٦] : إِنَّ الجِرِّيْثَ حَلالٌ بالاتِّفاقِ ؛ وهو قَوْلُ أَبي بَكْرٍ وعُمر وابنِ عبَّاسٍ وَزَيْدِ بن ثابتٍ وأَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنهم ؛ وَبِهِ قَالَ شُرَيْحٌ والحَسَنُ وعَطاءٌ ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وظاهِرُ مَذْهَبِ الشَّافعيِّ .

وَالمُرادُ : هَذِهِ الثَّعابينُ التي لا تَعِيشُ إِلاَّ في المَاءِ ؛ وَأَمَّا الحَيَّاتُ الَّتِي تَعيشُ في البَرِّ والبَحْرِ ، فَتِلْكَ من ذَوَاتِ السُّمُومِ ، وأَكْلُها حَرامٌ .

وسُئِلَ ابنُ عَبَّاسٍ عن الجِرِّيِّ ، فقَالَ : هو شَيْءٌ حَرَّمَتْهُ اليَهودُ ، وَنَحْنُ لا نُحَرِّمُهُ .

الخَواصُّ[3] : مَرارَتُهُ يُسَعَّطُ بِها الفَرَسُ المَجنونُ ، يَذْهَبُ جُنُونُهُ .

وَلَحْمُهُ يُجَوِّدُ الصَّوْتَ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الصَّادِ المُهملَةِ » ، في لَفظِ « الصَّيْدِ » مَا ذَكَرَهُ البُخاريُّ في « صحيحه » في الجِرِّيِّ .

١٥٧ الجَزُورُ : مِنَ الإِبلِ ، يَقَعُ على الذَّكَرِ والأُنْثى ، وهي تُؤَنَّثُ ،

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٩ والنهاية ١/ ٢٥٤ .

(٢) الحيوان ٧/ ١٤٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٣٥ .

(٣) عجائب المخلوقات ٩٩ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٣٥ وتذكرة داود ١/ ١٠٤ ومفردات ابن البيطار ١/ ١٦١ .

والجَمْعُ : الجُزُرُ . كَذَا قَالَهُ الجوهريُّ[1] .

وَقَالَ ابنُ سِيْدَه[2] : الجَزُورُ : النَّاقَةُ التي تُجْزَرُ ؛ وَالجَمْعُ : جَزائِرٌ ، وَجُزُرٌ ، وجُزُراتٌ ، جَمْعُ الجَمْعِ ، كَطُرُقٍ وَطُرُقاتٍ .

قالت خِرْنِقُ بنْتُ هِفَّان[3] : [من الكامل]

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ ... سُمُّ العُداةِ وَآفَةُ الجُزْرِ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيِّبُونَ مَعاقِدَ الأُزْرِ

وَبِها سُمِّيَتْ المَجْزِرَةُ ، وهيَ المَوْضِعُ الذي يُذْبَحُ فِيهِ .

وَفِي كِتابِ « العين » : الجَزورُ : من الضَّأْنِ والمَعْزِ خاصَّةً ، مَأْخُوذٌ من الجَزْرِ ، وهو القَطْعُ[4] .

● وفي « صحيح مُسلم »[5] مِنْ حَدِيثِ عبدِ الرَّحمنِ بن شُماسَة : أَنَّ عَمرو بن العاص قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : إذا دَفَنْتُموني ، فَسُنُّوا علي التُّرابَ سَنًّا ، ثمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْري قَدْرَ ما تُنْحَرُ الجَزورُ ويُقْسَمُ لَحْمُها ، حتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكَمْ ، وأَنظُرَ ماذا أُراجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي .

قلتُ : وإِنَّما ضَرَبَ المَثَلَ بِنَحْرِ الجَزورِ وتَقْسِيمِ لَحْمِها ، لأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ

---

(١) الصِّحاح « جزر » ٢/ ٦١٢ .
(٢) المخصَّص ٧/ ١٧٥ .
(٣) هي خرنق بنت بدر بن هفَّان ، والبيتان في ديوانها ٣٩ .
(٤) نصُّ العين : والجَزَرُ : كلُّ شيءٍ مباحٍ للذَّبح ، الواحدةُ جَزَرَةٌ ؛ فإذا قُلْتَ : أَعطيتُ فُلاناً جَزَرَةً ، فهي شاةٌ ، ذكَراً كانَ أَو أُنثى ، لأَنَّ الشَّاةَ ليست إِلاَّ للذَّبح خاصَّةً ؛ ولا تقعُ الجَزَرَةُ على النَّاقةِ والجَمَلِ لأَنَّهما لسائرِ العَمَلِ ؛ ويُقال : الجَزَرَةُ السَّمينةُ من الغَنَمِ . (العين ٦/ ٦٣) .
(٥) مسلم (١٢١) ومسند أَحمد ٤/ ١٩٩ وطبقات ابن سعد ٥/ ٨٠ ومختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٥٤ .

أَمْرِهِ جَزَّاراً بِمَكَّةَ ، فَأَلِفَ نَحْرَ الجَزائِرِ ، فَضَرَبَ بِهِ المَثَلَ ؛ وَكَوْنُهُ كانَ جَزَّاراً ، جَزَمَ بِهِ ابنُ قتيبة في « المَعارِف »[1] ، ونَقَلَهُ ابنُ دُرَيْدٍ في كتابِ « الوِشاحِ » وَكَذلِكَ ابنُ الجَوزيّ في « التَّلْقِيحِ » وَأَضافَ إِليهِ الزُّبَيْرَ بنَ العَوَّام وعامِرَ بن كُرَيْزٍ ؛ فَقالَ : هَؤُلاء كانُوا جَزَّارين .

● وَذَكَرَ التَّوحيدي في كِتابِ « بصائِرِ القُدماءِ وسَرائِرِ الحُكَماءِ »[2] صِناعَةَ كُلِّ مَنْ عُلِمَتْ صِناعَتُهُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : [كَانَ أَبو طالبٍ عَطَّاراً] ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بَزَّازاً ، وَكَذَلِكَ عُثْمان وَطَلْحَةُ وعَبْدُ الرَّحمنِ ابن عَوف رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم ، وَكَانَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه دَلَّالاً يَسْعَى بَيْنَ البائِعِ والمُشْتَري ، وَكَانَ سَعْدُ بن أَبي وَقَّاص يَبْري النَّبْلَ ، وَكَانَ الوَلِيدُ بن المُغيرة حَدَّاداً ، وَكَذَلِكَ العاصُ[3] [بن هشام] أَخُو أَبي جَهْلٍ ، وَكَانَ عُقْبَةُ بن أَبي مُعَيْطٍ خَمَّاراً ، [وَكَانَ الخطَّابُ بن نُفَيْل مَرَّاقاً] ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَان بن حَرْبٍ يَبِيعُ الزَّيْتَ والأَدَمَ ، [وَكَانَ عُتْبَةُ بن أَبي وَقَّاصٍ ـ أَخُو سَعْدٍ ـ نَجَّاراً ، وَكَانَ أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ يَبِيعُ البرامَ] ، وَكَانَ عبدُ اللهِ بن جُدْعان نَخَّاساً يَبِيعُ الجَوارِي ، وَكَانَ النَّضْرُ بن الحارِثِ عَوَّاداً يَضْرِبُ بِالعُودِ ، وَكَانَ الحَكَمُ بن أَبي العاصِ خَصَّاءً يَخْصِي الغَنَمَ ، وَكَذَلِكَ حُرَيْثُ بن عمرو ، [وَكَذَلِكَ قَيْسٌ والدُ] الضَّحَّاكِ بن قَيْسٍ الفِهْرِيّ ، وَ[كَذَلِكَ سيرين أَبو محمَّد] بن سِيرين ؛ وَكَانَ العاصُ بن وائِل السَّهْمِيّ بَيْطاراً يُعالِجُ الخَيْلَ ، وَكَانَ ابْنُهُ عَمرو بن العاصِ

---

(١) المعارف ٥٧٥ .

(٢) كذا ورد اسم الكتاب في ط . وفي أ : . . . وسائر الحكماء ! وفي كشف الظُّنون ١/ ٢٤٦ : بصائر القدماء وبشائر الحكماء . والكتاب معروف باسم البصائر والذَّخائر ؛ فعلى هذا فاسمه : بصائر القدماء وذخائر الحكماء ؛ والنَّصُّ في البصائر والذَّخائر ٢/ ٤٢ ـ ٤٤ عن المعارف ٥٧٥ والمحاسن والأَضداد ١٤١ والمحاسن والمساوىء ١/ ١٦٤ ولطائف المعارف ١٢٧ والأَعلاق النَّفيسة ٢١٥ . والزِّيادات من البصائر .

(٣) في الأُصول : أَبو العاص .

جَزَّاراً ، وكَذَلِكَ أَبو حَنيفةَ صاحِبُ الرَّأْيِ والقِياسِ[1] ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ بن العَوَّامِ خَيَّاطاً[2] ، وَكَذَلِكَ عُثمان بن طَلْحَةَ الَّذي دَفَعَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ ، وَقَيْسُ بن مَخْرَمَةَ ، وَكَانَ مالِكُ بن دِينارٍ وَرَّاقاً ، وَكَانَ المُهَلَّبُ بن أَبي صُفْرة بُسْتَانِيّاً ، وَكَان [مُسلمُ ، والِدُ] قُتيبةَ بن مُسْلِمٍ الَّذي فَتَحَ بلادَ العَجَمِ إِلى مَا وَرَاءِ النَّهرِ جَمَّالاً ، وَكَانَ سُفْيَان بن عُيَيْنَةَ مُعَلِّماً ، وَكَذَلِكَ الضَّحَّاكُ بن مُزاحِمٍ ، وعَطاءُ بن أَبي رَباحٍ ، والكُمَيْتُ الشَّاعِرُ ، والحَجَّاجُ بن يُوسف الثَّقَفِيّ ، وعبدُ الحَميدِ بن يَحْيَى صاحِبُ الرَّسائِلِ ، وأَبُو عُبيد القاسِمُ بن سَلاَّم ، والكِسائيّ ؛ هَذِهِ صِناعَةُ الأَشْرَافِ .

● قَالَ[3] : وَأَمَّا أَدْيانُ العربِ : فَإِنَّ النَّصرانيَّةَ كانَتْ في رَبيعةَ وَغَسَّانَ وبعضِ قُضاعَةَ ، واليَهوديَّةَ كانَتْ في حِمْيَرَ وكِنانَةَ وكِنْدَةَ وَبَني الحارِثِ بن كَعْبٍ ، والمَجُوسيَّةَ في تَميم ، ومنهم حاجِبُ بنُ زُرارَةُ الَّذي رَهَنَ قَوْسَهُ عِنْدَ كِسْرَى ، وَوَفَى بِهِ حتَّى ضُرِبَ المَثَلُ بِهِ ، فَقَالُوا[4] : « أَوْفَى مِنْ قَوْسِ حاجِبٍ » ، وَفُكَّتْ أَيَّامَ النَّبيِّ ﷺ ، وأُهْدِيَتْ إِلَيْهِ ؛ والزَّنْدَقَةُ كانَت في قُرَيْشٍ . انتهى .

● وَمَا ذَكَرَهُ من كَوْنِ الزُّبيرِ بنِ العَوَّامِ كَانَ خَيَّاطاً ، فِيهِ نَظَرٌ[5] ؛ والصَّوابُ

---

(١) عجيبٌ هذا ! ! فقد أَجمعت مصادر ترجمة الإمام الأَعظم ، ومصادر تخريج هذا الخبر ، أَنَّ أَبا حنيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان خَزَّازاً (أَي يبيع الخزَّ) ، فتصحَّف على المؤلِّف رحمه الله .

(٢) وهذا وهمٌ آخر ، وسيأتي تعقيب المؤلّف على هذا ؛ وهو غير مُحِقٍّ ، سامحه الله ؛ فقد كان العَوَّام والد الزُّبير خيَّاطاً ، كما في مصادر الخبر .

(٣) البصائر والذَّخائر ٥/ ٤٤ والمعارف ٦٢١ ونشوة الطَّرب ١/ ٧٦ وطبقات الأُمم ١١٦ .

(٤) ليس في كتب الأَمثال مَثَلٌ بهذا اللَّفظ ، وانظر خبر قوس حاجب في المعارف ٦٠٨ وثمار القلوب ٢/ ٨٩١ والعقد الفريد ٢/ ٢٠ ونشوة الطَّرب ١/ ٤٥٠ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٣/ ١٤ واختيار الممتع ١٢٨ .

(٥) تقدَّم أَنَّ المؤلِّفَ هو الواهم .

أَنَّهُ كَانَ جَزَّاراً ، ذَكَرَهُ ابْنُ الجوزِيّ وغيرُه كَما تَقَدَّمَ .

ولأَنَّ عَمْرَو بن العاص كَانَ يَومئذٍ كَبيرَ مِصْرَ وَعَظِيمَ أَهْلِها ، فأَشْبَهَ الجَزورَ بالنِّسْبَةِ إلى غَيْرِها من بَهِيمَةِ الأَنْعام ، ونَحْرُها مَوْتُهُ ، وتَفْرِقَةُ لَحْمِها قِسْمَةُ أَمْوالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ؛ وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ تَرِكَتِه ، تِسْعَةُ أَرادِبَ ذَهَباً .

● وَأَمَّا الوُضُوءُ مِنْ أَكْلِ لَحْمِ الجَزُورِ ، فَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمْزَةِ » ، في لَفْظِ « الإِبلِ » ذِكْرُ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنَ الأَئِمَّةِ ، وأَنَّهُ المُختارُ المَنْصُورُ من جِهَةِ الدَّليلِ .

ففي « صَحيح مُسلمٍ »[1] وغيره : عن جابِر بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ : أَنَتَوَضَّأُ من لُحُوم الغَنَم ؟ فَقَالَ : « إِنْ شِئْتَ تَوَضَّأْ ، وإِنْ شِئْتَ فلا تَتَوَضَّأْ » . فَقَالَ : أَنَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الإِبِلِ ؟ قَالَ : « نَعم ، تَوَضَّأْ من لُحُومِ الإِبلِ » .

ورَوَى « أَحمدُ » و« أَبُو داود » وغيرهما[2] : عن البراء بن عازِبٍ ، قَالَ : « سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ عَنِ الوُضُوءِ مِنْ لُحُومِ الإِبلِ ، فَقَالَ : « تَوَضَّؤُوا منها » . وسُئِلَ عن لُحُومِ الغَنَمِ ، فقَالَ : « لا تَتَوَضَّؤُوا مِنْها » .

قَالَ النَّوويُّ رحمهُ اللهُ : هَذَانِ حَديثانِ صَحيحانِ ، لَيْسَ عنهما جَوابٌ شَافٍ ؛ وَقَدِ اخْتَارَهُ جَماعةٌ من مُحَقِّقِي أَصْحابنا المُحَدِّثين . ا هـ .

● وَرَوَى « البُخاري » و« مُسلم » و« أَبُو داود » و« النَّسائي »[3] : عَنِ ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ : « بَيْنَما النَّبيُّ ﷺ ساجِدٌ ، إِذْ جَاءَهُ عُقْبَةُ بنُ أَبي مُعَيْطٍ بِسَلى جَزورٍ ، فَقَذَفَهُ على ظَهْرِ النَّبيِّ ﷺ ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ ، حتَّى جاءَتْ

---

(١) مسلم (٣٦٠) وأَبو داود (١٨٤) .

(٢) مسند أَحمد ٥/ ٩٣ و ١٠٠ وأَبو داود (١٨٤) والتّرمذيّ (٨١) وابن ماجه (٤٩٤) .

(٣) البخاري ٤/ ٧١ و ٥/ ٢٣٩ ومسلم (١٧٩٤) وأَحمد في المسند ١/ ٣٩٣ و ٤١٧ .

فاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها ، فأَخَذَتْهُ مِنْ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَدَعَتْ على مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ ، فقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « اللّهُمَّ عَلَيْكَ المَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبي جَهْلِ ابن هِشام ، وعُتْبَةَ بن رَبيعَةَ ، وشَيْبَةَ بن رَبيعة ، وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ، وَأُمَيَّةَ بن خَلَفٍ ، وَأُبيّ بن خَلَف » .

قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ ، فأُلْقُوا في بِئْرٍ ، غَيْر أُمَيَّةَ أَوْ أُبَيّ ، فَإِنَّهُ كَانَ ضَخْماً ، فلمَّا جَرُّوهُ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ قبلَ أَنْ يُلْقَى في البِئْرِ » .

١٥٨ **الجَسَّاسَةُ** : بِفَتْحِ الجِيْمِ ، وتَشْدِيدِ السِّينِ المُهْمَلَةِ الأُولَى : قَالَ ابنُ سِيْدَه : هي دابَّةٌ في جزائِرِ البَحْرِ ، تَجُسُّ الأَخْبَارَ وَتَأْتِي بِها الدَّجَّالَ ؛ وَكَذَا قَالَ أَبُو داود السِّجِسْتانيّ : سُمِّيَتْ لِتَجَسُّسِها الأَخْبارَ لِلدَّجَّالِ .

وَجَاءَ عن عبدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص : إِنَّها دابَّةُ الأَرْضِ ، المَذْكُورَةُ في القُرآنِ ، وهيَ بِجَزِيرَةٍ ببحْرِ القُلْزُم .

● وروى « مُسلمٌ » و« أَبو داود » و« التّرمذيّ » و« النِّسائي » و« ابنُ ماجَه »[١] عن فاطِمة بنت قيسٍ ، قَالتْ : خَرَجَ علَيْنا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ خَطِيباً ، فَقَالَ : « إِنِّي لَمْ أَجْمَعْكُمْ لِرَغْبَةٍ ولا لِرَهْبَةٍ ، ولكن لحديثٍ حَدَّثَنِيهِ تَميمٌ الدَّاريّ ؛ حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكبَ سَفِينَةً بَحريَّةً في ثَلاثِينَ رَجُلاً من لَخْمٍ وجُذامَ ، فأَلْجَأَهُمْ رِيحٌ عاصِفٌ إِلى جَزِيرَةٍ ، فإِذا هُم بدابَّةٍ ، فَقَالُوا لَها : ما أَنْتِ ؟ قالت : أَنَا الجسَّاسَةُ . قَالُوا : أَخْبِرِينا الخَبَرَ . قالَتْ : إِنْ أَرَدْتُمُ الخَبَرَ فَعَلَيْكُم بِهَذَا الدَّيْرِ ، فإِنَّ فِيهِ رَجُلاً بالأَشْواقِ إِلَيْكُمْ . قَالَ : فأَتَيْنَاهُ ، فَذَكَرَ الحَدِيثَ » .

---

(١) مسلم (٢٩٤٢) وأَبو داود (٤٣٢٦) والتّرمذيّ (٢٢٥٣) وابن ماجه (٤٠٧٤) وأَحمد في المسند ٦/ ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٤١٣ و ٤١٧ و ٤١٨ ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٠٧ والبدء والتَّاريخ ١/ ١٩٢ .

وتَميمٌ الدَّاريُّ[1] : هَذَا هو تَميمٌ بن أَوْس بن خارِجَةَ بن سُودٍ ، أَبُو رُقَيَّةَ ، أَسْلَمَ سنةَ تِسْعٍ من الهجرةِ ، وَرَوى عن رسولِ الله ﷺ ثمانيَةَ عَشَرَ حديثاً ؛ روى « مُسلم » منها حديث[2] « الدِّينُ النَّصيحَةُ » .

وَمِنْ مَناقِبِهِ العظيمةِ التي لا يشارِكُهُ فيها غَيْرُه ، أن النَّبيَّ ﷺ روى عنه قصَّةَ الجسّاسة .

وروى عنهُ جَماعةٌ من الصَّحابَةِ ، كابْنِ عَبَّاسٍ وأَنَسٍ وأَبي هُريرةَ ، وجَماعةٌ مِنَ التَّابِعِين .

وَكَانَ بِالمدينَةِ ثمَّ انْتَقَلَ إِلى بيتِ المَقْدِسِ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمان ، وَكَانَ كَثيرَ التَّهجُّدِ ؛ وهو أَوَّلُ مَنْ قَصَّ على النَّاسِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْرَجَ المَسْجِدَ ؛ قَالَهُ الحافِظُ أَبو نُعَيْمٍ[3] .

وَكَذَلِكَ رَواهُ أَبُو داود الطَّيالسيّ ، عن أَبي سَعيد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَسْرَجَ المَسْجِدَ تَميمٌ الدَّاريُّ .

وتوفِّيَ تَميمٌ سَنَةَ أَربعين .

وَأَمَّا تَميمٌ الدَّاريُّ المذكورُ في « صَحيحِ البُخاريّ » في قِصَّةِ الجامِ ، فَذَلِكَ نَصْرَانيٌّ مِنْ أَهْلِ دارين[4] . قَالَهُ مُقاتلُ بنُ حَيّان وغيرُهُ .

---

(١) ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٤ و ٩/ ٤١٢ ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٠٧ وسير أَعلام النُّبلاء ٢/ ٤٤٢ وتهذيب الكمال ٤/ ٣٢٦ وكتب الصَّحابة . . .

(٢) مسلم (٥٥) ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٠٨ .

(٣) معرفة الصَّحابة ٣/ ١٩٢ و ١٩٣ ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٢١ و ٣٢٢ والأَوائل ١/ ٣٣٦ و ٢/ ١٢٧ .
وقيل : أَوَّل من قصَّ عُبيد بن عُمير اللَّيْثي بمكَّة . ويُقال : أَوَّل مَنْ قصَّ الأَسود بن سريع التَّميميّ . (الأَوائل ٢/ ١٢٨) .

(٤) عجيبٌ هذا ! ! فأَمَّا قصَّة الجام فأَخرجها التِّرمذيّ في جامعه (٣٠٥٩) وليس البخاري . =

١٥٩ جَعارِ : الضَّبُعُ .

● وفـي المَثَـلِ[1] : « أَعْيَـثُ مـن جَعـارِ » . أَيْ : أَفْسَـدُ ؛ والعَيْـثُ : الفَسادُ . قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الطَّويل]

فَقُلْـتُ لَهـا : عِيثِـي جَعـارِ وَجَـرِّرِي   بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدِ اليَوْمَ ناصِرُهْ

١٦٠ الجَعْدَةُ : الشَّاةُ ؛ وسيأْتِي في كُنى « الذِّئبِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ، في بابِ الذَّالِ المُعجمة .

١٦١ الجُعَلُ : بِضَمِّ الجِيمِ ، وفَتْحِ العينِ ، كَصُرَدٍ ورُطَبٍ ؛ وَجَمْعُهُ جِعْلانٌ ، بِكَسْرِ الجِيمِ ، والعَيْنُ ساكِنَةٌ .

والنَّاسُ يُسَمُّونَهُ أَبا جَعْران ، لأَنَّ يَجْمَعُ الجَعْرَ اليابِسَ ويَدَّخِرُهُ في بَيْتِهِ .

وهو[3] دُوَيْبَّةٌ مَعروفَةٌ ، تُسَمَّى الزُّعْقُوقُ[4] ، تَعضُّ البَهائِمَ في فُرُوجِها فَتَهْرُبُ ؛ وهو أَكبرُ مِنَ الخُنْفُسَاءِ ، شَدِيدُ السَّوادِ ، في بَطْنِهِ لَوْنُ حُمرَةٍ ؛ للذَّكَرِ قَرْنانِ ، يُوجَدُ كَثيراً في مَراحِ البَقَرِ والجَوامِيسِ ومَواضِعِ الرَّوْثِ ، وَيَتَوَلَّدُ غالِباً من أَخْثاءِ البَقَرِ ؛ ومن شَأْنِهِ جَمْعُ النَّجاسَةِ وادِّخارُها ، كَما تَقَدَّمَ .

= وأَمَّا تميم الدَّاريّ ، أَبو رقيَّة ، فقد كان نصرانيّاً قبل إِسلامه ، فهو هو . وأَمَّا قَولُهُ : من أَهل دارين فليس بشيءٍ ، لأَنَّ تميماً منسوب إِلى جدِّه ، ولعلَّه نسب إِلى دارين ، وهو موضع في البحر يؤتى منه بالطِّيب ، لأَنَّه كان تاجراً .

(١) المثلُ بلفظ : تيسي جَعار ؛ في الميداني ١/ ١٤٠ . وبلفظ : روغي جَعارِ ؛ في الميداني ١/ ٨٩ والعسكري ١/ ٤٨٨ والزَّمخشري ٢/ ١٠٥ وأَمثال أَبي عبيد ٣١٨ . وبلفظ : عيثي جَعار ؛ في أَمثال السَّدوسيّ ٤٩ والميداني ٢/ ١٤ والزَّمخشري ٤/ ١٧٣ .

(٢) البيت لسعد بن أَبي وقَّاص ، في الأَغاني ٥/ ١٢٣ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٩/ ١٨٩ . وهو بلا نسبة في الميداني ٢/ ١٤ والزَّمخشري ٢/ ١٧٣ واللِّسان « جعر » ١/ ٦٣٣ .

(٣) المستطرف ٢/ ٤٦٤ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٠٧ وعجائب المخلوقات ٢٩٣ .

(٤) كذا . وفي اللِّسان « زعق » ٣/ ١٨٣٤ : والزُّعْقوق : فرخ القَبْج ، وهو الحجل والكروان .

● ومن عَجيبِ أَمْرِهِ أَنَّهُ يَموتُ مِن رِيْحِ الوَرْدِ ورِيْحِ الطِّيبِ ، فإذا أُعيدَ إِلى الرَّوْثِ عَاشَ ؛ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ يَصِفُهُ في شِعْرِهِ[1] : [من البسيط]

كما تُضِرُّ رِياحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ

وَلَهُ جَناحان لا يَكادانِ يُرَيان إِلاَّ إِذا طَارَ ، ولَهُ سِتَّةُ أَرْجُلٍ ، وسَنامٌ مُرتفعٌ جِدّاً ؛ وهو يَمْشِي القَهْقَرَى ـ أَي يَمْشِي إِلى خَلْفٍ ـ وهو مع هذه المِشْيَةِ يَهْتَدِي إِلى بَيْتِهِ ، ويُسَمَّى الكَبْرْتَلُ[2] .

وَإِذَا أَرادَ الطَّيرانَ ، تَنَفَّشَ فَيَظْهَرُ جَناحَاهُ فيَطِيرُ .

ومن عادَتِهِ أَنْ يَحرسَ النِّيامَ ، فَمَنْ قَامَ منهم لِقَضاءِ حاجَتِهِ ، تَبِعَهُ ، وَذَلِكَ من شَهْوَتِهِ للغائِطِ ، لأَنَّهُ قُوتُهُ .

● رَوى « الطَّبرانيُّ » وابنُ أَبي الدُّنْيَا في كِتابِ « العقُوباتِ » والبَيْهَقِيّ في « شُعَبِ الإِيْمانِ »[3] : عن ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ ذُنُوبَ بَنِي آدَمَ ، لَتَقْتُلُ الجُعَلَ في جُحْرِهِ .

● ورَوَى « الحاكِمُ »[4] عن أَبي الأَحْوَص ، عن ابنِ مَسعودٍ ، أَنَّهُ قَرَأَ ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر : ٤٥] ثمَّ قَالَ : كَادَ الجُعَلُ يُعَذَّبُ في جُحْرِهِ بِذَنْبِ بَنِي آدَمَ . ثمَّ قَالَ الحاكمُ : صَحيحُ الإِسْنادِ ولَمْ يُخرِجاهُ .

---

(١) ديوانه ٣/ ٤٠ . وصدره : بذي الغباوَةِ من إنشادِها ضَرَرٌ × .

(٢) في اللِّسان « كَبْرْتَل » ٥/ ٣٨١١ عن ابن الأَعرابيّ : يُقالُ لِذَكرِ الخنفساء : المُقَرَّضُ ، والحُوَّازُ ، والكَبْرْتَلُ ، والمُدَحرِجُ ، والجُعَلُ .

(٣) لم أَجده في شعب الإيمان .

(٤) المستدرك ٢/ ٤٢٨ .

● وَقَالَ مُجاهد في قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[1] [البقرة : ١٥٩] إِنَّهُمْ دَوابُّ الأَرْضِ ، الخَنافِسُ والجِعْلانُ يُمنعونَ القَطْرَ بِخطاياهم .

● وروى « أَبُو داود » و« التّرمذيّ » وَحَسَّنَهُ ، وهو آخرُ حديثٍ في « جامعه » قبلَ العِلَلِ[2] ، وابن حِبَّان : عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكم عُبِّيَّةَ الجاهِلِيَّةِ[3] ، وَفَخْرَها بالآباءِ ، إِمَّا مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَو فاجِرٌ شَقِيٌّ ، أَنتم بَنُو آدَمَ وآدَمُ من تُرابٍ ، لَيَدَعَنَّ رِجالٌ فَخْرَهُم بِأَقْوامٍ مَا هُم إِلاَّ فَحْمٌ من فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَو لَيكونَنَّ على اللهِ أَهْوَنَ من الجِعْلانِ التي تَدْفَعُ بِأَنْفِها النَّتَنَ » .

وفي روايَةٍ : « أَهْوَنَ على اللهِ من الجُعَلِ ، يَدْفَعُ الخِراءَ بِأَنْفِهِ » .

وفي « مسند أَبي داود الطَّيالسيّ » و« شُعَبِ الإِيمانِ »[4] : عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لا تَفْخَرُوا بآبائِكُمْ الَّذِينَ ماتُوا في الجاهِلِيَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَما يُدَحْرِجُ الجُعَلُ بِأَنْفِهِ ، خيرٌ من آبائِكم الَّذين ماتُوا في الجاهِلِيَّةِ » .

● ورَوى البَزَّارُ في « مسنده » عن حُذيفة رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « كُلُّكم بَنُو آدَمَ ، وآدَمُ من تُرابٍ ؛ لَيَنْتَهِيَنَّ أَقوامٌ يَفْخَرُونَ بآبائهم ، أَو لَيكونُنَّ أَهْوَنَ على اللهِ من الجِعْلانِ » .

● وَكَانَ عامِرُ بنِ مَسْعُودٍ الجُمَحِيُّ الصَّحابيُّ[5] رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ،

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٠ .

(٢) أَبو داود (٥١١٦) والترمذيّ (٣٩٥٥) ومسند أَحمد ٢/ ٣٦١ و ٥٢٤ .

(٣) عُبِّيَّة الجاهليَّة : تكبّرها ونخوتها .

(٤) شعب الإيمان ٤/ ٢٨٦ رقم (٥١٢٩) ومسند أَحمد ١/ ٣٠١ .

(٥) ترجمته في : تهذيب الكمال ١٤/ ٧٥ وتهذيب التَّهذيب ٥/ ٨٠ وكتب الصّحابة . وحديثه في التّرمذيّ (٧٩٧) ومسند أَحمد ٤/ ٣٣٥ وتهذيب الكمال ١٤/ ٧٦ .

يُلَقَّبُ دُحْرُوجَةَ الجُعْلِ ، لِقِصَرِهِ ، وهو راوي حَديث « الصَّوْمُ في الشِّتَاءِ الغَنيمَةُ البارِدَةُ » .

● وَرَوى الرِّياشيُّ ، عن الأَصْمَعِيِّ ، قالَ[1] : مَرَّ بنا أَعْرابيٌّ يَنْشُدُ ابْناً لَهُ ، فَقُلْنا لَهُ : صِفْهُ لَنا ، فقَالَ : كَأَنَّهُ دُنَيْنيرٌ . فقُلْنا لَهُ : لَمْ نَرَهُ ؛ فَذَهَبَ ، فَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ جاءَ بصَغيرٍ أَسْوَدَ ، كَأَنَّهُ جُعلٌ ، قَدْ حَمَلَهُ على عُنُقِه ؛ فقُلْنا لَهُ : لو سَأَلْتَنا عن هَذَا لأَرْشَدْناكَ ، فإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ عامَّةَ يَوْمِهِ بَيْنَ أَيْدِينا ؛ ثمَّ أَنشَدَ الأَصْمَعِيُّ : [من المنسرح]

زَيَّنَها اللهُ في الفُؤادِ كَمَا ... زُيِّنَ في عَيْنِ والِدٍ وَلَدُهْ

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ ، لاسْتِقْذَارِهِ .

الأَمثالُ : قَالوا[2] : « أَلْصَقُ من جُعَلٍ » لأَنَّهُ يَتْبَعُ الإِنْسَانَ إلى الغائِطِ ، كَمَا تَقَدَّمَ . قَالَ الشَّاعِرُ[3] : [من البسيط]

إِذا أَتَيتُ سُلَيْمَى شُبَّ لي جُعَلٌ ... إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذي يُغْرَى بهِ الجُعَلُ

وهو يُضْرَبُ للرَّجُلِ يَلْصَقُ بِهِ مَنْ يَكْرَهُهُ ، فلا يَزالُ يَهْرُبُ منهُ .

الخَواصُّ : إِذا أُخِذَ الجُعَلُ غيرَ مَطْبُوخٍ ولا مَمْلُوحٍ ، وجُفِّفَ ، وشُرِبَ من غيرِ إِضافَةٍ إِلى غَيْرِهِ ، نَفَعَ مِنْ لَسْعِ العَقْرَبِ نَفْعاً عَظِيماً .

التَّعبيرُ[4] : الجُعَلُ في المَنامِ : عَدُوٌّ بَغِيضٌ ثَقيلٌ ؛ ورُبَّما دَلَّ على رَجُلٍ

---

(١) الخبر في كامل المبرد ١/ ٣١٢ وعيون الأخبار ٣/ ٩٥ . والبيت برواية الأصل في التَّذكرة الحمدونيَّة ٧/ ١٤٧ . وبرواية : × . . . ولدُ . في الكامل ١/ ٣١٢ وفصل المقال ٢١٩ بلا نسبة . وقبله في الكامل بيت هو في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٩١ .

(٢) الميداني ٢/ ٢٥٠ والعسكري ٢/ ٢١٧ والزَّمخشري ١/ ٣٢٣ والدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٣٦٩ و٣٧١ .

(٣) البيت بلا نسبة في مصادر المثل والمخصَّص ٨/ ١١٦ واللِّسان « جعل » .

(٤) تفسير الواعظ ٣١٢ .

مُسافِرٍ ، يَنْقُلُ الأَمْوالَ من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ ، ومالُهُ حَرامٌ أَو فِيهِ شُبْهَةٌ ؛ واللهُ أَعلمُ .

١٦٢ **الجَعْوَلُ** : وَلَدُ النَّعامَةِ ؛ لُغَةٌ يمانِيَّةٌ ، قالَهُ ابنُ سِيْدَه[1] ؛ وَسَيأْتِي في لَفْظِ « النَّعامَةِ » في « باب النُّونِ » .

١٦٣ **الجَفْرَةُ** : بِفَتْحِ الجِيْمِ : مَا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ من أَوْلادِ المَعْزِ ، وفُصِلَتْ عن أُمِّها ؛ والذَّكَرُ جَفْرٌ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ جَفَرَ جَنْبَاهُ : أَي عَظُما ؛ والجَمْعُ : أَجْفارٌ وَجِفارٌ .

● **فائدةٌ** : قَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ في كِتابِهِ « أَدَب الكاتِب »[2] : وكِتابُ « الجَفْرِ » جلْدُ جَفْرٍ ، كَتَبَ فِيهِ الإِمامُ جَعفر بن محمَّد الصَّادِقُ لآلِ البَيْتِ كُلَّ ما يَحْتاجُونَ إلى عِلْمِهِ ؛ وَكُلَّ مَا يَكُونُ إلى يَومِ القِيَامَةِ ؛ وإِلى هَذَا الجَفْرِ أَشارَ أَبُو العَلاءِ المَعَرِّي بِقَوْلِهِ[3] : [من الوافر]

لَقَدْ عَجِبُوا لأَهْلِ البَيْتِ لَمَّا ... أَتاهُمْ عِلْمُهُمْ فِي مَسْكِ جَفْرِ
وَمِرْآةُ المُنَجِّمِ وَهْيَ صُغْرَى ... أَرَتْهُ كُلَّ عامِرَةٍ وقَفْرِ

والمَسْكُ : الجِلْدُ .

● وَقِيلَ[4] : إِنَّ ابْنَ تُومَرت المعروف بالمَهْدِيّ ، ظَفَرَ بِكِتابِ « الجَفْرِ » فَرَأَى فِيهِ مَا يَكُونُ على يَدِ عبدِ المُؤْمِنِ صَاحِبِ المَغْرِبِ ، وَقِصَّتَهُ وحِلْيَتَهُ واسْمَهُ ، فَأَقامَ ابْنُ تُومَرت مُدَّةً يَتَطَلَّبُهُ ، حتَّى وَجَدَهُ وصَحِبَهُ ، وَكَانَ يُكْرِمُهُ ويُقَدِّمُهُ على سائِرِ أَصْحابِهِ ، ويُنْشِدُ إِذا أَبْصَرَهُ[5] : [من البسيط]

---

(١) المخصَّص ٨/ ٥٦ واللِّسان « جعل » .
(٢) هذا من أَوهام المؤلِّف رحمه الله ! فلم يقل ابن قتيبة هذا في أَدب الكاتب ، بل قاله في أَوائل كتابه تأويل مختلف الحديث ٨٤ ـ ٨٥ . وعنه ابن خلِّكان ٣/ ٢٤٠ .
(٣) البيتان في لزوم ما لا يلزم ٢/ ٧٤٨ .
(٤) القائل هو ابن خلِّكان في وفياته ٣/ ٢٣٨ .
(٥) البيتان لأَبي الشِّيص الخزاعي ، في ديوانه ٨٣ ووفيات الأَعيان ٢٣٨ .

تكامَلَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصْتَ بها فَكُلُّنـــا بِـــكَ مَسْـــرُورٌ وَمُغْتَبِـــطُ
السِّـنُّ ضـاحِكَـةٌ والكَـفُّ مـانِحَـةٌ وَالنَّفْـسُ واسِعَـةٌ وَالـوَجْـهُ مُنْبَسِـطُ

ولَمْ يَصِحَّ أَنَّ ابْنَ تُومرتَ استخلفَ عبدَ المؤمن عِنْدَ مَوْتِهِ ، وإنَّما راعى أَصْحابُهُ إشارَتَهُ في تَقْدِيمِهِ وَإِكْرامِهِ ، فَتَمَّ لَهُ الأَمْرُ .

وعبدُ المؤمنِ[1] هو الذي حَمَلَ النَّاسَ في المَغْرِبِ ، حينَ تَمَّ لَهُ الأَمْرُ ، على مَذْهَبِ مالِكٍ رحمهُ اللهُ في الفُرُوعِ ، وعلى مَذْهَبِ أَبي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ رَحِمهُ اللهُ في الأُصُولِ .

وَكَانَ عبدُ المؤمنِ مَلِكاً حازِماً عاقِلاً ، سَفَّاكاً للدِّماءِ ، يَقْتُلُ على الذَّنْبِ الصَّغيرِ .

تُوُفِّيَ في جُمادَى الاخرة ، سنَةَ ثَمانٍ وخَمسينَ وخَمسمئة ؛ ومُدَّةُ وِلايَتِهِ ثلاثٌ وثلاثُونَ سنةً وأَشهراً .

وَحُكْمُها : الحِلُّ ؛ ويُفْدَى بِها اليَرْبُوعُ إذا قَتَلَهُ المُحْرِمُ .

وَخَواصُّها : **وتَعبيرُها** : كالمَعْزِ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

١٦٤ جلَكى : كَمَرَطى[2] ، نَوْعٌ مُتَوَلِّدٌ بَيْنَ الحَيَّةِ والسَّمَكِ ، إذا ذُبِحَ لا يَخْرُجُ مِنْهُ دَمٌ ، وعَظْمُهُ رُخْوٌ يُؤْكَلُ مع لَحْمِهِ ، يُسْمِنُ النِّسَاءَ إذا أُكِلَ ، وهو نِعْمَ العِلاجُ لِذَلِكَ ؛ واللهُ أَعلمُ .

١٦٥ الجَلاَّلَةُ : مِن الحَيوانِ : الَّذِي يأْكُلُ الجِلَّةَ والعَذِرَةَ . والجِلَّةُ :

---

(١) ترجمة عبد المؤمن بن عليّ القيسيّ الكومي ملك المغرب ، في : وفيات الأعيان ٣/ ٢٣٧ وسير أعلام النُّبلاء ٢٠/ ٣٦٦ والبداية والنِّهاية ١٦/ ٤٠٧ .

(٢) أَرى ذِكره في باب الجيم وهماً ، تابعَ فيه القزوينيَّ في عجائب المخلوقات ٩٩ . وصوابه بالحاء المهملة ، كما سيأتي في بابه ، وفيه لغاتٌ . وانظر مسالك الأبصار ٢٠/ ١٣٦ والصِّحاح واللِّسان والتَّاج « حلك » .

البَعْرُ ، [استُعيرَ][1] فَوُضِعَ مَوْضِعَ العَذِرَةِ ؛ يُقَالُ جَلَّتِ الدَّابَّةُ الجِلَّةَ ، وَاجْتَلَّتْها ، فهيَ جالَّةٌ وجَلالَةٌ ، إذا الْتَقَطَتْها .

● رَوَى « أَبُو داود » وغيرُهُ[2] ، مِن حَديثِ نافِعٍ ، عن ابنِ عُمر وابْن عبَّاس رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عَنْ رُكُوبِ الجَلاَّلَةِ » .

● وَرَوَى « الحاكِم »[3] من حديثِ عبدِ اللهِ بن عَمرو رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، قَالَ : « نَهى رَسُولُ اللهِ ﷺ عن أَكْلِ لَحْمِ الجَلاَّلَةِ ، وشُرْبِ لَبَنِها ، وأَنْ لا يُحْمَلَ عَلَيْها الأَدَمُ ، ولا يَرْكَبُها النَّاسُ حتَّى تُعْلَفَ أَربعينَ لَيْلَةً » .

● وَرَوى البَيْهَقِيُّ وغيرُهُ[4] ، عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ من في السِّقَاءِ ، وعن رُكُوبِ الجَلاَّلَةِ ، وعن المُجَثَّمَةِ » . وهي[5] كُلُّ حَيوانٍ يُنْصَبُ ويُرْمَى لِيُقْتَلَ ، إلاَّ أَنَّها تكثرُ في الطُّيُورِ والأَرانِبِ وأَشْباهِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْثُمُ بالأَرْضِ : أَيْ يَلْزَمُها وَيَلْتَصِقُ بِها ؛ وَجَثَمَ الطَّائِرُ جُثُوماً ، وهو بِمَنْزِلَةِ البُرُوكِ لِلإِبلِ .

وَسَيأْتِي الكلامُ على الجَلاَّلَةِ في فرعِ الكَلامِ على « السَّخْلَةِ » .

١٦٦ **الجَلَمُ** : اليُؤيُؤُ ، وهو نَوْعٌ من الصُّقُورِ .

وَسيأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِيها وفي « بابِ الياءِ » أَيضاً .

١٦٧ **الجَمَلُ** : الذَّكَرُ مِنَ الإِبلِ ؛ قالَ الفَرَّاءُ : هو زَوْجُ النَّاقةِ . وَكَذا قَالَ ابْنُ مَسعودٍ ، لمَّا سُئِلَ عَنِ الجَمَلِ ، كَأَنَّهُ اسْتَجْهَلَ مَنْ سَأَلَهُ عَمَّا يَعرِفُهُ النَّاسُ جَميعاً .

---

(١) الزِّيادة عن اللِّسان « جلل » .
(٢) أَبو داود (٣٧٨٥ ـ ٣٧٨٧) .
(٣) المستدرك ٢/ ٣٩ .
(٤) والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٥ .
(٥) عن النِّهاية ١/ ٢٣٩ .

وَجَمْعُ الجَمَلِ : جِمالٌ وأَجْمَالٌ وَجمائِلُ وَجِمالاتٌ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات : ٣٣] قَالَ أَكْثَرُ المُفَسِّرِينَ : هي جَمْعُ جِمالٍ ، على تَصْحيحِ البِناءِ ، كَرِجالٍ ورِجالاتٍ .

وَقَالَ ابنُ عبَّاسٍ وابْنُ جُبيرٍ : الجِمالاتُ : قُلُوسُ السُّفُنِ ، وَهِيَ حِبالُها العِظامُ ، إذا جُمِعَتْ مُستَديرَةٌ بَعْضُها إلى بَعْضٍ جَاءَ منها أَجْرامٌ عِظامٌ .

وَقَالَ ابنُ عبَّاسٍ أَيضاً : الجِمالاتُ : قِطَعُ النُّحاسِ العِظامُ ؛ وإِنَّما يُسَمَّى البَعيرُ جَمَلاً إذا أَرْبَعَ .

● **فائِدَةٌ** : كَانَ اسْمُ الجَمَلِ الَّذِي رَكِبَتْهُ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها يَوْمَ وَقْعَتِهِ « عَسْكَراً » ، اشْتَراهُ لَها يَعْلَى بن أُمَيَّة[1] بأَربعمِئة دِرهمٍ ، وَقيلَ : بِمِئَتي دِرهمٍ ، وهو الصَّحيحُ .

● قَالَ : ابنُ الأَثيرِ[2] : مَرَّ مالِكُ بن الحارِثِ ، المعروفُ بالأَشْتَرِ النَّخعيِّ ، وَكَانَ مِنَ الأَبْطالِ المَشْهُورَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحاب عليٍّ يَوْمَ الجَمَلِ ، بعبدِ اللهِ بن الزُّبير ، وكَانَ مع عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ، وَكَانَ مِنَ الأَبْطالِ ، فَتَماسَكَا ، فَصَارَ كُلُّ واحِدٍ منهما إذَا قَوِيَ على صاحِبِهِ جَعَلَهُ تَحْتَهُ وَرَكِبَ على صَدْرِهِ ، فَعَلا ذَلِكَ مِراراً ، وابنُ الزُّبَيْرِ يَصِيحُ بأَعْلَى صَوْتِهِ : [من مَجْزُوءِ الخفيف]

اقْتُلُوني ومالِكاً ... واقْتُلُوا مالِكاً مَعِي

يُرِيدُ بِذَلِكَ الأَشْتَرَ النَّخْعيّ .

---

(١) ويقال له : يَعلى بن مُنية ، وهي أُمُّهُ . وكان شراء الجمل بثمانين درهماً ؛ وفي رواية العرني : بأَربعمئة درهم ، وقيل : بستّمئة درهم . (الطَّبري ٣/ ٥٠٧ والكامل ٣/ ٢١٠ والبداية والنِّهاية ١٠/ ٤٣٣) .

(٢) تاريخ الطَّبريّ ٣/ ٥٢٥ والكامل ٣/ ٢٥٠ .

● قَالَ ابنُ الزُّبَيْر[1] : أَمْسَيْتُ يَوْمَ الجَمَلِ وفِيَّ سَبْعٌ وَثَلاثُونَ جِراحَةً ، مَا بَيْنَ طَعْنَةِ رُمْحٍ وَضَرْبَةِ سَيْفٍ ورَمْيَةِ سَهْمٍ .

قَالَ : ولا يَنْهَزِمُ مِنَ الفريقينِ أَحَدٌ ، وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِخِطامِ الجَمَلِ إلاَّ قُتِلَ ؛ فأَخذتُ الخِطامَ ، فقالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : ابنُ الزُّبَيْرِ ؛ فقالَتْ : واثكْلَ أسماءَ ؛ وَمَرَّ بِي الأَشْتَرُ فَعَرَفْتُهُ ، فاقْتَتَلْنا ، فواللهِ ما ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً إلاَّ ضَرَبَنِي بِها سِتّاً أو سَبْعاً ، فَجَعلتُ أُنادِي : [من مجزوء الخفيف]

اقْتُلُونِي ومَالِكاً واقْتُلُوا مَالِكاً مَعِي

وَضَاعَ الخِطامُ مِنِّي ؛ ثمَّ أَخَذَ مالِكٌ بِرِجْلي فَرَمانِي في الخَنْدَقِ ، وَقَالَ : لَوْلا قَرابَتُكَ من رَسولِ اللهِ ﷺ ما اجْتَمَعَ مِنْكَ عُضْوٌ إلى عُضْوٍ أَبَداً .

وفي روايةٍ : فَجاءَ أُناسٌ مِنَّا ومنهم ، وَتَقاتَلوا حتَّى تحاجَزْنا ، وَضَاعَ مِنِّي الخِطامُ ؛ وسمعتُ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : اعقِرُوا الجَمَلَ ، فإنَّهُ إنْ عُقِرَ تَفَرَّقُوا ؛ فَضَرَبَهُ رَجُلٌ[2] فَسَقَطَ ، فما سَمعتُ قَطُّ أَشَدَّ من عَجِيجِ الجَمَلِ ، ثمَّ أَمَرَ عليٌّ بحَمْلِ الهَوْدَجِ من بينِ القَتْلى ، فاحْتَمَلَهُ محمَّد بن أَبي بَكرٍ وعمَّار بن ياسرٍ ، فأَدْخَلَ محمَّد بن أَبي بكرٍ يَدَهُ في الهَوْدَجِ ، فقالتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها : مَنْ هَذَا الَّذِي يَتعَرَّضُ لِحَرمِ رَسولِ اللهِ ﷺ ؟ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ ؛ فَقَالَ : يا أُختاهُ ، قُولِي : بِنارِ الدُّنْيا ؛ فقالت : بِنارِ الدُّنيا .

وقُتِلَ طَلحةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه في الوَقْعَةِ ، وكَانَ من حِزْبِ عائِشة ، وَرَجَعَ الزُّبيرُ ، فَقَتَلَهُ عَمرو بن جُرموزٍ بِوادِي السِّباعِ[3] وهو

---

(١) النَّقل من هنا عن ابن خلِّكان ٣/ ١٨ ـ ١٩ و ٧/ ١٩٥ . وانظر الطَّبري ٣/ ٥١٩ و ٥٣٠ والبداية والنِّهاية ١٠/ ٤٦٧ .

(٢) اسمه بُجير بن دلجة الضَّبِّيّ ، من أَهل الكوفة (الطَّبري ٣/ ٥٢٣) ، أَو عمرو بن دلجة (الطَّبري ٣/ ٥٣١) .

(٣) وادي السِّباع : بين البصرة ومكَّة ، بينه وبين البصرة خَمسة أَميال . (معجم البلدان ٥/ ٣٤٣) .

نائِمٌ[1] ، وعَادَ بسَيْفِهِ إِلى عليٍّ ، فلمَّا رَآهُ قَالَ[2] : إِنَّهُ لَسَيْفٌ طَالَما جَلا الكَرْبَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ وأُحِيطَ بعائِشَةَ .

وَدَخَلَ عليٌّ البَصرةَ فبَايَعَهُ أَهْلُها ، وأَطْلَقَ عُثمانَ بن حُنَيْفٍ ، وجَهَّزَ عائِشَةَ ، وأَخْرَجَ أَخاها مُحمَّداً معها ، وشَيَّعَها عليٌّ بِنَفْسِهِ أَميالاً ، وسَرَّحَ بَنيهِ مَعها يَوْماً .

وَقيلَ : إِنَّ عِدَّةَ المَقتُولِينَ من أَصْحابِ الجملِ ثَمانيةُ آلافٍ ، وَقِيلَ : سبعةَ عَشَرَ أَلْفاً ، ومن أَصْحابِ عليٍّ نَحو أَلْفٍ .

وَقُطِعَ على خِطامِ الجَمَلِ يَومئِذٍ نَحو ثَمانِينَ كَفَّاً ، مُعظمُهم من بَني ضَبَّةَ ، كُلَّما قُطِعَتْ يَدُ رَجُلٍ ، أَخَذَ الخِطامَ آخَرُ ؛ وفي ذَلِكَ يَقُولُ الضَّبِّيُّ[3] : [من الرَّجز]

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحابُ الجَمَلْ ... نُنازِلُ المَوْتَ إِذا المَوْتُ نَزَلْ

وَالمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنا مِنَ العَسَلْ

وكانُوا قَدْ أَلْبَسُوهُ الأَدْراعَ إِلى أَنْ عُقِرَ .

وَنَصْبُ « بَني » عندَ النَّحْوِيِّينَ على المَدْحِ والتَّخْصِيصِ .

وَكانَتْ وَقْعَةُ الجَمَلِ يَوْمَ الخميسِ ، العاشِرِ من جُمادَى الأُولَى أَو الآخِرَة ، وَقِيلَ : في خامِس عَشَرِه ، سنةَ سِتٍّ وثلاثين ، من ارْتِفاعِ الشَّمْسِ إِلى قَرِيبِ العَصْرِ .

ويُرْوى أَنَّ عائِشَةَ أَعْطَتِ الَّذي بَشَّرَها بِسَلامَةِ ابنِ الزُّبيرِ لَمَّا لاقَى الأَشْتَرَ ، عشرةَ آلافِ درهمٍ .

---

(١) بل قتله وهو قائمٌ يُصلِّي . (الطَّبري ٣/ ٥٣٥ ومروج الذَّهب ٣/ ١٠٨) .

(٢) قوله وبشارته قاتل الزُّبير بالنَّار ، في ثمار القلوب ١/ ٢١١ وفيه مصادره .

(٣) هو عمرو بن يثربي ، أو وسيم بن عمرو بن ضرارا الضَّبِّيّ . (الطَّبري ٣/ ٥١٨ و ٥٣٠) . وقيل : هو الحارث الضَّبِّيّ . (البداية والنِّهاية ١٠/ ٤٦٥) .

● وَذَكَرَ ابنُ خلّكان وغيرُهُ[1] : أَنَّ الأَشْتَرَ دَخَلَ على عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها بَعْدَ وَقْعَةِ الجمَلِ ، فقالت لَهُ : يا أَشْتَرُ ، أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ قَتْلَ ابنَ أُخْتي يَوْمَ الجمَلِ ؟ فأَنْشَدَها : [من الطَّويل]

أَعـائِـشُ لَـوْلا أَنَّنِـي كُنْـتُ طـاوِيـاً ... ثَـلاثـاً لأَلْفَيْـتِ ابْـنَ أُخْتِـكِ هـالِكـا
غَـداةَ يُنـادِي والـرِّمـاحُ تَنُـوشُـهُ ... بـآخِـرِ صَـوْتٍ : اقْتُلُـونـي ومـالِكـا
فَنَجَّـاهُ مِنِّـي أَكْلُـهُ وَشَبـابُـهُ ... وَخَلْـوَةُ جَـوْفٍ لَـمْ يَكُـنْ مُتَمـاسِكـا

ونُقِلَ أَنَّهُ كَانَ في رَأْسِ ابنِ الزُّبير رَضِيَ اللهُ عنه ضَرْبَةٌ عَظِيمةٌ منَ الأَشْتَرِ ، لَوْ صُبَّ فِيها قارورةُ دُهْنٍ لاسْتَقَرَّ .

● وَرَوى « الحاكِمُ » من حديثِ قيس بن أَبي حازِمٍ[2] ، و« ابْنُ أَبي شَيْبَةَ » من حَدِيثِ ابْن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِنسائِه : « أَيَّتُكُنَّ صاحِبَةُ الجَمَلِ الأَدْبَبِ ، تَسيرُ - أَوْ تَخْرُجُ - حتَّى يَنْبَحَها كِلابُ الحَوْأَبِ ؟ » .

والحَوْأَبُ : نَهْرٌ بِقُرْبِ البَصْرَةِ ، والأَدْبَبُ : الأَزَبُّ : وهو الكَثيرُ وَبَرِ الوَجْهِ .

● قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ : والعَجَبُ من ابْنِ العَرَبيِّ ، كَيفَ أَنْكَرَ هذا الحَدِيثَ في كِتابِ « العَواصِم والقَواصِم » لَهُ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لا يُوجَدُ لَهُ أَصْلٌ ؛ وهو أَشْهَرُ من فَلَقِ الصُّبْح .

● ورُوِيَ[2] أَنَّ عائِشَةَ لَمَّا خَرَجَتْ ، مَرَّتْ بماءٍ يُقَالُ لَهُ الحَوْأَبُ ، فَنَبَحَتْها الكِلابُ ، فَقَالَتْ : رُدُّونِي رُدُّونِي ، فإِنِّي سَمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يَقُولُ : « كيفَ بإِحْداكُنَّ إِذا نَبَحَتْها كِلابُ الحَوْأَبِ » .

---

(١) وفيات الأَعيان ٧/ ١٩٦ ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٠ وشرح النَّهج ٥/ ١٠١ .
(٢) المستدرك ٣/ ١٢٠ والنِّهاية لابن الأَثير ١/ ٩٦ .

وَهَذا الحديثُ مِمَّا أُنْكِرَ على قَيْس بن أَبي حازِمٍ[1] .

● وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ[2] : [من الرَّجز]

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى　　يا جَمَلِي لَيْسَ إِلَيَّ المُشْتَكَى

صَبْراً جَميلاً فَكِلانا مُبْتَلى

فَمعلومٌ أَنَّ الجَمَلَ لا يَنْطِقُ ، وإِنَّما أَرادَ التَّجَوُّزَ ، ومُقابَلَةَ الكَلام بِمِثْلِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البَقرة : ١٩٤] .

وَكَقَوْلِ عَمرو بن كُلْثُوم[3] : [من الوافِر]

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا　　فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلِينا

وكَقَوْلِ الآخَرِ[4] : [من الطَّويل]

وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالحِلْمِ مُلْجَمٌ　　وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالجَهْلِ مُسْرَجُ

فَمَنْ رَامَ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوَّمٌ　　وَمَنْ رَامَ تَعْوِيجِي فَإِنِّي مُعَوَّجُ

يُرِيدُ أَنَّهُ يُكافِئُ الجاهِلَ والمُعْوَجَّ ، لا أَنَّهُ امْتَدَحَ بِالجَهْلِ والاعْوِجاجِ .

● وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأَعراف : ٤٠] فأَرادَ به الحيوانَ المعروفَ ، لأَنَّهُ أَعْظَمُ الحَيواناتِ المُتَداولَةِ للإِنْسانِ جُثَّةً ، فلا يَلِجُ إِلاَّ فِي بابٍ واسِعٍ ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : لا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ أَبَداً .

---

(١) انظر مجمل ما قيل عنه ، في تهذيب الكمال ٢٤/ ١٤ .

(٢) الأَشطار بلا نسبة في التَّذكرة الحمدونيَّة ٨/ ١٠٧ .

(٣) ديوانه ١٠١ .

(٤) البيتان نُسبا إِلى محمَّد بن وهيب الحميري في ديوانه ٦٥ (ضمن شعراء عبَّاسيُّون) . وإِلى محمَّد بن حازم الباهليّ في ديوانه ٤٣ . وإِلى صالح بن جناح في بهجة المجالس ١/ ٦١٨ والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٥٥ . وإِلى صالح بن عبد القدُّوس في البصائر والذَّخائر ٤/ ٢٠٧ . وبلا نسبة في المجالسة ٣/ ١٦٨ و ٨/ ٣١ والعقد الفريد ٣/ ١٤ والمستطرف ١/ ٤٨٠ .

قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [من الوافر]

لَقَدْ عَظُمَ البَعيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالعِظَمِ البَعيرُ

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ ومُجاهِدٌ : الجُمَّلُ ، بضَمِّ الجِيمِ وتَشديدِ الميمِ ، وَفُسِّرَ بِحَبْلِ السَّفِينَةِ الغَلِيظِ .

وَسَمُّ الخِياطِ : هو بُخْشُ الإِبْرَةِ[2] : أَيْ ثُقْبُها .

وَقَدْ أَلْغَزَ فِيها الشَّاعِرُ ، فَقَالَ[3] : [من الطَّويل]

سَعَتْ ذاتُ سُمٍّ في قَمِيصِي فَغادَرَتْ بِهِ أَثَراً واللهُ يَشْفِي مِنَ السُّمِّ
كَسَتْ قَيْصَراً ثَوْبَ الجَمالِ وَتُبَّعاً وكِسْرَى وعادَتْ وهيَ عاريَةُ الجِسْمِ[4]

● وَكُنْيَةُ الجَمَلِ : أَبُو أَيُّوب ، وَأَبُو صَفْوان .

● وفي حَديثِ أُمِّ زَرْعٍ[5] : « زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٌّ ، على رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ » .

● وَفي « سُنَنِ أَبي داود »[6] عن مُجاهد ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَهْدَى عامَ الحُدَيْبِيَةِ في هَدايَاهُ جَمَلاً كَانَ لأَبي جَهْلِ بنِ هِشامٍ ، في أَنْفِهِ بُرَةٌ من فِضَّةٍ ، يَغِيظُ بِذَلِكَ المُشْركين » .

---

(١) نُسب البيت إلى كثيِّر عزَّة في ديوانه ٥٣٠ . وإلى العبَّاس بن مرداس السُّلميّ في ديوانه ١٧٣ . وإلى معوّد الحكماء في ديوانه ٥٧ (ضمن أشعار العامريِّين الجاهليِّين) .

(٢) قوله : بخش الإبرة : عاميَّة .

(٣) البيتان لأَبي العلاء المعرِّي في خزانة الأَدب للحموي ٤/ ١٦٦ وليسا في دواوينه .

(٤) في أ : × . . . وجاءت . . . .

(٥) البخاري ٦/ ١٤٦ ومسلم (٢٤٤٨) . وهو من قول المرأة الأولى .

(٦) أَبو داود (١٧٤٩) والتِّرمذيّ (٨١٥) وابن ماجه (٣٠٧٦) و (٣١٠٠) وأَحمد في المسند ١/ ٢٣٤ و ٢٦١ و ٢٦٩ و ٢٧٣ والنِّهاية ١/ ١٢٢ .
والبُرَةُ : حَلْقَةٌ تُجعلُ في لحمِ الأَنفِ .

قال الخطَّابيُّ : وفيه من الفِقْهِ ، أَنَّ الذُّكْرانَ في الهَدْيِ جائِزةٌ ؛ وقد رُوِيَ عن ابنِ عُمر أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ ذلِكَ في الإبلِ ، وَيَرى أَنْ تُهْدَى الإناثُ منها ؛ وَفِيهِ دَليلٌ أَيضاً على جَوازِ استعمالِ اليَسيرِ من الفِضَّةِ في لُجُمِ المَراكبِ ، من الخَيْلِ وغيرها ؛ وقَولُهُ : يَغيظُ بذَلِكَ المُشركين . مَعناهُ أَنَّ هذا الجَمَلَ كَانَ مَعْرُوفاً لأَبي جَهْلٍ ، فَحازَهُ النَّبيُّ ﷺ ، فَكَانَ يَغيظهُم أَنْ يَرَوْهُ في يَدِهِ ﷺ وصاحِبُهُ قَتيلٌ سَليبٌ .

● وَرَوى « أَبو داود » و « التِّرمذيّ » و« ابْنُ ماجه »[1] عن العِرْباضِ بن سارِيَةَ ، قَالَ : وَعَظَنا رسولُ اللهِ ﷺ مَوعِظَةً ، ذَرَفَتْ منها العُيُونُ ، وَوَجِلَتْ منها القُلُوبُ ، فقُلْنا : يا رَسُولَ اللهِ ، هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ، فَمَا تَعْهَدُ إِلينا ؟ فَقَالَ ﷺ : « قَدْ تَرَكْتُكُم على بَيْضَاءَ ، لَيْلُها كَنهارِهَا ، لا يَزِيغُ عَنْها بَعْدِي إلاَّ هالِكٌ ، ومَنْ يَعِشْ منكم فَسَيَرى اخْتِلافاً كَثيراً ، فعَلَيْكُمْ بما عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشِدِين من بَعْدِي ، عَضُّوا عليْها بالنَّواجِذِ ؛ وإِيَّاكُم ومُحْدَثاتِ الأُمُورِ ، فإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ ؛ وعَليكم بالطَّاعَةِ وإِنْ كَانَ عَبْداً حَبَشِيّاً ، فإِنَّما المُؤمنُ كَالجَمَلِ الأَنِفِ ، حَيْثُما قِيْدَ انْقَادَ » .

والأَنِفُ : الجَمَلُ المَخْزُومُ . والأَنِفُ : الذي لا يَمتنعُ على قائِدِهِ . وقِيلَ : الأَنِفُ : الذَّلولُ ، ويُرْوَى كالجَمَلِ الآنِفِ بالمَدِّ ، وهو بِمَعْناهُ ؛ وفيهِ : « إِنْ قِيْدَ انْقَادَ ، وإِنْ أُنِيخَ على صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ » .

والنَّواجِذُ بالذَّالِ المُعجمةِ : الأَشْهَرُ أَنَّها أَقْصَى الأَسْنانِ ؛ أَي : تَمَسَّكُوا بِها ، كَمَا يَتَمَسَّكُ العاضُّ بِجَمِيعِ أَضْراسِهِ .

وفي الحديث[2] : « أَنَّهُ ﷺ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ » . والمُرادُ

---

(١) أَبو داود (٤٦٠٧) والتِّرمذيّ (٢٧٧٦) ، وابن ماجه (٤٣) وأَحمد ٤/ ١٢٦ .

(٢) البخاري ٧/ ٩٤ ومسلم (١٨٦) و (١٩٠) والتِّرمذيّ (٢٥٩٥) وابن ماجه (٤٣٣٩) =

هَا هُنا : الضَّواحِكُ ، وهي التي تَبْدُو عِندَ الضَّحِكِ ، لأَنَّهُ ﷺ كَانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّماً .

● وَرَوى الإمامُ « أَحمد » و« أَبُو داود » و« النَّسائي »[1] عن أَبي هُريرةَ ، أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِذا سَجَدَ أَحَدُكُم فلا يَبْرَكْ كَمَا يبركُ الجَمَلُ ، ولْيَضَعْ يَدَيْهِ ثمَّ رُكْبَتَيْهِ » .

قال الخَطَّابيُّ : حديثُ وائِل بن حُجْرٍ أَثْبَتُ من هذا ، وهو مَا رَواهُ الأَرْبَعَةُ عنهُ ، أَنَّهُ قَالَ[2] : رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ إِذا سَجَدَ وَضَعَ رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ ، وإِذا نَهَضَ رَفَعَ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ » .

● وَرَوَى « البُخــاري » و« مسلــم » و« أَبــو داود » و« التِّــرمــذيّ » و« النَّسائي »[3] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ على جَمَلٍ ، فأَعْيَا ، فَنَخَسَهُ النَّبيُّ ﷺ وَدَعَا لَهُ ، وقَالَ : « ارْكَبْ » . فركِبَ وَكانَ أَمامَ القَوْمِ .

قَالَ : فقال لي النَّبيُّ ﷺ : « كَيْفَ تَرى بَعيرَكَ ؟ » فقُلْتُ : قد أَصابَتْهُ بَرَكَتُكَ . قال : « أَفَتبيعُنيه ؟ » فاسْتَحْيَيْتُ وَلَمْ يكن لِي ناضِحٌ غيرُهُ ، فقُلْتُ : نَعم ؛ فَمَا زَالَ ﷺ يَزيدُني ويَقولُ : « والله يَغْفِرُ لَكَ » حتَّى بِعْتُهُ بأُوقيَّةٍ مِن ذَهَبٍ ، على أَنَّ لِي رُكوبَهُ حتَّى أَبْلُغَ المدينَةَ ؛ فَلَمَّا بَلَغْتُها قال ﷺ لِبلالٍ : « أَعْطِهِ الثَّمَنَ وَزِدْهُ » ثمَّ رَدَّ ﷺ عليَّ الجَمَل .

وفي « كتاب ابن حِبَّان »[4] من حديثِ حمَّاد بن سَلَمَة ، عن أَبي الزُّبير ،

= وأَحمد ١/ ٣٧٨ و ٤٦٠ .

(١) مسند أَحمد ٢/ ٣٨١ وأَبو داود (٨٤٠) و(٨٤١) والتّرمذيّ (٢٦٩) والنَّسائي (١٠٩١).

(٢) أَبو داود (٨٣٨) والتّرمذيّ (٢٦٨) والنسائي (١٠٩٠) وابن ماجه (٢٨٢) .

(٣) البخاري ٣/ ١٥ و ١٧٤ و ٢١٧ ومسلم (٧١٥) والنَّسائي (٤٦٣٧ ـ ٤٦٤١) .

(٤) صحيح ابن حبَّان (٧١٤٢) .

عن جابرٍ رضي الله تعالى عنه ، قَالَ : استغفرَ لِي رسولُ اللهِ ﷺ لَيلةَ البَعير خَمساً وعِشرينَ مَرَّةً .

وبهذا اسْتُدِلَّ على جَوازِ بَيْعٍ وشَرْطٍ ، والخلافُ فيه مُقَرَّرٌ في كُتُبِ الفِقْهِ .

● قالَ السُّهيليُّ[1] : والحِكْمَةُ في شِرائِهِ الجَمَلَ ، ورَدِّهِ عليْهِ ، وإعطائِهِ الثَّمَنَ بزِيادَةٍ ؛ أَنَّهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كان أَخْبَرَهُ بأَنَّ اللهَ تَعالَى أَحْيَا أَباهُ ، وَرَدَّ عليْهِ رُوْحَهُ ، فاشْتَرَى الجَمَلَ منهُ وهو مَطِيَّتُهُ ، كَمَا اشْتَرى اللهُ أَنْفُسَ الشُّهداءِ بثَمَنٍ هو الجَنَّةِ ، ونَفْسُ الإنْسانِ مَطِيَّتُهُ ، ثمَّ زادَهُم فقالَ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] ثمَّ رَدَّ عليهم أَنْفُسَهُمْ التي اشْتَرَى مِنهم ، فقَالَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] الآية ، فأَشَارَ ﷺ بالشِّراءِ وَرَدِّ الثَّمَنِ والزِّيادَةِ ، ثمَّ رَدِّ الجَمَلِ إليهِ ، إلى تأكِيدِ الخَبَرِ الذي أَخْبَرَ بِهِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فتَشاكَلَ الفِعْلُ والخَبَرُ .

● وفي « مُسندِ الإمامِ أَحمد » و« الحاكم »[2] عن عبدِ اللهِ بن جَعفر رَضِيَ الله عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخلَ حائِطاً لبعضِ الأَنْصارِ ، فإذا فِيه جَمَلٌ ، فلمَّا رَأَى النَّبيَّ ﷺ ذَرَفَتْ عَيْناهُ ، فَمَسَحَ النَّبيُّ ﷺ سَنامَهُ - وفي رِوايةٍ : فَمَسَحَ ذِفْرَيْه - فَسَكَنَ » . ثمَّ قالَ ﷺ : « مَنْ رَبُّ هذا الجَمَلِ ؟ » فَجاءَ فتىً من الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : هوَ لي يا رَسُولَ اللهِ ؛ فَقَالَ ﷺ : « أَلا تَتَّقِي اللهَ في هَذِهِ البَهِيمَةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاها ؟ فإِنَّهُ شَكَا لِي أَنَّكَ تُجيعُهُ وتُدْئِبُهُ » .

● وَرَوى « الطَّبرانيّ »[3] عن جابرٍ رَضِيَ الله عنه ، قال : خَرَجْنا مع

---

(١) الروض الأنف ٦/ ١٨٣ .

(٢) مسند أَحمد ١/ ٢٠٤ و ٢٠٥ وأَبو داود (٢٥٤٩) ومستدرك الحاكم ٢/ ٩٩ ـ ١٠٠ .
وذِفْرى البعير : أَصلُ أُذنه . (النِّهاية ٢/ ١٦١) .

(٣) في كتاب الدُّعاء . وقد مضى في « البعير » .

النَّبيِّ ﷺ في غَزْوَةِ ذاتِ الرِّقاع ، حتَّى إذا كُنَّا بِحَرَّةِ واقِمٍ[1] ، إِذْ أَقْبَلَ جَمَلٌ يُرْقِلُ ، حتَّى دَنا مِنَ النَّبيِّ ﷺ فَجَعَلَ يَرْغُو على هَامَتِهِ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ هَذَا الجَمَلَ يَسْتَعْدِيني على صاحِبِهِ ، يَزعمُ أَنَّهُ كانَ يَحْرُثُ عليهِ منذُ سِنينَ ، حتَّى إذا أَعْجَزَهُ وأَعْجَفَهُ وكَبِرَ سِنُّهُ ، أَرادَ نَحْرَهُ ؛ اذْهَبْ يا جابرُ إلى صاحِبِهِ فأْتِ بِهِ » . قُلتُ : ما أَعْرِفُهُ . فَقَالَ : « إِنَّهُ سَيَدُلُّكَ عَلَيْهِ » .

قَالَ : فَخَرَجَ الجَمَلُ بَيْنَ يَدَيَّ مُعْنِقاً ، حتَّى وقفَ بي في مَجلسِ بَني خَطْمَةَ . فقُلتُ : أَيْنَ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ ؟ فقالُوا : هذا لفُلانِ بن فُلان ، فَجِئْتُهُ ، فقُلتُ لَهُ : أَجِبْ رَسولَ اللهِ ﷺ ؛ فَخَرَجَ معي ، حتَّى جَاءَ رسولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « إِنَّ جَمَلَكَ يَزعمُ أَنَّكَ حَرَثْتَ عَلَيْهِ زَماناً ، حتَّى إذا أَعْجَزْتَهُ وأَعْجَفْتَهُ وكبرَ سِنُّهُ ، أَرَدْتَ أَنْ تَنْحَرَهُ » . فقالَ : والَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ إِنَّ ذلكَ لَكَذلكَ ؛ فقَالَ ﷺ : « ما هكذا جَزاءُ المَملُوكِ الصَّالحِ » . ثمَّ قَالَ ﷺ : « تَبيعُهُ ؟ » قال : نعم ، فابْتاعَهُ منهُ ، ثمَّ أَرْسَلَهُ ﷺ في الشَّجَرِ حتَّى نصبَ سَنامُهُ ، فكَانَ إذا اعْتَلَّ على بعضِ المُهاجِرينَ والأَنْصَارِ من نَواضِحِهم شيءٌ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ زَماناً .

● وَحَكى القُشَيْرِيُّ في « رسالَتِهِ »[2] وابنُ الجَوزِيَ في « مُثيرِ الغَرامِ السَّاكِنِ » عن أَحمد بن عَطاء الرُّوذباري ، أَنَّهُ قَالَ : كُنتُ راكِباً جَمَلاً ، فغاصَتْ رِجْلا الجَمَلِ في الرَّملِ ، فَقُلتُ : جَلَّ اللهُ ، فقالَ الجَمَلُ : جَلَّ اللهُ .

● وَحَكَى القُشَيْرِيُّ عنهُ أَيضاً في بابِ كَراماتِ الأَولياءِ ، قَالَ[3] كَلَّمَني رَجُلٌ في طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ جِمالاً والمَحامِلُ عَلَيْها ، وَقَدْ مَدَّتْ

---

(١) حَرَّةُ واقِمٍ : إحدى حَرَّتي المدينة ، وهي الشَّرقيَّة . (معجم البلدان ٢/ ٢٤٩) .

(٢) لم يروه القشيري في رسالته ؛ وهو في تاريخ دمشق ٧/ ١٣ ومختصره ٣/ ١٦٩ .

(٣) الرِّسالة القشيريَّة ٧١٢ وتاريخ دمشق ٣/ ١٣ ومختصره ٣/ ١٦٩ وطبقات المناوي ٢/ ٤١ وروض الرِّياحين ٣٥٨ .

أَعْناقَها في اللَّيلِ ، فقُلتُ : سُبْحَانَ اللهِ ، سُبْحان مَنْ يَحْمِلُ عَنْها ما هِيَ فِيه ؛ فالْتَفَتَ إليَّ جَمَلٌ ، وقَالَ : قُلْ جَلَّ اللهُ ، فَقُلْتُ : جَلَّ اللهُ .

● **غَرِيبة** : رَأَيْتُ بخَطِّ بعضِ العُلماءِ المُتَقَدِّمِينَ المُبَرِّزين[1] : أَنَّهُ كَانَ بخُراسانَ رَجُلٌ عائِنٌ ، فَجَلَسَ يَوْماً إلى جَماعَةٍ ، فمرَّ بِهِمْ قِطارُ جِمالٍ ؛ فقَالَ العائِنُ : مِنْ أَيِّ جَمَلٍ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْعِمَكُم مِنْ لَحْمِهِ ؟ فأَشارُوا إلى جَمَلٍ مِنْ أَحْسَنِها ، فنَظَرَ إليهِ العائِنُ ، فوَقَعَ الجَملُ لِساعَتِه ، وَكَانَ صاحِبُ الجَمَلِ حَكِيماً ، فقَالَ : مَنْ رَبَطَ جَمَلِي فَلْيَحُلَّهُ ، وَلْيَقُلْ : بِسمِ اللهِ عَظِيمِ الشَّأْنِ ، شَدِيدِ البُرْهَان ، [فقالَها كلُّهم إلاَّ العائِنُ ، فقَالَ صاحِبُ الجَمَلِ : بِسمِ الله عَظِيمِ الشَّأْنِ ، شَديد البُرْهان][2] ، مَا شَاءُ اللهُ كَانَ ، حَبَسَ حابِسٌ ، من حَجَرٍ يابِسٍ ، وشِهابٍ قابسٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي رَدَدْتُ عَيْنَ العائِنِ عَلَيْه ، وفي أَحَبِّ النَّاسِ إليهِ ، وفي كَبِدِهِ وكِلْيَتَيْه ، لَحْمٌ رَقِيقٌ وَعَظْمٌ دَقِيقٌ فِيما لَهُ يَليقُ ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : ٣ ـ ٤] فَوَقَفَ الجَمَلُ لَساعَتِهِ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ بَأْسٌ ، وَنَدَرَتْ عَيْنُ العائِنِ[3] .

● **فائِدَةٌ** : العائِنُ إذا اعْتَرَفَ أَنَّهُ قَتَلَ غَيْرَهُ بالعَيْنِ ، فلا قَوَدَ عَلَيْهِ ولا دِيَةَ ولا كَفَّارَةَ ، وإِنْ كانَتِ العَيْنُ حَقّاً[4] ، لأَنَّهُ لا يُفْضِي إلى القَتْلِ غالِباً .

---

(١) الخبر في حلية الأولياء ٩/ ٣١٦ ـ ٣١٧ ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ وبغية الطَّلب ٩/ ٤٢٨٢ ومختصراً في سير أعلام النُّبلاء ٩/ ٥٨٦ . وزعم ابن حجَّة في ثمرات الأوراق ٤٧٨ : أَنَّهُ ينقل الخبر عن المجالسة للدِّينوريّ ، وهو في الواقع ينقل عن الحلية . وأثبته محقق المجالسة في ملحق الكتاب ٨/ ٣٣٨ . والرَّجل الحكيم صاحب الجمل هو أبو عبد الله سعيد بن بُريد النّباجيّ .

(٢) ما بين معقوفتين من أ .

(٣) وانظر أخباراً بهذا المعنىٰ في تاريخ دنيسر ٤٥ وحيوان الجاحظ ٢/ ١٤٢ وربيع الأبرار ٤/ ٣٤٩ وشرح نهج البلاغة ١٩/ ٣٧٧ .

(٤) لقول رسول الله ﷺ : « العينُ حقٌّ » . وانظر تخريجه في تاريخ دنيسر ٤٤ .

وَيُنْدَبُ للعائِنِ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ بالبَرَكَةِ ، فيقُولُ : اللَّهُمَّ بارِكْ فِيهِ ولا تَضُرَّهُ ؛ وأَنْ يَقُولَ : ما شاءَ اللهُ ، لا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ[١] .

● وَذَكَرَ القاضِي حُسين : أَنَّ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ اسْتَكْثَرَ قَوْمَهُ ذاتَ يومٍ ، فأَماتَ اللهُ تَعالَى منهم مِئَةَ أَلْفٍ في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ . فلمَّا أَصْبَحَ شَكا إِلى اللهِ من ذَلِكَ ، فقَالَ اللهُ تعالَى لَهُ : إِنَّكَ لَمَّا اسْتَكْثَرْتَهُم عِنْتَهُمْ ، فَهَلاَّ حَصَّنْتَهُمْ ؟ فقَالَ : يَا رَبِّ ، فَكَيْفَ أُحَصِّنُهم ؟ قَالَ : تَقُولُ : حَصَّنْتُكم بالحَيِّ القَيُّومِ الذي لا يَموتُ أَبداً ، ودَفَعْتُ عَنْكُمُ السُّوءَ بِلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ العليِّ العَظِيمِ .

قَالَ القَاضِي : وهكذا السُّنَّةُ في الرَّجُلِ إِذا رَأَى نَفْسَهُ سَلِيمَةً ، وأَحْوالَهُ مُعْتَدِلَةً ، يَقُولُ في نَفْسِهِ ذَلِكَ .

وَكَانَ القاضِي يُحَصِّنُ تَلامِذَتَهُ بذَلِكَ إِذا اسْتَكْثَرَهُم .

وَذَكَرَ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي في بَعْضِ كُتُبِهِ : أَنَّ العَيْنَ لا تُؤَثِّرُ مِمَّنْ لَهُ نَفْسٌ شَرِيفَةٌ ، لأَنَّها اسْتِعْظَامٌ للشَّيْءِ ؛ وَمَا ذَكَرَهُ القَاضِي حُسين يَرُدُّ ذلك .

● وَحَكَى القُشَيْرِيُّ في «رسالتِهِ» عن محمد بن سعيد البَصْريّ، أَنَّهُ قَالَ[٢] :

---

(١) قال الإمام ابن حجر في « فتح الباري » ١٠/ ٢٠٥ ، في نهاية شرحه حديث « العينُ حقٌّ » (رقم ٥٧٤٠) : « وقد اختُلف في جريان القصاص بذلك ، فقال القرطبيّ : لو أتلف العائن شيئاً ضمنَه ، ولو قَتَلَ فعليه القصاص أَو الدِّيَةُ ، إذا تكرَّر ذلك منه ، بحيثُ يصير عادة ، وهو في ذلك كالسَّاحر عندَ من لا يقتله كفراً . انتهى .
وقال النّوويّ في « الرَّوضة » : ولا دية فيه ولا كفَّارة . . . .
ونقل ابن بطَّال عن بعض أَهل العلم قوله : ينبغي للإمام منع العائن ـ إذا عُرفَ بذلك ـ من مداخلة النَّاس ، وأَنْ يلزَمَ بيته ؛ فإِنْ كان فقيراً رزقه ما يقوم به ، فإِنَّ ضرره أَشدُّ من ضرر المجذوم الذي أَمرَ عمر رَضِيَ اللهُ عنه بمنعه من مخالطة النَّاس ، وأَشدُّ من ضرر الثوم الذي منع الشارع آكله من حضور الجماعة » . وانظر عمدة القاري للعيني ٢١/ ٣٦٦ .
(٢) الرِّسالة القشيريَّة ٧٠٩ .

بيْنَما أَنا أَمْشِي في بَعْضِ طُرُقِ البَصْرَةِ ، إِذْ رَأَيْتُ أَعرابِيّاً يَسُوقُ جَمَلاً ، ثمَّ الْتَفَتُّ فإِذا الجَملُ قَدْ وَقَعَ مَيِّتاً ، وَوَقَعَ الرَّحْلُ والقَتْبُ ، فَمَشَيْتُ قَليلاً ، ثمَّ الْتَفَتُّ ، فإِذا الأَعرابيُّ يَقُولُ : يا مُسَبِّبَ كُلِّ سَببٍ ، ويا مَأْمَنَ كُلِّ مَنْ طَلَبَ ، رُدَّ عليَّ مَا ذَهَبَ ، يَحملِ الرَّحْلَ والقَتَبَ ؛ فَقَامَ الجَمَلُ وعلَيْهِ الرَّحْلُ والقَتَبُ .

وإِحياءُ المَوْتَى كَرامَةٌ ، فهوَ وإِنْ كَانَ عَظيماً إِلاَّ أَنَّهُ جائِزٌ على القَوْلِ الصَّحيحِ المُختارِ عندَ المُحَقِّقين المُعتَمدين من أَئِمَّةِ الأُصُولِ ؛ إِذا ما جَازَ أَنْ يَكُونَ مُعجزةً لِنَبِيٍّ ، جازَ أَنْ يَكُونَ كَرامَةً لِوَلِيٍّ ، بِشرطِ أَنْ لا يَدَّعِي التَّحَدِّي كالنُّبُوَّةِ ؛ وإِحياءُ المَوْتَى كرامةً للأَولياءِ كثيرٌ لا يَنْحَصِرُ ؛ وسيأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى ذِكْرُ طَرَفٍ من ذلك في أَماكِنِه من هَذا الكِتابِ .

● **فائدةٌ** : قَالَ شيخُنا اليافعيّ رحمهُ اللهُ[1] : لا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مَنْ لَهُ كَرَامَةٌ من الأَوْلِياءِ ، أَفْضَلَ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ كَرامَةٌ منهم ، بَلْ قَدْ يَكُونُ بعضُ مَنْ لَيْسَ لَهُ كرامَةٌ منهم أَفْضَلَ من بَعضِ مَنْ لَهُ كَرامَةٌ ، لأَنَّ الكرامَةَ قَدْ تكُونُ لِتَقْوِيَةِ يَقينِ صاحِبِها ، وكَمالِ المعرفةِ باللهِ .

ولهذا قَالَ قُطْبُ العُلُومِ ، وتاجُ العارِفين ، وقُرَّةُ أَعْيُنِ الصِّدِّيقين ، أَبُو القاسِمِ الجُنَيْدُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ[2] : وَقَدْ مَشَى رِجالٌ بِاليَقينِ على المَاءِ ، وَماتَ بالعَطَشِ رِجالٌ أَفْضَلُ منهم .

وَقَالَ أَيْضاً[2] : اليَقِينُ ارْتِفاعُ الرَّيْبِ في مَشْهَدِ الغَيْبِ .

وَقَالَ أَيْضاً[2] : اليَقِينُ هو اسْتِقْرارُ العِلْمِ الذي لا يَنْقَلِبُ ولا يَحُولُ ولا يَتَغَيَّرُ .

وَقَالَ : ـ يعني اليافعيّ ـ قلتُ : ولأَنَّ الكَرامَةَ قَدْ تَقَعُ لِكثيرٍ من المُحِبِّين

---

(١) روض الرياحين ٥٩ .

(٢) طبقات المناوي ١/ ٥٨٠ ـ ٥٨٢ .

والزُّهَّادِ ، ولا تَقَعُ لِكثيرٍ من العارِفينَ ، والمَعْرِفَةُ أَفْضَلُ من المَحَبَّةِ عندَ الأكثرين ، وأَفْضَلُ من الزُّهْدِ عنْدَ الكُلِّ . ا هـ .

قلتُ : وهذا هو المُختارُ عندَ المُحَقِّقين . واللهُ أَعلمُ .

● وفي كتاب « خَيْرِ البِشَرِ بِخَيْرِ البَشَرِ » للإمامِ العلاَّمَةِ محمَّد بن ظَفَر : أَنَّهُ كَانَ على بابٍ من أَبوابِ الإسكندريَّة صُورةُ جَمَلٍ من نُحاسٍ ، عَلَيْهِ راكِبٌ من نُحاسٍ ، في هَيْئَةِ العَرَبِ ، مُتَّزِرٌ مُرْتَدٍ ، وَعَلَيْهِ عِمامَةٌ ، وفِي رِجْلَيْهِ نَعْلانِ ، كلُّ ذَلِكَ من نُحاسٍ ، وكانُوا إِذا تَظَالَمُوا يَقُولُ المَظْلُومُ للظَّالِمِ : أَعْطِنِي حَقِّي قبلَ أَنْ يَخرجَ هذا ، فيأخُذَ بِحَقِّي مِنكَ شِئْتَ أَوْ أَبَيْتَ ؛ وَلَمْ يَزَلِ الصَّنَمُ على ذَلِكَ حتَّى افتَتَحَ عَمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَرْضَ مِصْرَ ، فَغَيَّبُوا الصَّنَمَ .

وفي ذَلِكَ إِشارَةٌ إِلى البِشارَةِ بمحمَّدٍ ﷺ .

وحُكمه وخَواصُّه : تَقَدَّما في الإِبلِ .

الأَمثالُ : قَالُوا[1] : « الجَمَلُ من جَوْفِهِ يَجْتَرُّ » . يُضربُ لمنْ يأْكُلُ مِنْ كَسْبِهِ ، أَوْ يَنْتَفِعُ بشيءٍ يَعُودُ عَلَيْهِ منهُ ضَرَرٌ .

وَقَالُوا[2] : « أَخْلَفُ من بَوْلِ الجَمَلِ » وهو مِنَ الخِلافِ لا مِنَ الخُلْفِ ، لأَنَّهُ يَبُولُ إِلى خَلْفٍ .

وَقَالُوا[3] : « وَقَعَ القَوْمُ في سَلا جَمَلٍ » يُضربُ لِمَنْ بَلَغَ في الشِّدَّةِ مُنْتَهى غاياتِها ، كما قَالُوا : بَلَغَ السِّكِّينُ العَظْمَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَمَلَ لا يَكُونُ لَهُ سَلا ،

---

(١) الميداني ١/ ١٧٥ .

(٢) الميداني ١/ ٢٥٤ والعسكري ١/ ٤٣٤ والزمخشري ١/ ١٠٥ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ١٦٩ و ١٧٩ .

(٣) الميدانيّ ٢/ ٣٦٠ والعسكري ٢/ ٣٦٦ والزمخشري ٢/ ٣٧٧ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٩٩ ، وأَمثال أَبي عبيد ٣٤٣ .

فَأَرادُوا أَنَّهم وَقَعُوا في أَمْرٍ صَعْبٍ ؛ والسَّلا : الجِلْدَةُ الرَّقِيقَةُ التي يَكُونُ فِيها الوَلَدُ من المواشِي ، إِنْ نُزِعَتْ عن وَجْهِ الفَصِيلِ ساعَةَ يُولَدُ وإِلاَّ قَتَلَتْهُ ، وَهَذا كَقَوْلِهِم[١] : « أَعَزُّ من الأَبْلَقِ العَقُوقِ » .

وَقالُوا[٢] : « التَّمْرُ في البِئْرِ وَعَلى ظَهْرِ الجَمَلِ » وأَصْلُهُ أَنَّ مُنادِياً كانَ في الجاهِلِيَّةِ ، يقفُ على أُطُمٍ من آطامِ المَدينةِ حِيْنَ يُدْرِكُ التَّمْرُ ، يُنادِي بذَلِكَ : أَي مَنْ سَقى ماءَ البِئْرِ على ظَهْرِ الجَمَلِ بالسَّانِيَةِ ، وَجَدَ عاقِبَةَ سَقْيِهِ في تَمْرِهِ ؛ وَهَذا قَرِيبٌ من قَوْلِهِم[٣] : « عندَ الصَّباحِ يَحْمَدِ القَوْمُ السُّرى » .

وقَرِيبٌ من قَوْلِ الشَّاعِرِ[٤] : [من الطَّويل]

إذا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حاصِداً ... نَدِمْتَ على التَّفْرِيطِ في زَمَنِ الزَّرْعِ

وقَولِ الآخرِ[٥] : [من الرَّجز]

تَسْأَلُنِي أُمُّ الوَلِيدِ جَمَلا ... يَمْشِي رُوَيْداً وَيَكُونُ أَوَّلا

يُضْرَبُ في طَلَبِ ما لا يَكُونُ ؛ هذا إذا ذُكِرَ البَيْتُ كُلُّهُ ؛ وأَمَّا قَوْلُهم : يَمْشِي رُوَيْداً ويَكُونُ أَوَّلاً ؛ فَيُضْرَبُ للرَّجُلِ يُدْرِكُ حاجَتَهُ فِي تُؤَدَةٍ وَدَعَةٍ .

---

(١) الميداني ٢/ ٤٣ والعسكري ٢/ ٦٤ والزمخشري ١/ ٢٤٢ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٩٩ وفصل المقال ٤٩٣ .

(٢) الميداني ١/ ١٣٧ والعسكري ١/ ٢٦٤ والزمخشري ١/ ٣٠٧ .

(٣) الميداني ٢/ ٣ والعسكري ٢/ ٤٢ والزمخشري ٢/ ١٦٨ وفصل المقال ٢٥٤ و ٣٣٤ .
وهو صدر بيت ينسب إلى خالد بن الوليد ، وعجزه : وتنجلي عنهم غيايات الكرى .

(٤) البيت لخالد بن معدان في عيون الأَخبار ٢/ ٣٦٩ والعقد الفريد ٣/ ١٨٣ وهو من قصيدة تنسب إلى دعبل في ديوانه ٤٥٠ .
وبلا نسبة في : أَمالي ابن دريد ١٦٧ والأَشراف لابن أَبي الدُّنيا ٦٤ والمجالسة ٢/ ٣١٤ والبصائر والذَّخائر ٨/ ٣٢ .
وكلُّها برواية : × . . . البذرِ . وفي أ : . . . وأَبصرت زارعاً × .

(٥) في الميداني ١/ ١٤١ برواية ، تسأَلني أُمُّ الخيار جملا × .

وَأَمَّا قَوْلُهم[1] : « لا ناقَتِي فِيها ولا جَمَلِي » فَسيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ النُّونِ » ، في الكَلامِ على « النَّاقَةِ » .

التَّعْبِيرُ[2] : الجَمَلُ فِي المَنامِ : حَجٌّ ؛ لِقَوْلِ النَّبيِّ ﷺ .

والجَمَلُ الأَعرابِيُّ ، يَدُلُّ على الحَجِّ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ [النَّحل : ٧] الآية .

وَالجَمَلُ البُخْتِيُّ : رجلٌ أَعْجَمِيٌّ .

وَمَنْ رَأَى جَمَلاً يَصُولُ عَلَيْهِ : فَإِنَّهُ يُخاصِمُ سَفيهاً .

وَمَنْ قَادَ جَمَلاً بِخِطامِهِ : فإِنَّهُ يَهْدِي رَجُلاً ضالاً .

وَمَنْ أَكَلَ رَأْسَ جَمَلٍ : اغْتابَ رَجُلاً رَئِيساً .

وَمَنْ رَأَى جِمالاً عِراباً : وُلِّيَ على قَوْمٍ مِنَ الأَعْرَابِ .

وَمَنْ رَأَى جَمَلَيْن يَقْتَتِلانِ : فإِنَّهُما مَلِكانِ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَجُرُّ جَمَلاً : فَإِنَّهُ يقهرُ عَدُوّاً .

وَقَالَ أَرطاميدورس : رُؤْيَةُ الجَمَلِ : تَدُلُّ على مَجادِيفِ السَّفِينَةِ ، وعلى سُرْعَةِ سَيْرِها .

والجِمَالُ تَدُلُّ على أَقْوامٍ جُهَّالٍ ، لا مَعرِفَةَ لَهُمْ ولا رَأْيَ ، والغالِبُ عليهم الذِّلَّةُ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ سَقَطَ من ظَهْرِ جَمَلٍ : خُشِيَ علَيْهِ الفَقْرُ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ رَمَحَهُ جَمَلٌ : مَرِضَ .

والقِطارُ من الجِمالِ ، إِذا كَانَ يَتْلُو بَعْضُها بَعْضاً : أَمْطارٌ ، لأَنَّ المَطَرَ يَتْلُو

(١) الميداني ٢/ ٢٢٠ والعسكري ٢/ ٣٩١ والزمخشري ٢/ ٢٦٧ وفصل المقال ٣٨٨ و ٣٨٩ .

(٢) تعبير الرُّؤيا ١٧٦ وتفسير الواعظ ٢٧٦ .

بعضُهُ بَعضاً ، وهِيَ تَحملُ الأَثقالَ كما تَحملُ السُّحُبُ الأَمْطَارَ .

وإذا ذُبحَتِ الجِمالُ ، ولَمْ يَكُنْ في ذَلِكَ المكانِ رجلٌ فَتَّاكٌ : فإِنَّها دَعوةُ كِرامٍ .

وَمَنْ رَأَى كَأَنَّهُ صَارَ جَمَلاً : فإِنَّهُ يَحملُ أَثْقالاً من تَبِعاتِ النَّاسِ .

والبُخْتُ : سَفَرٌ بَعيدٌ لِراكِبِها بِلا عَناءٍ .

وَرُبَّما دَلَّ الجَمَلُ على المَسْكَنِ ، وعلى السَّفِينَةِ ، لأَنَّهُ من سُفُنِ البَرِّ ؛ ورُبَّما دَلَّ على المَوْتِ ، لأَنَّهُ يَظْعَنُ بالأَحبابِ إِلى الأَمْكِنَةِ البَعيدَةِ ؛ ورُبَّما دَلَّ على الزَّوْجَةِ ؛ وَيَدُلُّ الجَمَلُ على الحِقْدِ وأَخْذِ الثَّأْرِ ولو بَعدَ حِيْنٍ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على الرَّجُلِ الصَّبُورِ ؛ وَرُبَّما يَدُلُّ على البُطْءِ في الأَحْوَالِ ، لِمَنْ يُرِيدُ الاستِعْجَالَ ؛ ورُبَّما دَلَّ الجَمَلُ على الجَمالِ ، لأَنَّهُ مُشْتَقٌّ من لَفْظِها ، وللآيَةِ[1] ؛ وَتَدُلُّ رُؤْيَا الجِمالِ على الجانِّ ، لأَنَّها خُلِقَتْ مِنْ أَعْيُنِ الجانِّ ، وَتَدُلُّ الجِمالُ على الأَرْزاقِ والفَوائِدِ ، لامْتِهانِها وَمَلْكِها .

قَالَ ابنُ المُقرىء : وَرُؤْيَةُ الجِمالِ البُخْتِ ، تَدُلُّ على الأَجِلاَّءِ مِنَ النَّاسِ ، وَأَرْبابِ الأَسْفارِ ، كالتُّجَّارِ في البَرِّ وَالبَحْرِ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ على الأَعْجَامِ والغُرَباءِ ؛ وَرُبَّما تَدُلُّ رُؤْيَتُها على الهُمُومِ ، وَالأَنْكَادِ ، والسَّبْيِ ، وسَلْبِ المَالِ ؛ واللهُ أَعلَمُ .

١٦٨ جَمَلُ البَحْرِ : سَمَكَةٌ ، طولُها ثَلاثُونَ ذِراعاً ، كذا قَالَهُ ابنُ سِيْدَه[2] ؛ وللعجَّاجِ فيها رَجَزٌ حَسَنٌ[3] . قَالَهُ الجاحظ في «كتاب البيان والتَّبيين»[4] .

---

(١) قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النَّحل : ٦] .

(٢) وعنه اللِّسان « جمل » ١/ ٦٨٥ .

(٣) قال العجَّاج [ديوانه ٣٦] : كَجَمَلِ البَحْرِ إِذا خَاضَ جَسَرْ .

(٤) لَمْ يقله الجاحظ لا في البيان ولا في الحيوان .

● وفي حديثِ أَبي عُبَيْدَة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[1] : **أَنَّهُ أُذِنَ في أَكْلِ جَمَلِ البَحْرِ** ؛ وهو سَمَكٌ شَبيهٌ بالجَمَلِ .

١٦٩ جَمَلُ المَاءِ : البَجَعُ ، وَهُوَ الحَوْصَلُ ؛ وَسَيَأْتي إِنْ شَاءَ اللهُ تعالَى في « بابِ الحاءِ المُهْمَلَةِ » .

١٧٠ جَمَلُ اليَهُودِ : الحِرْبَاءُ ؛ وَسَيَأْتي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ » .

١٧١ الجُمَعْليلَةُ : بَفَتْحِ الجِيمِ والمِيمِ[2] : الضَّبُعُ . وَسَيَأْتي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الضَّادِ المُعْجمةِ » .

١٧٢ جُمَيْلٌ : طَائِرٌ ، جَاءَ مُصَغراً ، والجَمْعُ جِمْلانٌ ، مثلُ كُعَيْتٍ وَكِعْتانٍ[3] . قَالَ سِيبويه : وهُوَ البُلْبُلُ .

١٧٣ الجَنْبَرُ : كَمَقْعَدٍ[4] : فَرْخُ الحُبَارى . مَثَّلَ بِهِ سِيبَويهِ ، وَفَسَّرَهُ السِّيرافي ؛ كَذَا قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[5] .

١٧٤ الجُنْدُبُ : ضَرْبٌ مِنَ الجَرادِ ؛ وَقِيلَ : ذَكَرُ الجَرادِ ، مُثَلَّثُ الدَّالِ[6] ، وَالجَمْعُ : جَنادِبُ .

قَالَ سِيبويه : نُونُهُ زائِدَةٌ .

---

(١) النِّهاية ١/ ٢٩٨ واللِّسان « جمل » .

(٢) بل بضمِّ الجيم وفتح الميم ، كما في المخصص ٨/ ٧٠ واللِّسان « جمعل » ١/ ٦٨٣ . وزاد في اللِّسان : وقَالَ الأزهريّ : الجُمَعْليلَةُ : النَّاقَةُ الهَرِمَةُ .

(٣) عن الصِّحاح « جمل » ٤/ ١٦٦١ وعنه اللِّسان ١/ ٦٨٥ . وقول سيبويه في كتابه ٣/ ٤٧٧ .

(٤) في أ ، ب : كمِسْوَر ، وليس بشيء .

(٥) المخصَّص ٨/ ١٥٨ واللِّسان « جنبر » ١/ ٦٩٥ .

(٦) كذا ! بل هو بفتح الدَّال وضمِّها (اللِّسان والنِّهاية) . وفي أ : الجندب : وفيه لغات : فتح الدَّال وضمُّها وكَسْرُها ! ! .

وَقَالَ الجاحِظُ[1] : إِنَّهُ يَحْفِرُ بِذِراعَيْهِ وَيَغُوصُ في الطِّيْنِ وَفِي الأَرْضِ ، إذا اشْتَدَّ الحَرُّ ، وَرُبَّما يَطِيرُ في شِدَّةِ الحَرِّ أَيْضاً .

● وَفِي الحَدِيثِ[2] : « إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ تَعالَى بِهِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً ، فَجَعَلَ الجنادبُ يَقَعْنَ فِيها » الحديث .

رَواهُ « مُسلم » و « التِّرمذيّ » كِلاهُما عن قُتَيْبَةَ بن سَعِيدٍ ، عن المُغِيْرَة بن عبد الرَّحْمَنِ ، عن أَبي الزِّنادِ ، عَنِ الأَعْرَجِ ، عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ .

● وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ[3] : « كَانَ يُصَلِّي الظُّهْرَ ، والجَنادِبُ يَنْقُزْنَ مِنَ الرَّمْضَاءِ » أَي تَثِبُ مِنْ شِدَّةِ حَرارَةِ الأَرْضِ .

١٧٥ الجُنْدُعُ : كَقُنْفُذٍ : جُنْدُبٌ أَسْوَدُ ، لَهُ قَرْنانِ طَويلانِ ، وهو أَثْخَنُ الجَنادِبِ ، ولا يُؤْكَلُ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[4] .

وَقَالَ أَبُو حَنيفةَ : الجُنْدَعُ : جُنْدَبٌ صَغِيرٌ[5] .

١٧٦ الجِنُّ : أَجْسَامٌ هوائِيَّةٌ ، قادِرَةٌ على التَّشَكُّلِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، لَها عُقُولٌ وأَفْهامٌ وَقُدْرَةٌ على الأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ ، وَهُمْ خِلافُ الإِنْسِ ؛ الواحِدُ جِنِّيٌّ .

وَيُقالُ[6] : إِنَّما سُمِّيَتْ بِذَلِكَ ، لأَنَّها تُتَّقَى ولا تُرَى ؛ وَجُنَّ الرَّجُلُ جُنُوناً وَأَجَنَّهُ اللهُ ، فهوَ مَجْنُونٌ ؛ ولا تَقُلْ : مُجَنٌّ .

---

(١) لم أَقف عليه في حيوان الجاحظ . وانظر اللِّسان « جدب » ١/ ٥٥٨ .

(٢) مسلم (٢٢٨٤) ومسند أَحمد ٣/ ٣٦١ و ٣٩٢ .

(٣) النِّهاية ١/ ٣٠٦ واللِّسان « جدب » ١/ ٥٥٨ .

(٤) المخصص ٨/ ١٧٦ . وفيه : وهو أَضخم الجنادب .

(٥) اللِّسان « جدع » ١/ ٥٦٨ .

(٦) عن الصِّحاح « جنن » ٥/ ٢٠٩٣ .

وَقَوْلُهُم في المَجْنُونِ : ما أَجَنَّهُ ، شَاذٌّ لايُقاسُ عَلَيْهِ ، لأَنَّهُ لا يُقَالُ في المَضْرُوبِ : مَا أَضْرَبَهُ ، ولا في المَسْلُولِ : مَا أَسَلَّهُ .

● رَوَى الطَّبَرانيُّ بإِسْنادٍ حَسَنٍ[1] ، عن أَبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « الجِنُّ ثَلاثَةُ أَصْنافٍ : فَصِنْفٌ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ يَطِيرُونَ بِها في الهَواءِ ، وَصِنْفُ حَيَّاتٌ ، وَصِنْفٌ يَحُلُّونَ وَيَظْعَنُونَ » .

وَكَذَلِكَ رَواهُ الحاكِمُ ، وَقَالَ : صَحِيحُ الإِسْنادِ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الخاءِ المُعجمةِ » في الكَلامِ على « الخشاشِ » حَدِيثُ أَبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[2] : « خَلَقَ اللهُ الجِنَّ ثَلاثَةَ أَصْنافٍ : صِنْفٌ حَيَّاتٌ وَعَقارِبُ وَخَشاشُ الأَرْضِ ، وَصِنْفٌ كَالرِّيحِ في الهَواءِ ، وَصِنْفٌ كَبَنِي آدَمَ عَلَيْهِمُ الحِسابُ والعِقابُ ؛ وخَلَقَ الإِنْسَ ثَلاثَةَ أَصْنافٍ : صِنْفٌ كَالبَهائِمِ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] وَقالَ تَعالَى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] وَصِنْفٌ أَجْسَادُهُم كَأَجْسَادِ بَنِي آدَمَ ، وَأَرْواحُهُمْ كَأَرْواحِ الشَّياطِيْنِ ، وَصِنْفٌ في ظِلِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ » .

قَالَ ابْنُ حِبَّان[3] : رَوَاهُ يَزِيدُ بنُ سِنان الرُّهاويّ ، عَن أَبِي المُنِيبِ ، عَنْ يَحْيَى بن أَبي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عنه .

وَيَزِيدُ بن سِنان[4] : ضَعَّفَهُ يَحْيَى بن مُعِين والإِمام أَحمد بن حَنْبَل وابْنُ المَدِينيّ .

---

(١) والخرائطيّ في هواتف الجنّان ٢٢ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٥٦ . وقال الإمام ابن كثير في تفسيره ٣/ ٥٢٨ : رَفْعُهُ غريبٌ جداً .

(٢) ميزان الاعتدال ٤/ ٤٢٨ .

(٣) في المجروحين ٣/ ١٠٦ .

(٤) في الأُصول : يزيد بن سفيان ! . وترجمته في : المجروحين وتهذيب الكمال ٣٢/ ١٥٥ =

الحُكْمُ : أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ قاطِبَةً ، على أَنَّ نَبِيَّنا مُحَمَّداً ﷺ مَبْعُوثٌ إلى الجِنِّ كَمَا هُوَ مَبْعُوثٌ إلى الإنْسِ ؛ قَالَ اللهُ تعالَى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام : ١٩] وَالجِنُّ بَلَغَهُمُ القُرْآنُ ؛ وَقَالَ تَعالَى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] الآية ، وَقَالَ تَبارَكَ وَتَعالَى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وَقَالَ تعالَى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سَبَأ : ٢٨] .

قَالَ الجَوْهَرِيُّ[(١)] : النَّاسُ قَدْ تكُونُ مِنَ الإِنْسِ والجِنِّ .

وَقَالَ تَعالَى خِطاباً لِلْفَرِيقينِ : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرَّحمن : ٣١ ـ ٣٢] والثَّقَلانِ : الإِنْسُ والجِنُّ ، سُمِّيا بِذَلِكَ لأَنَّهُما ثقَلا الأَرْضِ ، وَقِيلَ : لأَنَّهُمَا مُثْقَلانِ بالذُّنوبِ .

وَقَالَ تَعالَى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرَّحمن : ٤٦] . وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنَّ مِنَ الجِنِّ مُقَرَّبِينَ وَأَبْراراً ، كَمَا أَنَّ من الإِنْسِ كَذَلِكَ ، وَبِهَذِهِ الآيَةِ اسْتَدَلَّ الجُمْهُورُ على أَنَّ الجِنَّ المُؤْمِنِين يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ، وَيُثابُونَ كَمَا يُثَابُ الإِنْسُ .

وَخالَفَ أَبُو حَنِيفَةَ واللَّيْثُ في ذَلِكَ ، فَقالا : ثَوابُ المُؤْمِنِيْنَ مِنْهُمْ أَنْ يُجاروا مِنَ النَّارِ . وَخالَفَهُما الأَكْثَرُونَ حَتَّى أَبُو يُوسف ومحمَّد ؛ وَلَيْسَ لأَبِي حَنِيْفَةَ واللَّيْثِ حُجَّةٌ ، سِوَى قَوْلِه تَعالَى : ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأَحقاف : ٣١] وَقَوْلِه تَعالَى : ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [الجنّ : ١٣] قالا : فَلَمْ يَذْكُرْ في الآيَتَيْنِ ثَواباً سِوى النَّجاةِ مِنَ العَذَابِ .

وَالجَوابُ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُما : أَنَّ الثَّوابَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ . والثَّانِي : أَنَّ

= وميزان الاعتدال ٤/ ٤٢٧ .

(١) الصِّحاح « نوس » ٣/ ٩٨٧ .

ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الجِنِّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا لَمْ يَطَّلِعُوا إلاَّ على ذَلِكَ ، وَخَفِيَ عَلَيْهِمْ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوابِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُم إذا دَخَلُوا الجَنَّةَ لا يَكُونُونَ مع الإِنْسِ ، بَلْ يَكُونُونَ في رَبَضِها .

● وَفِي الحَدِيثِ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما ، قَالَ : « الخَلْقُ كُلُّهُمْ أَرْبَعَةُ أَصْنافٍ : فَخَلْقٌ في الجَنَّةِ كُلُّهُم ، وَهُمُ المَلائِكَةُ ؛ وَخَلْقٌ كُلُّهُم في النَّارِ ، وَهُمُ الشَّياطِيْنُ ؛ وَخَلْقٌ في الجَنَّةِ والنَّارِ ، وَهُمُ الجِنُّ والإِنْسُ ، لَهُمُ الثَّوابُ وعَلَيْهِمُ العِقَابُ » ، وَهُوَ مَوْقُوفٌ على ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما ؛ وَفِيهِ شَيْءٌ وهو أَنَّ المَلائِكَةَ لايُثَابُونَ بِنَعِيْمِ الجَنَّةِ .

● وَمِنَ المُسْتَغْرَبَاتِ : مَا رَواهُ أَحمد بن مَرْوان المالِكِيِّ الدِّيْنَوَرِيّ ، في أَوائِلِ الجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ « المُجالَسَةِ »[1] عن مُجاهِدٍ ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الجِنِّ المُؤْمِنِينَ ، أَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ؟ فَقَالَ : يَدْخُلُونَها وَلَكِنْ لا يَأْكُلُونَ فِيها ولا يَشْرَبُونَ ، بَلْ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتقْدِيسَ ، فَيَجِدُونَ فِيهِ مَا يَجِدُ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ لَذِيذِ الطَّعامِ والشَّرَابِ .

وَيَدُلُّ لِعُمُومِ بعْثَتِه ﷺ مِنَ السُّنَّةِ ، أَحادِيثُ ، مِنْها : مَا رَوَى « مُسْلِمٌ »[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أُعْطِيْتُ جَوامِعَ الكَلِمِ ، وَأُرْسِلْتُ إِلى النَّاسِ كافَّةً » .

وَفِيهِ مِنْ حَدِيثِ جابرٍ رَضِيَ اللهُ عنه : « وَبُعِثْتُ إِلى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدٍ » .

● وَفِي كِتابِ « خيرِ البشَرِ بِخَيْرِ البَشَرِ » للإمامِ العَلاَّمَةِ محمَّد بن ظَفَرٍ[3] : عن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحابِهِ وَهُوَ

---

(١) المجالسة ٤/ ٥٢ .

(٢) مسلم (٥٢٣) والتِّرمذيّ (١٥٥٣) .

(٣) وأَبُو نعيم في دلائل النُّبوّة ٣٦٦ رقم (٢٦٣) ومستدرك الحاكم ٢/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤ .

بِمَكَّةَ : « مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَحْضُرَ اللَّيْلَةَ أَمْرَ الجِنِّ ، فَلْيَنْطَلِقْ مَعِي » .

فانْطَلَقْتُ مَعَهُ ، حَتَّى إذا كُنَّا بأَعْلَى مَكَّةَ ، خَطَّ لِي خَطّاً ، ثُمَّ انْطَلَقَ ، حَتَّى قَامَ فافْتَتَحَ القُرْآنَ ، فَغَشِيَتْهُ أَسْوِدَةٌ كَثِيْرَةٌ ، وَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، حَتَّى ما أَسْمَعُ صَوْتَهُ ، ثُمَّ انْطَلَقُوا يَتَقَطَّعُونَ كَمَا يَتَقَطَّعُ السَّحَابُ ذاهِبِيْنَ ، حَتَّى بَقِيَ منهم رَهْطٌ ، ثُمَّ أَتَى النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ : « مَا فَعَلَ الرَّهْطُ ؟ » قُلْتُ : هُمْ أُولَئِكَ يا رَسُولَ الله . قَالَ : فَأَخَذَ عَظْماً وَرَوْثاً ، فَأَعْطاهُمْ إِيَّاهُ ، وَنَهَى أَنْ يَسْتَطِيْبَ أَحَدٌ بِعَظْمٍ أَوْ رَوْثٍ . وَفِي إِسْنادِهِ ضَعْفٌ .

● وَفِيهِ أَيضاً[1] : عَنْ بلال بن الحارثِ رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ : نَزَلْنا مَعَ النَّبيِّ ﷺ في بَعْضِ أَسْفارِهِ بالعَرْجِ ، فَتَوَجَّهْتُ نَحْوَهُ ، فَلَمَّا قارَبْتُهُ سَمِعْتُ لَغَطاً وخُصُومَةَ رِجالٍ ، لَمْ أَسْمَعْ لُغَةَ أَحَدٍ مِنْ أَلْسِنَتِهم ، فَوَقَفْتُ حَتَّى جَاءَ النَّبيُّ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : « اخْتَصَمَ إِلَيَّ الجِنُّ المُسْلِمُونَ والجِنُّ المُشْرِكُونَ ، وَسَأَلُونِي أَنْ أُسْكِنَهُم ، فَأَسْكَنْتُ المُسْلِمِينَ الجَلْسَ ، وَأَسْكَنْتُ المُشْرِكِينَ الغَوْرَ » .

وَكُلُّ مُرْتفعٍ مِنَ الأَرْضِ جَلْسٌ وَنَجْدٌ ، وَكُلُّ مُنْخَفَضٍ غَوْرٌ .

● وَفِيهِ أَيْضاً[2] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّهُ قَالَ : انْطَلَقَ النَّبيُّ ﷺ في طائِفَةٍ مِنْ أَصْحابه عامِدِينَ إِلى سُوقِ عُكاظَ ، وَقَدْ حِيْلَ بَيْنَ الشَّياطِيْنِ وَخَبَرِ السَّمَاءِ ، فَرَجَعَتِ الشَّياطِيْنُ إِلى قَوْمِهم ، فَقَالُوا : مَا لَكُمْ ؟ قَالُوا : حِيْلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنا الشُّهُبُ ؛ فَقَالُوا : مَا ذَاكَ إِلاَّ مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ ، فاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمغَارِبَها ؛ فَالْتَقَى الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهامَةَ

---

(١) وأخرجه أبو نعيم في دلائل النُّبوَّة ٥٩٧ ـ ٥٩٨ رقم (٥٤٢) .

(٢) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠٣ ومسلم (٤٤٩) والبخاريّ ٦/ ٧٣ (تفسير سورة الجن) وأبو نعيم في دلائل النُّبوَّة ٣٦٣ ـ ٣٦٤ رقم (٢٥٩) .

النَّبيَّ ﷺ وَأَصْحابَهُ ، وَهُمْ بنَخْلَةٍ ، عامِدِينَ إِلى سُوْقِ عُكاظَ ، وَهُوَ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الفَجْرِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ أَنْصَتُوا لَهُ ، وَقَالُوا : هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاء ، وَرَجَعُوا إِلى قَوْمِهِمْ ، فَقَالُوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن : ١] الآيَتَيْنِ .

وَهَذَا الذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما ، أَوَّلُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الجِنِّ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ، وَلَمْ يَكُنِ النَّبيُّ ﷺ رآهُم إِذْ ذَاكَ ، إِنَّما أُوحِيَ إِلَيْهِ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ .

● وَفِيهِ أَيْضاً ، وَفِي « صَحِيح مُسْلِم »[1] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عنه ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَفَقَدْنَاهُ ، فَالْتَمَسْنَاهُ في الأَوْدِيَةِ والشِّعابِ ، فَقُلْنا : اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ ؛ فَبِتْنَا بشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بها قَوْمٌ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنا إذا هُوَ جاءَ مِنْ قِبَلِ حِراءٍ ، فَقُلْنا : يا رَسُولَ اللهِ ، فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ ، فَبِتْنا بشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بها قَوْمٌ ، فَقَالَ ﷺ : « أَتَانِي داعِي الجِنِّ ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ » .

قَالَ : فانْطَلَقَ بنا ، فَأَرانا آثارَ نِيْرَانِهِم ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ ، فَقَالَ : لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ، تأْخُذونَه ، فَيَقَعُ في أَيْدِيْكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَ لَحماً ، وَكُلُّ بَعْرٍ عَلَفٌ لِدَوابِّكُمْ » . ثُمَّ قَالَ ﷺ : « فَلا تَسْتَنْجُوا بِهِما ، فإِنَّهُما طَعامُ إِخْوانِكُمْ » .

● وَرَوَى « الطَّبرانيُّ »[2] بإِسْنادٍ حَسَنٍ ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : صَلَّى بنا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً صَلاةَ الصُّبْحِ في مَسْجِدِ المَدِيْنَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَيُّكُمْ يَتْبَعُنِي إِلى وَفْدِ الجِنِّ اللَّيْلَةَ ؟ » . فَسَكَتَ القَوْمُ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، قَالَ ذَلِكَ ثَلاثاً ، فَمَرَّ بِي يَمْشِي ، فَأَخَذَ بِيَدِي ،

---

(١) مسلم (٤٥٠) والتِّرمذيّ (٣٢٥٨) ومسند أَحمد ١/ ٤٣٦ وصحيح ابن حبّان (١٤٣٢) .
(٢) المعجم الكبير ١/ ١٢٥ رقم (٢٥١) .

فَجَعَلْتُ أَمْشِي مَعَهُ ، حَتَّى تَبَاعَدَتْ عَنَّا جِبالُ المَدِيْنَةِ كُلُّها ، وَأَفْضَيْنا إِلى أَرْضٍ بَرازٍ ، وإِذا رِجالٌ طِوالٌ ، كَأَنَّهُمُ الرِّمَاحُ ، مُسْتَذْثِرِيْ ثِيابِهِم مِنْ بَيْنِ أَرْجُلِهِم ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ غَشِيَتْنِي رِعْدَةٌ شَدِيْدَةٌ ، حَتَّى ما تُمْسِكُنِي رِجْلايَ مِنَ الفَرَقِ ، فَلَمَّا دَنَوْنا مِنْهُمْ ، خَطَّ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِبْهامِ رِجْلِهِ في الأَرْضِ خَطّاً ، وَقَالَ لِي : « اقْعُدْ في وَسَطِهِ » . فَلَمَّا جَلَسْتُ ذَهَبَ عَنِّي كُلُّ شَيْءٍ كُنْتُ أَجِدُهُ مِنْ رِيْبَةٍ ؛ وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، فَتَلا قُرْآناً رَفِيعاً حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ ﷺ حَتَّى مَرَّ بِي ، فَقَالَ : « الْحَقْ بِي » . فَجَعَلْتُ أَمْشِي مَعَهُ ، فَمَضَيْنا غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَقَالَ ﷺ لِي : « الْتَفِتْ فَانْظُرْ ، هَلْ تَرَى حَيْثُ كَانَ أُولئِكَ مِنْ أَحَدٍ ؟ » فَالْتَفَتُّ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَى سَواداً كَثِيراً ، فَخَفَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ إِلى الأَرْضِ ، فَنَظَرَ عَظْماً وَرَوْثَةً ، فَرَمَى بِهِما إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَؤُلاءِ وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِين ، سَأَلُونِي الزَّادَ ، فَجَعَلْتُ لَهُمْ كُلَّ عَظْمٍ وَرَوْثَةٍ » .

قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عنه : فلا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَسْتَنْجِيَ بِعَظْمٍ وَلا رَوْثَةٍ .

● وَرَوَى أَيْضاً[1] ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ : اسْتَتْبَعَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً ، فَقَالَ : « إِنَّ نَفَراً مِنَ الجِنِّ ـ خَمْسَةَ عَشَرَ ، بَنُو إِخْوَةٍ وَبَنُو عَمٍّ ـ يَأْتُونَ اللَّيْلَةَ ، فَأَقْرَأُ عليهم القُرْآنَ » . فانْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلى المَكَانِ الَّذِي أَرادَ ، فَجَعَلَ لِي خَطّاً ، ثُمَّ أَجْلَسَنِي فِيهِ ، وَقَالَ : « لا تَخْرُجْ مِنْ هَذَا » . فَبِتُّ فِيهِ ، حَتَّى أَتانِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ السَّحَرِ ، وَفِي يَدِهِ عَظْمٌ حائِلٌ وَرَوْثَةٌ وَحِمَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذا أَتَيْتَ الخَلاءَ ، فَلا تَسْتَنْجِ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا » .

قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قُلْتُ : لأَعْلَمَنَّ حَيْثُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَذَهَبْتُ ، فَرَأَيْتُ مَوْضِعَ سَبْعِينَ بَعِيراً » .

---

(١) المعجم الكبير ١٠/ ٦٧ رقم (٩٩٦٩) .

● وَرَوَى « الشَّافعيُّ » و« البَيْهَقِيُّ »[1] : أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عنهم ، خَرَجَ يُصَلِّي العِشَاءَ ، فَسَبَتْهُ الجِنُّ ، وَفُقِدَ أَعْواماً ، وَتَزَوَّجَتْ زَوْجَتُهُ ، ثُمَّ أَتَى المَدِيْنَةَ ، فَسَأَلَهُ عُمر رَضِيَ اللهُ عنه عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : اخْتَطَفَتْنِي الجِنُّ ، فَلَبِثْتُ فِيهم زَماناً طَويلاً ، فَغَزاهُمْ جِنٌّ مُؤْمِنُونَ وقَاتَلُوهُم ، فأَظْفَرَهُمُ اللهُ عليهم ، وَسَبَوا مِنْهُمْ سَبَايا ، وسَبَوْنِي مَعَهُم ، فَقَالُوا : نَرَاكَ رَجُلاً مُسْلِماً ، وَلا يَحِلُّ لَنا سِباؤُكَ ؛ فَخَيَّرونِي بَيْنَ المُقامِ عِنْدَهُمْ والقُفُولِ إِلى أَهْلِي ، فاخْتَرْتُ أَهْلِي ، فَأَتَوْا بِي إِلى المَدِيْنَةِ .

فقَالَ لَهُ عُمر رَضِيَ اللهُ عنه : مَا كَانَ طَعامُهم ؟ قَالَ : الفُولُ ، وَكُلُّ مَا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ . قَالَ : فَمَا كَانَ شَرَابُهُم ؟ قَالَ : الجَدَفُ . وَهُوَ الرَّغْوَةُ ، لأَنَّها تُجْدَفُ عَنِ المَاءِ ؛ وَقِيلَ : نَباتٌ يُقْطَعُ وَيُؤْكَلُ ؛ وَقِيلَ : كُلُّ إِناءٍ كُشِفَ عَنْهُ غِطاؤُهُ .

● وأَمَّا الإِجْماعُ : فَنقَلَ ابْنُ عَطِيَّةَ وَغَيْرُهُ الاتِّفاقُ على أَنَّ الجِنَّ مُتَعَبِّدُونَ بِهَذِهِ الشَّرِيْعَةِ عَلَى الخُصُوصِ ، وَأَنَّ نَبِيَّنا مُحَمَّداً ﷺ مَبْعُوثٌ إِلى الثَّقَلَيْنِ .

فإِنْ قِيْلَ : لَوْ كانَتِ الأَحْكَامُ في جُمْلَتِها لازِمَةً لَهُمْ ، لَكَانُوا يَتَرَدَّدُونَ إِلى النَّبيِّ ﷺ حَتَّى يَتَعَلَّمُوها ؛ وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ إِلاَّ مَرَّتَيْنِ بِمَكَّةَ ، وَقَدْ تَجَدَّدَ بَعْدَ ذَلِكَ أَكْثَرُ الشَّرِيْعَةِ .

قُلْنا : لا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ النَّقْلِ عَدَمُ اجْتِمَاعِهِمْ بِهِ ، وَحُضُورِهم مَجْلِسَهُ ، وَسَماعِهِمْ كَلامَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَراهُمُ المُؤْمِنُونَ ، وَيَكُونَ هُوَ ﷺ يَراهُمْ ، وَلا يراهُمْ أَصْحابُهُ ، فإِنَّهُ تَعالَى يَقُولُ عَنِ الجِنِّ : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٧] فَقَدْ يَراهُمْ ﷺ بِقُوَّةٍ يُعْطِيها اللهُ لَهُ زائِدَةٍ على قُوَّةِ أَصْحابِهِ ، وَقَدْ يَراُهم بعضُ الصَّحابَةِ في بَعْضِ الأَحْوالِ ، كَمَا رَأَى أَبُو هُرَيْرَةَ

---

(١) وابن الأثير في النهاية ١/ ٢٤٧ .

رَضِـيَ اللهُ عنـه الشَّيْطَـانَ الَّـذِي أَتَـاهُ لِيَسْـرِقَ مِـنْ زَكَـاةِ رَمَضَـانَ ، كَمَـا رَواهُ « البُخاريُّ »[1] .

فإِنْ قِيلَ : مَا تَقُولُ فِيما حُكِيَ عَنْ بَعْضِ المُعْتَزِلَةِ ، أَنَّهُ يُنْكِرُ وُجُودَ الجِنِّ ؟ قُلْنا : عَجِيبٌ أَنْ يَثْبُتَ ذَلِكَ عَمَّنْ يُصَدِّقُ بِالقُرْآنِ ، وَهُوَ ناطِقٌ بِوُجُودِهِم ! .

● وَرَوَى « البُخاريُّ » و« مُسلمٌ »[2] عن أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ عِفْرِيتاً مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البارِحَةَ ، يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاتِي ، فَذَعَتُّهُ ـ بِالذَّالِ المُعْجَمَةِ ، وَالعَيْنِ المُهْمَلَةِ : أَي خَنَقْتُهُ ـ وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ في سَارِيَةٍ مِنْ سَوارِي المَسْجِدِ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمان »[3] .

● وَقَالَ ﷺ[4] : « إِنَّ بِالمَدِيْنَةِ جِنَّاً قَدْ أَسْلَمُوا » .

● وَقَالَ[5] : « لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ ، جِنٌّ ولا إِنْسٌ ولا شَيْءٌ ، إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ » .

● وَرَوَى « مُسلمٌ »[6] عَنْ سالِم بن عبدِ الله بن أَبي الجَعْدِ ـ وَلَيْسَ لَهُ في الكُتُبِ السِّتَّةِ سِواهُ ـ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ به قَرِيْنُهُ مِنَ الجِنِّ » . قَالُوا : وإِيَّاكَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « وإِيَّايَ ، إِلاَّ أَنَّ اللهَ أَعانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلا يَأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ » .

---

(١) وأبو نعيم في دلائل النُّبوَّة ٣٦٨ ـ ٣٦٩ رقم (٢٦٧) .

(٢) البخاري ١/١١٨ و٤/١٣٦ و ٦/٣١ ومسلم (٥٤١) ومسند أَحمد ٢/٢٩٨ ودلائل النُّبوَّة لأَبي نعيم ٣٦٧ رقم (٢٦٥) .

(٣) وهو قوله : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص : ٣٥] .

(٤) مسلم (٢٢٣٦) والموطأ ٢/ ٩٧٧ ودلائل أَبي نعيم ٣٥٨ رقم (٢٤٩) .

(٥) البخاريّ ١/ ١٥١ و٣/٩٦ و ٨/ ٢١٤ والنَّسائيّ (٦٤٤) وابن ماجه (٧٢٣) .

(٦) مسلم (٢٨١٤) ومسند أَحمد ١/ ٣٨٥ و ٣٩٧ و ٤٠١ و ٦٤٠ والشّفا للقاضي عيّاض (١٥٥٣) .

رُوِيَ : فَأَسْلَمُ ، بِفَتْحِ المِيْمِ وَضَمِّها ، وَصَحَّحَ الخَطَّابيُّ الرَّفْعَ ، وَرَجَّحَ القاضِي عِياضٌ وَالنَّوويُّ الفَتْحَ ، وَهُوَ المُخْتَارُ .

وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ على عِصْمَةِ النَّبيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ ؛ وإِنَّما المُرادُ تَحْذِيرُ غَيْرِهِ مِنْ فِتْنَةِ القَرِينِ وَوَسْوَسَتِهِ وإِغْوائِهِ ، فَأَعْلَمَنا أَنَّهُ مَعَنا لِنَحْتَرِزَ مِنه بِحسبِ الإِمْكَانِ .

وَأَمَّا عِصْمَتُهُ ﷺ مِنَ الكَبائِرِ : فَمُجْمَعٌ عَلَيْها ، وَكَذَلِكَ سائِرُ الأَنْبِيَاءِ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين .

وَفِي الصَّغائِرِ خِلافٌ ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهِ ، والصَّحِيْحُ أَنَّهُم مَعْصُومُونَ مِنَ الكَبَائِرِ والصَّغَائِرِ ، وَكَذَلِكَ المَلائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، كَمَا قَالَهُ القاضِي وَغَيْرُهُ مِنَ المُحَقِّقِين .

فإِذا عُلِمَ هَذَا فاعْلَمْ أَنَّ الأَحادِيثَ في وُجُودِ الجِنِّ والشَّيَاطِيْنِ لا تُحْصَى ، وَكَذَلِكَ أَشْعارُ العَرَبِ وَأَخْبارُهُم ، فَالنِّزاعُ في ذَلِكَ مُكابَرَةٌ فِيْمَا هُوَ مَعْلُومٌ بالتَّواتُرِ ؛ ثم إِنَّهُ أَمْرٌ لا يُحِيلُهُ العَقْلُ ، ولا يُكَذِّبُهُ الحِسُّ ، وَلِذَلِكَ جَرَتِ التَّكالِيفُ عَلَيْهِمْ .

● وَمِمَّا اشْتُهِرَ أَنَّ سَعْدَ بنِ عُبادَةَ رَضِيَ اللهُ عنه لَمَّا لَمْ يُبايِعْهُ النَّاسُ ، وبايَعُوا أَبا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، سَارَ إِلى الشَّامِ ، فَنَزَلَ حَوْرَانَ ، وأَقَامَ بِها ، إِلى أَنْ مَاتَ في سَنَةِ خَمْسَ عَشرةَ .

وَلَمْ[1] يَخْتَلِفُوا أَنَّهُ وُجِدَ مَيْتاً في مُغْتَسَلِهِ بِحَوْرَانَ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَشْعُرُوا بِمَوْتِهِ

---

(١) هذا قولُ ابن الأَثير في أُسد الغابة ٢/٣٥٨ وفيه نظر ؛ فقد روى ابن أَبي عروبة ، عن ابن سيرين : أَنَّ سعد بن عُبادة بال قائماً ، فمات ، وَقَالَ : إِنِّي أَجدُ دبيباً .
وَقَالَ الأَصمعيُّ : عن سلمة بن بلال ، عن أَبي رجاء ، قَالَ : قُتل سعد بن عبادة بالشَّام ، رمته الجنُّ بحوران . =

بِالمَدِينَةِ حَتَّى سَمِعُوا قائِلاً يَقُولُ في بِئْرٍ[1] : [من مجزوء الرَّمل]

قَـــدْ قَتَلْنـــا سَيِّـــدَ الخَـــزْ رَجِ سَعْـــدَ بْـــنَ عُبـــادَهْ

فَـــرَمَيْنـــاهُ بِسَهْمَيْـــنِ وَلَـــمْ نُخْـــطِ فُـــؤادَهْ

فَحَفِظُوا ذَلِكَ اليَوْمَ ، فَوَجَدُوهُ اليَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ .

وَوَقَعَ في « صَحِيحِ مُسلم » أَنَّ سَعْداً شَهِدَ بَدْراً ؛ وَقَال الحافِظُ فتح الدِّين ابْن سَيِّدِ النَّاسِ : وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بَدْراً ؛ كَذَا رَواهُ الطَّبرانيُّ مِنْ حَدِيثِ محمَّد بن سِيرين وقَتادة ، وكلاهُما لَمْ يُدْرِكْ سَعْداً .

● وَرُوِيَ[2] عَنْ حَجَّاج بن عِلاطٍ السُّلَميّ ، وَهُوَ وَالِدُ نَصْر بن حَجَّاج الَّذِي قِيلَ فِيهِ[3] : [من البسيط]

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلى خَمْرٍ فأَشْرَبَها أَمْ مِنْ سَبِيلٍ إِلى نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ ؟

أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ في رَكْبٍ ، فأَجَنَّهُمُ اللَّيْلُ بوادٍ مَخُوفٍ مُوحِشٍ ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ الرَّكْبِ : قُمْ فَخُذْ لِنَفْسِكَ أَماناً ولأَصْحابِكَ ؛ فَجَعَلَ يَطُوفُ بِالرَّكْبِ وَيَقُولُ :

[مِن الرَّجز]

= وقيلَ : إِنَّما جَلَسَ يبولُ في نَفَقٍ ، فمات من ساعَتِه ، ووجدوه قد اخضرَّ جلدُه . وانظر (طبقات ابن سعد ٣/ ٥٧٠ وسير أَعلام النُّبلاء ١/ ٢٧٧ و ٢٧٨) .

(١) هي بئر منبّه ، وقيل : بئر سكن بالمدينة . (أُسد الغابة) . والبيتان في ابن سعد والسِّير وأُسد الغابة ، وربيع الأَبرار ١/ ٣٨٠ . وروايتهما في ب : نحن قتلنا . . . ! . ورميناه . . . × فلم نُخْطِ . . . .

(٢) أُسدُ الغابة ١/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧ والإِصابة ٢/ ٢٩ رقم (١٦٢٧) .

(٣) البيت للفارعة ـ أَو الفريعة ـ بنت همَّام ، أُمُّ الحجَّاج الثَّقفيّ ، وهي المتمنِّية ، في : نثر الدُّرّ ٣/ ١٨٣ وعيون الأَخبار ٢/ ٢٣ والأَوائل ١/ ٢٢٦ ووفيات الأَعيان ٢/ ٣١ ومصارع العشّاق ٢/ ٢٦٦ وروضة المحبِّين ٣٧٩ والمستطرف ٣/ ٤٢ وخزانة البغداديّ ٢/ ٨٠ و ٨٢ و ٨٨ ورغبة الآمل ٥/ ٣٩ . وفي التَّذكرة الحمدونيَّة ٣/ ١٨٢ لجدَّة الحجَّاج .

أُعِيْــذُ نَفْسِــي وَأُعِيْــذُ صَحْبِــي ... مِــنْ كُــلِّ جِنِّــيٍّ بِهَــذَا النَّقْــبِ
حَتَّـى أَعُـودَ سـالِمـاً وَرَكْبِـي

فَسَمِعَ قائِلاً يَقُولُ : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الرَّحمن : ٣٣] الآية .

فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ ، أَخْبَرَ كَفَّارَ قُرَيْشٍ بِمَا سَمِعَ ، فَقَالُوا : صَبَأْتَ يَا أَبا كِلابٍ ، إِنَّ هَذَا الَّذِي قُلْتَهُ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : واللهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ وسَمِعَهُ هَؤُلاءِ مَعِي .

ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ ، وَهاجَرَ إِلى المَدِيْنَةِ ، وابْتَنَى بِها مسْجِداً يُعْرَفُ بِهِ .

● وَعَدَّ ابْنُ سَعْدٍ والطَّبَرانِيُّ والحافِظُ أَبُو مُوسَى وغيرُهُم ، عمرَو بن جابرٍ الجِنيَّ في الصَّحابَةِ ، فَرووا بأَسانِيْدِهم عن صَفْوَانَ بن المُعَطَّل السُّلَميّ ، أَنَّهُ قَالَ[1] :

خَرَجْنا حُجَّاجاً ، فَلَمَّا كُنَّا بِالعَرْجِ ، إِذا نَحْنُ بِحَيَّةٍ تَضْطَرِبُ ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ ماتَتْ ، فأَخْرَجَ لَها رَجُلٌ مِنَّا خِرْقَةً ، فَلَفَّها فِيها ، ثُمَّ حَفَرَ لَهَا في الأَرْضِ ؛ ثُمَّ قَدِمْنا مَكَّةَ ، فأَتَيْنا المَسْجِدَ الحَرَامَ ، فَوَقَفَ عَلَيْنا رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ صاحِبُ عَمرو بن جابرٍ ؟ قُلْنا : ما نَعْرِفُهُ . قَالَ : أَيُّكُمْ صاحِبُ الجانِّ ؟ قَالُوا : هَذَا . قَالَ : جَزَاكَ اللهُ عَنَّا خَيْراً ، أَما إِنَّهُ كَانَ آخِرَ التِّسْعَةِ مِنَ الجِنِّ الَّذِيْنَ سَمِعُوا القُرْآنَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ .

وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الحاكِمُ في « المُسْتَدْرَكِ » في تَرْجَمَةِ صَفْوان بن المُعَطَّلِ .

---

(١) لَمْ يذكره ابن سعد في الطَّبقات ، وهو في : مستدرك الحاكم ٣/ ٥١٩ وزوائد المسند ٥/ ٣١٢ وأُسد الغابة ٤/ ٢٠٥ والإصابة ٤/ ٥٠٣ رقم (٥٨٠٦) .

● وَذَكَرَ ابْنُ أَبي الدُّنْيا[1] ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ التَّابِعِينَ : أَنَّ حَيَّةً دَخلَتْ عَلَيْه في خِبائِهِ تَلْهَثُ عَطَشاً ، فَسَقاها ، ثُمَّ إِنَّها ماتَتْ ، فَدَفَنها ، فأُتِيَ مِنَ اللَّيْلِ ، فَسُلِّمَ عَلَيْهِ وَشُكِرَ ، وَأُخْبِرَ أَنَّ تِلْكَ الحَيَّةَ كانَتْ رَجُلاً صَالِحاً مِنْ جِنِّ نَصِيْبِيْنَ ، اسْمُهُ زَوْبَعَة .

● وَقَالَ[2] : وَبَلَغَنا مِنْ فَضَائِلِ عُمر بن عَبْدِ العَزيزِ الأُمَوِيِّ أَميرِ المُؤْمِنِيْنَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي بِأَرْضٍ فَلاةٍ ، فإِذا بِحَيَّةٍ مَيْتَةٍ ، فَكَفَّنَها بِفَضْلَةٍ مِنْ رِدائِهِ وَدَفَنَها ، فإِذا قائِلٌ يَقُولُ : يا سُرَّقُ ، أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لك : « سَتَمُوتُ بِأَرْضٍ فَلاةٍ ، فَيُكَفِّنُكَ وَيَدْفنُكَ رَجُلٌ صَالِحٌ » . فَقَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ، يَرْحَمُكَ اللهُ ؟ فَقَالَ : مِنَ الجِنِّ الَّذِيْنَ اسْتَمَعُوا القُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلاَّ أَنا وَسُرَّقُ هَذَا الَّذِي قَدْ مَاتِ .

● وَفِي كِتابِ « خَيْرِ البِشَرِ بِخَيْرِ البَشَرِ » عَنْ عُبَيْد المُكْتِبِ ، عن إِبراهيم [النَّخعي] قَالَ[3] :

خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَأَنا مَعهم ، يُرِيْدُونَ الحَجَّ ، حَتَّى إِذا كانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، رَأَوْا حَيَّةً بَيْضَاءَ تَتَثَنَّى على الطَّرِيقِ ، يَفُوحُ مِنْها رِيْحُ المِسْكِ .

قَالَ : فَقُلْتُ : لأَصْحَابِي : امْضُوا ، فَلَسْتُ بِبارِحٍ حَتَّى أَنْظُرَ مَاذا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُها ؛ فَمَا لَبِثَتْ أَنْ ماتَتْ ، فَظَنَنْتُ بِهَا الخَيْرَ لِمَكانِ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ ، فَكَفَّنْتُها في خِرْقَةٍ ، ثُمَّ نَحَّيْتُها عَنِ الطَّرِيقِ ، وَدَفَنْتُها ، وَأَدْرَكْتُ أَصْحابِي في المُتَعَشَّى .

---

(١) وأبو نعيم في الدلائل ٣٦٠ ـ ٣٦١ رقم (٢٥٥) بتفصيل . ولزوبعة الجنّيّ ترجمة في الإصابة ٢/ ٤٧٩ رقم (٥٨٥٤) .

(٢) حلية الأَولياء ٥/ ٣٤١ والإِصابة ٣/ ٣٨ رقم (٣١٣٠) و ٨/ ١٠٥ رقم (١١٠٩٧) .

(٣) بنصِّه وسنده في دلائل أَبي نُعيم ٣٦٢ رقم (٢٥٧) والزِّيادة منه .

قَالَ : فَوَاللهِ إِنَّا لَقُعودٌ ، إِذْ أَقْبَلَ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ ، فَقَالَتْ واحِدَةٌ مِنْهُنَّ : أَيُّكُمْ دَفَنَ عَمْراً ؟ فَقُلْنا : مَنْ عمرٌو ؟ فَقَالَتْ : أَيُّكُمْ دَفَنَ الحَيَّةَ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : أَنا . قَالَتْ : أَما واللهِ لَقَدْ دَفَنْتُ صَوَّاماً قَوَّاماً ، يُؤْمِنُ بما أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَقَدْ آمَنَ بِنَبِيِّكُم محمَّدٍ ﷺ وَسَمِعَ صِفَتَهُ في السَّماءِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ بِأَرْبعمئةِ سَنَةٍ .

قَالَ : فَحَمَدْتُ اللهَ تَعالَى ، ثُمَّ قَضَيْنَا حِجَّنا ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الحَيَّةِ والمَرْأَةِ ، فَقَالَ : صَدَقْتَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِيهِ هَذَا .

● وَفِيهِ أَيْضاً[(١)] : عَنِ ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ عنهما ، قَالَ :

كُنْتُ عِنْدَ أَميرِ المُؤْمِنِين عُثْمان رَضِيَ اللهُ عنه ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَلا أُحَدِّثُكَ بِعَجِيبٍ يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : بَيْنا أَنا بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ ، لَقِيتُ عِصابَتَيْنِ قَدِ الْتَقَتا ، ثُمَّ افْتَرَقتا .

قَالَ : فَجِئْتُ مُعْتَرَكَهُما ، فإذا مِنَ الحَيَّاتِ شَيْءٌ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وإِذا رِيْحُ المِسْكِ أَجِدُهُ مِنْ حَيَّةٍ مِنْها صَفْرَاءَ دَقِيْقَةٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ تِلْكَ الرَّائِحَةَ لِخَيْرٍ فِيْها ، فَأَخَذْتُها وَلَفَفْتُها في عِمامَتِي ، ثُمَّ دَفَنْتُها ؛ فَبَيْنَما أَنا أَمْشِي ، إِذا أَنا بِمُنادٍ يُنادِي : هَدَاكَ اللهُ ، إِنَّ هَذَيْنِ حَيَّانِ مِنَ الجِنِّ ، كَانَ بَيْنَهُما قِتالٌ ، فاسْتُشْهِدَتِ الحَيَّةُ التي دَفَنْتَها ، وَهُوَ مِنَ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الوَحْيَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

● وَفِيهِ أَيْضاً[(٢)] : أَنَّ فاطِمَةَ بِنتَ النُّعْمَانِ النَّجَّارِيَّةَ ، قَالَت : قد كان لِي

---

(١) الخبر في دلائل أَبي نعيم ٣٦١ ـ ٣٦٢ رقم (٢٥٦) من رواية معاذ بن عبيد الله بن معمر القرشي . وأَرى أَنَّ قولَه : عن ابن عمر خطأٌ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٤٠ ودلائل أَبي نَعيم ١٠٧ رقم (٥٦ و ٥٧) والبداية والنِّهاية ٣/ ٥٧٣ و٥٧٤ .

تابعٌ مِنَ الجنِّ، فكَانَ إذا جَاءَ اقْتَحَمَ البيْتَ الَّذِي أَنا فِيْهِ اقْتِحاماً ، فَجاءَنِي يَوْماً ، فَوَقَفَ على الجِدَارِ ، وَلَمْ يَصْنَعْ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، فَقُلْتُ : مَا بَالُكَ لَمْ تَصْنَعْ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ صَنِيْعَكَ قَبْلُ ؟ فقَالَ : إِنَّهُ قَدْ بُعِثَ اليَوْمَ نَبِيٌّ يُحَرِّمُ الزِّنا .

● وَرَوَى البَيْهَقِيُّ في « دلائِلِه » عَنِ الحَسَنِ[1] : أَنَّ عَمَّارَ بن ياسِرٍ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ : قَاتَلْتُ مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ الجِنَّ والإِنْسَ ؛ فَسُئِلَ عَنْ قِتالِ الجِنِّ ؟ فَقَالَ : أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بئْرٍ أَسْتَقِي مِنْها ، فَلَقِيْتُ الشَّيْطَانَ في صُورَتِهِ ، فَصَارَعَنِي فَصَرَعْتُهُ ، ثُمَّ جَعلْتُ أُدْمي أَنْفَهُ بِفِهْرٍ كَانَ مَعِي أَوْ حَجَرٍ ، فَقَالَ ﷺ لأَصْحابِهِ : « إِنَّ عَمَّاراً لَقِيَ الشَّيْطَانَ عندَ البِئْرِ فقَاتَلَهُ » .

فَلَمَّا رَجَعْتُ سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ الأَمْرَ ، فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه يَقُولُ : إِنَّ عَمَّارَ بن ياسِرٍ أَجارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ على لِسانِ رَسُولِه ﷺ .

● وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ « البُخارِيُّ »[2] فِيما رَواهُ عَنِ إِبراهيم النَّخعيِّ ، قَالَ : ذَهَبَ عَلْقَمَةُ إِلى الشَّامِ ، فَلَمَّا دَخلَ المَسْجِدَ قَالَ : اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيساً صالِحاً ؛ فَجَلَسَ إِلى أَبي الدَّرْدَاءِ ، فقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ . قَالَ : أَوَ لَيْسَ فِيكم ـ أَوَ مِنْكُمْ ـ صاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ ؟ يَعْنِي حُذَيْفَةَ . قُلْتُ : بلىٰ . قال : أَوَ لَيْسَ فِيْكُمْ ـ أَوْ مِنْكُمْ ـ الَّذِي أَجارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ على لِسانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ يَعْنِي عَمَّاراً . قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : أَوَ لَيْسَ فِيكم ـ أَو منكم ـ صَاحِبُ السِّوَاكِ والوِسادِ ؟ [يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ] . قُلْتُ : بلى . قَالَ : كَيْفَ كَانَ عَبْدُ اللهِ يَقْرَأُ ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [اللَّيل : ١ ـ ٢] ؟ قُلْتُ : والذَّكَرِ والأُنْثَى » وَذَكَرَ الحَدِيثَ .

● وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ الشَّافعيّ في « رُباعِيّاتِهِ » والقاضِي أَبُو يَعْلَى ، عن

---

(١) دلائل النُّبوَّة للبيهقيّ ٧/ ١٢٤ .

(٢) البخاريّ ٤/ ٢١٥ و ٧/ ١٣٩ والتِّرمذيّ (٣٨١١) ومسند أحمد ٤٤٩ و ٤٥١ .

عَبْدِ اللهِ بن حُسَيْن المَصِّيصيّ ، قَالَ :

دَخَلْتُ طَرَسُوسَ ، فَقِيلَ لِي : هَا هُنا امْرَأَةٌ يُقَالُ لَها : نَهوس ، رَأَتِ الجِنَّ الَّذِيْنَ وَفَدُوا على رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَأَتَيْتُها ، فإِذا هِيَ امرأَةٌ مُسْتَلْقِيَةٌ على قَفاها . فَقُلْتُ ، أَرَأَيْتِ أَحداً مِنَ الجِنِّ الَّذِينَ وَفَدُوا على رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : نَعَم ، حَدَّثَنِي سَمْحَجٌ ـ وَسَمَّاهُ النبيُّ ﷺ عَبْدَ الله ـ قَالَ : قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنا قَبْلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ ؟ قَالَ : « عَلَى حُوتٍ مِنْ نُورٍ ، يَتَلَجْلَجُ في النُّورِ » . قَالَتْ : قَالَ : ـ تَعْنِي سَمْحَجٌ ـ وَسَمِعْتُهُ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ مَرِيضٍ يُقْرَأُ عِنْدَهُ سُورةُ يس ، إِلاَّ مَاتَ رَيَّانَ ، وَدَخَلَ قَبْرَهُ رَيَّانَ ، وَحُشِرَ يَوْمَ القِيامَةِ رَيَّانَ » .

● وَأَغْرَبُ مِنْ هَذَا ، مَا فِي « أُسْدِ الغابَةِ »[1] تِبَعاً لأَبِي مُوسى بإِسنادِهما عن مالِكِ بن دِيْنَارٍ ، عَنْ أَنَسِ بن مَالِك رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ :

كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خارِجاً مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ ، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ يَتَوَكَّأُ على عُكَّازِهِ ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « مِشْيَةُ جِنِّيٍّ وَنَغْمَتُهُ ؟ » قَالَ : أَجَل ؛ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « مِنْ أَيِّ الجِنِّ ؟ » قَالَ : أَنا هامَةُ بن الهِيْمِ ـ أَوِ ابْن هِيْمِ ـ ابن لاقيس بن إِبْلِيس ، فَقَالَ : « لا أَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلاَّ أَبَوَيْنِ » . قَالَ : أَجَلْ . قَالَ : « كَمْ أَتَى عَلَيْكَ ؟ » قَالَ : أَكَلْتُ [عُمر] الدُّنْيَا إِلاَّ أَقَلَّها ، كُنْتُ لَيالي قَتَلَ قابيلُ هابيلَ غُلاماً ابْنَ أَعْوامٍ ، فَكُنْتُ أَتَشَوَّفُ على الآكامِ وَأُوَرِّشُ بَيْنَ الأَنامِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « بِئْسَ العَمَلُ » . فَقَالَ : يا رَسُولَ اللهِ ، دَعْنِي مِنَ العَتْبِ ، فَإِنِّي مِمَّن آمَنَ بِنُوحٍ وَتُبْتُ على يَدَيْهِ ، وإِنِّي عاتَبْتُهُ في دَعْوَتِهِ ، فَبَكَى وَأَبْكانِي ،

---

(١) أُسد الغابة ٥/ ٣٨٠ ودلائل أَبي نعيم ٣٧١ رقم (٢٦٩) والطّيوريّات ٣٦٤ رقم (٦٥١) وطبقات المحدّثين بأَصبهان ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨ وميزان الاعتدال ١/ ١٨٦ ـ ١٨٨ ولسان الميزان ٢/ ٤٧ والإِصابة ٦/ ٤٠٧ و ٤٠٨ رقم (٨٩٣٧) .

وَقَالَ : إِنِّي واللهِ لَمِنَ النَّادِمِينَ ، وأَعُوذُ باللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهِلِين ؛ وَلَقِيْتُ هُوداً وَآمَنْتُ بِهِ ، وَلَقِيْتُ إِبراهِيْمَ وَكُنْتُ معهُ في النَّارِ إِذْ أُلْقِيَ فِيها ، وَكُنْتُ مع يوسفَ إِذْ أُلْقِيَ في الجُبِّ ، فَسَبَقْتُهُ إِلى قَعْرِهِ ، وَلَقِيْتُ شُعَيْباً وَمُوسَى ، وَلَقِيْتُ عِيسى ابن مَرْيَمَ ، فَقَالَ لِي : إِنْ لَقيتَ مُحَمَّداً ، فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ ، وَقَدْ بَلَّغْتُ رِسالَتَهُ وآمَنْتُ بِكَ ؛ فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « على عِيسَى وَعَلَيْكَ السَّلامُ ، مَا حاجَتُكَ يَا هامَةُ ؟ » قَالَ : إِنَّ مُوسَى عَلَّمَنِي التَّوْرَاةَ ، وَعِيْسَى عَلَّمَنِي الإِنْجِيلَ ، فَعَلِّمْنِي القُرْآنَ . فَعَلَّمَهُ .

وَفِي رِوايَةٍ : أَنَّهُ ﷺ عَلَّمَهُ عَشْرَ سُوَرٍ مِنَ القُرْآنِ ، وَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَنْعَهُ إِلَيْنا ، فَلا نَراهُ ـ واللهُ أَعْلَمُ ـ إِلاَّ حَيّاً .

● وَفِيهِ أَيْضاً[1] : عَنْ أَميرِ المُؤْمِنِينَ عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تعالى عنه ، أَنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لابْنِ عَبَّاسٍ : حَدِّثْنِي بَحَدِيثٍ تُعَجِّبُنِي بِهِ . قَالَ : حَدَّثَنِي خُرَيْم بن فاتِك الأَسَديّ :

أَنَّهُ خَرَجَ يَوْماً في الجاهِلِيَّةِ في طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ قَدْ ضَلَّتْ ، فأَصابَها في أَبْرَقِ العَزَّافِ ـ وَسُمِّيَ بذَلِكَ لأَنَّهُ يُسْمَعُ فِيهِ عَزِيفُ الجِنِّ ـ قَالَ : فَعَقَلْتُها ، وَتَوَسَّدْتُ ذِراعَ بَكْرٍ مِنْها ، ثُمَّ قُلْتُ : أَعُوذُ بِعَظِيمِ هَذَا المَكَانِ . ـ وَفِي رِوايَةٍ : بِكَبيرِ هَذَا الوادِي ـ وإِذا بِهاتِفٍ يَهْتِفُ بِي وَيَقُولُ : [من الرَّجز]

وَيْحَكَ عُذْ بِاللهِ ذِي الجَلالِ ... مُنَزِّلِ الحَرامِ والحَلاَلِ
وَوَحِّدِ اللهَ ولا تُبالِ ... مَا هَوْلُ ذَا الجِنِّ مِنَ الأَهْوَالِ

فَقُلْتُ :

---

(١) دلائل أَبي نعيم ١١٠ رقم (٦١) والمستدرك ٣/ ٦٢١ وأُسد الغابة ٥/ ٤٧ والإصابة ٥/ ٥٥٣ رقم (٧٦٩٨) .

يَـا أَيُّهـا الـدَّاعِـي فَمَـا تخيـلُ   أَرَشَـدٌ عِنْـدَكَ أَمْ تَضْلِيـلُ[١] ؟

فقَالَ :

هَـذَا رَسُـولُ اللهِ ذُو الخَيْـرَاتِ   جَـاءَ بيـاسيـنَ وحَـامِيْمـاتِ

وَسُـوَرٍ بَعْـدُ مُفَصَّـلاتِ   يَـدْعُـو إِلـى الجَنَّـةِ والنَّجَـاةِ[٢]

يَـأْمُـرُ بِـالصَّـوْمِ وَبِـالصَّـلاةِ   وَيَـزْجُـرُ النَّـاسَ عَـنِ الهَنَـاتِ

قَالَ : فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ أَيُّها الهاتِفُ ، يَرْحَمُكَ اللهُ ؟ قَالَ : أَنا مالك بن مالكٍ ، بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى جِنِّ أَهْلِ نَجْدٍ . قَالَ : فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ مَنْ يَكْفِيْنِي إِبلِي هَذِهِ ، لأَتَيْتُهُ حَتَّى أُومِنَ بِه ؛ فَقَالَ : إِنْ أَرَدْتَ الإِسْلامَ ، فأَنا أَكْفِيكَها حَتَّى أَرُدَّها إِلى أَهْلِكَ سالِمَةً إِنْ شَاءَ اللهُ تعالَى .

قَالَ : فَامْتَطَيْتُ راحِلَتِي ، وَقَصَدْتُ المَدِيْنَةَ ، فَقَدِمْتُها في يَوْمِ جُمْعَةٍ ، فأَتَيْتُ المَسْجِدَ ، فإِذا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطبُ ، فأَنَخْتُ راحِلَتِي بِبابِ المَسْجِدِ ، وَقُلْتُ : أَلْبَثُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِه ، فإِذا أَبُو ذَرٍّ قَدْ خَرَجَ ، فقَالَ : رَسولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ ، وَهُوَ يَقُولُ لَكَ : « مَرْحَباً بِكَ ، قَدْ بَلَغَنِي إِسْلامُكَ ، فادْخُلْ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ » . قَالَ : فَتَطَهَّرْتُ وَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ ، ثُمَّ دَعَانِي وَقَالَ : « مَا فَعَلَ الشَّيْخُ الَّذِي ضَمِنَ أَنْ يَرُدَّ إِبلَكَ إِلى أَهْلِكَ ؟ أَما إِنَّهُ قَدْ رَدَّها إِلى أَهْلِكَ سَالِمَةً » . فَقُلْتُ : جَزَاهُ اللهُ خَيْراً ، رَحِمَهُ الله ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَجَلْ ، رَحِمَهُ اللهُ » . فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ .

● وَفِي « مُسْنَدِ الدَّارِميِّ »[٣] عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تعالى عنه .

---

(١) بدل الشَّطر في أ : فَبَيِّنْ لِي رحمكَ الله ! .

(٢) بدل الشَّطر الثَّاني في ب : مُحَرِّماتٍ ومُحَلِّلاتِ . كما في أُسد الغابة والمستدرك .

(٣) مسند الدارمي (٣٢٥٨) ودلائل أبي نعيم ٣٦٩ ـ ٣٧٠ رقم (٢٦٨) .

لَقِيَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ رَجُلاً مِنَ الجِنِّ ، فَصَارَعَهُ ، فَصَرَعَهُ الإِنْسِيُّ : فَقَالَ لَهُ الإِنْسِيُّ : إِنِّي أَرَاكَ ضَئِيلاً شَخِيتاً ، كَأَنَّ ذِرَاعَيْكَ ذِرَاعا كَلْبٍ ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الجِنِّ ؟ أَمْ أَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ كَذَلِكَ ؟ قَالَ : لا واللهِ ، إِنِّني مِنْ بَيْنِهِم لَضَلِيعٌ ، وَلَكِنْ عاوِدْني الثَّانِيَةَ ، فَإِنْ صَرَعْتَني عَلَّمْتُكَ شَيْئاً يَنْفَعُكَ . قَالَ : نَعَمْ ؛ فعاوَدَه ، فصَرَعَهُ ، فقال له : أَتَقْرَأُ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ ؟ قال : نعم . قَالَ : فإِنَّكَ لا تَقْرَؤُها في بَيْتٍ ، إِلاَّ خَرَجَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ لَهُ خَبَجٌ كَخَبَجِ الحِمارِ ، ثُمَّ لا يَدخُلُهُ حَتَّى يُصْبِحَ .

قَالَ الدَّارِمِيُّ : الضَّئِيْلُ : الدَّقِيقُ . والشَّخِيْتُ : المَهْزُولُ . والضَّلِيْعُ : جَيِّدُ الأَضْلاعِ . والخَبَجُ : الرِّيْحُ . وَقَالَ أَبو عُبَيْدَةَ : الخَبَجُ : الضُّراطُ .

وَسَيَأْتِي في باب « الغَيْنِ المُعْجَمَةِ » في لَفْظِ « الغُولِ » حَدِيثُ أَبي هُرَيْرَةَ ، وَحَدِيثُ أَبي أَيُّوبَ الأَنْصاريّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما في ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

● **مَسْأَلَةٌ** : يَصِحُّ انْعِقَادُ الجُمُعَةِ بِأَرْبَعِيْنَ مُكَلَّفاً ، سَواءٌ كَانُوا مِنَ الجِنِّ أَو مِنَ الإِنْسِ أَوْ مِنْهُمَا . قَالَه القَموليُّ .

لَكِنْ نَقَلَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ محمَّد بن الحُسَيْن الآبُريّ ، في « مناقِبِ الشَّافعيّ » رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، الَّتِي أَلَّفَها عَنِ الرَّبِيعِ ؛ أَنَّهُ قَالَ[1] : سَمِعْتُ الشَّافعيَّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يَقُولُ : مَنْ زَعَمَ مِنْ أَهْلِ العَدَالَةِ ، أَنَّهُ يَرَى الجِنَّ ، رُدَّتْ شَهادَتُهُ وعُزِّرَ ، لِمُخالَفَتِهِ لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ **إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [الأعراف : ٢٧] إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الزَّاعِمُ نَبِيّاً .

وَنَظِيرُ هَذَا ، قَوْلُ الشَّيْخِ مُحْيي الدِّيْنِ النَّوويّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى في

(١) طبقات الشَّافعيَّة الكبرى للسُّبكيّ ٣/ ١٤٨ .

« الفَتاوى »[1] : مَنْ مَنَعَ التَّفْضِيْلَ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ ، يُعَزَّزُ لِمُخالَفَتِهِ القُرْآنَ .

وَيُحْمَلُ قَوْلُ الشَّافعيِّ رَحِمَهُ الله ، على مَنِ ادَّعى رُؤْيَتَهُمْ على ما خُلِقُوا عَلَيْهِ ؛ وَيُحْمَلُ كَلامُ القَمُوليّ على مَا إذا تَصَوَّرُوا في صُوْرَةِ بَنِي آدَمَ ، كَمَا تَقَدَّمَ قَرِيباً .

● واعْلَمْ أَنَّ المَشْهُورَ ، أَنَّ جَمِيعَ الجِنِّ ، مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْلِيْسَ ، وَبذَلِكَ يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ ، لأَنَّ المَلائِكَةَ لا يَتَناسَلُونَ ، لأَنَّهم لَيْسَ فِيهم إِناثٌ .

وَقِيلَ : الجِنُّ جِنْسٌ ، وإِبْلِيْسُ واحِدٌ مِنْهُمْ .

وَلا شَكَّ أَنَّ لِلْجِنِّ ذُرِّيَّةً بِنَصِّ القُرْآنِ ، وَمَنْ كَفَرَ مِنَ الجِنِّ ، يُقَالُ لَهُ : الشَّيْطَانُ .

● وَفِي الحَدِيثِ : « لَمَّا أَرادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ لإِبْلِيْسَ نَسْلاً وَزَوْجَةً ، أَلْقَى عَلَيْهِ الغَضَبَ ، فَطَارَتْ منهُ شَظِيَّةٌ مِنْ نارٍ ، فَخَلَقَ مِنْها امرَأَتَهُ » .

● وَنَقَلَ ابْنُ خلِّكان في « تاريخِهِ »[2] في تَرْجَمَةِ الشَّعبيِّ ، واسْمُهُ عامِر ، أَنَّهُ قَالَ :

إِنِّي لَقاعِدٌ يَوْماً ، إِذْ أَقْبَلَ حَمَّالٌ وَمَعَهُ دَنٌّ ، فَوَضَعَهُ ، ثُمَّ جاءَنِي فَقَالَ : أَنْتَ الشَّعْبِيُّ ؟ فَقُلْتُ : نَعم . قَالَ : أَخْبِرْنِي ، هَلْ لإِبْلِيْسَ زَوْجَةٌ ؟ فَقُلْتُ : إِنَّ ذَلِكَ لَعُرْسٌ مَا شَهِدْتُهُ . قَالَ : ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف : ٥٠] فَقُلْتُ : إِنَّهُ لا تَكُونُ ذُرِّيَّةٌ إِلاَّ مِنْ زَوْجَةٍ . فَقُلْتُ : نعم ؛ فأَخَذَ دَنَّهُ وانْطَلَقَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ أَنَّهُ مُخْتَارِي .

---

(١) فتاوى الإمام النَّوويّ ١٦٦ .

(٢) لَمْ يرد في ابن خلِّكان ، لا في ترجمة الشّعبيّ ولا في غيره ؛ وهو في تاريخ دمشق ٣١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

● وَرُوِيَ أَنَّ اللهَ تَعالَى قَالَ لإِبْلِيسَ : لا أَخْلُقُ لآدَمَ ذُرِّيَّةً إِلاَّ ذَرَأْتُ لَكَ مِثْلَها ؛ فَلَيْسَ مِنْ وُلْدِ آدَمَ أَحَدٌ إِلاَّ وَلَهُ شَيْطَانٌ قَدْ قُرِنَ بِهِ .

وَقِيلَ : إِنَّ الشَّياطِينَ فيهمُ الذُّكُورُ والإناثُ ، فَيَتَوالَدُونَ مِنْ ذَلِكَ ؛ وأَمَّا إِبْلِيسُ فإِنَّ اللهَ تَعالَى خَلَقَ لَهُ في فَخْذِهِ اليُمْنَى ذَكَراً ، وَفِي اليُسْرَى فَرْجاً ، فَهُوَ يَنْكِحُ هَذَا بِهَذَا ، فَيَخْرُجُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرُ بَيْضاتٍ ، يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ بَيْضَةٍ سَبْعُونَ شَيْطاناً وَشَيْطَانَةً .

● وَذَكَرَ مجاهدٌ[1] : أَنَّ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْلِيسَ : **لاقيس** ، **وَوَلْهانَ** ، وَهُوَ صاحِبُ الطَّهارَةِ والصَّلاةِ . **والهفاف** وهو صاحِبُ الصَّحَارى . **وَمُرَّة** وَبِهِ يُكْنَى . **وَزَلَنْبُور** وهو صاحِبُ الأَسْواقِ ، يُزَيِّنُ اللَّغْوَ والحَلْفَ الكاذِبَ وَمَدْحَ السِّلْعَةِ . **وَبتر** وهُوَ صاحِبُ المَصائِبِ ، يُزَيِّنُ خَمْشَ الوُجُوهِ ، وَلَطْمَ الخُدُودِ وَشَقَّ الجُيُوبِ . **والأَبْيَضَ** وَهُوَ الَّذِي يُوَسْوِسُ لِلأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ . **وَالأَعْوَرُ** وَهُوَ صاحِبُ الزِّنا ، يَنْفُخُ في إِحْلِيلِ الرَّجُلِ وعَجُزِ المَرْأَةِ . **وداسِمٌ** وهُوَ الَّذِي إذا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ وَلَمْ يُسَلِّمْ وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعالَى ، دَخَلَ مَعَهُ وَوَسْوَسَ لَهُ ، فأَلْقَى الشَّرَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ ؛ فإِنْ أَكَلَ وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللهِ أَكَلَ مَعَهُ ، فإذا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ وَلَمْ يُسَلِّمْ وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ ، وَرَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ ، وخاصَمَ أَهْلَهُ ، فَلْيَقُلْ : داسِمٌ داسِم ، أَعُوذُ باللهِ منهُ . **وَمُطَوّسٌ** وهو صاحِبُ الأَخبارِ ، يَأْتِي بها فَيُلْقِيها في أَفْواهِ النَّاسِ ، ولا يَكُونُ لَها أَصْلٌ ولا حَقِيقَةٌ . **والأَقْنَصُ** ، وأُمُّهُمْ طُرْطُبَّة ، وَقَالَ النَّقَّاشُ : بَلْ هِيَ حاضِنَتُهُم .

وَيُقالُ : إِنَّهُ باضَ ثَلاثِينَ بَيْضَةً ، عَشْرٌ في المَغْرِبِ ، وَعَشْرٌ في المَشْرِقِ ، وَعَشْرٌ في وَسَطِ الأَرْضِ ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ كُلِّ بَيْضَةٍ جِنْسٌ مِنَ الشَّياطِينِ ، كَالغَيْلانِ والعَفَارِيْتِ والقَطارِبِ والجانِّ ، وَأَسْماءٌ أُخْرَى مُخْتلفةٌ ؛ ثُمَّ كُلُّهم

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٣٤ .

عَدُوٌّ لِبَنِي آدَمَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف : ٥٠] إلاَّ مَنْ آمَنَ مِنْهُم .

قَالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ[1] : إبْلِيسُ كُنْيَتُهُ أَبُو مُرَّةَ .

● وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ في أَنَّهُ : هل هُوَ مِنَ المَلائِكَةِ مِنْ طائِفَةٍ يُقالُ لَهُمْ : الجِنُّ أَمْ لَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ ؟ وَفِي اسْمِهِ ، هَلْ هُوَ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ أَمْ عَرَبِيٌّ ؟ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وابْنُ مَسْعُودٍ وابْنُ المُسَيِّبِ وَقَتادَةَ وابْنُ جَريرٍ والزَّجَّاجُ وابْنُ الأَنْباريّ : كَانَ إِبْلِيْسُ مِنَ المَلائِكَةِ مِنْ طائِفَةٍ يُقَالُ لَهُمْ : الجِنُّ ، وَكَانَ اسْمُهُ بالعِبْرانِيَّةِ عَزازِيل ، وبالعَرَبِيَّةِ الحارِث ، وَكَانَ مِنْ خُزَّانِ الجَنَّةِ ، وَكَانَ رَئِيْسَ مَلائِكَةِ سَماءِ الدُّنْيا ، وسُلْطانَها وَسُلْطَانَ الأَرْضِ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ المَلائِكَةِ اجْتِهاداً ، وَأَكْثَرِهم عِلْماً ، وَكَانَ يَسُوسُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ؛ فَرَأَى بذَلِكَ لِنَفْسِهِ شَرَفاً عَظِيماً وَعَظَمَةً ، فَذاكَ الَّذِي دَعاهُ إِلى الكِبْرِ ، فَعَصَى وَكَفَرَ ، فَمَسَخَهُ اللهُ شَيْطاناً رَجِيْماً مَلْعُوناً . نَعُوذُ باللهِ مِنْ خِذْلانِهِ وَمَقْتِهِ ، وَنَسْأَلُهُ العافِيَةَ والسَّلامَةَ في الدِّيْنِ والدُّنْيا والآخِرَةِ .

وَلِذَلِكَ قِيلَ : إذا كانَتْ خَطِيْئَةُ الإِنْسَانِ في كِبْرٍ فلا تَرْجُهُ ، وإِنْ كَانَتْ خَطِيْئَتُهُ في مَعْصِيَةٍ فارْجُهُ .

قَالُوا : وَقَوْلُهُ تَعالى : ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف : ٥٠] أَي مِنْ طائِفَةٍ من المَلائِكَةِ يُقَالُ لَهُم : الجِنُّ .

وَقَالَ سَعيدُ بن جُبَيْرٍ والحَسَنُ البَصْرِيُّ : لَمْ يَكُنْ إِبْلِيْسُ مِنَ المَلائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَإِنَّهُ لأَصْلُ الجِنِّ ، كَمَا أَنَّ آدَمَ أَصْلُ الإِنْسِ .

وَقَالَ عبدُ الرَّحمنِ بن زَيد وشَهْرُ بن حَوْشَب : مَا كَانَ مِنَ المَلائِكَةِ قَطُّ ،

---

(١) تهذيب الأَسماءَ واللُّغات ١/ ١٠٦ وثمار القلوب ١/ ٣٩٢ و ٢/ ٩٨٩ والمرصّع ٣٠٢ .

والاسْتِثْنَاءُ مَنْقَطِعٌ .

زَادَ شَهْرُ بن حَوْشَب : وإنَّما كَانَ مِنَ الجِنِّ الَّذِينَ ظَفِرَ بِهِمُ المَلائِكَةُ ، فَأَسَرَهُ بَعْضُهُمْ وَذَهَبَ بِهِ إلى السَّمَاءِ .

وَقَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ اللُّغَةِ والتَّفْسِيرِ : إنَّما سُمِّيَ إِبْلِيْسَ ، لأَنَّهُ أَبْلَسَ مَنْ رَحْمَةِ اللهِ .

وَالصَّحِيْحُ كَما قَالَهُ الإمامُ النَّوويُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَعْلام[1] : أَنَّهُ مِنَ المَلائِكَةِ ، وأَن اسْمَهُ أَعْجَمِيٌّ ، وأَنَّ الاسْتِثْنَاءَ مُتَّصِلٌ ، لأَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّ غَيْرَهُم أُمِرَ بِالسُّجُودِ ؛ والأَصْلُ في الاسْتِثْنَاءِ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ المُسْتَثْنَى منهُ .

وَقَالَ القاضِي عِيَاضٌ : الأَكْثَرُ على أَنَّهُ أَبُو الجِنِّ ، كَمَا أَنَّ آدمَ أَبُو البَشَرِ ؛ والاسْتِثْنَاءُ مِنْ غَيْرِ الجِنْسِ شَائِعٌ في كَلامِ العَرَبِ ، قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ ﴾ [النِّساء : ١٥٧] .

وَالصَّحِيْحُ المُخْتَارُ مَا سَبَقَ عَنِ النَّوويِّ وَمَنْ وَافَقَهُ .

وَعَنْ مُحَمَّد بن كَعْبِ القُرَظِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : الجِنُّ مُؤْمِنُونَ ، وَالشَّياطِينُ كُفَّارٌ ، وَأَصْلُهُم واحِدٌ .

وَسُئِلَ وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ عَنِ الجِنِّ ، مَا هُمْ ؟ وَهَلْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتناكَحُونَ ؟ فَقَالَ : هُمْ أَجْناسٌ ، فَأَمَّا الصَّمِيمُ الخالِصُ مِنَ الجِنِّ ، فإِنَّهُمْ رِيْحٌ ، لا يَأْكُلُونَ ولا يَشْرَبُونَ ولا ينامُونَ في الدُّنْيَا ولا يَتَوالَدُونَ ؛ وَمِنْهُمْ أَجْناسٌ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَناكَحُونَ ، وَهُمُ السَّعالى والغِيْلان والقَطَارِبُ وَأَشْباهُ ذَلِكَ ؛ وَسَيَأْتِي في أَبْوابِها إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ القَرافيُّ : اتَّفَقَ النَّاسُ على تَكْفِيرِ إِبْلِيس بِقِصَّتِهِ مع آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَلَيْسَ مُدْرَكُ الكُفْرِ فِيها الامْتِنَاعُ مِنَ السُّجُودِ ، وإِلاَّ لَكانَ كُلُّ

---

(١) تهذيب الأسماء واللُّغات ١/ ١٠٦ ـ ١٠٧ .

مَنْ أُمِرَ بالسُّجُودِ فامْتَنَعَ منهُ كافِراً ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ [وَلا كَانَ كُفْرُهُ لِكَوْنِهِ حَسَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ على مَنْزِلَتِه مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وإلاَّ لَكَانَ كُلُّ حاسِدٍ كافِراً][(1)] ، وَلا كَانَ كُفْرُهُ لِعِصْيانِهِ وَفُسُوقِهِ ، وإلاَّ لَكَانَ كُلُّ عاصٍ وَفاسِقٍ كافِراً ؛ وَقَدْ أَشْكَلَ ذَلِكَ على جَماعَةٍ مِنْ مُتَأَخِّرِي الفُقَهاءِ ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِم ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّما كَفَرَ لِنِسْبَتِهِ الحَقَّ جَلَّ جَلالُهُ إلى الجُورِ ، والتَّصَرُّفِ الَّذِي لَيْسَ بِمَرْضِيٍّ ، وَظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ فَحْوَى قَوْله : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦] وَمُرادُهُ ـ عَلَى مَا قَالَهُ الأَئِمَّةُ المُحَقِّقُونَ مِنَ المُفَسِّرِيْنَ وغَيْرِهم ـ أَنَّ إِلْزامَ العَظِيمِ الجَلِيلِ بالسُّجُودِ للحَقِيرِ ، مِنَ الجُورِ والظُّلْمِ . فَهَذَا وَجْهُ كُفْرِهِ لَعَنَهُ اللهُ ؛ وَقَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ قاطِبَةً على أَنَّ مَنْ نَسَبَ ذَلِكَ لِلْحَقِّ تَعالى كَانَ كافِراً .

وَاخْتُلِفَ هَلْ كَانَ قَبْلَ إِبْلِيسَ كافِرٌ أَوْ لا ؟ فَقِيلَ : لا ، وإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ كَفَرَ . وَقِيلَ : كَانَ قَبْلَهُ قَوْمٌ كُفَّارٌ ، وَهُمُ الجِنُّ الَّذِيْنَ كانُوا في الأَرْضِ . انتهى .

وَقَدِ اخْتُلِفَ أَيْضاً في كُفْرِ إِبليسَ ، هَلْ كَانَ جَهْلاً أَو عِناداً ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ لأَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ ؛ و لاخِلافَ أَنَّهُ كَانَ عالِماً باللهِ قَبْلَ كُفْرِهِ ، فَمَنْ قَالَ : إِنَّهُ كَفَرَ جَهْلاً ، قَالَ : إِنَّهُ سُلِبَ العِلْمَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ عِنْدَ كُفْرِهِ ؛ وَمَنْ قَالَ : إِنَّهُ كَفَرَ عِناداً ، قالَ : إِنَّهُ كَفَرَ وَمَعَهُ عِلْمُهُ .

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ :والكُفْرُ مع بَقَاءِ العِلْمِ مُسْتَبْعَدٌ ، إِلاَّ أَنَّهُ عِنْدِي جائِزٌ ، لا يَسْتَحِيلُ مع خِذْلانِ اللهِ تَعالَى لِمَنْ يَشاءُ .

● وَرَوَى البَيْهَقِيُّ في « شَرْحِ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى » في آخر بابِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : ١١١] عَن عُمر بن ذَرٍّ قَالَ : سَمِعْتُ عُمر بن عبدِ العَزيزِ رحمهُ اللهُ تَعالَى يَقُولُ : لَوْ أَرادَ اللهُ تَعالَى أَنْ لا يُعْصَى ،

---

(١) ما بين معقوفتين من ب .

لَمْ يَخلُقْ إِبْلِيسَ ؛ وقد بَيَّنَ ذَلِكَ في آيَةٍ مِنْ كِتابِه ، وَفَصَّلَها ، عَلِمَها مَنْ عَلِمَها ، وَجَهِلَها مَنْ جَهِلَها ، وَهِيَ قَوْلُهُ تعالَى : ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصَّافَّات : ١٦٢ ـ ١٦٣] .

ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقِ عَمرو بن شُعيبٍ ، عَنْ أَبيه ، عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ : يا أَبا بَكْرٍ ، لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ لا يُعْصَى مَا خَلَقَ إِبْليس » انتهى .

● وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ : يا أَبا سَعِيدٍ ، أَيَنامُ إِبْلِيْسُ ؟ فَقَالَ : لَوْ نَامَ لَوَجَدْنا رَاحَةً ؛ فلا خَلاصَ لِلْمُؤْمِنِ منهُ إِلاَّ بِتَقْوَى اللهِ تَعالى .

● وَقَالَ في « الإِحْيَاءِ »[1] قُبَيْلَ بَيانِ دَواءِ الصَّبْرِ : مَنْ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالَى وَلَوْ لَحْظَةً ، فَلَيْسَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ قَرِينٌ إِلاَّ الشَّيْطَان ، قَالَ تَعالَى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزُّخرف : ٣٦] وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ[2] : « إِنَّ اللهَ تَعالَى يُبْغِضُ الشَّابَّ الفارِغَ » لأَنَّ الشَّابَّ إِذا لَمْ يَشْغَلْ خاطِرَهُ بِمُباحٍ يَسْتَعِينُ بِهِ على دِينِه ، عَشَّشَ الشَّيْطَانُ في قَلْبِه وَبَاضَ وَفَرَّخَ ، ثُمَّ تُزَوَّجُ أَفْراخَهُ أَيْضاً ، وَيَبِيضُ وَيُفَرِّخُ مَرَّةً أُخْرَى ؛ وَهَكَذا يَتَوالَدُ نَسْلُ الشَّيْطَانِ تَوالُداً أَسْرَعَ مِنْ تَوالُدِ سائِرِ الحَيْوانَاتِ ، لأَنَّ طَبْعَهُ مِنَ النَّارِ ، والنَّارُ إِذا وَجَدَتِ الحَلْفَاءَ اليابِسَةَ كَثُرَ تَوالُدُها ، فَلا تَزَالُ تَتَوالَدُ النَّارُ مِنَ النَّارِ ولا تَنْقَطِعُ البَتَّةَ ؛ فَالشَّهْوَةُ في نَفْسِ الشَّابِّ لِلشَّيْطَانِ ، كَالحَلْفَاءِ اليابِسَةِ لِلنَّارِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الحُسَيْنُ الحلاَّجُ : هِيَ نَفْسُكَ ، إِنْ لَمْ تَشْغَلْها بِالحَقِّ ، شَغَلَتْكَ بِالباطِلِ .

● **فائِدَةٌ** : ذَكَرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ العامِلِين ، أَنَّ اللهَ تَعالَى افْتَرَضَ على خَلْقِهِ فَرِيْضَتَيْنِ في آيَةٍ واحِدَةٍ ، والخَلْقُ عَنْها غافِلُونَ ، فَقِيلَ لَهُ : وما هِيَ ؟ فَقَالَ : قَالَ الجَلِيلُ جَلَّ جَلالُهُ : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] فَهَذا أَمْرٌ

---

(١) إحياء علوم الدِّين ٤/ ٦٥ .

(٢) قال الحافظ العراقيّ في حاشية الإحياء : لَمْ أَجِدْهُ .

مِنْهُ سُبْحانَهُ لَنا ، بِأَنْ نَتَّخِذَهُ عَدُوّاً ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ نَتَّخِذُهُ عَدُوّاً وَنَتَخَلَّصُ منهُ ؟ فَقَالَ : اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعالَى جَعَلَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ سَبْعَةَ حُصُونٍ : فَالحِصْنُ الأَوَّلُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعالى ؛ وَحَوْلَهُ حِصْنٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَهُوَ الإِيْمَانُ بِهِ تَعالَى ؛ وَحَوْلَهُ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَهُوَ التَّوكُّلُ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلا ؛ وَحَوْلَهُ حِصْنٌ مِنْ حِجارَةٍ ، وَهُوَ الشُّكْرُ والرِّضَا عَنْهُ عَزَّ شَأْنُهُ ؛ وَحَوْلَهُ حِصْنٌ مِنْ فَخَّارٍ ، وَهُوَ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ والقِيامُ بِهِما ؛ وَحَوْلَهُ حِصْنٌ مِنْ زُمُرُّدٍ ، هُوَ الصِّدْقُ والإِخْلاصُ لَهُ تَعالَى ؛ وَحَوْلَهُ حِصْنٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ ، وَهُوَ أَدَبُ النَّفْسِ .

فَالمُؤْمِنُ مِنْ داخِلِ هَذِهِ الحُصُونِ ، وإِبْلِيْسُ مِنْ وَرائِها يَنْبَحُ كَمَا يَنْبَحُ الكَلْبُ ، والمُؤْمِنُ لا يُبالِي بِهِ ، لأَنَّهُ قَدْ تَحَصَّنَ بِهَذِهِ الحُصُونِ ؛ فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ لا يَتْرُكَ أَدَبَ النَّفْسِ في جَمِيعِ أَحْوالِهِ ، وَيَتهاوَنَ بِهِ في كُلِّ مَا يَأْتِي ؛ فإِنَّ مَنْ تَرَكَ أَدَبَ النَّفْسِ وَتَهاوَنَ بِهِ ، فإِنَّهُ يَأْتِيْهِ الخِذْلانُ لِتَرْكِهِ حُسْنَ الأَدَبِ مع اللهِ تَعالَى ، ولا يَزالُ إِبْلِيسُ يُعالِجُهُ ، وَيَطْمَعُ فِيهِ ، وَيَأْتِيهِ ، حَتَّى يَأْخُذَ مِنْهُ جَمِيعَ الحُصُونِ ، وَيَرُدَّهُ إِلى الكُفْرِ ؛ نَعُوذُ باللهِ مِنْ ذَلِكَ . انتهى .

وَمَا ذَكَرَهُ مِنَ الفَرِيْضَتَيْنِ في الآيَةِ قَدْ يُشْكِلُ ، فَيُقَالُ : لَيْسَ فِيها إِلاَّ فَرِيْضَةٌ واحِدَةٌ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] إِذِ الأَمْرُ يَقْتَضِي الوُجُوبَ عِنْدَ عَدَمِ قَرِينةٍ تَدُلُّ على خِلافِهِ ، وَقَدْ سَأَلْتُ الإِمامَ اليافعيَّ رحمهُ اللهُ عَنِ الفَرِيْضَةِ الثَّانِيَةِ : أَيْنَ هِيَ مِنَ الآيَةِ ؟ فَأَجابَ قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ : بِأَنَّ فِيها فَرِيْضَةً عِلْمِيَّةً وَفَرِيْضَةً عَمَلِيَّةً ؛ فالأُولَى العِلْمُ بِكَوْنِهِ عَدُوّاً ، والثَّانِيَةُ العَمَلُ في اتِّخاذِ العَداوَةِ لَهُ . انتهى .

وَأَمَّا مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الحُصُونِ ، فَهُوَ في نِهايَةِ الحُسْنِ والتَّحْقِيقِ ، لَكِنْ قَدْ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ على بَعْضِ الحُصُونِ المَذْكُورَةِ دُونَ بَعْضٍ ، فَيَرُدُّ العَبْدَ إِلى الفِسْقِ دُونَ الكُفْرِ ، فَيَسْتَحِقُّ النَّارَ مِنْ غَيْرِ تَخْلِيدٍ ؛ وَقَدْ لا يَرُدُّهُ إِلى الفِسْقِ ،

وَلَكِنْ يَرُدُّهُ إلى ضَعْفِ الإيْمانِ ، فَلا يَسْتَحِقُّ النَّارَ ، وَلَكِنْ يَسْتَحِقُّ النُّزُولَ عَنْ رُتْبَةِ أَهْلِ الإيْمانِ الكامِلِ ؛ وَكُلُّ هَذَا التَّفاوتُ بِسَبَبِ تفاوُتِ الحُصُونِ المَذْكُورَةِ ، إِذْ لَيْسَ أَخْذُ حِصْنِ المَعْرِفَةِ والإِيْمانِ ، كَأَخْذِ بَقِيَّةِ الحُصُونِ المَذْكُورَةِ .

وَبَقِيَّةُ الحُصُونِ تَتَفاوَتُ أَيْضاً ، فَلَيْسَ أَخْذُ حِصْنِ الصِّدْقِ والإِخْلاصِ ، كَأَخْذِ حِصْنِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الحُصُونِ ، والكَلامُ في ذَلِكَ يَطُولُ ، وَلَكِنْ مَهْما بَقِيَ حِصْنُ الإيْمانِ وَحِصْنُ التَّوَكُّلِ كامِلَيْنِ لِلْعَبْدِ ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ لِقَوْلِهِ تعالَى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النّحل : ٩٩] وَهَؤُلاءِ المُتَّصِفُونَ بالعُبُودِيَّةِ الكامِلَةِ لِقَوْلِهِ تعالَى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] وَهُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّاً لِقَوْلِهِ تعالَى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] ثُمَّ قَالَ في آخِرِ وَصْفِهِمْ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال : ٤] وَقَدْ يَكُونُ أَخْذُ حِصْنٍ واحِدٍ مُؤَدِّيَاً إِلى الكُفْرِ ، وَمُوجِباً للتَّخْلِيدِ في النَّارِ ، كَحِصْنِ الإِيْمانِ باللهِ ، نَعُوذُ باللهِ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنْ لا يَقْدِرُ على أَخْذِ حِصْنِ الإيْمانِ حَتَّى يَأْخُذَ الحُصُونَ التي حَوْلَهُ ؛ نَسْأَلُ اللهَ الكَرِيْمَ الهُدَى وَالسَّلامَةَ مِنَ الزَّيْغِ والرَّدَى .

واعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الواجِبَاتِ المَعْرِفَةُ ، وَقَالَ الأُسْتاذُ : النَّظَرُ ، وَقَال ابْنُ فَورَك وإِمامُ الحَرَمَيْنِ : القَصْدُ إلى النَّظَرِ ؛ وَقَدْ بَسَطْنا الكَلامَ على ذَلِكَ في كِتابنا « الجَوْهَرِ الفَرِيدِ في عِلْمِ التَّوْحِيْدِ » وَمَا قَالَهُ في ذَلِكَ عُلَماءُ الشَّرِيْعَةِ وَمَشايِخُ الصُّوفِيَّةِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَى ، فَلْيُراجَعْ ذَلِكَ في الجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الكِتَابِ المَذْكُورِ ، وَباللهِ التَّوْفِيقُ .

واخْتَلَفُوا : هَلْ بَعَثَ اللهُ تَعالَى مِنَ الجِنِّ إِلَيْهِمْ رُسُلاً قَبْلَ بِعْثَةِ نَبِيِّنا محمَّد ﷺ ؟ فَقَالَ الضَّحَّاكُ : كَانَ منهم رُسُلٌ ، لِظاهِرِ قَوْلِهِ تعالَى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ

ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام : ١٣٠] .

وَقَالَ المُحَقِّقُونَ : لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِم مِنْهُمْ رَسُولٌ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ في الجِنِّ قَطُّ ، وإِنَّما الرُّسُلُ مِنَ الإِنْسِ خاصَّةً ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيْحُ المَشْهُورُ .

وَأَمَّا الجِنُّ فَفِيهِم النُّذُرُ ؛ وَأَمَّا الآيَةُ فَمَعْنَاها : مِنْ أَحَدِ الفَرِيْقَيْنِ ، كَقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرَّحمن : ٢٢] وإِنَّما يَخْرُجَانِ مِنَ المِلْحِ دُونَ العَذْبِ .

وَقَالَ مُنْذِر بنُ سَعيدَ البَلُّوطيُّ : قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : إِنَّ الَّذِيْنَ لَقُوا النَّبيَّ ﷺ مِنَ الجِنِّ كانُوا رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ .

وَقَالَ مُجاهِدٌ : النُّذُرُ مِنَ الجِنِّ ، وَالرُّسُلُ مِنَ الإِنْسِ ؛ وَلا شَكَّ أَنَّ الجِنَّ مُكَلَّفُونَ في الأُمَمِ الماضِيَةِ ، كَمَا هُمْ مُكَلَّفُونَ في هَذِهِ الأُمَّةِ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٨] وَقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذَّاريات : ٥٦] قِيلَ : المُرَادُ مُؤْمِنُو الفَرِيْقَيْنِ ، فَمَا خَلَقَ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْهُمْ إِلاَّ لِعِبادَتِهِ ، وَمَا خَلَقَ الأَشْقِيَاءَ إِلا للشَّقَاوَةِ ، ولا مانِعَ مِنْ إِطْلاقِ العامِّ وإِرادَةِ الخاصِّ .

وَقِيلَ : مَعْناهُ : إِلاَّ لآمُرَهُم بِعِبادَتي ، وَأَدْعُوهُم إِلَيْها .

وَقِيلَ : إِلاَّ لِيُوَحِّدُونَ .

فَإِنْ قِيلَ : لِمَ اقْتَصَرَ على الفَرِيْقَيْنِ ، وَلَمْ يَذْكُرِ المَلائِكَةَ ؟ فَالجَوابُ : إِنَّ ذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَنْ كَفَرَ مِنَ الفَرِيْقَيْنِ ، بِخِلافِ المَلائِكَةِ ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَصَمَهُمْ كَما تَقَدَّمَ .

فَإِنْ قِيلَ : لِمَ قَدَّمَ الجِنَّ على الإِنْسِ في هَذِهِ الآيَةِ ؟ فَالجَوابُ : أَنَّ لَفْظَ الإِنْسِ أَخَفُّ ، لِمَكانِ النُّونِ الخَفِيْفَةِ والسِّيْنِ المَهْمُوسَةِ ، فَكَانَ الأَثْقَلُ أَوْلَى

بِأَوَّلِ الكَلامِ مِنَ الأَخَفِّ ، لِنَشَاطِ المُتَكَلِّمِ وَرَاحَتِه[1] .

فَرْعٌ : كَانَ الشَّيْخُ عِمادُ الدِّيْنِ بن يُونس رحمهُ الله ، يَجْعَلُ مِنْ مَوانِعِ النِّكاحِ اخْتِلافَ الجِنْسِ ، وَيَقُولُ : لا يَجُوزُ لِلإِنْسِيِّ أَنْ يَتَزَوَّجَ جِنِّيَّةً ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [النّحل : ٧٢] وَقَالَ تَعالَى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الرُّوم: ٢١] فَالمَوَدَّةُ : الجِماعُ . والرَّحْمَةُ : الوَلَدُ . وَنَصَّ عَلَى مَنْعِهِ جماعَةٌ مِنْ أَئِمَّةِ الحَنابِلَةِ . وَفِي « الفَتَاوَى السِّراجِيَّةِ » لا يَجُوزُ ذَلِكَ ، لاخْتِلافِ الجِنْسِ .

وَفِي « القُنية » : سُئِلَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ عنهُ ، فَقَالَ : يَجُوزُ بِحَضْرَةِ شَاهِدَيْنِ .

وَفِي « مَسائِلِ ابْنِ حَرْبٍ » عَنِ الحَسَنِ وَقَتادَةَ ، أَنَّهُما كَرِها ذَلِكَ .

ثُمَّ رَوَى بِسَنَدٍ فِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ ، « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ نِكَاحِ الجِنِّ » .

وَعَنْ زَيْدٍ العَمِّيِّ : أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي جِنِّيَّةً أَتَزَوَّجُ بِها ، تُصاحِبُنِي حَيْثُما كُنْتُ .

وَرَوَى « ابْنُ عديّ »[2] ، في تَرْجَمَةِ يَغْنَم بن سالمٍ بن قَنْبَر مَوْلى عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، عَنِ الطَّحاويّ ، قَالَ : حَدَّثَنا يُونس بن عَبْدِ الأَعْلَى ، قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنا يَغْنَمُ بن سالِم مِصْرَ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : تَزَوَّجْتُ امرأَةً مِنَ الجِنِّ ؛ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْهِ .

وَرَوَى[3] في تَرْجَمَةِ سَعيد بن بَشيرٍ ، عن قَتادة ، عَنِ النَّضْر بن أَنَس ، عَنْ بَشِيرِ بن نَهيك ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : قَالَ

---

(١) وقد يكون لأَسبقيَّة وجود الجنّ في الأَرضِ .

(٢) وميزان الاعتدال ٤/ ٤٥٩ ولسان الميزان ٦/ ٣١٥ . وفي الأُصول : نعيم ! .

(٣) وميزان الاعتدال ٢/ ١٢٩ .

رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَحَدُ أَبَوَيْ بَلْقِيسٍ كَانَ جِنِّيّاً » .

وَقالَ الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّيْنِ القَمُوليّ : وَفِي المَنْعِ مِنَ التَّزَوُّجِ نَظَرٌ ، لأَنَّ التَّكْلِيفَ يَعُمُّ الفَرِيْقَيْنِ .

قَالَ : وَقَدْ رَأَيْتُ شَيْخاً كَبِيراً صَالِحاً ، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ تَزَوَّجَ جِنِّيَّةً . انتهى .

قُلْتُ : وَقَدْ رَأَيْتُ أَنا رَجُلاً مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ والعِلْمِ ، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ تَزَوَّجَ أَرْبعاً مِنَ الجِنِّ ، واحِدَةً بَعْدَ واحِدَةٍ . لَكِنْ يَبْقَى النَّظَرُ في حُكْمِ طَلاقِها ، وَلِعانِها ، والإِيْلاءِ مِنْها ، وَعِدَّتِها ، وَنَفَقَتِها ، وَكُسْوَتِها ، والجَمْعِ بَيْنَها وَبَيْنَ أَرْبَعٍ سِواها ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ ؛ وَكُلُّ هَذَا فِيهِ نَظَرٌ لا يَخْفَى .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ شَمْسُ الدِّيْنِ الذَّهبيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : رَأَيْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ فَتْحِ الدِّيْنِ اليَعْمَرِيّ : وَحَدَّثَنِي عنهُ عُثمان المُقاتِلي : سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبا الفَتْحِ القُشَيْرِيّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ عِزَّ الدِّيْنِ بن عَبْدِ السَّلامِ ، يَقُولُ : ـ وَقَدْ سُئِلَ عن ابْنِ عَرَبِيٍّ ـ فَقَالَ : شَيْخُ سَوْءٍ ، كَذَّابٌ ؛ فَقِيْلَ لَهُ : وَكَذَّابٌ أَيْضاً ، قَالَ : نَعَمْ ؛ تَذَاكَرْنا يَوْماً نِكاحَ الجِنِّ ، فَقَالَ : الجِنُّ رُوحٌ لَطِيفٌ ، والإِنْسُ جِسْمٌ كَثِيفٌ ، فَكَيْفَ يَجْتَمِعانِ ؟ ثُمَّ غَابَ عَنَّا مُدَّةً ، وَجاءَ وَفِي رَأْسِهِ شَجَّةٌ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الجِنِّ ، فَحَصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَها شَيْءٌ ، فَشَجَّتْنِي هَذِهِ الشَّجَّةَ .

قَالَ الشَّيْخُ الذَّهبِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ : وَما أَظُنُّ ابْنَ عَرَبِيٍّ ، تَعَمَّدَ هَذِهِ الكِذْبَةَ ، وإِنَّما هِيَ مِنْ خُرافاتِ الرِّياضَةِ .

● **فَرْعٌ** : رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتابِ « الأَموالِ »[1] و« البَيْهَقيُّ » ، عَنِ الزُّهريِّ ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ : « أَنَّهُ نَهَى عَنْ ذَبائِحِ الجِنِّ » . قَالَ : وَذَبائِحُ الجِنِّ : أَنْ يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الدَّارَ ، أَوْ يَسْتَخْرِجُ العَيْنَ ، أَو ما أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَيَذْبَحُ لَها

---

(١) وحيوان الجاحظ ٦/ ٢٢٤ وثمار القلوب ١/ ١٤٥ والنهاية ٢/ ١٥٣ .

ذَبِيْحَةً للطِّيَرَةِ ؛ وَكَانُوا في الجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ : إذا فَعَلَ ذَلِكَ ، لَمْ يَضُرَّ أَهْلَها الجِنُّ ، فَأَبْطَلَ ﷺ ذَلِكَ ، وَنَهَى عنه .

● **تَتِمَّةٌ** : في كِتابِ « مَناقِبِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ الكيلانيّ » قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ :

أَنَّهُ جاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ بَغْدَادَ ، وَذَكَرَ أَنَّ لَهُ بِنْتاً اخْتُطِفَتْ مِنْ سَطْحِ دارِهِ وَهِيَ بِكْرٌ ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : اذْهَبْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ إِلى خَرابِ الكَرْخِ ، واجْلِسْ عِنْدَ التَّلِّ الخامِسِ ، وَخُطَّ عَلَيْكَ دائِرَةً في الأَرْضِ ، وَقُلْ وَأَنْتَ تَخُطُّها : بسمِ اللهِ ، على نِيَّةِ عَبْدِ القادِرِ ، فإذا كانَتْ فَحْمَةُ العِشَاءِ ، مَرَّتْ بكَ طَوائِفُ مِنَ الجِنِّ على صُوَرٍ شَتَّى ، فَلاَ يَرُوعُكَ مَنْظَرُهم ؛ فإذا كانَ السَّحَرُ مَرَّ بكَ مَلِكُهُمْ في جَحْفَلٍ مِنْهم ، فَيَسْأَلُكَ عن حاجَتِكَ ، فَقُلْ : قَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ عَبْدُ القادِرِ ؛ وَاذْكُرْ لَهُ شَأْنَ ابْنَتِكَ .

قَالَ : فَذَهَبْتُ ، وَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ الشَّيْخُ ؛ فَمَرَّ بي صُوَرٌ مُزْعِجَةُ المَنْظَرِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ منهُم على الدُّنُوِّ مِنَ الدَّائِرَةِ التي أَنا فِيها ، وَمَا زَالُوا يَمُرُّونَ زُمَراً زُمَراً ، إلى أَنْ جاءَ مَلِكُهُم راكِباً فَرَساً ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أُمَمٌ مِنْهُمْ ، فَوَقَفَ بإزاءِ الدَّائِرَةِ ، وَقَالَ : يا إِنْسِيُّ مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : قَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ ؛ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَقَبَّلَ الأَرْضَ ، وَجَلَسَ خارِجَ الدَّائِرَةِ ، وَجَلَسَ مَنْ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : مَا شَأْنُكَ ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ قِصَّةَ ابْنَتِي ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَه : عَلَيَّ بِمَنْ فَعَلَ هَذَا ؛ فَأُتِيَ بمارِدٍ وَمَعَهُ ابْنَتِي ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ هَذَا مارِدٌ مِنْ مَرَدَةِ الصِّينِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ على أَن اخْتَطَفْتَ مِنْ تحت رِكابِ القُطْبِ ؟ فَقَالَ : إِنَّها وَقَعَتْ في نَفْسِي ؛ فَأَمَرَ بِهِ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَعْطَانِي ابْنَتِي .

فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كاللَّيْلَةِ في امْتِثالِكَ أَمْرَ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ! قَالَ : نَعم ، إِنَّهُ لَيَنْظُرُ مِنْ دارِهِ إِلى مَرَدَةِ الجِنِّ وَهُمْ بِأَقْصَى الأَرْضِ ، فَيَفِرُّونَ مِنْ هَيْبَتِهِ ؛ وإِنَّ اللهَ تَعالَى إِذا أَقامَ قُطْباً مَكَّنَهُ مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ .

● وَرُوِيَ عَنِ أَبي القاسِمِ الجُنَيْدِ ، أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ سَرِيّاً السَّقْطِيّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ :

كُنْتُ يَوْماً مَارّاً في البادِيَةِ ، فآوانِي اللَّيْلُ إِلى جَبَلٍ لا أَنِيسَ فِيهِ ، فَبَيْنَما أَنا في جَوْفِ اللَّيْلِ ، نادانِي مُنادٍ ، فقَالَ : لا تَذُوبُ القُلُوبُ في الغُيُوبِ ، حَتَّى تَذُوبَ النُّفوسُ مِنْ مَخَافَةِ فَوْتِ المَحْبُوبِ ؛ فَعَجِبْتُ وَقُلْتُ : أَجِنِيٌّ يُنادِي أَمْ إِنْسِيٌّ ؟ فَقَالَ : بَلْ جِنِّيٌّ مُؤْمِنٌ باللهِ سُبْحانَهُ ، وَمَعِي إِخْوانِي ؛ فَقُلْتُ : وَهَلْ عِنْدَهُم مَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : نَعم ، وزِيادَةٌ .

قَالَ : فَنَادَانِي الثَّانِي منهُم ، فَقَال : لا تَذْهَبُ مِنْ البَدَنِ الفَتْرَةُ ، إِلاَّ بِدَوامِ الفِكْرَةِ . قَالَ : فَقُلْتُ في نَفْسِي : مَا أَنْفَعَ كَلامَ هَؤلاءِ .

فَنادَانِي الثَّالِثُ فَقَالَ : مَنْ أَنِسَ بِهِ في الظَّلامِ ، نُشِرَتْ لَهُ غداً الأَعْلامُ .

قَالَ : فَصُعِقْتُ ، فَلَمَّا أَفَقْتُ إِذا أَنا بنَرْجِسَةٍ على صَدْرِي ، فَشَمَمْتُها ، فَذَهَبَ عَنِّي مَا كَانَ بِي مِنَ الوَحْشَةِ ، واعْتَرانِي الأُنْسُ ؛ فَقُلْتُ : وَصِيَّةٌ ، رَحِمَكُمُ اللهُ ؛ فَقَالُوا : أَبى اللهُ أَنْ يَحْيَا بِذِكْرِهِ ، وَيَأْنَس بِهِ ، إِلاَّ قُلُوبُ المُتَّقِينَ ؛ فَمَنْ طَمِعَ في غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَدْ طَمِعَ في غَيْرِ مَطْمَعٍ ، وَفَّقَنا اللهُ وإِيَّاكَ . ثُمَّ وَدَّعُونِي وَمَضَوْا ، وَقَدْ أَتَى عليَّ حِيْنٌ وَأَنا أَرَى بَرْدَ كَلامِهِمْ في خاطِرِي .

● وَفِي « كِفايَةِ المُعْتَقِدِ ونِكايَةِ المُنْتَقِدِ » لِشَيْخِنا اليافعيّ ، عن السَّرِيِّ أَيْضاً ، أَنَّهُ قَالَ[1] :

كُنْتُ أَطْلُبُ رَجُلاً صَدِيقاً مُدَّةً مِنَ الأَوْقَاتِ ، فَمَرَرْتُ يَوْماً في بَعْضِ الجِبالِ ، فإِذا أَنا بجَماعَةٍ زَمْنى وَعُميان وَمَرْضَى ، فَسَأَلْتُ عَنْ حالِهِم ، فَقَالُوا : هَا هُنا رَجُلٌ يَخْرُجُ في السَّنَةِ مَرَّةً ، فَيَدْعُو لَهُمْ ، فَيَجِدُونَ الشِّفَاءَ .

---

(١) طبقات المناوي ١/ ٦٢٢ .

قَالَ : فَمَكَثْتُ حَتَّى خَرَجَ ، وَدَعا لَهُمْ ، فَوَجَدُوا الشِّفَاءَ ؛ فَقَفَوْتُ أَثَرَهُ ، فَأَدْرَكْتُهُ وَتَعَلَّقْتُ بِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : بي عِلَّةٌ باطِنَةٌ ، فَما دَواؤُها ؟ فَقَالَ : ياسَرِيُّ ، خَلِّ عَنِّي فإِنَّهُ غَيُورٌ ، وإِيَّاكَ أَنْ يَراكَ تَأْنَسُ إِلى غَيْرِهِ ، فَتَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ ؛ ثُمَّ تَرَكَنِي وَذَهَبَ .

● وَفِي كِتابِ « التَّوْحِيْدِ » للإِمامِ محمَّد بن أَبي بكر الرَّازِي ، عَنِ الجُنَيْدِ ، أَنَّهُ قَالَ :

كُنْتُ أَسْمَعُ السَّرِيَّ يَقُولُ : يَبْلُغُ العَبْدُ مِنَ الهَيْبَةِ والأُنْسِ إِلى حَدٍّ لَوْ ضُرِبَ وَجْهُهُ بِالسَّيْفِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ .

قَالَ : وَكَانَ في نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ ، حَتَّى بَانَ لي أن الأمرَ كَذلِكَ . انتهى .

قُلْتُ : وَذَلِكَ لأَنَّ الهَيْبَةَ والأُنْسَ فَوْقَ القَبْضِ وَالبَسْطِ ، والقَبْضُ والبَسْطُ فَوْقَ الخَوْفِ والرَّجَاءِ ، فَالهَيْبَةُ مُقْتَضاها الغَيْبَةُ والدَّهَشُ ، فَكُلُّ هائِبٍ غائِبٌ ، حَتَّى لَوْ قُطِّعَ قِطَعاً لَمْ يَحْضُرْ مِنْ غَيْبَتِهِ إِلاَّ بِزَوالِ الهَيْبَةِ عَنْهُ ؛ والأُنْسُ مُقْتَضاهُ الصَّحْوُ والإِفاقَةُ .

ثُمَّ إِنَّهم يَتَفاوَتُونَ في الهَيْبَةِ وَالأُنْسِ ، فَأَدْنَى مَرْتَبَةٍ في الأُنْسِ : أَنَّهُ لَوْ أُلْقِيَ في لَظىً ، مَا تَكَدَّرَ أُنْسُهُ ؛ لأَنَّهُ لا يَشْهَدُ إِلاَّ هُوَ ، ولا يَعْرِفُ إِلاَّ هُوَ ؛ أَلا تَرَى إِلى قَوْلِ السَّرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : يَبْلُغُ العَبْدُ مِنَ الهَيْبَةِ والأُنْسِ إِلى حَدٍّ لَوْ ضُرِبَ وَجْهُهُ بِالسَّيْفِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ .

وَذَلِكَ لأَنَّ الأُنْسَ يَتَوَلَّدُ مِنَ السُّرُورِ بِاللهِ ؛ وَمَنْ صَحَّ لَهُ الأُنْسُ بِاللهِ ، اسْتَوْحَشَ مِمَّا سِواهُ ، فَهُوَ بَاقٍ بِاللهِ ، فانٍ عَنِ السِّوى ، لَمْ يَرَ غَيْرَهُ ، وَلَمْ يَشْهَدْ لِسِواهُ فِعْلاً ، فَلَمْ يَرَ في الكَوْنَيْنِ إِلاَّ إِيَّاهُ ، فَلا يَقَعُ نَظَرُهُ إِلاَّ عَلَيْهِ ، وَلاَ بَصَرُهُ إِلاَّ على فِعْلِهِ وَخَلْقِهِ ؛ لأَنَّ العارِفَ عَرَفَ الصَّنْعَةَ بِالصَّانِعِ ، وَلَمْ يَعْرِفِ الصَّانِعَ بِالصَّنْعَةِ ، فَلَمْ يَرَ إِلاَّ فِعْلَهُ وَخَلْقَهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ

تَعالَى عنه : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلاَّ وَرَأَيْتُ اللهَ قِبَلَهُ .

وَهَذَا هُوَ المَقامُ الشَّرِيفُ مِنَ التَّوْحِيدِ .

واعْلَمْ أَنَّ العَبْدَ لا يَذُوقُ حَلاوَةَ الأُنْسِ باللهِ تَعالَى ، إلاَّ إذا قَطَعَ العَلائِقَ ، وَرَفَضَ الخَلائِقَ ، وَغَاصَ في الدَّقائِقِ ، مُطَّلِعاً على الحَقَائِقِ ؛ وَلا يُنَبِّئُكَ مَثْلُ خَبيرٍ .

واعْلَمْ أَنَّ حَالَتَي الهَيْبَةِ والأُنْسِ ، وإِنْ جَلَّتا ، فأَهْلُ الحَقِيْقَةِ يَعُدُّونَهما نَقْصاً ، لِتَضَمُّنِهما تَغَيُّرَ العَبْدِ ؛ فإِنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ المُتَمَكِّنِينَ ، سَمَتْ أَحْوالُهم عَنِ التَّغَيُّرِ ؛ فَلَهُمْ كَمالٌ في المَحْوِ ، وَوُجُودٌ في العَيْنِ ، ولا هَيْبَةَ ولا أُنْسَ ، ولا عِلْمَ وَلا حِسَّ ؛ وارْتِقاؤُهُم عَنِ هَذَا المَقَامِ بِالجُودِ والفَيْضِ الإلهيِّ ، فَسُبْحانَ مَنْ خَصَّ بِرَحْمَتِه مَنْ شَاءَ مِنْ عِبادِهِ .

وَقَالَ السَّرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[1] : صَحِبْتُ رَجُلاً يُقالُ لَهُ الوالِدُ سَنَةً ، لَمْ أَسْأَلْهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْماً : مَا المَعْرِفَةُ التي لَيْسَ فَوْقَها مَعْرِفَةٌ ؟ فَقَالَ : أَنْ تَجِدَ اللهَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنْ يَنْمَحِيَ عَنْ سَرائِرِكَ وَظَواهِرِكَ كُلُّ شَيْءٍ غَيْرُهُ . فَقُلْتُ لَهُ : بأَيِّ شَيْءٍ أَصِلُ إِلى هَذَا ؟ فَقَالَ : بِزُهْدِكَ فِيكَ ، وَرَغْبَتِكَ فِيهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى . قَالَ : فَكَانَ كَلامُهُ سَبَبُ انْتِفاعِي بِهَذَا الأَمْرِ .

● تُوُفِّيَ السَّرِيُّ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضان ، سَنَةَ ثَلاثٍ وخَمْسِيْنَ ومِئَتَين ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، واللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوابِ[2] .

الخَواصُّ : لا تَدْخُلُ الجِنُّ بَيْتاً فِيهِ الأُتْرُجُّ .

---

(١) طبقات المناوي ١/ ٦٢٢ .

(٢) ترجمته في : طبقات الصُّوفيَّة ٤٨ وحلية الأَولياء ١٠/ ١١٦ ووفيات الأَعيان ٢/ ٣٥٧ وسير أَعلام النُّبلاء ١٢/ ١٨٥ وطبقات المناوي ١/ ٦١٨ . . .

● رَوَيْنا[١] عَنِ الإمامِ أَبي الحَسَنِ عليّ بن الحَسَنِ بن الحُسَيْنِ بن محمَّد الخِلَعيّ ـ نِسْبَةً إِلى بَيْعِ الخِلَعِ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافعيِّ ، وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ بالقَرافَةِ ، والدُّعاءُ عِنْدَهُ مُسْتَجَابٌ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ قاضِي الجِنِّ ـ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْه ، وَيَقْرَؤُونَ عَلَيْهِ ، وأَنَّهُمْ أَبْطَؤُوا عَنْهُ جُمعةً ، ثُمَّ أَتَوْهُ ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : كَانَ في بَيْتِكَ شَيْءٌ من الأَتْرُجِّ ، وإنا لا نَدْخُلُ بَيْتاً هو فيه .

قال الحافظُ أبو طاهر السِّلفي : وكان الخِلَعيُّ إذا سُمِعَ عَلَيْهِ الحَدِيثُ ، يَخْتِمُ مَجْلِسَهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ : اللَّهُمَّ ما مَنَنْتَ بِهِ فَتَمِّمْهُ ، وَمَا أَنْعَمْتَ بِهِ فلا تَسْلُبْهُ ، وَمَا سَتَرْتَهُ فَلا تَهْتِكْهُ ، وَمَا عَلِمْتَهُ فاغْفِرْهُ .

تُوفِّيَ في شَوَّال ، سَنَةَ ثَمانٍ وأَرْبَعِينَ وأَربعمئة[٢] .

قُلْتُ : وَلِهَذَا ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ المَثَلَ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ بالأُتْرُجَّةِ[٣] ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَهْرُبُ عَنْ قَلْبِ المُؤْمِنِ القارِىءِ لِلْقُرْآنِ ، كَمَا يَهْرُبُ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ الأُتْرُجُّ ؛ فناسَبَ ضَرْبُ المَثَلِ بِهِ بِخِلافِ سائِرِ الفَواكِهِ .

● وَفِي «المُسْتَدرك»[٤] في تَراجِمِ الصَّحابَةِ ، مَنْ حَدِيثِ أَحمد بن حَنبلَ ، عَنْ عَبْد القُدُّوسِ بن بَكْر بن خنيس ، بِإِسْنادِهِ إِلى مُسلم بن صَبيحٍ ، قَالَ :

---

(١) الخبر في سير أَعلام النُّبلاء ١٩/ ٧٦ وطبقات السُّبكيّ ٥/ ٢٥٤ .

(٢) هذا التَّاريخ غير صحيح ، فقد توفِّيَ في السَّادِسِ والعشرين من ذي الحجَّة ، سنة اثنتين وتسعين وأَربعمئة .
وترجمته في : وفيات الأَعيان ٣/ ٣١٧ وسير أَعلام النُّبلاء ١٩/ ٧٤ وطبقات الشَّافعيَّة الكُبرى ٥/ ٢٥٣ .

(٣) يُشير إِلى قوله ﷺ : « مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القُرآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ ، رِيحُها طَيِّبٌ وطعْمُها طَيِّبٌ . وَمَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القُرآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ ، لا رِيحَ لَها وطعمُها حلوٌ، وَمَثَلُ المنافِقِ الذي يقرأُ القُرآن مَثَلُ الرَّيْحانَةِ ، رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُها مُرٌّ . وَمَثَلُ المنافق الذي لا يَقْرأُ القُرآنَ كَمَثَلِ الحنظلَةِ ، لَيْسَ لها رِيحٌ وَطَعْمُها مُرٌّ » . مسلم (٧٩٧) .

(٤) المستدرك ٣/ ٦٣٤ .

دَخَلْتُ على عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها ، وَعِنْدَها رَجُلٌ مَكْفُوفٌ ، وَهِيَ تَقْطَعُ لَهُ الأُتْرُجَّ وَتُطْعِمُهُ إِيَّاهُ بِالعَسَلِ ، فَقَالَت : هَذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، الَّذِي عاتَبَ اللهُ فِيهِ نَبِيَّهُ ﷺ؛ مَا زَالَ هَذَا مِنْ آلِ محمَّدٍ [ﷺ منذُ أَنْ عاتَبَ اللهُ فِيهِ نَبِيَّهُ ﷺ] .

قُلْتُ : وَفِي تَخْصِيْصِهِ بِالأُتْرُجِّ والعَسَلِ ما لا يَخْفَى على مُتَأَمِّلٍ ، واللهُ أَعْلَمُ .

● وَفِي « مُعْجَمِ الطَّبرانيِّ »[1] عَنْ حَبيب بن عَبْدِ اللهِ ، عَنْ أَبي كَبْشَةَ ، عَنْ أَبيه ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْجِبُهُ النَّظَرُ إِلى الحَمامِ الأَحْمَرِ والأُتْرُجِّ .

وَسَيَأْتي في « بابِ الفاءِ » حَدِيثُ سُلَيْمان بن موسى أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الجِنَّ لا يَدْخلُونَ داراً فِيها فَرَسٌ عَتِيقٌ » .

التَّعبيرُ[2] : الجِنُّ في المَنامِ : دُهاةُ النَّاسِ ، أَصْحَابُ مَكْرٍ وَحِيَلٍ ، لِما كانُوا يَصْنَعُونَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنَ المَحَارِيبِ والتَّماثِيلِ .

فَمَنْ عَالَجَ أَحَداً مِنَ الجِنِّ فِي المَنامِ ، فإِنهُ يُنازِعُ قَوْماً أَصْحابَ مَكْرٍ وحَيَلٍ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يُعَلِّمُ الجِنَّ القُرْآنَ ، فإِنَّهُ يَنَالُ رِئاسَةً وَوِلايَةً ، لِقَوْلِهِ تعالَى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجنّ : ١] .

وَالجِنُّ في الرُّؤْيا بِمَنْزِلَةِ اللُّصُوصِ ، فَمَنْ دَخَلَتِ الجِنُّ دَارَهُ فَلْيَحْذَرِ اللُّصُوصَ .

وَالجُنُونُ في المَنامِ على وُجُوهٍ : فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ قَدْ جُنَّ ، فإِنَّهُ يَنالُ غِنىً ،

---

(١) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٣٩ رقم (٨٥٠) .

(٢) تعبير الرُّؤيا ٢٠٩ وتفسير الواعظ ١١٤ .

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [مِن السَّريع]

جُـنَّ لَـهُ الـدَّهْـرُ فَنـالَ الغِنَـى   يَـا وَيْحَـهُ إِنْ عَقَـلَ الـدَّهْـرُ

وَقِيلَ : الجُنُونُ دالٌّ على أَكْلِ الرِّبَا ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

وَرُبَّما دَلَّ على دُخُولِ الجَنَّةِ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « اطَّلَعْتُ على الجَنَّةِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِها البُلْهَ والمَجانِينَ » . فانسبِ الجُنُونَ إِلى الرَّائِي بما يَلِيقُ بِهِ .

وإِنْ رَأَتِ امرَأَةٌ أَنَّها قَدْ جُنَّتْ ، وَعُولِجتْ بالرُّقَى ، فإِنَّها تَحْمِلُ بِوَلَدٍ يَكُونُ لَهُ دِهْنٌ ، فَيَكُونُ الجُنُونُ جَنِيناً تَحْمِلُ بِهِ ، واللهُ تَعالَى أَعلمُ .

١٧٧ جِنَّانُ البُيُوتِ : بِجِيمٍ مَكْسُورَةٍ ، وَنُونٍ مَفْتُوحَةٍ مُشَدَّدَةٍ ؛ وَهِيَ الحَيَّاتُ ؛ جَمْعُ جانٍّ ، وَهِيَ الحَيَّةُ الصَّغِيْرَةُ ، وَقِيلَ : الدَّقِيْقَةُ الخَفِيْفَةُ ، وَقِيلَ : الدَّقِيْقَةُ البَيْضَاءُ .

● رَوَى « البُخاريُّ » و« مُسلمٌ » و« أَبُو داود »[2] عَنْ أَبِي لُبابَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : « أَنَّ النبيَّ ﷺ نَهى عَنْ قَتْلِ الجِنَّانِ التي في البُيُوتِ ، إِلاَّ الأَبْتَرَ وَذَا الطُّفَيْتَيْنِ ، فإِنَّهُما اللَّذَانِ يَخْطِفانِ البَصَرَ ، ويَطْرَحانِ أَوْلادَ النِّسَاءِ » .

وَالطُّفَيْتانِ : بِضَمِّ الطَّاءِ : الخَطَّانِ الأَبْيَضَانِ على ظَهْرِ الحَيَّةِ ؛ والأَبْتَرُ : قَصِيرُ الذَّنبِ .

وَقَالَ النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ : هُوَ صِنْفٌ مِنَ الحَيَّاتِ ، أَزْرَقُ ، مَقْطُوعُ الذَّنَبِ ، ولا تَنْظُرُ إِلَيْهِ حامِلٌ إِلاَّ أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِها .

---

(١) البيت في المستطرف ١/ ١١٤ بلا نسبة .

(٢) البخاري ٤/ ٩٨ و٥/ ١٩ ومسلم (٢٢٣٢ و٢٢٣٣) وأَبو داود (٥٢٥٣) والنَّسائيّ (٢٨٣١) .

وَفِي كِتابِ «العَشَراتِ» : قَالَ ابْنُ خَالويه : سَمِعْتُ ابْنَ عَرَفَةَ يَقُولُ : الجِنَّانُ : حَيَّاتٌ ، إِذا مَشَتْ رَفَعَتْ رُؤُوسَها عِنْدَ المَشْيِ ؛ وَأَنْشَدَ يَقُولُ[1] : [من الرَّجز]

يَـرْفَعْـنَ بِـاللَّيْـلِ إِذا مَـا أَسْـدَفـا   أَعْنـاقَ جِنَّـانٍ وَهـامـاً رُجَّفـا

١٧٨ الجَنْدَ بادَسْتَر[2] : حَيْوانٌ كَهَيْئَةِ الكَلْبِ ، لَيْسَ كَكَلْبِ المَاءِ ، وَيُسَمَّى القندر ، وَسَيَأْتِي في « بابِ القافِ » .

وَلا يُوجَدُ إِلاَّ بِبِلادِ القَفْجاقِ وَمَا يَلِيْها ، وَيُسَمَّى السَّمُّور أَيْضاً ، وَهُوَ عَلَى هَيْئَةِ الثَّعْلَبِ ، أَحْمَرُ اللَّوْنِ ، لَيْسَ لَهُ يَدَانِ ، وَلَهُ رِجْلانِ ، وَذَنَبٌ طَوِيلٌ ، وَرَأْسٌ كَرَأْسِ الإِنْسَانِ ، وَوَجْهٌ مُدَوَّرٌ ؛ وَهُوَ يَمْشِي مُتَكَفِّياً على صَدْرِهِ كَأَنَّهُ يَمْشِي على أَرْبَعٍ ، وَلَهُ أَرْبَعُ خُصَياتٍ ، اثْنَتَانِ ظاهِرَتانِ واثْنَتَانِ باطِنَتانِ .

وَمِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ إِذا رَأَى الصَّيَّادِيْنَ لَهُ لأَخْذِ الجَنْدَ بادَسْتَر ، وَهُوَ المَوْجُودُ في خُصْيَتَيْهِ البارِزَتَيْنِ، هَرَبَ؛ فإِذا جَدُّوا في طَلَبِهِ، قَطَعَهُما بِفِيْهِ، وَرَمَى بِهِما إِلَيْهِم إِذْ لا حَاجَةَ لَهُمْ إِلا بِهِمَا[3]؛ فإِذا لَمْ يُبْصِرْهُما الصَّيَّادُونَ، ودامُوا في طَلَبِهِ، اسْتَلْقَى على ظَهْرِهِ حَتَّى يُرِيهم الدَّمَ ، فَيَعْلَمُونُ أَنَّهُ قَطَعَهُما ، فَيَنْصَرِفُونَ عَنْهُ .

وَهُوَ إِذا قَطَعَ الظَّاهِرَتَيْن ، أَبْرَزَ الباطِنتَيْنِ عِوَضاً عنهُما .

وَفِي باطِنِ الخُصْيَةِ شِبْهُ الدَّمِ أَوِ العَسَل ، زَهِمُ الرَّائِحَةِ ، سَرِيعُ التَّفَرُّكِ إِذا جَفَّ .

---

(١) الشَّطران للخَطَفى جدِّ جرير ، في اللِّسان « جنن » ١/ ٧٠٤ والتاج « خطف » ٢٣/ ٢٢٧ .

(٢) كَانَ الأَحرى بالمؤلِّف ذِكر هذا الحيوان في حرف الباء ، لأَنَّ اسمَهُ بادَسْتَر ، والكَنْدُ : خُصْيَتُهُ . فكأَنَّ المؤلِّفَ قَال هُنا : خُصيةُ البادَسْتَر ؛ وهذا من أَعاجيبِهِ !! .
وانظر عن هذا الحيوان : مروج الذَّهب ٢/ ١١٦ وتذكرة داود ١/ ١٠٩ ومفردات ابن البيطار ١/ ١٧١ ومعجم الأَلفاظ الفارسيَّة المعرّبة لإِدِّي شير ٤٥ .

(٣) قَالَ ابنُ البيطار : وباطلٌ مَا يُقَالُ فِيهِ : إِنَّ هَذَا الحيوان ، إِذا طُرِدَ وَطُلِبَ ، يقلعُ خُصاهُ ، أَو يَطْرَحُها ، لأَنَّهُ مُحالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْها ، لأَنَّها لاصقةٌ مثل خُصى الخنزير . . .

وَهَذَا الحَيْوانُ يَهربُ إلى المَاءِ ، وَيَمْكُثُ فِيهِ زَماناً حابِساً نَفَسَهُ ثُمَّ يَخْرُجُ .

وَهُوَ حَيْوانٌ يَصْلُحُ أَنْ يَحْيا في المَاءِ وَخارِجَ المَاءِ ، وأَكثَرُ أَوقاتِهِ في الماءِ ، وَيَتَغَذَّى فِيهِ بِالسَّمَكِ والسَّرَطَانِ .

وَخُصاهُ تَنْفَعُ مِنْ نَهْشِ الهَوامِّ ، وَتَصْلُحُ لأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ؛ وَهُوَ دَواءٌ مَحْمُودٌ ، يُسَخِّنُ الأَعْضَاءَ البارِدَةَ ، وَيُجَفِّفُ الرَّطْبَةَ ، وَلَيْسَ لَهُ مَضَرَّةٌ أَصْلاً في شَيْءٍ مِنَ الأَعْضَاءِ .

وَلَهُ خاصِّيَّةٌ في جَمِيعِ العِلَلِ البارِدَةِ الرَّطْبَةِ التي تَحْدُثُ في الرِّئَةِ وفي الدِّماغِ ، وَيَنْفَعُ مِنَ الصَّمَمِ البارِدِ ، وَلا شَيْءَ أَنْفَعُ للرِّيحِ في الأُذُنِ منهُ .

وَيَنْفَعُ مِنْ لَدْغِ العَقْرَبِ ، إذا طُلِيَ بِهِ مَوْضِعُها .

وإِذا طُلِيَ بِهِ الرَّأْسُ مُدافاً بِأَحَدِ الأَدْهانِ ، نَفَعَ المَصْرُوعِينَ .

وَيَنْفَعُ مِنَ الفَالِجِ ، واسْتِرْخَاءِ الأَعْضَاءِ ، والنِّقْرِسِ البارِدِ ، مَنْفَعَةً عَظِيمَةً .

وإِذا شُرِبَ ، كَانَ تِرْقاياً لِلسُّمُومِ البارِدَةِ كُلِّها ، حَيْوانِيَّةً ونَباتِيةً ، لا سِيَّما الأَفْيُونَ .

وَهُوَ يُلَطِّفُ الأَخْلاطَ ، وَيُذْهِبُ البَلْغَمَ حَيْثُ كَانَ ، وَيَنْفَعُ الخَفَقَانَ المُتَوَلِّدَ مِنْ أَسْبابٍ بارِدَةٍ .

وَجِلْدُهُ غَلِيظُ الشَّعْرِ ، يَصْلحُ لُبْسُهُ لِلْمَشَايِخِ والمَبْرودِين .

وَلَحْمُهُ نافِعٌ للمَفْلُوجِينَ ، وَأَصْحَابِ الرُّطُوباتِ .

وإِذا شَرِبَ الإِنْسَانُ مِنَ الجَنْدَ بادَسْتَر الأَسْوَدِ وَزْنَ دِرْهمٍ ، هَلَكَ بَعْدَ يَوْمٍ .

١٧٩ الجَنينُ: هُوَ ما يُوجَدُ في بَطْنِ البَهِيْمَةِ بعدَ ذَبْحِها، فإِنْ وُجِدَ مَيْتاً بَعْدَ ذَبْحِها فَهُوَ حَلالٌ بِإِجْماعِ الصَّحابَةِ ، كَمَا نَقَلَهُ الماوَرْدِيُّ في « الحاوِي » . وَبِهِ قَالَ مالِكٌ والأَوْزاعيُّ والثَّوْرِيُّ وأَبُو يُوسف ومحمَّد وإِسْحاق والإِمام أَحمد .

وَتفَرَّدَ أَبُو حَنيفةَ بِتَحْرِيْمِ أَكْلِهِ ، مُحْتَجّاً بقَوْلِهِ تَعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾ [المائدة : ٣] وبقولِه ﷺ : « أُحِلَّتْ لَنا مَيْتَتانِ وَدَمانِ ، السَّمَكُ وَالجَرادُ وَالكَبِدُ والطُّحالُ » وَهَذِهِ مَيْتَةٌ ثَالِثَةٌ لَمْ تُذْكَرْ .

وَدَلِيلُ الجُمْهُورِ ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [المائدة : ١] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وابْنُ عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُم : بَهِيْمَةُ الأَنْعامِ : أَجِنَّتها ، تُوجَدُ مَيْتَةً في بَطْنِ الأُمِّ ، يَحِلُّ أَكْلُها بِذَكاةِ الأُمَّهاتِ ، وَهُوَ مِنْ أَحْكَامِ هَذهِ السُّورَةِ ، وَفِيهِ بُعْدٌ ، لأَنَّ اللهَ تَعالَى قَالَ : ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ١] وَلَيْسَ في الأَجِنَّةِ ما يُسْتَثْنَى ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ في « بابِ الباءِ المُوَحَّدَةِ »[1] .

● وَرُوِيَ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[2] : « ذَكاةُ الجَنِيْنِ ذَكاةُ أُمِّهِ » . فَجَعَلَ إِحْدَى الذَّكاتَيْنِ نائِبَةً عَنِ الأُخْرَى وقائِمَةً مَقامَها .

فإِنْ قِيْلَ : إِنَّما أَرادَ التَّشْبِيهَ دُونَ النِّيابَةِ ، فَيَكُونُ المَعْنَى : ذَكاةُ الجَنِيْنِ كَذَكاةِ أُمِّهِ ، لأَنَّهُ قَدَّمَ الجَنِينَ على الأُمِّ ، فَصَارَ تَشْبِيهاً بِالأُمِّ ؛ وَلَوْ أَرادَ النِّيابَةَ لَقَدَّمَ الأُمَّ على الجَنِيْنِ ، فَقَالَ : ذَكاة الأُمِّ ذَكاةُ الجَنِينِ .

فَالجَوابُ مِنْ ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ ، ذَكَرَها الماوَرْدِيّ : **أَحَدُها** : أَنَّ اسْمَ الجَنِينِ إِنَّما يُطْلَقُ عَلَيْهِ مَا دَامَ مُسْتَجِنّاً في بَطْنِ أُمِّهِ ، فَأَمَّا إِذا انْفَصَلَ فإِنَّ الاسْمَ يَزُولُ عنهُ ، وَيُسَمَّى وَلَداً ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [النَّجم : ٣٢] وَهُوَ في بَطْنِ الأُمِّ لا يُقْدَرُ عَلَيْهِ ، فَوَجَبَ حَمْلُهُ على النِّيَابَةِ دُونَ التَّشْبِيهِ .

الثَّانِي : أَنهُ لَوْ أَرادَ التَّشْبِيهَ دُونَ النِّيابَةِ ، لَسَاوَى الأُمَّ غَيْرَها ، وَلَمْ يَكُنْ لِخُصوصِيَّةِ التَّشْبِيهِ بِالأُمِّ فائِدَةٌ .

---

(١) في مادَّة « البهيمة » .

(٢) التِّرمذيّ (١٤٧٦) وأَبو داود (٢٨٢٧) وابن ماجه (٣١٩٩) وابن حبَّان (٥٨٨٩) .

الثَّالِثُ : أَنَّهُ لَوْ أَرادَ التَّشْبِيهَ ، لَنَصَبَ ذَكاةَ الأُمِّ بِحَذْفِ كافِ التَّشْبِيهِ ؛ والرِّوايَتان إِنَّما هُما بِرَفْعِ ذَكاةِ أُمِّهِ ، فَثَبَتَ أَنَّهُ أَرادَ النِّيابَةِ دُونَ التَّشْبِيهِ .

فإنْ قِيْلَ : فَقَدْ رُوِيَ « ذَكاةَ أُمِّه » بِالنَّصْبِ ، وَمَعْنَاها : كَذَكاةِ أُمِّه . فَالجَوابُ : إِنَّ هَذِهِ الرِّوايَةِ غَيْرُ صَحِيْحَةٍ ، وَلَوْ سَلِمَتْ كَانَتْ مَحْمُولَةً على نَصْبِها بِحَذْفِ الباءِ المُوَحَّدَةِ دُونَ الكافِ ، وَيَكُونُ مَعناهُ : ذَكاةُ الجَنِيْنِ بذَكاةِ أُمِّهِ ؛ ولَوِ احْتَمَلَ الأَمْرَيْنِ لَكانَتا مُسْتَعْمَلَتَيْن ؛ فَتُسْتَعْمَلُ الرِّوايَةُ المَرْفُوعَةُ في النِّيابَةِ إِذا خَرَجَ مَيْتاً ، والرِّوايَةُ المَنْصُوبَةُ في التَّشْبِيهِ إِذا خَرَجَ حَيّاً ؛ فَيَكُونُ أَوْلى مِنِ اسْتِعْمَالِ إِحْدَى الرِّوايَتَيْنِ وَتَرْكِ الأُخْرَى .

وَيُدلُّ عَلَيْه أَيْضاً نَصٌّ لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ ، وَهُوَ ما رَواهُ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيّ ، قَالَ[1] : قلتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا نَنْحَرُ النَّاقَةَ ، وَنَذْبَحُ البَقَرَةَ والشَّاةَ ، وَفِي بُطونِها الجَنينُ ، أَنُلْقِيهِ أَمْ نَأْكُلُهُ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « كُلُوهُ إِنْ شِئْتُم ، فإِنَّ ذَكاةَ الجَنِينَ ذَكاةُ أُمِّه » .

واسْتَدَلَّ الشَّيْخُ أَبُو مُحمَّد ، كَمَا قَالَ الرَّافعِيُّ ، بِأَنَّهُ لَو لَمْ يَحِلَّ الجَنِينُ بِذَكاةِ الأُمِّ ، لَما جَازَ ذَبْحُ الأُمِّ مع ظُهُورِ الحَمْلِ ، كَمَا لَمْ تُقْتَلِ الحامِلُ قِصاصاً ولا حَدّاً ، فيلزَمُ عَلَيْهِ ذَبْحُ رَمَكَةٍ في بَطْنِها بَغْلَةٌ ، فَمُنِعَ ذَبْحُها ؛ والرَّمَكَةُ : أُنْثَى الخَيْلِ ، كَمَا سَيَأْتِي بيانُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ، وَهِيَ مَأْكُولَةٌ ، وَالبَغْلُ لا يُؤْكَلُ .

إِذا ثَبَتَ هَذَا ، فاعْلَمْ أَنَّ لِلْجَنِينِ ثَلاثَةَ أَحْوالٍ ، ذَكَرَها الماوَرديُّ : **أَحَدُها** : أَنْ يَكُونَ كامِلاً ، كَمَا سَبَقَ . **ثانيها** : أَنْ يَكُونَ عَلَقَةً ، فَهَذَا غَيْرُ مَأْكُولٍ ، لأَنَّ العَلَقَةَ دَمٌ . **ثَالِثُها** : أَنْ يَكُونَ مُضْغَةً ، قَدِ انْعَقَدَ لَحْمُهُ ، وَلَمْ تَبِنْ صُورَتُهُ ، وَلَمْ تَتَشَكَّلْ أَعْضاؤُهُ ؛ فَفِي إِباحَةِ أَكْلِه وَجْهانِ مِنِ اخْتِلافِ قَوْلَيْهِ في وُجُوبِ الغُرَّةِ ، كَوْنُهاأُمَّ وَلَدٍ .

---

(١) التِّرمذيّ (١٤٧٦) وأَبو داود (٢٨٢٧) وابن ماجه (٣١٩٩) وابن حبَّان (٥٨٨٩) .

قَالَ الماوَرديُّ : وَقَالَ بَعْضُ أَصْحابنا : إذا نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ لَم يُؤْكَلْ ، وإلاَّ أُكِلَ ؛ وَهَذَا مِمَّا لا سَبيلَ إِلى إِدْراكِهِ ؛ وَلَوْ خَرَجَ الجَنينُ وَبِه حَياةٌ مُسْتَقِرَّةٌ ، اشْتُرِطَ ذَبْحُهُ ، أَوْ غَيْرُ مُسْتَقِرَّةٍ ، حَلَّ بغَيْرِ ذَكاةٍ ؛ وَلَوْ أُخْرِجَ رَأْسُهُ ، ثُمَّ ذُكِّيَتِ الأُمُّ ؛ قَالَ القاضِي والبَغَويّ : لَمْ يَحِلَّ إِلاَّ بِذَكاةٍ ، لأَنَّهُ مَقْدُورٌ عَلَيْهِ .

وَقَالَ القَفَّالُ : يَحِلُّ ، لأَنَّ خُرُوجَ بَعْضِ الولد ، كَعَدَمِ خُرُوجِهِ في العِدَّةِ وَغَيْرِها .

قَالَ في « الرَّوْضَةِ » : قَوْلُ القَفَّالِ أَصَحُّ ، واللهُ أَعْلَمُ .

● وَذَكَرَ ابْنُ خلِّكان في « تارِيْخِهِ »[1] : أَنَّ الإِمام صائِنَ الدِّيْنِ أَبا بَكْرٍ القُرْطبيّ ، كَانَ كَثيراً ما يُنْشِدُ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ مُتَمَثِّلاً : [من الوافر]

جَرَى قَلَمُ القَضَاءِ بِما يَكُونُ ... فَسِيَّانَ التَّحَرُّكُ والسُّكُونُ
جُنونٌ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ ... وَيُرْزَقُ في غِشَاوَتِهِ الجَنِينُ

وَهُما لأَبي الخَيْرِ ، الكاتِبِ الواسِطِيّ رَحمةُ اللهِ عَلَيْه .

١٨٠ جهْبَر : كَجَعْفَر : أُنثَى الدُّبِّ[2] ، وَهِيَ إِذا أَرادَتِ الوِلادَةَ اسْتَقْبَلَتْ بَناتِ نَعْشِ الصُّغْرَى ، فَتَسْهُلُ وِلادَتُها ؛ وإذا وَلَدَتْ يَكُونُ وَلَدُها قِطْعَةَ لَحمٍ ،

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٣ و ٦/ ١٧٢ ونفح الطِّيب ٢/ ١١٨ .

(٢) هذا ـ لا شَكَّ ـ من عِنديَّاتِهِ ، ومن أَعاجِيبِهِ !! . فليست هذا المادَّةُ في كتب اللُّغَةِ ، ولا ذكرها أصحاب المعاجم ، وما هي إلا تصحيف « جَهيزة » . والجهيزةُ : أنثىٰ الذِّئب ، وقيل أنثىٰ الدُّبِّ ، وأُنثى الذِّئب هي التي تُرضع أَولاد الضَّبع إذا صيدت أَو قُتلت .
وجَهيزة : هي أُمُّ شبيب الخارجي ـ وكانَ أَبُوه اشتراها من السَّبي لجمالها ـ وكانت حمقاء رعناء ؛ فلمَّا حملت وتحرَّكَ الولد في بَطْنِها ، قالت : في بَطْنِي شيءٌ ينقز ، فقيل : أَحمق من جَهيزة .
وانظر معاجم اللّغة « جهز » والميداني ١/ ١٥١ والعسكري ١/ ٣٩٣ وفصل المقال ٤١٧ والزَّمخشري ١/ ٧٧ .

تَخافُ عَلَيْهِ مِنَ النَّمْلِ ، فَتَنْقُلُهُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلى مَوْضِعٍ ، خَوْفاً مِنَ النَّمْلِ ؛ وَرُبَّما تَرَكَتْ أَوْلادَها وأَرْضَعَتْ وَلَدَ الضَّبُعِ ، وَلِهَذا قالَتِ العَرَبُ : أَحْمَقُ مِنْ جَهْبَرٍ .

١٨١ الجَوادُ : الفَرَسُ الجَيِّدُ العَدْوِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ يَجُودُ بِجَرْيِهِ ، وَالأُنْثى جَوادٌ أَيْضاً .

قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [من الطَّويل]

نَمَتْهُ جَوادٌ لا يُباعُ جَنِيْنُها

وَالجَمْعُ : جَوْدٌ وَجِيادٌ ، كَثَوْبٍ وَثِيابٍ .

وَأَجْيادُ : جَبَلٌ بِمَكَّةَ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَوْضِعِ خَيْلِ تُبَّعٍ ، وَيُسَمَّى قُعَيْقِعان ، لِمَوْضِعِ سِلاحِهِ .

● وَرَوَى جَعْفَرُ الفِرْيابي في كِتابِهِ « فَضْلِ الذِّكْرِ » عَنْ سَهْلِ بن سَعْد السَّاعديّ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « لأَنْ أُصَلِّيَ الصُّبْحَ ، ثُمَّ أَجْلِسَ في مَجْلِسِي ، فَأَذْكُرَالله تَعالى حَتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، أَحَبُّ إِليَّ مِمَّنْ شَدَّ على جِيادِ الخَيْلِ في سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

● وَروَى « النَّسائيُّ » وَ« الحاكِمُ » وَ« ابْنُ السُّنِّيِّ » وَ« البُخاريُّ في تارِيْخِهِ »[2] عَنْ سَعْد بن أَبي وَقَّاصَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : إِنَّ رَجُلاً جاءَ إِلى الصَّلاةِ ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي ، فَقَالَ حِيْنَ انْتَهَى إِلى الصَّفِّ الأَوَّلِ : « اللَّهُمَّ آتِنِي أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبادَكَ الصَّالِحِينَ » فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلاةَ ، قَالَ : « مَنِ المُتَكَلِّمُ آنِفاً ؟ » قَالَ : أَنا يا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « إِذن يُعْقَرَ جَوادُكَ ، وَتُسْتَشْهَدَ في سَبِيلِ اللهِ تَعالى » .

---

(١) الشَّطر بلا نسبة في اللِّسان ١/ ٧٢٠ والتَّاج ٧/ ٥٢٨ « جود » .

(٢) مستدرك الحاكم ١/ ٢٠٧ وعمل اليوم واللَّيلة لابن السُّنِّيّ (١٠٦) وتاريخ البخاريّ ١/ ٢٢٢ .

● وَفِي « سُنَنِ ابْنِ ماجه »[1] مِنْ حَدِيثِ عَمرو بن عَبَسَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : « أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الجِهادِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ ﷺ : « مَنْ أُهْرِيقَ دَمُهُ ، وَعُقِرَ جَوادُهُ » .

● وَفِي كِتاب « النَّصائِحِ لابْنِ ظَفَر »[2] : أَنَّ أَمَةً لِعُمر بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ اسْمُها زائِدَة ، وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقُولُ : « يا زَائِدَةُ ، إِنَّكِ لَمُوَفَّقَةٌ » . فأَتَتْهُ يَوْماً ، فَقالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَجَنْتُ عَجِيْناً لأَهْلِي ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَحْتَطِبُ ، فاحْتَطَبْتُ وأَكْثَرْتُ ، فَرَأَيْتُ فارِساً عَلَى جَوادٍ لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَجْهاً وَمَلْبَساً وَجَواداً ، وَلا أَطْيَبَ مِنْهُ رِيْحاً ، فَأَتانِي ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، وَقَالَ : كَيْفَ أَنْتِ يا زَائِدَةُ ؟ قُلْتُ : بخَيْرٍ ، والحَمْدُ للهِ . قَالَ : وَكَيْفَ مُحَمَّدٌ ؟ قُلْتُ : بَخَيْرٍ ، وَيُنْذِرُ النَّاسَ بِأَمْرِ اللهِ . قَالَ : إِذا أَتَيْتِ مُحَمَّداً ، فَأَقْرِئِيْه مِنِّي السَّلامَ ، وَقَوْلِي لَهُ : رِضْوانُ خازِنُ الجَنَّةِ يُقْرِئُكَ السَّلامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : مَا فَرِحَ أَحَدٌ بِمَبْعَثِكَ مَا فَرِحْتُ بِهِ ، فإِنَّ اللهَ جَعَلَ أُمَّتَكَ ثَلاثَ فِرَقٍ : فِرْقَةٌ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغَيْرِ حِسَابٍ ، وَفِرْقَةٌ يُحاسَبُونَ حِساباً يَسِيراً وَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ، وَفِرْقَةٌ تَشْفَعُ لَهُمْ فَتُشَفَّعُ فِيهِمَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ . قُلْتُ : نَعم ؛ ثُمَّ وَلَّى عَنِّي .

فَأَخَذْتُ في رَفْعِ حَطَبِي ، فَثَقُلَ عَلَيَّ ، فالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : يا زَائِدَةُ ، أَثْقُلَ عَلَيْكِ حَطَبُكِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ بِأَبِي وأُمِّي ؛ فَعَطَفَ عليَّ وغَمَزَ الحُزْمَةَ بَقَضِيبٍ أَحْمَرَ في يَدِهِ ، فَرَفَعَها ، وَنَظَرَ فإِذا هُوَ بِصَخْرَةٍ عَظِيْمَةٍ ، فَوَضَعَ الحُزْمَةَ بِالقَضِيبِ عَلَيْها ، وَقَالَ : اذْهَبِي يا صَخْرَةُ بِالحَطَبِ مَعَها ؛ فَجَعَلَتِ الصَّخْرَةُ تَدَهْدَهُ بَيْنَ يَدَيَّ بِالحَطَبِ حَتَّى أَتَيْتُ ؛ فَسَجَدَ النَّبيُّ ﷺ شُكْراً ، وَحَمِدَ اللهَ تَعالى على بُشْرَى رِضْوانٍ ، ثُمَّ قَالَ لأَصْحابِهِ : « قُومُوا لِنَنْظُرَ » . فَقَامُوا وانْطَلَقُوا إِلى

---

(١) ابن ماجه (٢٧٩٤) والنَّسائيّ (٢٥٢٦) .

(٢) أُسد الغابة ٧/ ١٢٢ والإِصابة ٨/ ١٤٩ ـ ١٥٠ رقم (١١٢١٧) .

الصَّخْرَةِ ، فَرَأَوْها وَعَايَنُوا آثارَها[١] .

● وَيَقْرُبُ مِنْ هَذِهِ البُشْرَى ، مَا رُوِيَ عَن عَبْدِ الله بن عُمر رَضِيَ اللهُ تعالَى عنهما ، قَالَ[٢] :

إنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ جَاءَ إلى كَعْبِ الأَحْبَارِ ، فَقَالَ لَهُ : إنَّ فُلاناً الحَبْرَ اليَهُوديَّ ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِرِسالَةٍ ، فقَالَ لَهُ كَعْبٌ : هاتِها ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّهُ يَقُولُ لَكَ : أَلَمْ تكُنْ فِيْنا سَيِّداً شَرِيفاً مُطاعاً ؟ فما الذي أَخْرَجَكَ مِنْ دِيْنِكَ إلى أُمةِ مُحمَّدٍ ؟ فقَالَ لَهُ كَعْبٌ : أَتُراكَ راجِعاً إِلَيْه ؟ قَالَ : نعم . قَالَ : فإِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِ ، فَخُذْ بطَرَفِ ثَوْبِهِ لِئَلاَّ يَفِرَّ مِنْكَ ، وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ كَعْبٌ : أَسْأَلُكَ بالله الَّذي فَلَقَ البَحْرَ لِمُوسى ، وَأَسْأَلُكَ باللهِ الَّذِي أَلْقَى الأَلْواحَ إِلى مُوسَى بن عِمرانَ ، فِيها عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ ، أَلَسْتَ تَجِدُ في كَلِماتِ الله تَعالَى أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ثلاثَةُ أَثْلاثٍ ؟ فثُلُثٌ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغَيْرِ حِسابٍ ، وَثُلُثٌ يُحاسَبُونَ حِساباً يَسِيراً ثُمَّ يَدْخلُونَ الجَنَّةَ ، وَثُلُثٌ يَدْخلونَ الجَنَّةَ بشَفاعَةِ أَحمدٍ ؟ فإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ : نَعم ؛ فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ كَعْبٌ : اجْعَلْنِي في أَيِّ هَذِهِ الأَثْلاثِ شِئْتَ .

● وَفِي كِتاب « خَيْرِ البَشَرِ بخَيْرِ البَشَرِ » لِمحمَّد بن ظَفَرٍ أَيْضاً ، قَالَ :

رُوِيَ أَنَّ مَرْثَدَ بن عَبْدِ كَلالٍ قَفَلَ مِنْ غزاةٍ غَزاها بغَنائِمَ عَظِيْمَةٍ ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ زُعَمَاءُ العَرَبِ وَشُعراؤُها وَخُطَباؤُها يُهَنِّئُونَهُ ، فَرَفَعَ الحِجَابَ عَنِ الوافِدِينَ ، وأَوْسَعَهُمْ عَطاءً ، وَاشْتَدَّ سُرُورُهُ بِهِم ، فَبَيْنَما هُوَ على ذَلِكَ إِذْ نامَ يَوْماً ، فَرَأَى رُؤْيَا في المَنامِ أَخافَتْهُ وَأَذْعَرَتْهُ وَأَهالَتْهُ في حَالِ مَنامِهِ ، فَلَمَّا انْتَبَهَ أُنْسِيَها ، حَتَّى لَمْ يَذْكُرْ مِنْها شَيْئاً ، وَثَبَتَ ارْتِياعُهُ في نَفْسِهِ بها ، فانْقَلَبَ سُرُورُهُ حُزْناً ، واحْتَجَبَ عَنِ الوُجُودِ ، حَتَّى أَسَاءَ بِهِ الوُفُودُ الظَّنَّ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَشَرَ الكُهَّانَ ،

---

(١) في الإصابة : قَالَ الذَّهبيُّ : أَظنُّهُ موضوعاً . وَقَالَ ابنُ حجر : قلت : وهو كما ظَنَّ .

(٢) مثلهُ في تاريخ دمشق ٥٩/ ٣٨٧ ومختصره ٢١/ ١٨٤ .

فَجَعَلَ يَخْلُو بكاهِنٍ كاهِنٍ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَمَّا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عنهُ ؟ فَيُجِيْبُهُ الكاهِنُ بأَنْ لا عِلْمَ عِنْدَهُ ، حَتَّى لَمْ يَدَعْ كاهِناً عَلِمَهُ إلاَّ كَانَ إِلَيْهِ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَتَضاعَفَ قَلَقُهُ وَطَالَ أَرَقُهُ ، وَكانَتْ أُمُّهُ قَدْ تَكَهَّنَتْ ، فَقَالَتْ لَهُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَيُّها المَلِكُ ، إِنَّ الكَواهِنَ أَهْدَى إِلى مَا تَسْأَلُ عنه ، لأَنَّ أَتْباعَ الكَواهِنِ مِنَ الجانِّ أَلْطَفُ وَأَظْرَفُ مِنْ أَتْباعِ الكُهَّانِ ؛ فأَمَرَ بِحَشْرِ الكَواهِنِ إِلَيْهِ ، وَسَأَلَهُنَّ كَمَا سَأَلَ الكُهَّانَ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ عِلْماً مِمَّا أَرادَ عِلْمَهُ .

وَلَمَّا يَئِسَ مِنْ طَلِبَتِهِ ، سَلا عَنْها ؛ ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ذَهَبَ يَتَصَيَّدُ ، فَأَوْغَلَ في طَلَبِ الصَّيْدِ ، وانْفَرَدَ عَنْ أَصْحابِهِ ، فَرُفِعَتْ لَهُ أَبْيَاتٌ في ذَرى جَبَلٍ ، وَكَانَ قَدْ أَلْفَحَهُ الهَجِيرُ ، فَعَدَلَ إِلى الأَبْيَاتِ ، وَقَصَدَ بَيْتاً مِنْها كَانَ مُنْفَرِداً عَنْها ، فبرزَتْ إِلَيْهِ منهُ عَجُوزٌ ، فَقَالَتْ لَهُ : انْزِلْ بِالرَّحْبِ والسَّعَة ، والأَمْنِ والدَّعَةِ والجَفْنَةِ المُدَعْدَعَةِ ، والعُلْبَةِ المُتْرَعَةِ ؛ فَنَزَلَ عَنْ جَوادِهِ ، وَدَخَلَ البَيْتَ .

فَلَمَّا احْتَجَبَ عَنِ الشَّمْسِ ، وَخَفَقَتْ عَلَيْهِ الأَرْواحُ ، نامَ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ حَتَّى تَصَرَّمَ الهَجِيرُ ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ عَيْنَيْه ، فإِذا بَيْنَ يَدَيْهِ فَتاةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَها قَواماً ولا جَمالاً ، فَقَالَتْ لَهُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَيُّها المَلِكُ الهُمامُ ، هَلْ لَكَ في الطَّعامِ ؟ فاشْتَدَّ إِشْفاقُهُ ، وَخَافَ على نَفْسِهِ لَمَّا رَأَى أَنَّها عَرَفَتْهُ ، وَتَصامَمَ عَنْ كَلِمَتِها ؛ فَقَالَتْ لَهُ : لا حَذَرَ ، فَداكَ البَشَرُ ، فَجَدُّكَ الأَكْبَرُ ، وَحَظُّنا بِكَ الأَوْفَرُ ؛ ثُمَّ قَرَّبَتْ إِلَيْهِ ثَرِيداً وَقَدِيْداً وَحَيْساً ، وَقَامَتْ تَذُبُّ عَنْهُ حَتَّى انْتَهَى أَكْلُهُ ، ثُمَّ سَقَتْهُ لَبَناً صَرِيفاً وَضَرِيباً ، فَشَرِبَ مَا شَاءَ ، وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُها مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً ، فَمَلأَتْ عَيْنَيْهِ حُسْناً وَقَلْبَهُ هَوىً ؛ فَقَالَ لَها : ما اسْمُكِ يا جارِيَةُ؟ قَالَتْ : اسْمِي عُفَيْراءُ ؛ فَقَالَ لَهَا : يا عُفَيْراءُ ، مَنِ الَّذِي دَعَوْتِهِ بِالمَلِكِ الهُمامِ ؟ قَالَتْ : مَرْثَدُ العَظِيمُ الشَّأْنِ ، حاشِرُ الكَواهِنِ وَالكُهَّانِ ، لِمُعْضِلَةٍ بَعُدَ عَنْها الجانُّ ؛ فَقَالَ : يا عُفَيْراءُ ، أَتَعْلَمِينَ تِلْكَ المُعْضِلَةَ ؟ قالَتْ : أَجَلْ أَيُّها المَلِكُ ، إِنَّها رُؤْيا مَنامٍ ، لَيْسَتْ بِأَضْغاثِ أَحْلامٍ . قَالَ المَلِكُ : أَصَبْتِ يا عُفَيْراءُ ، فَمَا تِلْكَ الرُّؤْيا ؟ .

قَالَتْ : رَأَيْتَ أَعاصِيرَ زَوابِعَ ، بَعْضُها لِبَعْضٍ تابِعٌ ، فِيها لَهَبٌ لامِعٌ ، وَلَها دُخانٌ ساطِعٌ ، يَقْفُوها نَهْرٌ مُتَدافِعٌ ، وَسَمِعْتَ فِيما أَنْتَ سامِعٌ ، دُعاءَ ذِي جَرْسٍ صادِعٍ : هَلُمُّوا إِلى المَشَارِعِ ، فَرَوِيَ جارِعٌ ، وَغَرِقَ كارِعٌ . فقَالَ المَلِكُ : أَجَلْ ، هَذِهِ رُؤْيايَ ، فما تَأْوِيلُها يا عُفَيْراءُ ؟ .

قَالتْ : الأَعاصِيرُ الزَّوابِعُ : مُلُوكٌ تَبَابِعٌ ، والنَّهْرُ : عِلْمٌ واسِعٌ . والدَّاعِي : نَبِيٌّ شافِعٌ . وَالجارِعُ : وَلِيٌّ تابِعٌ . والكارِعُ : عَدُوٌّ مُنازِعٌ . فَقَالَ المَلِكُ : ياعُفَيْرَاءُ ، أَسِلْمٌ هَذَا النَّبِيُّ أَمْ حَرْبٌ ؟ فَقَالَتْ : أُقْسِمُ بِرافِعِ السَّماءِ ، وَمُنْزِلِ المَاءِ من الغَماءِ ، إِنَّهُ لَمُطِلُّ الدِّماءِ ، وَمُنْطِقُ العَقَائِلِ نُطُقَ الإِماءِ . فقَالَ المَلِكُ : إِلامَ يَدْعُو يا عُفَيْرَاءُ ؟ قَالَتْ : إِلى صَلاةٍ وَصِيامٍ ، وَصِلَةِ أَرْحَامٍ ، وَكَسْرِ أَصْنامٍ ، وَتَعْطِيلِ أَزْلامٍ ، واجْتِنابِ آثامٍ . فَقَالَ المَلِكُ : يا عُفَيْرَاءُ ، مَنْ قَوْمُهُ ؟ قَالَتْ : مُضَرُ بنِ نِزارٍ ، وَلهُمْ منهُ نَقْعٌ مُثارٌ ، يَنْجَلِي عَنْ ذَبْحٍ وآثارٍ . فَقَالَ المَلِكُ : يا عُفَيْراءُ ، إِذا ذَبَحَ قَوْمَهُ فَمَنْ أَعْضادُهُ ؟ فقَالَتْ : غَطَارِيفُ يَمانُونَ ، طائِرُهُم بِهِ مَيْمُونٌ ، يُغْزِيهم فَيَغْزُونَ ، ويُدْمِثُ بِهِمُ الحُزُونَ ، وإِلَى نَصْرِهِ يَعْتَزون .

فَأَطْرَقَ المَلِكُ يُؤَامِرُ نَفْسَهُ في خِطْبَتِها ، فقَالَتْ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَيُّها المَلِك ، إِنَّ تَابِعِي غَيُورٌ ، ولأَمْرِي صَبُورٌ ، وناكِحِي مَثْبُورٌ ، والكَلَفُ بي ثُبُورٌ .

فنَهَضَ المَلِكُ ، وَجَالَ في صَهْوَةِ جَوادِهِ ، وَانْطَلَقَ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْها بِمِئَةِ ناقَةٍ كَوْماء .

● قَالَ محمَّد بن ظَفَر : أَوْغَلَ في طَلَبِ الصَّيْدِ : أَي بَالَغَ في ذَلِكَ وأَمْعَنَ ؛ وَالوُغُولُ : الدُّخولُ في الشَّيْءِ بقُوَّةٍ . وَذَرى جَبَلٍ : بفَتْحِ الذَّالِ المُعْجَمَةِ : الكِنُّ . والمُدَعْدَعَةُ : هِيَ الَّتِي مُلِئَتْ بِقُوَّةٍ ، ثُمَّ حُرِّكَتْ حَتَّى تَراصَّ مَا فِيها ، ثُمَّ مُلِئَتْ بَعْدَ ذَلِكَ . والعُلْبَةُ : بِضَمِّ العَيْنِ المُهْمَلَةِ وإِسْكانِ اللاَّمِ :

إناءٌ مِنْ جِلْدٍ . والأَرْواحُ : هِيَ الرِّياحُ ، وَصَرِيفاً : اللَّبَنُ المَحْضُ بَحَدَثانِ الحِلابِ ، يُصْرَفُ عَنِ الضَّرْعِ إلى الشَّارِبِ . وَضَرِيباً : اللَّبَنُ الرَّائِبُ . وَبَعُدَ عَنْها الجانُّ : أَي جَبُنُوا عَنْها ، وَلَمْ يُطِيْقُوها . وأَعاصِيرُ زَوابِعُ : هِيَ مِنَ الرِّياحِ مَا يثِيْرُ التُّرابَ ، فَيُعْليهِ في الجَوِّ وَيُدِيْرُهُ . وساطِعٌ : أَيْ مُرْتَفِعٌ . وَدُعاءُ ذِي جَرْسٍ صادِعٍ : الجَرْسُ : الصَّوْتُ . والمَشَارِعُ : المَداخِلُ إلى النَّهْرِ . وَجارِعٌ : أَي مَنْ شَرِبَ جُرَعاً أَمِنَ . وَكَارِعٌ : أَيْ مَنْ أَمْعَنَ غَرِقَ . وَتبَابِعُ : جَمْعُ تُبَّعٍ ، وَهَذَا لَقَبٌ لِمُلُوكِ اليَمَنِ ، وَهُوَ مِنَ الأَتْبَاعِ ، لأَنَّ بَعْضَهُم كَانَ يَتْبَعُ في المُلْكِ بَعْضاً . والغَمَاءُ : هُوَ الغَيْمُ والغَمامُ . وَمُنْطِقُ العَقائِلِ : هُنَّ الكَرائِمُ مِنَ النِّسَاءِ : أَيْ يَسْبِيهنَّ فَيَشْدُدْنَ النُّطُقَ على أَوْساطِهِنَّ كالإِماءِ لِلْمِهْنَةِ والخِدْمَةِ . وَنَقْعٌ مُثارٌ : النَّقْعُ : الغُبَارُ يُثِيرُهُ المُتحَارِبُونَ . والأَعْضادُ : الأَنْصَارُ . والغَطَارِيفُ : السَّادَةُ ؛ والتَّغَطْرُفُ : التَّكَبُّرُ ، وَيُدْمِثُ : أَيْ يُسَهِّلُ . وَيُؤامِرُ نَفْسَهُ : يُرادُ بِهِ تَعارُضُ الرَّأْيَيْنِ المُتَضادَّيْنِ في النَّفْسِ . وَجَالَ في صَهْوَةِ جَوادِهِ : جَالَ : أَي وَثَبَ ؛ والصَّهْوَةُ : مَقْعَدُ الفارِسِ مِنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ . والكَوْمَاءُ : النَّاقَةُ العَظِيْمَةُ السَّنامِ .

● ونَظِيرُ هَذَا مِنَ الرُّؤْيَا المَنْسِيَّةِ ، وَلَيْسَتْ مِنْ أَخْبَارِ الكُهَّانِ ، وإِنَّما هُوَ خَبَرٌ نَبَوِيٌّ ، رُؤْيَا بُخْتَنَصَّرَ[1] :

وَذَلِكَ أَنَّ بُخْتَنَصَّرَ لَمَّا غَزَا بَيْتَ المَقْدِسِ ، اخْتارَ مِنْ سَبْيِ بَنِي إسرائِيلَ مِئَةَ أَلْفِ صَبِيٍّ ، فَكَانَ مِنْهُمْ دانْيالُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَرَأَى بُخْتَنَصَّرُ رُؤْيَا ارْتَاعَ لَها ، وَحَدَثَ لَهُ في المَنامِ مَا أَنْسَاهُ ، فَسَأَلَ الكُهَّانَ والسَّحَرَةَ والمُنَجِّمِينَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنْ أَخْبَرْتَنا عَنْ رُؤْيَاكَ أَخْبَرْنَاكَ عَنْ تَأْوِيلِها . فَقَالَ : إِنِّي قَدْ

---

(١) رؤيا بختنصر ، في : تاريخ الطَّبري ١/ ٥٥٤ والفوائد والأخبار ٢٥ والعهد القديم (التَّوراة) ، سفر دانيال ١٣٦٣ وتاريخ مختصر الدُّول لابن العبري ٧٣ ـ ٧٤ .

أُنْسِيْتُها ، وَلَئِنْ لَمْ تُخْبِرُونِي بِها لأَنْزِعَنَّ أَكْتافَكُمْ ؛ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ مَذْعُورِينَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ أَحَدُهُم ، فَقالَ لَهُ : أَيُّها المَلِكُ ، إِنْ يَكُنْ أَحَدٌ عِنْدَهُ عِلْمٌ بالرُّؤْيَا ، فَهُوَ دانْيالُ ، الغُلامُ الإِسْرائِيليُّ ؛ فَأَحْضَرَهُ وَسَأَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ دانْيالُ : إِنَّ لِي رَبّاً عِنْدَهُ عِلْمُ ذَلِكَ ، فَأَجِّلْنِي ؛ فَأَجَّلَهُ ثَلاثاً ؛ فَخَرَجَ دانْيَالُ ، فَأَقْبَلَ على الصَّلاةِ والدُّعَاءِ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ بالرُّؤْيَا وَبتَأْويْلِها ، فأَتَى إِلىٰ بُخْتَنَصَّرَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ رَأَيْتَ صَنَماً ، قَدَماهُ وَسَاقَاهُ مِنْ فَخَّارٍ ، وَرُكْبَتاهُ وَفَخِذَاهُ مِنْ نُحاسٍ ، وَبَطْنُهُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَصَدْرُهُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعُنُقُهُ وَرَأْسُهُ مِنْ حَدِيْدٍ . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ دانْيالُ : فَبَيْنَما أَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَتَتَعَجَّبُ مِنْهُ ، إِذْ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِ صَخْرَةً مِنَ السَّمَاءِ ، فَهَشَمَتْهُ فَصَارَ رُفاتاً ، ثُمَّ عَظُمَتْ تِلْكَ الصَّخْرَةُ حَتَّى مَلأَتِ الدُّنْيا فَهِيَ التي أَنْسَتْكَ الرُّؤْيَا . قَالَ : صَدَقْتَ ، فَما تَأْوِيْلُها ؟ .

قَالَ دانْيَالُ : أَمَّا الصَّنَمُ ، فَهُوَ مَثَلٌ لِمُلُوكِ الدُّنْيا ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ أَلْيَنَ مُلْكاً مِنْ بَعْضٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ المُلْكِ الفَخَّارُ ، وَهُوَ أَضْعَفُهُ ، ثُمَّ كَانَ فَوْقَهُ النُّحاسُ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ وأَشَدُّ ، ثُمَّ كَانَ فَوْقَهُ الفِضَّةُ ، وَهِيَ أَفْضَلُ وأَحْسَنُ ، ثُم كانَ فَوْقَهُ الذَّهَبُ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْها وأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّه ، ثُمَّ كَانَ الحَدِيدُ مِنْ فَوْقِهِ ، وَهُوَ أَشَدُّ منهُ ؛ وَهُوَ مُلْكُكَ ، فَهُوَ أَشَدُّ مُلْكٍ ، وَأَعَزُّ مِمَّا كَانَ قَبْلَهُ .

وأَمَّا الصَّخْرَةُ التي أَرْسَلَها اللهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ : فَنَبِيٌّ يَبْعَثُهُ اللهُ في آخِرِ الزَّمانِ ، فَيَدُقُّ ذَلِكَ كُلَّهُ أَجْمَعَ ، وَتَمْتَلِىءُ الدُّنْيا بدِيْنِه ، وَيَصِيرُ الأَمْرُ إِلَيْه ، وَيُقِيْمُ لَهُ مُلْكاً لا يَزُولُ أَبَداً مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ؛ فَعَجِبَ بُخْتَنَصَّرُ مِمَّا سَمِعَ ، وأَحْسَنَ إِلى دانْيالَ وَقَرَّبَهُ وَأَعْلَى مَنْزِلَتَهُ .

● وَذَكَرَ « ابْنُ خلِّكان »(١) في تَرْجَمَةِ ابْنِ القِرِّيَّةِ ، واسْمُهُ أَيُّوبُ بن زَيْدٍ ،

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٥١ ـ ٢٥٤ .

ابْنُ القِرِّيَّةِ ، بِكَسْرِ القافِ وَتَشْدِيْدِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ وَكَسْرِها وَبالياءِ المُثَنَّاةِ تَحْت ، وَكَانَ أَعْرابيّاً مُقَرَّباً عِنْدَ الحَجَّاجِ :

أَنَّ الحَجَّاجَ بَعَثَهُ إِلى عبدِ الرَّحمنِ بن الأَشْعَثِ بن قَيْس الكِنْدِيّ ، لَمَّا خَرَجَ على عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانِ ، وَخَلَعَهُ وَدَعَا إِلى نَفْسِهِ ، فَقَالَ ابْنُ الأَشْعَثِ : لَتَقُومَنَّ خَطِيباً ، وَلَتَخْلَعَنَّ ابْنَ مَرْوانَ ، وَلَتَسُبَّنَّ الحَجَّاجَ ، أَوْ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ؛ فَفَعَلَ ابْنُ القِرِّيَّةِ ذلِكَ ، وَأَقامَ عِنْدَ ابْنِ الأَشْعَثِ .

فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الأَشْعَثِ بِدَيْرِ الجماجِمِ فِي الوَقْعَةِ التي كانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَجَّاجِ ، جِيءَ بابْنِ القِرِّيَّةِ إِلى الحَجَّاجِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ ؛ فَمِنْ كلامِهِ في جَوابِ الحَجَّاجِ مُلَخَّصاً :

أَهْلُ العِراقِ ، أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَقٍّ وباطِلٍ .

أَهْلُ الحِجَازِ ، أَسْرَعُ النَّاسِ إِلى فِتْنَةٍ وأَعْجَزُهُمْ فِيها .

أَهْلُ الشَّامِ ، أَطْوَعُ النَّاسِ لِخُلَفائِهِم .

أَهْلُ مِصْرَ ، عَبيدُ مَنْ غَلَبَ .

أَهْلُ اليَمَنِ ، أَهْلُ طَاعَةٍ ولُزُومِ جَماعَةٍ .

أَرْضُ الهِنْدِ، بَحْرُها دُرٌّ، وَجَبَلُها ياقُوتٌ، وَشَجَرُها عُودٌ ، وَوَرَقُها عِطْرٌ.

اليَمَنُ أَصْلُ العَرَبِ ، وَأَصْلُ البُيُوتاتِ والحَسَبِ .

مَكَّةُ ، رِجالُها عُلماءُ جُفاةٌ ، وَنِساؤُها كُساةٌ عُراةٌ .

المَدِيْنَةُ ، رَسَخَ العِلْمُ فِيها وَظَهَرَ مِنْها .

البَصْرَةُ ، شِتاؤُها جَلِيدٌ وَحَرُّها شَدِيدٌ ، وماؤُها مِلْحٌ ، وَحَرْبُها صُلْحٌ .

الكُوفَةُ ، ارْتَفَعَتْ عَنْ حَرِّ البَحْرِ ، وَسَفَلَتْ عَنْ بَرْدِ الشَّامِ .

واسِطُ ، جَنَّةٌ بين حَماةٍ وَكَنَّةٍ . قَالَ : وَما حَماتُها وَكَنَّتُها ؟ قَالَ : البَصْرَةُ

والكُوفَةُ ، يَحْسِدَانِها وَمَا يَضُرُّها ، وَدِجْلَةُ والفُراتُ يَتَجارَيَانِ بإفاضَةِ الخَيْرِ عَلَيْها .

الشَّامُ ، عَرُوسٌ بَيْنَ نِسْوَةٍ جُلُوسٍ .

ثُمَّ قَالَ في أَثْناءِ كلامِهِ : لِكُلِّ جَوادٍ كَبْوَةٌ ، وَلِكُلِّ صَارِمٍ نَبْوَةٌ ، وَلِكُلِّ حَلِيْمٍ هَفْوَةٌ .

فَقَالَ الحَجَّاجُ : إِنَّ العَرَبَ تَزْعُمُ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ . قَالَ : صَدَقَتِ العَرَبُ ، أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ، آفَةُ الحِلْمِ الغَضَبُ ، وآفَةُ العَقْلِ العُجْبُ ، وآفَةُ العِلْمِ النِّسْيَانُ ، وآفَةُ السَّخاءِ المَنُّ عِنْدَ البَذْلِ ، وآفَةُ العِبادَةِ الفَتْرَةُ ، وآفَةُ الكِرام مُجَاوَرَةُ اللِّئام ، وآفَةُ الشّجاعَةِ البَغْيُ ، وآفَةُ المالِ سُوءُ التَّدْبيرِ ، وآفة الكاملِ من الرِّجَالِ العُدْمُ ، قَالَ : فَما آفَةُ الحَجَّاجِ ؟ قَال : لا آفَةَ لِمَنْ كَرُمَ حَسَبُهُ ، وَطَابَ نَسَبُهُ ، وَزَكا فَرْعُهُ ؛ فقَال الحَجَّاجُ : امْتَلأْتَ شِقاقاً ، وَأَظْهَرْتَ نِفاقاً ؛ اضْرِبُوا عُنُقَهُ .

فَلَمَّا رآهُ قَتِيْلاً ، نَدِمَ على قَتْلِهِ ؛ وَكَانَ قَتْلُهُ في سَنَةِ أَرْبعٍ وثَمانِين .

وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذِهِ الحِكايَةِ بِطُولِها فِي كِتابِ « غايَةِ الأَرَبِ في كَلامِ حُكَماءِ العَرَبِ » وهو فِي ثَلاثَةِ مُجَلَّداتٍ .

وَمِنْ أَمْثَالِ العَرَبِ المَشْهُورَةِ[1] : « إِنَّ الجَوادَ عَيْنُهُ فِرارُهُ »[2] : أَي يُغْنِيكَ شَخْصُهُ وَمَنْظَرُهُ ، عَنْ أَنْ تَخْتَبِرَهُ وَأَنْ تَفِرَّ أَسْنانَهُ .

● وَحَكَى صاحِبُ « ابْتِلاءِ الأَخْيارِ بِالنِّسَاءِ الأَشْرارِ »[3] : أَنَّهُ عُرِضَ على

---

(١) الميداني ١/ ٩ والعسكري ١/ ٧٨ والدُّرَّة الفاخرة ٢/ ١٥١ .

(٢) زاد في ب : في فَمِهِ شفرتُهُ ونارُهُ . وهذا الشَّطر من خمسة أشطار في العسكري ١/ ٧٨ بلا نسبة .

(٣) ابتلاء الأخيار ٤٤ .

أَبي مُسْلِمِ الخُراسانيّ صاحِبِ الدَّعْوَةِ ، جَوادٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ ، فَقَالَ لِقُوَّادِهِ : لِماذَا يَصْلُحُ هَذَا الجَوادُ ؟ قَالُوا : لِلْغَزْوِ في سَبِيلِ اللهِ . قَالَ : لا . قَالُوا : فَيُطْلَبُ عَلَيْهِ العَدُوُّ . قَالَ : لا . قَالُوا : فَلِماذا يَصْلُحُ ، أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ؟ قَالَ : لِيَرْكَبَهُ الرَّجُلُ ، وَيَفِرَّ مِنَ المَرْأَةِ السُّوءِ والجارِ السُّوءِ .

● وَمِنْ أَحْسَنِ أَوْصَافِ الخَيْلِ : الصَّافِنَاتُ الجيادُ .

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ [ص : ٣١] قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ : إِنَّها كَانَتْ أَلْفَ فَرَسٍ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ وإِنَّما عَقَرَها لأَنها كانَتْ سَبَباً في فَوَاتِ الصَّلاةِ .

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : لَمَّا تَرَكَ الخَيْلَ للهِ ، عَوَّضَهُ اللهُ عَنها مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْها ، وَهِيَ الرِّيْحُ التي كَانَ غُدُوُّها شَهْراً وَرَوَاحها شَهْراً .

● وَرَوَى الإمامُ أَحمد ، قَالَ[1] : حَدَّثَنا إِسْماعِيلُ ، قَالَ : حَدَّثَنا سُلَيْمَانُ ابنُ المُغيرَةِ ، عن حُميد بن هِلال ، عن أَبي قَتادَةَ وأَبي الدَّهْماءِ ـ وَكانَا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نحو هَذَا البَيْتِ ، قالا : أَتَيْنا على رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ البادِيَةِ ، فَقَالَ البَدَوِيُّ : أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَكَانَ مِنْ كَلامِهِ : « إِنَّكَ لا تَدَعُ شَيْئاً اتِّقاءً للهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِلاَّ أَعْطَاكَ اللهُ خَيْراً مِنْه » .

وأَخْرَجَهُ « النَّسائيُّ »[2] مِنْ حَديثِ ابْنِ المُبارَكِ ، عَنْ سُلَيْمانَ بن المُغيرة .

وَأَبُو الدَّهْمَاءِ : اسْمُهُ قِرْفَةُ بن بُهَيْسٍ ـ وَقِيلَ : ابْنُ بَيْهَسٍ ـ رَوَى لَهُ الجَماعَةُ إِلاَّ البُخارِيَّ .

● وَقَالَ الثَّعْلَبيُّ : كانَتْ بِالنَّاسِ مَجاعَةٌ ، وَلُحُومُ الخَيْلِ لَهُمْ حَلالٌ ،

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٧٨ و ٧٩ وتهذيب الكمال ٢٣/ ٥٧١ .

(٢) في السُّنن الكبرى .

وإِنَّما عقَرَها لِتُؤْكَلَ على وَجْهِ القُرْبَةِ بها ، كَالهَدْيِ عِنْدَنا ؛ وَنَظِيرُ هَذَا ما فَعَلَهُ أَبُو طَلْحَةَ الأَنْصَاري بِحائِطِهِ ، إِذْ تَصَدَّقَ بِهِ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْه الدُّبْسِيُّ[1] وهُوَ في الصَّلاةِ فَشَغَلَهُ .

وَالصَّافِنُ : الَّذِي يَرْفَعُ إِحْدَى يَدَيْه ، وَيَقِفُ على طَرَفِ سُنْبُكِهِ ، وَقد يَفْعَلُ ذَلِكَ بِرِجْلِهِ ، وَهِيَ عَلامَةُ الفَراهَةِ ، كَمَا قَالَ في حَقِّهِ العَجَّاجُ[2] : [من الكامل]

أَلِـفَ الصُّفُـونَ فَـلا يَـزَالُ كَـأَنَّـهُ ... مِمَّـا يَقُـومُ علـى الثَّـلاثِ كَسِيـرا

وَقَالَ بَعْضُهم : الخَيْرُ في الآيَةِ : الخَيْلُ ، وَالعَرَبُ تُسَمِّي الخَيْلَ خَيْراً ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِزَيْدِ الخَيْلِ : « أَنْتَ زَيْدُ الخَيْرِ » .

وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عنه إِذا رَكِبَ الخَيْلَ خَطَّتْ رِجْلاهُ الأَرْضَ ، واسْمُهُ زَيْدُ بن مُهَلْهِل بن زَيْد الطَّائِيّ[3] ، وَكَانَ كَثِيرَ الخَيْلِ لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَلا لِكَثِيرٍ مِنَ العَرَبِ إِلاَّ الفَرَسُ أَوِ الفَرَسَانِ ، وَكَانَ لَهُ الخَيْلُ الكَثِيْرَةُ ، مِنْها : الهَطَّالُ ، وَالكُمَيْتُ ، وَالوَرْدُ ، وَالكامِلُ ، ولاحِقٌ ، وَدَموكُ ؛ قَدِمَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ في وَفْدِ طَيِّىءٍ سَنَةَ تِسْعٍ فأَسْلَمَ ، وَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « ما وُصِفَ لِي أَحَدٌ في الجاهِلِيَّةِ ، فَرَأَيْتُهُ في الإِسْلامِ ، إِلاَّ رَأَيْتُهُ بِدُونِ تِلْكَ الصِّفَةِ إِلاَّ أَنْتَ ، فإِنَّكَ فَوْقَ مَا قِيلَ لِي ؛ إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُما اللهُ وَرَسُولُهُ : الأَناةُ والحِلْمُ » . وَفِي رِوايَةٍ « الحَياءُ والحِلْمُ » . فَقَالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَبَلَنِي على ما يُحِبُّ اللهُ وَرَسُولُهُ .

مَاتَ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ عِنْدِ النَّبيِّ ﷺ مَحْمُوماً عِنْدَ قَوْمِهِ ، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ :

---

(١) الدُّبسيّ : نوعٌ من الحمام البرِّي . وسيأتي .

(٢) ليس في ديوانه ، وهو بلا نسبة في اللِّسان ٤/ ٢٤٦٧ ، والتاج ٣٥/ ٣١١ « صفن » .

(٣) **ترجمته وأَخباره في** : الشِّعر والشُّعراء ١/ ٢٨٦ والأَغاني ١٧/ ٢٤٥ وسمط اللآلي ١/ ٦٠ وثمار القلوب ١/ ١٩٣ وخزانة البغدادي ٥/ ٣٧٩ وأُسد الغابة ٢/ ٣٠١ والإِصابة ٢/ ٥١٣ رقم (٢٩٤٨) .

« إِنَّهُ نِعْمَ الفَتَى ، إِنْ لَمْ تُدْرِكْهُ أُمُّ مَلْدَمٍ » .

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهُ : « يا زَيْدَ الخَيْرِ ، تَقْتُلُكَ أُمُّ مَلْدَمٍ » يَعْنِي الحُمَّى ؛ فَلَمَّا رَجَعَ إِلى أَهْلِهِ حُمَّ وَمَات ، رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

● وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ والزُّهْرِيُّ : مَسْحُ سُلَيْمانَ ﷺ بالسُّوقِ والأَعْناقِ ، لَمْ يَكُنْ بالسَّيْفِ ، بَلْ بِيَدِهِ ، تكْرِيماً لَها وَمَحَبَّةً ؛ وَرَجَّحَهُ الطَّبريُّ .

وَقَالَ بَعْضُهم : بَلْ غَسَلَها بالماءِ .

وَذَكَرَ الثَّعْلبيُّ : أَنَّ هَذَا المَسْحَ إِنَّما كَانَ وَسْماً بِالتَّحْبِيسِ في سَبيلِ اللهِ تَعالَى .

وَجُمْهُورُ المُفَسِّرينَ على أَنَّها كانَتْ خَيْلاً مَوْرُوثَةً .

وَقَالَ بَعْضُهم : قَتَلَها ، حَتَّى لَمْ يُبْقِ مِنْها أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ فَرَسٍ ؛ فَمِنْ نَسْلِ تِلْكَ المِئَةِ كُلُّ مَا يُوجَدُ مِنَ الخَيْلِ ؛ وَهَذَا بَعِيدٌ .

وَقَالَ بَعْضُهم : كانَتْ عِشْرِيْنَ فَرَساً أَخْرَجَها الشَّيْطَانُ لَهُ مِنَ البَحْرِ ، وَكانَتْ ذَواتَ أَجْنِحَةٍ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص : ٣٥] فَقَالَ الجُمْهُورُ : أَرادَ أَنْ يُفْرِدَهُ مِنْ بَيْنِ البَشَرِ ، لِيَكُونَ خاصَّةً لَهُ وَكَرامَةً ؛ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ خَبَرِ العِفْرِيْتِ الَّذِي ظَهَرَ لِلنَّبيِّ ﷺ في صَلاتِهِ ، فَأَخَذَهُ وَأَرادَ أَنْ يُوثِقَهُ بِسارِيَةٍ مِنْ سَوارِي المَسْجِدِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ؛ وَسَيَأْتي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ » أَيْضاً .

● وَرَوَى « النَّسائيُّ » و « ابْنُ ماجه »[1] ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ سُلَيْمانَ بن داود عَلَيْهِما

---

(١) النَّسائيّ (٦٩٣) وابن ماجه (١٤٠٨) ومسند أحمد ٢/ ١٧٦ .

الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمَّا فَرَغَ مِنْ بُنْيَانِ بَيْتِ المَقْدِسِ ، سَأَلَ اللهَ تَعالَى حُكْماً يُصادِفُ حُكْمَهُ ، وَمُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وأَنْ لا يَأْتِيَ هَذَا المَسْجِدَ أَحَدٌ ، لا يُرِيدُ إلاَّ الصَّلاة فِيه ، إلاَّ خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِه كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَمَّا الاثْنَتانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُما ، وأَنا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ » . انتهى . فَقَدْ دَعا نَبِيٌّ وَرَجا نَبِيٌّ .

● وَأَمَّا صِفَةُ كُرْسِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ قَالَ[1] :

كَانَ يُوضَعُ لِسُلَيْمان سِتُّمَئَةِ كُرْسِيٍّ ، ثُمَّ يَجِيءُ أَشْرافُ الإِنْسِ فَيَجْلِسُونَ مِمَّا يَلِيْه ، ثُمَّ يَجِيءُ أَشْرافُ الجِنِّ فَيَجْلِسُونَ مِمَّا يَلِي الإِنْسَ ، ثُمَّ يَدْعُو الطَّيْرَ فَتُظَلِّلُهُمْ ، ثُمَّ يَدْعُو الرِّيْحَ فَتُقِلُّهُمْ وَتَسِيرُ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ غُدُوّاً وَرَواحاً .

وَذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمانَ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمَّا مَلَكَ بَعْدَ أَبيه ، أَمَرَ باتِّخاذِ كُرْسِيٍّ يَجْلِسُ عَلَيْهِ لِلْقَضاءِ ، وَأَمَرَ بِأَنْ يَعْمَلَ عَمَلاً بَدِيعاً مَهُولاً ، بِحَيْثُ إِذا رَآهُ مُبْطِلٌ أَوْ شاهِدُ زُورٍ ارْتَدَعَ وَبُهِتَ ؛ فَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ مِنْ أَنْيابِ الفِيَلَةِ ، مُرَصَّعاً بِالدُّرِّ والياقُوتِ والزَّبَرْجَدِ ، وَأَنْ يُحَفَّ بِأَرْبَعِ نَخْلاتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، شَمارِيخُها الياقُوتُ الأَحْمَرُ والزَّبَرْجَدُ الأَخْضَرُ ، على رَأْسِ نَخْلَتَيْنِ مِنْهُما طاوُوسانِ مِنْ ذَهَبٍ ، وعلى رأْسِ نَخلتين نَسْران من ذَهَبٍ ، بعضها يُقابلُ بعضاً ، وجعلَ بجانب الكُرسيِّ أَسَدَيْنِ من ذَهَبٍ ، على رَأْسِ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُما عَمُودٌ مِنَ الزَّبَرْجَدِ الأَخْضَرِ ، وَقَدْ عُقِدَ على النَّخْلاتِ أَشْجارُ كُرُومٍ مِنَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ ، وَعَناقِيدُها مِنَ الياقُوتِ الأَحْمَرِ ، بِحَيْثُ تُظِلُّ عُرُوشُ الكُرُومِ النَّخْلَ وَالكُرْسِيَّ .

وَكَانَ سُلَيْمانُ إِذا أَرادَ صُعُودَهُ ، وَضَعَ قَدَمَيْهِ على الدَّرَجَةِ السُّفْلَى ، فَيَسْتَدِيْرُ الكُرْسِيُّ كُلُّهُ بِما فِيهِ دَوَران الرَّحَا المُسْرِعَةِ ، وَتَنْشُرُ تِلْكَ الطُّيُورُ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٤١ ـ ١٤٢ .

والنُّسُورُ أَجْنِحَتَها ، وَيَبْسُطُ الأَسَدَانِ أَيْدِيَهُما ، وَيَضْرِبانِ الأَرْضَ بَأَذْنابِهِما ؛ فإذا اسْتَوَى أَعْلاهُ ، أَخَذَ النَّسْرَانِ اللَّذَانِ في النَّخْلَتَيْنِ تَاجَ سُلَيْمَانَ ، فَوَضَعاهُ على رَأْسِهِ ، ثُمَّ يَسْتَدِيرُ الكُرْسِيُّ بما فِيهِ ، فَيَدُورُ مَعَهُ النَّسْرَانِ والطَّاوُوسانِ والأَسَدَانِ مائِلاتٍ بِرُؤُوسِها إلى سُلَيْمانَ ، وَيَنْضَحْنَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْوافِهِنَّ المِسْكَ والعَنْبَرَ ، ثُمَّ تُناوِلُهُ حَمامَةٌ مِنْ ذَهَبٍ قائِمَةٌ على عَمُودٍ مِنْ أَعْمَدَةِ الجَواهِرِ ، وَفَوْقَ الكُرْسِيِّ ، التَّوْرَاةَ ، فَيَفْتَحُها سُلَيْمانُ ، وَيَقْرَؤُها على النَّاسِ ، وَيَدْعُوهُمْ إلى فَصْلِ القَضَاءِ .

وَيَجْلِسُ عُظَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ على كَرَاسِي الذَّهبِ المُرَصَّعَةِ بِالجَواهِرِ ، وَهِيَ أَلْفُ كُرْسِيٍّ عَنْ يَمِيْنِهِ ، وَيَجْلِسُ عُظَمَاءُ الجِنِّ على كَراسِي الفِضَّةِ عَنْ يَسَارِهِ ، وَهِيَ أَلْفُ كُرْسِيٍّ ، ثُمَّ تَحُفُّ بِهِمُ الطُّيُورُ فَتُظِلُّهُمْ ، وَيَتَقَدَّمُ النَّاسُ لِفَصْلِ الخُصُوماتِ ، فإذا تَقَدَّمَتِ الشُّهُودُ لأَدَاءِ الشَّهادَاتِ ، دَارَ الكُرْسِيُّ بما فِيهِ وَعَلَيْهِ دَوَرَانَ الرَّحَا المُسْرِعَةِ ، وَيَبْسُطُ الأَسَدَانِ أَيْدِيَهُما ، وَيَضْرِبَانِ الأرض بِأَذْنابِهِما ، وَيَنْشُرُ النَّسْرَانِ والطَّاوُوسَانِ أَجْنِحَتَها ، فَيَفْزَعُ الشُّهُودُ فَلا يَشْهَدُونَ إلاَّ بِالحَقِّ .

فَلَمَّا تُوفِّيَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَغَزَا بُخْتَنَصَّرُ بَيْتَ المَقْدِسِ ، حَمَلَ الكُرْسِيَّ إلى أَنْطاكِيَّةَ ، وَأَرادَ أَنْ يَصْعَدَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ ، وَضَرَبَ الأَسَدَانِ رِجْلَهُ فَكَسَرَاها .

ثُمَّ لَمَّا هَلَكَ بُخْتَنَصَّرُ ، حُمِلَ الكُرْسِيُّ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ مَلِكٌ قَطُّ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَا آلَ إِلَيْهِ عاقِبَةُ أَمْرِهِ ، وَلَعَلَّهُ رُفِعَ .

وإِنَّما ذَكَرْتُ صِفَتَهُ هُنا ، لأَنَّهُ مِنَ المُلْكِ الَّذِي لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ .

وَزَعَمَ الطَّبريُّ أَنَّ بُخْتَنَصَّرَ لَيْسَ مِنَ المُلُوكِ الأَرْبَعَةِ الَّذِينَ مَلَكُوا الأَقَالِيمَ كُلَّها ، كَما قَالَهُ القُتَبِيُّ وَمَنْ تَقَدَّمَهُ إلى هَذَا القَوْلِ . قَالَ : وَلَكِنَّهُ كَانَ عامِلاً على

العِراقِ لِلْمَلِكِ المالِكِ لِلأَقَالِيمِ في ذَلِكَ الحِيْنِ ، وَهُوَ كَيْلَهْراسب ؛ وَالصَّحِيْحُ مَا قَالَهُ القُتَبِيُّ وغَيْرُهُ .

● وَذَكَرَ أَهْلُ التَّارِيْخِ وَأَصْحَابُ السِّيَرِ[1] : أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ اسْمُهُ إِسْحاق في زَمَنِ عِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، كَانَ لَهُ ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ زَمانِها ، وَكَانَ مُغْرَماً بِها ، فَمَاتَتْ ، فَلَزِمَ قَبْرَها ، وَمَكَثَ زَماناً لا يَفْتُرُ عَنْ زِيارَتِهِ ، فَمَرَّ بِهِ عِيْسَى يَوْماً وَهُوَ عَلَى قَبْرِها يَبْكِي ، فَقَالَ لَهُ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ : مَا يُبْكِيْكَ يا إِسْحاقُ ؟ فقَالَ لَهُ : يَا رُوحَ اللهِ ، كانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ وَهِيَ زَوْجَتِي ، وَكُنْتُ أُحِبُّها حُبّاً شَدِيداً ، وإِنَّها قَدْ تُوفِّيَتْ وَهَذَا قَبْرُها ، وَإِنِّي لا أَسْتَطِيْعُ الصَّبْرَ عنها ، وَقَدْ قَتَلَنِي فِراقُها ؛ فَقَالَ لَهُ عيسى : أَتُحِبُّ أَنْ أُحْيِيَها لَكَ بِإِذْنِ اللهِ ؟ قَالَ : نَعم يا رُوحَ اللهِ ؛ فَوَقَفَ عِيْسَى على القَبْرِ وَقَالَ : قُمْ يا صاحِبَ هَذَا القَبْرِ بِإِذْنِ اللهِ ؛ فانْشَقَّ القَبْرُ ، وَخَرَجَ مِنْهُ عَبْدٌ أَسْوَدُ ، وَالنَّارُ خَارِجَةٌ مِنْ مَناخِرِهِ وعَيْنَيْهِ وَمَنافِذِ وَجْهِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : لا إِله إِلاَّ الله ، عِيْسَى رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ وَعَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ فَقَالَ إِسْحاقُ : يا رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ، مَا هَذَا القَبْرُ الَّذِي فِيهِ زَوْجَتِي ، وإِنَّما هُوَ هَذَا ، وَأَشارَ إِلى قَبْرٍ آخَرَ ، فَقالَ عِيْسَى لِلأَسْوَدِ : ارْجِعْ إِلى مَا كُنْتَ فِيهِ ، فَسَقَطَ مَيِّتاً ، فَوَاراهُ في قَبْرِهِ ؛ ثُمَّ وَقَفَ على القَبْرِ الآخَرِ ، وَقَالَ : قُمْ يا ساكِنَ هَذَا القَبْرِ بِإِذْنِ اللهِ ؛ فَقَامَتِ المَرْأَةُ وَهِيَ تَنْثُرُ التُّرابَ عَنْ وَجْهِها ، فَقَالَ عِيْسَى : هَذِهِ زَوْجَتُكَ ؟ قَالَ : نَعم يا رُوحَ اللهِ . قَال : خُذْ بِيَدِها وانْصَرِفْ ؛ فَأَخَذَها وَمَضى ، فأَدْرَكَهُ النَّوْمُ ، فَقَالَ لَها : إِنَّهُ قَدْ قَتَلَنِي السَّهَرُ على قَبْرِكِ ، وأُرِيدُ أَنْ آخُذَ لِي راحَةً . قَالتْ : افْعَلْ ؛ فَوَضَعَ رَأْسَهُ على فَخِذِها وَنامَ ، فَبَيْنَما هُوَ نائِمٌ ، إِذْ مَرَّ عَلَيْها ابْنُ المَلِكِ ، وَكَانَ ذا حُسْنٍ وَجمالٍ وَهَيْئَةٍ عَظِيْمَةٍ ، راكِباً على جَوادٍ حَسَنٍ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ هَوِيَتْهُ ، وَقَامَتْ إِلَيْهِ

---

(١) عن ابتلاء الأخيار ٢٠٦ .

مُسْرِعَةً ، فَلَمَّا نَظَرَها وَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ ، فَأَتَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ : خُذْنِي ، فَأَرْدَفَها عَلى جَوادِهِ وَسَار .

فاسْتَيْقَظَ زَوْجُها ، وَنَظَرَ فَلَمْ يَرَها ، فَقَامَ يَطْلُبُها ، وَقَصَّ أَثَرَ الجَوادِ ، فأَدْرَكَهُما ، وَقَالَ لابْنِ المَلِكِ : أَعْطِنِي زَوْجَتِي وابْنَةَ عَمِّي ، فأَنْكَرَتْهُ وَقَالَتْ : أَنا جارِيَةُ ابْنِ المَلِكِ ؛ فَقَالَ : بَلْ أَنْتِ زَوْجَتِي وابْنَةُ عَمِّي ؛ فَقَالَتْ : ما أَعْرِفُكَ ، وَمَا أَنا إِلاَّ جارِيَةُ ابْنِ المَلِكِ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ المَلِكِ : أَفَتُرِيدُ أَنْ تُفْسِدَ جارِيَتِي ؟ فَقَالَ : واللهِ إِنَّها لَزَوْجَتِي ، وإِنَّ عِيْسَى ابنَ مَرْيَمَ أَحْياها لِي بإِذْنِ اللهِ ، بَعْدَ أَنْ كانَتْ مَيِّتَةً .

فَبَيْنَما هُمْ في المُنازَعَةِ ، إِذْ مَرَّ عِيْسَى ﷺ فَقَالَ إِسْحاقُ : يا رُوحَ اللهِ ، أَمَا هَذِهِ زَوْجَتِي التي أَحْيَيْتَها لِي بإِذْنِ اللهِ ؟ قَالَ : نَعم ، فَقَالَتْ : يا رُوحَ اللهِ ، إِنَّهُ يَكْذِبُ ، وإِنِّي جارِيَةُ ابْنِ المَلِكِ ؛ وَقَالَ ابْنُ المَلِكِ : هَذِهِ جارِيَتِي . قَالَ عِيسَى : أَلَسْتِ التي أَحْيَيْتُكِ بإِذْنِ اللهِ ؟ قَالتْ : لا واللهِ يا رُوحَ اللهِ . قَالَ : فَرُدِّي عَلَيْنا مَا أَعْطَيْناكِ ؛ فَسَقَطَتْ مَيِّتَةً ، فَقَالَ عِيْسَى : مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلى رَجُلٍ أَماتَهُ اللهُ كافِراً ، ثُمَّ أَحْياهُ وَأَماتَهُ مُسْلِماً ، فَلْيَنْظُرْ إِلى ذَلِكَ الأَسْوَدِ ؛ وَمَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلى امرأَةٍ أَماتَها اللهُ مُؤْمِنَةً ، ثُمَّ أَحْياها وَأَماتَها كافِرَةً ، فَلْيَنْظُرْ إِلى هَذِهِ .

وإِنَّ إِسْحَاقَ الإِسْرائِيليَّ ، عاهَدَ اللهَ تَعالَى أَنْ لا يَتَزَوَّجَ أَبَداً ، وَهامَ على وَجْهِهِ في البَرارِي باكِياً .

وَفِي هَذِهِ الحِكايَةِ أَعْظَمُ عِبْرَةٍ لأُولِي الأَلْبابِ ، وَهِيَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يُسْمَعُ في التَّوْفِيْقِ والخِذْلانِ ، نَسْأَلُ اللهُ تَعالَى السَّلامَةَ وَحُسْنَ الخاتِمَةِ ، بِجاهِ محمَّدٍ وآلِهِ .

● وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ هُنا ما أَخْبَرَنِي بِهِ بَعْضُ العُلَماءِ العارِفِينَ ، وهو :

أَنَّ عِيْسَى ﷺ اجْتازَ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ بِجَبَلٍ ، فرأى فيه صَوْمَعَةً ، فَدَنا مِنْها ، فَرَأى فِيها مُتَعَبِّداً قَدِ انْحَنَى ظَهْرُهُ ، وَنَحَلَ جِسْمُهُ ، وَبَلَغَ بِهِ الاجْتِهادُ أَقْصَى غاياتِهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : مُنْذُ كَمْ أَنْتَ في هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ ؟ فَقَالَ : مُنْذُ سَبْعِينَ سَنةً ، أَسْأَلُهُ حاجَةً واحِدَةً ، وَمَا قَضَاهَا لِي بعدُ ، فَعَسَاكَ يا رُوحَ اللهِ أَنْ تَكُونَ شَفِيعاً لِي فِيها ، فَعَساها تُقْضَى ؛ فَقَالَ لَهُ عِيْسَى : وما حاجَتُكَ ؟ قَالَ : أَنْ يُذِيْقَنِي مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خالِصِ مَحَبَّتِه . فَقَالَ عيسى : هَا أَنا أَدْعُو اللهَ لَكَ في ذَلِكَ ، فَدَعا لَهُ عِيْسَى في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ قَبِلْتُ شَفاعَتَكَ ، وأَجَبْتُ دَعْوَتَكَ .

فَعادَ عِيْسَى بَعْدَ أَيَّامٍ إلى ذَلِكَ المَوْضِعِ ، فَرَأَى الصَّوْمَعَةَ قَدْ وَقَعَتْ ، والأَرْضُ التي تَحْتَها قَدْ شُقَّتْ ، فَنَزَلَ عِيْسَى في ذَلِكَ الشَّقِّ إلى مُنْتَهاه ، فَرَأَى العابِدَ في مَغارَةٍ تَحْتَ ذَلِكَ الجبل واقِفاً شاخِصاً بِبَصَرِهِ ، فاتِحاً فاهُ ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عِيْسَى فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ جواباً ؛ فَعَجِبَ عِيْسَى مِنْ حالِهِ ، فَهَتَفَ بِهِ هاتِفٌ : يا عِيْسَى ، إِنَّهُ سَأَلَنا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَالِصِ مَحَبَّتِنا ، فَعَلِمْنا أَنَّهُ لايُطِيقُ ذَلِكَ ، فَوَهَبْناهُ جُزْءاً مِنْ سَبْعِينَ أَلْفِ جُزْءٍ مِنْ ذَرَّةٍ ، فَهُوَ فِيها حائِرٌ كَمَا تَرَى ، فَكَيْفَ لَوْ وَهَبْناهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . ا هـ .

قُلْتُ : فَمَحَبَّةُ الخَواصِّ مِنْ هَذِهِ المعادِنِ رَشَحَتْ ، وَبِهَذِهِ الأَوْصَافِ عُرِفَتْ .

واعْلَمْ أَنَّ المَحَبَّةَ هِيَ أَوَّلُ أَوْدِيَةِ الفَناءِ ، والعَقَبَةُ التي تَنْحَدِرُ مِنها إلى مَنازِلِ المَحْوِ ؛ وَقَدِ اخْتَلَفَتْ إِشَارَاتُ أَهْلِ التحْقِيْقِ في العِبارَةِ عَنْها ، فَكُلٌّ نَطَقَ بحسبِ ذَوْقِهِ ، وَأَفْصَحَ بِمِقْدَارِ شَوْقِهِ ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ حِكايَةِ أَقوالِهِم واخْتِلافِ عِبارَاتِهِم فِيها ؛ وَقَدْ بَسَطْنا الكَلامَ في ذَلِكَ في كِتابِنا « الجَوْهَرِ الفَرِيدِ » في أَواخِرِ الجُزْءِ الثَّامِنِ .

● وَلْنَذْكُرْ لُمْعَةً يَسْتَأْنِسُ بها النّاظِرُ في هَذَا الكِتابِ : فاعْلَمْ أَنَّ المَحَبَّةَ على الإِجْمَالِ مُوافَقَةُ المَحْبُوبِ فِيما شَاءَ ، سَواءٌ فِيما حَزِنَ أَوْ سُرَّ ، نَفَعَ أَوْ ضَرَّ ؛ وَقَدْ أَشارَ بَعْضُهم إِلى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ[1] : [من الكامل]

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي ... مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلا مُتَقَدَّمُ
أَجِدُ المَلامَةَ في هَواكِ لَذِيذَةً ... حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ
أَشْبَهْتِ أَعْدائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ ... إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكِ حَظِّي مِنْهُمُ
فَأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي صاغِراً ... ما مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ يُكْرَمُ

واعْلَمْ أَنَّ الغَيْرَةَ مِنْ أَوْصَافِ المَحَبَّةِ ، والغَيْرَةُ تَأْبى إِلاّ السَّتْرَ والإِخْفَاءَ ؛ فَكُلُّ مَنْ بَسَطَ لِسانَهُ في العِبارَةِ عَنْها ، والكَشْفِ عَنْ سِرِّها ، فَلَيْسَ لَهُ ذَوْقٌ ، وَإِنَّما حَرَّكَهُ وِجْدَانُ الرّائِحَةِ ، وَلَوْ ذاقَ مِنْها شَيْئاً لَغابَ عَنِ الشَّرْحِ والوَصْفِ .

فَالمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ لا تَظهرُ على المُحِبِّ بِلَفْظِهِ ، وإِنَّما تَظْهَرُ بِشمائِلِهِ ولَحْظِهِ ، ولا يَفْهَمُ حَقِيقَتَها مِنَ المُحِبِّ سِوَى المَحْبُوبِ ، لِمَوْضِعِ امْتِزَاجِ الأَسْرارِ مِنَ القُلُوبِ ؛ وَقَدْ قِيلَ في ذَلِكَ : [مِنَ الطَّويل]

تُشِيرُ فَأَدْرِي مَا تَقُولُ بِطَرْفِها ... وَأُطْرِقُ طَرْفي عِنْدَ ذَاكَ فَتَفْهَمُ
تَكَلَّمُ مِنَّا في الوُجُودِ عُيونُنا ... فَنَحْنُ سُكُوتٌ والهَوَى يَتَكَلَّمُ

وَأَمَّا مَحَبَّةُ العَوامِّ : فَهِيَ مَحَبَّةٌ تَنْبُتُ مِنْ مُطَالَعَةِ المِنَّةِ ، وَتَثْبُتُ باتِّبَاعِ السُّنَّةِ ، وَتَنْمُو على الإِجابَةِ لِلغايَةِ ؛ وَهِيَ مَحَبَّةٌ تَقْطَعُ الوَساوِسَ ، وَتُلَذِّذُ الخِدْمَةَ ، وَتُسْلِي عَنِ المَصَائِبِ ؛ وَهِيَ في طَرِيقِ العَوامِّ عُمْدَةُ الإِيْمَانِ ؛ فَعِنْدَ القَوْمِ كُلُّ مَا كَانَ مِنَ العَبْدِ ، فَهُوَ عِلَّةٌ تَلِيقُ بِعَجْزِ العَبْدِ وَفاقَتِه .

وإِنَّما عَيْنُ الحَقِيقَةِ أَنْ يَكُونَ العَبْدُ قائِماً بِإِقَامَةِ الحَقِّ لَهُ ، مُحِبّاً بِمَحَبَّتِهِ لَهُ ،

---

(١) الأَبيات لأَبي الشّيص الخزاعي ، في ديوانه ١٠١ ـ ١٠٢ .

ناظِراً بنَظَرِهِ إلَيْهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبْقَى فِيهِ بَقِيَّةٌ تَقِفُ على رَسْمٍ ، أَوْ تُناطَ باسْمٍ ، أَوْ تَتَعَلَّقَ بِأَثَرٍ ، أَوْ تُوصَفَ بِنَعْتٍ أَوْ تُنْسَبَ إلى وَقْتٍ ؛ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ، لَدَيْنا مُحْضَرُونَ .

● وَرُوِيَ عَن إِبراهيم الخوَّاصِ رَحمةُ اللهِ عَلَيْهِ ، أَنَّهُ قالَ[1] :

عَطِشْتُ في بَعْضِ سياحاتي عَطَشاً شَديداً ، حَتَّى سَقَطْتُ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ ، فإذا أَنا بِماءٍ قَدْ سَقَطَ على وَجْهي ، فأَحْسَسْتُ بِبَرْدٍ على فُؤادِي ، فَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ ، فإذا أَنا بِرَجُلٍ ما رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ ، على جَوادٍ أَشْهَبَ ، عَلَيْهِ ثِيابٌ خُضْرٌ ، وَعِمامَةٌ صَفْراءُ ، وَبِيَدِهِ قَدَحٌ ، فَسَقَانِي منهُ شَرْبَةً ، وَقَالَ لِي : ارْتَدِفْ خَلْفِي ؛ فارْتَدَفْتُ ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى قَالَ لِي : ما تَرَى ؟ قُلْتُ : المَدِينَةَ . قَالَ : انْزِلْ ، واقْرَأْ على رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي السَّلامَ ، وَقُلْ لَهُ : رِضْوانُ خازِنُ الجَنَّةِ ، يقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ .

وَهَذِهِ كَرامَةٌ عَظِيمَةٌ ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

قَالَ شَيْخُنا اليافِعِي : مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَزْدَرِي بالأَوْلِيَاءِ ، أَوْ يُنْكِرُ مَواهِبَ الأَصْفِياءِ ؛ فاعْلَمُوا أَنَّهُ مُحارِبٌ للهِ ، مُبْعَدٌ مِنْ رَحْمَتِهِ ، مَطْرُودٌ عَنْ حَقِيْقَةِ قُرْبِهِ ، واللهُ أَعلمُ .

١٨٢ **الجُوافُ** : بِالضَّمِّ والتَّخْفِيفِ : ضَرْبٌ مِنَ السَّمَكِ ، وَلَيْسَ مِنْ جَيِّدِهِ .

وَمِنْهُ قَوْلُ مالِكِ بن دِينارٍ[2] : أَكَلْتُ رَغِيفاً وَرَأْسَ جُوافَةٍ ، فَعَلَى الدُّنْيا العَفاءُ . أَي : الدُّرُوسُ وَذَهابُ الأَثَرِ .

---

(١) روض الرَّياحين ١٧١ .

(٢) اللِّسان « جوف » ١/ ٧٢٩ .

وَقِيلَ : العَفاءُ : التُّرابُ .

١٨٣ **الجُؤْذُرُ** : بِفَتْحِ الذَّالِ المُعْجَمَةِ وَضَمِّها ؛ وَالجُؤذر بِالهَمْزَةِ أَيْضاً مع الواوِ[١] : وَلَدُ البَقَرَةِ الوَحْشِيَّةِ[٢] . قَالَ الشَّاعِرُ[٣] : [من الخفيف]

إِنَّ مَـنْ يَـدْخُـلِ الكَنِيْسَـةَ يَـوْمـاً ... يَلْـقَ فِيهـا جَـآذِراً وَظِبـاءَ

● وَلَقَدْ أَجادَ علي بن إِسْحاق الزَّاهِي حَيْثُ يَقُولُ[٤] : [من الطَّويل]

وَبِيْـضٍ بِـأَلْحـاظِ العُيُـونِ كَـأَنَّمـا ... هَـزَزْنَ سُيُـوفـاً واسْتَلَلْـنَ خَنـاجِـرا

تَصَـدَّيْـنَ لِـي يَـوْمـاً بِمُنْعَـرَجِ اللِّـوَى ... فَغَـادَرْنَ قَلْبِـي بِـالتَّصَبُّـرِ غـادِرا

سَفَـرْنَ بُـدُوراً وانْتَقَبْـنَ أَهِلَّـةً ... وَمِسْـنَ غُصُـونـاً والْتَفَتْـنَ جـآذِرا[٥]

وَأَطْلَعْنَ في الأَجْيَادِ بِالدُّرِّ أَنْجُماً ... جَعَلْـنَ لِحَبَّـاتِ القُلُـوبِ ضَـرائِـرَا

وَمِمَّا يُسْتَجادُ مِنْ شِعْرِهِ[٦] : [من البسيط]

الـرِّيْـحُ تَعْصِـفُ وَالأَغْصَـانُ تَعْتَنِـقُ ... وَالمُـزْنُ بـاكِيَـةٌ والـزَّهْـرُ مُغْتَبِـقُ

كَـأَنَّمـا اللَّيْـلُ جَفْـنٌ والبُـرُوقُ لَـهُ ... عَيْـنٌ مِـنَ الشَّمْـسِ تَبْـدُو ثُـمَّ تَنْطَبِـقُ

وَلَهُ أَيْضاً ، وأَجادَ : [من الطَّويل]

---

(١) هذه العبارة هي عين ما مضى ، فلا معنى لتكرارها .

(٢) زاد في أ : ويُقال : جُوذَر بضمِّ الجيم وفتح الذَّال ، وجَوذِر بفتح الجيم وكسر الذَّال ، مع هذه اللُّغات الثَّلاثة المذكورة التي بفتحها . كذا في القاموس ، وكلُّ ذلك بالواو .
قلت : هذه الزِّيادة إضافة من قارئ ، وليست من الأَصل .

(٣) البيت في شرح شواهد المغني ١/ ١٢٢ منسوباً إلى الأخطل ، وليس في ديوانه . واستبعد البغدادي في شرح أبيات المغني ١/ ١٨٥ هذه النسبة . وهو بلا نسبة في أَمالي ابن الشجري ٢/ ١٩ والعمدة ٢/ ١٠٥٨ وخزانة البغدادي ١/ ٤٥٧ و ٥/ ٤٢٠ و ٩/ ١٥٥ و ١٠/ ٤٤٨ .

(٤) الأَبيات في وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٢ . والثَّالث والرَّابع في اليتيمة ١/ ٢٣٣ والإِعجاز والإِيجاز ٢٦١ .

(٥) في أ : × . . . وانثنين جآذرا .

(٦) البيتان في اليتيمة ١/ ٢٣٤ .

تَبَدَّتْ فَهَذَا البَدْرُ مِنْ خَجَلٍ بِهَا ... وَحَقِّكَ مِثْلِي في دُجَى اللَّيْلِ حائِرُ
وَماسَتْ فَشَقَّ الغُصْنُ غَيْظاً جُيُوبَهُ ... أَلَسْتَ تَرَى أَوراقَهُ تَتَناثَرُ

فأُجِيزَ على ذَلِكَ[1] :

وفاحَتْ فَأَلْقَىٰ العُودُ في النَّارِ جِسْمَهُ ... كَذَا نَقَلَتْ عَنْهُ الحَدِيثَ المَجامِرُ
وَقَالَتْ فَغارَ الدُّرُّ واصْفَرَّ لَوْنُهُ ... كَذَلِكَ مَا زَالَتْ تَغارُ الضَّرائِرُ

وَلَهُ أَيْضاً ، وَقِيلَ : لِغَيْرِهِ : [من البسيط]

بادِرْ إِذا حاجَةٌ فِي وَقْتِها عَرَضَتْ ... فَلِلْحَوائِجِ أَوْقَاتٌ وَسَاعَاتُ
إِنْ أَمْكَنَتْ فُرْصَةٌ فانْهَضْ لَها عَجِلاً ... وَلا تَأَخَّرْ فَلِلتَّأْخِيرِ آفاتُ

وَلَهُ وَأَحْسَنَ : [من المُنْسَرِح]

أَما تَرَى الغَيْثَ كُلَّما ضَحِكَتْ ... كَمائِمُ الزَّهْرِ في الرِّياضِ بَكَى
كَالحِبِّ يَبْكِي لَدَيْهِ عاشِقُهُ ... وَكُلَّما فاضَ دَمْعُهُ ضَحِكا

وَلَهُ أَيْضاً : [من الوافر]

لَحَى اللهُ امْرَءاً أَوْلاكَ سِرّاً ... فَبُحْتَ بِهِ وَفَضَّ اللهُ فاهُ
لأَنَّكَ بِالَّذِي اسْتُودِعْتَ مِنْهُ ... أَنَمُّ مِنَ الزُّجاجِ بِما وَعاهُ

وَقَدْ قِيلَ في المَعْنَى ، وأَجادَ قائِلُهُ : [من الوافر]

يَنِمُّ بِسِرِّ مُسْتَرْعِيهِ سِرّاً ... كَمَا نَمَّ الظَّلامُ بِسِرِّ نَارِ
أَنَمُّ مِنَ النُّصُولِ على مَشِيبٍ ... وَمِنْ صَافِي الزُّجاجِ على عُقارِ

● تُوفِّي الزَّاهِي سَنَةَ سِتِّينَ وثلاثمئة[2] ؛ وَهُوَ شاعِرٌ ماهِرٌ، رَحِمَهُ اللهُ تعالَى.

---

(١) هذه العبارة ليست في أ . والأبيات أَربعة متَّصلة .

(٢) في تاريخ بغداد ١٣/ ٢٦٥ وبعض نسخ ابن خلِّكان : توفِّي بعد سنة ٣٦٠ هـ . وذكره في المنتظم ١٤/ ٢١٢ ، والبداية والنِّهاية ١٥/ ٣٦٦ ضمن وفيات ٣٦١ . والصَّواب ما ذكره ابن=

١٨٤ الجَوْزَلُ : بفَتْحِ الجِيمِ : فَرْخُ الحَمامِ والقَطا وأَنواعِهما ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ في لَفْظِ « القَطا » . والجَمْعُ جَوازِلُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ : [من الرَّجز]

يـا ابْنَـةَ عَمِّـي لا أُحِـبُّ الجَـوْزَلا وَلا أُحِـبُّ قُـرْصَـكِ المُفَلْفَـلا

وإنمـا أُحِـبُّ ظَبْيـاً أَعْبَـلا

وَرُبَّما سُمِّيَ الشَّابُّ جَوْزلاً .

١٨٥ جَيْأَل[1] : اسمٌ للضَّبُعِ على فَيْعَل ، وَهِيَ مَعْرِفَةٌ بِلا أَلِفٍ ولامٍ .

وَحُكْمُها : يَأْتِي في « بابِ الضَّادِ المُعْجَمة » .

الأَمْثالُ : قَالوا[2] : « أَنْبَشُ مِنْ جَيْأَلٍ » ؛ لأَنَّها تَنبُشُ القُبُورَ ، وَتُخْرِجُ جِيَفَ المَوْتَى مِن باطِنِ الأَرْضِ إِلى ظاهِرِها .

١٨٦ أَبو جَرادة : هُوَ الطَّائِرُ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ العِراقِ الباذنجان[3] ، ويُسَمِّيهِ أَهْلُ الشَّامِ : البَصِير[1] .

[**الخَواصُّ**] : يُؤْخَذُ لَحْمُهُ ، فَيُذَوَّبُ ، وَيَتَمَسَّحُ بِهِ مَنْ كانَتِ البَواسِيرُ بِهِ ظاهِرَةً ، يَنْفَعُهُ نَفْعاً بَيِّناً ؛ واللهُ أَعلمُ .

* * *

= خلّكان نقلاً عن الوزير عميد الدَّولة ابن عبد الرحيم في كتابه طبقات الشُّعراء ، أَنَّه توفِّي يوم الأَربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة ، سنة اثنتين وخَمسين وثلاثمئة ببغداد .
وله ترجمة في يتيمة الدَّهر ١/ ٢٣٣ ، وسير أَعلام النُّبلاء ١٦/ ١١١ .

(١) في أ ، ط : جيال : كجبال ! ! . وزاد في ط : . . . على وزن فعال ! ! . والمثبت عبارة الصِّحاح « جأل » ٤/ ١٦٥٠ .

(٢) الميداني ٢/ ٣٥٥ والعسكري ٢/ ٢٩٨ و ٣١٨ والزمخشري ١/ ٣٧٨ والدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٣٩١ و ٣٩٩ .

(٣) في أ : الباريحان . . . النصير . وفي الحيوان ١/ ٢٨ : البادنجار . وفي نسخة منه : الباذنجان ، وهو الصَّواب إن شاءَ الله . قَال في اللِّسان « حرر » ٢/ ٨٣١ : يُقال لهذا الطَّائر الذي يقال له بالعراق : باذنجان ، لأَصغر ما يكون : جُمَيِّلُ حُرٍّ .

فهرس
موضوعات المجلّد الأَوَّل
من حياة الحيوان الكبرى
للدَّميري
حسب ترتيب المؤلّف
[أ ـ ج]

* * *